التبيان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

الجزء الثامن

٦٥٧

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٦٥٧

التبيان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

شبكة الفكر
alfeker.net

سرشناسه: طوسي، محمّد بن حسن، ٣٨٥ ـ ٤٦٠ ق.
عنوان ونام پديدآور: التبيان في تفسير القرآن / تأليف ابي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي؛ تحقيق مؤسّسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة.
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم، مؤسّسة النشر الاسلامي، ١٤١٣ ق. = ١٣٧١ ـ.
مشخّصات ظاهرى: ١١ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفه: ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠.
شابك: دورة: ٥ ـ ٠٧٠ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨؛ ج. ٨: ٩ ـ ٩٢٨ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
وضعيت فهرست نويسى: برونسپارى.
يادداشت: عربى.
يادداشت: ج. ٢ (چاپ اوّل: ١٤١٧ ق. = ١٣٧٥).
يادداشت: ج. ٤ (چاپ اوّل: ١٤٢٠ ق. = ١٣٧٨).
يادداشت: ج. ٥ (چاپ اوّل: ١٤٣٤ ق. = ١٣٨٢).
يادداشت: ج. ٧ (چاپ اوّل: ١٤٢٩ ق. = ١٣٨٧).
يادداشت: ج. ٩ (چاپ اوّل: ١٤٣٠ ق. = ١٣٨٨).
يادداشت: ج. ١١ (چاپ اوّل: ١٤٣١ ق. = ١٣٨٨).
يادداشت: كتابنامه.
موضوع: تفاسير شيعه ـ ـ قرن ٥ ق.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسين حوزهٔ علميّه قم، دفتر انتشارات اسلامى.
رده‌بندى كنگره: ١٣٧١ ٢ ت ٩ ط ٩٤ BP
رده بندى ديويى: ٢٩٧ / ١٧٢٦
شماره كتابشناسى ملّى: ٣٨٥٠ ـ ٧١ م

التبيان

في تفسير القرآن

(ج ٨)

■ تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ﵀ □
■ الموضوع: التفسير □
■ تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ٨١٢ □
■ الطبعة: الثانية □
■ المطبوع: ٣٠٠ نسخة □
■ التاريخ: ١٤٤٠ هـ. ق □
■ شابك دورة: ٥ ـ ٠٧٠ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ □
■ شابك ج ٨: ٩ ـ ٩٢٨ ـ ٤٧٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨ □
978 - 964 - 470 - 928 - 9

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

سورة يوسف

مكّية في قول مجاهد وقَتادة، وهي مائة وإحدى عشرة آية بلا خلاف في ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ آية بلا خلاف.

لم يعدّوا ﴿الٓر﴾ آية لأنّه على حرفَيْن، ولا يشاكل رؤوس الآي فيعدّ من الفواصل بالوجهَيْن، لأنّه بالحرفَيْن يجري مجرى الأسماء الناقصة، وإنّما يؤمّ بالفواصل التمام، وإنّما يعدّ ﴿طه﴾ لأنّه يشبه رؤوس الآي. وقد بيّنّا فيما تقدّم[1] اختلاف المفسّرين في مبادئ السور بهذه الحروف، وقلنا: إنّ أقوى الأقوال قول من قال: إنّها أسماء للسور، فلا وجه لإعادة القول فيها.

وقوله: ﴿تلك آيات﴾ قال قوم: هو إشارة إلى ما تقدّم من ذكره السورة في قول:[2] ﴿الٓر﴾ كأنّه قال: سورة يوسف تلك آيات الكتاب المبين[3]. الثاني: أنّه إشارة إلى ما يأتي من ذكرها على وجه التوقّع لها.

---

(١) عند تفسير أوّل سورة البقرة.

(٢) في الخطّية: ذكر السور في قوله.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٥.

وقال قوم[١] معناه: هذه[٢] تلك الآيات الّتي وُعِدْتم بها في التوراة، كما قال: ﴿الٓم ذلك الكتاب﴾[٣].

﴿المبين﴾ معناه: المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة به، وهو قول مجاهد وقَتادة. ويروى[٤] عن معاذ أنّه قال: ﴿المبين﴾ قال: بيّن الحروف الّتي سقطت عن ألْسُن الأعاجم، وهي ستّة[٥]. يعني حروف الحلق.

و «البيان» هو الدلالة، وقال الرُمّاني: «البيان» إظهار المعنى من الطريق الّتي من جنسه[٦] و «البرهان» إنّما هو إظهار صحّة المعنى بما يشهد به. وإنّما سُمّيت ﴿آيات﴾ لما فيها من الدلالة القاطعة على صحّة ما تضمّنته الآية الدالّة.

قوله [تعالى]:

إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه أنزل هذا الكتاب ﴿قرآناً عربيّاً﴾ لكي يعقلوا معانيه وأغراضه، وسمّاه ﴿قرآناً﴾ لما تضمّن من مجموع خبر يوسف وغير ذلك. و «القرآن»: كلام في أعلى طبقة البلاغة، ووجه بلاغة القرآن: كونه في نهاية التلاؤم المنافي للتنافر في تأليف اللفظ والمعنى، مع تشاكل المقاطع في الفواصل بما يقتضيه المعنى، ومع تصريف القول على أحسن ما تصرف به المعنى.

و «العقل»: مجموعة علوم يتمكّن معها من الاستدلال بالشاهد على

---

(١) منهم الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٨٧.

(٢) أي: هذه الآيات هي تلك ....

(٣) البقرة: ١ ـ ٢.

(٤) في «ح»: «وروي».

(٥) رواه الطبري ذيل الآية مسنداً.

(٦) في «ح»: «من طريق جنسه».

الغائب، ويُفصل به بين الحسن والقبيح، ثمّ يجري على كلّ ما يعقله الإنسان في نفسه من المعاني.

وفي الآية دلالة على أنّ كلام الله محدث، لأنّه وصفه بالإنزال وبأنّه عربي، ولا يوصف بذلك القديم. وفيه دلالة على أنّ القرآن غير الله، لأنّه وصفه بأنّه عربي، ومَن يزعم أنّ الله عربي فقد[١] كفر، وما كان غير الله فهو محدث.

والهاء في قوله: ﴿إنّا أنزلناه﴾ كناية عن الكتاب الّذي تقدّم ذكره، قال الزجّاج: ويجوز أن يكون المعنى: إنّا أنزلنا خبر يوسف وقصّته، لأنّ علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم: لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصّة يوسف، فأنزل الله الآية، ودليله: قوله: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾[٢].

قوله [تعالى]:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٣﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه يقصّ على نبيّه أحسن القصص، و «القصص» يتعدّى بحرف الجرّ في «عليك» لأنّ معناه: يتلو بعض الحديث بعضاً، ولو قال: نخبرك، لتعدّى بنفسه.

وقوله: ﴿أحسن القصص﴾ يدلّ على أنّ الحسن يتفاضل ويتعاظم، لأنّ لفظ «أفعل» حقيقتها ذلك، وإنّما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه.

وقوله: ﴿بما أوحينا إليك هذا القرآن﴾ دخلت الباء في ﴿بما أوحينا﴾

---

(١) لم ترد «فقد» في «ح».

(٢) الآية: ٧. وراجع معاني القرآن للزجّاج ٣: ٨٧.

لتبيين القصص، إذ القصص يكون قرآناً وغيرقرآن، و﴿القصص﴾ ـ هاهنا ـ بالوحي: القرآن، كأنّه قال: أوحينا إليك هذا القرآن، ونُصب ﴿القرآن﴾ بإيقاع الوحي عليه، وكان يجوز فيه الجرّ على البدل من ﴿ما﴾ والرفع على أن يكون جواب «ما هو» في قول الزجّاج[١] ولم يُقرأ بغير النصب.

وقوله: ﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ يعني: كنت يا محمّد ﷺ قبل وحينا إليك غافلاً عن الأحكام الّتي ذكرناها في القرآن حتّى آتيناك بها ودلّلناك عليها، ولم تكن تهتدي إليها، وقيل: معناه: من الغافلين عن قصّة يوسف وإخوته حتّى أخبرناك بها[٢].

قوله [تعالى]:

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأبو جعفر: ﴿يا أبتَ﴾ بفتح التاء في جميع القرآن، الباقون بكسر التاء، وابن كثير يقف بالهاء، الباقون يقفون بالتاء. وقرأ أبو جعفر: ﴿أحد عشر﴾ و ﴿تسعة عشر﴾[٣] بسكون العين[٤] فيهما[٥] الباقون بفتحها.

العامل في ﴿إذ﴾ أحد أمرَيْن:

أحدهما: اذكر إذ قال يوسف. الثاني: نقصّ عليك ﴿إذ قال﴾ في قول

(١) معاني القرآن للزجّاج ٣: ٨٨.
(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٨٨.
(٣) المدثّر: ٣٠.
(٤) المراد بالعين، هو العين من عشر، وهي الشين. انظر النشر في القراءات العشر: ٢٧٩.
(٥) في الحجريّة: «فيها» بدل «فيهما».

الزجّاج[١]. ولا يكون على هذا الوجه ظرفاً لـ ﴿القصص﴾[٢] في معنى «تذكرة».

ويجوز في ﴿يا أبت﴾ ثلاثة أوجهٍ من الإعراب:

[الأوّل:] الكسر على حذف ياء الإضافة.

الثاني: «يا أبتَ» بفتح التاء على حذف الألف المنقلبة عن ياء الإضافة، كأنّه أراد: يا أبتا، فحذف الألف كما تُحذف الياء، فتبقَى الفتحة دالّة على الألف كما أنّ الكسرة دالّة على الياء، قال رُؤْبَة:

يا أبتا علّك أو عساكا[٣]

فلمّا كثرت هذه الكلمة في كلامهم ألزموها القلب، قال أبو عليّ الفارسي: ويحتمل أن يكون مثل: يا طلحةَ أقبل، ووجهه أنّ الأسماء الّتي فيها تاءالتأنيث أكثر ما[٤] تنادى مرخّماً، فلمّا كانكذلك ردّ التاءالمحذوفة في الترخيم وترك الأمر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح، فلم يعتدّ بالهاء وإقحامها، كما قالوا: «وأجمعت اليمامة» يريدون: أهل اليمامة، ثمّ قالوا: أجمعت أهل اليمامة، فلم يعتدّوا بردّ «أهل»[٥].

الثالث: «يا أبهُ» بضمّ الهاء في قول الفرّاء[٦] ولم يجزه الزجّاج، قال: لأنّ التاء عوض من ياء الإضافة[٧]. قال الرُمّاني: هذا جائز لأنّ العوض لا يمنع من الحذف، والوقف يجوز على التاء، لأنّ الإضافة مقدّرة بعدها،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٨٨ .

(٢) في الخطّية، ولكن في.

(٣) أنشده سيبويه في الكتاب ٢: ٣٧٥.

(٤) في الخطّية «ممّا».

(٥) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٢٦.

(٦) انظر معاني القرآن ٢: ٣٢.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٨٩.

وإن قدّر على حذف الألف لم يجز الوقف إلّا بالتاء، وإن قدّر على الإقحام جاز الوقف، كقول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أُميمة ناصب   وليل أُقاسيه بطيء الكواكب[1]

وإنّما دخلت الهاء في «يا أبت» للعوض من ياء الإضافة، إذ يكثر في النداء مع لزوم معنى الإضافة، فكان أحقّ بالعلامة لهذه العلّة.

وقال أبو عليّ: إنّما وقف ابن كثير بالهاء، فقال: «يا أبه» لأنّ التاء الّتي للتأنيث تبدّل منها الهاء في الوقف، ولم يجز على تقدير الإضافة، لأنّه إذا وقف عليها سكّنت للوقف، وإذا سكّنت كانت بمنزلة ما لا يراد به الإضافة، فأبدل منها الهاء، كما إذا قال: «يا طلحة أقبل» بفتح التاء، وإذا وقف عليها أبدل التاء هاءً[2].

وإنّما أعاد ذكر ﴿رأيتهم﴾ لأمرين: أحدهما: للتوكيد حيث طال الكلام. الثاني: ليدلّ أنّه رآهم ورأى سجودهم.

وفي معنى سجودهم له قيل قولان:

أحدهما: هو السجود المعروف على الحقيقة، تكرمةً له لاعبادة له.

الثاني: الخضوع له، في قوله أبي عليّ، كما قال الشاعر:

ترى الأُكم فيه سجّداً للحوافر[3]

وهو ترك الظاهر. وقال الحسن: «الأحد عشر» إخوته، و «الشمس والقمر» أبواه. وإنّما قال: ﴿ساجدين﴾ بالياء والنون وهو جمع ما لا يعقل،

---

(١) من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث حين هرب إلى الشام ونزل به. راجع ديوان النابغة الذبياني: ٤٨.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٢٧.

(٣) لزيد الخيل، من أبيات يذكر وقعة حدثت. راجع الكامل للمبرّد ٢: ٧٣٥، وفيه: «منه» بدل «فيه».

لأنّه لمّا وصفها بفعل ما يعقل من السجود أجرى عليها صفات ما يعقل، كما قال: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾[١] لمّا أُمروا أمر من يعقل.

و﴿كوكباً﴾ منصوب على التمييز، و﴿أحد عشر﴾ الإسمان جُعلا إسماً واحداً، وكذلك إلى تسعة عشر. واللغة الجيّدة عند البصريّين فتح العين، وحُكي سكون العين، وحكى الزجّاج: «إحدى عشر» وهي لغة رديئة[٢].

قوله [تعالى]:

﴿قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَاتَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴿٥﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ الكسائي إلّا أبا الحارث وقُتيبة والعبسي وابن اليزيدي بإمالة ﴿رؤياك﴾ و ﴿الرؤيا﴾ جميع[٣] القرآن[٤] وروى أبو الحارث فتح ﴿رؤياك﴾ وإمالة الباقي، وقرأ قُتيبة إمالة ﴿الرؤيا﴾ ونصب ﴿رؤياك﴾. وقرأ خلف في اختياره بإمالة ما فيه ألف ولام، الباقون بالتفخيم، وخفّف الهمزة في جميع ذلك أبو جعفر ووَرْش والشموني وشجاع واليزيدي في الإدراج، إلّا أنّ أبا جعفر يدغم الواو في الياء فتصير ياء مشدّدة[٥].

قال أبو عليّ النحوي: «الرُؤيا» مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى، إلّا أنّه لمّا صار اسماً لهذا التخيّل في المنام جرى مجرى الأسماء، كما أنّ «دَرّاً» لمّا كثر في كلامهم في قولهم: «لله درّك» جرى

---

(١) النمل: ١٨.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٩٠.
(٣) كذا في النسخ، والظاهر: «في جميع».
(٤) كذا في الحجريّة، وفي «ح»: «جميع الباب» وفي «م»: «جميع الراءات».
(٥) انظر الحجّة للقراء السبعة ٢: ٤٣١.

مجرى الأسماء وخرج من حكم الإعمال، فلا يعمل واحد منهما إعمال المصدر، وممّا يقوّي خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها «رؤىً» فصار بمنزلة «ظلمٍ» والمصادر في الأكثر لا تُكْسَر، و «الرؤيا» على تحقيق الهمزة، فإن حذفت قلبتها في اللفظ واواً، ولم يدغم الواو في الياء، لأنّ الواو في تقدير الهمزة، فهي لذلك غير لازمة، فلا يقع الاعتداد بها فلم تدغم، وقد كسر أوّلها قوم فقالوا: «رِيّاً» فهؤلاء قلبوا الواو قلباً لا على وجه التخفيف، ومن ثمّ كسروا الفاء، كما كسروا من قولهم: «قرنٌ ألوى» و«قرونٌ ليٌّ»[1].

في هذه الآية حكاية ما أجاب به يعقوب يوسف حين قصّ عليه رؤيته ومنامه، فقال له: ﴿يا بنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ أي: لا تخبرهم بها، فإنّك إن أخبرتهم بذلك حسدوك وكادوك واحتالوا عليك، وإنّما قال ذلك لعلمه بأنّ تأويل الرؤيا أنّهم يخضعون له.

وقوله: ﴿يا بنيّ﴾ فيه ثلاث ياءات: الياء الأصليّة، وياء الإضافة، وياء التصغير. وحذفت ياء الإضافة اجتزاءً بالكسرة وأُدغمت إحدى الياءين في الأُخرى، وفتح الياء وكسرها لغتان. وإنّما صغّر ﴿بنيّ﴾ مع عِظَم منزلته لأنّه قصد بذلك صغر السنّ، ولم يقصد به تصغير الذمّ.

و «الرؤيا»: تصوّر المعنى في المنام على توهّم الإبصار، وذلك أنّ العقل مغمور بالنوم، فإذا تصوّر الإنسان المعنى توهّم أنّه يراه. و «الأخ»: المساوي في الولادة من أب أو أُمّ أو منهما، ويُجمع: إخوة وآخاء.

---

(١) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣١، وفي اللسان كلمة «لوى».

و«الكيد»: طلب الغيظ بأذى الطالب لغيره، كادهُ يَكيدُهُ كيداً فهو كائد.

وقوله: ﴿إنّ الشيطان للإنسان عدوّ مبين﴾ إخبار منه تعالى بأنّ الشيطان معادٍ للإنسان، ويلقي العداوة بينهم. واللام في قوله: ﴿لك كيداً﴾ لام التعدية، كما يقال: قدّمت له طعاماً، وقدّمت إليه طعاماً، وقال قوم: هو مثل قولهم: شكرته وشكرت له، لأنّه يقال: كادهُ يكيدُه، وكاد له.

وحكى الكسائي: أنّ قوماً يقولون: «الرِيّا» بكسر الراء وتشديد الياء فيقلبون الهمزة واواً ويدغمون الواو في الياء[1]. و«رؤيا» فيها أربع لغات: بضمّ الراء مع الهمزة، وبالواو بلا همزة ـ وقد قرئ بهما ـ وبضمّ الراء والإدغام، وبكسر الراء، ولا يقرأ بهاتين.

قوله [تعالى]:

وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

آية بلا خلاف.

وهذه حكاية ما قال يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام وقوله له: إنّ الله ﴿يجتبيك﴾ ويختارك ويصطفيك ويكرمك بذلك، كما أكرمك بأن أراك في منامك هذه الرؤيا، فوجه التشبيه وهو إعطاء الرؤيا بإعطاء الاجتباء مع ما انضاف إليه من الصفات الكريمة المحمودة الّتي ذكرها، و «الاجتباء»: إختيار معالي الأُمور للمجتبى مثل ما اختاره الله تعالى ليوسف من الخصال الكريمة والأُمور السنيّة. وقال الحسن: اجتباه الله بالنبوّة وبشّره

(١) انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ٣٦.

بذلك. وأصله من: جبيت الشيء إذا أخلصته لنفسك، ومنه: جبيت الماء في الحوض.

وموضع الكاف من ﴿وكذلك﴾ نصب، والمعنى: مثل ما رأيت تأويله ﴿يجتبيك ربّك﴾.

وقوله: ﴿ويعلّمك من تأويل الأحاديث﴾ معناه: أنّه تعالى يعرّفك عبارة الرؤيا، في قول قَتادة ومجاهد، وذلك تأويل أحاديث الناس عمّا يرونه في منامهم. وقيل: كان أعبر الناس للرؤيا، ذكره ابن زيد. وقال الزجّاج والجُبّائي: معناه: يعلّمك تأويل الأحاديث في آيات الله تعالى ودلائله على توحيده، وغير ذلك من أُمور دينه[١].

و «التأويل» في الأصل: هو المنتهى الّذي يؤول إليه المعنى، وتأويل الحديث: فقهه الّذي هو حكمه، لأنّه إظهار ما يؤول إليه أمره ممّا يعتمد عليه وفائدته.

وقوله: ﴿ويتمّ نعمته عليك﴾ فإتمام النعمة هو أن يحكم بدوامها على إخلاصها من شائب بها. فهذه النعمة التامّة بخلوصها ممّا ينغصها، ولا تطلب إلّا من الله تعالى لأنّه لا يقدر عليها سواه.

وقوله: ﴿كما أتمّها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق﴾ إخبار من يعقوب ليوسف أنّ الله تعالى يديم عليه هذه النعمة كما أدامها على أبويه قبله إبراهيم وإسحاق، واصطفائه إيّاهما وجعله لهما نبيّين رسولين إلى خلقه. ثمّ أخبر مع ذلك: أنّ الله تعالى ﴿عليم﴾ بمن يصلح أن يجتبى

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٩٢.

﴿حكيم﴾ في اجتبائه من يجتبيه، واضع للشيء في موضعه، وفي غير ذلك من أفعاله.

قال الفرّاء: قوله: ﴿وكذلك يجتبيك ربّك﴾ جواب لقوله: ﴿إنّي رأيت أحد عشر كوكباً﴾ فقيل له: وهكذا يجتبيك ربّك، فـ«كذلك» و «هكذا» سواء في المعنى(١).

وقال ابن إسحاق: إنّما قصّ الله تعالى قصّة يوسف على محمّدﷺ ليُعلمه أنّه بغى عليه إخوته وحسدوه، فيسلّيه بذلك من بغي قومه عليه وحسدهم إيّاه(٢).

قوله [تعالى]:

لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحده: ﴿آية للسائلين﴾ على التوحيد، الباقون: ﴿آيات﴾ على الجمع.

قال أبو عليّ النحوي: من أفرد جعل شأنه كلّه آية، ويقوّي ذلك قوله: ﴿وجعلنا ابن مريم وأُمّه آية﴾(٣) فأفرد، وكلّ واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال: آية، فأفرد مع ذلك. ومن جمع جعل كلّ واحد من أحواله آية، وجمع على ذلك على أنّ المفرد المنكّر في الإيجاب يقع دالاً على الكثرة كما يكون ذلك في غير الإيجاب، قال الشاعر:

فقتلاً بتقتيلٍ وضرباً بضربكم جزاء العُطاس لا ينام من اتّأر(٤)

اللام في قوله: ﴿لقد﴾ هي اللام الّتي يتلقّى بها القسم، أقسم الله تعالى في هذه الآية أنّه ﴿كان في يوسف﴾ وفي ﴿إخوته آيات﴾ و «الآية»:

---

(١) معاني القرآن ٢: ٣٦.
(٢) أورده الطبري ذيل الآية ٧.
(٣) المؤمنون: ٥٠.
(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٠.

الدلالة على ما كان من الأُمور العظيمة. و «الآية» و «العلامة» و «العبرة» نظائر في اللغة. وقال الرُمّاني: الفرق بين «الآية» و «الحجّة» أنّ «الحجّة» معتمد البيّنة الّتي توجب الثقة بصحّة المعنى، و «الآية» تكشف عن المعنى الّذي فيه أُعجوبة.

ووجه الآية في يوسف وإخوته: أنّهم نالوه للحسد بالأذى مع أنّهم أولاد الأنبياء: يعقوب وإسحاق وإبراهيم، فصفح وعفا وأحسن ورجع إلى الأولى، وكان ذلك خروجاً عن العادات. وقال الزجّاج: معناه: بصيرة للّذين سألوا النبيّ ﷺ فأنبأهم بقصّة يوسف ـ وهو ﷺ لم يقرأ كتاباً، ولم يعلمه إلّا من جهة الوحي ـ جواباً لهم حين سألوه[1].

وفي «يوسف» لغتان: ضمّ السين وكسرها، وكذلك «يونس» بضمّ النون وكسرها، والقُرّاء على الضمّ فيهما، وحكى قُطْرُب[2] فتح النون في «يونس» وهي شاذّة.

قوله [تعالى]:

إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير ونافع والكسائي: ﴿مبينٌ اقتلوا يوسف﴾ بضمّ التنوين، الباقون بكسره.

قال أبو عليّ: من ضمّ التنوين أتبع حركة التنوين ضمّة الهمزة بعده، لأنّ تحريكه يلزم لالتقاء الساكنين، كما قالوا: «مُدُّ» و «ظلمات» فأتبعوا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٩٢ـ٩٣.

(٢) لقب محمّد بن المستنير النحوي، من تلاميذ سيبويه.

الضمّة الضمّة، وكذلك ﴿أن اُقتلوا﴾[١] ﴿وقالت اُخرج﴾[٢] ومن كسر لم يتبع، وكسر على أصل الحركة لالتقاء الساكنين في الأمر الأكثر[٣].

العامل في ﴿إذ﴾: اذكر، وتقديره: اذكر إذ قالوا ليوسف، ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في الآية الأُولى من قوله: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين إذ قالوا ليوسف﴾.

وفي الآية إخبار عمّا قالت إخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إيّاه، وقولهم: إنّ يوسف وأخاه لأبيه وأُمّه ـ وهو بنيامين ـ ﴿أحبّ إلى أبينا﴾ يعقوب ﴿منّا﴾ مع أنّا ﴿عصبة﴾ أي: جماعة، و«الحبّ» ضدّ «البغض» و «الحَبّ» بفتح الحاء سمّي به لأنّه ممّا يُحبّ، و«الحِبّ» بكسر الحاء: المفرط لما فيه من الحُبّ، و «الإحباب» أن يبرُك البعير فلا يثور، لأنّه يحبّ البروك.

والمحبّة على ضربين:

أحدهما: المحبّة الّتي هي ميل الطباع. والثاني: إرادة المنافع. والفرق بين «المحبة» و «الشهوة»: أنّ الإنسان يحبّ الولد ولا يشتهيه بأن يميل طبعه إليه ويرقّ عليه ويريد له الخير، و «الشهوة»: منازعة النفس إلى ما فيه اللذّة. و «العصبة»: الجماعة الّتي يتعصّب بعضها لبعض.

وقولهم: ﴿ونحن عصبة﴾ أي: جماعة يعين بعضها لبعضٍ، وكانوا عشرة. و«العصبة» يقع على الجماعة من عشرة إلى خمسة عشر، ولاواحد له من لفظه، كالرَهْط والقوم والنفر.

---

(١) النساء: ٦٦. (٢) يوسف: ٣١.

(٣) انظر: الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٠ـ٤٣١.

وقوله: ﴿إنّ أبانا لفي ضلال مبين﴾ معناه: الإخبار عن قولهم: إنّ أبانا في ذهاب عن طريق الحقّ والصواب الّذي فيه التعديل بيننا في المحبّة، وقيل: إنّهم أرادوا أنّه غلط في تدبير أمر الدنيا، إذ كانوا أنفع له من يوسف وأخيه من أُمّه وأبيه، إذ كانوا يقومون بأمواله ومواشيه. ولم يريدوا الضلال في الدين لأنّهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفّاراً، وذلك خلاف الإجماع.

وأكثر المفسّرين على أنّ إخوة يوسف كانوا أنبياء، وقال قوم: لم يكونوا كذلك[1] وهو مذهبنا، لأنّ الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم القبائح، وخاصّةً ما فعلوه مع أخيهم يوسف من طرحه في الجبّ، وبيعهم إيّاه بالثمن البخس، وإدخالهم الغمّ به على أبيهم يعقوب، وكلّ ذلك يبيّن أنّهم لم يكونوا أنبياء.

وقال البلخي: ذهب قوم إلى أنّهم لم يكونوا في تلك الحال بلغوا الحلم، وقد يقع مثل ذلك ممّن قارب البلوغ وإن لم يبلغ، ويُعاتب عليه ويذمّ ويضرب على فعله.

ومن قال: كانوا بالغين غير أنّهم لم يكونوا أنبياء استدلّ على بلوغهم بقوله: ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ وقولهم: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾[2] ومن قال هذا، قال: الأسباط من بني يعقوب غير هؤلاء.

قوله [تعالى]:

ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) نقل ذلك الماوردي في النكت والعيون ٣: ١٠.

(٢) وهي الآية: ٩٨ من هذه السورة انظر: النكت والعيون ٣: ١٠.

أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم قالوا بعضهم لبعض: ﴿اُقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ ومعناه: إطرحوه في أرضٍ تأكله السباع أو يهلك بغير ذلك من الأُمور، وقيل: معناه: اطرحوه في أرضٍ يبعد عن أبيه، ولا يقدر عليه(١).

وقوله ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ جواب الأمر في قوله: ﴿اُقتلوا يوسف﴾ ولا يجوز غير الجزم، لأنّه ليس فيه ضمير، والمعنى: أنّكم متى قتلتموه أو طرحتموه في أرض أُخرى خلا لكم أبوكم وحنّ عليكم ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ معناه: أنّكم إذا فعلتم ذلك وبلغتم أغراضكم تبتم ممّا فعلتموه، وكنتم من جملة الصالحين الّذين يفعلون الخيرات، فيكفّر عنكم عقاب ما فعلتموه. وقال الحسن: معناه: تكونوا قوماً صالحين في أمر دنياكم، ولم يريدوا أمر الدين.

قوله [تعالى]:

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ نافع وأبو جعفر: ﴿غيابات﴾ على الجمع، الباقون: ﴿غيابة﴾ على التوحيد. وقرأ الحسن: ﴿تلتقطه﴾ بالتاء، كما قالوا: ذهبت بعض أصابعه.

قال أبو عليّ: وجه قول من أفرد: أنّ الجبّ لا يخلو أن يكون له غيابة واحدة أو غيابات، فغيابة المفرد يجوز أن يعنى به الجمع، كما يعنى به الواحد، ووجه قول من جمع: أنّه يجوز أن يكون له غيابة واحدة، فجعل

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٩٣.

كلّ جزء منه غيابة، فجمع على ذلك، كقولهم: شابت مَفارقُه، ويجوز أن يكون عنده للجبّ غيابات، فجمع على ذلك[١].

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن واحدٍ من جملة القوم على وجه المشورة عليهم: ﴿لا تقتلوا يوسف﴾ ولكن اطرحوه في جبٍّ عميق قليل الماء، وقيل: إنّه كان اسم القائل لذلك «روبيل» وكان ابن خالة يوسف، في قول قَتادة وابن إسحاق. وقال الزجّاج: كان يَهُوذا[٢].

و «الغَيابة»: الموضع الّذي يغيب فيه صاحبه، وغيابة البئر شبه لَجَف أو طاق فوق الماء وضعوه فيها، وكلّ ما غيّب شيئاً عن الحسّ بكونه فيه فهو غَيابة، وقال الحسن: يعني: في قعر الجبّ. قال المُنَخّل:

فإن أنا يوماً غيّبتني غيابتي
فسيروا بسيري فيالعشيرة والأهل[٣]

و «الجُبّ»: البئر الّتي لم تُطو، لأنّه قطع عنها ترابها حتّى طغى الماء من غير طيّ، ومنه: المجبوب، قال الأعشى:

لئن كنت في جبّ ثمانين قامة ورقّيت أسباب السماء بسلّم[٤]

و «السيّارة»: الجماعة المسافرون، لأنّهم يسيرون في البلاد، وقيل: هم مارّة الطريق[٥]. و «الالتقاط»: تناول الشيء من الطريق، ومنه: اللُقَطَة

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٢، مع اختلاف يسير.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٩٤.

(٣) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٠٢ فيه: مسيري، وفي الخطّية والحجريّة «والأصل» بدل «والأهل».

(٤) من قصيدة يهجو بها عُمير بن عبدالله بن المنذر. راجع ديوان الأعشى: ١٨٦.

(٥) قاله الضحّاك. راجع تفسير الماوردي ٣: ١٢.

واللقيط[١] وقيل: إنّهم أشاروا عليه بأن يقعد في دلو المدلي إذا استسقى ليخرجه من البئر ففعل. ومعنى التقاطه: أن يجدوه من غير أن يحتسبوه، يقال: وردت الماء التقاطاً إذا وردته من غير أن تحتسبه.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ آية بلا خلاف.

كلّهم قرأ: ﴿تأمنّا﴾ بفتح الميم وإدغام النون الأُولى في الثانية، والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضمّ اتّفاقاً. قال أبو عليّ: وجه ذلك: أنّ الحرف المدغم بمنزلة الموقوف عليه من حيث جمعهما السكون، فمن حيث أشمّوا الحرف الموقوف عليه إذا كان مرفوعاً في الإدراج أشمّوا النون المدغمة في ﴿تأمنّا﴾ وليس ذلك بصوتٍ خارجٍ إلى اللفظ، وإنّما هو تهيئة العضو لإخراج ذلك الصوت به ليعلم بذلك أنّه يريد ذلك المتهيّأ له[٢].

حكى الله تعالى عن إخوة يوسف لمّا تآمروا على ما يفعلونه بيوسف: أنّهم قالوا لأبيهم: لِمَ ﴿لا تأمنّا على يوسف﴾ قال الزجّاج: يجوز في ﴿تأمنّا﴾ أربعة أوجه: «تأمننا» بالإظهار ورفع النون الأُولى، لأنّ النونين من[٣] كلمتين، و ﴿تأمنّا﴾ بالإدغام وهي قراءة القرّاء لالتقاء المثلين، و«تأمنّا» بالإدغام والإشمام وهو الّذي حكاه ابن مجاهد عن الفرّاء للإشعار بالضمّة، و «تيمِنّا» بكسر التاء وهي قراءة يحيى بن وثّاب، لأنّ ماضيه على «فَعِل» كما قالوا: تِعْلم ونِعْلم، إلّا أنّ القراءة بالإدغام

---

(١) في الحجريّة: «اللقيطة» بدل «اللقيط».

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٢.

(٣) في الخطّية: «في» بدل «من».

والإشمام[١].

و «الأمن» سكون النفس إلى انتفاء الشرّ، وضدّه: «الخوف» وهو انزعاج النفس لما يتوقّع من الضرّ.

وقوله: ﴿وإنّا له لناصحون﴾ تمام الحكاية عنهم أنّهم قالوا: إنّا ليوسف لناصحون مشفقون عليه، و «النصح»: إخلاص العمل من فساد يتعمّد، ونقيضه: الغِشّ، والنصح في التوبة: إخلاصها ممّا يفسدها، وذلك واجب فيها وهي التوبة النصوح.

قوله [تعالى]:

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: ﴿نرتع ونلعب﴾ بالنون فيهما، وكسر العين من «يرتع» من غير بلوغ إلى الياء أهل الحجاز، إلّا المالكي والعطّار عن الزبيبي وروى المالكي والعطّار عن الزبيبي[٢] إثبات ياء في الوصل والوقف بعد العين، الباقون بسكون العين، ولم يختلفوا في سكون الباء من ﴿ويلعب﴾ وقرأ نافع: ﴿يرتع ويلعب﴾ بالياء فيهما وكسر العين، وقرأ أهل الكوفة بالياء فيهما وجزم العين والباء.

قال أبو عليّ: قراءة ابن كثير حسنة، لأنّه جعل الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر، وأسند اللعب إلى يوسف لصغره، ولا لوم على الصغير في اللعب ولا ذمّ، والدليل على صغر يوسف قول إخوته: ﴿وإنّا له لحافظون﴾ ولو كان كبيراً ما احتاج إلى حفظهم، وأيضاً قال

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣: ٩٤ـ٩٥.

(٢) عبارة: «وروى المالكي والعطّار عن الزبيبي» لم ترد في الحجريّة.

يعقوب: ﴿أخاف أن يأكله الذئب﴾ ولو لم يكن صغيراً ما خاف عليه، وإنّما يُخاف الذئب على من لا دفاع فيه ولا ممانعة له من شيخٍ فانٍ أو صبيّ صغير، قال الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا[١]

فأمّا اللعب فممّا لا ينبغي أن ينسب إلى أهل النسك والصلاح، ألا ترى إلى قوله: ﴿أجئتنا بالحقّ أم أنت من اللاعبين﴾[٢] فقوبل اللعب بالحقّ، فدلّ على أنّه خلافه، وقال: ﴿ولئن سألتهم ليقولنّ إنّما كنّا نخوض ونلعب﴾[٣] وقال: ﴿وذر الّذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾[٤]. فأمّا الارتعاء فهو افتعال من «رعيت» مثل: سويت واستويت[٥] وكلّ واحد منهما متعدّ إلى مفعول به، قال الشاعر:

ترتعي السفح فالكثيب فذا قا رٍ فروض القطا فذات الرمال[٦]

وقال أبو عبيدة: ويجوز أن يقال: «نرتع» ويراد: ترتع إبلهم. ووجه ذلك:أنّه كان الأصل «ترتع إبلنا» ثمّ حذف المضاف وأسند الفعل إلى المتكلّمين، فصار «نرتع» وكذلك «نرتعي» على: ترتعي إبلنا، ثمّ يحذف المضاف فيكون «نرتعي»[٧]. وقال أبو عبيدة: «نرتع» نلهو[٨] وقد تكون

---

(١) أنشدهما سيبويه في الكتاب ١: ٨٩ ـ ٩٠، ونسبه إلى الربيع بن ضبع الفزاري.

(٢) الأنبياء: ٥٥. (٣) التوبة: ٦٥. (٤) الانعام: ٧٠.

(٥) في الخطّية: «شويت واشتويت» بدل «سويت واستويت».

(٦) للأعشى من قصيدة يمدح الأسود بن المنذر. راجع ديوان الأعشى: ١٦٧. وفيه: الرئال. والنص بأكمله في الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٣ـ٤٣٥.

(٧) نقله عنه أبو عليّ في الحجّة ٢: ٤٣٥. (٨) مجاز القرآن ١: ٣٠٣.

هذه الكلمة على غير معنى اللهو، بل على معنى النيل من الشيء كقولهم في المثل: «القيد والرتعة»[١] فكان على هذا النيل والتناول ممّا يحتاج إليه الحيوان.

وأمّا قراءة أبي عمرو وابن عامر فعلى أنّ معناه: ترتع إبلنا، أو على: انّنا ننال ما نحتاج إليه وينال معنا. فأمّا قوله: ﴿ونلعب﴾ فحكي أنّ أباعمرو قيل له: كيف يقولون: نلعب وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذٍ أنبياء. فعلى هذا سقط الاعتراض، ولا يجوز أن يكون المراد به مثل ما قال الشاعر:

جدّت جذاذ تلاعب وتقشّعت   غمرات قالب لبسة حيران[٢]

فكان اللاعب[٣] هاهنا الّذي لم يتشمّر[٤] في أمره، فدخله بعض الهوينا، فهذا أسهل من الوجه الّذي قوبل بالحقّ، وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال لجابر: «فهلّا بكراً تلاعبها وتلاعبك»[٥] وإنّما أراد بذلك التشاغل بالمباح، والعمل بما يتقوّى به على العبادة والطاعة، وقد روي عن بعض السلف أنّه كان إذا أكثر النظر في مسائل الفقه قال: أحمضونا[٦]. وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإنّ

---

(١) راجع في «اللسان» مادّة «رتع».

(٢) أنشده في الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٦ ولم ينسبه لأحد.

(٣) كذا في المصدر، وفي النسخ: «اللعب».

(٤) في المطبوع من المصدر: «يشمّر» بدون حرف النفي.

(٥) أخرجه النسائي في السنن ٦: ٦١ مسنداً.

(٦) رواه ابن الأثير في النهاية ١: ٤٤١ مادّة «حمض» عن ابن عبّاس، وقال: أحمض القوم إحماضاً: إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الكلام والأخبار.

المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[١] فليس هذا اللعب من الدين، قال: ﴿إنّما كنّا نخوض ونلعب﴾[٢] في شيء.

ومن قرأ بالياء، فإن كان «يرتع» من اللهو ـ كما فسّره أبو عبيدة ـ فلا يمتنع أن يخبر به عن يوسف لصغره، كما لا يمتنع أن ينسب إليه اللعب كذلك، وإن كان «يرتع» من النيل من الشيء فذلك أيضاً لا يمتنع عليه أيضاً، فوجهها بيّن، وهو أبين من قول من قال: «ونلعب» بالنون، لأنّهم سألوا إرساله ليتنفّس بلعبه، ولم يسألوا إرساله ليلعبوا هم[٣].

و «الرتع»: الاتّساع في الملاذّ بالذهاب في جهاتها من اليمين والشمال، فلان يرتع في المال وغيره من ضروب الملاذّ، وأصل «الرتعة»: التصرّف في الشهوات، رتع فلان في ماله إذا أنفقه في شهواته، قال القطامي:

أكفراً بعد ردّ الموت عنّي وبعد عطائك المائة الرتاعا[٤]

وقال مجاهد: معنى «نرتع»: يحفظ بعضنا بعضاً من الرعاية. و«اللعب» كلّ[٥] ما يستهجن ويسترذل لطلب الفرح من غير مراعاة شيء من الحلم، كفعل الصبيّ إذا قصد هذا المقصد.

أخبرالله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم قالوا لأبيهم: أرسل يوسف معنا ينال الملاذّ ويفرح[٦] ونحن حافظون له ومراعون لأحواله فلا تخشى عليه.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٣: ١٨و١٩ بسنده عن جابر وعبدالله بن عمرو.

(٢) التوبة: ٦٥.

(٣) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٥ـ٤٣٦.

(٤) أنشده الثعلبي في تفسيره ٥: ٢٠١.

(٥) كذا في «ح»، وفي «م»: «تحمّل»، وفي الحجريّة: «يحتمل».

(٦) كذا في «ح»، وفي «م»: «ويتفرّج»، وفي الحجريّة: «ويتفرّح».

قوله [تعالى]:

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ﴾ (١٣) آية بلا خلاف.

قرأ الكسائي وخلف في اختياره وأبو جعفر وورش والأعشى واليزيدي في الإدراج إلّا سجادة، ومدين من طريق عبدالسلام «الذّيب» بتخفيف الهمزة في الثلاثة المواضع، الباقون بالهمزة.

والهمز وترك الهمز لغتان مشهورتان، قال أبو عليّ: والأصل فيه الهمز[١] فإن خفّف جاز، وإن وقع في مكان الردف قلب قلباً، كما قال الشاعر:

كأنّ مكان الردف منه على رال[٢]

فقلب الهمزة ألفاً[٣]. أخبر الله تعالى حكايةً عن يعقوب أنّه قال حين طلب إخوة يوسف إنفاذ يوسف معهم واحتيالهم في ذلك، وأشفق من ذلك قال: ﴿إنّي ليحزنني﴾ أي: يؤلم قلبي، يقال: «حزّنتك» و«أحزنتك» لغتان، و«الحزن»: ألم القلب بفراق المحبّ، ويعظم إذا كان فراقه إلى ما يبغض ﴿أن تذهبوا به﴾ أي: ليحزنني إذهابكم به، و«الذهاب» و «المرور» و«الانطلاق» نظائر. وبيّن أنّه يخاف عليه الذئب أن يأكله لأنّ الذئاب كانت ضارية في ذلك الوقت، و «الذئب»: سبع

---

(١) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٧.

(٢) لامرئ القيس، من قصيدته اللاميّة الشهيرة الّتي يصف فيها حياته وسعيه إلى المجد. راجع ديوان امرئ القيس: ١٤٣.

(٣) أي: قلب همزة «رأل» إلى ألف فصار «رال» والرأل: ولد النعام. وانظر الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٧.

معروف، واشتقاقه من: تذاءبت الريح إذا جاءت من كلّ جهة، فالذئب يخْتِل[١] بالحيلة من كلّ وجه.

وقوله: ﴿وأنتم عنه غافلون﴾ جملة في موضع الحال، وتقديره: أخاف أن يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه. و «الخوف» و «الفزع» و«الفَرَق» نظائر، ونقيضه: الأمن.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ آية بلا خلاف .

لمّا قال لهم يعقوب ما ذكره في الآية الأُولى ﴿قالوا﴾ في الجواب عن ذلك: ﴿لئن أكله الذئب﴾ ونحن جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده فلا نمنع عنه ﴿إنّا إذاً لخاسرون﴾ أي: بمنزلة الخاسر الّذي ذهب رأس ماله على رغم منه. و «الخسران»: ذهاب رأس المال، و «الربح»: زيادة على رأس المال.

واللام في قوله: ﴿لئن﴾ هي الّتي يتلقّى بها القسم، فكأنّهم أقسموا على ما قالوه، وأعظم الخسران ما يذهب بالثواب ويؤدّي إلى العقاب، فلذلك أقسموا عليه، وقال المؤرّج: معناه: إنّا إذاً لمضيّعون بلغة قيس عيلان.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) في الحجريّة: «يختلّ».

حكى الله تعالى: أنّه لمّا أذن يعقوب ليوسف في المضيّ معهم، و﴿ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجبّ﴾ أي: عزموا على فعل ذلك، ولا يقال: «أجمع» إلّا إذا قويت الدواعي إلى الفعل من غير صارف، وأمّا من دعاه داعٍ واحد فلا يقال فيه: إنّه أجمع، فكأنّه مأخوذ من اجتماع الدواعي. ويجوز أن يكون المراد: أنّهم اتّفقوا على إلقائه في غيابة الجبّ. و «الجعل» و «التصبير» و «العمل» نظائر في اللغة.

و«الغيابة»: البقعة الّتي يغيب فيها الشيء عن الحسّ، وقيل: طلبوا بئراً قليلة الماء تُغيّبه ولا تغرقه. وقيل: بل جعلوه في جانب منها[1] وسمّي البئر الّتي لم تطو جبّاً لأنّه جبّ ترابها عنها فقط، كأنّه ليس فيها إلّا قطع التراب.

وجواب ﴿لمّا﴾ محذوف، وتقديره: عظمت فتنتهم أو كبر ما قصدوا له. وقال قوم: الواو في ﴿وأجمعوا﴾ مقحمة، والمعنى: أجمعوا أن يجعلوه، وهو مذهب الكوفيّين، وأنشدوا قول امرئ القيس:

فلمّا أجزنا ساحة الحيّ وانتحى   بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل[2]

يريد: فلمّا أجزنا ساحة الحيّ انتحى، وقال آخر:

حتّى إذا ثَمِلت بطونكم   ورأيتم أبناءكم شبّوا
وقلبتم ظهر المجنّ لنا   إنّ اللئيم العاجز الخبُّ[3]

---

(١) في الحجريّة: «في جانب جبّها».

(٢) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان امرئ القيس: ١٠٩. وانظر معاني القرآن، لِلفرّاء ٢: ٥٠.

(٣) أنشدهما الفرّاء في معاني القرآن ١: ١٠٧ و٢: ٥١ ولم ينسبهما لأحد، وفيه: «قملت» بدل «ثملت».

يريد: قلبتم، فأدخل الواو، والبصريّون لا يجيزونه.

وقوله: ﴿وأوحينا إليه﴾ يعني: إلى يوسف، قال الحسن: أعطاه الله النبوّة وهو في الجبّ ﴿لتنبّئنّهم بأمرهم هذا﴾ معناه: ستخبرهم بذلك في المستقبل ﴿وهم لا يشعرون﴾ قال ابن عبّاس والحسن وابن جريج: لا يشعرون بأنّه يوسف. وقال مجاهد وقَتادة: لا يشعرون بأنّه أُوحي إليه. و «الشعور»: إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقّة، ومنه: المشاعر في البدن.

وقال قوم: معنى قوله: ﴿لتنبّئنّهم بأمرهم﴾ لتجازينّهم على فعلهم، تقول العرب للرجل تتوعّده بمجازاة سوء فعله: لأُنبّئنّك، ولأُعرّفنّك، يعني: لأُجازينّك.

قوله [تعالى]:

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ آيتان بلا خلاف .

في الكلام حذف، لأنّ التقدير: أنّهم أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجبّ، وفعلوا ذلك، فلمّا فعلوه ﴿جاءوا﴾ حينئذٍ ﴿أباهم عشاء يبكون﴾ و«المجيء» و «المصير إلى الشيء» واحد، وقد يكون «المصير» بالانقلاب، كمصير الطين خزفاً، وقد يكون بمعنى «الانتقال». و «العشاء» آخر النهار، ونصبه لأنّه من ظروف الزمان، ومنه اشتقّ «الأعشى» لأنّه يستضيء ببصرٍ ضعيف. و «البكاء» جريان الدمع من العين عند حال الحزن، فكانوا يعلمون أنّ أباهم يحزن لما جاءوا من خبر يوسف، فبكوا مع بكائه عليه، وفي حال خبره لمّا تصوّروا تلك الحال، وقيل: إنّهم أظهروا

البكاء ليوهموا أنّهم صادقون فيما قالوه.

وقوله: ﴿إنّا ذهبنا نستبق﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الزجّاج: ذهبنا ننتضل[١] مشتقّ من السباق في الرمي. وقال الجبّائي: نستبق في العَدْو لنعلم أيّنا أسرع عَدْواً[٢] ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ يعني: تركناه عند الرَحْل ليحفظه.

وقوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي: لست بمصدّق لنا ﴿ولو كنّا صادقين﴾ وجواب «لو» محذوف، وتقديره: ولو كنّا صادقين ما صدّقتنا، لاتّهامك لنا في أمر يوسف، ودلّ الكلام عليه، ولم يصفوه بأنّه لا يصدّق الصادق، لأنّ المعنى: أنّه لا يصدّقهم اتّهاماً لهم لشدّة محبّته ليوسف يسيء ظنّاً بهم، فلا تسكن نفسه إلى خبرهم.

قوله [تعالى]:

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم جاءوا أباهم ومعهم قميص يوسف ملطّخ بدمٍ وقالوا له: هذا دم يوسف حين أكله الذئب، وقال ابن عبّاس ومجاهد: كان دم سخلة. قال الحسن: لمّا رأى يعقوب القميص صحيحاً قال: يا بنيّ والله ما عهدت الذئب حليماً.

وقال عامر الشعبي: كان في قميص يوسف ثلاث آيات: أحدها: حين أُلقي على وجه أبيه فارتدّ بصيراً، وحين قُدّ من دبر، وحين جاءوا على

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٩٥.

(٢) وهذا هو القول الثاني.

قميصه بدم كذب.

ومعنى ﴿كذب﴾: مكذوب فيه، كما قيل: «الليلة الهلالُ» فيرفع، وكما قال: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾[١] أي: ما ربحوا في تجارتهم، إلّا أنّه وصِف في المصدر، وتقديره: بدمٍ ذي كذب، لكن إذا بولغ في الصفة أُجري على هذه الصفة، وقال الفرّاء: يجوز أن يكون المصدر وقع موقع مفعول[٢] كما يقع مفعول موقع المصدر في مثل قول الراعي[٣]:

حتّى إذا لم يتركوا لعظامه ... لحماً ولا لفؤاده معقولا[٤]

ولا يجيزه سيبويه، ويقول: مفعول لا يكون مصدراً، ويتأوّل قولهم: خذ ميسوره ودع معسوره، أي: خذ ما يَسُر ودع ما عَسُر عليه، وكذلك: ليس لفؤاده معقول، أي: ما يعقل به.

وقوله: ﴿قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً﴾ حكاية عمّا قال يعقوب لهم، و «التسويل»: تزيين النفس ما ليس بحسن، في قول قَتادة. وقيل[٥]: معناه: تقرّر معنى في النفس على الطمع في تمامه، وهو تقدير معنىً في النفس على توهّم تمامه.

وقوله: ﴿فصبر جميل﴾ فالصبر الجميل: هو الصبر الّذي لا شكوى فيه على ما يدعو إليه العقل.

ويحتمل رفع «صبر» أمرين: أحدهما: أنْ يكون خبر ابتداء، وتقديره:

---

(١) البقرة: ١٦.

(٢) راجع معاني القرآن ٢: ٣٨.

(٣) في مخطوطة: «القطامي» بدل «الراعي».

(٤) من قصيدة يمدح بها عبدالملك الأُموي. راجع ديوان الراعي: ٦١.

(٥) في «م»: «قال» بدل «قيل».

فأمري صبر جميل. الثاني: أن يكون مبتدأ، وخبره محذوف، وتقديره: فصبر جميل أولى بي من الجزع الّذي لا ينبغي لي، قال الشاعر:

يشكو إليَّ جَمَلي طول السرى صبر جميل فكلانا مبتلى[١]

ولو نصب لجاز، ولكن الأحسن الرفع، لأنّه موصوف.

وقوله: ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ حكاية ما قال يعقوب عند ذلك، بأنّ الله تعالى هو الّذي يُطلب منه المعونة على ما ذكروه، وتقديره: أستعين بالله على احتمال ما تصفونه، وعلى الصبر[٢].

قوله [تعالى]:

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة: ﴿يا بشرىْ﴾ بغير ألف، الباقون بالألف والياء، وكان يجوز أن يقرأ بياء مشدّدة: «بشريّ» وهي لغة هذيل، غير أنّه لم يقرأ به أحد، قال أبو ذؤيب:

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهم فتخرّموا ولكلّ جنب مصرع[٣]

قال أبو عليّ: من قرأ: ﴿يا بشراي﴾ فأضافه إلى الياء الّتي للمتكلّم، كان للألف الّتي هي حرف الإعراب موضعان من الإعراب:

أحدهما: أن تكون في موضع نصب، لأنّه منادى مضاف. والآخر: أن تكون في موضع كسر، لأنّه بمنزلة حرف الإعراب في غلامي.

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب ١: ٣٢١ ولم ينسبه لأحد.

(٢) في «ح»: «وعلى المصير».

(٣) أنشده الشريف المرتضى في أماليه ١ : ٢٩٣ وفيه: «لسبيلهم» بدل «لهواهم».

ومن قرأ ﴿يا بشرى﴾ احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع ضمّ مثل: «يا رجل» بالنداء، لاختصاصه[١] كاختصاص «الرجل». والآخر: أن يكون في موضع النصب لأنّك أشَعْتَ النداء ولم تخصّ به، كما فعلت في الوجه الأوّل، كقوله: ﴿يا حسرةً على العباد﴾[٢] [٣].

أخبر الله تعالى: أنّه حين ألقى إخوة يوسف يوسف في غيابة الجبّ ﴿جاءت سيّارة﴾ وهم جماعة مسافرون مارّة، فبعثوا ﴿واردهم﴾ وهو الّذي يصير إلى الماء ليستقي منه ﴿فأدلى دلوه﴾ يعني: أرسل دلوه ليملأ، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها لتملأ، ودلوتها إذا أخرجتها ملأ، وقيل: إنّه لمّا أرسل الدلو تعلّق بها يوسف، فقال المدلي: يا بشراي هذا غلام، في قول قَتادة والسدّي.

وقيل في معنى ﴿بشراي﴾ قولان: أحدهما: إنّه بشّر أصحابه بأنّه وجد عبداً[٤]. الثاني: قال السدّي: [أنّه نادى أحدهم][٥] كان اسمه «بشرى» فناداه.

وقوله: ﴿وأسرّوه بضاعة﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد والسدّي: أسرّه المدلي ومن معه من باقي التجّار لئلّا يسألوهم الشركة فيه لِرخص ثمنه. الثاني: قال ابن عبّاس: أسرّه إخوته، يكتمون أنّه أخوهم، وتابعهم على ذلك يوسف لئلّا يقتلوه.

---

(١) في المصدر: «يا رجل لاختصاصه بالنداء».

(٢) يس: ٣٠.

(٣) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٣٩.

(٤) قاله قتادة كما في النكت والعيون ٣: ١٧.

(٥) من النكت والعيون ٣: ١٧.

و «البضاعة»: قطعة من المال تُجعل للتجارة، من: بضعت الشيء إذا قطعته، ومنه: «المبضع» لأنّه يبضع به العرق. ومعنى ﴿وأسرّوه﴾: أنّهم لمّا وجدوه أحبّوا أن لا يعلم أنّه موجود، وأن يوهموا أنّه بضاعة دفعها إليهم أهل الماء. ونصب ﴿بضاعة﴾ على الحال.

وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ إخبار منه تعالى بأنّه عالم بأفعالهم فيجازيهم على جميعها وإن أسرّوا بها، وفي ذلك غاية التهديد.

قوله [تعالى]:

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم باعوا يوسف، يقال: شريت أشري إذا بعت، ومنه قوله: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾[١] وقال ابن مفرّغ الحميري:

وشريت بُرداً ليتني ... من بعد برد كنت هامه[٢]

وقوله: ﴿بثمن بخس دراهم معدودة﴾ أي: بثمن ذي بخس أي: ناقص وقيل: بثمن ذي ظلم، لأنّه كان حرّاً لا يحلّ بيعه[٣]. فالثمن: هو بدل الشيء من العين أو الورق، ويقال في غيرهما أيضاً مجازاً. و «البخس»: النقص من الحقّ، يقال: بخسه في الوزن أو الكيل إذا نقصه من حقّه فيهما. ومعنى ﴿معدودة﴾ أي: قليلة، لأنّ الكثير قد يمتنع من عدده لكثرته، وقيل: عدّوها ولم يزنوها. وقيل: إنّهم كانوا لا يزنون الدراهم حتّى تبلغ أُوقية، وأُوقيتهم أربعون درهماً[٤]. وقال عبدالله بن مسعود وابن عبّاس

---

(١) البقرة: ١٠٢.
(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٠٤.
(٣) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٩٨.
(٤) معاني القرآن ٢: ٤٠.

وقَتادة: إنّها كانت عشرين درهماً. وعن أبي عبدالله عليه السلام: إنّها كانت ثمانية عشر درهماً(١).

وقال ابن عبّاس ومجاهد: إنّ الّذين باعوه إخوته، وإنّهم كانوا حضوراً، فقالوا: هذا عبد لنا أبق، فباعوه. وقال قَتادة: الّذين باعوه السيّارة.

وقوله: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعني: الّذين باعوه زهدوا فيه، فلذلك باعوه بثمن بخس، وتقديره: وكانوا زاهدين فيه لجهلهم بما له عند الله من المنزلة الرفيعة. وإنّما قدّموا الظرف لأنّه أقوى في حذف العامل من غيره، ولا يجوز قياساً على ذلك: وكانوا زيداً من الضاربين(٢).

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عمّن اشترى يوسف عليه السلام من بائعه من أهل مصر أنّه قال لامرأته حين حمله إليها: ﴿أكرمي مثواه﴾ يعني: موضع مقامه، وإنّما أمرها بإكرام مثواه دون إكرامه في نفسه، لأنّ من أكرم غيره لأجله كان أعظم منزلة ممّن يكرم في نفسه فقط.

و «الإكرام»: إعطاء المراد على جهة الإعظام، وهو يتعاظم، فأعلاه منزلة ما يستحقّ بالنبوّة، وأدناه ما يستحقّ بخصلة من الطاعة أدناها كإماطة الأذى من الطريق وغيره.

---

(١) نقله عليّ بن إبراهيم في تفسيره، ١: ٣٤١ ولم يرفعهُ.

(٢) لأنّ «زيداً» صلة لـ«الضاربين» ولا تتقدّم الصلة على الموصول.

وقوله: ﴿عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً﴾ بيّن أنّه إنّما يأمرها بإكرامه لما يرجو من الانتفاع به فيما بعد أو للتبنّي به، وقال ابن مسعود: أحسن الناس فراسةً ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا﴾ وابنة شعيب حين قالت في موسى: ﴿يا أبت استأجره﴾[١] وأبوبكر حين ولّى عمر[٢].

وقوله: ﴿وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض﴾ وجه التشبيه فيه: أنّه تعالى شبّه التمكين له في الأرض بالتوفيق للأسباب الّتي صار بها إلى ما صار بالنجاة من الهلاك والإخراج إلى أجلّ حال.

وقوله: ﴿ولنعلّمه من تأويل الأحاديث﴾ اللام فيه محمولة على تقدير: دبّرنا ذلك لنمكّنه في الأرض ولنعلّمه من تأويل الأحاديث.

وقوله: ﴿والله غالب على أمره﴾ معناه: أنّه قادر عليه من غير مانع حتّى يقع ما أراد، منه: وقوع المقهور بالغلبة في الذلّة، وقيل: غالب على أمر يوسف يدبّره ويحوطه[٣].

وقوله: ﴿ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ إخبار منه تعالى أنّ أكثر الخلق غير عالمين بحسن تدبير الله لخلقه وما يجريه إليهم من مصالحهم، وأنّه قادر لا يغالب، بل هم جاهلون بتوحيده، ولا يدلّ ذلك على أنّ من فعل ما كرهه الله يكون قد غالب الله، لأنّ المراد بذلك ما قلناه من أنّه غالب على ما يريد فعله بعباده، فأمّا ما يريده على وجه الاختيار منهم فلا يدلّ على ذلك، ولذلك لا يقال: إنّ اليهودي المقعد قد غلب الخليفة

---

(١) القصص: ٢٦. (٢) نقله الطبري ذيل الآية، والماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٠.

(٣) قاله الطبري ذيل الآية.

حيث لم يفعل ما أراده الخليفة من الإيمان وفعل ما كرهه من اليهوديّة، وهذا واضح.

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ آية بلاخلاف.

أخبر الله تعالى أنّ يوسف ﴿لمّا بلغ أشدّه﴾ وهو كمال القوّة، وقال قوم: هو من ثماني عشرة سنة إلى ستّين سنة[١]. وقال ابن عبّاس: من عشرين. وقال مجاهد: من ثلاث وثلاثين سنة. و «الأشدّ» جمع لا واحد له من لفظه مستعمل، وفي القياس واحده: شدّ، كواحد «الأضرّ»: ضرّ، وواحد «الأشرّ»: شرّ، قال الشاعر:

هل غير أن كثر الأشرّ وأهلكت   حرب الملوك أكاثر الأموال[٢]

وقوله: ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ يعني: أعطيناه ذلك، و «الحكم»: القول الفصل الّذي يدعو إلى الحكمة، ويقال تقديراً لما يؤتى له بعلّة[٣] من غير دليل حكم، والأصل في «الحكم»: تبيين ما يشهد به الدليل، لأنّ الدليل حكمة من أجل أنّه يقود إلى المعرفة. وقيل: معناه: آتيناه الحكم على الناس. وقيل: آتيناه الحكمة في فعله بألطافنا له. و «الحكيم»: العامل بما يدعو إليه العلم، و «العلم»: ما اقتضى سكون النفس، وقال قوم: هو تبيين الشيء على ما هو به، وزاد فيه الرُمّاني: ما يحلّ في القلب تحرّزاً من الرؤية، لأنّها يبيّن بها الشيء على ما هو به، لكنّه معنىً يحلّ العين. ومن قال: الإدراك ليس بمعنىً، لا يحتاج إلى ذلك.

---

(١) قاله الطبري ذيل الآية.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٣) في هامش الحجريّة زيادة «بعلم من دليل الحكم».

وقوله: ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ معناه: مثل ما جازينا يوسف نجازي كلّ من أحسن وفعل الأفعال الحسنة من الطاعات، و «الإحسان»: هو النفع بالحسن الّذي يستحقّ به الحمد، فعلى هذا يصحّ أن يحسن الإنسان إلى نفسه كما يصحّ أن يسيء إلى نفسه، ولا يصحّ أن يُنعم على نفسه، لأنّ النعمة تقتضي استحقاق الشكر عليها، ولا يصحّ ذلك بين الإنسان ونفسه.

قوله [تعالى]:

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿هَيتَ﴾ بفتح الهاء والتاء، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضمّ التاء، وقرأ نافع وابن عامر: ﴿هيت﴾ بكسر الهاء وفتح التاء، وروى هشام بن عمّار عن ابن عامر: ﴿هئت﴾ بالهمز ـ من: تهيّأت ـ وكسر الهاء وضمّ التاء، وأنكر الهمزة أبو عمرو بن العلاء والكسائي، قال طرفة:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما ... قال داع من العشيرة هيت
هم يجيبون ذا هلمّ سراعاً ... كالأبابيل لا يغادر بيت[1]

فهذا شاهد لابن كثير. قال أبو عبيدة: ﴿هيت لك﴾ معناه: هلمّ، قال: قال رجل لعليّ عليه السلام:

أبلغ أميرالمؤمنين أخاالعراق إذا أتيت
أنّ العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا[2]

---

(١) راجع ديوان طرفة بن العبد: ١٤٣ وفيه: «واهلمّ» بدل «ذا هلمّ».

(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٠٥ لأبي عمرو بن العلاء.

قال أبو الحسن: وكسر الهاء لغة، وقال بعضهم بالهمز من: تهيّأت لك، وهي حسنة إلّا أنّ المعنى الأوّل أحسن، لأنّها دعته، والمفتوحة أكثر اللغات[١]، ففيه ثلاث لغات.

ومعنى قوله: ﴿وراودته﴾ أي: طالبته، و «المراودة»: المطالبة بأمرٍ للعمل به، ومنه: «المرود» لأنّه يعمل به، ولا يقال في المطالبة بدين: راوده. ومعنى ﴿الّتي هو في بيتها﴾ يعني: امرأة العزيز ﴿وغلّقت الأبواب﴾ فالتغليق: إطباق الباب بما يعسر فتحه، وإنّما قيل: ﴿غلّقت﴾ لتكثير الإغلاق أو للمبالغة في الايثاق. وألف «باب» منقلبة من الواو، لقولهم: بويب وأبواب.

ومعنى ﴿هيت لك﴾: تعال وهلمّ إلى ماهو لك، أنشد أبوعمرو بن العلاء:

أبلغ أميرالمؤمنين أخاالعراق إذا أتيت

أنّ العراق وأهله عنق إليك فهيت هيت[٢]

ويقال للواحد والاثنين والجمع والذكر والأُنثى: «هيت» بلفظٍ واحدٍ، وقال ابن عبّاس والحسن وابن زيد: معنى ﴿هيت لك﴾: هلمّ لك.

وقوله: ﴿معاذ الله﴾ حكاية عن يوسف أنّه قال ذلك، والمعنى: أعوذ عياذاً بالله أن أُجيب إلى هذا أو أن يكون هذا، أي: أعتصم بالله من هذا.

وقوله: ﴿إنّه ربّي أحسن مثواي﴾ معناه: إنّ الملك الّذي هو زوجها، مالكي في الحكم ﴿أحسن مثواي﴾ بإكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي، وهو قول مجاهد وابن إسحاق والسدّي والجبّائي. وقال الحسن: يعني: العزيز. وقال الزجّاج: يجوز أن يكون أراد: أنّ الله ربّي أحسن مثواي، أي:

---

(١) نقل ذلك بالمعنى ابو عليّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٤٢ـ٤٤٣.

(٢) تقدّم أنّه من إنشاد أبي عمرو بن العلاء لأبي عبيدة مع ألف الإطلاق.

في طول مقامي[١].

وقوله: ﴿إنّه لا يفلح الظالمون﴾ حكاية أنّ يوسف قال: إنّ من ظلم نفسه بارتكاب المعاصي لا يفلح ولا يفوز بشيء من الثواب.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة ونافع: ﴿المخلَصين﴾ بفتح اللام، الباقون بكسرها.

قال أبو عليّ: حجّة من كسر اللام قوله: ﴿أخلصوا دينهم﴾[٢] ومن فتح اللام، فيكون بنى الفعل للمفعول به، ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحداً، فإذا أخلصوا هم دينهم فهم مخلِصون، وإذا أُخلصوا فهم مخلَصون[٣].

[و] معنى «الهمّ» في اللغة على وجوه:

منها: العزم على الفعل، كقوله: ﴿إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾[٤] أي: أرادوا ذلك وعزموا عليه، ومثله قول الشاعر:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله[٥]

وقال حاتم طيّ:

ولله صعلوك يساور همّه ... ويمضي على الأيّام والدهر مقدما[٦]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٠١.

(٢) النساء: ١٤٦.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٤٥.

(٤) المائدة: ١١.

(٥) أنشده ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٢٠٣ ونسبه إلى ضابئ البرجمي.

(٦) من قصيدة له لا تخلو من حكمة. راجع ديوان حاتم الطائي: ١١٢، وفيه: «الأحداث» بدل «الأيّام».

ومنها: خطور الشيء بالبال وإن لم يعزم عليه، كقوله: ﴿إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما﴾ (١) والمعنى: أنّ الفشل خطر ببالهم، ولو كان «الهمّ» هاهنا عزماً لما كان الله وليّهما، لأنّه قال: ﴿ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله﴾ (٢) وإرادة المعصية والعزم عليها معصية بلا خلاف، وقال قوم: العزم على الكبير كبير، وعلى الكفر كفر، ولا يجوز أن يكون الله وليّ من عزم على الفرار عن نصرة نبيّه ﷺ. ويقوّي ذلك قول كعب بن زهير:

فكم فيهم من سيّد متوسّع ... ومن فاعل للخير إن همّ أو عزم (٣)

ففرّق بين «الهمّ» و «العزم» وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى.

ومنها: معنى المقاربة، يقولون: همّ بكذا وكذا، أي: كاد يفعله، قال ذو الرمّة:

أقول لمسعود بجرعاء مالك ... وقد همّ دمعي أن تلجّ أوائله (٤)

والدمع لا يجوز عليه العزم، وإنّما أراد: كاد وقارب. وقال أبو الأسود الدؤلي:

وكنت متى تهمم يمينك مرّة ... لتفعل خيراً يعتقبها شمالكا

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقضّ﴾ (٥) أي: يكاد. وقال الحارثي:

يريد الرمح صدر أبي براء ... ويرغب عن دماء بني عقيل (٦)

---

(١) آل عمران: ١٢٢. (٢) الأنفال: ١٦.

(٣) من قصيدة يردّ المزرّد في قصيدته اللاميّة الّتي يذكر فيها الحطيئة. راجع ديوان كعب: ٩٩.

(٤) ديوان ذي الرمّة: ٤٣٠. (٥) الكهف: ٧٧.

(٦) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١٠.

ومنها: الشهوة وميل الطباع، يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه ونفسه إليه: ليس[١] هذا من همّي، وهذا أهمّ الأشياء إليّ، وروي هذا التأويل في الآية عن الحسن، وقال: أمّا همّها فكان أخبث الهمّ، وأمّا همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء[٢].

وإذا احتمل الهمّ هذه الوجوه نفينا عنه عليه السلام العزم على القبيح وأجزنا باقي الوجوه، لأنّ كلّ واحد منها يليق بحاله. ويمكن أن يحمل الهمّ في الآية على العزم، ويكون المعنى: وهمّ بضربها ودفعها عن نفسه، كما يقول القائل: كنت هممت بفلان أي: بأن أُوقع به ضرباً أو مكروهاً، وتكون الفائدة على هذا الوجه في قوله: ﴿لولا أن رأى برهان ربّه﴾ مع أنّ الدفع عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها: أنّه لمّا همّ بدفعها أراه الله برهاناً على أنّه إن أقدم على ما همّ به أهلكه أهلها وقتلوه، وأنّها تدّعي عليه المراودة لها على القبيح، وتقذفه بأنّه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه، فأخبر تعالى أنّه صرف البرهان عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل والمكروه أو ظنّ القبيح واعتقاده فيه.

فإن قيل: هذا يقتضي أنّ جواب ﴿لولا﴾ تقدّمها في ترتيب الكلام، ويكون التقدير: لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بضربها، وتقديم جواب ﴿لولا﴾ قبيح، أو يقتضي أن تكون ﴿لولا﴾ بغير جواب.

قلنا: أمّا تقديم جواب ﴿لولا﴾ فجائز مستعمل، وسنذكر ذلك فيما

---

(١) في الحجريّة: شطب على «ليس». والعبارة في مجمع البيان هكذا: «هذا أهمّ الأشياء إليّ، وفي ضدّه: ليس هذا من همّي».

(٢) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٤.

بعد، ولا نحتاج إليه في هذا الجواب، لأنّ العزم على الضرب والهمّ به وقعا إلّا أنّه انصرف عنهما بالبرهان الّذي رآه، ويكون التقدير: ولقد همّت به وهمّ بدفعها، لولا أن رأى برهان ربّه لفعل ذلك، فالجواب التعلّق بـ ﴿لولا﴾ محذوف في الكلام، كما حذف في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأنّ الله رؤوف رحيم﴾[١] معناه: ولولا فضل الله عليكم لهلكتم، ومثله: ﴿كلّا لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم﴾[٢] والمعنى: لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا وتحرصوا على حطامها، وقال امرؤ القيس:

فلو أنّها نفس تموت سويّة ولكنّها نفس تساقط أنفسا[٣]

والمعنى: فلو أنّها نفس تموت سويّة لنقصت وفنيت، فحذف الجواب تعويلاً على أنّ الكلام يقتضيه. ولابدّ لمن حمل الآية على أنّه همّ بالفاحشة أن يقدّر الجواب، لأنّ التقدير: ولقد همّت بالزنا وهمّ بمثله، ولولا أن رأى برهان ربّه لفعله !

وإنّما حمل همّها على الفاحشة وهمّه على غير ذلك لأنّ الدليل دلّ من جهة العقل والشرع على أنّ الأنبياء لا يجوز عليهم فعل القبائح، ولم يدلّ على أنّه لا يجوز عليها ذلك، بل نطق القرآن بأنّها همّت بالقبيح، قال الله تعالى:﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبّاً إنّا لنراها في ضلال مبين﴾[٤] وقال: ﴿وراودته الّتي هو في

---

(١) النور: ٢٠. (٢) التكاثر: ٥ ـ ٦.

(٣) من قصيدة قالها لمّا أُصيب بالقروح. راجع ديوان امرئ القيس: ١١٨.

(٤) الآية: ٣٠.

بيتها عن نفسه﴾[١] وقوله حاكياً عنها: ﴿الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصادقين﴾[٢] وقال: ﴿قالت فذلكنّ الّذي لمتنّني فيه ولقد راودتّه عن نفسه فاستعصم﴾[٣] وأجمعت الأُمّة من المفسّرين وأصحاب الأخبار على أنّها همّت بالمعصية، وقد بيّن الله تعالى ذلك في مواضع كثيرة: أنّ يوسف لم يهمّ بالفاحشة ولا عزم عليها، منها قوله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾[٤] وقوله: ﴿إنّه من عبادنا المخلصين﴾[٥] ومن ارتكب الفاحشة لا يوصف بذلك، وقوله: ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب﴾[٦] ولو كان الأمر على ما قاله الجهّال من جلوسه مجلس الخائن وانتهائه إلى حلّ السراويل! لكان خائناً، ولم يكن صرف عنه السوء والفحشاء، وقال أيضاً: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾[٧] وفي موضع آخر حكايةً عنها: ﴿أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصادقين﴾[٨] وقوله حكاية عن العزيز حين رأى القميص قدّ من دبر: ﴿إنّه من كيدكنّ إنّ كيدكنّ عظيم﴾[٩] فنسب الكيد إليها دونه، وقوله أيضاً: ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنّك كنت من الخاطئين﴾[١٠] فخصّها بالخطاب وأمرها بالاستغفار دونه، وقوله: ﴿ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه وإلّا تصرف عنّي كيدهنّ أصب إليهنّ وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربّه فصرف عنه كيدهنّ﴾[١١] والاستجابة تقتضي براءة ساحته من كلّ سوء، ويدلّ على أنّه لو فعل ما ذكروه لكان

---

(١) الآية: ٢٣. (٢) الآية: ٥١. (٣) الآية: ٣٢.
(٤ و٥) الآية: ٢٤. (٦) الآية: ٥٢. (٧) الاية: ٣٢. (٨) الآية: ٥١.
(٩) الآية: ٢٨. (١٠) الآية: ٢٩. (١١) الآية: ٣٣ و٣٤.

قد صبا ولم يصرف عنه كيدهنّ، وقوله: ﴿قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾[(١)] والعزم على المعصية من أكبر السوء، وقوله حاكياً عن الملك: ﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي فلمّا كلّمه قال إنّك اليوم لدينا مكين أمين﴾[(٢)] ومن فعل ما قاله الجهّال لا يقال له ذلك.

ووجه آخر في الآية: إذا حمل الهمّ على أنّ المراد به العزم، وهو أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير، ويكون التقدير: ولقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها، ويجري ذلك مجرى قولهم: قد كنت هلكت لولا أنّي تداركتك، وقُتلتَ لولا أنّي خلّصتك، والمعنى: لولا تداركي لهلك، ولولا تخليصي لقتلت، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل، قال الشاعر:

فلا يدْعُني قومي صريحاً لحرّة لئن كنت مقتولاً ويسلم عامر[(٣)]

وقال آخر:

فلا يدعني قومي صريحاً لحرّة لئن لم أُعجّل طعنة أو أُعجَّل[(٤)]

فقدّم جواب «لئن» في البيتين جميعاً. وقال قوم: لو جاز هذا لجاز أن تقول: قام زيد لولا عمرو، وقصدتك لولا بكر، وقد بيّنّا أنّ ذلك غير مستبعد، وأنّ القائل قد يقول: قد كنت قمت لولا كذا وكذا، وقد كنت قصدتك لولا أن صدّني فلان وإن لم يقع قيام ولا قصد. على أنّ في الكلام شرطاً وهو قوله: ﴿لولا أن رأى برهان ربّه﴾ فكيف يحمل على الإطلاق؟

والبرهان الّذي رآه، روي عن ابن عبّاس والحسن وسعيد بن جبير

---

(١) الآية: ٥١. (٢) الآية: ٥٤.

(٣) أنشده سيبويه في الكتاب ٣: ٤٦ ونسبه إلى قيس بن زهير بن جذيمة.

(٤) أنشده السيّد المرتضى في أماليه ١: ٤٨٠ ولم ينسبه لأحد.

ومجاهد: أنّه رأى صورة يعقوب عاضّاً على أنامله[١]. وقال قتادة: إنّه نودي: يا يوسف أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء؟![٢] وروي في رواية أُخرى عن ابن عبّاس: أنّه رأى الملك[٣].

وهذا الّذي ذكروه كلّه غير صحيح، لأنّ ذلك يقتضي الإلجاء وزوال التكليف ، ولو كان ذلك لما استحقّ يوسف على امتناعه من الفاحشة مدحاً ولا ثواباً، وذلك ينافي ما وصفه الله تعالى من أنّه صرف عنه السوء والفحشاء، وأنّه من عبادنا المخلصين.

ويحتمل أن يكون البرهان لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها، اختار عنده الامتناع من المعاصي، وهو الّذي اقتضى كونه معصوماً، ويجوز أن تكون الرؤية بمعنى العلم.

وقال قوم: البرهان هو ما دلّ على الله تعالى يوسف على تحريم ذلك الفعل، وعلى أنّ من فعله استحقّ العقاب، لأنّ ذلك صارف عن الفعل ومقوٍّ لدواعي الامتناع، وهذا أيضاً جائز، وهو قول محمّد بن كعب القرظي[٤] واختيار الجبّائي.

قوله [تعالى]:

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَاجَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) آية بلا خلاف .

معنى قوله: ﴿واستبقا الباب﴾ أي: طلب كلّ واحد من يوسف وامرأة

---

(١) رواه الطبري عنهم ذيل الآية.

(٢) رواه عنه الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٥.

(٣) رواه الطبري ذيل الآية.

(٤) نقل ذلك الطبري ذيل الآية.

العزيز السبق إلى الباب، و «السبق»: تقدّم الشيء لصاحبه في مجيئه.

وقوله: ﴿وقدّت قميصه من دبر﴾ أي: شقّته طولاً، و «القدّ»: شقّ الشيء طولاً، ومنه: قدّ الأديم قدّه يقدّه قدّاً فهو مقدود إذا كان ذاهباً في جهة الطول على استواء.

وقوله: ﴿من دبر﴾ أي: من جهة الخلف، و «القبل»: جهة القدّام، يقال: أتاه قُبلاً ودُبراً: إذا أتاه من الجهتين.

ومعنى ﴿ألفيا سيّدها﴾: صادفاه، ألفى يلفي إلفاءً، قال ذو الرمّة:

ومـطعما الصيد هبّال لبغيته ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب[1]

وقوله: ﴿قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ حكاية ما قالت المرأة للملك: ما مقابلة[2] من أراد بأهلك سوءاً، و «الجزاء»: مقابلة العمل بما هو حقّه من خير أو شرّ، يقال: جازاه يجازيه مجازاة وجزاءً ﴿إلّا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ معناه: أنّه ليس مقابلته إلّا سجنه أو يعذّب على فعله عذاباً مؤلماً موجعاً، وعطف «العذاب» وهو اسم على الفعل وهو قوله: ﴿أن يسجن﴾ لأنّ تقديره: إلّا السجن ﴿أو عذاب أليم﴾.

قوله [تعالى]:

قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

ثلاث آيات بلا خلاف.

---

(١) من قصيدته البائية الشهيرة. راجع ديوان ذي الرمّة: ٤٥.

(٢) في الحجرية: «وما في مقابلة».

حكى الله تعالى في الآية الأُولى عن يوسف أنّه قال للملك حين قذفته زوجته بالسوء: ﴿هي﴾ طالبتني ﴿عن نفسي﴾ وأنا بريء الساحة ﴿وشهد﴾ له بذلك ﴿شاهد من﴾ أهل المرأة، قال ابن عبّاس وسعيد بن جبير ـ في رواية عنهما ـ وأبو هريرة: إنّه كان صبيّاً في المهد، وفي رواية أُخرى عن ابن عبّاس وابن جبير وهو قول الحسن وقتادة: إنّه كان رجلاً حكيماً، واختاره الجبّائي قال: لأنّه لو كان طفلاً لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى البيان، فلمّا قال الشاهد: إن كان قميصه كذا وكذا، ردّه إلى الاستدلال بأنّه لو كان المراود لكان القميص مقدوداً من قبل، وحيث هو مقدود من دبر علم أنّها هي المراودة، ومع كلام الطفل لا يُحتاج إلى ذلك.

وقوله: ﴿إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ حكاية ما قال الشاهد، وكذلك قوله: ﴿وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ تمام الحكاية عن الشاهد.

و ﴿من﴾ في قوله: ﴿قدّ من دبر﴾ و ﴿من قبل﴾ لابتداء الغاية، لأنّ ابتداء القدّ كان منها. والّتي في قوله: ﴿من الكاذبين﴾ للتبعيض، لأنّه بعض الكاذبين. وأسقط[1] «أن» من: ﴿شهد﴾ أنّه إن كان، لأنّه ذهب مذهب القول في الحكاية[2] كما قال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأُنثيين﴾[3] لأنّ التقدير: يوصيكم الله في أولادكم أنّ المال.

---

(١) في «ح»: «وسقط».

(٢) كذا في النسخ، والمراد: لوكان في الكلام «أن إن كان قميصه» لصلح، لان الشهادة تستقبل بـ«إن» ولا يكتفى بالجزاء، فإذا اكتفت فإنما ذهب بالشهادة إلى معنى القول، كأنه قال: وقال قائل من أهلها. راجع معاني القرآن للفرّاء ٢: ٤١.

(٣) النساء: ١١.

وقال أبو العبّاس المبرّد: معنى ﴿إن كان قميصه﴾: إن يكن، وجاز ذلك في «كان» لأنّها أمّ الباب، كما جاز: ما كان أبردها، ولم يجز: ما أصبح أبردها. وقال ابن السرّاج: «إن يكن» بمعنى: إن يصحّ قدُّ قميصه من دبر.

وقوله: ﴿فلمّا رأى قميصه قدّ من دبر﴾ حكاية من الله أنّ الملك حين سمع قول الشاهد ورأى قميصه قدّ من دبر أقبل عليها و ﴿قال إنّه من كيدكنّ إنّ كيدكنّ عظيم﴾ وقال قوم: إنّ ذلك من قول الشاهد. و «الكيد»: طلب الشيء بما يكرهه، كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه ويأباه.

وقوله: ﴿فلمّا رأى﴾ تحتمل الرؤية أمرين:

أحدهما: أن يكون بمعنى رؤية العين، فلا تكون رؤية للقدّ، لأنّه حال، وإنّما هي[1] رؤية القميص.

والآخر: أن يكون بمعنى العلم، فيكون رؤية للقدّ، لأنّه خبر.

والهاء في قوله: ﴿إنّه﴾ يحتمل أن تكون عائدة إلى السوء، ويحتمل أن تكون عائدة إلى ما تقدّم ذكره من معنى الكذب.

والنون في قوله: ﴿كيدكنّ﴾ نون جماعة النساء، وشدّدت لتكون على قياس نظيرها من المذكّر في «ضربكموا» في أنّه على ثلاثة أحرف. وقال قوم: إنّ ذلك من قول الزوج[2]. وقال آخرون: من قول الشاهد[3].

قوله [تعالى]:

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ (٢٩) آية بلا خلاف.

---

(١) في الحجريّة: «بيّن».
(٢) منهم الطبري ذيل الآية.
(٣) حكاه عليّ بن عيسى الرمّاني. راجع تفسير الماوردي ٣: ٢٩.

هذا حكاية ما نادى زوج المرأة يوسف، فقال له: يا ﴿يوسف﴾ ولذلك قال قوم: إنّه لم يكن له غيرة[١]. وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: ذلك من قول الشاهد. وأسقط حرف النداء لأنّه اسم علم، ولم يجز ذلك في المبهم ﴿أعرض عن هذا﴾ أي: اصرف وجهك عنه، و «الإعراض»: صرف الوجه عن الشيء إلى جهة العرض. فكأنّه قال: اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه بأن لا تذكره ﴿واستغفري لذنبك﴾ أي: اطلبي المغفرة من الله من خطيئتك، و «الذنب»: الخطيئة، و «الخطيئة» العدول عمّا تدعو إليه الحكمة إلى ما تزجر عنه، ويقال لصاحبه: خاطئ إذا قصد ذلك، فإذا وقع عن غير قصد قيل: أخطأ المقصد، فهو مخطئ وإن لم يكن صفة ذمّ. وأصل «الخطأ»: العدول عن الغرض الحكمي بقصد أو غير قصد، فإن كان بقصد قيل: خطئ يخطأ خطأً فهو خاطئ، قال أُميّة:

عبادك يخطئون وأنت ربّ ... بكفّيك المنايا والحتوم[٢]

وإنّما قال: ﴿من الخاطئين﴾ ولم يقل: من الخاطئات، تغليباً للمذكّر على المؤنّث إذا اختلطا، كما تقول: عبيدك وإماؤك جاؤوني.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰـهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰـهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه ﴿قال نسوة في المدينة﴾ الّتي كان فيها الملك وزوجته ويوسف: إنّ امرأة العزيز تطلب فتاها عن نفسه، و «العزيز»:

(١) انظر النكت والعيون ٣: ٢٩.

(٢) أنشده الجوهري في الصحاح ٥: ١٨٩٢، مادّة «حتم».

المنيع[١] بقدرته عن أن يضام في أمره، وسمّي بذلك لأنّه كان ملكاً ممتنعاً بملكه واتّساع قدرته، قال أبو داود[٢]:

درّة غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم طلّ[٣]

و «الفتى»: الغلام الشابّ، والمرأة فتاة، قال الشاعر:

كأنّا يوم قرّى إنّما نقْتُل إيّانا
قتلنا منهم كلّ فتى أبيض حُسّانا[٤]

ومعنى ﴿شغفها حبّاً﴾: بلغ الحبّ شغاف قلبها، وهو داخله. وقوله: ﴿إنّا لنراها في ضلال مبين﴾ معناه: إنّا لنعلمها في عدول عن طريق الرشد، فعابوها بذلك، وذلك أن تصير إلى ما يذهلها ويبلغ صميم قلبها بحبّ إنسان.

وإنّما حذف حرف التأنيث في قوله: ﴿وقال نسوة﴾ لأنّه تأنيث جمع قدّم عليه الفعل، وتأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى، لأنّه لا يجتمع في اسم واحد تأنيثان، وكما يبطل تذكير المعنى في «رجال» فإذا صار كذلك جاز فيه وجهان: إن حمل على اللفظ أنّث، وإن حمل على المعنى ذكّر.

وقيل في معنى «الشغاف» ثلاثة أوجه: شغاف القلب: غلافه، وهو جلدة عليه، تقول: دخل الحبّ الجلد حتّى أصاب القلب، في قول السدّي

---

(١) في «ح»: «الممتنع». (٢) في الخطّيّة: أبي دواد.
(٣) أنشده الطبري ذيل الآية، وفيه: «جليت» بدل «جلبت».
(٤) من أبيات لذي الإصبع العدواني. راجع خزانة الأدب للبغدادي ٥: ٢٨٣ وما بعده.

وأبي عبيدة[١]. الثاني: قال الحسن: هو باطن القلب. الثالث: قال أبو عليّ الجبّائي: هو وسط القلب. قال النابغة:

وقد حال همّ دون ذلك داخل   مكان الشغاف تبتغيه الأصابع[٢]

وروي: «شعفها» بالعين[٣] أي: ذهب بها الحبّ كلّ مذهب، من: شعف الجبال وهي رؤوسها، قال امرؤ القيس:

أتقتلني وقد شعفتُ فؤادها

كما شعف المهنوءة الرجل الطالي[٤]

قال ابن زيد[٥]: هما مختلفان، فالشعف بالعين في البغض، وبالغين في الحبّ.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو عمرو ونافع في رواية الأصمعي عنه: ﴿حاشا﴾ بألف، الباقون بلا ألف. فمن حجّة أبي عمرو قول الشاعر:

---

(١) انظر النكت والعيون ٣: ٣٠، ومجاز القرآن ١: ٣٠٨.

(٢) من قصيدة يمدح الملك النعمان. راجع ديوان النابغة الذبياني: ٨٠، وفي «ح»: «بالغ» بدل «داخل».

(٣) حكى القرطبي في تفسيره ٩: ١٧٦ هذه القراءة عن أبي جعفر بن محمّد وابن محيص والحسن.

(٤) من قصيدته اللامية المشهورة الّتي يصف مغامراته وسعيه إلى المجد. راجع ديوان امرئ القيس: ١٤٢، وفيه: «أنّي» بدل «وقد».

(٥) في الحجريّة: «أبو زيد».

حــاشا أبــي ثـوبان إنّ بــه ضِنّاً عن المَلحَاة والشتم[١]

قال أبو عليّ الفارسي: لا يخلو قولهم: «حــاش لله» مـن أن يكـون الحرف الجارّ في الاستثناء ـ كما ذكرناه في البيت ـ أو فَاعَلَ من قولهم: حاشى يحاشي، ولا يجوز أن يكون حرف الجرّ، لأنّ حرف الجرّ لا يدخل على مثله، ولأنّ الحروف لا تحذف إذا لم يكن فيها تضعيف، فإذا بطل ذلك ثبت أنّها فاعَل، مأخوذاً من «الحشا» الّذي هو النـاحية، والمـعنى: أنّـه صار في حشاً أي: ناحية ممّا قرف[٢] به، وفاعله يوسف، والمعنى: بَـعُد عن هذا الّذي رمي به ﴿لله﴾ أي: لخوفه من الله، ومراقبة[٣] أمـره، ومـن حذف الألف فكما حذف: لم يك، ولا أدر[٤] فإذا أُريد بـه حـرف الجـرّ يقال: «حاشا» و«حاش» و «حشا» ثلاث لغات، قال الشاعر:

حشا رهط النبيّ فإنّ فيهم بحوراً لا تقطّعها الدلاء[٥]

حكى الله تعالى عن امرأة العزيز: أنّها حين سمعت قول نسوة المدينة فيها وعذلهنّ إيّاها ومكرهنّ بها، وقيل: إنّهنّ مكرن بها لتـريهنّ يـوسف، فلمّا اطلعتهنّ على ذلك أشعن خبرها[٦]. و «المكر»: الفـتل بـالحيلة إلى ما يراد من الطلبة، يقال: هي ممكورة الساقين بمعنى: مـفتولة السـاقين،

---

(١) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١٠، وفيه: «إنّ به» وفي الهامش أنّه منسوب إلى سبرة بن أبي عمرو الأسدي في نسخة. وأورده في الأصمعيّات: ١٩٤ ـ ١٩٥ ضمن قصيدة ميمية وقد نسبه فيها إلى الجميح الأسدي وهو منقذ بن الطماح.

(٢) في الحجريّة: قذف.

(٣) في المجمع: «ومراقبته».

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٤٥ـ٤٤٦.

(٥) أنشده الأزهري في التهذيب ٥: ١٤٠ مادّة «حـاشا» وذكـر أنّـه مـن إنشـاد القـرّاء، وفـيه «لا تكدّرها» بدل «لا تقطّعها».

(٦) قاله ابن إسحاق، راجع تفسير الطبري ذيل الآية ٣٠.

وممكورة البدن أي: ملتفّتة ﴿أرسلت إليهنّ﴾ أي: بعثت إليهنّ تدعوهنّ إلى دعوتها.

وقوله ﴿واعتدت لهنّ متّكئاً﴾ معناه: أعدّت، ومعناه اتّخذت من العناد. وقولهم: اعتدت من العدوان، والألف فيه ألف وصل. و «المتّكأ» الوسادة، وهي النمرق الّذي يتّكأ عليه، وقال قوم: إنّه الأُترجّ[١]. وأنكر ذلك أبو عبيدة[٢].

وقوله: ﴿وآتت كلّ واحدة منهنّ سكّيناً﴾ قيل: إنّها قدّمت إليهنّ فاكهة وأعطتهنّ سكّيناً ليقطعن الفاكهة، ﴿فلمّا رأينه﴾ ـ يعني: يوسف ـ دهشن ﴿وقطّعن أيديهنّ﴾. وقوله: ﴿أكبرنه﴾ أي: أعظمنه وأجللنه. وقال قوم: معنى ذلك: أنّهن حضن حين رأينه[٣] وأنشد قول الشاعر:

يأتي النساء على أطهارهنّ ولا يأتي النساء إذا أكبرن إكباراً[٤]

وأنكر ذلك أبو عبيدة، وقال: ذلك لا يعرف في اللغة، لكن يجوز أن يكون من شدّة ما أعظمنه حضن[٥] والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر.

وقوله: ﴿حاش لله﴾ تنزيه له عن حال البشر، وأنّه لا يجوز أن تكون هذه صورة البشر، وإنّما هو ملك كريم. وقال الجبّائي: فيه دلالة على تفضيل الملائكة على البشر لأنّه خرج مخرج التعظيم، ولم ينكره الله تعالى. وهذا ليس بشيء، لأنّ الله تعالى حكى عن النساء أنّهنّ أعظمن يوسف لما رأين

---

(١) منهم الفرّاء في معاني القرآن ٢: ٤٢.
(٢) مجاز القرآن ١: ٣٠٩.
(٣) ذكره الزجّاج في معانيه ٣: ١٠٦ عن مجاهد.
(٤) أنشده الزجّاج في معانيه ٣: ١٠٦، والأزهري في التهذيب ١٠: ٢١١، مادّة «كبر» بدون عزوٍ لأحد.
(٥) انظر مجاز القرآن ١: ٣٠٩.

من وقاره وسكونه وبُعده عن السوء، وقلن: ليس هذا بشراً بل هو ملك، يريدون فيسكونه، ولم يقصدن كثرة ثوابه على ثواب البشر، وكيف يقصدنه وهنّ لا طريق لهنّ إلى معرفة ذلك؟! على أنّ هذا من قول النسوة اللاتي وقع منهنّ من الخطأ والميل إليه ما لا يجوز أن يحتجّ بقولهنّ. وقوله: لم ينكره الله، إنّما لم ينكره لأنّه تعالى علم أنّهنّ لم يقصدن ما قال الجبّائي، ولو كنّ قصدنه لأنكر. على أنّ ظاهر الكلام أنّهنّ نفين أن يكون يوسف من البشر، وفيه قطع على أنّه ملك، وهذا كذب، ولم ينكره الله.

والوجه فيه: أنّهنّ لم يقصدن الإخبار بذلك عن حاله، وإنّما أخبرن بتشبيه حاله فيما قلناه بحال الملائكة، فلذلك لم ينكره الله.

وقوله: ﴿ما هذا بشراً﴾ نصب ﴿بشراً﴾ على مذهب أهل الحجاز في إعمال «ما» عمل «ليس» فيرفعون بها الاسم وينصبون الخبر، فأمّا بنو تميم فلا يعملونها، قال الشاعر:

لشتّان ما أنوي وينوي بنو أبي ... جميعاً فما هذان مستويان

تمنّوا لي الموت الّذي يشعب الفتى ... وكلّ فتى والموت يلتقيان(١)

وقد قرئ: «ما هذا بِشِرىً»(٢) أي: ليس بمملوك، وهو شاذّ لا يقرأ به، وقرئ: «متكاً» بتسكين التاء(٣). قال مجاهد: معناه الأُترجّ. وقال قتادة: معناه: طعاماً، وبه قال عكرمة وابن إسحاق وابن زيد والضحّاك.

---

(١) أنشدهما الفرّاء في معاني القرآن ٢ : ٤٢ ـ ٤٣، وبهامشه حكاية نسبة البيت الثاني عن العيني إلى الفرزدق. ولم نجدهُ في ديوانه.

(٢) وهي قراءة منسوبة إلى ابن مسعود. راجع مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه: ٦٨.

(٣) قرأه الأعرج. راجع المصدر السابق.

وقال مجاهد وغيره: أُعطي يوسف نصف الحُسْن. وقيل: ثلثه. وقيل: ثلثاه، والباقي لجميع الخلق[١].

قوله [تعالى]:

قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ آية بلا خلاف.

فيها حكاية ما قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي عذلنها على محبّتها ليوسف، وأنّها حين رأت ما فعلت النسوة للدهش بيوسف ﴿قالت﴾ لهنّ: هذا هو ذلك ﴿الّذي لمتنّني فيه﴾ واللوم: الوصف بالقبيح على وجه التحقير، ومثله: الذمّ، وضدّه الحمد.

وقوله: ﴿ولقد راودته عن نفسه﴾ اعتراف منها أنّها هي الّتي طلبته عن نفسه، وأنّه استعصم منها، أي: امتنع من ذلك، و «الاستعصام»: طلب العصمة من الله بفعل لطف من ألطافه ليمتنع من الفاحشة. وفيه دلالة على أنّ يوسف لم يقع منه قبيح.

وقوله: ﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننّ﴾ إخبار عمّا قالت امرأة العزيز على وجه التهديد ليوسف من أنّه إن لم يفعل ما تأمره به من المعصية ويجيبها إلى ملتمسها لتمنعنّه التصرّف من مراده بالحبس، تقول: سجنه يسجنه سجناً، والسجّان: المتولّي للسجن على وجه الحرفة.

وقوله: ﴿وليكونن من الصاغرين﴾ هذه النون[٢] الخفيفة الّتي يتلقّى

(١) انظر تفسير الطبري ذيل الآية، وفيه: عن الحسن أنّ النبيّ ﷺ قال: «أُعطي يوسف وامه ثلث حسن اهل الدنيا وأُعطي الناس الثلثين، أوقال: أُعطي يوسف وامّه الثلثين وأُعطي الناس الثلث».

(٢) كذا في: «ح»، و في غيرها: «نون».

بها القَسَم، وإذا وقفت عليها وقفت بالألف، تقول: وليكوناً، وهي بمنزلة التنوين الّذي يوقف عليه بالألف، قال الشاعر:

وصلّ على حين العشيّات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا[١]

أي: فاعبدن، فأبدل في الوقف من النون ألفاً. و «الصغار»: الذلّ بصغر القدر، صغير يصغر صغاراً، ومنه قوله: ﴿حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾[٢].

قوله [تعالى]:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن يوسف: أنّه لمّا سمع وعيد المرأة له بالحبس والصَغار إن لم يجبها إلى ما تريده ﴿قال﴾: يا ﴿ربّ السجن أحبّ إليَّ ممّا يدعونني إليه﴾ من ركوب الفاحشة، وإنّما جاز أن يقول: السجن أحبّ إليَّ من ذلك، وهو لا يحبّ ما يدعونه إليه ولا يريده، ولا يريد السجن أيضاً، لأنّه إن أُريد به المكان فذلك لا يراد، وإن أُريد به المصدر فهو معصية منهيّ عنها، فلا يجوز أن يريده، لأمرين:

أحدهما: أنّ ذلك على وجه التقدير، ومعناه: أنّي لو كنت ممّا أُريد لكانت إرادتي لهذا أشدّ. الثاني: أنّ المراد أنّ توطين نفسي على السجن أحبّ إليَّ. وقيل: معناه: أنّ السجن أسهل عليَّ ممّا يدعونني إليه[٣].

وقرأ الحسن: «السَّجن» بفتح السين وأراد المصدر، وبه قرأ يعقوب،

---

(١) للأعشى، من قصيدة يمدح النبيّ ﷺ. راجع ديوان الأعشى: ٤٨، وفيه: «ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا».
(٢) التوبة: ٢٩.
(٣) قاله الطبري ذيل الآية.

وتأويله ما قلناه. و «الدعاء»: طلب الفعل من المدعوّ، وصيغته صيغة الأمر إلّا أنّ الدعاء لمن فوقك، والأمر لمن دونك.

وقوله: ﴿وإلّا تصرف عنّي كيدهنّ﴾ معناه: ضرر كيدهنّ، لأنّ كيدهنّ قد وقع وحصل فالصرف: نفي الشيء عن غيره بضدّه أو بأن لا يفعل، وصورته كصورة النهي إلّا أنّ النهي مع الزجر لمن [هو] دونك، وليس كذلك الصرف. و «الصبا»: رقّة الهوى، يقال: صبا يصبو صَباً فهو صابٍ، فكأنّه قيل: أمِل بهواي إليهنّ، قال الشاعر:

إلى هند صبا قلبي ... وهند مثلها تُصبى[١]

وقال أيضاً:

صبا صبوة بل لجّ وهو لجوج ... وزالت له بالأنعمين حدوج[٢]

وقوله: ﴿وأكن من الجاهلين﴾ معناه: وأكن ممّن يستحقّ صفة الذمّ بالجهل، لأنّه بمنزلة من قد اعتقد الشيء على خلاف ما هو به، وإلّا فهو عليه السلام كان عالماً بأنّ ذلك معصية، والغرض فيه بيان أنّ صفة الجهل من أغلظ صفة الذمّ.

وقال البلخي والجبّائي: في الآية دلالة على أنّه لا ينصرف أحد عن معصيةٍ إلّا بلطف الله عزّ وجلّ، لأنّه لو لم يعلم ذلك لما صحّ خبره به. وليس في الآية ما يدلّ على ذلك، بل فيها ما يدلّ على أنّ يوسف كان له لطف، ولولاه لفعل المعصية، وأمّا أن يدلّ على أنّه لا أحد ينتهي عن

(١) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١١، ونسبه إلى يزيد بن ضبّة.

(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١١، وذكر المحقّق في هامشه أنّه لأبي ذؤيب. الهذلي في ديوانه ١: ٥٠.

معصية إلّا بلطف فلا، بل ذلك مجوّز، وليس فيها ما يمنع منه.

ويحتمل قوله: ﴿أصب إليهنّ﴾ على لفظ الجمع أشياء:

أحدها: قال أبو عليّ الجبّائي: إنّ كلّ واحدة منهنّ دعته إلى مثل ما دعت إليه امرأة العزيز بدلالة هذا الكلام. وقال قوم: إنّهنّ قلن لها: نحن نسأله أن يفعل ما دعوته إليه، فخلت كلّ واحدةٍ منهنّ به. فاحتمل[1] أن يكون المراد: أصب إلى قولهنّ في الدعاء إلى إجابة امرأة العزيز.

قوله [تعالى]:

فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ آية بلاخلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه أجاب يوسف إلى ما دعاه به وأراده منه ورغب إليه فيه، وإذا[2] فعل ذلك، لأنّه دعا به، فهو إجابة له واستجابة والّذي تعلّق به الإرادة، وقال أبو عليّ الجبّائي: الإجابة من الله تعالى ثواب، لقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلّا في ضلال﴾[3] وهذا إنّما هو في الجملة. قال الرمّاني: وصرف الله تعالى له عن الفعل بالزجر عنه وإعلامه الذمّ على قوله[4]. وفرّق بين الصرف عن الفعل والزجر عنه: بأنّ الزجر عنه بالذمّ على إيقاعه، والصرف عنه إعلامه أنّ غيره أصلح له من غير ذمّ عليه لا محالة[5] كما يجب في الزجر. والظاهر بغير ذلك أشبه، لأنّ يوسف عليه السلام كان عالماً بأنّ ما دعونه إليه قبيح يستحقّ به الذمّ، ومع ذلك سأل أن يصرف ثمرة كيدهنّ عنه، لأنّ كيدهنّ الّذي هو دعاؤهنّ وإغواؤهنّ كان

---

(١) كذا في «ح»، وفي «م»: «واحتمل»، وفي الحجريّة: «ويحتمل».

(٢) في الحجريّة: أنّه.

(٣) الرعد: ١٤، غافر: ٥٠.

(٤) في الحجريّة: «فعله ـ خ ل».

(٥) في مصحّحة الحجريّة: «لاعماله».

قد حصل، فكأنّه سأل الله تعالى لطفاً من ألطافه ينصرف عنده عن إجابة النسوة إلى ما دعونه من ارتكاب المعصية، لأنّ ظاهر القول خرج مخرج الشرط والجزاء المقتضيين للاستقبال، فكان ما قلناه أولى.

وقوله: ﴿إنّه هو السميع العليم﴾ معناه هاهنا: أنّه السميع لدعاء الداعي، العليم بإخلاصه في دعائه أو ترك إخلاصه، وبما يصلحه من الإجابة أو يفسده.

قال الرمّاني: ولا يجوز أن يكون السميع للصوت بمعنى العليم بالصوت موجوداً[١] لأنّه قد يعلمه الإنسان موجوداً إذا كان بعيداً وهو لا يسمعه كعلمه بصوت المطارق في الحدّادين. وهو لا يسمعهُ وهذا الّذي ذكره ليس بشيء. لأنّه لا يعلم صوت المطارق في الحدّادين من طريق الحاسّة، وإنّما يعلمه بضرب من الاستدلال أو يظنّ ذلك، وإذا علمه من طريق الحاسّة علمه ضرورة، فكان ذلك فرقاً بين الموضعين.

وقال أبو عليّ الجبّائي: في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله أنّه يكون، لأنّ يوسف عليه السلام كان عالماً بأنّه إن كان له لطف فلابدّ أن يفعل الله به، ومع هذا سأله. وليس في الآية ما يدلّ على ذلك، لأنّه لا يمتنع أن يكون يوسف سأل لتجويزه أن يكون له لطف عند الدعاء، ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفاً، فما سأل إلّا ما جوّز أن لا يكون لو لم يدع.

غير أنّ المذهب ما قال أبو عليّ، لأنّه تعالى تعبّدنا بأن نقول: ﴿ربّ احكم بالحقّ﴾[٢] وقد علمنا أنّه لا يحكم إلّا بالحقّ، ولكن الآية لا تدلّ على ذلك.

---

(١) العبارة لا تخلو من إغلاقٍ.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّه ظهر ﴿لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ يقال: بدا يبدو بدواً وبداء، والبداء في الرأي: التلوّن فيه، لأنّه كلّما ظهر له رأي مال إليه. وإنّما قال: ﴿لهم﴾ ولم يقل: «لهنّ» مع تقدّم ذكر النسوة لأمرين:

أحدهما: قال الحسن: إنّه أراد بذلك الملك. والثاني: أنّه أراد ذكر المذكّر معهنّ من أعوانها فغلب المذكّر، فقال: ﴿لهم﴾. قال الرمّاني: وفاعل ﴿بدا﴾ مضمر، وتقديره: ثمّ بدا لهم بداءً، ودلّ عليه قوله: ﴿ليسجننّه﴾.

والآيات الّتي رأوها، قال قتادة: هو قدّ القميص وحزّ الأيدي. وقال غيره: هو قطع الأيدي والاستعظام وقدّ القميص.

وقوله: ﴿ليسجننّه﴾ إنّما هو فعل المذكّر، كما قال: ﴿بدا لهم﴾ ولم يقل: «لهنّ» ودخلت النون الثقيلة جواباً للقسم وليس بفعل المؤنّث، ولو كان على صيغة فعل المؤنّث قيل: «ليسجنّ» و «ليقتلن» ثمّ تدخل عليها نون التأكيد الشديدة فيصير: ليسجنّانّه، كقوله: تقتلنانّه.

وقوله: ﴿حتّى حين﴾ ف «حتّى» تنصرف على أربعة أوجه: تكون حرف جرّ، وحرف عطف، وناصبة للفعل، وحرفاً من حروف الابتداء. فالجارّة نحو هذه الّتي في الآية، والعاطفة كقولهم: خرج الناس حتّى الأمير، والناصبة كقوله: ﴿حتّى يأتي وعد الله﴾[1] وحرف الابتداء كقولك: سرّحت القوم حتّى زيد مسرّح.

---

(١) الرعد: ٣١.

قوله [تعالى]:

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْأَخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ آية بلا خلاف.

في الآية تقدير: فسجن يوسف ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ يعني: شابّان قويّان[1] و«الفتى»: الشابّ القويّ، قال الشاعر:

يا عزّ هل لك في شيخ فتىً أبداً   وقد يكون شباب غير فتيان

وقال الزجّاج: كانوا يسمّون المملوك فتى، شيخاً كان أو شابّاً[2].

والفتيان قال السدّي وقتادة: كانا غلامي ملك مصر الأكبر، أحدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه، فنمي إليه أنّ صاحب طعامه يريد أن يسمّه، وظنّ أنّ الآخر ساعده عليه ومالأه على ذلك.

وقوله: ﴿قال أحدهما﴾ يعني: أحد الفتيين ليوسف: ﴿إنّي أراني أعصر خمراً﴾ من رؤيا المنام، و «الخمر»: عصير العنب إذا كان فيه الشدّة، والتقدير: أعصر العنب للخمر، وقال الضحّاك: هي لغة تسمّي العنب خمراً، ذكر جماعة أنّها لغة عُمان. وقال الزجّاج: تقديره: عنب الخمر[3].

وقوله: ﴿وقال الآخر إنّي أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ فالحمل: رفع الشيء بعماد يقلّه، حمل يحمل حملاً، واحتمل احتمالاً، وتحمّل تحمّلاً، وتحامل تحاملاً، وحمّله تحميلاً. و «الخبز» معروف ﴿تأكل الطير منه﴾.

وقوله: ﴿نبّئنا بتأويله﴾ أي: أخبرنا بتأويل رؤيانا ﴿إنّا نراك من المحسنين﴾ معناه: أنّا نعلمك أو نظنّك ممّن يعرف تأويل الرؤيا، ومن ذلك

---

(١) في المخطوطتين: «شابّين قويّين».

(٢ و٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٠٩.

قول عليّ عليه السلام: «قيمة كلّ امرئ ما يحسنه»[١] أي: ما يعرفه. و«الإحسان»: النفع الواصل إلى الغير إذا وقع على وجه يستحقّ به الحمد، وإذا اختصرت فقلت: هو النفع الّذي يستحقّ عليه الحمد جاز، لأنّ ما يفعله الإنسان مع نفسه لا يسمّى إحساناً. وقيل: إنّه كان يداوي مريضهم، ويعزّي حزينهم، ويجتهد في عبادة ربّه[٢]. وقال الزجّاج: كان يعين المظلوم، وينصر الضعيف، ويعود المريض[٣]. وقيل: ﴿من المحسنين﴾ في عبارة الرؤيا، لأنّه كان يعبّر لغيرهم فيحسن، ذكره الجبّائي.

قوله [تعالى]:

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار بما أجاب به يوسف عليه السلام للفتيين اللذين سألاه عن المنام، فقال لهما: ﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾ و «الطعام»: كلّ جسم فيه طعم يصلح للأكل، غير أنّه يختلف بإضافته إلى الحيوان. و «الرزق»: العطاء الجاري في الحكم، وكذلك لو أعطاه مرّة واحدة وقد حكم بأنّه يجريه كان رزقاً. وقال السدّي وابن إسحاق: معنى ذلك: أنّي عالم بتعبير الرؤيا إذ لا يأتيكما ما ترزقانه في منامكما إلّا نبّأتكما بتأويله في اليقظة. وقال ابن جريج: كان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له

---

(١) نهج البلاغة: ٤٨٢، الحكمة ٨١.

(٢) قاله الضحّاك وقتادة. راجع تفسير الطبري في ذيل الآية.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١١٠.

طعاماً معلوماً فأرسل به إليه. فعلى هذا يرزقانه في اليقظة، وقيل: إنّه كان يخبر بما غاب كما كان عيسى عليه السلام[١].

وإنّما عدل عن تعبير الرؤيا إلى الجواب بهذا لأحد أمرين:

أحدهما: ما قال ابن جريج: إنّه كره أن يخبرهما بالتأويل لما على أحدهما فيه، فلم يتركاه حتّى أخبرهما. وقال[٢] أبو عليّ: إنّما قدّم هذا، ليعلما ما خصّه الله به من النبوّة، وليقبلا إلى الطاعة والإقرار بتوحيد الله.

و «الإنباء»: الإخبار بما يستفاد، وذلك أنّ النبأ له شأن، وفيه تعظيم الخبر بما فيه من الفائدة، ولذلك أُخذت منه النبوّة. و «التأويل»: الخبر عمّا حضر بما يؤول إليه أمره فيما غاب، ولذلك قال: ﴿قبل أن يأتيكما﴾ و«تأويل القرآن»: ما يؤول إليه من المعنى، أي: يرجع إليه. و «التعليم»: تفهيم الدلالة المؤدّية إلى العلم بالمعنى، وقد يكون الإعلام بخلق العلم بالمعنى في القلب.

وقوله: ﴿إنّي تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾ إخبار من يوسف أنّه إنّما علّمه الله تعالى تأويل ما سألاه لإيمانه بالله وحده لا شريك له، وعدوله عن ملّة الكفّار وجحدهم البعث والنشور والجزاء بالثواب والعقاب. و «هم» الثانية دخلت للتأكيد، لأنّه لمّا دخل بينهما قوله: ﴿بالآخرة﴾ صارت الأُولى كالملغاة، وصار الاعتماد على الثانية، كما قال: ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾[٣] وكما قال: ﴿أيعدكم أنّكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً أنّكم مخرجون﴾[٤].

---

(١) قاله الحسن البصري.
(٢) وهذا هو القول الثاني.
(٣) النمل: ٣.
(٤) المؤمنون: ٣٥.

قوله [تعالى]:

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ مَاكَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ آية بلا خلاف .

في هذه الآية إخبار عن يوسف أنّه قال لهما: إنّي في ترك اتّباع ملّة الكفّار وجحدهم البعث والنشور، وإيماني بالله وتوحيدي له اتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، و«الاتّباع»: اقتفاء الأثر وهو طلب اللحاق بالأوّل، فاتّباع المحقّ بالقصد إلى موافقته من أجل دعائه. و «الملّة»: مذهب جماعة يحمي بعضها بعضاً في الديانة، وأصله: الحمى من «المَليلَة» وهي حمى يلحق الإنسان دون الحمى. و «الآباء»: جمع «أب» وهو الّذي يكون منه نطفة الولد، و «الأُمّ» الأُنثى الّتي يكون منها الولد. و «الجدّ»: أب بواسطة، ولا يطلق عليه صفة أب، وإنّما يجوز ذلك بقرينة تدلّ على أنّه أب بواسطة الابن، وجدّ الأب أب بواسطتين.

وقوله: ﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾ إخبار من يوسف أنّه ليس له، ولا لأحد من آبائه أن يشرك بالله شيئاً، ودخلت «من» للنفي العامّ، و «الإشراك»: بلوغ منزلة الجمع لعبادة غير الله إلى عبادته في عظم الجرم، واليهودي مشرك، لأنّه بكفره بالنبيّ قد بلغ تلك المنزلة في عظم الجرم.

وقوله: ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ اعتراف منه أنّ ذلك العدول عن عبادة غير الله هو من فضل الله عليهم من حيث كان بلطفه وهدايته وتوفيقه، و «الفضل»: النفع الزائد على مقدار الواجب وجوب الدين الّذي

يستحقّ به الشكر. وكلّ ما يفعله الله تعالى بالعبد فهو فضل من فضله، والعقاب أيضاً فضل، لأنّه زجر به عن المعاصي، وقيل: ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ أن جعلنا أنبياء ﴿وعلى الناس﴾ أن جعلنا رسلاً إليهم في قول ابن عبّاس. وقوله: ﴿وعلى الناس﴾ دال على أنّ الله قد عمّ جميع خلقه بفضله وهدايته إيّاهم إلى التوحيد والإيمان.

قوله [تعالى]:

يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما نادى يوسف للمستفتيين له عن تأويل رؤياهما، فقال لهما: ﴿يا صاحبي السجن﴾ أي: يا ملازمي السجن، و «الصاحب»: الملازم لغيره على وجه الاختصاص بوجهٍ من الوجوه، وهو خلاف ملازمة الاتّصال، ولذلك قيل: أصحاب مالك، وأصحاب الشافعي للاختصاص بمذاهبه، وأصحاب النبيّ لملازمتهم له، والكون معه في حروبه. وصاحبا السجن: هما الملازمان له بالكون فيه، و «السجن»: هو الحبس الّذي يمنع من التصرّف، قال الفرزدق:

وما سجنوني غير أنّي ابن غالب وأنّي من الأثرين غير الزعانف[١]

وقوله: ﴿ءأرباب متفرّقون﴾ فيه أقوال: قال قوم: أُملّاك متباينون خير أم المالك القاهر للجميع؟ يدلّهم بهذا على أنّه لا يجوز أن يعتقدوا الربوبيّة إلّا لله تعالى عزّ وجلّ وحده. وقال الحسن: متفرّقون من صغير وكبير ووسط، يعني: الأوثان. وقال قوم: معناه: متفرّقون بمباينة كلّ واحد للآخر

(١) من قصيدة طويلة يمدح هشاماً الملك. راجع ديوان الفرزدق ٢: ٩٢.

بما يوجب النقص[1]. و «القاهر»: القادر بما يجب بـه الغـلبة لا مـحالة، و«القهّار» مبالغة في الصفة يقتضي أنّه القادر بما يجب به الغلبة لكلّ أحد، و«الخير» الأبلغ في صفة المدح، و «الشرّ» الأبلغ في صفة الذمّ.

قوله [تعالى]:

مَاتَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف .

وهذا تمام ما قال يوسف للكفّار الّذين يعبدون غير الله، فـقال لهـم: لستم تعبدون من دون الله إلّا أسماءً سمّيتموها، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه لمّا كانت الأسماء الّتي سمّوا بها آلهتهم لا تصحّ معانيها صارت كأنّها أسماء فارغة يرجعون فـي عـبادتهم إليـها، فكأنّـهم إنّـما يعبدون الأسماء، لأنّه لا يصحّ معاني يصحّ لها من إله وربّ.

الثاني: إلّا أصحاب أسماء سمّيتموها لا حقيقة لها. و «العبادة» هـي الاعتراف بالنعمة مع ضربٍ مـن الخـضوع فـي أعـلى الرتـبة، ولذلك لا يستحقّها إلّا الله تعالى.

وقوله: ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أي: لم يـنزل الله عـلى صـحّة ما تدّعونه حجّةً ولا برهاناً، فهي باطلة لهذه العلّة، لأنّها لو كانت صحيحة لكان عليها دليل.

وقوله: ﴿إن الحكم إلّا لله﴾ معناه: ليس الحكم إلّا لله فيما فعله أو أمر

(١) انظر تفسير السمرقندي ٣: ١٦٧.

به، و«الحكم»: فصل المعنى بما تدعو إليه الحكمة من صواب أو خطأ و«الأمر»: قول القائل لمن دونه: افعل. والصحيح أنّه يقتضي الإيجاب.

وقوله: ﴿أمر ألّا تعبدوا إلّا إيّاه﴾ معناه: أمر أن تعبدوه وكره منكم عبادة غيره، لأنّ الأمر لا يتعلّق بأن لايكون الشيء، لأنّه إنّما يكون أمراً بإرادة المأمور، والإرادة لا تتعلّق إلّا بحدوث الشيء.

وقوله: ﴿ذلك الدين القيّم﴾ معناه: أنّ الّذي أمر به من عبادته وحده وأن لا يشرك به، شيء هو الدين القيّم المستقيم الصواب ﴿ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ صحّة ما أقوله، لعدولهم عن الحقّ والنظر والاستدلال.

قوله [تعالى]:

يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ آية بلا خلاف.

في هذه الآية إخبار عمّا أجاب به يوسف للفتيين في تأويل رؤياهما حين راجعاه في معرفته، فقال: ﴿يا صاحبي السجن أمّا أحدكما فيسقي ربّه خمراً﴾ يعني: سيّده ومالكه، لأنّه كان صاحب شرابه، وأجرى عليه صفة الربّ لأنّه مضاف، كما يقال: ربّ الدار والضيعة ﴿وأمّا الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾ فروي: أنّ صاحب الصلب قال: ما رأيت شيئاً، فقال له: ﴿قضي الأمر الّذي فيه تستفتيان﴾[1] وهذا يدلّ على أنّه كان ذلك بوحي من الله تعالى. ولفظة «أحد» لواحد من المضاف إليه ممّا له مثل صفة[2] المضاف في الإفراد نحو: أحد الإنسانين، وأحد الدرهمين،

---

(١) رواه الطبري ذيل الآية وفيه: «قالا له: ما رأينا شيئاً فقال لهما...».

(٢) في هامش «ح» «لفظة» ولعلّها نسخة.

فهو إنسان ودرهم لا محالة. والبعض يحتمل أن يكون لاثنين فصاعداً، ولذلك إذا قال: جاءني أحد الرجال، فهم منه أنّه جاءه واحد منهم، وإذا قال: جاءني بعض الرجال جاز أن يكون أكثر من واحد. و «الاستفتاء»: طلب الفتيا، و «الفتيا»: جواب بحكم المعنى، فهو غير الجواب بعلّته[1].

قوله [تعالى]:

وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ آية بلا خلاف .

وهذا حكاية عمّا قال يوسف عليه السلام للّذي ظنّ أنّه ينجو منهما. وقال أبو عليّ: الظنّ هاهنا بمعنى العلم كقوله: ﴿ظننت أنّي ملاق حسابيه﴾[2]. وقال قتادة: الرؤيا على الظنّ. وقال غيره: إلّا رؤيا الأنبياء فإنّها يقين. و«الظنّ»: هو ما قوي عند الظانّ كون المظنون على ما ظنّه مع تجويزه أن يكون على خلافه. و «النجاة» هي السلامة. وقوله: ﴿اذكرني عند ربّك﴾ يعني: عند سيّدك، كما قال الشاعر:

وإن يك ربّ أذواد فحسبي أصابوا من لقائك ما أصابوا[3]

وإنّما سأله أن يذكره عند سيّده بخير ويعرّفه علمه وما خصّه الله تعالى من الفضل والعلم ليكون ذلك سبب خلاصه. و «الذكر»: حضور المعنى للنفس، وعلى حال الذكر يتعاقب العلم وأضداده من الجهل والشكّ. و«النسيان»: ذهاب المعنى عن النفس وعزوبه عنها. والهاء في قوله:

---

(١) في الحجريّة: «بعينه ـ خ ل». (٢) الحاقّة: ٢٠.

(٣) للنابغة الذبياني، من قصيدة يهجو بها عامر بن الطفيل. راجع ديوان النابغة: ١١٨، وفيه صدر البيت: فإن تكن الفوارس يوم حِسّي.

«فأنساه» تعود إلى يوسف في قول ابن عبّاس، والتقدير: فأنسى يوسفَ الشيطان وذكر الله، فلذلك سأل غيره، حتّى قال جماعة: إنّ ذلك كان سبب لبثه في السجن مدّةً من الزمان. وقال ابن إسحاق والحسن والجبّائي: يعود على الساقي، وتقديره: فأنسى الساقيَ الشيطانُ ذكرَ يوسف.

وقوله: ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ فاللبث في المكان: هو الكون فيه على طول من الزمان، و «اللبث» و «اللبوث» و «السكون» نظائر. و«البضع»: قطعة من الدهر، وقيل: البضع من الثلاث إلى العشر، في قول ابن عبّاس. وقال قتادة ومجاهد: إلى التسع. وقال وهب: إلى سبع سنين. و«السنة»: إثنا عشر شهراً، ويجمع: سنين وسنوات.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ آية بلا خلاف .

حكى الله تعالى في هذه الآية: أنّ الملك الّذي كان يوسف في حبسه، وكان ملك مصر فيما روي[١] قال: إنّه رأى في المنام ﴿سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف﴾ يعني: مهازيل ﴿وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات﴾ ثمّ أقبل على قومه، فقال: ﴿يا أيّها الملأ﴾ أي: يا أيّها الأشراف والعظماء الّذين يرجع إليهم ﴿أفتوني في رؤياي إن كنتم﴾ تعبرون الرؤيا، وتدّعون العلم بتأويلها. و «الملك»: القادر الواسع المقدور الّذي إليه السياسة والتدبير.

(١) ذكرها الطبري ذيل الآية.

و«الرؤيا»: تخيّل النفس للمعنى في المنام حتّى كأنّه يرى، ويجوز فيها الهمزة وتركها. و «البقرات»: جمع بقرة، و «السمن»: زيادة البدن من الشحم واللحم، وهو على الشحم أغلب، و «العجف»: يبس الهزال، يقال: عجف يعجف عجفاً فهو أعجف، والأنثى عجفاء، والجمع: عجاف، و﴿سنبلات﴾ جمع سنبل، و «العبارة»: نقل معنى التأويل إلى نفس السائل بالتفسير، وهي من: عبور النهر وغيره، ومنه: المعبر والعبارة.

وإنّما دخلت اللام في قوله: ﴿للرؤيا﴾ مع أنّ الفعل يتعدّى بنفسه لأنّه إذا تقدّم المفعول ضعف عمله، فجاز إدخال حرف الإضافة لهذه العلّة، ولا يجوز «تعبرون للرؤيا» لأنّه في قوّة عمله.

قوله [تعالى]:

قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به الملأ الملك حين سألهم عن تعبير رؤياه ولم يعرفوا معناها ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: هذه الرؤيا أضغاث أحلام، و «الأضغاث»: جمع ضغث، قال قوم: هو الحزمة من الحشيش والبقل وغيره[1]. وقال آخرون: هو خلط قمش المدّ، وهو غير متشاكل ولا متلائم، فشبّهوا به تخليط المنام، ونفوا أن يكونوا عالمين بمثل ذلك. وقال قتادة: هي أخلاط أحلام. وقال ابن مقبل:

خَوْد كأنّ فراشها وضعت به   أضغاث ريحان غداة شمال[2]

(١) منهم الزجّاج في معاني القرآن ٣:١١٢.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية.

وقال آخر:

يحمي ذمار جنين قلّ مانعه
طاو كضغث الخلا في البطن مكتمن[١]

وقال آخر:

وأسفل منّي نهدة قد ربطتها وألقيت ضغثاً من خلىً متطيّب[٢]

و «الأحلام»: جمع «حلم» وهو الرؤيا في النوم، وقد يقال: جاء بالحلم أي: الشيء الكثير، كأنّه جاء بما لا يرى إلّا في النوم لكثرته. و «الحلم»: الأناة، حلم حلماً: إذا كان ذا أناة وإمهال. و «الحلم» ضدّ «الطيش» ومنه: ﴿إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب﴾[٣] و «الحليم»: من له ما يصحّ به الأناة دون الخرق والعجلة، والله الحليم الكريم، و «الحُلُم» بضمّ اللام: ما يرى في المنام، لأنّها حال أناة وسكون ودعة، تقول: حلم يحلم حلماً ـ بسكون اللام ـ إذا أردت المصدر، و «الحلمة»: رأس الثدي، لأنّها تحلم الطفل، و «الحلّام»: الجدي الّذي قد حلمه الرضاع، ثمّ كثر حتّى قيل لكلّ جدي.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١٢ ونسبه إلى عوف بن الخرع التيمي.

(٣) هود: ٧٥.

حكى الله تعالى في هذه الآية: أنّ الّذي نجا من الفتيين اللذين رأيا المنام وفسّره لهما يوسف ـ وهو صاحب الشراب ـ على ما ذكره له يوسف، فذكر بعد وقت وحين من الزمان لأمر يوسف، وقال لهم: أنا أُخبركم بما يؤول إليه هذا المنام، فابعثوني حتّى أبحث عنه.

و «النجاة»: التخلّص من الهلاك، و «الادّكار»: طلب الذكر، ومثله: «التذكّر» و «الاستذكار» ووزنه: «الافتعال» من «الذكر» وأصله: الاذتكار، فقلبت التاء دالاً وأُدغمت فيها الذال على أصل إدغام الأوّل في الثاني، ويجوز «اذّكر» على تغليب الأصلي على الزائد. و «الأُمّة» المذكورة هي الجملة من الحين، وأصله: الجماعة من الحين، وسمّيت الجماعة الكثيرة من الناس أُمّة، لاجتماعها على مقصد في أمرها، وقال ابن عبّاس والحسن ومجاهد وقتادة: ﴿بعد أُمّة﴾ يعني: حين[١]. وحكى الزجّاج وغيره عن ابن عبّاس: «بعد أمه» أي: بعد نسيان، يقال: أمه يأمه أمهاً ـ بفتح الميم ـ وحكي عن أبي عبيدة بسكون الميم، قال الزجّاج: وهذا ليس بصحيح[٢]. وأجازه غيره، وروى هذه القراءة[٣] عن جماعة كقتادة وعكرمة وغيرهم.

وتأويل الرؤيا: تفسير ما يؤول إليه معناه، وتأويل كلّ شيء تفسير ما يؤول إليه معنى الكلام. وحكي عن الحسن أنّه قرأ: «أنا آتيكم بتأويله»[٤] وهو خلاف المصحف.

---

(١) في الحجريّة: «اي: بعد حين» انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١١٣.

(٣) أي قراءة من فتح الميم من «أمه». لا حظ ما رواه الطبري ذيل الآية.

(٤) حكاه عنه ابن خالويه في مختصر شواذّ القرآن: ٦٨.

قوله [تعالى]:

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن الّذي نجا من الفتيين: أنّه جاء يوسف بعد أن قال لهم: ابعثون، وقال له: يا ﴿يوسف﴾ وحذف حرف النداء لأنّه اسم علم ﴿أيّها الصدّيق﴾ و «الصدّيق»: الكثير التصديق بالحقّ للأدلّة عليه، وكلّ نبيّ صدّيق بهذا المعنى ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان﴾ أي: أخبرنا عن حكم هذه الرؤيا، و «الفتيا»: جواب عن حكم المعنى، وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يسمّى فتيا.

وقوله: ﴿لعلّي أرجع إلى الناس لعلّهم يعلمون﴾ معنى «لعلّ»: الشكّ، لأنّها طمع وإشفاق، وإنّما قال ذلك لطمعه أن يكون، وأشفق أن لا يكون، ولو قال: «لأرجع إلى الناس ليعلموا» لكان فيه تعليل السؤال، غير أنّ الشكّ في «لعلّ» قد يكون للمتكلّم، وقد يكون للمخاطب. والرجوع إلى الشيء: المرور إلى الجهة الّتي جاء منها، والرجوع عنه: الذهاب عنه.

وقوله: ﴿لعلّهم يعلمون﴾ احتمل أمرين:

أحدهما: لعلّهم يعلمون بمكانك ومنزلتك. الثاني: لعلّهم يعلمون تأويل الرؤيا.

قوله [تعالى]:

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن يوسف ما أجاب به المستفتي عن تعبير رؤيا[١] الملك، فقال له: إنّكم ﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾ أي: مستمرّة، وقيل: متوالية. وقيل: على عادتكم. و «الدأب» استمرار الشيء على عادة، يقال: هو دائب بفعل كذا إذا استمرّ في فعله، وقد دأب يدأب دأباً. وسكّن القرّاء كلّهم الهمزة، إلّا حفصاً فإنّه فتحها، وهي لغة مثل: سَمْع وسَمَع[٢] ونَهْرٍ ونَهَر[٣]. ونصب ﴿دأباً﴾ على المصدر، أي: تدأبون دأباً، وكلّهم همز إلّا من مذهبه ترك الهمزة، وأبو عمرو إذا أدرج.

وقوله: ﴿فما حصدتم فذروه في سنبله إلّا قليلاً ممّا تأكلون﴾ حكاية عن تمام ما قال يوسف له من أنّ ما تحصدونه لا تذروه ولا تدوسوه ودعوه في السنبل إلّا القليل الّذي تأكلونه، وقيل: إنّما أمرهم بذلك لأنّ السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وإن بقي مدّة من الزمان، وإذا صفي أسرع إليه الهلاك.

و «الزرع»: طرح الحبّ في الأرض بالدفن مع التعاهد له بالسقي، تقول: زرع يزرع زرعاً، وازدرع ازدراعاً، وزارعه مزارعة. و «الحصد»: قطع الزرع، حصده يحصُده حصداً، واستحصد الزرع: إذا حان حصاده.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَاقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ آية بلا خلاف .

---

(١) في الحجرية زيادة: «الّتي رآها». (٢) في الخطّية: «شَمَع وشَمْع» بالشين.

(٣) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٤٧ وفيه: «شَمْع وشَمَع».

وهذا تمام حكاية ما فسّر به الرؤيا يوسف عليه السلام فقال لهم: إنّه يجيء بعد هذه السنين الّتي زرعتم فيها وحصدتم ﴿سبع﴾ سنين أُخر ﴿شداد﴾ وهي جمع شديدة، و «الشدّة»: قوّة الالتفاف، و «الشدّة» و «الصلابة» و«الصعوبة» نظائر، وشدّة الزمان وصعوبته بمعنىً، وضدّها: «الرخاوة»[1]. وقيل: «الشدّة» تكون في سبعة أصناف في الأصل: في العقد والمدّ والزمان والغضب والألم والشراب والبدن.

وقوله: ﴿يأكلن ما قدّمتم لهنّ﴾ أضاف الأكل إلى السنين، لأنّها بمنزلة ما يأكل ذلك، لوقوع الأكل فيها كما يكون الأكل في الآكل، قال الشاعر:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم[2]

و «التقديم»: التقريب إلى جهة القدّام، و «التأخير»: التبعيد إلى جهة الخلف، و «الإحصان»: الإحراز، وهو إلقاء الشيء فيما هو كالحصن المنيع، أحصنه إحصاناً: إذا أحرزه.

قوله [تعالى]:

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي بالتاء[3] على الخطاب في ﴿قدّمتم﴾ الباقون بالياء على الرجوع إلى الناس.

وهذا حكاية ما بشّر به يوسف المستفتي له أنّه يأتي بعد هذه السنين الصعبة «سنة»، و «العام»: السنة، مأخوذ من «العوم» لما لأهله فيه من

---

(١) في الحجريّة: «الرخاء» بدل «الرخاوة». (٢) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه لأحد.

(٣) أي: ﴿تعصرون﴾ انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٤٧.

السبح الطويل، وقال الخليل: العام حول يأتي على شتوة وصيفة[١]. والحول والسنة مثل ذلك.

وقوله: ﴿فيه يغاث الناس﴾ فالغوث: النفع الّذي يأتي على شدّة حاجة ينفي المضرّة، و «الغيث»: المطر الّذي يجيء في وقت الحاجة، غاثهم الله يغيثهم غيثاً، وأصابهم غيث، و «الغيث»: الكلأ الّذي ينبت من ماء السماء، وجمعه: غيوث، و «الغياث» أصله من الواو، أغاثه الله إغاثة، وغوّث تغويثاً: إذا قال: واغوثاه من يغيثني، ويقول الواقع في بليّة: أغثني أغاثك الله. و ﴿يغاث﴾ يحتمل أن يكون من الياء، ويحتمل أن يكون من الواو.

﴿وفيه يعصرون﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال ابن عبّاس ومجاهد وقتادة: يعصرون الثمار الّتي تعتصر في الخصب من العنب والزيتون والسمسم. وحكى بعضهم: أنّهم لم يعصروا ـ أربع عشرة سنة ـ زيتاً ولا عنباً، فيكون المعنى: تعصرون للخصب الّذي أتاكم كما كنتم تعصرون في أيّام الخصب.

الثاني: في رواية أُخرى عن ابن عبّاس: تحلبون.

الثالث: قال أبو عبيدة والزجّاج: تنجون نجاء المعتصر بالماء عندالغصص[٢] كما قال عديّ بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصّان بالماء اعتصاري[٣]

(١) كتاب العين: مادّة «عوم».

(٢) مجاز القرآن ١: ٣١٣، معاني القرآن وإعرابه ٣: ١١٤.

(٣) أنشده الزجّاج في معاني القرآن: ٣: ١١٤.

وقال أبو زبيد الطائي[١]:

صادياً يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود[٢]

وأصل العصر: عصر العنب ونحوه من الرطب المستخرج ماؤه، وكذلك ما فيه الدهن ليستخرج دهنه، ومنه: العصارة ما يخرج بالعصر، و«الاعتصار»: شرب الماء قليلاً قليلاً عند الغصص، و «المعصر»: الكاعب لأنّه يجري فيها ماء الشباب، و «المعصرات»: السحائب الّتي تنعصر[٣] بالمطر، و «الإعصار»: ريح تثير السحاب أو الغبار، لأنّه كالمعتصر منها، و«العصرة»: المنجاة كنجاة[٤] الغصّان باعتصار الماء، و «العصرة»: الدنية في النسب، لأنّه كالمعتصر من الرطب. وقرئ: «يُعصَرون» بضمّ الياء وفتح الصاد شاذّاً، ومعناه: يمطرون[٥].

وقال البلخي: وهذا التأويل من يوسف يدلّ على بطلان قول من يقول: إنّ الرؤيا على ما عبّرت أوّلاً، لأنّهم كانوا قالوا: هي أضغاث أحلام، فلو كان ما قالوه صحيحاً لما كان يتأوّلها.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَابَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ البرجمي والشمّوني ﴿النسوة﴾ بضمّ النون، والباقون بكسرها،

---

(١) في الحجريّة: «أبو زيد الطائي».

(٢) من قصيدة يصف فيها أسداً، أنشدها عند الخليفة عثمان. راجع جمهرة أشعار العرب: ٣٣٦.

(٣) في «ح» «تعصر».

(٤) كذا في «ح» وفي غيرها: «كنجا».

(٥) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

وهما لغتان، والكسر أفصح. وفي الكلام حذف، لأنّ تقديره: أنّ الناجي الّذي استفتى يوسف عن تفسير رؤيا الملك حين فسّره له رجع إلى الملك وأخبره به، وعرّفه أنّ ذلك فسّره له يوسف، فقال الملك عند ذلك: ﴿ائتوني به﴾ والكلام دالّ عليه، وذلك من عجائب القرآن، وعظم فصاحته. ومعنى ﴿ائتوني به﴾: جيئوني به ﴿فلمّا جاءه الرسول﴾ يعني: رسول الملك ﴿قال﴾ له يوسف: ﴿ارجع إلى﴾ سيّدك ﴿فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهنّ﴾ وإنّما ردّ الرسول ليبيّن للملك براءته ممّا قرف[1] به، وأنّه حبس بظلم من غير بيّنة ولا اعتراف بذنب، وقال قتادة: طلب العذر.

وقوله: ﴿إنّ ربّي بكيدهنّ عليم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما ـ وهو الصحيح ـ: أنّه أخبر أنّ الله تعالى عالم بكيد النسوة. والثاني: أنّ سيّدي العزيز عليم بكيدهنّ[2]. والأوّل عليه أكثر المفسّرين.

و «الملك»: هو القادر الواسع المقدور الّذي إليه السياسة والتدبير، وكان هذا الملك ملك مصر. ويجوز أن يمكّن الله تعالى الظالم من الظلم، وينهاه عن فعله، ولا يجوز أن يملّكه الظلم، لأنّ ما يملّكه فقد جعله له، وذلك لا يليق بعدله، و «التمليك»: تمكين الحيّ ممّا له أن يتصرّف فيه في حكم الله تعالى بحجّة العقل والسمع، وعلى هذا إذا مكّن الله تعالى من الظلم أو الغصب لا يكون ملكه، لأنّه لم يجعل له التصرّف فيه، بل زجره عنه. قال الرمّاني: يجوز أن يسلب الله تعالى الخلق ما ملّكهم في الدنيا بسوء أفعالهم، كما يسلب نعمهم بكفرهم، وإلّا فهو له، فإن أُخذ بالموت منه

(١) قرف: اتّهم. انظر: لسان العرب: مادّة «قرف».

(٢) نقل الماوردي المعنين من دون نسبة في تفسيره النكت والبيان ٣: ٤٦.

على طريق العارية ثمّ يردّ إليه ويعوّض ممّا فاته بكرمه تعالى. وقيل: إنّ يوسف إنّما قال: ﴿ما بال النسوة﴾ جمع النساء ولم يخصّ امرأة العزيز حسن عِشرة منه[1]. وقال قوم: ذلك يدلّ أنّ كلّ واحدة منهنّ دعته إلى نفسها مثل امرأة العزيز[2].

قوله [تعالى]:

قَالَ مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه حين رجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف جمع النساء وقال لهنّ: ﴿ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه﴾ والخطب: الأمر الّذي يخاطب به صاحبه ممّا يستعظم شأنه، يقال: هذا خطب جليل، وما خطبك: ما شأنك؟

وقوله: ﴿قلن حاش لله﴾ حكاية عمّا أجابته به النسوة، فإنّهنّ قلن للملك على وجه التنزيه ليوسف: ﴿حاش لله﴾ أي: عياذاً بالله، وتنزيهاً من هذا الأمر، كقولك: «معاذ الله». وقد يستثنى به فيقال: أتاني القوم حاشا زيد، بمعنى: إلّا زيداً ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ أي: لم نعلم عليه أمراً قبيحاً ﴿قالت امرأة العزيز﴾ عند ذلك معترفة بخطئها: ﴿الآن حصحص الحقّ﴾ أي: بان الحقّ، يقال: حصحص الأمر، وحصحص الحقّ أي: حصل

---

(١) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ١١٥.

(٢) انظر إلى ما قاله الطبري ذيل تفسير الآية ٣٣ من سورة يوسف.

على أمكن وجوده[١]، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقتادة، وأصله: حصّ، من قولهم: حصّ شعره إذا استأصل قطعة منه، ومنه «الحصّة» أي: القطعة من الشيء، فمعنى ﴿حصحص الحقّ﴾: انقطع عن الباطل بظهوره، ومثله: كبّوا وكبكبوا، وكفّ الدمع وكفكفه، وردّ وردّده، فهو زيادة تضعيف دلّ عليها الاشتقاق، ذكره الزجّاج[٢]. وأصله: من حصحص البعير ثفناته في الأرض إذا برك حتّى يستبين آثارها فيها، قال حميد بن ثور الهذلي[٣]:

وحصحص في صمّ الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثمّ صمّما[٤]

ويقال: انحصّ الوبر عن جنب البعير وانحتّ إذا انحسر. ومعنى ﴿أنا راودته﴾: أنا طالبته بذلك ﴿وإنّه لمن الصادقين﴾ في امتناعه من ذلك.

قوله [تعالى]:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَائِنِينَ﴾ (٥٢) آية بلا خلاف.

اختلفوا فيمن هذا الكلام حكاية عنه، فقال أكثر المفسّرين، كالحسن ومجاهد وقتادة والضحّاك: إنّه من قول يوسف ﴿ذلك﴾ يعني: ذلك الأمر من فعلي من ردّ الرسول ﴿ليعلم﴾ العزيز ﴿أنّي لم أخنه بالغيب﴾ وقطع الحكاية عن المرأة. وجاز ذلك لظهور الكلام الدالّ على ذلك، كما قال: ﴿وكذلك يفعلون﴾[٥] وقبله حكاية عن المرأة: ﴿وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة﴾[٦] وكما قال: ﴿فماذا تأمرون﴾[٧] ومثله حكاية قول الملأ: ﴿يريد

---

(١) كذا في «ح» وفي غيرها: «وجوهه». (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١١٥.
(٣) في الخطّية: «الهلالي» بدل «الهذلي».
(٤) أنشده الجوهري في الصحاح ٥: ١٩٦٩، مادّة «صمم» وفيه: «وفاء بسلمى نوأة» بدل «ورام...»
(٥) النمل: ٣٤. (٦) النمل: ٣٤. (٧) الأعراف: ١١٠، الشعراء: ٣٥.

أن يخرجكم من أرضكم بسحره﴾[١].

وقال الجبّائي والبلخي: إنّه من قول المرأة، والمعنى: أنّ اعترافي على نفسي بذلك ليعلم يوسف أنّي لم أخنه بالغيب، لأنّ العزيز سألها ولم يكن يوسف حاضراً. وكلا الأمرين جائزان، والأوّل أشبه.

و«الخيانة»: مخالفة الحقّ بنقض العهد في السرّ، وضدّ «الخيانة»: «الأمانة» وهي تأدية الحقّ على ما وقع به العقد. والفرق بين «الخيانة» و«الغدر»: أنّ الخيانة تكون على وجه السرّ، والغدر نقض العهد بخلاف الحقّ جهراً. و «الكيد»: الاحتيال في إيصال الضرر إلى صاحبه، كاده يكيده كيداً فهو كائد.

واللام في قوله: ﴿ليعلم﴾ لام «كي» ومعناها: تعليق ما دخلت عليه بالفعل الّذي قبله، بمعنى: أنّه وقع من أجله، وإنّما يتعلّق بذلك بالإرادة.

وقوله: ﴿وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ أي: لا يدعوهم إليها ولا يرغّبهم فيها، وإنّما يفعلونها[٢] بسوء اختيارهم.

قوله [تعالى]:

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ آية بلا خلاف.

هذا إخبار عمّا قال يوسف على وجه التواضع لله: لست أُبرّئ نفسي من السوء، و «التبرئة»: إزالة الشيء عمّا كان لازماً له، لأنّ النفس أمّارة بالسوء أي: تنازع إلى السوء، فلست أُبرّئ نفسي من ذلك وإن كنت لا أُطاوعها فيما نازعت إليه.

---

(١) الشعراء: ٣٥.

(٢) في الخطيّة: يفعلونه.

و «الأمّارة»: الكثيرة الأمر بالشيء، والنفس بهذه المنزلة لكثرة ما تشتهيه وتنازع إليه ممّا يقع الفعل لأجله، وهذا مجاز في الأصل، غير أنّه كثر استعماله في العرف، فيقال: نفسي تأمرني بكذا وتدعوني إلى كذا من جهة شهوتي له، وإلّا فلا يصحّ أن تأمر الإنسانَ نفسُه، لأنّه يقتضي الرتبة، لأنّه قول القائل لمن دونه: «افعل» وذلك لا يصحّ بين الإنسان وبين نفسه. وأكثر المفسّرين على أنّ هذا من قول يوسف، وقال أبو عليّ الجبّائي: هو من كلام المرأة[1].

وقوله: ﴿إلّا ما رحم ربّي﴾ استثناء من الأنفس الّتي يرحمها الله، فلا تدعو إلى القبيح، بأن يفعل معها من الألطاف ما تنصرف عن ذلك.

وقوله: ﴿إنّ ربّي غفور رحيم﴾ تمام الحكاية عن قائل ذلك: أنّه اعترف بأنّ الله تعالى غفور رحيم أي: ساتر عليهم ذنوبهم، رحيم بهم بأن يعفو عنهم ويقبل توبتهم.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ آية بلا خلاف .

هذه السياقة تدلّ على أنّ ما مضى حكاية عن قول المرأة، لأنّ يوسف لم يكن حاضراً ذلك المجلس، وأنّ الملك حين سمع جميع ذلك قال: ﴿ائتوني﴾ بيوسف ﴿أستخلصه لنفسي﴾ فطلب[2] هذا الملك أن يكون يوسف له وحده دون شريك فيه، و «الاستخلاص»: طلب خلوص الشيء

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤٨ من دون نسبة.

(٢) في الحجريّة: وطلب الشيء.

من شائب الاشتراك، وقال ابن إسحاق: كان هذا الملك الوليد بن ريّان.

وقوله: ﴿فلمّا كلّمه﴾ فيه حذف، وتقديره: أنّه لمّا أمر بإحضاره فأُحضر قال له بعد أن كلّمه: ﴿إنّك﴾ يا يوسف ﴿اليوم لدينا مكين أمين﴾ أي: عرفنا أمانتك وثقتك، وأنت على حالة يتمكّن من كان عليها ممّا يريد، يقال: لفلان مكانة عند الملك، وهو مكين عنده، وأصله: التمكّن من الأمر. و «الأمين»: الموثوق به، و «الأمانة»: حالة ثقة يؤمن معها نقض العهد بالقبح[١] وذلك كالعقد في الوديعة، والعقد[٢] في التخلية، والعقد في الدين، والعقد في القيام بالحقّ.

قوله [تعالى]:

قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف.

وهذا حكاية ما قال يوسف ـ حين قال له الملك: إنّك اليوم لدينا مكين أمين: ـ ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ يعني: أرضك، والألف واللام يعاقبان حرف الكناية، وأراد بذلك الأرض الّتي هي ملكه ويجمع فيها ماله وطعامه، طلب إليه ليحفظ ذلك عمّن لا يستحقّه، ويوصله إلى الوجوه الّتي يجب صرف الأموال لها، فلذلك رغب إلى الملك فيه، لأنّ الأنبياء لا يجوز أن يرغبوا في جمع[٣] أموال الدنيا إلّا لما قلناه.

وقوله: ﴿إنّي حفيظ عليم﴾ معناه: حافظ للمال عمّن لا يستحقّه، عليم بالوجوه الّتي يجب صرفها إليه.

---

(١) كذا في «ح»، وفي الحجريّة: «بالفتح»، والكلمة غير واضحة في «م».

(٢) في الحجريّة: «الفعلة» وفي ظاهر «م»: العقلة.

(٣) في «ح» والحجريّة: «جميع».

وفي الآية دلالة على جواز تقلّد الأمر من قبل السلطان الجائر إذا تمكّن معه من إيصال الحقّ إلى مستحقّه.

قوله [تعالى]:

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَانُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ﴿نشاء﴾ بالنون ابن كثير وحده، الباقون بالياء.

من قرأ بالنون فعلى معنى: أنّ يوسف يتبوّأ من الأرض حيث يشاء الله، وطابق بينه وبين قوله: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ ويكون على أحد معنيين:

أحدهما: أن تكون المشيئة أُسندت إليه وهي ليوسف، لمّا كانت بأمره وإرادته، كما قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى﴾[1] فأضاف الرمي إلى الله لمّا كان بقدرته وإرادته.

الثاني: أن يكون الموضع المتبوّأ موضع نسك وعبادة، أو موضعاً يقام فيه الحقّ من أمر بمعروف أو نهي عن منكر. ويقوّي النون قوله: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ ومن قرأ بالياء حمله على أنّه يتبوّأ يوسف حيث يشاء هو نفسه.

أخبر الله تعالى: أنّه كما لطف ليوسف حين أخرجه من السجن وخلّصه من المهالك، كذلك مكّنه من التصرّف والمقام في الأرض حيث يشاء كيف يشاء، وقال الجبّائي: كان هذا التمكّن ليوسف ثواباً من الله على طاعته وإحسانه قدّم منه في الدنيا[2]. وقال غيره: ليس في ذلك دلالة على

---

(١) الأنفال: ١٧.

(٢) في الحجريّة: «وإحسانه الّذي تقدّم».

أنّه ثواب، ويجوز أن يكون تفضّلاً عليه بذلك من غير أن ينقص من ثوابه شيء[(١)]. و «التمكين»: الإقدار بما يتسهّل به الفعل من رفع الموانع وإيجاد الآلات والألطاف وغير ذلك ممّا يحتاج إليه في الفعل. و «التبوّء»: هو اتّخاذ منزل يرجع إليه، وأصله: الرجوع، من: ﴿باءوا بغضب من الله﴾[(٢)] قال الشاعر:

فإن تكن القتلى بواء فإنّكم فتى ماقتلتم آل عوف بن عامر[(٣)]

أي: يرجع بدم بعضها على بعض، فإنّ هذا المقتول لا كفاء لدمه.

وقوله: ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ إخبار منه تعالى أنّه يفعل رحمته بمن يشاء من عباده على وجه التفضّل عليهم والإحسان إليهم، وأنّه لا يضيع أجر الّذين يحسنون أفعالهم ويفعلون ما أمرهم الله به على وجهه، بل يثيبهم على ذلك.

و «الإحسان» على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يحسن إلى غيره، فذلك إنعام. وثانيها: أن يحسن إلى نفسه بأن ينفعها نفعاً حسناً. وثالثها: أن يفعل نفعاً حسناً مبهماً لا يضيفه إلى نفسه ولا إلى غيره.

واللام في قوله: ﴿مكّنّا ليوسف﴾ يحتمل أن يكون مثل قوله: ﴿ردف لكم﴾[(٤)] و ﴿للرؤيا تعبرون﴾[(٥)] بدلالة قوله: ﴿مكّنّاهم فيما إن مكّنّاكم فيه﴾[(٦)] وقوله: ﴿مكّنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم﴾[(٧)]. و ﴿يتبوّأ﴾ في موضع نصب على الحال.

---

(١) النكت والعيون ٣: ٥٣. (٢) آل عمران: ١١٢.

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «بوأ» ونسبه إلى ليلى الأخيلية، قالته في مقتل توبة.

(٤) النمل: ٧٢. (٥) الآية: ٤٣ المتقدّمة. (٦) الأحقاف: ٢٦. (٧) الأنعام: ٦.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ الثواب الّذي يثيب الله به الّذين يؤمنون به ويتّقون معاصيه في الآخرة ـ وهي النشأة الثانية، فإنّ الدنيا هي النشأة الأُولى ـ خير وأعظم نفعاً من منافع الدنيا الّتي ينالها الكفّار.

وقال أبو عليّ الجبّائي: أجر الآخرة خير من ثواب الدنيا، لأنّ ما تقدّم في الآية الأُولى يقتضيه.

قوله [تعالى]:

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٨﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن إخوة يوسف الّذين كانوا ألقوه في الجبّ وباعوه بثمن بخس: أنّهم جاؤوه ودخلوا عليه، فعرفهم يوسف ولم يشكّ فيهم، ولم يعرفه إخوته بل كانوا جاهلين بحاله منكرين له، وكان سبب مجيئهم إليه مجيء سني القحط الّتي كان ذكرها يوسف في تعبير الرؤيا، فجاءوا يمتارون من مصر[1] كما جاء غيرهم من الناس، في قول السدّي وابن إسحاق وغيرهما.

وليس لأحد أن يقول: كيف يجوز مع كمال العقل أن يعرفهم يوسف، وهم يجهلونه مع أنّه نشأ معهم؟ وذلك أنّ عنه جوابين:

أحدهما: قال الجبّائي: إنّهم فارقوه وهو صبيّ أمرد، فجاؤوه وقد التحى وكبر وتغيّرت حاله فلم يعرفوه. وقال[2] البلخي: إنّ ذلك ممّا خرق الله تعالى فيه العادة لنبيّه عليه السلام.

---

(١) في الحجريّة: العبارة هكذا: «فجاءوا إلى مصر يمتارون».

(٢) وهذا هو القول الثاني.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ يوسف لمّا أمر بتجهيز إخوته فجهّزهم، و «الجهاز»: فاخر المتاع الّذي يحمل من بلد إلى بلد، ومنه قولهم: فلان مجهّز[(١)] ومنه: جهاز المرأة ﴿قال﴾ لهم: جيئوني ﴿بأخ لكم من أبيكم﴾ وإنّما قال ذلك لأنّه كان أخا يوسف لأبيه وأُمّه وهو بنيامين[(٢)] في قول قتادة وغيره كان أخاهم لأبيهم خاصّة.

وقوله: ﴿ألا ترون أنّي أُوفي الكيل﴾ خطاب من يوسف لإخوته، فقال: أليس قد عرفتم عدلي وإيفائي الكيل من غير بخس، و «الوفاء»: تمام الأمر على ما يوجبه الحقّ، ويكون ذلك في الكيل، وفي الورق[(٣)]، وفي الذرع، وفي العدّ، وفي العقد. و «الكيل»: مصدر كال يكيل، وهو فضل المكتال عليه[(٤)]. و «المكيال»: مقدار يفصل عليه ما يطرح فيه.

وقوله: ﴿وأنا خير المنزلين﴾ فيه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: خير المضيفين. والثاني: خير المنزلين في سعر الطعام. و «المنزل»: واضع الشيء في منزله، وقد يكون للشيء منزلتان:

---

(١) كذا في المخطوطين، وفي الحجريّة: «يجهز».

(٢) وردت هذه الكلمة في «ح» هكذا «ابن يامين» هنا وفي المواضع الآتية، قال السمر قندي في تفسيره «بحرالعلوم»: «يقال ان امه راحيل قد ماتت في ولادة بنيامين، وكذلك سمي بنيامين، واليامين: وجع الولادة بلسانهم» تفسير السمر قندي ٢: ٢١٩. بيروت، ١٤١٦ هـ= ١٩٩٦ م.

(٣) كذا في «ح» ظاهراً، وفي «م» والحجرية: «الوزن».

(٤) في الحجريّة: «فصل المكيال بملئه».

إحداهما أولى من الأُخرى، فمن وضعها في الأولى فهو خير المنزلين كسعر الطعام الّذي يضعه في أولى منزلتيه[١].

قوله [تعالى]:

فَإِنْ لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ آية بلا خلاف.

ثمّ قال يوسف لإخوته ـ بعد أن قال لهم: ﴿ائتوني بأخ لكم من أبيكم﴾ ـ: متى ما لم تفعلوا ما أمرتكم به من إتيانكم بأخيكم فإنّي لا أكيل لكم الطعام ولا أُبايعكم، ومع هذا فلا تقربون يعني: لا تجيئوني، والّذي اقتضى طلبه الأخ من أبيهم أنّه فاوضهم وساءلهم عن أخبارهم وأحوالهم وأخبار أهلهم، كما يتساءل الناس عن مثل ذلك، ودلّ الكلام على ذلك، وهو من عجيب فصاحة القرآن. وإنّما استجاز أن يطلب أخاهم ولا معاملة بينه وبينه[٢] لأنّهم لمّا ذكروا أنّ أباهم آثره عليهم بالمحبّة مع حكمته وفضله، أحبّ أن يراه وتطلّعت نفسه إلى أن يعلم السبب فيما يقتضي هذه الحال. وإنّما أخفاهم أمره ولم يطلعهم على ما أنعم الله عليه، لأنّه خاف أن يكتموا أباه أمره لما تقدّم لهم فيه، وأحبّ أن يجري تدبيره على تدريج، لئلّا يهجم عليه ما يشتدّ معه اضطرابهم.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَـٰعِلُونَ ۝٦١ آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به إخوة يوسف ليوسف حين حثّهم على الإتيان بأخيهم بأنّهم ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ ونحن نفعل ذلك، و «المراودة»: المطالبة، من قولهم: راد يرود فهو رائد، أي: طلب، وفلان يرتاد موضعاً

---

(١) كذا في «ح»، وفي «م» والحجرية: «منزلته».

(٢) في الحجريّة: «بينهم» بدل «بينه».

أي: يطلبه، وفي المثل: «الرائد لا يكذب أهله» ومنه: «الإرادة» وهي طلب الفعل بما هو كالسبب له، لأنّ الداعي إلى الفعل داع إلى إرادته، لأنّ باجتماع الأمرين يقع الفعل من عالم قادر، و «الفاعل»: من جعل الشيء موجوداً بعد أن كان معدوماً، وكلّ فاعل جاعل، وليس كلّ جاعل فاعلاً، لأنّه قد يكون جاعلاً على صفة، كالجاعل للجسم متحرّكاً.

قال الرمّاني: الفرق بين «العامل» و «الفاعل»: أنّ العامل للشيء قد يكون المغيّر له، بايجاد غيره[١] والفاعل لا يكون إلّا الموجد له، والفرق بين «العامل» و «الجاعل»: أنّ العامل لا يكون إلّا مغيّراً له، وقد يكون الجاعل غير مغيّر له، لأنّه يجعله على صفة بحكمه فيه كالّذي يجعله كافراً بحكمه أنّه كافر.

وقال ابن إسحاق: الّذي وعدوا بفعله الاجتهاد في المصير بأخيهم إليه، لأنّهم جوّزوا[٢] أن لا يجيبهم أبوهم إلى الإرسال به معهم. وقال أبو عليّ: وعدوه بأن يصيروا به إليه إن أرسله أبوه معهم، فالعِدَة به كانت واقعة بشرط.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنْقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر: ﴿لفتيانه﴾ الباقون: ﴿لِفتْيَتِه﴾. قال أبو الحسن: كلام العرب: قل لفتيانك، وما فعل فتيانك؟ وإن كانوا أيضاً في أدنى العدد إلّا أن يقولوا: ثلاثة وأربعة.

---

(١) في «م» زيادة «له» هنا، ولم ترد عبارة: «بايجاد غيره له» في الحجرية.

(٢) في «ح»: «خافوا».

أخبر الله تعالى عن يوسف أنّه أمر فتيانه بأن يجعلوا بضاعتهم في رحالهم، و «الفتى» الشابّ القويّ، وجمعه: فتية وفتيان. وقال قتادة: كانوا غلمانه. وقال غيره: كانوا مماليكه[1]. و «البضاعة»: قطعة من المال الّتي للتجارة. و «الرحال» جمع «رحل» وهو الشيء المعدّ للرحيل من وعاء المتاع أو مركب من مراكب الجمّال، وجمعه في القليل: «أرحُل» وفي الكثير «رحال». وإنّما جعل بضاعتهم في رحالهم ليقوّي دواعيهم في الرجوع إليه إذا رأوا من إكرامه إيّاهم وردّ بضاعتهم إليهم مع جدوب الزمان وشدّته، ويجوز أن يكون جعلها في رحالهم ليرجعوا إليه متعرّفين عن سبب ردّها. وقال قوم: معناه: ليعلموا أنّي لست أطلب أخاهم للرغبة في مالهم[2].

وقوله: ﴿لعلّهم يعرفونها﴾ معناه: لكي يعرفونها، وإنّما قال: «لعلّ» لأنّه جوّز أن تشتبه عليهم فيشكّوا فيه ﴿إذا انقلبوا﴾ أي: إذا رجعوا إلى أهليهم ﴿لعلّهم يرجعون﴾ أي: لكي يرجعوا، واللام لام الغرض، وإنّما أتى بـ «لعلّ» لأنّه جوّز أن لا يعودوا.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ آية بلا خلاف .

قرأ: ﴿يكتل﴾ بالياء حمزة والكسائي، الباقون بالنون.

من قرأ بالياء ردّ الكناية إلى أخي[3] يوسف[4] ومن قرأ بالنون ردّه

---

(١) ذكره الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١١٧. (٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٥٦.

(٣) لم ترد: «أخي» في «م» والحجريّة.

(٤) كذا، وفي مجمع البيان: «ومن قرأ بالياء فالمعنى: يأخذ أخونا بنيامين وقر بعير يكتال له».

إلى جماعتهم لقوله: ﴿ونمير أهلنا﴾.

حكى الله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم حين رجعوا إلى أبيهم وحصلوا معه ﴿قالوا﴾ له: ﴿يا أبانا﴾ منعنا الكيل ﴿فأرسل معنا أخانا﴾ أي: ابعثه معنا نكتل ونحن نحفظه ونحتاط عليه، و «الاكتيال»: هو الكيل للنفس، وهو افتعال من «الكيل».

وإنّما قال: ﴿منع منّا الكيل﴾ وهو قد كال لهم، لأنّ المعنى: منع منّا الكيل إن لم نأت بأخينا، لقوله: ﴿فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾ وهو قول الحسن والزجّاج[١] والجبّائي، وهو الصحيح. وقال قوم: معناه: أنّه لمّا كال لهم كال لكلّ واحد كيل بعير ومنعهم تمام الكيل الّذي أرادوه.

قوله [تعالى]:

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر ﴿حافظاً﴾ على وزن فاعل، الباقون: ﴿حفظاً﴾ على المصدر.

وهذا حكاية ما قال يعقوب لولده حين قالوا له: ﴿أرسل معنا أخانا﴾ فإنّه قال لهم: ﴿هل آمنكم عليه﴾ و «الأمن»: اطمئنان القلب إلى سلامة الأمر، يقال: أمنه يأمنه أمناً، وائتمنه يأتمنه ائتماناً، ومنه قوله: ﴿فليؤدّ الّذي اؤتمن أمانته﴾[٢].

ثمّ أخبر [تعالى] فقال: ﴿فالله خير حافظاً﴾ فمن قال على لفظ الفاعل نصبه على الحال، ويحتمل أن يكون نصبه على التمييز ولم ينصبه على

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٥٧.
(٢) البقرة: ٢٨٣.

الحال، والحال يدلّ على أنّه تعالى الحافظ، والتمييز يرجع إلى من يحفظ بأمره من الملائكة، وكلا الوجهين أجازهما الزجّاج[١].

ومن قرأ على المصدر نصبه على التمييز لا غير، ولو قرئ: «خير حافظ» على الإضافة لدلّ على أنّ الموصوف حافظ، وليس كذلك التمييز، وحقيقة خير من كذا أنّه أنفع منه على الإطلاق، وأنّه لا شيء أنفع منه. قال أبو عليّ الفارسي: وجه قراءة من قرأ ﴿حفظاً﴾ بغير ألف: أنّه قد ثبت من قولهم: ﴿ونحفظ أخانا﴾[٢] وقولهم: ﴿وإنّا له لحافظون﴾[٣] أنّهم أضافوا إلى أنفسهم حفظاً، فالمعنى: على الحفظ الّذي نسبوه إلى أنفسهم، وإن كان منهم تفريط في حفظ يوسف، كما قال: ﴿أين شركائي﴾[٤] ولم يثبت لله شريك، ولكن على معنى الشركاء الّذين نسبتموهم إليّ، فكذلك المعنى: على الحفظ الّذي نسبوه إلى أنفسهم، والمعنى: الله خير حفظاً من حفظكم الّذي نسبتموه إلى أنفسكم. ومن قرأ: ﴿حافظاً﴾ فعلى التمييز دون الحال[٥].

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف أنّهم ﴿لمّا فتحوا متاعهم﴾ و«المتاع»: مبيع التجّار ممّا يصلح للإستمتاع، فالطعام متاع، والبزّ[٦]

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١١٨.
(٢) يوسف: ٦٥.
(٣) يوسف: ٦٣.
(٤) النحل: ٢٧، القصص: ٦٢ و٧٤.
(٥) الحجّة للقرّاء السبعة: ٢: ٤٥٥.
(٦) في الخطيّة: البرّ.

متاع، وأثاث البيت متاع، والمراد به هاهنا: أوعية الطعام ﴿وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم﴾ أي: أصابوا بضاعتهم الّتي كانوا وزنوها لشراء الطعام قد جعلت في وسط أمتعتهم، فلمّا رأوا ذلك ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قول قتادة: ما نطلب؟ على وجه الإستفهام. والثاني: قال الجبّائي: ما نبغي فيما أخبرناك به عن ملك مصر بالكذب، ودليله أنّ هذه بضاعتنا ردّت إلينا. وأجاز الفرّاء والزجّاج كلا الوجهين[١].

وقولهم: ﴿ونمير أهلنا﴾ أي: نجلب لهم الميرة، و «الميرة» الأطعمة الّتي تحمل من بلد إلى بلد، يقال: ماره يميره ميراً إذا حمل له الطعام إلى بلده، قال الشاعر:

بعثتك مائراً فمكثت حولاً متى يأتي غياثك من تغيث[٢]

وقوله: ﴿ونزداد كيل بعير﴾ أي: يعطينا فضل كيل بعير لمكان أخينا ﴿ذلك كيل يسير﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الجبّائي: إنّ ذلك كيل قليل لا يكفينا، نحتاج أن نضيف إليه كيل بعير أخينا. الثاني: قال الحسن: إنّ ذلك متيسّر على من يكيل لنا. و«اليسر»: إتيان الخير بغير مشقّة، وضدّه: «العسر»، وكذلك «اليسير» و«العسير».

قوله [تعالى]:

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) راجع معاني القرآن للفرّاء ٢: ٤٩، ومعاني القرآن: للزجّاج ٣: ١١٨.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

هذه حكاية ما قال يعقوب لبنيه حين سألوه إنفاذ أخيهم معهم، وأنّ بضاعتهم ردّت إليهم، وأنّه إن أنفذه معهم ازدادوا كيل بعير: إنّي لست أرسله معكم حتّى تؤتون موثقاً من الله، ومعناه: حتّى تحلفوا لي بالله لتجيؤني به. و «الإيتاء»: الإعطاء، آتاه يؤتيه إيتاءً، والإتيان به: المجيء به، و «الموثق»: العقد المؤكّد بالقسم، وإنّما قال: ﴿موثقاً من الله﴾ وإنّما هو موثق من أنفسهم، لأنّ المعنى: موثقاً من جهة إشهاد الله أو القَسَم بالله. فأمّا على أنفسهم فهو العقد عليها بما لا يجوز حلّه لها.

وقوله: ﴿إلّا أن يحاط بكم﴾ موضع «أن» نصب بأنّه مفعول له، وتقديره: إلّا لأحاطة بكم، كما يقول القائل: ما تأتيني إلّا لأخذ الدراهم، وما تأتيني إلّا أن تأخذ الدراهم، ذكره الزجّاج[1]. و «الإحاطة» أصله: ضرب السور حول الشيء، ومنه قيل: يعلمه علم إحاطة أي: على التحديد، والمعنى هاهنا: إلّا أن يحال بينكم وبينه.

وقوله: ﴿فلمّا آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل﴾ معناه: أنّهم لمّا أجابوه إلى اليمين وحلفوا له وأشهدوا على أنفسهم بذلك قال يعقوب: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾ أي: حافظ وقيّم به، و «الوكيل»: القيّم بالتدبير والقائم بالقسط فهو العدل في حكمه.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

آية بلا خلاف .

---

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه ٣: ١١٩.

حكى الله تعالى عن يعقوب: أنّه قال لبنيه حين أنفذ أخاهم معهم: ﴿يا بنيّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرّقة﴾ وقيل في سبب قوله ذلك قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس وقتادة والضحّاك والسدّي والحسن: إنّه خاف عليهم العين، لأنّهم كانوا ذوي صور حسنة وجمال وهيبة(١).

وقال الجبّائي: إنّه خاف عليهم حسد الناس لهم، وأن يبلغ الملك قوّتهم وشدّة بطشهم فيقتلهم خوفاً على ملكه، وأنكر العين وقال: لم يثبت بحجّة، وإنّما هو شيء يقوله الجهّال العامّة.

والّذي قاله غير صحيح في أمر العين، بل غير منكر أن يكون ما قال المفسّرون صحيحاً، وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «العين حقّ»(٢) وأنّه عوّذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال في عوذته: «وأُعيذكما من كلّ عين لامّة»(٣) وقد رويت فيه أخبار كثيرة، وقد جرت العادة به، وأجازه البلخي والرمّاني وأكثر المفسّرين، وليس يمتنع أن يكون الله تعالى أجرى العادة لضرب من المصلحة أنّه متى ما نظر إنسان إلى غيره على وجه مخصوص اقتضت المصلحة إهلاكه أو إمراضه أو إتلاف ماله، فالمنع من ذلك لا وجه له.

وقوله: ﴿وما أُغني عنكم من الله من شيء﴾ اعتراف منه بأنّه لا يملك الأمر، ولا يغني عمّن يريده الله بسوء، و«الغنى» ضدّ «الحاجة».

---

(١) في «ح»: «وهيئة».

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٤: ١٧١٩ ح ٢١٨٧ و٢١٨٨ عن ابن عبّاس وأبي هريرة.

(٣) رواه أبو داود في السنن ٤: ٢٣٥ ح ٤٧٣٧، والترمذي في السنن ٤: ٣٩٦ ح ٢٠٦٠ كلاهما عن ابن عبّاس.

وقوله: ﴿إن الحكم إلّا لله﴾ أي: ليس الفصل بين الأُمور على ما تقتضيه الحكمة إلّا لله.

وقوله: ﴿عليه توكّلت﴾ أي: فوّضت أمري إلى الله يدبّره كيف يشاء، والتوكّل من صفات المؤمنين.

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّاكَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّ إخوة يوسف لمّا وردوا عليه ودخلوا إليه[١] من أبواب متفرّقة حسب ما أمرهم به أبوهم ورغّبهم فيه، لم يكن يعقوب يغني عنهم من الله شيئاً ﴿إلّا حاجةً في نفس يعقوب قضاها﴾ من خوف العين عليهم أو الحسد على اختلاف القولين، و ﴿إلّا﴾ بمعنى «لكن» لأنّ ما بعدها ليس من جنس ما قبلها.

وقوله: ﴿وإنّه لذو علم لما علّمناه﴾ إخبار من الله تعالى أنّ يعقوب عالم بما علّمه الله، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه لما ذكره الله من وصفه بالعلم ترغيباً فيه[٢].

والآخر: أنّه ليس ممّن يعمل على جهل، بل على علم[٣] براءة له من الأمر لولده بما لا يجوز له ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك من حاله

---

(١) في الحجريّة: عليه.

(٢) كذا في النسخ، والعبارة في المطبوعة هكذا: «أنّ ما ذكره الله من وصفه بالعلم كان ترغيباً فيه».

(٣) انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ٥٠.

كما علّمه الله.

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف: أنّهم لمّا دخلوا على يوسف آوى يوسف أخاه إليه، و «الإيواء» : ضمّ المحبوب وتصييره إلى موضع الراحة، ومنه: «المأوى» المنزل الّذي يأوي إليه صاحبه للراحة فيه، وقال الحسن وقتادة: ضمّه إليه وأنزله معه.

وقد اجتمعت في «آوى» حروف العلّة كلّها: الألف والواو والياء، والعلّة في ذلك أنّ الهمزة بمنزلة الحرف الصحيح، لأنّها ليست حرف مدّ ولين، فجاز ذلك على قلّة[1] لهذه العلّة.

و ﴿قال﴾ له حين آواه إلى نفسه: ﴿إنّي أنا أخوك﴾ يوسف ﴿فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾ وإنّما قال له ذلك لأنّه وإن كان علم أنّ له أخاً من أبيه وأُمّه [إلّا أنّه][2] لم يعلم أنّه هذا. و «الابتئاس» و «الاكتئاب» و«الاغتمام» نظائر، ومعناه: اجتلاب البؤس بالحزن.

وإنّما جاز أن يأخذه بالصواع مع تعريفه أنّه أخوه لأمرين:

أحدهما: أنّه كان بمواطاة منه له. والثاني: قال وهب بن منبه: إنّه أراد: أنا أخوك مكان أخيك الّذي هلك. والأوّل أصحّ.

---

(١) في «ح»: «قلّته». في الحجريّة والمطبوعة: قلبه.

(٢) من الحجريّة.

قوله [تعالى]:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّ يوسف لمّا جهّز إخوته ﴿بجهازهم﴾ يعني: الطعام الّذي اشتروه ليحملوه إلى بلدهم، ومنه: جهاز المرأة ﴿جعل السقاية في رحل أخيه﴾ والسقاية المراد بها هاهنا: صواع الملك الّذي كان يشرب فيه، وقيل: كان من فضّة. وقال ابن زيد: كان كأساً من ذهب، وقيل: إنّه صُيِّرَ مكيالاً للطعام. والسقاية في الأصل: الإناء الّذي يسقى فيه، و«الرحل»: آلة السفر من وعاء أو مركب، والمراد هاهنا: وعاء أخيه الّذي يحمل فيه طعامه.

وقوله: ﴿ثمّ أذّن مؤذّن﴾ أي: نادى مناد، و «الإيذان» الإعلام بقول يسمع بالأُذن. ومثله: الأذان. و «الإذن»: الإطلاق في الفعل بقول يسمع بالأُذن، و «العير»: قافلة الحمير في قول مجاهد، وقيل: هي القافلة الّتي فيها الأحمال[١]. والأصل: الحمير، إلّا أنّه كثر حتّى تسمّى كلّ قافلة محمّلة عيراً تشبيهاً.

وقوله: ﴿إنّكم لسارقون﴾ فالسرقة: أخذ الشيء من حرز في خفا بغير حقّ، إلّا أنّ الشرع قدّر أنّه لا يتعلّق بها القطع إلّا إذا سرق مقداراً معيّناً على خلاف بين الفقهاء، فعندنا[٢] هو ما قدره ربع دينار، وعند

---

(١) انظر الغريبين ٤: ١٣٤٨، مادة «عير».

(٢) وإليه ذهب جمع كبير من الصحابة، ومن الفقهاء: الأوزاعي وإسحاق وأحمد وهو مذهب الشافعي. راجع المجموع ٢٠: ٧٩ ـ ٨٠، ومغني المحتاج ٤: ١٥٨، والسراج الوهّاج: ٥٢٥.

قوم[١] عشرة دراهم، وعند آخرين[٢] ثلاثة دراهم.

وقيل في وجه ندائهم بالسرقة ـ مع أنّهم لم يسرقوا شيئاً ـ قولان:

أحدهما: أنّ ذلك من قول أصحابه، ولم يأمرهم يوسف بذلك ولا علم، وإنّما كان أمر بجعل السقاية في رحل أخيه على ما أمره الله تعالى، فلمّا فقدها الموكّلون بها اتّهموهم بسرقتها، وهو اختيار الجبّائي.

والثاني: أنّهم نادوهم على ظاهر الحال فيما يتغلّب على ظنونهم، ولم يكن يوسف أمر به وإن علم أنّهم سيفعلونه.

وقال قوم قولاً ثالثاً: إنّ معناه: أنّكم سرقتم يوسف من أبيه حين طرحتموه في الجبّ[٣].

وقال آخرون: إنّ ذلك خرج مخرج الاستفهام، وليس في جعل السقاية في رحل أخيه تعريضاً لأخيه بأنّه سارق، لأنّه إذا كان ذلك يحتمل السرقة، ويحتمل الحيلة فيه حتّى يمسكه عنده، فلا ينبغي أن يسبق أحد إلى اعتقاد السرقة فيه، وليس في ذلك إدخال الغمّ على أخيه، لأنّا بيّنّا أنّه كان أعلمه إيّاه وواطاه عليه ليتمكّن من إمساكه عنده على ما أمره الله تعالى به.

والنداء وإن كان للعير فالمراد به أهل العير، كما قال: ﴿واسأل القرية﴾[٤] وإنّما أراد: أهلها.

---

(١) منهم أبو حنيفة وأصحابه. راجع المبسوط للسرخسي ٩: ١٣٨.

(٢) منهم مالك. راجع الموطّأ ٢: ٨٣٣.

(٣) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٤: ١٩٨ عن الزجّاج.

(٤) الآية: ٨٢ الآتية.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ آية بلا خلاف[١].

حكى الله تعالى عن أهل العير أنّهم حين سمعوا نداءهم بأنّكم سارقون أقبلوا عليهم وقالوا: أيّ شيء فقدتموه؟ فقال لهم أصحاب يوسف: إنّا فقدنا صواع الملك، ومن جاء به وردّه فله حمل بعير من الطعام. و «الإقبال»: مجيء الشيء إلى جهة المقابلة بوجهه، وضدّه: الإدبار، ومثله: «التوجّه» و «التحاذي». و «الفقد»: غيبة الشيء عن الحسّ بحيث لا يُدرى أين هو، والفاقد من الوحش: هي الّتي تغيّب ولدها عنها، قال الشاعر:

بكاء ثكلى فقدت حميماً فهي ترثي بأبي وابني ما[٢]

و «الصواع»: مكيال الطعام، وكان هذا الصواع كأساً للملك يشرب فيه، وجمعه: صيعان وأصواع، وقال ابن عبّاس: كان من فضّة. و «الحمل» بالكسر: على الظهر، وبفتح الحاء: في البطن، وجمعه: أحمال وحمول. و «البعير»: الجمل، وجمعه: بعران وأبعرة.

وقوله: ﴿وأنا به زعيم﴾ أي: كفيل به وضمين له وقابل، قال الشاعر:

فلست بآمن فيها بسلم ولكنّي على نفسي زعيم[٣]

---

(١) كذا.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «بني» وفيه عجزه: «فهي ترنّى بأبا وابنا ما».

(٣) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١٥ ونسبه إلى المؤسّي الأزدي، وفيه: «بآمر» وفي الحجريّة وفي مخطوطة: «زعيماً».

وإنّما قال: ﴿وأنا به زعيم﴾ وقبله ذكر جمع[1] لأنّ زعيم القوم متكلّم عنهم، فكأنّه قد كلّم بذلك جميعهم[2] قالت ليلى الأخيلية:

حتّى إذا برزوا اللواء رأيته
تحت اللواء على الخميس زعيماً[3]

وذلك أنّه زعيم القوم لرئاسته، زعم زعامة وزعاماً إذا صار رئيساً، قال أبو عليّ: أصله: القول.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّاجِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَاكُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به أهل العير لمّا سمعوا النداء، وما يدلّ على ردّ الصواع أنّهم أقسموا بالله أنّا لم نجئ للإفساد في الأرض وأنّا لم نكن سارقين. و «الفساد»: اضطراب التدبير على وجه قبيح، ونقيضه: «الصلاح» ويقال: فسد الشيء إذا تغيّر إلى حال تضرّ، كفساد الطعام وغيره من الأمور.

وقوله: ﴿تالله﴾ التاء بدل من بدل، لأنّها بدل من الواو، والواو بدل من الباء، فضعفت عن التصرّف، فاختصّت بدخولها على اسم الله لا غير، دون غيره من الأسماء، لأنّه لا يقال: «تالرحمن» ودخلت التاء في «تالله» على وجه التعجّب، لأنّها لمّا كانت نادرة في حروف القَسَم جعلت للنادر من المعاني والنادر من المعاني يُتعجّب منه.

---

(١) في الحجريّة: جميع.
(٢) في الخطيّة: فكلّم بذلك جمعهم.
(٣) أنشده الطبري ذيل الآية.

وإنّما قالوا: ﴿تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ مع أنّهم لم يعلموا ذلك لأمرين:

أحدهما: لما رأوا من صحّة معاملتهم وشدّة توقّيهم لما لا يجوز لهم ممّا ينبئ عن مقاصدهم.

الثاني: قيل: لأنّهم ردّوا البضاعة الّتي وجدوها في رحالهم ظنّاً منهم أنّ ذلك عن سهو، وهذا لا يليق بحال السرّاق من الناس. وضعّف البلخي هذا الوجه وقال: كيف يكون ذلك وهم لمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم أظهروا السرور به والفرح، وقالوا: ما نبغي هذه بضاعتنا ردّت إلينا؟ فكيف يردّونها مع ذلك؟!

قوله [تعالى]:

قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ آيتان بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن أصحاب يوسف: أنّهم ﴿قالوا﴾ لأهل العير لمّا سمعوا جحودهم الصواع، وأنكروا أن يكونوا سارقين: ﴿فما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾ في جحودكم وإنكاركم، وقامت البيّنة على أنّكم سرقتموه؟ وما الّذي يستحقّ أن يُفعل بمن سرق؟ فأجابهم أهل العير، و﴿قالوا من﴾ أُدرك عنده الصواع و ﴿وجد في رحله﴾ جزاؤه: أخذ من وجد في رحله رقّاً ﴿فهو جزاؤه﴾ عندنا كجزائه عندكم، لأنّه كان من عادتهم أن يسترقّوا السارق، في قول الحسن ومعمّر والسدّي وابن إسحاق. وفيه تقديران في الإعراب:

أحدهما: جزاؤه استرقاق من وجد في رحله، فهذا الجزاء جزاؤه، كما

تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه، لتمكين البيان الأخير.

الثاني: جزاؤه من وجد في رحله فالسارق جزاؤه، فيكون مبتدأً ثانياً، والفاءجوابالجزاء، والجملة خبر ﴿من﴾. و﴿من﴾ هاهنا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى «الّذي» وتقديره: جزاؤه الّذي وجد في رحله مسترقّاً. والآخر: بمعنى الشرط، كأنّه قال: جزاء السرق إن وجد في رحل إنسان منّا، فالموجود في رحله جزاؤه استرقاقاً.

وقوله: ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ إخبار منهم بأنّ ذلك عادتهم في مجازاة كلّ ظالم.

وقد قيل في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: أن يكونوا في ذلك على شرعٍ لنبيّ من أنبياء الله.

والآخر: أن يكون ذلك على عادة الملوك في أهل الجنايات لمصالح العباد، لا على حقيقة الجزاء الّذي يعمل بأمر الله، بدلالة قوله فيما بعد: ﴿ماكان ليأخذ أخاه فيدين الملك﴾ فأضافالجزاء إلىدين الملك دونالله.

قوله [تعالى]:

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَاكَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب: ﴿يرفع درجات من يشاء﴾ بالياء فيهما على وجه الكناية على الله، الباقون بالنون فيهما على وجه الإخبار منه تعالى عن نفسه. ونوّن التاء من ﴿درجات﴾ أهل الكوفة، الباقون على الإضافة.

أخبر الله تعالى أنّ يوسف أمر أصحابه بأن يفتّشوا أوعيتهم

ورحالاتهم، وأن يبدأوا بأوعية الجماعة قبل وعاء أخيه ليكون أبعد من التُهمة، فلمّا لم يجدوا فيها شيئاً أمر حينئذٍ باستخراجها من وعاء أخيه.

ثمّ أخبر تعالى أنّه كاد ليوسف، و «الكيد»: التعريض للغيظ، وكان التدبير على إخوة يوسف حتّى أخذ منهم أخوهم بما يوجبه حكمهم هو كالتعريض للغيظ من جهة اغتمامهم بما نزل من ذلك الأمر بهم، والتقدير: كدنا إخوته له بما دبّرنا في أمره. وقيل: الكيد التعريض للضرّ بما خفي. وقد يعبّر عن الجزاء عن المعصية بالكيد، كقوله: ﴿وأُملي لهم إنّ كيدي متين﴾ [١] أي: عقوبتي.

وقوله: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ معناه: أنّه لم يكن يوسف ممّن يأخذ أخاه على دين الملك في جزاء من سرق أن يستعبد، قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً وديني [٢]

أي: هذا عادته أبداً وعادتي. وقوله: ﴿إلّا أن يشاء الله﴾ قال الحسن: إنّما قال ذلك لأنّه تعالى كان أمره بذلك بدلالة قوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ أي: بما نريه من وجوه الصواب في بلوغ المراد.

وقوله: ﴿وفوق كلّ ذي علم عليم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس والحسن وسعيد بن جبير: معناه: وفوق كلّ ذي علم معلّم عليم، وهو الله تعالى الغنيّ بنفسه عن التعليم. والثاني: أنّ معناه: ﴿وفوق كلّ ذي علم﴾ ممّن رفعه الله ﴿عليم﴾ قد رفعه بالعلم من

---

(١) الأعراف: ١٨٣.

(٢) للمثقّب العبدي. تقدّم ذكره في ج ١: ٣٣٠ وغيرها.

وجه آخر، فهو أعلم بذلك الأمر الآخر. وفي ذلك دلالة على أنّه تعالى عالم لنفسه، لأنّه لو كان عالماً بعلمٍ لكان فوقه عليم، وذلك باطل.

والضمير في قوله: ﴿ثمَّ استخرجها﴾ عائد إلى السقاية، وقال الزجّاج: هي عائدة إلى الصواع وأنّه يذكّر ويؤنّث[١]. ومن قرأ ﴿درجات من نشاء﴾ على الإضافة فالمعنى: نرفع منازل من نشاء رفع منازله ومراتبه في الدنيا بالعلم على غيره، كما رفعنا مرتبة يوسف في ذلك على مراتب إخوته، ومن قرأ بتنوين ﴿درجات﴾ فالمعنى: نرفع من نشاء درجات ومراتب كما رفعنا ليوسف، فـ «مَن» منصوبة على هذه القراءة، وعلى القراءة الأُولى مخفوضة.

قوله [تعالى]:

قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف: أنّه لمّا استخرج الصواع من رحل أخيه قالوا: إن كان هذا سرق ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنون يوسف، واختلفوا فيما نسبوه إليه من السرقة من قبل:

قال سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج: إنّه كان سرق صنماً كان لجدّه أبي أُمّه، فكسره وألقاه في الطريق. وقال ابن إسحاق: إنّ جدّته خبّأت في ثيابه منطقة إسحاق لتملكه بالسرقة، محبّة لمقامه عندها. وقال قوم: إنّه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين[٢].

---

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٢٣.

(٢) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٦٥ عن ابن عيسى.

وقوله: ﴿فأسرّها يوسف في نفسه﴾ يعني: أخفى هذه الكلمة في نفسه ﴿ولم يبدها لهم﴾ أي: لم يظهرها لهم، واختلفوا فيما أسرّ في نفسه:

فقال ابن عبّاس والحسن وقتادة: أسرّ قوله: ﴿أنتم شرّ مكاناً﴾ أي: ممّن قلتم له هذا ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ أنّه كذب. وقال قوم: أسرّها بإضمار الكلمة للدلالة عليها[١]، قال حاتم طيّ:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[٢]

وإنّما قال: إنّ مكانكم شرّا، لما ظهر من الأمر الّذي يقتضي هذا الوصف، و«الصفة» و «الوصف» مصدران بمعنىً واحد، مثل: «وعد» و «عدة»، و«وجه» و «جهة».

وقال الحسن: لم يكن إخوة يوسف يومئذٍ أنبياء وإنّما أُعطوا النبوّة فيما بعد.

وعندنا: أنّهم لم يكونوا أنبياء في وقتٍ، لا في الحال ولا فيما بعد، لأنّ ما فعلوه بيوسف من الأفعال القبيحة ينافي النبوّة، لأنّ النبيّ لا يقع ـ عندنا ـ منه قبيح أصلاً، لا صغير ولا كبير.

وقال البلخي: كذبوا في قولهم: ﴿سرق أخ له من قبل﴾ والله أعلم بما يصفون[٣] من ذلك وأنّه كذب، وقال: لم يصحّ عندنا أنّ إخوة يوسف كانوا أنبياء، وجوّز أن يكون الأسباط غيرهم أو كانوا من أولادهم.

---

(١) منهم الطبري في تفسيره ذيل الآية.

(٢) من قصيدة يعاتب زوجه لمّا عارضته عطاءه الجزيل للآخرين. راجع ديوان حاتم الطائي: ٨٣.

(٣) في «م» والحجريّة: «يعنون من».

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن إخوة يوسف: أنّه لمّا أخذ يوسف أخاه منهم مظهراً لاسترقاقه لسرقته قالوا له وهم لا يعرفونه: ﴿يا أيّها العزيز﴾ ـ و «العزيز»: الممتنع بقدرته من أن يضام، و «العزّ»: منع الضيم بسعة المقدور والسلطان: ـ ﴿إنّ له أباً شيخاً كبيراً﴾ يعنون: يعقوب أبا أخيهم، أي: أنّه كبير السنّ، ويجوز أن يريدوا: كبير القدر ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ أي: خذ واحداً منّا عبداً بدله، في قول الحسن وغيره ﴿إنّا نراك من المحسنين﴾ إلينا في الكيل وردّ بضاعتنا، وقد أمّلنا ذلك منك لإحسانك.

قوله [تعالى]:

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به يوسف إخوته حين قالوا له: خذ واحداً منّا بدله، لأنّه قال لهم: ﴿معاذ الله﴾ أي: اعتصاماً بالله أن يكون هذا، و «الاعتصام»: امتناع الهارب من الأمر بغيره، ولذلك يقال: اعتصم بالجبل من عدوّه، واعتصم بالله من شرّه، فإنّا لا نأخذ ﴿إلّا من وجدنا متاعنا﴾ يعني: الصواع ﴿عنده إنّا إذاً لظالمون﴾ ومعناه: إنّا لو أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده لكنّا ظالمين، واضعين للشيء في غير موضعه، والعرب تقول: معاذ الله، ومعاذه الله، وعوذ الله، وعوّذه الله، وعياذ الله.

ويقولون: اللّهمّ عائذاً بك، أي: إنّي ادعوك عائذاً بك، فكأنّه قال: أستجير بالله من أن آخذ بريئاً بسقيم.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن إخوة يوسف: أنّهم حين آيسوا من تسليم أخيهم إليهم، فاليأس ضدّ الطمع، يقال: يئس يأساً، واستيأس يستيئس استيئاساً، فهو يائس ومستيئس، وأيس يأيس مثله.

وقوله: ﴿خلصوا نجيّاً﴾ أي: انفردوا من غير أن يكون معهم غيرهم ممّن ليس منهم، وهذا من عجيب فصاحة القرآن الخارقة للعادة، لأنّ بقوله: ﴿خلصوا﴾ دلّ على ما قلناه من معنى الكلام الطويل.

وأصل «الخلوص»: حصول الشيء من غير شائب فيه من غيره، كخلوص الذهب من الشائب، وسمّي «الخلاص»[(١)] لذلك. وقوله: ﴿نجيّاً﴾ مصدر يدلّ بلفظه على القليل والكثير، والواحد والجميع، و«النجوى» مثله، ولذلك قال تعالى في الواحد: ﴿وقرّبناه نجيّاً﴾[(٢)] وفي الجمع ﴿خلصوا نجيّاً﴾ قال الشاعر:

إنّي إذا ما القوم كانوا أنجيه   واضطرب القوم اضطراب الأرشيه
هناك أوصيني ولا توصي بيه[(٣)]

---

(١) الخلاص والخلاصة والخلوص: ربّ يتّخذ من تمر. (لسان العرب).
(٢) مريم: ٥٢.
(٣) أنشده في اللسان: مادّة «نجا» ونسبه إلى سحيم بن وثيل اليربوعي.

و «المناجاة»: رفع المعنى من كلّ واحد إلى صاحبه على وجه خفيّ، وأصل «النجو» الارتفاع من الأرض، و «المناجاة»: المسارّة، و «نجي» جمعه: أنجية، وهم يتناجون.

وقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ يعني: أكبرهم، وقال قتادة وابن إسحاق: هو روبيل، فإنّه كان أكبرهم سنّاً. وقال مجاهد: هو شمعون، وكان أكبرهم عقلاً وعلماً دون السنّ، والأوّل أليق بالكلام والظاهر، ﴿ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ يعني: أما علمتم أنّ أباكم قد حلّفكم وأقسمتم له بالله في حفظ أخيكم، و ﴿من قبل﴾ هذا ﴿ما فرّطتم في يوسف﴾ أي: قصّرتم في حفظه، وأصل «التفريط»: التقدّم، من قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض»[١] أي: متقدّمكم. و «الموثق» و «الميثاق»: العهد الوثيق.

و ﴿ما﴾ في قوله: ﴿ما فرّطتم﴾ يحتمل ثلاثة أوجه من الإعراب:

أحدها: أن تكون منصوبة بـ﴿تعلموا﴾ كأنّه قال: ألم تعلموا تفريطكم في يوسف. الثاني: رفع بالابتداء، والخبر ﴿من قبل﴾. الثالث: أن تكون صلة لا موضع لها من الإعراب، لأنّها لم تقع موقع اسم معرب.

وقوله: ﴿فلن أبرح الأرض حتّى يأذن لي أبي﴾ أي: أنّي لست أريم من موضعي إلّا أن يأذني لي أبي ﴿أو يحكم الله لي﴾ قيل: معناه: بمحاربةٍ أو غيرها ممّا أردّ به أخي بنيامين على أبيه[٢]، وكانوا تناجوا بمحاربته فلم يتّفقوا على ذلك خوفاً من غمّ أبيهم بأن يقتل بعضهم في الحرب.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٧٩٢ ح ٢٢٨٩ وما بعده عن جندب وسهل.

(٢) النكت والعيون ٣: ٦٧ عن أبي صالح.

وقوله: ﴿وهو خير الحاكمين﴾ إخبار من هذا القائل بأنّه تعالى خير الحاكمين والفاصلين، واعتراف منه بردّ الأمر إلى الله تعالى.

قوله [تعالى]:

ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ آية بلا خلاف.

وهذا إخبار من الله تعالى بما قال أخوهم[١] المتخلّف عنهم بمصر، فإنّه قال لإخوته الباقين: ﴿ارجعوا إلى أبيكم﴾ ويحتمل أن يكون حكاية عمّا قال إخوة يوسف بعضهم لبعض، فإنّهم قالوا: ﴿ارجعوا إلى أبيكم﴾ وقولوا له: ﴿يا أبانا إنّ ابنك سرق﴾ يعنون: بنيامين، على ما ظهر لنا من الأمر، ولا نشهد إلّا بما علمنا من الظاهر، فأمّا الغيب والباطن فلا نعلمه ولا نحفظه. وقيل: ما شهدنا إلّا بما علمنا في قولنا لهم: إنّ من يسرق يستعبد، لأنّ ذلك متقرّر عندنا في شرعنا، ذكره ابن زيد.

و «الشهادة»: خبر عن مشاهدة إقرار أو حال، ويجوز أن يشهد الإنسان بما علمه من جهة الدليل، كشهادتنا بأن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله. وقال الرمّاني: علم الغيب هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده. والعالم بهذا المعنى هو الله وحده تعالى.

وقيل في معنى قوله: ﴿وما كنّا للغيب حافظين﴾ قولان:

أحدهما: ما كنّا نشعر أنّ ابنك سيسرق، في قول الحسن ومجاهد وقتادة. والثاني: إنّا لا ندري باطن الأمر في السرقة، وهوالأقوى.

وروي عن ابن عبّاس وقراءة الكسائي في رواية قتيبة عنه: «سُرِّق»

---

(١) كذا في «ح»، وفي غيرها: «أحدهم».

بتشديد الراء على ما لم يسمّ فاعله، ومعناه: أنّه قذف بالسرقة، واختار الجبّائي هذه القراءة، قال: لأنّها أبعد من أن يكونوا أخبروا بما لم يعلموا.

قوله [تعالى]:

وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال إخوة يوسف ليعقوب أبيهم حين رجعوا إليه وحكوا له ما جرى، فقالوا له: سل أهل القرية الّتي كنّا فيها، وأهل العير الّتي أقبلنا فيها عمّا أخبرناك به ﴿وإنّا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به، وحذف المضاف الّذي هو الأصل وأقام المضاف إليه ـ من القرية والعير ـ مقامه اختصاراً، لدلالة الكلام عليه.

والمراد بالقرية ـ هاهنا ـ مصر، في قول ابن عبّاس والحسن وقتادة. وكلّ أرض جامعة لمساكن كثيرة بحدود[1] فاصلة تسمّى في اللغة: «قرية»، وأصلها من: قريت الماء أي: جمعته. و «القرية» و «البلدة» و «المدينة» نظائر في اللغة، وإنّما أرادوا بذلك أنّ من سألت من أهلها أخبرك بما ظهر في هذه القصّة، وأنّا ما كذبناك فيها.

قوله [تعالى]:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما قال يعقوب لبنيه حين قالوا له ما تقدّم ذكره، فإنّه قال: ﴿بل سوّلت لكم أنفسكم﴾ وقال قتادة: معناه: بل زيّنت. وقال غيره: معناه:

---

(١) في «ح»: «محدودة».

سهّلت. و«التسويل»: حديث النفس بما يُطمع فيه، ومنه: «السُّؤل» و«المُنى» ويقال: أعطاك الله سؤلك، فكأنّه قال: هذا من تقدير النفس فيما تطمع أن يكون.

ثمّ أخبر يعقوب فقال: ﴿فصبر جميل﴾ أي: شأني أو أمري صبر جميل، فعلى هذا يكون ارتفع بأنّه خبر الابتداء، ويجوز أن يكون ابتداء وخبره محذوفاً، وتقديره: فصبر جميل أمثل من غيره. و«الصبر»: حبس النفس عمّا تنازع إليه ممّا لا يجوز، والصابر على هذا الوجه من صفات المدح، و«الجميل» معناه هاهنا: ما يتقبّله العقل، وقد يسمّى ما يتقبّله الطبع بأنّه جميل.

وقوله: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يعني: روبيل وبنيامين ويوسف ﴿إنّه هو العليم الحكيم﴾ معناه هاهنا: أنّه عليم بحسرتي على فقد أولادي وصدق ما يقولونه من كذبه، إنّه الحكيم في تدبيره بخلقه، عسى أن يأتيني بهم أجمع.

قوله [تعالى]:

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن يعقوب: أنّه تولّى عنهم بعد أن قال لهم ما تقدّم ذكره، بمعنى: أعرض بوجهه عنهم، و «التولّي» و «الإعراض» بمعنىً واحد ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ أي: يا حزناه، في قول الحسن وقتادة والضحّاك، وإنّما نادى بالأسف على وجه البيان، فإنّ الحال حال حزن، كأنّه قال: يا أسف [احضر][1] فإنّه من أحيانك وأوقاتك، ومثله:

(١) من الحجريّة، ولم ترد في غيرها.

«واحزناه». و «الأسف»: الحزن على ما فات، وقيل: هو أشدّ الحزن، يقال: أسف يأسف أسفاً، وتأسّف تأسّفاً، وهو متأسّف.

وقوله: ﴿ابيضّت عيناه﴾ فالإبيضاض: انقلاب الشيء إلى حال البياض، والمعنى: أنّه عمي فلم يبصر شيئاً، و «العين»: حاسّة الإدراك للمرئيّات. و «الحزن»: الغمّ الشديد، وهو من «الحَزْن» وهي الأرض الغليظة. و «الكظيم» هو الممسك للحزن في قلبه لا يبثّه بما لا يجوز إلى غيره، ومنه قوله: ﴿والكاظمين الغيظ﴾[1] أي: لا يتسرّع بموجبه إلى غيره. وقيل: كظيم على الحزن لم يقل يأساً[2] في قول مجاهد والضحّاك والحسن. وقيل: كظيم بالغيظ على نفسه لِمَ أرسله مع إخوته، في قول السدّي والجبّائي.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾

آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال بنو يعقوب لأبيهم حين رأوه حزيناً: ﴿تالله تفتؤا تذكر﴾ معناه: لا تزال تذكر، في قول ابن عبّاس والحسن ومجاهد وقتادة والسدّي، يقال: فتئ يفتؤ فتأً وفتوءاً، وقال أوس بن حجر:

فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطّع[3]

أي: فما زالت، وحذفت «لا» من «تفتأ» لأنّه جواب القسم بمعنى: نفي المستقبل، لأنّه لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون، فجاز لما فيه

(١) آل عمران: ١٣٤.
(٢) في الحجريّة: يا أسفا.
(٣) من قصيدة يمجّد فيها مآثر قومه وشجاعتهم. راجع ديوان أوس: ٥٨.

من الإيجاز من غير التباس، كما قال امرؤ القيس:

فـــقلت يــمين الله أبـــرح قـــاعداً
ولو ضربوا رأسي لديك وأوصالي[١]

و «الحرض»: ذو المرض والبلى، في قول ابن عبّاس ومجاهد. وقال الحسن وقتادة: معناه: حتّى تكون ذا الهرم أو تكون من الميّتين. وأصـل «الحرض»: فساد الجسم والعقل للحزن والحبّ، قال العرجي:

إنّي امرؤ لجّ بي حبّ فأحـرضني حتّى بليت وحتّى شفّني السقم[٢]

ورجل محرض: إذا كان مريضاً، قال الشاعر وهو امرؤ القيس:

أرى المـرء ذا الأذواد يـصبح مـحرضاً
كإحراض بكـر فـي الديـار مـريض[٣]

ولا يثنّى «حرض» ولا يجمع لأنّه مصدر، يقال: حرضه على فـلان أي: أفسده عليه بما يغريه به، وإنّما قالوا هذا القول لأبيهم إشفاقاً عليه وكفّاً له عن البكاء، أي: لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حـتّى تـصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه، لأنّه كان قد أشفى على ذهاب بصره وفساد جسمه، أو يموت بالغمّ.

و «الهلاك»: ذهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب له أين هو، فالميّت هالك لهذا المعنى.

---

(١) من قصيدة طويلة يصف فيها صيده وسعيه إلى المجد. راجع ديوان امرئ القيس: ١٤١.
(٢) أنشده في مجاز القرآن ١: ٣١٦، وفيه: «بكيت».
(٣) من قصيدة يصف فيها المطر. راجع ديوان امرئ القيس: ١٢٨.

قوله [تعالى]:

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ آيـة بلا خلاف.

هذا حكاية ما أجاب به يعقوب بنيه لمّا قالوا له ما تقدّم ذكره، إنّي ﴿إنّما أشكوا﴾، و «الشكوى» صفة الشيء بما يجده من البلوى، وإنّما وصف عليه السلام ذلك لله طلباً للفرج من جهته، و «البثّ»: تفريق الهمّ بإظهاره عن القلب، يقال: بثّه ما في نفسه بثّاً وأبثّه إبثاثاً، وبثّ الخيل على العدوّ: إذا فرّقها عليه. وقال ابن عبّاس: معنى ﴿بثّي﴾: همّي.

وقوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس: أعلم أنّ رؤيا يوسف صادقة، وأنّي ساجد له. وقال[١] قتادة: أعلم من إحسان الله عزّ وجلّ إليَّ ما يوجب حسن ظنّي به.

وإنّما جاز على يعقوب ـ وهو نبيّ ـ أن يبكي حتّى تبيضّ عينه من الحزن، لأنّ عظم المصيبة يهجم على النفس حتّى لا يملك معه العزاء[٢] بالصبر حتّى يرتفع الحزن، مع أنّه على ولد لا كالأولاد في جماله وعقله وعفافه وعلمه وأخلاقه وبرّه، من غير تأسّ يوجب السلوة، ولا رجاء يقرب الحال الجامعة، ومع هذا فلم يكن منه إلّا ما يوجب الأجر العظيم والثواب الجزيل الكريم، والبكاء ليس بممنوع منه في الشرع، وإنّما الممنوع اللطم والخدش والجزّ وتخريق الثياب والقول الّذي لا يسوغ، وكلّ ذلك لم يكن منه عليه السلام.

---

(١) وهذا هو القول الثاني.

(٢) في الحجريّة: «القرار».

وإنّما جاز أن يخفى خبر يوسف على يعقوب مع قرب المسافة بينهما، لأنّ يوسف كان بمصر ويعقوب بأرض الجزيرة من أرض حرّان، ولم يعرّف يوسف أباه مكانه ليزول همّه، لأنّه في تلك المدّة كان بين شغل وحجر على ما توجبه سياسة الملك وبين حبس في السجن، لأنّه مكث فيه سبع سنين لما مُحِن به من امرأة العزيز، فلمّا تمكّن من التدبير تلطّف في ذلك لئلّا يكون من إخوته حال يكره في إيصال خبره إلى أبيه، لشدّة ما ينالهم من التهجين في أمره إذا وقف على خبره.

وإنّما جاز أن يستخرج الصواع من رحل أخيه مع إيجاب التهمة في ذلك عند الناس، وغمّ أبيه وأخيه خاصّة وسائر إخوته عامّة لوجوه:

أحدها: أنّه كان ذلك بمواطأة أخيه على ذلك بما يسرّ في باطنه. ومنها: أنّه ليس لأحد اتّهامه بالسرقة مع إمكان جعله في رحله بما لا صنع له فيه. ومنها: إغمام أبيه بالأمر اليسير ليزيل عنه الغمّ العظيم وتأتيه البشرى بسلامتهما على أجمل حالٍ يتمنّى لهما، يحسن ولا يقبح.

قوله [تعالى]:

﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَاتَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لَايَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ آية بلا خلاف .

هذا إخبار عمّا قال يعقوب لبنيه بعد أن قال ما تقدّم ذكره: ﴿يا بنيّ اذهبوا فتحسّسوا﴾ و «التحسّس»: طلب الشيء بالحاسّة، فأمّا طلبه[1] بالدعاء إلى فعله فلا يسمّى تحسّساً، و «التحسّس» و «التجسّس» بالحاء والجيم بمعنىً واحد.

(١) العبارة في «م» هكذا: والتحسيس، تطلب الشيء بالحاسّة، فأمّا تطلبه.

﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ أي: لا تقطعوا رجاءكم منه، و «الروح» و«الفرح» نظائر، وهو نفع يريح بلذّة، مأخوذ من الريح الّتي تأتي بما فيه اللذّة.

وقوله: ﴿إنّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون﴾ إخبار منه بأنّ الّذي يأئس من رحمة الله الكافرون، وذلك يدلّ على أنّ الفاسق الملّي لا ييأس منه، بخلاف ما يقوله أهل الوعيد. وقد أجاب عن ذلك أهل الوعيد بجوابين:

أحدهما: أنّ ذلك على وجه التغليب، فيدخل فيه الفاسق في الجملة.

والثاني: أنّه لا ييأس في حال التكليف إلّا الكافر الّذي لا يعرف الله تعالى، فأمّا من يعرف الله فإنّه لا ييأس منه، لأنّه يسوّف التوبة.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّ إخوة يوسف لمّا قال لهم يعقوب: ﴿اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه﴾ رجعوا إلى يوسف ودخلوا عليه وقالوا له: ﴿يا أيّها العزيز﴾ لأنّهم كانوا يسمّون الملك العزيز، و «العزيز» في اللغة: هو الواسع المقدور الّذي لا يهتضم، المنيع بسعة مقدوره ﴿مسّنا وأهلنا الضرّ﴾ أي: أصابنا الضرّ، و «المسّ»: ملابسة[١] ما يحسّ، ولمّا كان الضرّ بمنزلة الملامس لهم، وهو ممّا يحسّ، عبّر عنه بأنّه مسّه. و «الأهل»: خاصّة الشيء الّذي ينسب إليه، ومنه قوله: ﴿إنّ ابني من أهلي﴾[٢]

---

(١) في «ح»: «ملامسة».

(٢) هود: ٤٥.

وتسمّى زوجة الرجل بأنّها أهله وكذلك: أهل البلد وأهل الدار، وهم خاصّته الّذين ينسبون إليه.

وقوله: ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ قيل في معنى «المزجاة» ثلاثة أقوال:

أحدها: قال ابن عبّاس وسعيد بن جبير: إنّها رديّة لا تؤخذ إلّا بوكس. وقال[1] الحسن ومجاهد وإبراهيم وقتادة وابن زيد: إنّها قليلة. وقال[2] الضحّاك: هي كاسدة غير نافقة. وروي: أنّه كان معهم متاع البادية من الصوف والشعر والسمن والحبال البالية وغير ذلك[3]. وأصلها «القلّة» قال الأعشى:

الواهب المئة الهجان وعبدها عوذاً يزجّي خلفها أطفالها[4]

أي: يسوقهم قليلاً قليلاً، وقال النابغة:

وهبّت الريح من تلقاء ذي أُرل تزجي مع الليل من صرّادها صِرَما[5]

يعني: تسوق وتدفع، وقال آخر:

وحاجة غير مزجاة من الحاج[6]

وقيل: الأصل: الدفع بالسوق فهي مدفّعة لا تنفق.

وقوله: ﴿فأوف لنا الكيل﴾ أي: لا تنقصنا من كيلنا لنقصان بضاعتنا، ﴿وتصدّق علينا﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال سعيد بن جبير: سألوا التفضّل بترك النقصان من السعر،

(١ و٢) وهما القول الثاني والثالث على التوالي.

(٣) رواه ابن ابي مليكة عن ابن عباس كما في زاد المسير ٤ : ٢١٣.

(٤) من قصيدة يمدح قيس بن معديكرب. راجع ديوان الأعشى: ١٥٦.

(٥) من قصيدة يفخر بقومه. راجع ديوان النابغة: ١٥٤. و «ذي أُدُل» جبل في ارض غطفان.

(٦) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٣١٧، ولم ينسبه لأحد.

لأنّ الصدقة ما كانت تحلّ لهم. وقال[١] سفيان بن عيينة: إنّهم سألوا الصدقة وهم أنبياء وكانت حلالاً لهم.

وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل في دعائه: اللّهمّ تصدّق عليَّ، لأنّ الصدقة ممّن يبتغي الثواب. و «الصدقة»: العطيّة للفقراء ابتغاء الأجر، ولهذا يطلق، فيقال: ﴿إنّ الله يجزي المتصدّقين﴾ و ﴿لا يضيع أجر المحسنين﴾[٢] من العباد، والمعنى: أنّه يثيبهم على ذلك.

قوله [تعالى]:

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّافَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب يوسف إخوته حين سألوه التصدّق عليهم وإيفاء كيلهم، فرقّ لهم وقال: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ على وجه التوبيخ لهم والتذكير لهم بما فعلوه من إلقائه في الجبّ بعد أن كانوا عزموا على قتله، ثمّ بيعهم إيّاه عبداً للتاجر الّذي حمله إلى مصر، وفعلوا بأخيه ما عرّضوه به للغمّ، بأن أفردوه عن أخيه لأبيه وأُمّه مع جفائهم به، حتّى كان لإذلالهم إيّاه لا يمكنه أن يكلّم أحداً منهم إلّا كلام الذليل للعزيز، فعاملوه هذه المعاملة، وسلكوا في أمره هذه الطريقة.

ومعنى قوله: ﴿إذ أنتم جاهلون﴾: أنّكم فعلتم ذلك في حال كنتم فيها جاهلين جهالة الصبى لا جهالة المعاصي، وذلك يقتضي أنّهم الآن على خلافه، ولولا ذلك لقال: وأنتم جاهلون.

وإنّما وبّخوا بحال قد أقلعوا عنها وتابوا منها على وجه التذكير،

---

(١) وهذا هو القول الثاني.

(٢) التوبة: ١٢٠، هود: ١١٥، والآية: ٩٠ من هذه السورة المباركة.

وليتنبّهوا على حال من يخاطبهم ويعرفوه بها، لا أنّ تلك الحال ذكرت بطريق التقبيح لها. وقال السدّي وابن إسحاق: إنّ يوسف لمّا قالوا له ما قالوا أدركته الرقّة، فدمعت عينه وباح لهم بما كان يكتمه من شأنه وشأنهم.

قوله [تعالى]:

قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأبو جعفر: ﴿إنّك﴾ بهمزة واحدة على الخبر، الباقون بهمزتين، وحقّقهما ابن عامر وأهل الكوفة وروح، إلّا أنّ الحلواني عن هشام فصل بينهما بألف، الباقون يخفّفون الأُولى ويليّنون الثانية، وفصل بينهما بألف نافع إلّا ورشاً وأبا عمرو[١].

قال أبو عليّ: الأجود الاستفهام لقوله: ﴿قال أنا يوسف﴾ وهذا جواب الاستفهام، ومن قرأ على الخبر أراد الاستفهام، وحذف حرف الاستفهام، كما حكى أبو الحسن في قوله: ﴿وتلك نعمة تمنّها عليَّ﴾[٢] ومعناه: أَو تلك نعمة؟ وحذف حرف الاستفهام[٣].

هذا حكاية ما قال إخوة يوسف له حين قال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ فإنّهم ﴿قالوا﴾ حينئذٍ له: ﴿أئِنّك لأنت يوسف﴾ على وجه الاستفهام له، فإنّهم تنبّهوا واستيقظوا غير أنّهم لم يقطعوا به، فاستفهموه.

---

(١) في النسخ: أبو عمرو.

(٢) الشعراء: ٢٢.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٥٩.

وقال الزجّاج: يجوز في ﴿أئِنّك﴾ أربعة أوجه في العربيّة:

تحقيق الهمزتين، وهو مذهب أهل الكوفة وأهل الشام. الثاني: إدخال الألف بين الهمزتين «أإنّك» وهو مذهب هشام بن عمّار عن ابن عامر. الثالث: تليين الثانية بأن يجعل بين بين «أينّك»، وهو مذهب أبي عمرو وابن كثير ونافع. الرابع: بهمزة واحدة على الخبر[1].

فقال يوسف مجيباً لهم: ﴿أنا يوسف وهذا أخي﴾ يعني: بنيامين، من أبي وأُمّي ﴿قد منّ الله علينا﴾ أي: أنعم علينا بنعمة قطعتنا عن حال الشدّة، يقال: منّ الله عليه يمنّ منّاً، وأصله: القطع، من قوله: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾[2] أي: غير مقطوع، ومنه: منّ عليه في الصنيعة إذا ذكرها بما يجري مجرى التعيير بها، لأنّه قاطع عن شكرها. و «المنون»: الموت، لأنّه يقطع عن تصرّف الأحياء.

ثمّ أخبر يوسف فقال: ﴿إنّه من يتّق﴾ الله باجتناب معاصيه وفعل طاعاته، ﴿ويصبر﴾ على بلائه، ويتجرّع مرارة المنع لما يشتهي من الأمر ﴿فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي: لا يذهب بثوابهم. و «الإضاعة»: هو الإهلاك، وهو إذهاب الشيء بحيث لا يدري الطالب أين هو. و«الأجر»: ما يستحقّ على العمل الصالح من الثواب، ومنه: الإجارة، وتقول: آجره الله يأجره أجراً، و«الإحسان»: فعل حسن يستحقّ به الحمد.

وحكى عن ابن كثير أنّه قرأ «من يتّقي» بالياء في الوصل. والوجه فيه: أن يجعل ﴿مَن﴾ بمعنى «الّذي»، فيكون «يتّقي» في موضع رفع،

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٢٨ والتيسير في القراءات السبع: ٣١ ـ ٣٢ (باب ذكر الهمزتين المتلاصقتين في كلمة).

(٢) فصّلت: ٨، الانشقاق: ٢٥.

ويكون قوله: ﴿ويصبر﴾ حذف الحركة استخفافاً، أوحمله[١] على الموضع، كما قال: ﴿فأصّدّق وأكن من﴾[٢] ولا يجوز أن يكون مثل قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي[٣]

لأنّ ذلك يجوز في الشعر، والأجود قول من قرأ بحذف الياء.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ آية بلا خلاف.

هذا حكاية عمّا قال إخوة يوسف حين سمعوا اعتراف يوسف بأنّه يوسف، وأنّ أخاهم الّذي احتبسه أخوه، وأنّ الله منّ عليهم بذلك، فقالوا له عند ذلك: ﴿تالله﴾ على وجه القسم ﴿لقد آثرك الله علينا﴾ أي: فضّلك الله علينا، و «الإيثار»: إرادة التفضيل لأحد الشيئين على الآخر، ومثله: «الاختيار» ويقال: آثرت له، وآثرت عليه ضدّه، وأصل «الإيثار»: الأثر الجميل، فيما يؤثر على غيره بمنزلة ما له أثر جميل، و «الآثار»: الأخبار، لأنّها إخبار عن أثر من تقدّم[٤] في أمر الدين والدنيا.

وقوله: ﴿وإن كنّا لخاطئين﴾ اعتراف منهم بأنّهم كانوا خاطئين، وقال قوم: إنّهم كانوا صبياناً وقت ما فعلوا بأخيهم ما فعلوا، وسمّوا أنفسهم «خاطئين» لأنّ ابتداء فعلهم كان وهم صبيان، ثمّ بلغوا مقيمين على كتمان الأمر عن أبيهم، موهمين له [صدق] ما كانوا أخبروه به من شأنهم[٥] فالإيهام: معصية لا تبلغ تلك المنزلة.

---

(١) في الحجريّة: جملة.

(٢) المنافقون: ١٠.

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «أتى» ونسبه إلى قيس بن زهير العبسي.

(٤) في الحجريّة: أثر ما تقدّم.

(٥) انظر النكت والعيون ٣: ٧٥.

و«الخطيئة»: إزالة الشيء عن جهته إلى ما لا يصلح فيه، يقال: خطئ يخطأ فهو خاطئ، مثل: أثم إثماً فهو آثم، و «خطئ» إذا تعمّد الخطأ، و«أخطأ» إذا لم يتعمّد الخطأ، كمن رمى شيئاً فأصاب غير ما أراد[١].

قوله [تعالى]:

قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ آية بلا خلاف.

هذا إخبار من الله تعالى عمّا قال يوسف لإخوته حين اعترفوا بأنّ الله فضّله عليهم، وأنّهم خطئوا فيما فعلوا، بأن ﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾ ومعناه: لا بأس عليكم بما سلف منكم، و «التثريب»: تعليق الضرر بصاحبه من أجل جرم كان منه. وقال سفيان: معنى ﴿لا تثريب﴾: لا تعيير. وقيل: معناه: لا تخليط بعائد مكروه. وقيل: معناه: لا تثريب مكروه بتوبيخ ولا غيره[٢].

وقوله: ﴿يغفر الله لكم﴾ معناه: يستر الله عليكم خطيئاتكم ولا يعاقبكم عليها، ﴿وهو أرحم الراحمين﴾ فالرحمة: النعمة على المحتاج، ومن الرحمة ما هو واجب، ومنها ما ليس بواجب، فالواجبة: ما لا يجوز الإخلال بها وإن كان سببها تفضّلاً، كالثواب الّذي سببه التكليف، وهو تفضّل.

وقيل: في معنى قوله: ﴿يغفر الله لكم﴾ قولان[٣]:

أحدهما: إنّه دعا لهم بالمغفرة، ويكون الوقف عند قوله: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾ ثمّ ابتدأ فقال: ﴿يغفر الله﴾. وقد وقف بعضهم عند قوله:

(١) كذا في «م» وفي «ح»: «غير مارماه»، وفي الحجرية: «غير ما أراد».
(٢) نقلهما الماوردي في النكت والعيون ٣: ٧٥.
(٣) نقل القولين الماوردي في النكت والعيون ٣: ٧٥.

﴿عليكم﴾ والأوّل أجود.

الثاني: لمّا كان ظلمهم له معلّقاً بإحلاله إيّاهم[١] منه حسن هذا القول، لأنّ الله هو الآخذ له بحقّه إلّا أن يصفح.

قوله [تعالى]:

ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ آية بلا خلاف .

هذا إخبار من الله تعالى بأنّ يوسف أعطى إخوته قميصه وقال لهم: احملوه إلى أبي يعقوب واطرحوه على وجهه، فإنّه يرجع بصيراً ويزول عنه العمى، وذلك معجز دالّ على نبوّته، لأنّه ـ على قول المفسّرين كالحسن والسدّي وغيرهما ـ كان قد عمي، ولولا أنّ الله أعلمه أنّه يرجع بصيراً لم يدر أنّه يرجع إليه بصره. وإنّما حمل إليه القميص لأنّ الله تعالى كان جعل علامة له: إذا شمّه شمّ منه رائحة يوسف، وبشارة له قبل لقائه.

وقوله: ﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ معناه: احملوا أهاليكم أجمع إلى عندي وجيئوني بهم.

قوله [تعالى]:

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّه حين انصرفت العير من عند يوسف ﴿قال﴾ لهم ﴿أبوهم﴾ يعقوب ﴿إنّي لأجد ريح يوسف﴾ أي: إنّي أحسّ برائحته، وقال ابن عبّاس: جاءت الريح برائحة يوسف من ثماني ليال.

(١) في الحجريّة: «أباهم» بدل «إيّاهم»، والصواب ما أثبتناه.

وقال الحسن: من مسيرة شهر. وقيل: إنّه كان بينهم ثمانين فرسخاً، لأنّ يعقوب كان بوادي كنعان من أرض فلسطين. وقيل: إنّه كان بأرض الجزيرة، ويوسف بمصر[١].

و«الفصل»: القطع بحاجز بين الشيئين، ونقيضه: الوصل، ومثله: الفرق. و«العير»: قافلة الحمير وإن كان فيها الجمال، وكلّ جماعة خرجت من بلد إلى بلد فهم قافلة.

وقوله: ﴿لولا أن تفنّدون﴾ قال ابن عبّاس: معناه: لولا أن تسفّهون. وقال الحسن ومجاهد: لولا أن تهرّمون. وقال ابن إسحاق: معناه تضعّفون. وقال الضحّاك: معناه: تكذّبون. وإنّما قال يعقوب هذا القول من حضره من أهله وقرابته دون ولده، لأنّهم كانوا غيّباً عنه لم يصلوا إليه. و«التفنيد» في اللغة: هو تضعيف الرأي، يقال: فنّده تفنيداً، والفند: ضعف الرأي[٢] قال الشاعر:

يا صاحبيّ دعا لومي وتفنيدي فليس ما فات من أمر بمردود[٣]

أفنده الدهر أي: أفسده، وقال ابن مقبل:

دع الدهر يفعل ما يشاء فإنّه إذا كلّف الإنسان بالدهر أفندا[٤]

وروي: «إذا كلّف الإفناد بالناس أفندا».

قوله [تعالى]:

قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) قاله ابن جريج وقتادة. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) في الحجريّة: «فنّده تفنيداً: نسبه إلى ضعف الرأي».

(٣) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١٨، ونسبه إلى هانئ بن شكيم العدوي.

(٤) أنشده الطبري ذيل الآية.

هذا حكاية ما أجاب به من خاطبه يعقوب من أهله: ﴿إنّي لأجد ريح يوسف﴾ فإنّهم قالوا له: ﴿تالله إنّك لفي ضلالك القديم﴾، و «الضلال»: هو الذهاب عن جهة الصواب، «والضلال» و «الضياع» و «الهلاك» نظائر، يقال: ضلّ عن الطريق إذا ذهب عن جهة الصواب[١] فيه. وإنّما قالوا لنبيّ الله: ﴿إنّك لفي ضلالك القديم﴾ لأنّهم قالوا كلمة غليظة لم يجز أن يقولوها لنبيّ الله، فحقّ الأمر[٢] فيها أنّهم قالوها إشفاقاً عليه من شدّة محبّته ليوسف، في قول قتادة. وقال الحسن: كان عندهم أنّ يوسف مات، فكان في لهوجه تذكّره ذاهباً عن الصواب في أمره.

و «القديم» في اللغة: هو كلّ شيء متقدّم الوجود، وفي عرف المتكلّمين عبارة عن الموجود لم يزل، وإنّما جعلوا الضلال قديماً على وجه المبالغة في الصفة، ومثله: ﴿كالعرجون القديم﴾[٣]: وبناء قديم، ولا يجوز قياساً على ذلك أن يقال: هذا جسم قديم، لما فيه من الإيهام.

قوله [تعالى]:

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه لمّا جاء المبشّر بيوسف إلى يعقوب ألقى القميص على وجهه رجع بصيراً، و ﴿البشير﴾: الّذي يأتي بالبشارة العظيمة، وجاء على لفظ «فعيل» لما فيه من المبالغة، بشّره تبشيراً، ومعنى «أبشرته»: قلت له: استبشر، كقوله: ﴿وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون﴾[٤]. وقال

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

(٢) كذا في الحجريّة، وفي المخطوطتين: بدل «فحقّ الأمر» «فخفّف الأمر».

(٣) يس: ٣٩.

(٤) فصّلت: ٣٠.

الحسن ومجاهد والضحّاك: كان البشير يهوذا بن يعقوب. و «الإلقاء»: إيقاع الشيء على الشيء، ويكون بمعنى: إيجاد الشيء[١].

وقوله: ﴿فارتدّ بصيراً﴾ فالارتداد: انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها، وهو و «الرجوع» بمعنى واحد. و «البصير»: من كان على صفة يجب لأجلها أن يبصر المبصرات إذا وجدت.

و ﴿أن﴾ بعد قوله: ﴿فلمّا أن﴾ زائدة للتوكيد، كما قال: ﴿ولمّا أن جاءت رسلنا﴾[٢] وفي موضع آخر: ﴿ولمّا جاءت رسلنا﴾[٣] ولا موضع لها من الإعراب، وهي تزاد مع «لمّا» و «حتّى» على وجه الصلة تأكيداً، تقول: قد كان ذاك حتّى كان كذا [وكذا] وحتّى أن كان كذا.

وقوله: ﴿أنّي أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّي أعلم من صحّة رؤيا يوسف، وأنّ تأويلها سيكون على ما رأى ﴿ما لا تعلمون﴾[٤].

والثاني: أنّي أعلم من بلوى الأنبياء بالشدائد والمحن الّتي يصيرون منها إلى وقت الفرج ما لا تعلمون، ذكره الجبّائي.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ آية بلا خلاف.

في الكلام حذف، لأنّ تقديره: أنّ إخوة يوسف وصلوا إلى أبيهم بعد أن جاءهُ البشير وألقوا قميصه على وجهه وردّ الله بصره عليه، فلمّا رأوه قالوا له: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾ أي: سل الله تعالى أن يستر علينا

---

(١) في «م»: «اتّحاد الشيء». (٢) العنكبوت: ٣٣. (٣) هود: ٧٧، العنكبوت: ٣١.

(٤) وفي الحجريّة زيادة: «قيل في معناه قولان: أحدهما: تأويل الرؤيا». ذكره الماوردي في النكت والعيون من دون نسبة ٣: ٧٨.

ذنوبنا ولا يعاقبنا عليها فـ ﴿إنّا كنّا خاطئين﴾ فيما فعلناه بيوسف.

ومتى قيل: كيف سألوه الاستغفار مع أنّهم كانوا تابوا، والتوبة تسقط العقاب؟

قلنا: أمّا على مذهبنا: فلأنّ التوبة لا تسقط العقاب وجوباً، وإنّما يسقطه الله تعالى عندها تفضّلاً، وأمّا على مذهب مخالفينا: فإنّهم سألوه ذلك لأجل المظلمة المتعلّقة بصفح المظلوم، وسؤال صاحبه أن لا يأخذ بظلمه لإبدائه حاجة منه عند توبته[1]. ووجه آخر: وهو أن يبلغه منزلة بدعائه يصير بمنزلة عالية لمكان سؤاله.

قوله [تعالى]:

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ آية بلا خلاف .

هذا حكاية ما أجاب به يعقوب حين قالوا له: ﴿استغفر لنا ذنوبنا﴾ فإنّه قال لهم في جواب ذلك: ﴿سوف أستغفر لكم ربّي﴾ والمعنى: إنّي أفعل ذلك في المستقبل، ولم يستغفر لهم في الحال.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «أخّرهم إلى سحر يوم الجمعة»[2] لأنّ الدعاء فيه مستجاب، وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: أخّرهم إلى ليلة الجمعة[3].

وقال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وابن جريج وعمرو بن قيس: إنّه أخّرهم إلى السحر، لأنّه أقرب إلى إجابة الدعاء. وقال الجبّائي: وجه ذلك

---

(١) العبارة في الحجريّة هكذا: «لابدّ أنّه خاصّة منه توبته».

(٢) في تفسير العيّاشي ٢: ١٩٦، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة.

(٣) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

أنّهم سألوه أن يستغفر لهم دائماً في دعائه، فوعدهم بذلك في المستقبل.

وقوله: ﴿إنّه هو الغفور الرحيم﴾ إخبار من يعقوب واعتراف منه بأنّ الله هو الّذي يستر على عباده معاصيهم، ويعفو لهم عن عقابها، رحمة منه بعباده ورأفة منه بخلقه.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ آية بلا خلاف .

في الكلام حذف، لأنّ تقديره: أنّ يعقوب وبنيه وأهلهم رحلوا إلى يوسف، فلمّا وصلوا إليه ودخلوا عليه ﴿آوى إليه أبويه﴾ يعني: أباه يعقوب وأمّه، فثنّى على لفظ «الأب» تغليباً للذكر على الأنثى، ولم يثنّ على لفظ «الأمّ» كما غلّب المفرد على المضاف في قولهم: سنّة العُمَرين، ومثله قوله: ﴿وورثه أبواه﴾[١] يعني: أباه وأمّه.

وقال الحسن وابن إسحاق والجبّائي: كانت أمّه بحقّ[٢]. وقال السدّي: كانت أمّه ماتت وتزوّج يعقوب أختها، وهي خالة يوسف، فأقامها مقام الأمّ. والأوّل حقيقة والثاني مجاز. و «الإيواء» ضمّ التقريب بالمحبّة لصاحبه كضمّ المأوى بجمع شمله.

وإنّما قال لهم: ﴿ادخلوا مصر﴾ بعد دخولهم عليه لأمرين:

أحدهما: قال السدّي وفرقد السبخي: إنّ يوسف خرج يستقبل يعقوب وخرج معه أهل البلد، فلمّا رجع قال: ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾.

---

(١) النساء: ١١.

(٢) كذا في ظاهر الحجريّة، وفي «م» و «ح»: «كانت أمّه تحيا».

وقال آخرون: أراد: ادخلوا مصر مقيمين إن شاء الله آمنين[١].

و«المشيئة» هي الإرادة، و «الأمن»: سكون النفس إلى الأمر، و«الخوف»: انزعاج النفس من الأمر، والأمن التامّ: الأمن من كلّ جهة، فأمّا أمن من جهة دون جهة فهو أمن ناقص.

وفي الناس من قال: إنّ قوله: ﴿إن شاء الله﴾ متعلّق بقوله: «سأستغفر لكم إن شاء الله» لأنّه كان قاطعاً على أنّهم يدخلون مصر آمنين[٢] وليس يحتاج إلى ذلك، لأنّه مطابق لقوله: ﴿ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله﴾[٣].

قوله [تعالى]:

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠) آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن يوسف: أنّه حين حضر عنده أبواه وإخوته ﴿رفع أبويه على العرش﴾ و «الرفع»: النقل إلى جهة العلو، ومثله: الإعلاء والإصعاد، وضدّه: الوضع. و «العرش»: السرير الرفيع، وأصله: الرفع، من قوله: ﴿خاوية على عروشها﴾[٤] أي: على ما ارتفع من أبنيتها، وعرّش الكرم: إذا رفعه، وعمل عريشاً: إذا عمل مجلساً رفيعاً، وقال ابن عبّاس والحسن ومجاهد وقتادة: ﴿العرش﴾ السرير.

---

(١) انظر النكت والعيون ٣: ٨١.

(٢) قاله ابن جريج على ما في النكت والعيون ٣: ٨١.

(٣) الكهف: ٢٣ و ٢٤.

(٤) البقرة: ٢٥٩، الكهف: ٤٢، الحجّ: ٤٥.

وقوله: ﴿وخرّوا له سجّداً﴾ معناه: انحطّوا على وجوههم، و «الخرّ»: الانحطاط على الوجه، ومنه: ﴿خرّ من السماء فتخطفه الطير﴾[١]. و«السجود» في الشرع: خضوع بوضع الوجه على الأرض، وأصله: الذلّ[٢] كما قال الشاعر:

ترى الأُكم فيها سجّداً للحوافر[٣]

وقيل في وجه سجودهم قولان:

قال قوم: إنّ الهاء في قوله ﴿له﴾ راجعة إلى الله، فكأنّه قال: فخرّوا لله سجّداً شكراً على ما أنعم به عليهم من الاجتماع[٤]. الثاني: إنّهم سجدوا إلى جهة يوسف على وجه القربة إلى الله[٥] كما يسجد إلى الكعبة على وجه القربة إلى الله.

وقيل: إنّه كانت تحيّة الملوك السجود[٦] قال أعشى بني ثعلبة:

فلمّا أتانا بُعَيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا[٧]

وقوله: ﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ حكاية عمّا قال يوسف لأبيه بأن هذا تفسير رؤياي من قبل وما تؤول إليه، وهو ما ذكره في أوّل السورة: ﴿إنّي رأيت أحد عشر كوكباً﴾ يعني: إخوته ﴿والشمس والقمر﴾

(١) الحجّ: ٣١.
(٢) كذا في الحجريّة، ولكن في المخطوطتين: «التذليل» بدل «الذلّ».
(٣) لزيد الخيل. وقد تقدّم ذكره عند تفسير سورة البقرة: ٧٤.
(٤) نقله ابن الحوزي عن ابن عبّاس كما في زادالمسير ٤: ٢٢٣ـ٢٢٤.
(٥) نقله الماوردي عن ابن عبّاس في النكت والعيون ٣: ٨٢.
(٦) نقله الطبري ذيل الآية عن ابن إسحاق.
(٧) من قصيدة يمدح قيس بن معديكرب. راجع ديوان الأعشى: ٨٥ وفيه: «عمارا».

يعني: أبويه سجدوا له كما رآه في المنام. و «الرؤيا»: تصوّر ما يتوهّم أنّه يرى لغمور النوم.

ومتى قيل: إذا كانت رؤيا الأنبياء لا تكون إلّا صادقة، فهلّا تسلّى يعقوب بأنّ تأويل الرؤيا سيكون؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما: أنّه قيل: إنّه رآها وهو صبيّ فلذلك لم يثق بها(١). والآخر: أنّ طول الغيبة مع شدّة المحنة يوجب الحزن كما يوجبه مع الثقة بالالتقاء في الآخرة.

و قوله: ﴿وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن﴾ معناه: أنّ الله أنعم عليَّ حيث أخرجني من الحبس بأن لطف وسهّل إليّ(٢) الخروج منه ﴿وجاء بكم من البدو﴾ أي: أتى بكم من أرض فلسطين، لأنّ مسكن يعقوب وولده ـ فيما ذكر ـ كان هناك، و «البدو»: البريّة العظيمة، مأخوذ من: بدا يبدو بدوّاً، ويقال: بدو وحضر.

وقوله: ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾ و «النزغ»: التحريش بين الاثنين، وهو مسّ بسوء وبغضبة(٣) ومنه قوله: ﴿وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾(٤).

وقوله: ﴿إنّ ربّي لطيف لما يشاء﴾ معناه: لطيف التدبير، و «اللطف»: ما يدعو إلى فعل الواجب، ويصرف عن القبيح.

وقال الحسن: كان بين الرؤيا وتأويلها ثمانين سنة. وقال سلمان وعبدالله بن شداد: كانت أربعين سنة. وقال ابن إسحاق: ثماني عشرة سنة.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٨٣.

(٢) في الخطيّة: لي.

(٣) كذا في الحجريّة، وفي «ح»: «وبغضةٍ» وفي «م»: «بغضه».

(٤) الأعراف: ٢٠٠، فصّلت: ٣٦.

وقوله: ﴿إنّه هو العليم الحكيم﴾ معناه: أنّه تعالى عالم بأحوال الخلق، ومايصلحهم ويفسدهم ﴿حكيم﴾ فيأفعاله، لا يضع الشيء إلّا فيموضعه.

وقال بعضهم: غاب يوسف عن أبيه وله سبع عشرة سنة، وغاب عنه ثمانين سنة، وبقي بعد الاجتماع معهم في الملك ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وله مائة وعشرون سنة.

قوله [تعالى]:

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ آية بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال يوسف حين اجتمع مع أبويه وإخوته وأهل بيته، وأنّه قال: يا ﴿ربّ قد آتيتني من الملك﴾ وحذف حرف النداء للدلالة عليه على وجه الاعتراف بأنواع نعمة الله عليه، وأنّ من جملتها: أنّه أعطاه الملك والسياسة والتدبير بين الخلق، وأنّه مع ذلك علّمه وفهّمه أنواع العلوم، ونصب له الدلالة على علوم كثيرة، وقد يقال: علّمه تعليماً إذا بيّن له الدليل المفضي إلى العلم و «الإعلام»: هو إيجاب العلم بإيجاده أو[١] التعريض له، والمعنى: فهّمتني تأويل الأحاديث الّتي تؤدّي إلى العلم بما أحتاج إليه. و ﴿الأحاديث﴾: الإخبار عن حوادث الزمان.

وقوله: ﴿فاطر السموات والأرض﴾ فالفطر: الشقّ عن أمر باختراعه عند انشقاقه، ففطر السماوات والأرض: اختراعهما بما هو كائن كالشقّ عمّا يظهر فيه[٢] ومنه: تفطّر الشجر بالورق. ونصبه يحتمل أمرين:

---

(١) في الحجريّة: «و» بدل «أو».

(٢) في المخطوطتين: «به» بدل «فيه».

أحدهما: أن يكون صفة لقوله: ﴿ربّ قد آتيتني﴾ لأنّه مضاف، كما تقول: يا زيد ذا الجمة. والثاني: أن يكون على النداء بتقدير: يا فاطر.

وقوله: ﴿أنت وليّي﴾ أي: ناصري، و «الولي»: النصير بما يتولّى من المعاونة، فإذا وصف تعالى بأنّه وليّ المؤمن فلأنّه ينصره بما يتولّى من معونته وحياطته، وإذا وصف المؤمن بأنّه وليّ الله فلأنّ الله ينصره بمعونته، فتجري الصفة على هذا المعنى.

وقوله: ﴿توفّني مسلماً﴾ معناه: اقبضني إليك إذا أمتّني وأنا مسلم، أي: الطف لي بما أموت معه على الإسلام ﴿وألحقني بالصالحين﴾ من آبائي: إسحاق وإبراهيم، أي: اجعلني من جملتهم.

و ﴿مِن﴾ في قوله: ﴿من الملك﴾ وقوله: ﴿من تأويل الأحاديث﴾ دخلتا للتبعيض، لأنّه لم يؤته الله جميع الملك، ولا علّمه جميع الأشياء. ويحتمل أن تكون دخلت لتبيين الصفة، كما قال: ﴿اجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[1].

قوله [تعالى]:

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال له: ﴿ذلك﴾ يعني: الّذي أخبرناك به من إخبار ما يعظم شأنه، لأنّ «الإنباء»: هو الإخبار بما له شأن، ومنه قولهم: «لهذا نبأ» أي: شأن عظيم. و «الغيب»: ذهاب

(١) الحجّ: ٣٠.

الشيء عن الحسّ، ومنه: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾[١] أي: عالم بما غاب عن الحواسّ وبما حضرها ﴿نوحيه إليك﴾ أي: نلقيه، و «الإيحاء»: إلقاء[٢] المعنى إلى النفس، فقد أفهم الله تعالى نبيّهﷺ تلك المعاني بإنزال الملك بها عليه.

وقوله: ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم﴾ أي: لم تحضرهم حين عزموا على أُمورهم، و «إجماع الأمر»: هو اجتماع الرأي على الأمر بالعزم عليه. و «المكر»: فتل الحبل[٣] عن الأمر، وأصل «المكر» من قولهم: ساق ممكورة أي: مفتولة، ومثله: الخديعة. وكان مكرهم بيوسف إلقاؤهم إيّاه في غيابت الجبّ، في قول ابن عبّاس والحسن وقتادة. وقال الجبّائي: كان مكرهم احتيالهم في أمر يوسف حين ألقوه في الجبّ.

وإنّما قال ذلك لنبيّه لأنّه لم يكن ممّن قرأ الكتب ولا خالط أهلها، وإنّما أعلمه الله [تعالى] بوحي من جهته ليدلّ بذلك على نبوّته، وأنّه صادق على الله تعالى.

قوله [تعالى]:

وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّهﷺ على وجه التسلية بقلّة من آمن به، بأنّ الناس كثيرون، وإن حرصت على أن يكونوا مؤمنين فإنّهم قليلون. و«الأكثر»: القسم الزائد على القسم الآخر من الجملة، ونقيضه: الأقلّ.

---

(١) الأنعام: ٧٣، التوبة: ٩٤ و١٠٥، الرعد: ٩، المؤمنون: ٩٢، والم السجدة: ٦، الزمر: ٤٦، الحشر: ٢٢، الجمعه: ٨، والتغابن: ١٨.

(٢) في الحجريّة: «إنهاء».

(٣) في الحجريّة: «الحيل».

و«الناس»: جماعة الإنسان، وهو من ناس ينوس نوساً إذا تحرّك يميناً وشمالاً من نفسه لا بمحرّك. و «الحرص»: طلب الشيء باجتهاد في إصابته، حرص عليه يحرص حرصاً، فهو حريص على الدنيا: إذا اشتدّ طلبه لها، والتقدير: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على هدايتهم.

قوله [تعالى]:

وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ آية بلا خلاف.

هذا إخبار من الله تعالى وخطاب لنبيّه ﷺ: إنّك يا محمّد لست تسألهم يعني: أُمّته الّذين بعث إليهم على ما يعرّفهم به من أخبار الماضين أجراً ولا جزاء في مقابلته، وليس ذلك ﴿إلّا ذكر للعالمين﴾.

و «السؤال»: قول القائل لمن هو دونه: «إفعل» إذا كان سؤال طلب ودعاء، وإن كان سؤال استخبار فهو طلب الإخبار بأدلّته. و «الأجر» جزاء العمل بالخير، يقال: أجره الله يأجره أجراً إذا جازاه بالخير، ويدعى به، فيقال: آجرك الله. و «الذكر» حضور المعنى للنفس، وهو ضدّ «السهو» وقد يقال للقول الّذي يحضر المعنى للنفس: ذكر. و «العالم» جماعة الحيوان الكثيرة الّتي من شأنها أن تعلم، لأنّه مأخوذ من «العلم» ومنه: معنى التكثير، وفي عرف المتكلّمين: عبارة عن الفلك وما حواه على طريق التبع للحيوان الّذي ينتفع به، وهو مجعول لأجله.

ومعنى الآية: أنّك لست تسألهم على إبلاغك إيّاهم ما أوحى الله به إليك، ولا على ما تدعوهم إليه من الإيمان أجراً، فيكون تركهم لذلك إشفاقاً من إعطاء الأجر، بل هم يزهدون في الحقّ مع أمنهم من إعطاء الأجر، وليس ما تؤدّيه إليهم من القرآن وجميع ما ينزله الله من الأحكام

﴿إلّا ذكر للعالمين﴾ أي: طريق إلى العلم بما أوجب الله عليهم، فذكر الدليل طريق إلى العلم بالمدلول عليه، والفكر سبب مولِّد له. فالذكر سبب مؤدّ، والفكر[1] سبب مولِّد. ويحتمل أن يكون المراد: ليس هذا القرآن إلّا شرفاً للعالمين لو قبلوه وعملوا بما فيه.

قوله [تعالى]:

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

آية بلا خلاف.

معنى ﴿كأيّن﴾: كم، والأصل فيها: «أيّ» فدخلت عليها الكاف للتفخيم بالإبهام[2] وتقديره كالعدد، فهو أبهم من نفس العدد لما فيه من التكثير والتفخيم، وغلبت على «كأيّن» «من» دون «كم» لأنّ «كأيّن» أشدّ إبهاماً من حيث يفسّر بـ«كم» فاحتاجت إلى «من» لتدلّ على أنّ ما يذكر بعدها تفسير لها.

أخبر الله تعالى: أنّ في خلق السماوات والأرض آيات ودلالات كثيرة تدلّ على أنّ لها صانعاً صنعها، ومدبّراً دبّرها، وعلى صفاته وعلمه وحكمته، وأنّه لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، وهو ما فيها من تدبير الشمس والقمر والنجوم، والجماد والحيوان وما بينهما من الأشجار والنبات، وغير ذلك من الأُمور الظاهرة للحواسّ المدركة بالعيان. وقال الحسن: من الآيات إهلاك من أهلك من الأُمم الماضية، يعرضون عن الاستدلال بها عليه وعلى ما يدلّهم عليه من توحيده وحكمته، مع مشاهدتهم لها ومرورهم عليها.

---

(١) في بعض النسخ: العلم.

(٢) في «ح»: «بالإيهام».

قوله [تعالى]:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴿١٠٦﴾ آية بلا خلاف .

قيل في معنى هذه الآية قولان:

أحدهما: قال الحسن: الآية في أهل الكتاب، لأنّ معهم إيماناً وشركاً.

وقال ابن عبّاس ومجاهد وقتادة: المعنى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾ في إقراره بأنّ الله خلقه وخلق السماوات والأرض إلّا وهو مشرك بعبادة الأوثان. وهذا هو الأولى، لأنّ التقدير: ما يصدّقون بعبادة الله ﴿إلّا وهم﴾ يشركون الأوثان معه في العبادة.

وقال الرمّاني: الآية دالّة على أنّ اليهودي معه إيمان بموسى وكفر بمحمّد، لأنّها دلّت على أنّه قد جمع الكفر والإيمان، وأنّه لا ينافي أن يؤمنوا بالله من وجه ويكفروا به من وجه آخر، كما قال: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب﴾[1].

وعلى مذهب من قال بالموافاة من المرجئة لا يصحّ ذلك، لأنّ الإحباط عنده باطل، فمن آمن بالله لابدّ أن يوافى به.

والجواب ـ على مذهبه ـ أن يقال: تأويل الآية أنّه لا يؤمن أكثرهم بالله ويصدّق رسله في الظاهر إلّا وهو مشرك في باطنه، فتكون الآية في المنافقين خاصّة، يعني هذه الآية، وقد ذكره البلخي أيضاً.

قوله [تعالى]:

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ

(١) البقرة: ٨٥.

لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب لهؤلاء الكفّار الّذين ذكرهم بأنّهم لا يؤمنون إلّا وهم مشركون، وتوبيخ لهم وتعنيف، وإن كان متوجّهاً إلى غيرهم، فهم المعنيّون به، يقول: أفأمن هؤلاء الكفّار أن تجيئهم ﴿غاشية من عذاب﴾ وهو ما يتغشّاهم من عذابه، و «الغاشية»: ما يتجلّل الشيء بانبساطها عليه، يقال: غشيه يغشاه فهو غاش وهي غاشية، أو: تجيئهم القيامة ﴿بغتة﴾ أي: فجأة، و «البغتة» و «الفجأة» و «الفلتة» نظائر، وهي مجيء الشيء من غير تقدمة، قال يزيد بن مقسم الثقفي:

ولكنّهم باتوا ولم أدر بغتة وأفظع شيء حين يفجؤك البغت[1]

و ﴿الساعة﴾: مقدار من الزمان معروف، وسمّي به القيامة لتعجيل أمرها كتعجيل الساعة.

وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ معناه: لا يعلمون بمجيئه، فلذلك كان بغتة. و «الشعور»: إدراك الشيء بما يلطف، كدقّة الشعر، يقال: شعر به يشعر شعوراً، وأشعره بالأمر إشعاراً، ومنه اشتقاق «الشاعر» لدقّة فكره.

قوله [تعالى]:

قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ آية بلا خلاف .

هذا خطاب للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أمره الله تعالى أن يقول لهؤلاء الكفّار: ﴿هذه سبيلي﴾ يعني: دينه الّذي دعا إليه من توحيد الله وعدله وتوجيه العبادة إليه والعمل بشرعه ﴿أدعوا﴾ الناس ﴿إلى﴾ توحيد ﴿الله﴾ وإلى طاعته

---

(١) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ١٩٣.

واتّباع سبيله، على معرفة منّي بذلك، وحجّة معي عليه، ومن تابعني على ذلك، فهو يدعو الناس إلى مثل ما أدعو إليه من التوحيد وخلع الأنداد والعمل بشرع الإسلام ﴿وسبحان الله﴾ أي: تنزيهاً لله من أن يعبد معه إله غيره، وأن يضاف إليه ما لا يليق به. ﴿و﴾ لست ﴿أنا من المشركين﴾ الّذين يشركون مع الله في عبادته سواه. و «السبيل»: هو الطريق، وهو يذكّر ويؤنّث، قال الشاعر:

ولا تبعد فكلّ فتى أُناس سيصبح سالكاً تلك السبيلا[(١)]

و «الدعاء»: طلب الفعل من الغير، وسمّي الإسلام سبيلاً لأنّه طريق إلى الثواب لمن عمل به. و «البصيرة»: المعرفة الّتي يميز بها بين الحقّ والباطل في الدين والدنيا، [يقال]: فلان على بصيرة من أمره، أي: كأنّه يبصره بعينه.

قوله [تعالى]:

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبو بكر: ﴿يوحى﴾ بالياء وفتح الحاء، وحفص بالنون وكسر الحاء في جميع القرآن إلّا في ﴿عسق كذلك يوحى﴾[(٢)] فإنّه بالياء وكسر الحاء.

قال أبو عليّ الفارسي: وجه القراءة بالنون قوله: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾[(٣)] ومن قرأ بالياء فلقوله: ﴿وأُوحي إلى نوح﴾[(٤)] وقوله:

---

(١) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣١٩، ولم ينسبه لأحد.

(٢) الشورى: ١و٢. (٣) النساء: ١٦٣. (٤) هود: ٣٦.

﴿قل أُوحي إليَّ﴾[١] فأمّا في ﴿حمٓ عسٓق كذلك يوحى إليك﴾[٢] فلأنّ الفعل مسند إلى اسم الله تعالى، فارتفع الاسم بأنّه فاعل ﴿يوحي﴾ ولو قرئ «يوحى إليك وإلى الّذين» وأُسند الفعل إلى الجارّ والمجرور لكان جائزاً، وكان يكون قوله: ﴿الله العزيز الحكيم﴾ مبتدأً وخبراً، والأوّل أحسن لأنّ قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ أن يكون صفة أحسن من أن يكون خبر المبتدأ[٣].

معنى الآية: الإخبار من الله أنّي ما أرسلت قبلك من الأنبياء والمرسلين إلى عبادي إلّا رجالاً يوحى إليهم بكتبي وأحكامي ﴿من أهل القرى﴾ أي: لم أُرسل عليهم ملكاً ولا جنّيّاً، بل رجالاً منهم إبطالاً لقول جهّال قريش: إنّ الله لو شاء أن يرسل إلينا أحداً لأرسل إلينا ملكاً، فبيّن هاهنا: أنّه لم يرسل فيما مضى إلّا رجالاً مثل محمّد، من البشر.

﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ معناه: أفليس قد ساروا في الأرض وسمعوا أخبار من أرسله الله من الأنبياء المبعوثين إلى خلقه مثل: إبراهيم وموسى وعيسى، فيعرفوا بذلك ﴿كيف كان عاقبة﴾ من كذّب هؤلاء الرسل ﴿من قبلهم﴾ وما نزل بهم من العذاب لكفرهم. ثمّ أخبر: أنّ ﴿دار الآخرة خير للّذين اتّقوا﴾ أي ما فيها من النعم الدائم للّذين آمنوا واجتنبوا معاصيه خير لهم من الدنيا ﴿أفلا تعقلون﴾ أنّ الأمر على ما أخبرنا به، وأنّ ذلك خير من دار الدنيا الّتي فيها تنغيص وتكدير وفنون الآلام.

وقال قتادة: معنى ﴿من أهل القرى﴾ يريد به: الأمصار دون البوادي،

---

(١) الجنّ: ١. (٢) الشورى: ١و٢.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٥٦.

لأنّهم أعلم وأحلم[١]. وقال الحسن: ما بعث الله نبيّاً من أهل البادية قط، ولا من الجنّ ولا من النساء.

وقوله: ﴿ولدار الآخرة﴾ على الإضافة، وفي موضع آخر: ﴿وللدار الآخرة﴾[٢] على الصفة. فمن أضافه قال: تقديره: ولدار الحال الآخرة، لأنّ للناس حالين: حال الدنيا وحال الآخرة، ومثله: «صلاة الأُولى» و «الصلاة الأُولى» فمن أضافه قدّر صلاة الفريضة الأُولى، ومن لم يضف جعله صفة، ومثله: «ساعة الأُولى» و «الساعة الأُولى» ذكره الزجّاج[٣]. وقال الفرّاء: قد يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف لفظهما مثل ﴿حقّ اليقين﴾ ومثل: بارحة الأُولى والبارحة الأُولى، ومسجد الجامع والمسجد الجامع[٤].

قوله [تعالى]:

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ آية بلا خلاف.

قرأ: ﴿كذبوا﴾ خفيفة بضمّ الكاف أهل الكوفة، الباقون مشدّدة بضمّ الكاف. وقرأ عاصم وابن عامر ﴿فنجّي من نشاء﴾ بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، الباقون بنونين على الاستقبال، وهي في المصحف بنون واحدة.

من قرأ: ﴿كُذبوا﴾ خفيفة، فالمعنى: أنّ الأُمم ظنّت أنّ الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله إيّاهم وإهلاك أعدائهم، ومثله قراءة من قرأ ـ وإن كان شاذّاً ـ «كَذَبوا» يعني: أنّ قومهم ظنّوا أنّ الرسل كذبت فيما

(١) كذا في المخطوطتين، وفي الحجرية: «وأحكم». انظر تفسير الطبري ذيل الآية.
(٢) الأنعام: ٣٢. (٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٣٢. (٤) راجع معاني القرآن ٢: ٥٦.

أخبرت به، وهو قول ابن عبّاس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحّاك. ومن قرأ بالتشديد حمل الظنّ على العلم، والمعنى: أيقن الرسل أنّ الأُمم كذّبوهم[١] تكذيباً عمّهم حتّى لا يفلح أحد منهم، وهو قول الحسن وقتادة وعائشة، قال الشاعر:

فقلت لهم ظنّوا بألفي مدجّج ... سراتهم في الفارسيّ المسرّد[٢]

معناه: أيقنوا. فإن قيل على الوجه الأوّل: كيف يجوز أن يحمل الضمير على أنّه للمرسل إليهم، انّما تقدّم ذكر[٣] الرسل دون المرسل إليهم؟ قيل: ذلك جائز[٤]، لأنّ ذكر الرسل يدلّ على المرسل إليهم، وقد قال الشاعر:

أمنك البرق أرقبه فهاجا ... فبتّ إخاله دهماً خلاجاً[٥]

أي: بتّ أخال الرعد صوت دهم، فأضمر «الرعد» ولم يجر له ذكر لدلالة «البرق» عليه. وإن قلت: قد جرى لهم ذكر في قوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا﴾ فيكون الضمير لـ ﴿الّذين من قبلهم﴾ من مكذّبي الرسل كان جيّداً، ذكره أبو عليّ[٦].

ومن قرأ ﴿فننجي﴾ بنونين فعلى أنّه حكاية حال، لأنّ القصّة كانت فيما مضى، فإنّما حكى فعل الحال على ما كانت، كما قال: ﴿وإنّ ربّك ليحكم بينهم﴾[٧] حكاية الحال الكائنة، ومثله: ﴿وكلبهم باسط

---

(١) في «ح»: «كذّبتهم».

(٢) لدريد بن الصمّة، من قصيدة طويلة يرثي أخاه عبدالله. راجع ديوان دريد: ٤٧، وفيه: «علانيّة ظنّوا...».

(٣) كذا في المخطوطتين، وفي الحجريّة: «والّذين تقدّم ذكرهم».

(٤) كذا في المخطوطتين، وفي الحجريّة: «ان ذلك لايمتنع».

(٥) أنشده السيّد المرتضى في أماليه ١: ٦١٦، ونسبه إلى أبي ذؤيب الهذلي.

(٦) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٥٧.

(٧) النحل: ١٢٤.

ذراعيه﴾[1] فلو لم يكن على الحال لم يعمل اسم الفاعل، لأنّه إذا مضى اختصّ وصار معهوداً، فخرج بذلك من شبه الفعل. وأمّا النون الثانية من ﴿ننجي﴾ فهي مخفاة مع الجيم، وكذلك النون مع جميع حروف الفم لا تكون إلّا مخفاة، قال أبو عثمان المازني: وتبيينها معها لحن. وقال: وللنون مع الحروف ثلاثة أحوال: الإدغام والإخفاء والبيان، فهي تُدغم مع ما يقاربها كما تُدغم سائر المتقاربة، والإخفاء فيها مع حروف الفم الّتي لا تقاربها، والبيان فيها مع حروف الحلق، وحذف النون الثانية من الخطّ يشبه أن يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه، ومن ذهب إلى أنّ الثانية مدغمة في الجيم، فقد غلط، لأنّها ليست بمثلٍ للجيم،ولا مقاربة له[2].

ووجه قراءة عاصم: أنّه أتى به على لفظ الماضي لأنّ القصّة ماضية، وما رواه هبيرة عن عاصم بنونين وفتح الياء فهو غلط من الراوي، كما قال ابن مجاهد. وروى نصر بن عليّ عن أبيه عن أبي عمرو: ﴿فنجي﴾ بنون واحدة، ساكنة الياء، خفيفة الجيم، فهذا غلط، لأنّا قد بيّنّا أنّ النون لا تدغم في الجيم، لما بيّنّاه.

أخبر الله تعالى أنّ الرسل لمّا يئسوا من فلاح القوم، وعلموا أنّ القوم لقوهم بالتكذيب ونسبوهم إلى الكذب، لأنّ «التكذيب» نسبة القائل إلى الكذب، وضدّه: التصديق. و «الاستيئاس» و «اليأس»: انقطاع الطمع ﴿جاءهم نصرنا﴾ أي: أتاهم نصر الله إيّاهم بإهلاك من كذّبهم.

﴿ولا يردّ بأسنا﴾ فالبأس: شدّة الأمر على النفس، يقال: له بأس في الحرب، و«البئيس»: الشجاع لشدّة أمره، ومنه: «البؤس»:

---

(١) الكهف: ١٨.

(٢) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ٤٥٩.

الفقر، و«البائس» الفقير ﴿عن القوم المجرمين﴾ يعني: المخطئين الّذين اقترفوا السيّئات.

قوله [تعالى]:

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ في قصص الأمم الماضين الّتي ذكرها دلالة لذوي العقول على تصديق الرسل، وأنّ ما أخبرناك به لم يكن حديثاً كذباً. و«الحديث»: الإخبار عن حوادث الزمان، وتسميته بأنّه حديث يدلّ على أنّه حادث، لأنّ القديم لا يكون حديثاً. و «الافتراء»: القطع بالمعنى على خلاف ما هو به، وأصله «القطع» من قولهم: فريت الأديم فرياً إذا قطعته.

ووجه الاعتبار بتلك القصص أنّ الّذي قدر على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجبّ، وإعلائه بعد حبسه في السجن، وتمليكه مصر بعد أن كان لبعض أهلها في حكم العبيد، وجمعه بينه وبين والديه وإخوته على ما أحبّوا بعد مدّة طويلة وشُقّة بعيدة، لقادر أن يعزّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ويُعلي كلمته وينصره على من عاداه.

وقوله: ﴿ولكن تصديق الّذي بين يديه﴾ معناه: تصديق الكتب الّتي قبله من التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، في قول الحسن وقتادة. وإنّما قيل لما قبله: ﴿بين يديه﴾ لأنّه قد وجد فكأنّه حاضر له. وقيل: ﴿بين يديه﴾ لأنّه قريب منه كقرب ما كان بين يدي الإنسان.

وإنّما قال: ﴿وتفصيل كلّ شيء﴾ على وجه المبالغة من حيث كان فيه تفصيل كلّ شيء يحتاج إليه في أُمور الدين من الحلال والحرام والحجاج

والاعتبار والوعظ والإنزجار[١] إمّا جملةً أو تفصيلاً. ﴿وهدىً ورحـمةً﴾ فالهداية: الدلالة ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي: يصدّقون بها وينتفعون بالنظر فيها، وخصّ المؤمنين بالهداية وإن كانت هدايةً لغيرهم من حيث إنّهم انـتفعوا هم بها دون غيرهم. ونصب ﴿تصديق﴾ على تقدير: ولكن كان تـصديق الّذي، بإضمار «كان» على قول الزجّاج[٢].

(١) وفي الحجريّة: «الازجار» بدل «الانزجار».

(٢) راجع معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٣٣.

سورة الرعد

قال قتادة: هي مدنيّة، إلّا آية منها فإنّها مكّية، وهو قوله: ﴿ولا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ الآية. وقال مجاهد: هي مكّية، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

وهي ثلاث وأربعون آية في الكوفي، وأربع في المدنيّين، وخمس في البصري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ آية بلا خلاف .

لم يعدّ أحد ﴿المر﴾ آية، وعدّ الكوفيّون ﴿طه﴾ و ﴿حم﴾ آية، قالوا: لأنّ ﴿طه﴾ مشاكلة لرؤوس الآي الّتي بعدها بالألف مع أنّه لا يشبه الاسم المفرد، كما أشبه «صاد» و «قاف» و «نون» لأنّها بمنزلة «باب» و «نوح» وعدّ ﴿كهيعص﴾ لأنّه يشاكل رؤوس الآي الّتي بعده بالارداف. وقد بيّنّا في أوّل سورة البقرة أقوال المفسّرين في تأويل أوائل السور بالحروف،

وأنّ أقواها أن يقال: إنّها أسماء للسور، وأجبنا عمّا اعترض عليه، فلا وجه لإعادته[١].

وروي عن ابن عبّاس: أنّ معنى قوله: ﴿المر﴾ أنا الله أرى. وقال غيره: معناه: أنا الله أعلم. وروي: أنّها حروف تدلّ على اسم الربّ.

وقوله: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ معناه: هذه تلك آيات الكتاب الّتي تقدّمت صفتها، والبشارة بها بما فيها من الهداية، كما تقول: تلك الدلالة أي: الّتي وصفتها بأنّه لا غنا لأحد عنها، فيقول: «هذا» تنبيهاً عليها وتفخيماً لشأنها. وقال الحسن والجبّائي: يعني بالكتاب القرآن. وقال مجاهد وقتادة: يعني به الأنجيل. والأوّل أصحّ. و «آيات الكتاب» هي الكتاب، ولكن أُضيف إلى نفسه لمّا اختلف لفظه، كما قال: ﴿حقّ اليقين﴾[٢] وغير ذلك ممّا قد مضى ذكره[٣] وكما يقال: مسجد الجامع، والمسجد الجامع. و «الآيات»: الدلالات المعجبة المؤدّية إلى المعرفة بالله، وأنّه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه. و «الكتاب»: الصحيفة الّتي فيها الكتابة، وقد يكون مصدر «كتب» تقول: كتب كتاباً وكتابةً.

﴿والّذي أنزل إليك من ربّك الحقّ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب: الرفع والجرّ، فالرفع على الابتداء وخبره ﴿الحقّ﴾ والجرّ على أنّه عطف على ﴿الكتاب﴾ وهو غيره، على قول مجاهد. ويجوز أن يكون من صفته، في قول الحسن، كما قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم[٤]

---

(١) راجع ج ١: ٣٥٨.

(٢) الواقعة: ٩٥، وانظر الحاقة: ٥١.

(٣) راجع تفسير الآية ١٠٩ من سورة يوسف.

(٤) أنشده الفرّاء في معانيه ١: ١٠٥ و ج ٢: ٥٨، ولم ينسبه لأحد.

﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ أي: لا يصدّق أكثر الناس بأنّه كذلك ويكفرون به. و «الحقّ»: وضع الشيء في موضعه على ما تقتضيه الحكمة. و «الإنزال»: النقل من علوّ إلى أسفل، أنزله إنزالاً ونزّله تنزيلاً، وضدّه: الإصعاد.

قوله [تعالى]:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى في هذه الآية بما يدلّ على وحدانيّته، وكونه على صفات لايشاركه فيها أحد من المخلوقين من كونه قادراً لنفسه، لأنّه قال تعالى: هو ﴿الّذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ وقيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: روي عن ابن عبّاس ومجاهد: أنّهما قالا: إنّ لها عمداً لا نراها[1]. الثاني: قال قتادة وإياس بن معاوية: إنّ المعنى: أنّه رفع السماوات بلا عمد ونحن نراها.

وقال الجبّائي: تأويل ابن عبّاس ومجاهد خطأ، لأنّه لو كان لها عمد لكانت أجساماً غلاظاً ورئيت، وكانت تحتاج إلى عمد آخر. وهو تعالى أراد أن يدلّ على وحدانيّته من حيث لا يمكن لأحدٍ أن يقيم جسماً بغير عمد إلّا هو تعالى. وهذا هو الصحيح والوجه في قوله: ﴿بغير عمد﴾: أنّه

(١) العبارة في الحجريّة هكذا: «وقيل فيه قولان: الأوّل قال ابن عبّاس ومجاهد: يعني: ليس من دونها دعامة تدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها».

لو كان لها عمد لرئيت، ومثله قول الشاعر:

على لاحب لا يهتدي بمناره[١]

والمعنى: أنّه لا منار له، لأنّه لو كان له منار لاهتدي به، وقد بيّنّا نظائر ذلك فيما مضى. و «عمد» جمع «عمود» يقال: عمد، كما يقال: أديم وأدم، قال أبو عبيدة: وهذا الجمع قليل[٢]. وقد قرئ في الشواذّ: «عُمُد» بضمّ العين والميم، وهو القياس. و «العمود»: السارية، ومثله: «الدعائم» و«السند» وأصله: منع الميل، فمنه: «التعميد» و «الاعتماد» قال النابغة:

وخيّس الجنّ إنّي قد أذنت لهم يبنون تَدْمُر بالصفّاح والعمد[٣]

وقوله: ﴿ثمّ استوى على العرش﴾ معناه: استولى بالاقتدار عليه ونفوذ السلطان، وأصله: استواء التدبير، كما أنّ أصل «القيام»: الانتصاب ثمّ يقال: قائم بالتدبير، فالمعنى: مستوٍ على العرش بالتدبير المستقيم من جهته بجميع الأمور، و ﴿ثمّ﴾ دخلت على معنى: ثمّ استوى على العرش بالتدبير للأجسام الّتي قد كوّنها، فهي تدلّ على حدوث التدبير.

وقال أبو عليّ: هي لتسخير الشمس والقمر، لكنّه قدّم في صدر الكلام، كما قال: ﴿ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾[٤] والمعنى: حتّى يجاهد من نعلم من المجاهدين.

وقوله: ﴿وسخّر الشمس والقمر﴾ ف «التسخير» و«التذليل» و«التوطئة» نظائر، و «المسخّر»: هو المهيّأ لأن يجري بنفسه من غير معاناة صاحبه

---

(١) لامرئ‌القيس من قصيدة طويلة قالها حين توجّه إلى قيصر. راجع ديوان امرئ‌القيس: ٩٥.

(٢) الغريبين ٤: ١٣٢٤.

(٣) من قصيدة يمدح بها النعمان الملك. راجع ديوان النابغة الذبياني: ٢٤.

(٤) محمّد: ٣١.

فيما يحتاج إليه، كتسخير النار للإسخان، والماء للجريان، والفرس للركوب.

وقوله: ﴿كلّ يجري لأجل مسمّى﴾ أجراه على لفظ «كلّ» ومثله[١]: كلّ منطلق أي: كلّهم، ورفع ﴿كلّ﴾ لأنّه مستأنف. وذهب بمعنى الاثنين في الشمس والقمر إلى الجمع كما قال: ﴿فإن كان له إخوة﴾[٢] وإنّما هما أخوان. و «الأجل»: هو الوقت المضروب لحدوث أمر و[٣] انقطاعه، فأجل الدنيا: الوقت المضروب لانقضائها، وأجل الآخرة: الوقت المضروب لحدوثها، وأجل الدين: وقت حدوث أدائه، وأجل العمر: الوقت المضروب لانقضائه. والأجل المسمّى هاهنا قيل: يوم القيامة.

وقوله: ﴿يدبّر الأمر﴾ فالتدبير: تصريف الأُمور على ما يقتضيه مستقبل حاله في عاقبته، فتدبير السماوات والأرض دلالة على مدبّرٍ حكيمٍ قد جعل جميع ذلك لما يصلح في عاقبته وعاجلته.

ودخلت الألف واللام على ﴿الشمس﴾ وهي واحدة لا ثاني لها لأنّ في اسمها معنى الصفة، لأنّه لو وجد مثلها لكان شمساً، وكذلك ﴿القمر﴾ لو خلق الله مثله لكان قمراً، وليس كذلك زيد وعمرو.

وقوله: ﴿يفصّل الآيات﴾ أي: يميّز الدلالات واختلاف مدلولاتها، من كونه قادراً عالماً حكيماً، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء ﴿لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون﴾ معناه: لكي تتحقّقوا[٤] لقاء ثواب طاعات الله ولقاء عقاب معاصيه، فسمّى لقاء ثوابه وعقابه لقاءه، مجازاً.

---

(١) كذا في النسخ، والظاهر: في مثل.

(٢) النساء: ١١.

(٣) في بعض النسخ الخطيّة: أو انقطاعه.

(٤) في الحجريّة: «لكي توقنوا» بدل «لكي تتحقّقوا».

قوله [تعالى]:

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

آية بلا خلاف .

احتجّ الله تعالى في الآية الأُولى بالسماء والشمس والقمر، لأنّ أكثر ما في العالم متعلّق بذلك وجار مجراه كالنبات والحرث والنسل، ثمّ ذكر في هذه الآية الأرض وتدبيره لها على ما فيه من المصلحة، لينبّه بذلك من ذهب عن الاستدلال به على حكمته تعالى وتوحيده، فقال: ﴿وهو الّذي مدّ الأرض﴾ يعني: بسطها طولاً وعرضاً ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يعني: جبالاً راسيات ثابتات، يقال: رسا هذا الوتد وأرسيته، وواحد «الرواسي»: راسية ﴿وأنهاراً﴾ أي: وخلق فيها أنهاراً تجري المياه فيها ﴿ومن كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ ثمّ ابتدأ فقال: وجعل فيها من جميع الثمرات زوجين اثنين أي: ضربين، قال الحسن: يعني: لونين من كلّ ما خلق من النبات و «الزوج» يكون واحداً ويكون اثنين، وهاهنا واحد. وقريش تقول للأُنثى: زوج، وللذكر: زوج، قال الله تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنّة﴾ (١) لآدم.

ومعنى ﴿يغشي الليل النهار﴾ أي: يجلّل الليل بالنهار والنهار بالليل، والمعنى: أنّه يذهب كلّ واحد منهما بصاحبه، ومثله: ﴿يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل﴾ (٢) والمعنى: أنّ أحدهما يذهب الآخر. ثمّ أخبر تعالى: أنّ فيما ذكره من الدلالات ﴿لآيات﴾ واضحات لمن فكّر

(١) البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩. (٢) الزمر: ٥.

فيها واعتبر بها، لأنّ من لم يفكّر فيها ولم يعتبر كأنّه لا آية له.

وقوله: ﴿زوجين اثنين﴾ إنّما أُكّد بـ﴿اثنين﴾ وإن كان قوله: ﴿زوجين﴾ أفاد العدد لأمرين:

أحدهما: على وجه التأكيد، وهو مستعمل كثيراً. الثاني: أنّ «الزوجين» قد يقع على الذكر والأُنثى وعلى غيرهما، فأراد أن يبيّن أنّ المراد به هاهنا: لونين أو ضربين دون الذكورة والأُنوثة، وذلك فائدة لايفيد قوله: ﴿زوجين﴾ فلا تكرار فيه بحال، وهو قول الحسن والجبّائي والزجّاج وغيرهم.

قوله [تعالى]:

وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ آية بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وأهل البصرة وحفص: ﴿وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ بالرفع فيهنّ، الباقون بالخفض. وروى أبو شعيب القوّاس عن حفص ضمّ الصاد من ﴿صنوان﴾ في الموضعين، الباقون بكسرها. وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب: ﴿يسقى﴾ بالياء، الباقون بالتاء. وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿يفضّل﴾ بالياء، الباقون بالنون.

قال أبو عليّ النحوي: من قرأ ﴿وزرعٌ﴾ مرفوعاً جعله محمولاً على قوله: ﴿في الأرض﴾ ويكون تقديره: وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وفي الأرض زرع ونخيل صنوان، ف «الجنّة» على هذا تقع على الأرض الّتي فيها الأعناب دون غيرها كما تقع على الأرض الّتي

فيها النخيل دون غيرها، ويقوّي ذلك قول زهير:

كأنّ عـــينيّ فـــي غـربَي مـقتّلة   من النواضح تسقي جنّة سُحُقاً[١]

«السحق» جمع «سحوق» يوصف بها النخيل إذا بسقت، فكأنّه سمّى الأرض ذات النخل جنّة، ولم يذكر أنّ فيها غيرها، فكما أنّ الجنّة تكون من النخيل من غير أن يكون منها شيء آخر، كذلك تكون من الكروم وإن لم يكن فيها غيرها.

فأمّا من قرأ بالخفض فـإنّه حـمل الزرع والنـخيل عـلى الأعـناب، كأنّه قـال: جـنّات مـن أعـناب ومـن زرع ومـن نـخيل. وقـد تسـمّى الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع جنّة، قال الله تعالى: ﴿جـعلنا لأحدهما جنّتين من أعناب وحففناهما بنخل وجـعلنا بـينهما زرعاً﴾[٢] ويقوّي ذلك قول الشاعر:

أقبل سيل جاء من أمر الله   يجرد جرد الجنّة المـغلّة[٣]

فقوله: «المغلّة» في وصف الجنّة يدلّ على أنّ الجنّة يكون فيها الزرع، لأنّ الغلّة لا يقال إلّا فيما يكال أو يوزن، فلذلك قـال الفـقهاء: إذا قـال: «أوصيت له بغلّة هذه القرية» أنّه يكون على ما فيه في الحال من الثمرة وغيرها وقت التلفّظ بالوصيّة دون ما يحدث من بعد[٤].

و «الصنوان» فيما ذهب إليه أبو عبيدة صفة «النخيل» قال: والمعنى: أن يكون الأصل واحداً ثمّ يتشعّب من الرؤوس فيصير نـخلاً ويـحملن.

---

(١) من قصيدة طويلة له. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ٤٠.   (٢) الكهف: ٣٢.

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «غلل» ولم ينسبه لأحد. وفيه: «يحرد حرد...» بالحاء المهملة.

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٣ـ٤.

وقال: وقوله: ﴿يسقى بماء واحد﴾ لأنّها تشرب من أصل واحد ﴿ونفضّل بعضها على بعض في الأُكل﴾ وهو الثمرة[١]. وأجاز غيره أن يكون «الصنوان» من صفة «الجنّات»[٢] قال أبو عليّ: فكأنّه في المعنى يراد به ما في الجنّات، وإن جرى على لفظ «الجنّات» وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جرّت «النخل» غير أنّه لم يُقرأ به[٣].

ومن ضمّ الصاد من «صنوان» جعله مثل: ذئب وذؤبان، وربما تعاقب: «فِعلان» و «فُعلان» على بناء واحد نحو: حشّ وحُشّان. وأظنّ سيبويه حكى الضمّ في «صنوان» والكسر أكثر[٤].

ومن قرأ: «تسقى» بالتاء أراد تسقى هذه الأشياء بماء واحد ويقوّي ذلك قوله: ﴿ونفضّل بعضها على بعض﴾ فحمله على التأنيث، ومن قرأ بالياء فعلى تقدير يسقى ما ذكرناه بماء واحد[٥].

ومن قرأ: ﴿يفضّل﴾ بالياء ردّه إلى الله، وتقديره: ويفضّل الله بعضها على بعض، ومن قرأ بالنون فعلى الإخبار عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: ﴿ونفضّل﴾ نحن ﴿بعضها على بعض﴾.

أخبر الله تعالى على وجه التنبيه لعباده على الاستدلال بآياته بأن قال: ﴿في الأرض﴾ الّتي خلقتها ﴿قطع متجاورات﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك: معناه: سبخة وغير سبخة. وقيل: عامرة وغير

---

(١) مجاز القرآن ١: ٣٢٢.

(٢) نقله عن أبي عبيدة، الفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥.

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥ـ٦.

(٥) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦.

عامرة[١]. و «المتجاورة»: المتقاربة بعضها من بعض.

وقوله: ﴿وجنّات من أعناب﴾ فالجنّة: البستان الّذي يجنّه الشجر، وهي منفصلة من الروضة والزهرة ﴿من أعناب﴾ جمع «عنب» وهو ثمر الكرم يقع على أنواع كثيرة. و «الزرع»: إلقاء الحبّ للنبات في الأرض. و«الغرس» جعل الأصل من الشجر الثابت في الأرض.

و «الصنوان» المتلاصق وهي الفسيلة تكون في أصل النخلة، ويقال: هو ابن أخيه صنو أبيه أي: لصنو أبيه في ولادته، ويجوز في جمع «صنو» أصناء كعدل وأعدال. ويقال: «صنو» بضمّ الصاد، وإذا كثرت فهو الصُنِيّ والصِنِيّ، وقال البرّاء بن عازب وابن عبّاس ومجاهد وقتادة: «الصنوان»: النخلات الّتي أصلها واحد. وقال الحسن: «الصنوان»: النخلتان أصلهما واحد ﴿يسقى بماء واحد﴾ معناه: أنّ ما ذكرناه يسقى بماء واحد ﴿ونفضّل بعضها على بعض في الأُكل﴾ بأن يكون بعضه حلواً وبعضه حامضاً وبعضه مرّاً في الأكل. و «الأُكل»: الطعام الّذي يصلح للأكل، فدلّ بذلك على بطلان قول من يقول بالطبع، لأنّه لو كان قولهم صحيحاً لما اختلفت طعوم هذه الأشياء مع أنّ التربة واحدة، والأرض واحدة، والماء واحد، وجميع أحوالها المعقولة متساوية، فلمّا تفاضلت مع ذلك دلّ على أنّ المدبّر لها عالم حكيم يفعله[٢] بحسب المصلحة ﴿إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ إخبار منه تعالى أنّ فيما ذكرناه دلالات لقوم يعقلونها ويتدبّرونها، لأنّ من لا عقل له لا ينتفع بالاستدلال بها، وإنّما ينتفع بذلك ذوو الألباب والعقول.

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١٣٧.

(٢) في الحجريّة: ففعله.

قوله [تعالى]:

وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٥﴾ آية في الكوفي، وفي المدنيّين والبصري آيتان، تمام الأُولى قوله: ﴿لفي خلق جديد﴾.

قرأ ابن عامر وأبو جعفر: ﴿إذا﴾ بهمزة واحدة على الخبر، الباقون بهمزتين على الاستفهام. وحقّق الهمزتين أهل الكوفة وروح، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس بتخفيف الأُولى وتليين الثانية، وفصل بينهما بألف نافع إلّا ورشاً وأبو عمرو. وأمّا ﴿إنّا﴾ فقرأه بهمزة واحدة على الخبر نافع والكسائي ويعقوب، الباقون بهمزتين على الاستفهام، وحقّق الهمزتين ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف، إلّا أنّ هشاماً يفصل بينهما بألف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الأُولى وتليين الثانية، إلّا أنّ أباعمرو وأبا جعفر يفصلان بينهما بألف، وابن كثير لا يفصل. وكذلك اختلافهم في الموضعين في «سبحان»(١) وسورة المؤمنين(٢) وسجدةِ لقمان(٣) والثاني من اللذين في الصافّات(٤) وما سوى ذلك من الاستفهامين يذكر في موضعه إن شاء الله.

قال أبو عليّ الفارسي: من قرأ «أ إذا» «أ إنّا» بالاستفهام فيهما فموضع «إذا» نصب بفعل مضمر يدلّ عليه قوله: ﴿أإنّا لفي خلق جديد﴾ لأنّ هذا الكلام يدلّ على «نُبْعَث» و «نُحْشَر» فكأنّه قال: أنُبعث إذا كنّا تراباً؟ ومن

---

(١) أي: في سورة الإسراء: ٤٩ و٩٨.

(٢) الآية: ١٤ و٨٢.

(٣) السجدة: ١٠.

(٤) الآية: ٥٣.

لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع «إذا» نصباً بما دلّ عليه قوله: ﴿إنّا لفي خلق جديد﴾ فكأنّه قال: أنُبعث إذا كنّا تراباً؟ وما بعد «إنّ» في أن لا يعمل فيما قبله، بمنزلة الاستفهام، فكما قدّرت هذا الناصب لِـ«إذا» مع الاستفهام لأنّ الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله، كذلك تقدّره في «إنّ» لأنّ ما بعدها أيضاً لا يعمل فيما قبلها[١]. وقراءة ابن عامر[٢]: ﴿إذا كنّا تراباً﴾ على الخبر ﴿أإنّا﴾ على الاستفهام ينبغي أن يكون على مضمر كما حمل[٣] ما تقدّم على ذلك، لأنّ بعد الاستفهام منقطع ممّا قبله[٤]. فأمّا أبو عمرو فإنّه يفصل بين الهمزتين بألف، كما يفصل في ﴿أأنذرتهم﴾ وكما يفصل بين النونات في «اخشينانّ» ويأتي بعد ذلك بالهمزة بين بين، وليست ياءً محضة، كما أنّ الهمزة في «السائل» ليست ياء محضة، وإنّما هي همزة بين بين. وابن كثير إن أتى[٥] بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مدّ، فليس ذلك على التخفيف القياسي، لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يجعل الهمزة بين بين، كما فعل في «سئم» في المتّصل و ﴿إذ قال إبراهيم﴾[٦] في المنفصل كذلك، ولكنّه يبدّل [الياء] من الهمزة إبدالاً محضاً، كما حكى سيبويه أنّه سمع من العرب من يقول: «بِيْسَ» وقد جاء في الشعر يومئذٍ على القلب[٧].

مدح الله تعالى نبيّه ﷺ تعجّبه من الكفّار في عبادتهم ما لا يملك

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧.

(٢) كذا في «ح» والمصدر، وفي «م» والحجريّة: «ابن عباس».

(٣) في «م»: «جعل» بدل «حمل».

(٤) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧.

(٥) في المصدر والخطيّة: يأتي.

(٦) إبراهيم: ٣٥.

(٧) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧.

لهم نفعاً ولا ضرّاً، ثمّ أخبر أنّ هذا موضع العجب، وذمّهم بعجبهم من إعادتهم ثانية مع علمهم بالنشأة الأُولى، وفيما بيّن تعالى من خلق السماوات والأرض وما بينهما من عجيب أفعاله الّتي تدلّ على أنّه قادر على الإعادة كما دلّت على الإنشاء، لأنّ هذا ممّا ينبغي أن يتدبّره العاقل، وقد قيل: «لا خير فيمن لا يتعجّب من العجب، وأرذل منه المتعجّب من غير عجب». و «العجب» و «التعجّب» واحد، وهو تغيّر النفس بما خفي سببه عن الكافّة[١] وخرج عن العادة، فهؤلاء الجهّال توهّموا أنّهم إذا صاروا تراباً لا يمكن أن يصيروا حيواناً، والّذي أنشأهم أوّل مرّة قادر أن يعيدهم ثانية.

ثمّ أخبر تعالى عنهم فقال: هؤلاء هم الّذين جحدوا نعم الله، وكفروا بآياته ودلالاته، وهم الّذين يحشرهم الله يوم القيامة والأغلال في أعناقهم. و «الغلّ»: طوق يقيّد به اليد في العنق، وأصله: اغلّ في الشيء إذا انتشب فيه، و «غلّ»: إذا خان بانتشابه في مال الحرام. و «الأعناق» جمع «عنق» وهو مغرز الرأس. وقيل: إنّ المعنى في ذلك: أنّهم يؤاخذون بأعمالهم، وهي الأغلال، كما قال: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾[٢] فكأنّهم بمنزلة مَنِ الغلّ في عنقه لما لزمهم من الكفر به، تعالى[٣]: ﴿وأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ إخبار منه تعالى أنّهم بعد الغلّ في أعناقهم يجعلون في النار مؤبّدين فيها، معذّبين بأنواع العذاب.

---

(١) في الحجريّة: الكافر.
(٢) غافر: ٧١.
(٣) كذا في النسختين، وفي الحجريّة: «فقال» بدل «تعالى».

قوله [تعالى]:

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى نبيّهﷺ بأنّ هؤلاء الكفّار يطلبون منك ما يسوؤهم أن يعجّل لهم، كما قالوا: ﴿أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [1] قبل الإحسان بالانظار لهم، وقد حكم الله تعالى أن يمهلهم للتوبة، ثمّ يأخذ من أقام على القبيح بالعقوبة. و «الاستعجال»: طلب التعجيل، و«التعجيل»: تقديم الشيء قبل وقته الّذي يقدّر له. و «السيّئة»: خصلة تسوء النفس، ساءه يسوؤه سوءاً، وهو ساءٍ، وهي سائة، وسيّء وسيّئة، قال الشاعر:

ولا سيّء زيٍّ إذا ما تـلبّسوا   إلى حاجة يوماً مخلسة بزلا

و «الحسنة»: خصلة تسرّ النفس، وقد يعبّر بهما عن الطاعة والمعصية.

وقوله: ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ أي: مضت بانقضائها كمضيّ أهل الدار عنها، يقال: خلت الديار بهلاك أهلها، وخلوّهم بخلوّ مكانهم منها. و«المثلات»: العقوبات الّتي تزجر عن مثل ماوقعت لأجله، واحدها: «مثلة» مثل: «سمرة» و «صدقة» وفي الجمع: «سمرات» و «صدقات» ويقال: مثلت به أمثل مثلاً بفتح الميم وسكون الثاء، وأمثلته من صاحبه إمثالاً: إذا قصصته منه، وتميم تقول: «مثلة» على وزن «غرفة».

ثمّ قال: ﴿وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ على وجه الإخبار

(١) الأنفال: ٣٢.

عن نفسه بالرحمة بخلقه، والتفضّل عليهم بأنّه يغفر للناس على كونهم ظالمين. وذلك يدلّ على بطلان قول من قال: إنّ أصحاب الكبائر لا يجوز أن يعفو الله عنهم إلّا بالتوبة، لأنّه تعالى لم يشرط في ذلك التوبة، ومن شرط في الآية التوبة أو خصّها بالصغائر كان تاركاً للظاهر.

وقوله: ﴿وإنّ ربّك لشديد العقاب﴾ إخبار منه تعالى بأنّه كما يغفر تارة مع الظلم كذلك قد يعاقب مع الإصرار عذاباً شديداً، فلا تغترّوا بذلك، ولا تعوّلوا على مجرّد العفو، لأنّه يجوز أن لا يعفو.

قوله [تعالى]:

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّ هؤلاء الكفّار الّذين تقدّم ذكرهم يقولون: هلّا ﴿أُنزل﴾ على محمّد ﴿آية﴾ يقترحونها، مثل ما حكى الله عنهم من نحو تفجير الأنهار بحيث سألوا من البلاد[١] ونقل جبال مكّة عن أماكنها لتتّسع على أهلها، وإنزال كتاب من السماء إلى الأرض يقرأون فيه الأُمور الّتي دعاهم إليها، فقال الله تعالى له: ليس أمر الآيات إليك، إنّما أمرها إلى الله ينزلها على ما يعلمه من مصالح العباد، و ﴿إنّما أنت منذر﴾ أي: معْلِم لهم على وجه التخويف لهم معاصي الله وعقابه ﴿ولكلّ قوم هاد﴾ يهديهم إلى الحقّ، وللناس في معناه خمسة أقوال:

أحدها: روي عن ابن عبّاس ـ بخلاف فيه ـ أنّ الهادي هو الداعي

---

(١) كذا في «م» والحجريّة، وفي «ح»: «سألوا في البلاد»، و ورد طلب ذلك في سورة الإسراء، الآيات ٩٠ـ٩٣، وقد يكون المراد: أنّهم سألوا ذلك في بلدٍ ليس ذلك فيه.

إلى الحقّ.

والثاني: قال مجاهد وقتادة وابن زيد: إنّه نبيّ كلّ أُمّة.

الثالث: في رواية أُخرى عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير، ورواية عن مجاهد والضحّاك: أنّ الهادي هو الله.

الرابع: قال الحسن وقتادة ـ في رواية ـ وأبو الضحى وعكـرمة: إنّـه محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو اختيار الجبّائي.

والخامس: ما روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام: أنّ الهادي هـو إمام كلّ عصر، معصوم يؤمّن عليه الغلط وتعمّد الباطل[١].

وروى الطبري بإسناده عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت ﴿إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ وضع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يده على صدره وقال: أنا المنذر ﴿ولكلّ قوم هاد﴾ وأومأ بـيده إلى مـنكب عليّ عليه السلام فقال: أنت الهادي يا عليّ، بك يهتدي المهتدون من بعدي[٢].

قوله [تعالى]:

ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَاتَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَاتَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَاتَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ ابن كثير: ﴿المتعالي﴾ بياء في الوصل والوقف إلّا المالكي والعطّار عن الزبيبي ويعقوب، وروى المالكي والعطّار عن الزبيبي بياء الوقف دون الوصل، الباقون بغير ياء في الحالين. وروي عن أبي عمرو[٣] ـ في رواية شاذّة ـ مثل ابن كثير. قال أبو عليّ: إثبات الياء في الحالين هو القـياس،

---

(١) رواه العيّاشي ذيل الآية. (٢) في تفسيره ذيل الآية.

(٣) كذا في «م» وفي «ح»: «ابن أبي عمرو»، وفي الحجريّة: «ابي عمير و».

وليس ما فيه الألف واللام من هذا الباب كما لا ألف فيه ولام نحو: قاض وغاز. قال سيبويه: إذا لم يكن في موضع تنوين ـ يعني اسم الفاعل ـ فإنّ الإثبات أجود في الوقف، نحو: هذا القاضي، وهذا الغازي، لأنّها ثابتة في الوصل، يريد: أنّ الياء مع الألف واللام تثبت ولا تحذف كما تحذف من اسم الفاعل إذا لم يكن فيه الألف واللام، نحو: هذا قاض، فاعلم. فالياء مع غير الألف واللام تحذف في الوصل، فإذا حذفت في الوصل كان القياس أن تحذف في الوقف، وهي اللغة الأشيع الأفشى. فأمّا إذا حذفت[١] الألف واللام، فلا يحذف اللام في اللغة الّتي هي أكثر عند سيبويه، فأمّا من حذف في الوصل والوقف فلأنّ سيبويه زعم: «أنّ من العرب من يحذف هذا في الوقف، شبهّه بما ليس فيه ألف ولام إذ كانت تذهب الياء في الوصل في التنوين لو لم يكن ألف ولام» وأمّا حذفهم لها في الوصل فلم يكن القياس، لأنّه لم يضطرّ إلى حذفه لشيء كما اضطرّ ما لا ألف ولام فيه إلتقاء الساكنين، فكرهوا حركة الياء بالضمّ والكسر، لكن حذف كما حذف لأنّها في الفواصل وما أشبه الفواصل، تشبيهاً بالقوافي[٢].

أخبر الله تعالى أنّه جلّ وعزّ ﴿يعلم ما تحمل كلّ أُنثى﴾ من علقة أو مضغة، ومن ذكر أو أُنثى، ومن زائد أو ناقص وعلى جميع أحواله وصفاته، لأنّه عالم لنفسه. و «الحمل» بفتح الحاء: ما كان في البطن، وبكسرها: ما كان على الظهر.

وقوله: ﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما ينقص من ستّة أشهر وما يزداد، لأنّ الولد يولد لستّة أشهر

---

(١) في المصدر: دخلت.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨.

فيعيش، ويولد لسنتين فيعيش، ذهب إليه الضحّاك.

الثاني: قال الحسن: ما ينقص بالسقط وما يزداد بالتمام.

الثالث: قال ابن زيد: ما ينقص بغور النطفة وظهور دم الحيض فينقص تلك الأيّام، لأنّه لا يعتدّ بها في الحمل، وينقص حال الولد وما يزداد من الأشهر وفي حال الولد. وقال الفرّاء: «الغيض»: النقصان، يقولون: غاضت المياه أي: نقصت، وفي الحديث: «إذا كان الشتاء قيظاً والولد غيظاً، وغاضت الكرام غيضاً وفاضت اللئام فيضاً»[١] وقال الزجّاج: «الغيض»: النقصان.

وقوله: ﴿وكلّ شيء عنده بمقدار﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ جميع ما يفعله الله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة من غير نقصان ولا زيادة. وقال قتادة: معناه: كلّ شيء عنده بمقدار في الرزق والأجل. و «المقدار»: مثال يقدّر به غيره.

ثمّ أخبر تعالى: أنّه عالم بما غاب عن الحواسّ وبما ظهر لها، فالغيب: كون الشيء بحيث يخفى عن الحسّ، يقال: غاب يغيب فهو غائب. و«الشهادة»: حصول الشيء بحيث يظهر للحسّ، ومنه: الشاهد والغائب، ويقال: شهد في المصر إذا حضر فيه، ومنه قوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾[٢] أي: من حضر المصر فيه. وإنّما قال: ﴿عالم الغيب﴾ مع أنّ الله تعالى لا يغيب عنه شيء، لأنّه أراد: ما غاب عن إحساس العباد، وقيل: إنّه أراد: أنّه يعلم المعدوم والموجود، فالغيب هو المعدوم. وقال الحسن: ﴿الغيب﴾ السرّ، و ﴿الشهادة﴾ العلانية.

---

(١) معاني القرآن ٢: ٥٩.
(٢) البقرة: ١٨٥.

وقوله: ﴿الكبير المتعال﴾ فالكبير هو السيّد المقتدر، ومعناه: الأكبر بسعة مقدوره، و «المتعالي»: المقتدر بما يستحيل أن يكون أعلى منه في الاقتدار أو مساوياً له، فهو أقدر من كلّ قادر، ولهذا استحالت مساواته في المقدور، لأنّ من لا يساويه أحد في المقدور فهو أعلى في المقدور، كأنّه قال: تعالى مقدوره إلى ما يستحيل أن يكون أعلى منه، وقال الحسن: المتعالي عمّا يقول المشركون فيه.

قوله [تعالى]:

سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ آية بلا خلاف.

معنى الآية: أنّ الله تعالى الّذي وصف نفسه بأنّه الكبير المتعالي على غيره بسعة قدرته سواء عليه الأشياء في أنّه يعلمها على اختلاف حالاتها، وأنّه يعلم الإنسان على تصرّف أحواله بما يسرّ في نفسه، أي يخفيه أو يعلنه، أو يستتر بالليل، أو يسرب بالنهار، كلّ ذلك سواء في ظهوره له، فيجب أن يحذر حذر[1] من هذه صفته، ويعلم أنّه يأتي بالآيات بحسب ما يعلمه من مصلحة خلقه. وقال الزجّاج: المعنى: أنّ الظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات والجاهر بنطقه والمضمر في نفسه في معلوم الله سواء[2] أي: ليس ببعض ذلك أعلم من بعض. وقال الحسن: ﴿سارب بالنهار﴾ أي: مستتر فيه.

---

(١) كذا في «ح» وظاهر «م»، وقد شطب المصحح على هذه الكلمة في الحجريّة، ولعلّه قرأ «يُحْذَرَ» ـ بالبناء للمجهول ـ ولعل الصحيح: «فيجب ان يحذر صبر من هذه صفته» كما هو محتمل في «م».

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٤١ـ١٤٢.

وقال قطرب: يجوز أن يكون معنى ﴿مستخف بالليل﴾ أي: ظاهر بالليل ﴿وسارب بالنهار﴾ أي: مستتر فيه[١]. قال الزجّاج: هذا جائز في اللغة، يقال منه: انسرب الوحش إذا دخل في كناسه[٢].

وقال أبو رجاء: «السارب»: الذاهب على وجهه، يقال: انسرب فلان انسراباً. وقال ابن عبّاس وقتادة: «السارب»: الظاهر من خفيً كان فيه. ويقال: فلان سارب في مذهبه أي: ظاهر، يقال: خلا سربه أي: طريقه، ويقال: «فلان آمن في سربه» بالفتح والخفض معاً. قال قيس بن الخطيم:

أنّىٰ سربتِ وكنت غير سروب وتقرّب الأحلام غير قريب[٣]

وقال قومَ: «السارّب» الّذي يسلك في سربه أي: في مذهبه[٤] يقال منه: سرب يسرب سروباً، وقال بعضهم: «السارب» الجاري في خروجه إلى الأمر بسرعة، يقال: انسرب الماء من خروز القربة. قال ذو الرمّة:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنّها من كلى مفريّة سرب[٥]

فالاستخفاء: طلب الاختفاء، خفي يخفى، نقيض ظهر ظهوراً، واختفى اختفاء، وأخفاه إخفاء، وتخفّى تخفّياً. و «الإسرار»: إخفاء المعنى في النفس، فأسرّ القول معناه: أخفى في نفسه. و «الجهر»: رفع الصوت بالقول، يقال: لصوته جهارة، أي: قوّة في رفعه إيّاه، وهو يجاهر بأمره، أي:

---

(١) وقطرب، هو لقب محمّد بن المستنير النحوي، أحد تلاميذ سيبويه البارزين، اشتغل أيضاً بالقراءات والتفسير والحديث وعلم الكلام، وكان على مذهب الاعتزال، توفّي في خلافة المأمون ٢٠٦ هـ (تاريخ التراث العربي ٨: ٩٨).

(٢) راجع معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٤٢، وكناسه: أي جُحره ومخبئه.

(٣) من أبيات يذكر فيها الطيف. راجع ديوان قيس: ٢٦٢.

(٤) ذكره أبو عبيد في الغريبين ٣: ٨٨٢. وانظر مجاز القرآن ١: ٣٢٣.

(٥) من مطلع قصيدته البائية المشهورة. راجع ديوان ذي الرمّة: ١٩.

يظهره ويعلنه.

و «السواء»: هو الاعتدال في الوزن، و ﴿من﴾ في موضع «الّذي» وهما مرتفعان بسواء، و ﴿سواء﴾ رفع بالابتداء، وهو يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمرو، أي: هما مستويان.

قوله [تعالى]:

لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ آية بلا خلاف.

اختلفوا في الهاء في قوله ﴿له﴾ إلى من ترجع؟ فقال ابن زيد: على اسم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في قوله: ﴿إنّما أنت منذر﴾ وقال غيره: على اسم الله في قوله: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾. وقال قوم: على ﴿من﴾ في قوله: ﴿من أسرّ القول ومن جهر﴾ فكأنّه قال: للإنسان معقّبات، وهو الأقوى. و«المعقّبات» في هذا الموضع هم الملائكة عليهم السلام فقال الحسن وقتادة ومجاهد: ملائكة الليل تعقّب ملائكة النهار. وقال ابن عبّاس في رواية: إنّهم الأُمراء والولاة لهم حرس وأعوان يحفظونهم. وقال الحسن: هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر. و «المعقّبات»: المتناوبات الّتي يخلف كلّ واحد منها صاحبه، ويكون بدلاً منه. وأصل «التعقيب»: كون شيء بعد آخر، فالمعقّبات: الكائنات على خلف بعضها لبعض بعد ذهابه، و«المعقّب»: الطالب دينه مرّة بعد أُخرى، قال لبيد:

حتّى تهجّر في الرواح وهاجه　　طلب المعقّب حقّه المظلوم[1]

---

(١) من قصيدة طويلة في الفخر. راجع ديوان لبيد: ١٥٥.

ومنه: «العِقاب» لأنّه يُستحقّ عقيب المعصية، و «العُقاب» لأنّه يعقّب بطلبه لصيده مرّة بعد مرّة، و «العَقب» لأنّه يعقّب به لشدّة على الشيء مرّة بعد مرّة، وهو جمع «مَعْقبَة» فهو جمع الجمع، لأنّ واحده: «معقّب» مثل: رجّالة ورجالات. وفي قراءة أهل البيت: «له معقّبات من خلفه ورقيب بين يديه» قالوا: لأنّ المعقّب لا يكون إلّا من خلفه(١).

وقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ قيل في معناه أقوال:

أحدها: قال الحسن وقتادة: المعنى: بأمر الله، كما تقول: جئتك من دعائك إيّاي أي: بدعائك. وفي قراءة أهل البيت: «بأمر الله»(٢). وقال مجاهد وإبراهيم: يحفظونه من أمر الله من الجنّ والهوام. والمعنى: ذلك الحفظ من أمر الله. وقال قوم: معناه: عن أمر الله، كما يقال: أطعمه عن جوع ومن جوع(٣).

وقال الفرّاء: فيه تقديم وتأخير، كأنّه قال: له معقّبات من بين يديه ومن خلفه من أمر الله يحفظونه(٤) وإنّما قال: ﴿يحفظونه﴾ على التذكير مع قوله: ﴿له معقّبات﴾ على التأنيث حملاً على المعنى. وفي تفسير أهل البيت: أنّ معناه: يحفظونه بأمر الله(٥).

وقوله: ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ معناه: أنّ الله لا يسلب قوماً نعمةً حتّى يعملوا بمعاصيه الّتي يستوجبون بها العقاب، فإنّه حينئذٍ يعاقبهم ويغيّر نعمه عنهم(٦). وذلك دلالة على فساد قول المجبّرة:

(١ و٢) رواهما العيّاشي في تفسيره ٢: ٢٠٥ ح ١٥، عن بريد العجلي عن الصادق عليه السلام.

(٣) منهم الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١٤٢.

(٤) معاني القرآن ٢: ٦٠.

(٥) راجع تفسير العياشي ٢: ٢٠٥.

(٦) في الحجريّة: «عليهم» بدل «عنهم».

في أنّ الله يعذّب الأطفال، لأنّهم لم يغيّروا ما بأنفسهم بمعصية كانت منهم. و «التغيير»: تصبير الشيء على خلاف ما كان ممّا لو شوهد شوهد على خلاف ما كان.

وقوله: ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ يعني: هلاكاً ﴿فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال﴾ معناه: لا يقدر أحد على دفعه ولا نصرته عليه، بل هو تعالى الغالب لكلّ شيء، القاهر لمن يريد قهره. و «الوال» فاعل من: ولي يلي فهو وال ووليّ، مثل: عالم وعليم، والله وليّ المؤمن، أي: ناصره، والمعنى: لا يتولّاهم أحد إلّا الله.

قوله [تعالى]:

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه هو الّذي يُري الخلق البرق، أي: يجعلهم على صفة الرؤية بإيجاد المرئيّ لهم، وجعله إيّاهم على هذه الصفة الّتي يرون معها المرئيّات من كونهم أحياء، ورفع الموانع والآفات منهم، يقال: أراه يريه إراءة إذا جعله رائياً، مثل: أقامه يقيمه إقامة، وهو مشتقّ من «الرؤية». و «البرق»: ما ينقدح من السحاب من اللمعان كعمود النار وجمعه: «بروق» وفيه معنى السرعة، يقال: امض في حاجتك كالبرق. و «الخوف»: انزعاج النفس بتوهّم وقوع الضرر، خاف من كذا يخاف خوفاً فهو خائف، والشيء مخوف. و «الطمع»: تقدير النفس لوقوع ما يتوهّم من المحبوب، ومثله: الرجاء والأمل.

وقيل في معنى قوله: ﴿خوفاً وطمعاً﴾ قولان:

أحدهما: قال الحسن: خوفاً من الصواعق الّتي تكون مع البرق، وطمعاً في الغيث الّذي يزيل الجدب والقحط. وقال قتادة: خوفاً للمسافر من أذاه وطمعاً للمقيم في الرزق به. وهما منصوبان على أنّه مفعول له.

وقوله: ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ والإنشاء: فعل الشيء من غير سبب مولّد، ولذلك قيل: النشأة الأُولى والنشأة الثانية، ومثله: «الاختراع» و «الابتداع». و «السحاب» هو الغيم، سمّي به لأنّه ينسحب في السماء، وإذا قيل: «سحابة» جمعت على «سحائب» كقولك: غمامة وغمائم، و «السحاب» جمع «سحابة». و «الثقال» جمع «ثقيل» مثل: شريف وشراف، وكريم وكرام. و «الثقل»: الاعتماد إلى جهة السفل، والمعنى: أنّ السحاب ثقال بالماء، وهو قول مجاهد.

وقوله: ﴿ويسبّح الرعد بحمده﴾ فالتسبيح: تنزيه الله عزّ وجلّ عمّا لا يجوز عليه، والتنزيه له من كلّ صفة نقص تضاف إليه، وأصله: البراءة من الشيء، قال الشاعر:

أقول لمّا جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر[1]

أي: براءة منه. و «الرعد»: اصطكاك أجرام السحاب بقدرة الله تعالى، وفيه أعظم العبرة وأوضح الدلالة، لأنّه مع ثقله وهوله وغلظ جرمه حتّى يسمع منه مثل الرعد في عظمه، معلّق بقدرته تعالى لا يسقط إلى الأرض منه شيء ثمّ ينفش[2] كأنّه لم يكن، ولا شيء منه، وقد ذكرنا اختلاف

(١) للأعشى من قصيدة يهجو علقمة بن علاثة. راجع ديوان الأعشى: ٩٤.

(٢) في الحجريّة: «ينقشع» بدل «ينفش».

المفسّرين في الرعد في سورة البقرة[١]. و «الحمد»: الوصف بالجميل من الإحسان على وجه التعظيم.

وقيل في معنى قوله: ﴿ويسبّح الرعد بحمده﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يسبّح بما فيه من الدلالة على تعظيم الله ووجوب حمده، فكأنّه هو المسبّح لله عزّ وجلّ. الثاني: إنّه يسبّح بما فيه من الآية الّتي تدعو إلى تسبيح الله تعالى. الثالث: إنّ الرعد مَلَك يزجر السحاب بالصوت الّذي يُسمع، وهو تسبيح الله بما يذكره من تعظيم الله.

وقوله: ﴿والملائكة من خيفته﴾ تقديره: وتسبّحه الملائكة من خيفته، والفرق بين «الخيفة» و «الخوف»: أنّ «الخيفة» صفة للحال، مثل قولك: هذه ركبة، أي: حال من الركوب حسن، وكذلك: هذه خيفة شديدة، والخوف مصدر مطلق غير مضمنٍ بالحال.

وقوله: ﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي جمع «صاعقة» وهي نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة من شدّة الرعد وعظم الأمر، ويقال: إنّها قد تسقط على النخلة وكثير من الأشجار فتحرقها، وعلى الحيوان فتقتله.

وقوله: ﴿فيصيب بها﴾ يعني: بالصاعقة ﴿من يشاء﴾ من عباده.

وقوله: ﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني: هؤلاء الجهّال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التوحيد، ويحالون فتلهم عن مذهبهم بجدالهم، و «الجدال»: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج.

وقوله: ﴿وهو شديد المحال﴾ فالشدّة: قوّة العقدة، وفي بدن فلان شدّة أي: قوّة كقوّة العقدة، وشدّة العقاب: قوّته، تغلظ على النفس كقوّة العقدة.

---

(١) عند تفسير الآية: ١٩.

و «المحال»: الأخذ بالعقاب، يقال: ماخَلْت فلاناً مماحِلَةً ومِحالاً، ومَحَلْت به أَمْحَلُ مَحْلاً: إذا فتلته إلىٰ هلكة. والميم أصلية في «المحل» يقال: محِّلْني يا فلان أي: قوِّني، وقال الجُبّائي: شديد الكيد للكفّار، وسِنِيّ المَحْل: سنّي الهلاك بالقحط، وأصله الفتل إلى الهلاك، قال الأعشى:

فَرْعُ نَبْعٍ يَهتَزُّ في غُصُنِ المَجـ ـدِ غَزِيرُ النَدىٰ شَديدُ المِحالِ[١]

وقيل فيمن نزلت هذه الآية قولان:

أحدهما: قال أنس بن مالك وعبدالرحمن بن صُحار العبدي ومجاهد: إنّها نزلت في رجل من الطغاة جاء إلى النبيّ ﷺ يجادله، فقال: يا محمّد ممَّ ربّك، أَمِن لؤلؤ أم ياقوت أم ذهب أم فضّة؟ فأرسل الله عليه صاعقة، فذهبت بقِحْفِه.

وقال ابن جُرَيْج: نزلت في أَرْبد، لمّا أراد هو وعامر بن الطُفَيْل قتل رسول الله ﷺ فجفّت يده علىٰ قائم سيفه فرجع خائباً، فأرسل الله عزّوجلّ عليه في طريقه صاعقة فأحرقته، وابتلى عامراً بغُدّةٍ كغدّة البعير قتلته، حتّى قال عند موته: أَغُدَّة كغدّة البعير وموت في بيت سلوليّة؟ وفي ذلك يقول لَبيد بن ربيعة في أربد وكان أخاه:

أخشىٰ علىٰ أَرْبَدَ الحتوفَ ولا أَرهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدِ
فَجَّعَني البرقُ والصواعِقُ بالـ ـفارسِ يومَ الكَريهَةِ النَجُدِ[٢]

قوله [تعالى]:

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا

(١) من قصيدة طويلة يمدح الأسود بن المنذر أخا النعمان الملك. راجع ديوان الأعشى: ١٧١.
(٢) راجع ديوان لَبيد: ٤٩.

كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى بأنّ ﴿له﴾ عزّوجلّ ﴿دعوة الحقّ﴾ وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال ابن عباس وقَتادة وابن زيد: إنّها شهادة أن لا إله إلّا الله على إخلاص التوحيد. الثاني: قال الحسن: الله هو الحقّ، فمن دعاه دعا الحقّ. وقال قوم: كلّ دعوة هي حقّ جاز أن تُضاف إلى الله. وقال أبو عليّ: ﴿دعوة الحقّ﴾ هي الدعوة الّتي يُدعَى الله بها على إخلاص التوحيد. و«الدعوة»: طلب فعل الشيء، فالإنسان يدعو ربَّه أن يدخله في رحمته وهو أهل المغفرة والرحمة، وكلّ ما لابسه الإنسان فقد دخل فيه، والمعنى: لله من خلقه الدعوة الحقّ.

وقوله: ﴿والذين يدعون من دونه﴾ قيل:

أحدهما: قال الحسن: والذين يدعون من الأوثان لحاجاتهم.

الثاني: الذين يدعون أرباباً. وقيل: إنّ المعنى: الّذين يدعون غيره مقصّرين عن دعائهم له، كما قال الشاعر:

أَتُــوعِدني وراءَ بَـني رِيـاحٍ كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَداكَ دُوني[1]

أي: عنّي.

﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ فالاستجابة: متابعة الداعي فيما دعا إليه بموافقة إرادته، و«الاستجابة» و«الإجابة» واحد، إلّا أنّ صيغة«الاستجابة» تفيد طلب الموافقة، قال الشاعر:

---

(١) اختلف في قائله، وقد أنشده الطبري ذيل الآية.

وداعٍ دَعا يا مَن يُجيبُ إلى النَدَى ... فلم يَستَجبْهُ عـند ذاكَ مُـجيبُ[١]

وقوله: ﴿إلّا كباسط كفَّيه إلى الماء﴾ معناه قال مجاهد: كباسط كفّه إلى الماء مشيراً إليه من غير تناول الإناء ﴿ليبلغ فاه﴾ ببسط كفّه ودعائه له. وقال الحسن: معناه: كباسط كفّيه إلى الماء، فمات قبل أن يصل إليه. والعرب تضرب المثل لمن سعى فيما لا يدركه كالقابض على الماء، قال الشاعر:

فإنّي وإيّاكـم وشَـوْقاً إليكـم ... كقَابضِ ماءٍ لم تَسِقْهُ أَنامِلُه[٢]

وقال الآخر:

فأَصبحتُ ممّا كـان بـيني وبـينَها ... من الودّ مثلَ القابضِ الماءَ باليدِ[٣]

وقوله ﴿وما هو ببالغه﴾ إخبار منه تعالى أنّ من كان كذلك لا يبلغ الماء. ثمّ أخبر [تعالى] فقال: ﴿وما دعاء الكافرين إلّا في ضلال﴾ أي: ليس دعاؤهم الأوثان من دون الله إلّا ضلالاً عن الحقّ وعدولاً عن طريقه، وأنّه جارٍ مجرى ما ذكره من باسط كفّيه إلى الماء وهو بعيد منه من غير أن يتناوله ويدعوه إلى فمه، فإنّ ذلك لا يصل إليه أبداً.

قوله [تعالى]:

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿١٥﴾ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّ جميع ﴿مَن في السموات والأرض﴾ من

---

(١) لكعب بن سعد الغَنَوي من قصيدة يرثي بها أخاه. راجع الأصمعيات: ٧٧ رقم (٢٥).

(٢) لضابئ بن الحارث البُرْجُمي. أورده أبو عُبَيدة في مجاز القرآن ١: ٣٢٧.

(٣) أنشد أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٢٧، ولم ينسبه لأحد.

العقلاء يسجدون له إمّا ﴿طوعاً﴾ منهم أو ﴿كرهاً﴾ وقيل في معنى ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: قال الحسن وقتادة[١] وابن زيد: إنّ المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً بالسيف. ويكون المعنى على هذا: إنّ السجود واجب لله، فالمؤمن يفعله طوعاً، والكافر يُؤخذ بالسجود كرهاً أي: هذا الحكم في وجوب السجود لله.

الثاني: إنّ المؤمن يسجد لله طوعاً، والكافر في حكم الساجد كرهاً بما فيه من الحاجة إليه والذلّة الّتي تدعو إلى الخضوع لله تعالى.

الثالث: قال أبو عليّ: سجود الكره بالتذليل للتصريف من عافية إلى مرض، وغنىً إلى فقر، وحياة إلى موت، كتذليل الأكم للحوافر في قول الشاعر:

تَرَى الأُكْمَ فيها سُجَّداً للحَوافِرِ[٢]

وقال الزجّاج: ويجوز أن يكون المعنىٰ: أنّ فيمن سجد لله من يسهل ذلك عليه، وفيهم من يشقّ عليه فيكرهه[٣] كما قال: ﴿حملته أمّه كرهاً ووضعته كرهاً﴾[٤].

وقوله: ﴿وظلالهم بالغدوّ والآصال﴾ أي: وتسجد ظلالهم، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ سجود الظلال بما فيه من تعبير[٥] الذلّة الّتي تدعو إلى

---

(١) في «م» «مجاهد» بدل «قتادة».

(٢) لزيد الخيل، أنشده المبرّد في الكامل ٢: ٧٣٥.

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٤٤.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) في الحجريّة: تغيّر.

صانع غير مصنوع له العزّة والقدرة.

والثاني: قيل: «سجود الظلّ» لأنّه يقصر بارتفاع الشمس ويطول بانحطاطها، وذلك من آيات الله الدالّة عليه. و «السجود»: هو وضع الوجه على الأرض على وجه الخضوع مذلّةً لمن وضع له، وأصله: التذليل من قول الشاعر:

بجَمْعٍ تَضِلُّ[1] البُلْقِ في حَجَراتِهِ   تَرَى الأُكْمَ فيها سُجَّداً للحَوافِرِ

وأصل «السجود»: هو الميل والتطأطؤ، يقال: سَجَد البعير وأَسجَدَه صاحبه إذا طأطأه ليركبه، فشبّه السجود في الصلاة بذلك، وعلى هذا يحمل سجود الظلال وسجود الكفّار ويراد بذلك حركاتهم وتصاريفهم، فإنّ ذلك أجمع يدلّ على أنّ الله الخالق لهم والمدبّر لمعايشهم. و «الطوع»: الانقياد للأمر الّذي يدُعى إليه من قبل النفس، وهو نقيض «الكُرْه». و«الكره»: الجرّ إلى الأمر على إباء النفس، وأصله: الكراهة ضدّ الإرادة، إلّا أنّه جعل نقيض «الطوع». و «الظِلال» جمع «ظِلّ» وهو ستر الشخص ما بإزائه، والظلّ الظليل: هو ستر الشمس اللازم. وأمّا «الفيء» فهو الّذي يرجع بعد ذهاب ضوئه، ومنه «الظِلّة» لأنّها ساترة، والظِلّ والظِلال مثل: زِقّ وزِقاق. و «الآصال» جمع «أُصُل» و «الأُصُل» جمع «أَصيل» وهو العشي، فكأنّه قيل: أصل الليل الّذي ينشأ منه، لأنّه مأخوذ من الأصل وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس، قال أبو ذُؤَيْب:

لَعَمْري لأَنْتَ البيتُ أُكرِمُ أَهلَهُ   وأَقعُدُ في أَفيائِهِ بالأَصائِلِ[2]

(١) في الحجريّة: يجمع نَصل.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية.

قوله [تعالى]:

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ (١٦) آية في الكوفي، وآيتان في البصري والمدنيّيْن، تمام الأُولى ﴿والنور﴾.

قرأ أهل الكوفة إلّا حفصاً ﴿أم هل يستوي﴾ بالياء، الباقون بالتاء.

من قرأ بالتاء فلأنّه مسند إلى مؤنّث لم يفصل بينه وبين فاعله بشيء، كما قال: ﴿قالت الأَعراب﴾ (١) و﴿قالتِ اليهود﴾ (٢) و ﴿إذ قالت أُمّة﴾ (٣) وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله: ﴿وقال نِسوة﴾ (٤). ومن قرأ بالياء فلأنّه تأنيث غير حقيقي والفعل مقدّم.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم يأمره بأن يقول لهؤلاء الكفّار: ﴿مَن ربّ السماوات والأرض﴾ أي: مَن مدبّرهما ومصرِّفهما على مافيهما من العجائب، فإنّهم لا يمكنهم أن يدّعوا أنّ مدبِّر السماوات والأرض الأصنام الّتي يعبدونها، فإذا لم يمكنهم ذلك فقل لهم: ربّ السماوات والأرض وما بينهما من أنواع الحيوان والنبات والجماد ﴿الله﴾ تعالى، فإذا أقرّوا بذلك فقل لهم على وجه التبكيت لهم والتوبيخ لفعلهم: ﴿أفاتّخذتم من﴾ دون الله ﴿أولياء﴾ توجّهون عبادتكم إليهم؟! فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقريع والتوبيخ.

---

(١) الحُجُرات: ١٤.
(٢) البقرة: ١١٣، والتوبة: ٣٠، والمائدة: ١٨ و ٦٤.
(٣) الأعراف: ١٦٤.
(٤) يوسف: ٣٠.

ثمّ بيّن أنّ هؤلاء الّذين اتّخذوهم[١] أولياء من الأصنام والأوثان ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً﴾ ومَن لا يملك لنفسه ذلك فأن لا يملك لغيره أولى وأحرى، ومَن كان كذلك كيف يستحقّ العبادة؟! ثمّ قال لهم: ﴿هل يستوي الأعمىٰ والبصير﴾ أي هل يتساوَى الأعمى عن طريق الحقّ والعادل عنه إلى الضلال، والبصير الّذي اهتدَى إلى الحقّ؟ فإنّهما لا يتساويان أبداً، كما لا يتساوَى ﴿الظلمات والنور﴾. ثمّ قال: ﴿أم جعلوا﴾[٢] يعني: هؤلاء الكفّار ﴿لله شركاء﴾ في العبادة ﴿خَلَقوا﴾ أفعالاً مثل خلق الله، من: خَلْق الأجسام والألوان والطعوم والأراييح والموت والحياة والشهوة والنفار، وغير ذلك من الأفعال الّتي يختصّ تعالى بالقدرة عليها فاشتبه ذلك عليهم، فظنّوا أنّها تستحقّ العبادة، لأنّ أفعالها مثل أفعال الله، فإذا لم يكن ذلك مشتبهاً[٣] بل كان معلوماً لهم أنّ جميع ذلك ليست من جهة الأصنام، فقل لهم: ﴿الله خالق كلّ شيء﴾ أي: هو خالق جميع ذلك، يعني: ما تقدّم من الأفعال الّتي يستحقّ بها العبادة دون الحركات والسكنات الّتي لا شبهة في أنّها لا تستحقّ بها العبادة.

وقوله: ﴿وهو الواحد القهّار﴾ أي الخالق لذلك واحد لا ثاني له، وهو الّذي يقهر كلّ قادر سواه لا يقدر على امتناعه منه.

ومَن تعلّق من المجبِّرة بقوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾ على أنّ أفعال العباد مخلوقة لله، فقد أبعد، لأنّ المراد بذلك ما قدّمناه من أنّه تعالى خالق كلّ شيء يستحقّ بخلقه العبادة دون ما لا يستحقّ به ذلك، ولو كان

---

(١) في الحجريّة «اتّخذتموهم» بدل «اتّخذوهم».
(٢) في «م» والحجريّة: «هل» بدل «أم».
(٣) في الحجريّة: شبيهاً.

المراد ما قالوه لكان فيه حجّة للخلق على الله تعالى، وبَطُل التوبيخ الّذي تضمّنته الآية إلى مَن وجّه عبادته إلى الأصنام، لأنّه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله ـ على قول المجبِّرة ـ فلا توبيخ يتوجّه على الكفّار، ولا لوم يلحقهم، بل لهم أن يقولوا: إنّك خلقت فينا ذلك، فما ذنبنا فيه؟ ولِمَ توبّخنا على فعلٍ فعلتَهُ؟ فتبطل حينئذٍ فائدة الآية.

على أنّه تعالى إنّما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه، ونحن لا نقول: إنّ أحداً يخلق مثل خلق الله، لأنّ خلق الله اختراع مبتدع، وأفعال غيره مفعولة في محلّ القدرة عليه مباشراً أو متولّداً في غيره بسبب حالٍ في محلّ القدرة، ولا يقدر أحدنا على اختراع الأفعال في غيره على وجهٍ من الوجوه، ولأنّ أحدنا يفعل ما يجرّ به نفعاً أو يدفع به ضرراً، والله تعالى لا يفعل لذلك، فبان الفرق بين خلقنا وخلقه. ولأنّ أحدنا يفعل بقدرةٍ محدثةٍ يفعلها الله فيه، والله تعالى يفعل لأنّه قادر لنفسه.

وأيضاً فإنّ هاهنا أجناساً لا نقدر عليها، وهو تعالى قادر على جميع الأجناس، ونحن لا نقدر أن نفعل بقدرة واحدة في وقت واحد في محلّ واحد من جنس واحد أكثر من جزء واحد، والله تعالى يقدر أن يفعل ما لا نهاية له، فبان الفرق بيننا وبينه من هذه الوجوه.

قوله [تعالى]:

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ آية واحدة بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر: ﴿وممّا يوقدون﴾ بالياء، الباقون بالتاء.

قال أبو عليّ: مَن قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب، وهو قوله: ﴿قل أفاتخذتم﴾ ويجوز أن يكون خطاباً عامّاً يُراد به الكافّة، فكان المعنى: ممّا توقدون عليه أيّها الموقِدون زَبَدٌ مثل زَبَد الماء الّذي يحمله السيل، ﴿فأمّا الزَبَد فيذهب جُفاء﴾ لا ينتفع به كما ينتفع بما يخلص بعد الزبد من الماء والذهب والفضّة والصفر. ومَن قرأ بالياء فلأنّ الغيبة قد تقدّم في قوله: ﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ ويجوز أن يُراد به جميع الناس، ويقوّي ذلك قوله: ﴿وأمّا ما ينفع الناس﴾ فكما أنّ «الناس» يعمّ المؤمن والكافر، كذلك الضمير في «يوقدون» وقال: ﴿وممّا يوقدون عليه في النار﴾ كقوله: ﴿فأَوقِدْ لي يا هامان على الطين﴾ (١) فهذا إيقاد على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها ولهبها. وأمّا قوله: ﴿بورِك من في النار﴾ (٢) فالمعنى: على من في قرب النار، وليس يُراد به متوغّلها ﴿ومَن حولها﴾ (٣) ومَن لم يقرب منها قرب الآخرين، ألا ترى أنّ قوله: ﴿وممّن حولكم من الأعراب منافقون﴾ (٤) لم يقرب المنافقون الّذين حولهم فيه قرب المخالطين لهم حيث يحضرونه ويشهدونه في مشاهدهم؟ (٥)

قال: [سمعت] الحسن يقول: الله (٦) ﴿أَنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾ إلى قوله: ﴿ابتغاء حِلْية﴾ الذهب والفضّة والمتاع والصفر والحديد ﴿كذلك يضرب الله الحقّ والباطل﴾ كما أوقد على الذهب والفضّة

---

(١) القصص: ٣٨. (٢) النمل: ٨. (٣) النمل: ٨.
(٤) التوبة: ١٠١. (٥) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٩.
(٦) كذا في المصدر، وفي الخطّية والحجريّة: الّذي بدل: الله.

والصفر والحديد فيخلص خالصه ﴿كذلك يضرب الله الحقّ والباطل فأمّا الزبد فيذهب جُفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ قال: فكذلك الحقّ بقي لأهله فانتفعوا به.

وقرأ الحسن: «بقَدْرِها» بتخفيف الدال، وهما لغتان، يقال: أَعطى قَدْرَ شبر وقَدَرَ شبر، وفي المصدر بالتخفيف لا غير، تقول: قَدَّرْتُ أُقَدِّرُ قَدْراً، وفي المثل التخفيف والتثقيل، تقول: «هم يختصمون في القدر» بالسكون والحركة، قال الشاعر:

أَلا يـــا لَـــقَوم للـــنَوائبِ والقَـــدرِ
وللأمرِ يأتي المرءَ مِن حيثُ لا يَدْري

أخبر الله تعالى: أنّه هو الّذي ينزل من السماء مـاءً، يـعني: الأمـطار والغيوث، فتسيل هذه المياه أوديةً بقدرها من القلّة والكثرة. و «السيل»: جري الماء من الوادي على وجه الكثرة، يقال: جاء السيل فيغرق الدنيا، وسال بهم السيل: إذا أجحفهم بكثرته. و «الوادي» سـفح الجـبل العـظيم المنخفض الّذي يجتمع فيه ماء المطر، ومنه اشتقاق «الدية» لأنّـه جـمع المال العظيم الّذي يودَّى عن القتيل. و «القَدر» إقران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان، والوزن يزيد وينقص، فإذا كان مساوياً فهو القَدر.

وقوله: ﴿فاحتمل السيل زَبَداً رابياً﴾ فالاحتمال: رفـع الشـيء عـلى الظهر بقوّة الحامل له، ويقال: «علا صوته على فلان فاحتمله ولم يغضبه» فقوله: «هذا يحتمل وجهَيْن» معناه: له قوّة يحمل بها الوجهيْن. و «الزبد»: وَضَر الغليان، وهو خبث الغليان، ومنه: زَبَد القِدْر وزَبَد السيل وزَبَد البعير. و «الجُفَاء» ممدود، مثل: «الغُثاء» وأصله الهمزة، يقال: جفا الوادي جفاء،

قال الفرّاء: كلّ شيء ينضمّ بعضه إلى بعض فإنّه يجيء على «فُعال» مثل الحُطام والقُماش والغثاء والجُفاء، فإذا أردت المصدر فهو مقصور(١).

وقوله: ﴿رابياً﴾ معناه: زائداً يقال: رَبا يربُو رباً فهو رابٍ، ومنه: الربا المحرّم.

وقوله: ﴿وممّا يوقدون عليه﴾ أي: ومن ذلك الّذي يوقدون عليه زبداً مثله، و «الإيقاد»: إلقاء الحطب في النار، أَوقَدَأ إيقاداً، وٱسَتوْقَدَتِ النـار وٱتَّقَدَت وتَوَقَّدَت.

وقوله: ﴿ابتغاء حلية﴾ معناه: طلب حـلية مـن الذهب والفـضّة ﴿أو مَتاع﴾ يعني: الصفر والحديد، و «المتاع»: ما تمتّعت به، قال الشاعر:

تَـمتَّعْ يـا مُشَـعَّثُ(٢) إنّ شـيئاً سَبَقْتَ به المماتَ هو المَتاعُ(٣)

﴿زبد مثله﴾ يعني: من الّذي يُوقَد عليه زبد مثل زبد السـيل، ومـثل الشيء: ما سدّ مسدّه وقام مقامه فيما يرجع إلى ذاته.

وقوله: ﴿كذلك يضرب الله الحقّ والباطل﴾ أي: يضرب المثل للحقّ والباطل، وضرب المثل: تسييره في البلاد حتّى يتمثّل به الناس.

وقوله: ﴿فأمّا الزبد فيذهب جُفاء﴾ إخبار منه تعالى أنّ الزَبَـد الّـذي يعلو على الماء والنار يذهب باطلاً وهالكاً، قال أبو عُبَيْدَة: قال أبو عمرو: وتقول العرب: أَجْفأَت القِدرُ إذا غَلَت فانصبَّ زَبَدُها وسكنت فلا يبقى منه شيء(٤). و «الجُفاء» ممدود مثل «الغُثاء» وأصله الهمز.

---

(١) انظر معاني القرآن ٢: ٦٢.

(٢) في النسخ: شعيب.

(٣) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٢٨، ونسبه إلى المشعّث العامري.

(٤) مجاز القرآن ١: ٣٢٩.

وقوله: ﴿وأمّا ما ينفع الناس﴾ من الماء الصافي والذهب والفضّة والحديد والصفر ﴿فيمكث في الأرض﴾ أي: يلبث ويثبت، و «المكث»: الكون في المكان على مرور الزمان، مَكَثَ يَمكُثُ مَكْثاً، وتمكّث تَمكُّثاً، و «المَكث»: طول المقام.

وقوله: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ أي: يضرب الله مثل الحقّ والباطل بالماء الّذي ينزل من السماء وبجواهر الأرض، فإنّ لهما جميعاً زَبَداً، هذا عند سيله وجريه، وهذا عند إذابته بالنار، وهو وسخه وخبثه، فالحقّ ثابت كالماء الّذي يبقى في الأرض فينبت به الزرع والشجر، وكالجواهر الّتي في أيدي الناس وتصبر على النار فلا تبطل فينتفعون بها، والباطل كزَبَد هذَيْن يذهب، لا منفعة فيه، بعد أن يُرى له حركة واضطراب. وفي ذلك تنبيه لمن تقدّم ذكره من المشركين الّذين سألوا الآيات على سبيل التكذيب والعناد.

قوله [تعالى]:

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴿١٨﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ الّذين يجيبون دعاء الله إلى طريق التوحيد والعمل بشريعته وتصديق نبيّه ويطلبون مرضاته في فعل ما دعاهم إليه لهم ﴿الحسنىٰ﴾ وهي المنفعة العظمىٰ في الحسن، وقال المفسّرون: أراد بالحسنى الجنّة والخلود في نعيمها ﴿و﴾ أنّ ﴿الّذين لم﴾ يجيبوا دعاءه ولم يقرّوا بنبيّه ولم يعملوا بما دعاهم إليه ﴿لو أنّ لهم ما في

الأرض جميعاً﴾ ملكاً لهم ﴿و﴾ يضيفوا إليه ﴿مثله﴾ في الكثرة ﴿لافتدوا﴾ بجميع ذلك أنفسهم من عذاب النار وطلبوا به الخلاص منه، لو قُبِل ذلك منهم. و «الافتداء»: جعل أحد الشيئين بدلاً من الآخر على وجه الاتّقاء به، فهؤلاء لا يقيهم من عذاب الله شيء، نعوذ بالله منه.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ لهؤلاء ﴿سوء الحساب﴾ وقيل في معناه قولان:

قال إبراهيم النَخْعي: إنّ سوء الحساب هو مؤاخذة العبد بذنبه، لا يغفر له شيء منه. وقال الجُبّائي: معناه: أخذه به على وجه التوبيخ والتقريع. و«الحساب»: إحصاء ما على العبد وله، يقال: حاسَبْتُه حِساباً ومُحاسَبَةً، وحَسَبَه يَحْسُبُه حَسْباً وحُسْباناً.

وقوله: ﴿ومأواهم جهنّم وبئس المهاد﴾ فالمهاد: الفراش الّذي يُوطَّأ لصاحبه، وإنّما قيل لجهنّم: «مهاد» أي: هي موضع المهاد لهم.

قوله [تعالى]:

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴿١٩﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ مَن يؤمن بالله و ﴿يعلم أنّ ما أُنزل إليك﴾ يا محمّد ﴿من ربّك الحقّ﴾ لا يكون مثل مَن يشهد ذلك وعمِي عنه، فأخرج الكلام مخرج الاستفهام والمراد به الإنكار لأن يكون[1] هذان مستويين، وبيّن أنّ الفرق بينهما بمنزلة الفرق بين الأعمى والبصير.

وقوله: ﴿إنّما يتذكّر أُولوا الألباب﴾ معناه: إنّما يتذكّر في ذلك ويفكّر فيه ويستدلّ به ذوو العقول والمعرفة، و «الألباب» هي العقول، واحدها:

(١) كذا في «ح»، وفي «م» والحجريّة: «لا يكون» بدل «لأن يكون».

«لُبّ» ولبّ الشيء أَجلُّ ما فيه وأَخْلَصه وأُجْوَده، فلُبّ الإنسان عقله لأنّه أجلّ ما فيه، ولُبّ النخلة قلبها، ولُبّ الطلعة ثمرتها الّتي فيها. وإنّما شبّه العلم بالبصر، والجهل بالعمى، لأنّ العلم يُهتدى به إلى طريق الرشد من الغيّ كما يهتدى بالبصر إلى طريق النجاة من طريق الهلاك، وعكس ذلك حال الجهل والعمى.

قال الرُمّاني: وجه الاحتجاج بالآية: أنّه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى، وحال العالم كحال البصير، وأمكن هذا الأعمى أن يستفيد بصراً، فما الّذي يبعده عن طلب العلم الّذي يخرجه عن حال الأعمى بالجهل؟! وهذا إلزام طلب العلم، لأنّه خروج عن حال العمي بالجهل إلى البصر بالعلم.

وقوله: ﴿إنّما يتذكّر أُولوا الألباب﴾ معناه: إنّما ينتفع بالذكر من كان له لُبّ، كقولك: إنّما يترك السرف والبغي من له عقل وعلم بالعواقب، وإن كان كثير ممّن له عقل لا يترك ذلك ولا يفكّر في العواقب.

قوله [تعالى]:

ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ آية بلا خلاف.

موضع ﴿الّذين﴾ رفع لأنّه صفة لأُولي الألباب فكأنّه قال: ﴿إنّما يتذكّر أُولوا الألباب الّذين﴾ صفتهم أنّهم ﴿يوفون بعهد الله ولا ينقضون﴾ مواثيقه. و «الإيفاء»: جعل الشيء على المقدار من غير زيادة ولا نقصان. و «العهد»: العقد المتقدّم على الأمر بما يفعل أو يجتنب، عهد الله عهداً، وعاهَدَه مُعاهَدَةً، وتَعَهَّدَه تَعَهُّداً، وتَعاهَدَهُ تَعاهُداً. و «النقض»: حلّ العقد بفعل ما ينافيه، و «النقيض» معنىً تنافي صحّته صحّة غيره، والنقض في

المعاني اتخاذ[1] ما لا يمكن أن يصحّ مع غيره، كاعتقاد أنّ زيداً في الدار وليس هو فيها على وجه واحد. و «الميثاق»: العهد الواقع على إحكام، تَوَثَّقَ تَوَثُّقاً، واستَوْثَقَ استيثاقاً، وواثَقَهُ مُواثَقَةً، ووَثِقَ به ثِقَةً، وأَوثَقَه إيثاقاً، ووَثَّقَهُ تَوثيقاً.

والعهد الّذي جعله في عقول العباد: ما جعل فيها من اقتضاء صحّة أُمورٍ من أُمور الدين وفساد أُمور أُخَر، كاقتضاء الفعل للفاعل، وأنّه لا يصحّ الفعل إلّا أن يكون فاعله قادراً، وأنّ المحكم لا يصحّ إلّا من عالم، وأنّ الصنائع لابدّ أن ترجع إلى صانعٍ غير مصنوعٍ وإلّا أدّى إلىٰ ما لا نهاية له، وأنّ للعالمِ مدبِّراً لا يشبهه ولا يحتاج إلى مدبِّر لحاجته، وما أشبه ذلك. وقد يكون أيضاً على العهد الّذي عاهد عليه النبيّ ﷺ أصحابه.

وفي الآية دلالة على وجوب الوفاء بالعهود الّتي تنعقد بين الخلق، سواء كان بين المسلمين أو الكفّار، من الهدنة وغيرها.

قوله [تعالى]:

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴿٢١﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على الأُولى ﴿و﴾ هي من صفة ﴿الّذين﴾ يوفون بعهد الله ولا ينقضون ميثاقه، وأنّهم مع ذلك ﴿يَصِلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ فالوَصْل ضدّ الفَصْل، يقال: وَصَلَه يَصِلُهُ وَصْلاً، وأَوصَلَه إيصالاً، واتَّصَلَ اتّصالاً، وتَواصَلُوا تَواصُلاً، ووَاصَلَهُ مُواصَلَةً، ووَصَّلَهُ تَوصِيلاً، و«الوَصْل»: ضمّ الثاني إلى الأوّل من غير فاصلة. وقيل: المعنى: يصلون

(١) في الحجريّة: «إيجاد» بدل «اتّخاذ».

الرَحِم[١]. وقال الحسن: المعنى: يَصِلون محمّداً صلّى الله عليه وآله.

وقوله: ﴿ويخشون ربّهم﴾ أي: يخافون عقابه فيتركون معاصيه ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ وقد فسّرناه[٢]. و «الخوف» و «الخشية» و«الفزع» نظائر، وهو انزعاج النفس ممّا لا تأمن معه من الضرر، وضدّ «الأمن»: الخوف. و «السوء»: ورود ما يشقّ على النفس، ساءَهُ يَسُوؤُهُ سُوءاً، وأَساءَ إليه إساءَةً، والإساءة ضدّ الإحسان. وقيل: ﴿سوء الحساب﴾ مناقشة الحساب. و «الحساب»: إحصاءما على العامل وله، وهو هاهنا: إحصاء ما على المجازى وله.

قوله [تعالى]:

وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية أيضاً من تمام وصف ﴿الّذين﴾ يوفون بعهد الله ولا ينقضون ميثاقه، ويصلون ما أمر الله بوصله، ويصبرون على ترك معاصي الله، والقيام بما أوجبه عليهم، والصبر على بلاء الله وشدائده من الأمراض والفقر وغير ذلك. و «الصبر»: حبس النفس عمّا تنازع إليه ممّا لا يجوز من الفعل، وهو تجرّع مرارة تمنع النفس ممّا تحبّ من الأمر.

ومعنى قوله: ﴿ابتغاء وجه ربّهم﴾ أي: يفعلون ذلك طلب عظمة ربّهم، والعرب تقول ذلك في تعظيم الشيء، يقولون: هذا وجه الرأي، وهذا نفس الرأي للرأي المعظّم، فكذلك «سبيل وجه ربّهم» أي نفسه المعظّم

---

(١) النكت والعيون: ٣: ١٠٨.

(٢) في تفسير الآية ١٨ من هذه السورة.

بما لا شيء أعظم منه، ولا شيء يساويه في العِظَم، والمعنى: ابتغاء رحمة[١] ربهم.

وقوله: ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يعني: أقاموها بحدودها، وقيل: معناه: داموا على فعلها ﴿وأنفقوا ممّا رزقناهم سرّاً وعلانيةً﴾ أي: ظاهراً وباطناً، ما يجب عليهم من الزكوات، وما ندبوا إليه من الصدقات. و «السرّ»: إخفاء المعنى في النفس، ومنه: «السرور» لأنّه لذّة تحصل في النفس، ومنه: «السرير» لأنّه مجلس سرور.

وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيّئة﴾ معناه: يدفعون بفعل الطاعة المعاصي، يقال: دَرَأْتُه أَدْرَؤُهُ دَرْءاً: إذا دفعته. وقال ابن زيد: الصبر على وجهَيْن:

أحدها: الصبر لله على ما أحبّ. والآخر: الصبر له عمّا كره، كما قال: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنِعْم عقبى الدار﴾[٢]. وقيل: ويدرؤون سفه الجهال بما فيهم من الحلوم[٣]. وقيل: إنّهم يدفعون ظلم الغير عن نفوسهم بالرفق والمواعظ الحسنة[٤]. ثم قال تعالى مخبراً: إنّ هؤلاء الّذين وصفهم بهذه الصفات ﴿لهم عقبى الدار﴾ أي: عاقبة الدار، وهي الجنّة الّتي وعد الله الصابرين بها.

قوله [تعالى]:

جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ

---

(١) في الحجريّة: «ثواب» بدل «رحمة». (٢) الرعد: ٢٤.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ١٠٩ عن ابن عيسىٰ.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ١٠٩.

وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ آيتان في الكوفي والبصري، وآية في الباقي، تمام الأُولى في الكوفي والبصري: ﴿من كلّ باب﴾.

يقول الله تعالى: إنّ مَن وصفه بالصفات المذكورة ﴿لهم عقبى الدار﴾ وهي ﴿جنّات عدن﴾ قال الزجّاج: ﴿جنّات﴾ بدل من قوله: ﴿عقبى الدار﴾ [1] و «الجنّات»: البساتين الّتي تحفّها الشجر، واحدها: «جنّة» وأصله: الستر، من قوله: ﴿جنّ عليه الليل﴾ [2] وجنَّه: إذا ستره. و «العَدْن»: الإقامة الطويلة، عَدَنَ بالمكان: إذا أقام به يَعْدِنُ عَدْنا، ومنه: المعادن الّتي يخرج منها الذهب والفضّة وغيرهما.

وقوله: ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم﴾ أي: ويدخل هذه الجنّات الّذين عملوا الصالحات من آباء المؤمنين، ومن أزواجهم وذرّياتهم. و «الصلاح»: استقامة الحال إلى ما يدعو إليه العقل أو الشرع، و«المُصْلِح»: مَن يفعل الصلاح، و «الصالح»: المستقيم الحال في نفسه.

وقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب﴾ أي: يدخلون من كلّ باب بالتحيّة والكرامة، وفي ذلك تعظيم لذكر للملائكة. وفي الآية دلالة على أنّ مِنْ ثواب المطيع لله سروره بما يراه في غيره من أَحِبَّته، لأنّهم يسرّون بدخول الجنّة مع ﴿مَن صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم﴾ وهم أولادهم، وذلك يقتضي سرورهم بهذا الخبر.

وقوله: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ أي: يقول هؤلاء الملائكة

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٤٧.

(٢) الأنعام: ٧٦.

الداخلون عليهم: سلام عليكم، و «السلام»: التحيّة بالكرامة على انتفاء كلّ أمر يشوبه من مضرّة، والقول محذوف لدلالة الكلام عليه. و«العقبى»: الانتهاء الّذي يؤدّي إليه ابتداء من خير أو شرّ، فعقبى المؤمن الجنّة، فهي نِعْم الدار، وعقبى الكافر النار وهي بئس الدار. والباء في قوله: ﴿بما صبرتم﴾ يتعلّق بمعنى ﴿سلام عليكم﴾ لأنّه دلّ على السلامة لكم بما صبرتم، ويحتمل أن يتعلّق بمحذوفٍ وتقديره: هذه الكرامة لكم بما صبرتم.

وقيل في معنى ﴿بما صبرتم﴾ قولان:

أحدهما: أن تكون «ما» بمعنى المصدر، فكأنّه قال: بصبركم. والثاني: أن تكون بمعنى «الّذي» كأنّه قال: بالّذي صبرتم على فعل طاعاته وتجنّب معاصيه[1].

قوله [تعالى]:

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾

آية بلا خلاف.

لمّا ذكر الله تعالى الّذين يوفون بعهده ولاينقضون ميثاقه، ووصفهم بالصفات الّتي يستحقّون بها الجنّة، وهي عقبى الدار، أخبر بعد ذلك عن حال من ينقض عهده من بعد إعطائه المواثيق، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، وهو ما بيّنّاه من صلة الرحم أو صلة النبيّ ﷺ ويفسد مع ذلك في الأرض، ومعناه: أن يعمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده وإخراب

(١) انظر النكت والعيون ٣: ١٠٩.

بلاده، فهؤلاء ﴿لهم اللعنة﴾ وهي الإبعاد من رحمة الله، والتبعيد من جنّته ﴿ولهم سوء الدار﴾ يعني: عذاب النار والخلود فيها.

وقد بيّنّا معنى «النقض» وأنّه التفريق بين شيئين متآلفَيْن، ومثله: «الهدم» ونقض العهد: هو العمل بخلاف موجبه، و «العهد»: عقد يتقدّم به في الأمر، و «عهد الله»: عقده، وهو لزوم العمل بالحقّ في جميع ما أوجبه الله عليه. و «الميثاق»: إحكام العقد بأبلغ ما يكون مثله، وميثاق العهد، توثيقه بأوْكَد ما يكون من الأمر. و «القطع» نقيض «الوصل» وقطع ما أمر الله به أن يوصل في كلّ عملٍ يجب تتميمه، من صلة رحم أو غيره من الفروض اللازمة. و «الإفساد» نقيض «الإصلاح».

قوله [تعالى]:

ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه جّل وعزّ ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ ومعناه: يوسّعه على من يشاء من عباده بحسب ما يعلمه من مصلحته، ويضيّقه على آخرين إذا علم أنّ مصلحتهم في ذلك.

وقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ معناه: وسرّوا ـ هؤلاء الّذين بسط لهم في الرزق ـ بالرزق في الحياة الدنيا فنسوا فناءه وبقاء أمر الآخرة. ويحتمل أن يكون أراد به: أنّهم فرحوا فرح البطر، كقوله: ﴿إنّ الله لا يحبّ الفرحين﴾(١) و «الفرح» هو «السرور» وهو لذّة في القلب بنيل المشتهى، ومنه قوله: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾(٢).

---

(١) القصص: ٧٦.

(٢) آل عمران: ١٧٠.

ثمّ قال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلّا متاع﴾ ومعناه: ليست هذه الحياة الدنيا بالإضافة إلى الحياة في الآخرة ﴿إلّا متاع﴾ أي: إلّا قليل ذاهب في قول مجاهد، وإنّما كان كذلك لأنّ هذه فانية وتلك دائمة باقية. و«المتاع»: ما يقع الانتفاع به في العاجل، وأصله: التمتّع، وهو التلذّذ بالأمر العاجل، ولذلك وصفت الدنيا بأنّها متاع. و «القدر»: قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان، و «المقدار»: المثال الّذي يعمل عليه غيره في مساواته. ومعنى ﴿ويقدر﴾ هاهنا: ويضيّق. وقال ابن عبّاس: إنّ الله تعالى خلق الخلق فجعل الغنى لبعضهم صلاحاً، والفقر لبعضهم صلاحاً، فذلك الخيار للفريقَيْن.

قوله [تعالى]:

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى في هذه الآية عن الكفّار الّذين وصفهم أنّهم يقولون: ﴿لولا أُنزل﴾ على محمّد ﴿آية﴾ يعني: علامة ومعجزة، والمعنى: هلّا أُنزل عليه آية ﴿من ربّه﴾ يقترحونها، ويعلمون أنّها أُنزلت من ربّه، وذلك لمّا لم يستدلّوا فيعلموا مدلول الآيات الّتي أتىٰ بها لم يعتدّوا بتلك الآيات، فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها، فأمر الله نبيّه أن يقول لهم: ﴿إنّ الله يضلّ من يشاء﴾ بمعنى: أنّه يحكم على من يشاء بالضلال إذا ضلّ عن طريق الحقّ. ويجوز أن يكون المراد: يضلّ من يشاء عن طريق الجنّة بسوء أفعالهم وعظم معاصيهم، ولايجوز أن يريد بذلك الإضلال عن الحقّ لأنّ ذلك سفه لايفعله الله تعالى.

وقوله: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ أي: يحكم لمن رجع إلى طاعة الله والعمل بها بالجنّة ويهديه إليها، و «الهداية»: الدلالة الّتي تؤدّي إلى طريق الرشد بدلاً من طريق الغيّ، والمراد بها هاهنا: الحكم له بسلوك طريق الجنّة رفعاً لقدره، ومدحاً لصاحبه، و «الإضلال»: العدول بالمارّ عن طريق النجاة إلى طريق الهلاك، والمراد هاهنا: الحكم له بالعدول عن طريق الجنّة وسلوك طريق النار. و «الإنابة»: الرجوع إلى الحقّ بالتوبة، يقال: نابَ يَنُوبُ نوبةً: إذا رجع مرّة بعد مرّة.

قوله [تعالى]:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ (٢٨) آية بلا خلاف.

موضع ﴿الّذين﴾ نصب، لأنّه من صفة من ﴿أناب﴾ وتقديره: ويهدي الله الّذين أنابوا إلى الله ﴿الّذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ و«الإيمان» هاهنا: هو الاعتراف بتوحيد الله على جميع صفاته، والإقرار بنبوّة نبيّه، وقبول ما جاء به من عند الله، والعمل بما أوجبه عليهم، وفي اللغة: الإيمان هو التصديق.

وقوله: ﴿وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله﴾ أي: تسكن قلوبهم وتأنس إلى ذكر الله الذي معه إيمان به، لما في ذلك من ذكر نعمه الّتي لا تحصى وأياديه الّتي لا تُجازى، ومع عظيم سلطانه وبسط إحسانه. و «الذكر» حضور المعنى للنفس، وقد يُسمّى العلم ذِكْراً، والقول الّذي فيه المعنَى الحاضر للنفس يُسمّى ذِكْراً.

ووصف الله تعالى هاهنا: المؤمن بأنه يطمئنّ قلبه إلى ذكر الله، ووصفه

في موضع آخر بأنّه إذا ذكر الله وَجِل قلبه[1]، لأنّ المراد بالأوّل أنّه يذكر ثوابه وإنعامه فيسكن إليه، والثاني يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويَجْل[2] قلبه.

وقوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾ إخبار منه تعالى أنّ بذكر الله تسكن القلوب وتستأنس وتطمئنّ إلى ماوعد الله به من الثواب والنعيم، ومن لم يكن مؤمناً عارفاً لا يسكن قلبه إلى ذلك.

قوله [تعالى]:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ آية بلا خلاف.

يحتمل قوله: ﴿الّذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أن يكون في موضع نصب بأن يكون من صفة ﴿الّذين﴾ في الآية الأولى، ويحتمل أن يكون رفعاً بالابتداء، فكأنّه أخبر أنّ الّذين يؤمنون بالله ويعترفون بوحدانيّته ويصدّقون نبيّه، ويعملون بما أوجبه عليهم من الطاعات، ويجتنبون مانهاهم عنه من المعاصي ﴿طوبىٰ لهم﴾ وقيل في معناه عشرة أقوال:

أحدها: هنيئاً لهم بطيب العيش. وثانيها: قال ابن عبّاس: معناه: فرج[3] لهم تقرّبه[4] أعينهم. وثالثها: قال قَتادة: معناه: الحسنى لهم. ورابعها: قال عِكْرمة: نِعْم ما لهم. وخامسها: قال الضحّاك: غبطة لهم. وسادسها: قال إبراهيم: كرامة لهم من الله. وسابعها: قال مجاهد: الجنّة لهم.

---

(١) كقوله: ﴿إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وَجلَت قلوبهم﴾ الأنفال: ٢.

(٢) كذا في النسخ: والظاهر: يوجَل.

(٣) كذا في النكت والعيون ٣: ١١١ عن أبي عبّاس، وفي النسخ «فرح».

(٤) في «ح»: «بقرّة».

وثامنها: قال أبو هريرة: ﴿طوبىٰ﴾ شجرة في الجنّة. وتاسعها: قال الجُبّائي: هو تأنيث الأطْيَب من صفة الجنّة، والمعنى: أنّها أَطْيَب الأشياء لهم. وعاشرها: قال الزجّاج: المعنى: العيش الطيّبُ لهم[1]. وهذه الأقوال متقاربة المعنى.

وقوله: ﴿حسن مآب﴾ فالمآب: المرجع، آبَ يَؤُوبُ أوْباً ومآباً: إذا رجع، وسُمِّي المثوى في الآخرة مآباً ومنقلباً، لأنّ العباد يصيرون إليه كما يصيرون إلى ما كانوا انصرفوا عنه، و «الحسن»: النفع الّذي يتقبّله العقل، وقد يجري على ما تتقبّله النفس، كما يجري «القبح» الّذي هو نقيضه على ما ينافره الطبع، والمعنى: أنّ لهم طوبى ولهم حسن مآب. و ﴿طوبىٰ﴾ في موضع رفع و ﴿حسن مآب﴾ عطف عليه، ويجوز أن يكون موضعه النصب، وينصب «حُسنَ مآب» كما يجوز «الحمدَ لله» ولم يُقْرأ به.

قوله [تعالى]:

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَـٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

آية بلا خلاف.

قيل في التشبيه في قوله: ﴿كذلك أرسلناك﴾ وجهان:

أحدهما: قال الحسن والجُبّائي: إنّ المعنى أنّا أرسلناك كما أرسلنا الأنبياء قبلك.

وقال قوم: إنّ المعنى أنّ النعمة على من أرسلناك إليه كالنعمة على من

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٤٨.

تقدّم ذكره بالثواب في ﴿حسن المآب﴾[١]. والمعنى: أنّا أرسلناك يا محمّد ﴿في أُمّة قد﴾ مضت ﴿من قبلها أُمم﴾ وغرضي أن ﴿تتلوا﴾ أي تقرأ ﴿عليهم﴾ ما ﴿أوحينا إليك﴾ من الأمر والنهي والوعد والوعيد.

و «الإرسال»: تحميل الرسول الرسالة، فرسول الله قد حمَّله الله رسالةً إلى عباده، فيها أمره ونهيه، وبيان ما يريده وما يكرهه. و «الأُمّة»: الجماعة الكثيرة من الحَيَوان الّتي ترجع إلى معنىً خاصٍّ لها دون غيرها، فمن ذلك: أُمّة موسى، وأُمّة عيسى، وأُمّة مُحمّدﷺ، وكذلك كلّ جنس من أجناس الحيوان أُمّة، لاختصاصها بمعنى جنسها، فعلى هذا: العرب أُمّة، والتُرك أُمّة، والزنج أُمّة.

و «الخلوّ»: مضيّ الشيء بتقضّيه على نحوٍ ممّا كان عليه[٢] كأنّه ينفيه، دون أحواله الّتي كان عليها، فقد انفرد عنها. و «التلاوة»: جعل الثاني يلي الأوّل بعده بلا فصل، و «التلاوة» و «القراءة» واحد.

وقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ إنّما قال: ﴿بالرحمن﴾ دون ﴿الله﴾ لأنّ أهل الجاهليّة من قريش قالوا: الله نعرفه، والرحمن لا نعرفه. وكذلك قالوا: ﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾[٣] وقال: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ﴾[٤] وهو قول الحسن وقَتادة.

---

(١) كذا في المخطوطتين وفي الحجريّة: «حسن مآب»، فيحتمل أن يريد ما تقدّم في الآية السابقة، وأمّا ﴿حسن المآب﴾، فقد تقدّم في سورة آل عمران: الآية ١٤. راجع ٤: ٣١ من طبعتنا هذه، وفيها: فالمآب: المرجع، من آب يؤوب أوباً واياباً وأوبة ومآباً إذا رجع، وتأوّب تأوّباً إذا ترجع، اوّبه تأويبا إذا رجعه، واصل الباب: الاوب: الرجوع.

(٢) كذا في «ح» وظاهر «م»، وفي الحجريّة: «والخلو مضيّ الشيء بنقيضة علىٰ تجرّد ممّا كان عليه».

(٣) الفرقان: ٦٠.

(٤) الإسراء: ١١٠.

ثمّ أمر الله تعالى نبيّه أن يقول لهم: ﴿هو﴾ يعني: الرحمن ﴿ربّي﴾ أي: خالقي ومدبّري ﴿لا إله إلّا هو﴾ ليس لي إله ولا معبود سواه ﴿عليه توكّلت﴾ أي: وثقت به في تدبيره وحسن اختياره. و «التوكّل» التوثّق في تدبير النفس بردّه إلى الله ﴿وإليه متاب﴾ أي: إلى الله الرحمن توبتي، وهو الندم على ما سلف من الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة إلى مثله في القبح. و «المتاب» و «التوبة» مصدران، يقال: تابَ يَتُوبُ تَوْبَةً ومَتاباً.

قوله [تعالى]:

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية تتضمّن وصف القرآن بغاية ما يمكن من علوّ المنزلة وبلوغه أعلى طبقات الجلال، لأنّه تعالى قال: ﴿لو أنّ قرآناً سُيِّرت به الجبال﴾ من مواضعها وقُلِعَت من أماكنها لِعِظَم محلّه وجلالة قدره. و«التسيير»: تصيير الشيء بحيث يسير، تقول: سارَ يَسيرُ سَيْراً، وسَيَّرهُ غيرُهُ تَسييراً ﴿أو قُطِّعت به الأرض﴾ لمثل ذلك، و «التقطيع»: تكثير القطع، قَطَعَه قِطْعَاً، وقَطَّعَه تَقْطيعاً. و «القَطْع»: فصل المتّصل ﴿أو كُلِّم به الموتىٰ﴾ لمثل ذلك حتّى يعيشوا أو يحيوا، تقول: كَلَّمهُ كَلاماً، وتَكَلَّمَ تَكَلُّماً، و«الكلام»: ما انتظم من حرفَيْن فصاعداً من الحروف المعقولة إذا وقع ممّن يصحّ منه أو من قَبيله الإفادة. و «الموتى» جمع «ميّت» مثل: صَرِيع وصَرْعى، وجَريح وجَرْحى. ولم يجئ جواب ﴿لو﴾ لدلالة الكلام عليه،

وتقديره: لكان هذا القرآن لِعِظَم محلّه في نفسه وجلالة قدره.

وكان سبب ذلك: أنّهم سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أن يسيّر عنهم الجبال مكّة لتتّسع عليهم المواضع، فأنزل الله تعالى الآية، وبيَّن أنّه لو سُيّرت الجبال بكلام لسُيِّرت بهذا القرآن لعِظَم مرتبته وجلالة قدره. وقد يحذف جواب «لو» إذا كان في الكلام دلالة عليه، قال امرؤ القَيْس:

فلو أنَّها نَفْسٌ تموتُ سَويَّةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أَنْفُساً(١)

وهو آخر القصيدة، وقال الآخر:

فأَقْسِمُ لو شَيءٌ أَتانا رَسُولُهُ ... سِواكَ ولكِنْ لم نَجدْ لكَ مَدْفَعاً(٢)

وقال الفرّاء: يجوز أن يكون جوابه: «لكفروا بالرحمن» لتقدّم ما يقتضيه(٣). وقال البلخي: يجوز أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن... ولو أنّ قرآناً﴾ ويستغنى بذلك عن الجواب، كما تقول: هو يشتمني ولو أحسنت إليه، وهو يؤذيني ولو أكرمته.

وقوله: ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ معناه: أنّ جميع ما ذكر ـ من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، وكلّ تدبير يجري هذا المجرى ـ لله، لأنّه لا يملكه ولا يقدر عليه سواه.

وقوله: ﴿أفلم ييأس الّذين آمنوا﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس ومجاهد والحسن وقَتادة وابن زيد وأبوعُبَيْدَة: معناه: أفلم يعلم. قال سُحَيْم:

---

(١) من قصيدة قالها لمّا أُصيب بالقروح. راجع ديوان امرئ القيس: ١١٨.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٣) راجع: معاني القرآن ٢: ٦٣.

أَقـولُ لهـم بـالشِعْبِ إذْ يأْسِرُونَني   أَلَمْ يَيأَسُوا أنّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمِ[١]

معناه: أَلَمْ يعلموا.

الثاني: قال الفرّاء: معناه: أَفلم ييأس الّذين آمنوا أن ينقطع طمعهم من خلاف هذا، علماً بصحّته[٢]، كما قال لَبيد:

حتّى إذا يَئسَ الرُماةُ فأَرسلُوا   غضفاً دواجِنَ قافلاً أَعصامُها[٣]

معناه: حتّى إذا يئسوا من كلّ شيء إلّا الّذي ظهر، أي: يئسوا من خلاف ذلك لعلمهم بصحّته، والعلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه.

وقوله: ﴿أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ معناه: ألم يعلموا أنّ الله لو أراد أن يهدي خلقه كلّهم إلى جنّته لهداهم، لكنّه كلّفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق. ويحتمل أن يكون المعنى: لو أراد أن يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك، لكنّه ينافي التكليف ويبطل الغرض منه.

وقوله: ﴿ولا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ فالقارعة: هي الداهية المُهْلِكة، وهي النازلة الّتي تزعج بالنعمة، تقول: قَرَعَتْهُم تَقْرَعُهم قَرْعاً وهي قارِعَة، ومنه: المِقْرِعَة.

وقوله: ﴿أو تحلّ قريباً من دارهم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس: ﴿أو تحلّ﴾ أي: تنزل يا محمّد ﴿قريباً من دارهم﴾. و «الحلول»: حصول الشيء، في الشيء وحملوا قوله: «تصيبهم قارعة» على نزول السرايا بهم، أو يحلّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قريباً منهم.

---

(١) ذكره الطبري ذيل الآية.

(٢) معاني القرآن ٢: ٦٣ـ٦٤.

(٣) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان لبيد بن ربيعة: ١٧٤.

وقال الحسن: المعنى: أو تحلّ القارعة قريباً من دارهم.

وقوله: ﴿حتّىٰ يأتي وعد الله﴾ قال قَتادة: معناه: حتّى يأتي فتح مكّة. وقال الحسن: معناه: حتّى يأتي يوم القيامة.

وقوله: ﴿إنّ الله لا يخلف الميعاد﴾ إخبار منه تعالى أنّه لا خلف لوعده، بل لابدّ أن يفعل ما وعد به أو توعّد عليه، وأمر الله: ما يصحّ أن يأمر فيه وينهى عنه، وهو عامّ، وأصل الأمر نقيض «النهي». و «الإصابة» لحوق ما طلب بالإرادة، أصابَ الغرضَ يُصيبُهُ إِصابةً وهو مُصيب، ومنه: «الصواب»: إدراك البغية المطلوبة بداعي الحكمة.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قرأ: «أفلم يتبيّن الّذين آمنوا» من التبيين. وروي مثله عن عليّ عليه السلام رواه الطبري[1]. وقال الزجّاج: معناه: أفلم يعلم الّذين آمنوا أنّ هؤلاء لايؤمنون مع قوله: ﴿لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾[2].

قوله [تعالى]:

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) آية بلا خلاف .

اللام في قوله: ﴿ولقد﴾ لام القَسَم، ومعنى الكلام: أنّه أقسم تعالى أنّه ﴿لقد استهزئ برسل من قبلك﴾ يا محمّد أرسلهم الله، و «الاستهزاء»: طلب الهزء وإظهار خلاف الإضمار للاستضعاف فيما يجري من عبث الخطاب. و «الرسل» جمع «رسول» وهو المحمّل للرسالة، و «الرسالة»: كلام يؤخذ لتأديته إلى صاحبه.

---

(١) في تفسيره: ذيل الآية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٤٩.

وقوله: ﴿فأمليت للّذين كفروا﴾ أي: أخّرت عقابهم وإهلاكهم وأمهلتهم، يقال: أَملى يُملي إملاءً، ومنه قوله: ﴿إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ (١) وأصله: طول المدّة، ومنه قيل لليل والنهار: المَلَوان لطولهما، قال ابن مُقْبل:

أَلا يا ديارَ الحيِّ بالسَبُعانِ   أَلحَّ عليها بالبِلَى المَلَوانِ(٢)

وقوله: ﴿ثمّ أخذتهم﴾ يعني: الّذين استهزأوا برسل الله وكفروا بآيات الله، أهلكتهم وأنزلت عليهم عذابي ﴿فكيف كان عقاب﴾ وهو العذاب على وجه الجزاء.

ومعنى الآية: تسلية النبيّ ﷺ عمّا يلقى من سفهاء قومه من الكفر والاستهزاء عند دعائه إيّاهم إلى توحيده والإيمان به، بأنّه قد نال مثل هذا الأنبياء قبلك فصبروا، فاصبر أنت أيضاً مثل ذلك، كما قال: ﴿فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل﴾ (٣).

قوله [تعالى]:

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَالَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة ﴿وصُدّوا﴾ بضمّ الصاد، الباقون بفتحها.

قال أبو عليّ: قال أبو عمرو ـ عن أبي الحسن ـ: صدّ وصددته، مثل:

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب ٢: ٢٠٩ وفيه: «أَملّ» بدل «ألحّ».

(٣) الأحقاف: ٣٥.

رجع ورجعته، قال الشاعر:

صَدَّتْ كما صَدَّ عـمَّا لا يَـحِلُّ له ساقي نَصارى قُبَيْلَ الفِصْحِ صُـوَّامُ

فهذا صدَّت في نفسها، وقال الآخر:

صَدَدْتِ الكأسَ عنّا أُمَّ عَمْرٍو(١)

وأمّا قوله: ﴿إنّ الذين كفروا ويصدّون عـن سـبيل الله﴾(٢) فـالمعنى: يصدّون المسلمين عن المسجد الحرام، فكان المفعول محذوفاً.

وقوله: ﴿رأيت المنافقين يصدّون عنك صـدوداً﴾(٣) [يكـون عـلى: يصدّون عنك(٤)] أي: لا يبايعونك كما يـبايعك المسـلمون، ويـجوز أن يكونوا يصدّون غيرهم عن الإيمان، كما صَدّوا هُم، ويـثبطّونهم عـنه(٥). وحجّة من أسند الفعل إلى الفاعل قوله: ﴿الّذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل الله﴾(٦) وقوله: ﴿ان الذيـن كـفروا ويـصدّون عـن سـبيل الله والمسـجد الحرام﴾(٧) وقوله: ﴿هم الّذين كفروا وصَدّوكم عن المسـجد الحـرام﴾(٨) فكما أُسند الفعل إلى الفاعل في جميع هذه الآي، كذلك أُسند في قـوله: ﴿وصدّوا عن السبيل﴾ وقيل: إنّ قوماً جلسوا على الطريق فصدّوا الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ففيهم نزلت الآية(٩).

ومَن بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصدّ غواتهم والعتاة منهم في

---

(١) لعمرو بن كلثوم من معلّقته المشهورة. راجع ديوان عمرو: ٥٢ وفيه: «صَبَنْتُ» بدل «صَدَدْتِ».

(٢) الحج: ٢٥.

(٣) النساء: ٦١.

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة.

(٥) العبارة في الحجريّة: هكذا «كما صدّوا عنهم ويثبطّونه عنه».

(٦) النساء ١٦٧، والنحل: ٨٨ محمّد: ١ وغيرهما.

(٧) الحجّ: ٢٥.

(٨) الفتح: ٢٥.

(٩) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٠و١١.

كفرهم، وقد يكون على نحو ما يقال: صُدّ فلان عن الخير وصدّ عنه، يعني: أنّه لم يفعل خيراً، ولا يراد: أنّ مانعاً منعه.

فأمّا قوله: ﴿وكذلك زُيِّن لفرعون سوء عمله وصُدَّ عن السبيل﴾[١] فالفتح الوجه، لأنّه لم يصدّه عن الايمان أحد، ولم يمنعه منه، والّذي زيَّن ذلك له الشيطان، كما قال: ﴿وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدَّهم عن السبيل﴾[٢].

معنى قوله: ﴿أفمن هو قائم علىٰ كلّ نفس بما كسبت﴾ مَن هو قائم بتدبيرها وجزائها على ما كسبت من خير أو شرّ، كمن ليس بهذه الصفة، وحُذِف الخبر لدلالة الكلام عليه.

وقوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يعني هؤلاء الكفّار جعلوا لله شركاء في العبادة، فعبدوا الأصنام والأوثان.

وقوله: ﴿قل سمّوهم﴾ أي: سمّوهم بما يستحقّون من الأسماء الّتي هي صفات ثمّ انظروا هل تدلّ صفاتهم على أنّه يجوز أن يُعبَدوا أم لا؟

وقوله: ﴿أم تنبّئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول﴾ معناه: إلّا أن يصفوهم بما لا يصحّ أن يعلم صحّته، فيخرجوا بذلك إلى التجاهل أو يقتصروا على ظاهر القول من غير رجوع إلى حقيقة، وهو قول مجاهد وقَتادة. وقال أبو عليّ: معنى ﴿بظاهر من القول﴾ الّذي أنزله الله على أنبيائه.

وقوله: ﴿بل زُيّن للذين كفروا مكرهم﴾ أي: زيَّن ذلك لهم أنفسهم وغُواتهم من شياطين الإنس والجنّ، ولا يجوز أن يكون المراد: زُيِّن

(١) غافر: ٣٧.

(٢) النمل: ٢٤.

بالشهوة، لأنّ المكر ليس ممّا يُشتهى ﴿وصدّوا عن السبيل﴾ أي: منعوا عن طريق الحقّ [بالإغواء والمنع. ويجوز أن يكون المراد: وأعرضوا عن طريق الجنّة](١).

وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: مَن حكم الله عليه بأنّه ضالّ على وجه الذمّ فإنّه لا ينفعه هداية أحد.

والآخر: أنّ مَنْ يضلّه عن طريق الجنّة إلى النار فلا هادٍ يهديه إليها، ولا يجوز أن يكون المراد: من يضلّه عن الإيمان، لأنّ ذلك سفه لا يفعله الله تعالى.

قوله [تعالى]:

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَالَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤)﴾ آية بلا خلاف .

في هذه الآية إخبار منه تعالى: أنّ لهؤلاء الكفّار الّذين وصفهم عذاباً ﴿في الحياة الدنيا﴾ وهو ما يفعل بهم من القتل والاسترقاق وسبي الذراري والأموال، ويجوز أن يريد، ما يفعله الله بكثير منهم من الآلام العظيمة على وجه العقوبة. ثمّ قال: ﴿ولعذاب الآخرة أشقّ﴾ أي: أشدّ مشقّة، و «المشقّة»: غلظ الأمر على النفس بما يكاد يصدع القلب.

وقوله: ﴿وما لهم من الله من واق﴾ أي: ليس لهم من عذاب الله من يمنعهم منه، و «الواقي»: المانع، وهو الفاعل للوقاية، و «الوقاية» الحجز(٢)

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة.

(٢) في «م» والحجريّة: «الحجر».

بما يدفع الأذيّة، وَقَاهُ يَقِيهِ وِقَايةً فهو واقٍ، ووَقَّاهُ تَوْقِيَةً.

قوله [تعالى]:

مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ آية بلا خلاف.

قيل في معنى ﴿مثل الجنّة﴾ أقوال:

قال سيبويه: فيما يقصّ عليكم مثل الجنّة. فرفع ﴿مَثَلُ﴾ على الابتداء، وحذف الخبر.

وقال بعضهم[1]: معناه: شبه الجنّة، والخبر محذوف، وتقديره: مثل الجنّة الّتي [هي كذا أجلُّ مثلٍ، وقال قوم: معناه: صفة الجنّة الّتي] وعد المتّقون صفةَ جنّة تجري من تحتها الأنهار، كما قال الله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾[2] معناه: الصفة الأعلى.

وقال قوم: المثل مقحم[3]، والتقدير: «الجنّة الّتي وُعِد المتّقون والخبر تجري من تحتها الأنهار. و «الجنّة»: البستان الّذي يجنّه الشجر، والمراد هاهنا جنّة الخلد الّتي أعدّها الله للمتّقين جزاءً لهم على طاعاتهم وانتهائهم عن معاصيه. و «المتّقي»: هو الّذي يتّقي عقاب الله بفعل الواجبات وترك المقبّحات.

وقوله: ﴿أُكُلها دائم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ ثمارها لا تنقطع كما تنقطع ثمار الدنيا في غير أزمنتها، في قول الحسن. الثاني: أنّ النعيم به لا ينقطع بموتٍ ولا بغيره من الآفات.

---

(١) نقله عن مقاتل في مجمع البيان.
(٢) النحل: ٦٠.
(٣) منهم الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١٥٠.

وقوله: ﴿وظلّها﴾ أي: وظلّ الجنّات دائم أيضاً ليس لها حرّ الشمس. ثمّ أخبر أنّ ذلك عاقبة ﴿الذين اتّقوا﴾ معاصي الله بفعل طاعاته، وأخبر أنّ عاقبة ﴿الكافرين﴾ الجاحدين لتوحيد الله المنكرين لنعَمِه ﴿النار﴾ والكون فيها على وجه الدوام، نعوذ بالله منها.

قوله [تعالى]:

وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ ﴿الّذين آتيناهم الكتاب﴾ ومعناه: أعطاهم ﴿يفرحون بما أُنزل﴾ على محمّد ﷺ. وقال الحسن وقَتادة ومجاهد: هم أصحاب النبيّ ﷺ الّذين آمنوا به وصدّقوه و ﴿الأحزاب﴾ هم اليهود والنصارى والمجوس، وقال الجُبّائي: يجوز أن يعني بالفرح به اليهود والنصارى، لأنّ ما أتى به مصدِّق لما معهم، وأمّا إنكار بعضهم فهو إنكار بعض معانيه وما يدلّ على صدقه أو يخالف أحكامهم. و«الأحزاب» جمع «حزب» وهم الجماعة الّتي تقوم بالنائبة، يقال: تَحزَّبَ القوم تَحزُّباً، وحَزَبَهُم الأمْر يَحْزُبُهُم: إذا نالهم بمكروهه.

وقوله: ﴿قل إنّما أُمرت أن أعبد الله ولا أُشرك به﴾ أمر من الله تعالى لنبيّه أن يقول لهم: أُمرت بأن أُوجّه عبادتي إلى الله، ولا أُشرك به في عبادته أحداً، ﴿أدعوا﴾ إلى الله والإقرار بتوحيده وصفاته، وتوجيه العبادة إليه وحده ﴿وإليه مآبِ﴾ أي: مرجعي ومصيري، من قولهم: آب يؤوب أَوْباً ومآباً، والمعنى: يرجع إلى حيث لا يملك الضرر والنفع إلّا الله تعالى

[وحده، لأنّه لم‌يملّك يوم‌القيامة أحداً أمر عباده كما ملّكهم في‌الدنيا][١].

قوله [تعالى]:

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَاجَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَاوَاقٍ ﴿٣٧﴾ آية بلا خلاف.

قيل في وجه التشبيه في قوله: ﴿وكذلك﴾ قولان:

أحدهما: أنّه شبّه إنزاله حكماً عربيّاً بما أُنزل إلى من تقدّم من الأنبياء.

الثاني: أنّه شبّه إنزاله حكماً عربياً بإنزاله كتاباً بيّناً في أنّه منعم بجميع ذلك على العباد. و «الحكم»: فصل الأمر على الحقّ، وإذا قيل: حكم بالباطل، فهو مثل قولهم: حجّة داحضة. و «العربي»: هو الجاري على مذاهب العرب في كلامها. فالقرآن عربي على هذا المعنى، لأنّ المعاني فيه على ما تدعو إليه الحكمة وقيل: إنّما سمّاه ﴿حكماً عربيّاً﴾ لأنّه أتى به نبيّ عربيّ. والألفاظ على مذاهب العرب في الكلام.

وقوله: ﴿ولئن اتَّبعت أهواءهم﴾ خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به الأُمّة. يقول له: لئن وافقت وطلبت أهواء الّذين كفروا ﴿بعد﴾ أن ﴿جاءك من العلم﴾ لأنّ ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجبة للعلم. و «الاتباع»: طلب اللحاق بالأوّل كيف تصرّف، اتَّبَعَهُ اتّباعاً، وتَبِعَهُ يتبعه فهو تابع وذلك متبوع. و «الهوى» مقصور هوى النفس، و «الهواء» ممدود: هواء الجوّ. و «الهوى»: ميل الطباع إلى الشيء بالشهوة، و «العلم» ما اقتضى سكون النفس.

وقوله: ﴿مالك من الله من وليّ ولا واق﴾ معناه: متى ما اتّبعت أهواء

(١) مابين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

هؤلاء الكفّار لم يكن لك من الله وليّ، يعني ناصر يعينك عليه ويمنعك من عذابه ﴿ولا واق﴾ ولا مَن يقيك منه، يقال: وَقاهُ وِقَايةً واْتّقاه اْتّقاءً، وتوقّاه تَوَقّياً، و «الواقي»: الفاعل للحجز عن الأذى.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَاكَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ آية بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه أرسل قبل إرسال نبيّه محمّد ﷺ ﴿رُسُلاً﴾ إلى خلقه، وجعل ﴿لهم أزواجاً وذرّية﴾ يعني: أولاداً، لأنّهم كانوا أنكروا تزويج النبيّ بالنساء، فبيّن الله تعالى أنّ الأنبياء قبله كان لهم أزواج وذرّيّة، وقد آمنوا بهم. ثمّ قال: وإنّه لم يكن ﴿لرسولٍ﴾ يرسله الله ﴿أنْ﴾ يجيء ﴿بآية﴾ ودلالة ﴿إلّا﴾ بعد أن يأذن الله في ذلك ويطلقه[١] له فيه.

وقوله: ﴿لكلّ أجل كتاب﴾ معناه: لكلّ أجل قدّره كتاب أُثبت فيه، فلاتكون آية إلّا بأجل قد قضاه الله تعالىٰ في كتابٍ علىٰ ما يوجبه صحّة تدبير العباد. وقيل[٢]: فيه تقديم وتأخير وتقديره: لكلّ كتاب أجل، كما قال: ﴿وجاءت سكرةُ الموت بالحقّ﴾[٣] والمعنى: وجاءت سكرة الحقّ بالموت، وهي قراءة أهل البيت، وبه قرأ أبو بكر[٤] من الصحابة.

و «الذرّية»: الجماعة المفترقة[٥] في الولادة عن أب واحد في الجملة، ويحتمل أن يكون من «الذرّ» وأن يكون من «ذَرَأَ الله الخلق» أي: أظهرهم.

---

(١) في الحجريّة: «وتلطّف».
(٢) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ٦٥ ـ ٦٦.
(٣) سورة ق: ١٩.
(٤) حكاه ابن خالويه في مختصر شواذّ القرآن: ١٤٥ وزاد: وأُبيّ.
(٥) في الخطيّة: المتفرّقة.

قوله [تعالى]:

يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾ آية بلا خلاف.

وجه اتّصال هذه الآية بما تقدّم هو أنّه لمّا قال: ﴿لكلّ أجل كتاب﴾ اقتضى أن يدخل فيه أعمال العباد. فبيّن أنّ الله يمحو ﴿ما يشاء ويُثبت﴾ لئلّا يتوهّم أنّ المعصية مثبتة بعد التوبة كما هي قبل التوبة. وقيل: إنّ ممّا يُمحى ويُثبَت الناسخ والمنسوخ[١]. وقيل: يمحو ما يشاء ويثبت ممّا يثبته المَلَكان، لأنّه لا يثبت إلّا الطاعات أو المعاصي دون المباحات[٢]. وقيل: معناه: يمحو ما يشاء من معاصي من يريد التفضّل عليه بإسقاط عقابه، ويثبت معاصي من يريد عقابه[٣].

والحسنة يثبتها الله قبل فعلها، بمعنى: أنّهم سيعملونها، فإذا عملوها أثبتها بأنّهم عملوها، فلذلك أثبت في الحالَينْ. والوجه في إثباته ما يكون فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكّر فيه بأنّ ما يحدث ـ على كثرته وعظمه ـ قد أحصاه الله وكتبه، وذلك لا سبيل إليه إلّا من جهة علّام الغيوب الّذي يعلم ما يكون قبل أَنْ يكون، واعتبار المشاهد له من الملائكة إذا قابل ما يكون بما هو مكتوب، مع أنّه أَهْوَل في الصدور، وأَعظم في النفوس ممّا يتصوّر معه، حتّى كأنّ المفكّر فيه مشاهد له.

و «المحو» إذهاب أثر الكتابة، مَحَاهُ يَمحُوهُ مَحْواً وتمحّاه أيضاً، وآمَّحى إمّحاءً، وآمتحى امتحاءً. و «الإثبات»: الإخبار بوجود الشيء، ونقيضه: «النفي» وهو الإخبار بعدم الشيء.

---

(١) عبارة «الناسخ والمنسوخ وقيل يمحو ما يشاء ويثبت» ساقطة من «ح».

(٢) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ١١٨ وقال: قاله الضحّاك.

وقال ابن عبّاس ومجاهد: إنّه تعالى لا يمحو الشقاء والسعادة. وهذا مطابق لقول أصحاب الوعيد.

وقال عمر بن الخطّاب وابن مسعود: هما يُمحَيان مثل سائر الأشياء. وهذا مطابق لقول المرجئة من وجه.

وقوله: ﴿وعنده أُمّ الكتاب﴾ معناه: أصل الكتاب، لأنّه كُتِب أوّلاً: سيكون كذا وكذا، لكلّ ما يكون، فإذا وقع كُتِب أنّه قد كان ما قيل إنّه سيكون. وقيل: أصل الكتاب؛ لأنّ الكتب الّتي أُنزلت على الأنبياء منه نُسِخت.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: ﴿ويُثْبِت﴾ خفيفة، الباقون مشدَّدة.

قال أبو عليّ: المعنى: يمحو الله ما يشاء ويثبته، فاستغني بتعدية الأوّل من الفعلَيْن عن تعدية الثاني، كما قال: ﴿والحافظين فُروجَهم والحافظات﴾ (١) وزعم سيبويه: أنّ من العرب من يُعمل الأوّل من الفعلَيْن، ولا يُعمل الثاني في شيء، كقولهم: متى رأيت، أو قلت: زيداً منطلقاً، قال الشاعر:

بأيّ كتابٍ أَمْ بأيَّةِ سُنَّةٍ ترىٰ حُبَّهم عاراً عَلَيَّ وتَحسِبُ (٢)

فلم يعمل الثاني (٣).

قالوا: ﴿أُمّ الكتاب﴾ هو الذِكْر المذكور في قوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر﴾ (٤) قال (٥): فحجّة من شدَّد قوله: ﴿وأَشدَّ تَثْبيتاً﴾ (٦)

---

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) للكميت بن زيد الأسدي من قصيدة طويلة يمدح بها آل الرسول الأطهار عليهم السلام. ولم نجدها في ديوانه المطبوع. راجع خزانة الأدب للبغدادي ٩: ١٣٧.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١١.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) أي: أبو علي الفارسي، المتوفّى سنة ٣٧٧ هـ

(٦) النساء: ٦٦.

وقوله: «فَتثَبَّتُوا»[١] لأنّ «تَثَبَّتَ» مطاوع «ثَبَّتَ»، وحجّة من قال بالتخفيف ما روي عن عائشة: «أنّه كان إذا صلّى صلاةً أثبتها»[٢] قال: و «ثـابِت» مطاوع «ثَبَّتَ»[٣] كما أنّ «تَثبّت» مطاوع «ثَبَّتَ»[٤].

قوله [تعالى]:

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف.

هذا خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى له: إنّـا إن أريـناك ﴿بـعض الّذي﴾ نَعِدُ الكفّار من العقوبة على كفرهم، ونصر المؤمنين حتّى يظفروا بهم فيقتلوهم ويستذلّوا باقيهم إن لم يؤمنوا، فنُبقيك إلى أن ترى ذلك، أو نُميتك قبل أن ترى ذلك، وقبل أن نفعله بهم، لأنّه ليس ذلك ممّا لابدّ أن تراه لا محالة، فلا تنتظر كونه على ذلك أن يكون فـي أيّـامك، و ﴿إنّـما عليك﴾ أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم، وتقوم في ذلك بما أمـرك الله بـه ﴿وعلينا﴾ نحن حسابهم ومجازاتهم والانتقام منهم، إمّا عاجلاً أو آجـلاً، وذلك كائن لا محالة على ما قلناه.

وكُسِرَت الألف من قوله: ﴿وإمّا نرينّك﴾ لأنّه من التخيير، والتـقدير: إمّا نرينّك نقمتنا وأنت حيّ، وإمّا نتوفّينّك.

قوله [تعالى]:

أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ آية بلا خلاف.

---

(١) على بعض القراءات، والموجود في القرآن الكريم في سورة النساء: «فَتَبَيَّنُواْ»، راجع سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) صحيح البخاري ٣: ٥٠.

(٣) كذا في النسخ، ولكن الموجود في المصدر: «أثبت».

(٤) انظر: الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٢.

يقول الله تعالى لهؤلاء الكفّار على وجه التنبيه لهم على الاعتبار بأفعال الله ﴿أو﴾ ما يرون ﴿أنَّا﴾ ننقص الأرض ﴿من أطرافها﴾؟ وقيل في معناه أربعة أقوال:

قال ابن عبّاس والحسن والضحّاك: ما فتح على المسلمين من أرض المشركين. وقال مجاهد وقَتادة: ننقصها بموت أهلها. وفي روايةٍ أُخرى عن ابن عبّاس ومجاهد: بموت العلماء. وفي رواية أُخرى عنهما: بخرابها.

ثمّ أخبر أنّ الله تعالى يحكم ويفصل الأمر، ولا أحد يُعقِّب حكمه، ولا يقدر على ذلك، وأنّه سريع المجازاة على أفعال العباد على الطاعات بالثواب، وعلى المعاصي بالعقاب.

و «النقص»: أخذ الشيء من الجملة، وفي فلان نقص، أي: نقص منزلة عن منزلة عظيمة في المقدور أو المعلوم، والثاني للأُمور. و «الطرف»: منتهى الشيء، وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه، و «أطراف الأرض»: نواحيها. و «التعقيب»: ردّ الشيء بعد فصله، ومنه: عَقَّب العقاب على صيده إذا ردّ الكرور عليه بعد فصله عنه، قال لَبيد:

حتّى تَهجَّرَ في الرَواحِ وَهاجَهُ طلب المعَقِّب حَقَّهُ المظلومِ[1]

و «السرعة»: عمل الشيء في قلّة المدّة على ما تقتضيه الحكمة، وضدّه: الإبطاء. والسرعة محمودة والعَجَلَة مذمومة.

قوله [تعالى]:

وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ آية بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿الكافر﴾ على لفظ الواحد، الباقون

---

(١) من قصيدة طويلة في الفخر، راجع ديوان لَبيد بن ربيعة: ١٥٥.

على لفظ الجمع «الكفّار». قال أبو عليّ الفارسي:[العلم][1] في قوله: «وسيعلم الكافر»: هو المتعدّي إلى مفعولَيْن بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده، تقول: علمت لمن الغلام، فتعلّقه مع الجارّ كما تعلّقه مع غير الجارّ في قوله: ﴿فسوف تعلمون مَن تكون له عاقبة الدار﴾[2].

وموضع الجارّ مع المجرور نصب من حيث سدّ الكلام الذي هو فيه مسدّ المفعولَيْن، لأنّ[3] من حيث حكمتَ في نحو: مررتُ بزَيْدٍ، فإنّ موضعه نصب، ولكن اللام الجارّة كانت متعلّقة في الأصل بفعلٍ فصار مثل: «علمت بمن تمرّ» في أنّ الجارّ يتعلّق بالمرور، والجملة الّتي هي منها في موضع نصب، وقد علّق الفعل عنها.

ومَن قرأ على لفظ الفاعل، فإنّه جعل «الكافر» اسماً شائعاً كالإنسان في قوله: ﴿إنّ ٱلإنسٰن لفي خُسْر﴾[4] وزعموا أنّه لا ألف فيه، وهذا الحذف إنّما يقع في فاعل نحو: خالد وصالح، ولا يكاد يحذف في فعّال فهذا حجّتهم. وزعموا أنّ في بعض الحروف: ﴿وسيعلم الّذين كفروا﴾، وقرأ ابن مسعود: ﴿وسيعلم الكافرون﴾ فهذا يقوّي الجمع[5]. ومَن قرأ على لفظ الجمع فلأنّ التهديد متوجّه إلى جميع الكفّار، ولا إشكال فيه.

أخبر الله تعالى أنّ الكفّار الّذين كانوا قبل هؤلاء الكفّار مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم. و ﴿المكر﴾: هو الفَتْل عن البغية بطريق الحيلة، تقول: مَكَرَ يَمكُرُ [مكْراً] فهو ماكِرٌ. وقال أبو عليّ: ﴿المَكْر﴾ ضرر ينزل بصاحبه من حيث لا يشعر به. ثم أخبر تعالى أنّ له ﴿المكر جميعاً﴾ ومعناه: لله جزاء مكرهم، لأنّهم لمّا مكروا بالمؤمنين بيّن الله أنّ وبال

---

(١) من المصدر. (٢) الأنعام: ١٣٥. (٣) في المصدر: «لا».
(٤) العصر: ٢. (٥) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٢.

مكرهم عليهم بمجازاة الله لهم.

وقوله تعالى: ﴿يعلم ما تكسب كلّ نفس﴾ معناه: أنّه لا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير وشرّ ولاغير ذلك، لأنّه عالم بجميع المعلومات ﴿وسيعلم الكافر[1] لمن عقبى الدار﴾ تهديد للكفّار بأنّهم سوف يعلمون لمن تكون عاقبة الجنّة: للمطيعين أو العاصين، فإنّ الله تعالى وعد بذلك المؤمنين دون الكفّار والظالمين.

قوله [تعالى]:

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴿٤٣﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن الكفّار أنّهم يقولون لك: يا محمّد، إنّك ﴿لستَ مرسلاً﴾ من جهته تعالى، فقل لهم أنت: حسبي الله ﴿شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب﴾ وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: روي عن ابن عبّاس أنّه قال: هم أهل الكتاب الّذين آمنوا من اليهود والنصارىٰ. وقال قَتادة [ومجاهد]: منهم: عبدالله بن سَلام وسلمان الفارسي وتميم الداري. وقال الحسن: الّذي عنده علم الكتاب هو الله تعالى. وبه قال الزجّاج[2].

وقال أبو جعفر وأبو عبدالله عليهما السلام: هم ائمّة آل محمّد عليهم السلام[3] لأنّهم الّذين عندهم علم الكتاب كلّه، لا يشذّ عنهم شيء من ذلك، دون من ذكروه.

و «الكفاية»: وجود الشيء على قدر الحاجة، فكأنّه قيل: قد وجد من

(١) كذا في النسخ، وفي المصحف الشريف «الكُفّٰر».

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٥١ـ١٥٢.

(٣) رواه العيّاشي في تفسيره: ذيل الآية عن بريد بن معاوية العجلي عن أبي جعفر عليه السلام.

الشهادة مقدار ما بنا إليه الحاجة في فصل ما بيننا وبين هؤلاء الكفّار. والباء في قوله: ﴿بالله﴾ زائدة، والتقدير: كفى الله. وقال الرُمّاني: دخلت لتحقيق الإضافة من وجهَيْن: جهة الفاعل وجهة حرف الإضافة، لأنّ الفعل لمّا جاز أن يُضاف إلى غير فاعله ـ بمعنى أنّه أمر به ـ أُزيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد، ومثله قوله: ﴿لِمَا خلقتُ بيديَّ﴾[١].

و«الشهادة»: البيّنة على صحّة المعنى من طريق المشاهدة، و«الشهيد» و «الشاهد» واحد، إلّا أنّ في «شهيد» مبالغة. ووجه الاحتجاج بـ﴿كفى بالله شهيداً﴾ لأنّ المعنى: كفى الله شهيداً بما أظهر من الآية وأبان من الدلالة، لأنّه تعالى لا يشهد بصحّة النبوّة إلّا على هذه الصفة، إذ قد ألزمهم أن يعترفوا لها بالصحّة.

وروي[٢] عن ابن عبّاس ومجاهد أنّهما قرءا: ﴿ومِن عندِهِ علم﴾ بكسر الميم، و «عُلِمَ الكتابُ» على ما لم يسمّ فاعله، وبه قرأ سعيد بن جبير، ولمّا قيل له: هو عبدالله بن سَلَام؟ قال: كيف يجوز ذلك والسورة مكّية وهو أسلم بعد الهجرة بمدّة[٣]؟!

---

(١) صٓ: ٧٥.

(٢) رواه الطبري ذيل الآية، عنهم مسنداً.

(٣) المصدر السابق. ويروي العياشي في تفسيره ٢: ٢٢٠ ح ٧٧ عن عبدالله بن عطاء قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: هذا ابن عبدالله بن سلام يزعم أنّ أباه الّذي يقول الله: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال: كذب، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام بإسناده عن أحمد بن مفضّل يحدّثنا مندل بن عليّ عن إسماعيل بن سلمان عن أبي عمر زاذان عن ابن الحنفيّة ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ قال: هو عليّ بن ابي طالب عليهما السلام انظر: الكشف والبيان ٥: ٣٠٣، وزاد المسير ٤: ٢٦١.

سورة إبراهيم

قال قَتادة: هي مكّية إلّا آيتين: قوله: ﴿ألم تَرَ إلى الّذين بدّلوا نعمة الله﴾ إلى قوله: ﴿وبئس القرار﴾. وقال مجاهد: هي مكّية، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

وهي اثنتان وخمسون آية في الكوفي وأربع في المدنيَّيْن، وآية في البصري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله [تعالى]:

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ثلاث آيات في المدنيَّيْن، آخر الأُولى قوله: ﴿إلى النور﴾ وآيتان عند الباقين.

قرأ ابن عامر ونافع: ﴿اللهُ الذي﴾ بالرفع، الباقون بالخفض.

قال أبو عليّ: مَن قرأ بالجرّ جعله بدلاً من ﴿الحميد﴾ ولم يكن صفة، لأنّ الاسم وإن كان في الأصل مصدراً،[صفة]. والمصادر يُوصَف بها

كما يُوصَف بأسماء الفاعلين، وكذلك كان هذا الاسم في الأصل «الإله» ومعناه: ذوالعبادة، أي: تجب العبادة له، قال أبو زيد: يقال: تألّه الرجل إذا نسك، وأنشد لرؤبة:

سبّحن واسترجعن من تألهِ[١].

فهذا في أنّه في الأصل مصدر قد وصف به، مثل: «السلام» و «العدل» إلّا أنّ هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة وكثرة الاستعمال كالعلم، وقد يغلب ما في أصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال الشاعر:

ونـابِغَةُ الجَـعْدِيُّ بـالرَمْلِ بـيتُهُ عليهِ صَفِيحٌ من تُرابٍ وجَـنْدَلِ

والأصل: النابغة، ولمّا غَلب نُزع منه الألف واللام كما يُنزع من أسماء الأعلام، نحوه: زيد وعمرو، وربّما استعمل في هذا النحو الوجهان، وأمّـا قول الشاعر:

التـيـم أَلْأَمُ مَـــن يـمشـى وأَلأَمُـــهُـم

ذُهْـلُ بن تيْمِ بَنُـو السُودِ المدانِيسِ[٢]

فيجوز أن يكون جعل «التيم» جمع «تيميّ» كيهوديّ ويهود. وعـلى هذا قال تعالىٰ: ﴿وقالت اليهود﴾[٣] أَلا ترى أنّ «يهود» قـد جـرى فـي كلامهم سماً للقبيلة، كما أنّ «مجوس» كذلك. فلولا أنّ المراد بهما الجمع لم يـدخلهما الألف واللام، كـما لا تـدخل المـعارف فـي نـحو: «زيـد» و«عمرو» إلّا أنّه جُمع بحذف الياءَيْن اللتَيْن للنسب، كما جُمِع: «شعيرة»

---

(١) مرّ هذا الرجز في ج ١: ٣١٤ ضمن تفسير سورة الحمد المباركة.

(٢) لجرير من قصيدة طويلة يهجو التيم. راجع ديوان جرير: ٢٤١.

(٣) البقرة: ١١٣، المائدة: ١٨و٦٤، التوبة: ٣٠.

و«شعير» بحذف التاء، ومثله: «روميّ» و «روم» و «زنجيّ» و «زنج».

ومَن رفع[١] قطع من الأوّل، ورفعه بالابتداء، وجعل ﴿الّذي﴾ الخبر، أو جعله صفة وأضمر الخبر. وقد بيّنّا معاني الحروف المقطّعة في أوائل السُوَر في أوّل البقرة، وذكرنا اختلاف المفسّرين فيه، فلا فائدة في إعادته[٢].

وقوله: ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ رفع على أنّه خبر الابتداء، ومعناه: هذا كتاب يعني: القرآن أنزله على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ أي: لتخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية. و «الظُلْمة» في الأصل: سواد الجوّ المانع من الرؤية، تقول: أَظْلَمَ إظْلاماً وظَلاماً وظُلْمَةً. و «الظُلْمَة»: ذهاب الضياء بما ينافيه[٣] و «النور»: بياض شعاعي تصح معه الرؤية، ويمتنع معه الظلام، ومنه: «النار» لما فيها من النور، و «النور» و «الضياء» واحد. وقال قَتادة: ﴿من الظلمات إلى النور﴾ من الضلالة إلى الهدى.

﴿بإذن ربّهم﴾ أي: بإطلاق الله ذلك، وأمره به نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدّي إلى معرفة الله ﴿العزيز﴾ يعني: القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يُضام، المحمود في أفعاله الّتي أنعم بها على عباده، الّذي له التصرّف في جميع ما في السماوات والأرض على وجهٍ ليس لأحدٍ الاعتراض عليه.

ثمّ أخبر [تعالى]: أنّ الويل للكافرين الّذين يجحدون نِعَم الله،

---

(١) أي رفع لفظ الجلالة في ﴿اللهُ الذي﴾ وهي قراءة ابن عامر ونافع.

(٢) راجع ج ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٩.

(٣) في الحجريّة: «بما يستره».

ولا يعترفون بوحدانيّته والإقرار بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿من عذاب شديد﴾ وهو ما تتضاعف آلامه، و «الشدّة»: تَجَمُّع يصعب معه التفكّك. شَدَّهُ يَشُدُّهُ شَدّاً وشِدَّةً.

وفي الآية دلالة على أنّ الله يريد الإيمان من جميع المكلّفين، لأنّه ذكر أنّه أنزل كتابه ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، لأنّ اللام لام الغرض، ولا يجوز أن يكون لام العاقبة، لأنّها لو كانت كذلك لكان الناس كلّهم مؤمنين، والمعلوم خلافه.

قوله [تعالى]:

ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ آية بلا خلاف.

﴿الّذين﴾ في موضع جرّ، لأنّه نعت للكافرين، وتقديره: وويل للكافرين ﴿الّذين يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة﴾. «الاستحباب»: طلب محبّة الشيء بالتعرّض لها، و «المحبّة» إرادة منافع المحبوب، وقد تكون «المحبّة» ميل الطباع. و ﴿الحياة الدنيا﴾: هو المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة. ذمّهم الله بذلك لأنّ الدنيا دار انتقال، والآخرة دار مقام.

و﴿يصدّون عن سبيل الله﴾ أي: يعرضون بنفوسهم عن اتّباع الطريق المؤدّي إلى معرفة الله، ويجوز أن يريد: أنّهم يمنعون غيرهم من اتّباع سبيل الله تعالى، يقال: صَدَّ عنه يَصُدُّ صَدّاً، غير متعدٍّ، وصَدَّهُ يَصِدُّهُ صَدّاً، متعدٍّ. و «السبيل»: الطريق، وكِلَاهما يُؤنَّث ويُذكَّر، وهو على السبيل أغلب.

و﴿يبغونها عِوَجاً﴾ أي: ويطلبون الطريق عوجاً، أي: عدولاً عن استقامته، و «العوج»: خلاف الميل إلى الاستقامة، و «العِوَج» بكسر العين: في الدين، وبفتح العين: في العُود. و «البُغية»: طلبة القاصد لموضع الحاجة، يقال: بَغَاهُ يبْغِيه بُغْيَةً، وابتَغَى ابتغاءً.

ودخلت ﴿علىٰ﴾ في قوله: ﴿يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ لأنّ المعنى: يؤثرونها عليها، ولو قيل: «من الآخرة» لجاز أن يكون بمعنى: يستبدلونها من الآخرة، وقيل: إنّه يجري مجرى قولهم: نزلت على بني فلان، ونزلت في بني فلان، وببني فلان، كلّه بمعنىً واحد[1].

وقوله: ﴿أُولئك في ضلال بعيد﴾ إخبار منه تعالىٰ: أنّ هؤلاء الّذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله، في عدول عن الحقّ، بعيدين[2] عن الاستقامة.

قوله [تعالى]:

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ آية بلا خلاف .

أخبرالله تعالى: أنّه لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولاً إلى قومٍ إلّا بلغة قومه، حتّى إذا بيّن لهم فهموا عنه، ولا يحتاجون إلى من يترجم عنه.

وقوله: ﴿فيضلّ الله من يشاء﴾ يحتمل أَمرَيْن:

أحدهما: أنّه يحكم بضلال من يشاء إذا ضلّواهم عن طريق الحقّ. والثاني: يضلّهم عن طريق الجنّة إذا كانوا مستحقّين للعقاب. و ﴿يهدي من

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره: في ذيل الآية عن بعض نحويّ البصرة.

(٢) كذا في «م»، وفي «ح» والحجريّة: «بعيد».

يشاء﴾ إلى طريق الجنّة ﴿وهو العزيز﴾ يعني: القادر الّذي لا يقدر أحد على منعه ﴿الحكيم﴾ في جميع أفعاله، ليس فيها ما له صفة السفه، ويحتمل أن يريد: أنّه محكِم لأفعاله الّتي تدلّ على علمه.

ورفع قوله: ﴿فيضلُّ الله﴾ لأنّ التقدير: الاستئناف، لا العطف على ما مضى، ومثله قوله: ﴿لنبيّن لكم ونُقرُّ في الأرحام﴾ (١) ومثله: ﴿قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم﴾ (٢) ثمّ قال بعد ذلك: ﴿ويتوب الله علىٰ من يشاء﴾ (٣) لأنّه إذا لم يجز أن يكون عطفاً على مضى فينتصب لفساد المعنى فلابدّ من استئنافه ورفعه.

وقال الحسن: امتنّ الله على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يبعث رسولاً إلّا إلى قومه، وبعثه خاصّةً إلى جميع الخلق. وقال مجاهد: بعث الله نبيّه إلى الأسود والأحمر، ولم يبعث نبيّاً قبله إلّا إلى قومه وأهل لغته.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥ آية في الكوفي والبصري، وآيتان في المدنيّين، آخر الأُولى: ﴿إلى النور﴾.

أخبر الله تعالى أنّه أرسل موسى نبيّه عليه السلام إلى خلقه بآياته ودلالاته ﴿أن أخرجْ قومك من الظلمات إلى النور﴾ أي: أرسلناه بأن أخرج قومك من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية، بالدعاء لهم إلى فعل الإيمان، والنهي عن الكفر والتنبيه على أدلّته ﴿وذكّرهم بأيّام الله﴾ قيل في معناه قولان:

---

(١) الحجّ: ٥. (٢ و٣) التوبة: ١٤ و ١٥ على الترتيب.

أحدهما: قال الحسن ومجاهد وقَتادة وسعيد بن جُبَيْر: ذكِّرهم بنِعَمِ الله[١].

الثاني: ذكِّرهم بنِقَمِ الله بعادٍ وثمودَ وغيرهم من الأُمم الضالّة[٢] قال عمرو بن كلثوم:

وأَيَّامٍ لَنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنا الملكَ فيها أَنْ نَدِينا[٣]

وقيل: فيه قولان: النِعَم والنِقَم من أعدائنا[٤]. وقال قوم: أراد خوِّفْهم بهذا، كما يقال: خذه بالشدّة واللّين[٥]. ثمّ أخبر ﴿انّ في ذلك﴾ دلالات لكلّ من صبر على بلاء الله، وشكر على نِعَمه. و «التذكير»: التعريض للذكر الّذي هو خلاف السهو، ذَكَّرَهُ تَذْكيراً، وذَكَرَهُ يَذْكُرُهُ ذِكْراً، وتَذَكَّرَ تَذَكُّراً، وذاكَرَهُ مُذاكَرَةً. و «الصبّار»: الكثير الصبر، و «الصبر»: حبس النفس عمّا تنازع إليه ممّا لا ينبغي و «الشكور»: الكثير الشكر، و«الشكر» هو الاعتراف بالنعمة مع ضربٍ من التعظيم، وضدّه «الكفر».

و ﴿أن﴾ في قوله: ﴿أَن أَخرجْ﴾ يحتمل أن تكون بمعنى «أي» على وجه التفسير، ويجوز أن تكون الّتي تتعلّق بالأفعال، والمعنى: قلنا له: أَخرِجْ قومك. وقال سيبويه: تقول العرب: كتبت إليه أن أقِمْ، وأمرته أن قم، وإن شئت كانت «أن» الّتي وُصِلَت بالأمر، والتأويل الخبر. والمعنى: كتبت إليه أن يقوم، وأمرته أن يقوم، إلّا أنّها وُصِلَت بلفظ الأمر المخاطب، والمعنى معنى الخبر، كما تقول: أنت الّذي فعلتَ، والمعنى: أنت الّذي فعل.

---

(١) انظر تفسير الطبري ذيل الآية والنكت والعيون ٣: ١٢٢.

(٢) قاله الربيع وابن زيد كما في النكت والعيون ٣: ١٢٢.

(٣) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان عمرو بن كلثوم: ٥٧.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٥٥.

(٥) منهم الفرّاء في معاني القرآن ٢: ٦٨.

قوله [تعالى]:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ آية بلا خلاف.

والتقدير: واذكر يا محمّد ﴿إذ قال موسىٰ لقومه اذكروا نعمة الله عليكم﴾ في الوقت الّذي ﴿أنجاكم من ءَال فرعون يسومونكم سوء العذاب﴾ جملة في موضع الحال ﴿ويذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم﴾ وقد فسّرناه أجمع في سورة البقرة(١) فلا نطوّل بإعادته.

ودخلت الواو هاهنا في قوله: ﴿ويذبّحون أبناءكم﴾ وفي البقرة بلا واو، وقال الفرّاء: معنى الواو أنّه كان يمسّهم من العذاب غير التذبيح، كأنّه قال: يعذّبونكم بغير الذبح والذبح، وإذا طرحت كان تفسيراً لصفات العذاب(٢).

وقوله: ﴿وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم﴾ أي: في ذلكم نِعَم من ربّكم عظيمة إذ أنجاكم منهم، والبلاء قد يكون نِعَماً وعذاباً، يقال: فلان حسن البلاء عندك، أي: حسن الإنعام عليك، ويحتمل أن يكون بمعنَى العذاب، والمعنى في الصبر على ذلك العذاب امتحان من ربّكم عظيم.

قوله [تعالى]:

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ آيتان بلا خلاف.

(١) عند تفسير الآية: ٤٩ منها.

(٢) في المصدر: «يعذّبونكم بغير الذبح وبالذبح، ومعنى طرح الواو كأنّه تفسير لصفات العذاب» انظر معاني القرآن ٢: ٦٨ـ٦٩.

وهذه الآية عطف على الأولى، والتقدير: واذكروا ﴿إذ تأذّن ربّكم﴾ أي: أعلمكم. وقد يستعمل «تفعّل» بمعنى «أَفعل» كقولهم: أوعدته وتوعّدته، وهو قول الحسن والفرّاء(١) قال الحارث بن حِلّزَة:

آذَنَــتْنا بِــبَيْنِها أَســماءُ   رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَواءُ(٢)

والمعنى: أعلم ربّكم. وقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾ التقدير: أعلمكم أنّكم متى شكرتموني على نِعَمي واعترفتم بها زدتكم نعمةً إلى نعمة ﴿ولئن كفرتم﴾ أي: جحدتم نعمتي وكفرتموها ﴿إنّ عذابي لشديد﴾ لمن كفر نِعَمي.

ثمّ أخبر: أنّ موسى قال لقومه: ﴿إن تكفروا﴾ نِعَم الله وتجحدونها ﴿أنتم و﴾ جميع ﴿مَن في الأرض﴾ من الخلق فإنّه لا يضرّ الله، وإنّما يضرّكم ذلك بأن تستحقّوا عليه العقاب ﴿فإنّ الله لغنيّ حميد﴾ أي: غنيّ عن شكركم، حميد في أفعاله.

و «الغنيّ»: هو الحيّ الّذي ليس بمحتاج، و «الحميد»: الكبير لاستحقاق الحمد بعِظَم إنعامه، وهي صفة مبالغة في الحمد. وقد يكون كفر النعمة بأن يشبّه الله بخلقه أو يجوّره في حكمه، أو يردّ على نبيّ من أنبيائه، أو كان بمنزلة واحد منها في عظم الفاحشة، لأنّ الله تعالى منعم بجميع ذلك من حيث أقام الأدلّة الواضحة على صحّة جميع ذلك، وغرضه بالنظر في جميعها الثواب الجزيل، فلذلك كان منعماً بها إن شاء الله.

---

(١) معاني القرآن ٢: ٦٩.

(٢) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان الحارث بن حلّزة: ١٩.

قوله [تعالى]:

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٠) آيتان في الكوفي، وثلاث آيات في المدنيّين والبصري، تمام الأُولى قوله: ﴿وثمود﴾.

قيل فيمن يتوجّه الخطاب إليه في قوله ﴿ألم يأتكم نبؤا﴾ قولان:

أحدهما: قال الجُبّائي: إنّه متوجّه إلى أُمّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ذُكِّروا بأخبار من تقدّم وما جرى من قصصهم.

والثاني: قال قوم: إنّه من قول موسى عليه السلام لأنّه متّصل به في الآية المتقدّمة بقول الله لهم: ﴿ألم يأتكم﴾ أي: أما جاءكم أخبار مَن تقدّمكم؟

و «النبأ»: الخبر عمّا يعظم شأنه، يقال: لهذا الأمر نبأ أي: عِظَمُ شأنٍ، يقال: أَنْبأَ يُنْبِئُ، ونَبَّأْتُ أُنَبِّئُ، ونَبَّأَ الله محمّداً أي: جعله نبيّاً، وتَنَبَّأَ مُسَيْلَمَةُ الكذّاب أي: ادَّعَى النبوّةَ، وليس كذلك. ﴿قوم نوح وعاد وثمود والّذين من بعدهم﴾ كلّ ذلك مجرور بأنّه بدل من الكاف والميم في قوله ﴿قبلكم﴾ وهو مجرور بالإضافة.

وقوله: ﴿لا يعلمهم إلّا الله﴾ أي: لا يعلم تفاصيل أحوالهم، وما فعلوه وفُعِل بهم من العقوبات، ولا عددهم ﴿إلّا الله﴾ ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

«كذب النسَّابون»[١].

وقوله: ﴿جاءتهم رسلهم بالبيّنات﴾ أي: أتتهم رسلهم بالدلالات الواضحات ﴿فردّوا أيديهم في أفواههم﴾ وقيل في معناه خمسة أقوال:

أحدها: قال عبدالله بن مسعود وابن زيد: إنّهم عضّوا على أناملهم تغيّظاً عليهم في دعائهم إلى الله، كما قال: ﴿عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾[٢].

وثانيها: قال الحسن: جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم، وردّاً لما جاءوا به.

الثالث: قال مجاهد: ردّوا نعمتهم بأفواههم.

الرابع: قال قوم: يحتمل أن يكون أراد ردّوا أيدي أنفسهم في أفواه نفوسهم مومِئين لهم، أي اسكتوا عمّا تدعونا إليه، كما يفعل الواحد منّا مع غيره إذا أراد تسكيته. روي ذلك عن ابن عبّاس، ذكره الفرّاء[٣].

وخامسها: قال قوم: ردّوا ما لو قبلوه لكانت نعمةً عليهم في أفواههم، أي: بأفواههم وألسنتهم، كما يقولون: أدخلك الله بالجنّة، يريدون: في الجنّة، وهي لغة طيّ، قال الفرّاء: أنشدني بعضهم:

وأَرغبُ فيها عن لَقيطٍ ورَهْطِهِ ولكنَّني عن سِنْبِسٍ لستُ أَرغب[٤]

فقال: «أرغب فيها» يريد: بها، يعني: بنتاً له، يقول: أرغب بها عن لَقيطٍ، ولا أرغب بها عن قبيلته[٥].

وقوله: ﴿إنّا كفرنا بما أُرسلتم به﴾ حكاية أيضاً عمّا قالوا للرسل،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ١: ٥٦ مسنداً عن ابن عبّاس، وابن بطريق في العمدة: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١١٩.

(٣) معاني القرآن ٢: ٦٩.

(٤) أنشده الشريف المرتضىٰ في أماليه ١: ٣٦٦ ولم ينسبه لأحد.

(٥) معاني القرآن ٢: ٧٠.

فإنّهم قالوا: إنّا قد كفرنا بما أُرسلتم به من الدعاء إلى الله وحده، وتوجيه العبادة إليه، والعمل بشرائعه[١] ﴿وإنّا لفي شكّ﴾ من جميع ما ﴿تدعوننا إليه مريب﴾ و «الريب»: أخبث الشكّ، و «المريب» المتّهم، وهو الّذي يأتي بما فيه التهمة، ولذلك وصفوا به الشكّ، أي: أنّه يوجب تهمة ما أتيتم به، يقال، أَرابَ يُريبُ إرابةً إذا أتى بما يوجب الريبة، فـ﴿قالت﴾ لهم حيئنذٍ رسلهم أ في الله شكّ﴾ مع قيام الأدلّة على وحدانيّته وصفاته، لأنّه الّذي خلق ﴿السموات والأرض يدعوكم﴾ إلى عبادته ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ إذا أطعتموه. ودخلت ﴿من﴾ هاهنا ـ في قول أبي عُبَيْدَة[٢] ـ زائدة، وأَنكر سيبويه زيادتها في الواجب[٣] وقال أبو علي: دخلت للتبعيض، ووضع البعض موضع الجميع توسُّعاً. وقال قوم: دخلت ﴿من﴾ لتكون «المغفرة» بدلاً من «الذنوب» فدخلت ﴿من﴾ لتضمّن المغفرة معنَى البدل من السيّئة[٤] ﴿ويؤخّركم إلى أجل مسمّى﴾ يعني: لا يؤاخذكم بعاجل العذاب، بل يؤخّركم إلى الوقت الّذي ضربه الله لكم أن يميتكم[٥] فيه، فقال لهم قومه: ﴿إن أنتم إلّا بشر مثلنا﴾ أي: ليس أنتم إلّا خلق مثلنا ﴿تريدون أن﴾ تمنعونا ﴿عمّا كان يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام والأوثان ﴿فأْتُونا﴾ بحجّة واضحة على صحّة ما تدّعونه، وبطلان ما نحن عليه.

وفي الآية دلالة واضحة على أنّه تعالى إنّما أراد بخلقه الخير والإيمان، لا الشرّ والكفر، وأنّه إنّما بعث الرسل إلى الكفّار رحمةً وتفضّلاً،

---

(١) في الحجريّة: «بشرائطه».

(٢) مجاز القرآن ١: ٣٣٦.

(٣) أُنظر: الكتاب ج ٤ ص ٢٢٥.

(٤) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٦ من دون نسبة.

(٥) في الحجريّة: يمسّكم.

ليؤمنوا لا ليكفروا، لأنّ الرسل قالت: ندعوكم إلى الله ليغفر لكم، فمن قال: إنّ الله أرسل الرسل إلى الكفّار ليكفروا بهم ويكونوا سوءاً عليهم ووبالاً، وإنّما دعوهم ليزدادوا كفراً، فقد ردّ ظاهر القرآن.

قوله [تعالى]:

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَاكَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَالَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ آيتان بلا خلاف.

حكى الله تعالى في هذه الآية ما أجابت به الرسل الكفّار، فإنّهم قالوا لهم: ما ﴿نحن إلّا بشر مثلكم﴾ ولسنا ملائكة كما زعمتم ﴿ولكنّ الله﴾ منّ علينا فاصطفانا وبعثنا أنبياء، وهو ﴿يمنّ على من يشاء من عباده﴾ ولم يكن ﴿لنا أن﴾ نجيئكم ﴿بسلطانٍ﴾ أي: بحجّةٍ على صحّة دعوانا ﴿إلّا﴾ بأمر ﴿الله﴾ وإطلاقه لنا في ذلك ﴿وعلى الله﴾ يجب أن يتوكّل [المتوكّلون] ﴿المؤمنون﴾ المصدّقون به وبأنبيائه.

ثمّ أخبر أنّهم قالوا أيضاً: ﴿وما لنا ألّا نتوكّل على الله﴾ أي: ولِمَ لانتوكّل على الله ﴿وقد هدٰنا﴾ إلى سبل الإيمان، ودلّنا على معرفته، و وفّقنا لتوجيه العبادة إليه، وألاّ نشرك به شيئاً، وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب ﴿ولنصبرنّ على ما آذيتمونا﴾ من تكذيبنا وشتمنا في جنب طاعته وابتغاء مرضاته وطلب ثوابه ﴿وعلى الله﴾ يجب أن يتوكّل ﴿المتوكّلون﴾ الواثقون بالله، دون مَن كان كافراً، فإنّ وليّه الشيطان.

و «المنّ» أصله: القطع، يقال: حبل منين أي: منقطع عن بلىً،

و«المنيّة» لأنّها تقطع عن أمر الدنيا، و ﴿لهم أجر غـير ممنون﴾[١] أي: غير مقطوع. و «الأذى»: ضرر يجده صاحبه في حاله، آذاه يُـؤْذِيه أذىً، وتأذَّى به تأذّياً، وأكثر ما يقال في الضرر القليل، ويقال أيضاً: آذاه أذىً عظيماً. و«المثل»: ما سدّ مسدّ صاحبه فيما يرجع إلى ذاته. و «الهـدى»: الدلالة على طريق الحقّ من الباطل، والرشد من الغيّ، هداه يـهديه فـي الدين هُدىً. و «السلطان»: الحجّة الّتي يتسلّط بها على الطـالب مـذهب المخالف للحقّ.

وقيل في قوله: ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلّا بإذن الله﴾ قولان:

أحدهما: قال أبو عـلي الجُـبّائي: إنّـهم سألوا آيـةً مـخصوصةً غـير ما أتتهم به الرسل، كما سألت قريش فقالوا: ﴿لن نؤمن لك حتّىٰ تـفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[٢]. والثاني: إنّ ما أتيناكم به بإذن الله، لأنّه مـمّا لا يقدر عليه البشر، ونحن بشر[٣].

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ آيتان بلا خلاف .

حكى الله تعالى عن الكفّار: أنّهم قالوا لرسلهم إنّا ﴿لنخرجـنّكم مـن أرضنا﴾ وبلادنا إلّا أن ترجعوا[٤] في أدياننا ومذاهبنا، فحينئذٍ أوحىَ الله تعالى إلى رسله: إنّا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين، ونسكنكم ﴿الأرض

(١) فُصِّلت: ٨، الانشقاق: ٢٥، التين: ٦.
(٢) الإسراء: ٩٠.
(٣) قاله الطبري ذيل الآية.
(٤) في الحجريّة: تدخلوا.

من بعدهم ذلك﴾ جزاء ﴿لمن خاف مقامي﴾ أي: حيث يقيمه الله بين يديه، وأضافه إلى نفسه كما قال: ﴿وتجعلون رزقكم أنّكم تكذّبون﴾[1] أي: رزقي إيّاكم، قال الفرّاء: والعرب تضيف أفعالها إلى أنفسها وإلى ما أوقعت عليه، يقولون: سررت برؤيتك، وسررت برؤيتي إيّاك، وندمت على ضربك، وضربي إيّاك[2] وخاف وعيدي وعقابي. وإنّما قالوا: ﴿أو لتعودنَّ في ملّتنا﴾ وهم لم يكونوا على ملّتهم قطّ لأمرَيْن:

أحدهما: أنّهم توهّموا ذلك على غير حقيقة أنّهم كانوا على ملّتهم.

الثاني: أنّهم ظنّوا بالنشوء أنّهم كانوا عليها دون الحقيقة.

واللام في قوله: ﴿ولنخرجنّكم﴾ لام القَسَم، والّتي في قوله: ﴿أو لتعودنّ﴾ أيضاً مثل ذلك إلّا أنّ فيه معنى الجزاء، لأنّ التقدير: لنخرجنّكم من أرضنا إلّا أن تعودوا أو حتّى أن تعودوا، وهو مثل قول القائل: والله لا أُكلّمك أو تدعوني، والمعنى: إلّا أن، أو حتّى تدعوني.

قوله [تعالى]:

وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ آيتان بلا خلاف .

قوله: ﴿واستفتحوا﴾ معناه: استنصروا وهو طلب الفتح بالنصر، ومنه قوله: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا﴾[3] أي: يستنصرون، وقال ابن عبّاس: هو استفتاح الرسل بالنصر على قومهم، وبه قال مجاهد وقَتادة. وقال الجُبّائي: هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أُممهم بالحقّ لأنّ «الفتح»: الحكم، ومنه قوله: «الفتّاح»: الحاكم. وقال ابن زيد: هو

(١) الواقعة: ٨٢. (٢) معاني القرآن ٢: ٧١. (٣) البقرة: ٨٩.

استفتاح الكفّار بالبلاء. و «الخيبة» إخلاف ما قدّرته المنفعة، يقال، خابَ يَخيبُ خَيْبَةً، وخَيَّبَ تَخَيُّباً، وضدّه «النجاح» وهو إدراك الطلبة. و «الجبرية»: طلب علوّ المنزلة بما ليس وراءه غاية في الوصف، فإذا وُصِفَ العبد بأنّه جبّار كان ذمّاً، وإذا وُصِفَ الله به كان مدحاً، لأنّ له علوّ المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة. و «العنيد»: هو المعاند إلّا أنّ فيه مبالغة، و «العناد»: الامتناع من الحقّ مع العلم به، كبراً وبغياً، يقال: عَنَدَ يَعْنُدُ عُنُوداً، وعانَدَهُ مُعانَدَةً وعِنَاداً، قال الشاعر:

إذا نَزَلْتُ فاجْعَلاني وَسَطاً　　إنّي كبيرٌ لا أُطِيقُ العَنَدا[1]

و «الوراء» و «الخلف» واحد، وهو جهة مقابلة الجهة القُدّام، وقد يكون «وراء» بمعنى «أمام»، وقيل: إنّه يحتمل ذلك هاهنا[2]، وذكروا أنّه يجوز في الزمان على تقدير أنّه كان خلفهم، لأنّه يأتي فيلحقهم، قال الشاعر:

أتُوعِدني وراءَ بَني رِياحٍ　　كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَداكَ دُونِي[3]

قال: [وقال الآخر: أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والغلاة ورائياً][4].

وقال آخر:

عَسَى الكَرَبُ الّذي أَمسَيْت فيهِ　　يكُونُ وراءَهُ فَرجٌ قريبُ

وقوله: ﴿ويُسقىٰ من ماء صديد﴾ يعني: يُسقَى الجبّار العنيد صديداً،

---

(١) أنشده في مجاز القرآن ١: ٢٩١ـ٣٣٧ ولم ينسبه لأحد.

(٢) قاله أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٣٧.

(٣) اختلف في قائله: وأنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٣٧.

(٤) لم يرد في الحجريّة.

وهو قيح يسيل من الجرح، أُخِذ من أنّه يُصَدُّ عنه تكرُّهاً له، و «القيح»: دم مختلط بمدّة[١].

وقوله: ﴿صديد﴾ بيان للماء الّذي يُسقَونه، فلذلك أُعرب بإعرابه، قال الزجّاج: والوراء: ما توارى عنك[٢] وليس من الأضداد. قال الشاعر:

حَلَفْتُ فَلَم أَتْرك لنَفْسِكَ ريبةً ... وليسَ وَراءَ اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ[٣]

أي: ليس بعد مذاهب الله للمرء مذهب[٤].

قوله [تعالى]:

يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ آيتان بلا خلاف .

قوله: ﴿يتجرّعه﴾ معناه: يشرب ذلك الصديد جُرْعةً جُرْعةً، يقال: تَجَرَّعَ تَجرُّعاً، وجَرَعَهُ يَجْرَعَهُ جَرْعاً، و «التَجَرُّع»: تناول المشروب جُرْعةً جُرْعةً على الاستمرار.

وقوله: ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ أي: لا يقاربه وإنّما يضطرّ إليه، قال الفرّاء: «لا يكاد» يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع، فما يقع هو هذا، وما لم يقع مثل قوله: ﴿لم يكد يراها﴾[٥] لأنّ المعنى: لم يرها. و «الإساغة» إجراء الشراب في الحلق على تقبّل النفس، وهذا يضطرّ إليه، فلذلك قال:

---

(١) المِدّة: ـ بالكسر ـ ما يجتمع في الجرح من القيح.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٠٥.

(٣) للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح فيها النعمان الملك. راجع ديوان النابغة: ٤٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٥٦ـ١٥٧.

(٥) النور: ٤٠ وانظر معاني القرآن؛ للفراء ٢: ٧٢.

﴿ولا يكاد يسغيه﴾ والمعنى: فلا يقارب أن يشربه تكرّهاً وهو يشربه، تقول: ساغَ يَسُوغُ الشيء وأَسَغْتُهُ أنا.

ورُوِي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما يتجرَّعه يُقَرَّب إليه فيتكرَّهه، فإذا أُدْنِيَ منه شُوِي وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطّع أمعاءه حتّى يخرج من دبره، كما قال ﴿وسُقُوا ماءً حميماً فقطّع أمعاءهم﴾ وقال: ﴿وإن يستغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْلِ يشوي الوجوه بئس الشرابُ﴾[1].

وقوله: ﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس والجُبّائي: من كلّ جهة، من عن يمينه وشماله، ومن فوقه وتحته، ومن قُدّامه وخلفه. وقال إبراهيم التيمي وابن جُرَيْج: معناه من كلّ مكان من جسده حتّى من أطراف شعره.

﴿وما هو بميّت﴾ أي: أنّه مع إتيان أسباب الموت والشدائد الّتي يكون معها الموت من كلّ جهة من شدّة الأهوال وأنواع العذاب، ليس بميّت. ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ وقيل في معناه قولان: أحدهما: من أمامه. والثاني: ومن بعد عذابه هذا ﴿عذاب غليظ﴾.

وقوله: ﴿مثل الّذين كفروا بربّهم﴾ أي: فيما يتلى عليكم ﴿مثل الّذين كفروا بربّهم﴾ فيكون رفعاً بالابتداء، ويجوز أن يكون ﴿مَثَل﴾ مقحماً ويبتدئ ﴿الّذين كفروا﴾ وقوله: ﴿أعمالُهم﴾ رفع على البدل، وهو بدل الاشتمال عليه في المعنى، لأنّ المثل للأعمال، وقد أُضِيف إلى ﴿الّذين كفروا﴾ ومثله: ﴿ويوم القيامة ترى الّذين كَذَبوا على الله وجوههم مسودّة﴾[2]

---

(١) روى الطبري معناه في ذيل الآية بسنده عن أبي أُمامة. والآيتان من سورتي محمّد: ١٥ والكهف: ٢٩ على التوالي.

(٢) الزُمَر: ٦٠.

والمعنى: ترى وجوههم مسودّة، قال الفرّاء: لأنّهم يجدون المعنىٰ في آخر الكلمة، فلا يبالون ما وقع على الاسم المبتدأ، ومثله قوله: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾[١] فأُعيدت اللام في «البيوت» لأنّها الّتي يراد بالسُقُف[٢]. وقال المبرّد: ﴿أعمالُهم﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿كَرَماد﴾. و«الرماد»: الجسم المنسحق بالإحتراق سحق الغبار، ويمكن أن يجعل مثل صفتة بغير نار في مقدور الله.

وقوله: ﴿اشتدّت به الريح في يوم عاصف﴾ فالاشتداد: الإسراع بالحركة على عِظَم القوّة، يقال: اشتدّ به الوجع من هذا، لأنّه أسرع إليه على قوّة ألم. و «العَصْف»: شدّة الريح ﴿يوم عاصف﴾ أي: شديد الريح، وجعل «العَصْف» صفة لليوم، لأنّه يقع فيه، كما يقال: ليل نائم، ويوم ماطر، أي: يقع فيه النوم والمطر، ويجوز أن يكون المراد: عاصفٍ ريحُهُ، وحذف «الريح» للدلالة عليه، ومثله: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٌ، أي: خَرِبٌ جُحْرُهُ. ويقال: عَصَفَتِ الرياحُ إذا اشتدّت، وعَصَفَت تَعْصِفُ عُصُوفاً.

شبَّه الله تعالى أعمال الكفّار في أنّه لا محصول لها ولا انتفاع بها يوم القيامة بالرماد الّذي يشتدّ فيه الريح العاصف، فإنّه لا بقاء لذلك الرماد ولا لبث، فكذلك أعمال الكافر لا يقدر منها على شيء، كما قال في موضع آخر: ﴿وقَدِمْنا إلىٰ ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً﴾[٣]. وقوله: ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ أي: مَن وصفناه فهو الّذي ضلّ عن الحقّ والخير ضلالاً بعيداً.

---

(١) الزخرف: ٣٣.
(٢) معاني القرآن ٢: ٧٣.
(٣) الفرقان: ٢٣.

قوله [تعالى]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ آيتان في الكوفي والمدني الأوّل، تمام الأُولى: ﴿خَلْق جديد﴾ وآية عند الباقين.

قرأ حمزة والكسائي: ﴿خالق السموات﴾ على اسم الفاعل، الباقون: ﴿خَلَق﴾ على فعلٍ ماضٍ.

قال أبو عليّ: مَن قرأ ﴿خلق﴾ فلأنّ ذلك ماضٍ فأخبر عنه بلفظ الماضي، ومَن قرأ: ﴿خالق﴾ جعله مثل: ﴿فاطر السموات والارض﴾[١] بمعنى: خالق، ومثله قوله: ﴿فالقُ الإصباح وجاعل الليل سكناً﴾[٢] لأنّهما فُعِلا[٣].

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ ـ ويعني به الأُمّة بدلالة قوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد﴾ ـ: أَلَم تعلم؟ لأنّ الرؤية تكون بمعنى العلم، كما تكون بمعنى الإدراك بالبصر، وهاهنا لا يمكن أن تكون بمعنى الرؤية بالبصر، لأنّ ذلك لا يتعلّق بأنّ الله خلق السماوات والأرض، وإنّما يعلم ذلك بدليل. وقوله: ﴿بالحقّ﴾ فالحقّ: هو وضع الشيء في موضعه على ما تقتضيه الحكمة، وإذا أُجري المعنى على ما هو له من الأشياء فهو حقّ، وإذا أُجري على ما ليس هو له من الأشياء فذلك باطل. و «الخَلْق»: فعل الشيء على تقدير وترتيب. و «الخالق»: الفاعل لشيء على مقدار

(١) فاطر: ١.

(٢) الأنعام: ٩٦. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ قراءة: «جاعل» هي قراءة الجمهور ما عدا الكوفيّين فقد قرؤوها: «جعل» بوز «فَعَل».

(٣) الحجّة للقراء السبعة ٣: ١٦.

ما تدعو الحكمة إليه، لا يجوز عليه غير ذلك.

وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد﴾ خطاب للخلق وإعلام لهم أنّه قادر إن شاء أن يميت الخلق ويهلكهم ويجيء بدلهم خلقاً آخر جديداً. و «الإذهاب»: إبعاد الشيء عن الجهة الّتي كان عليها، ولهذا قيل: للإهلاك: إذهاب، لأنّه إبعاد له عن حال الإيجاد. و «الجديد» المقطوع عنه العمل في ابتداء أمره قبل حال خلوّ فيه، وأصله: القطع، جَدَّهُ يجدّه جدّاً: إذا قطعه و «الجَدُّ»: أبو الأب، لانقطاعه عن الولادة بالأب، و «الجِدُّ» ضدّ «الهزل»، و «الجَدُّ»: الحظّ.

وقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ إخبار منه تعالى أنّ إذهابكم وإهلاككم والإتيان بخلق جديد ليس بممتنع على الله على وجهٍ من الوجوه، والممتنع بتعزّزه[1] عزيز، والممتنع بسعة مقدوره عزيز، والممتنع بكبر نفسه عزيز.

وفي الآية دلالة على أنّ مَن قدر على الإنشاء قدر على الإفناء إذا كان ممّا يبقى، ولا يتغيّر حكم القادر ولا شيء ممّا يحتاج إليه في الفعل، لأنّ مَن قدر على البناء فهو على الهدم أَقْدَر، فَمَن كان قادراً على اختراع السماء والأرض وما بينهما قدر على إذهاب الخلق وإهلاكهم.

قوله [تعالى]:

وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَـٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ آية بلا خلاف.

(١) في الحجريّة: بقدرته.

أخبر الله تعالى: أنّ الخلق يبرزون يوم القيامة لله، أي يظهرون من قبورهم، و «البروز»: خروج الشيء عمّا كان ملتبساً به إلى حيث يقع عليه الحسّ في نفسه، يقال: برز للقتال إذا ظهر له.

﴿فقال الضعفاء﴾ أي: يقول الناقص[١] القوّة، لأنّ «الضعفاء» جمع «ضعيف»، و «الضعف»: نقصان القوّة، يقال: ضَعُفَ يَضْعُفُ ضَعْفاً، وأضعفه الله إضعافاً، و «الضُعف» إذهاب مضاعفة القوّة ﴿للّذين استكبروا﴾ أي: للّذين طلبوا التكبّر، و «الاستكبار» و «التكبّر» و «التجبّر» واحد، وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف، والمعنى: يقول التابعون للمتبوعين من ساداتهم وكبرائهم: ﴿إنّا كنّا لكم تَبَعاً﴾ أي: طلبنا اللحاق بكم، واعتمدنا عليكم، وهو جمع «تابع» كقولهم: غائِب وغَيَب[٢]. قال الزجّاج: ويجوز أن يكون مصدراً وصف به[٣].

﴿فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء﴾ أي: هل تقدرون [على] أن تدفعوا عنّا ما لا نقدر على دفعه عن أنفسنا؟ يقال: أغنى عنّي إذا دفع عنّي، و «أغناني» بمعنى: نَفَى الحاجة عنّي بما فيه كفاية، فأجابهم المستكبرون بأنّه ﴿لو هدانا الله﴾ إلى طريق الخلاص من العقاب والوصول إلى النعيم والجنّة ﴿لهديناكم﴾ معنا إليه ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾أي: الجزع والصبر سيّان مثلان، ليس لنا ﴿محيص﴾ أي: مهرب من عذاب الله. يقال: حاصَ يَحيصُ حَيْصاً وحُيُوصاً وحَيَصاناً، وحَادَ يَحيدُ حَيْداً ومَحِيداً، و «الحيد»: الزوال عن المكروه. و «الجزع»: انزعاج

(١) في الخطيّة: الناقصوا.
(٢) أي يقال: تابع وتَبَع مثل: غائب وغَيَب.
(٣) أي: كنّا ذوي تَبَع. انظر: معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٥٨.

النفس بورود ما يغمّ، ونقيضه: «الصبر»، قال الشاعر:

فإن تَصْبرا فالصَبرُ خَيْرٌ مَغَبَّةً ... وإن تَجْزَعا فالأَمرُ ما تَرَيانِ

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) آية بلا خلاف .

قرأ حمزة وحده: ﴿بمصرخيِّ﴾ بكسر الياء، الباقون بفتحها[١].

قال أبو عليّ: قال الفرّاء في كتابه في التصريف: قرأ به الأعمش ويحيى بن وثّاب، قال: وزعم القاسم بن مَعْن أنّه صواب، وكان ثقةً بصيراً، وزعم قُطْرُب: أنّه لغة في بني يربوع، يزيدون على ياء الإضافة ياءً، وأنشد:

ماضٍ إذا ما هَمَّ بالمُضِيِّ ... قالَ لها هَلْ لَكِ ياتافيِّ

وأنشد ذلك الفرّاء[٢].

وقال الزجّاج: هذا الشعر لا يلتفت إليه، ولا هو ممّا يعرف تأويله[٣]. قال الرُمّاني: الكسر لا يجوز عند أكثر النحويّين، وأجازه الفرّاء على ضعف[٤]. قال أبو عليّ: وجه جوازه من القياس: أنّ الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جرّ، فالياء في النصب والجرّ كالهاء في «هما» وكالكاف في «أكرمتك» و «هذا لك» فكما أنّ الهاء قد لحقتها

(١ و ٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٦.
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٦٠.
(٤) راجع معاني القرآن ٢: ٧٦.

الزيادة في «هذا كهوا» و «ضربهو» ولحق الكاف الزيادة في قولهم: «اعطيتكاه» أو «اعطيتكيه» فيما حكاه سيبويه، وهما أُختا الياء. كذلك ألحقوا الياء الزيادة، فقالوا: «فيِّي» ثمّ حذفت الياء الزيادة على الياء، كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال: «له أَرِقَان». قال أبو الحسن: هي لغة، فكما حذفت الزيادة من الكاف، فقال: «أعطيتكه» كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء، كما حذفت من أُختَيْها، وأُقرّت الكسرة الّتي كانت تلي الياء المحذوفة، فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة، وكما لحقت الكاف والهاء الزيادة، كذلك لحقت الياء الزيادة، فلحاق الياء[١] الزيادة نحو ما أنشد من قول الشاعر:

رَمَيْتِيهِ فأَصْمَيْتِ وأَخطَأْتِ الرَمْيَه

فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة ـ وإن كان غيرها أَفْشَى منها، وعضده من القياس ما ذكرنا ـ لم يجز لقائل أن يقول: القراءة بذلك لحن، لاستقامة ذلك سماعاً وقياساً[٢].

أخبر الله تعالى في هذه الآية: أنّ الشيطان يوم القيامة يقول لأوليائه الّذين اتّبعوه: ﴿إنّ الله وعدكم وعد الحقّ﴾ من الثواب والعقاب ﴿ووعدتكم﴾ أنا بالخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي، وقد خالفت وعدي ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أي: لم يكن لي عليكم حجّة ولا برهان أكثر من ﴿أن دعوتكم﴾ إلى الضلال وأغويتكم فأجبتموني وتابعتموني ﴿فلا تلوموني﴾ في ذلك ﴿ولوموا أنفسكم﴾ بارتكابكم

(١) هكذا في النسخ، والظاهر على ما في مجمع البيان ٦: ٣١١ فكما لحقت الكاف والهاء والياءُ الزيادةَ كذلك لحقت التاءُ الزيادةَ.

(٢) النصّ بطوله في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٧.

المعاصي وخلافكم الله وترككم ما أمركم به ﴿ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ﴾ يقال: استصرخني فأصْرَخْتُه أي استغاثني فأغثته. فالإصراخ: الإغاثة، والمعنى: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثيّ ﴿إنّي كفرت بما اشركتمونى من قبل﴾ حكاية عن قول الشيطان لأوليائه أنّه يقول لهم: إنّي كفرت بشرككم بالله ومتابعتكم لي قبل هذا اليوم، ثمّ أخبر تعالى: ﴿إنّ الظالمين﴾ الكافرين ﴿لهم عذاب أليم﴾ مؤلم شديد الألم.

ويصحّ أن يلوم الإنسان نفسه على الإساءة، كما يصحّ حمدها على الإحسان، قال الشاعر:

صَحبتُكَ إذْ عَيْني عليها غِشَاوَةٌ فَلمَّا انْجلَتْ قَطَّعْتُ نفسي أَلُومُها(١)

قال الجُبّائي: وفي الآية دلالة على أنّ الشيطان لا يقدر على الإضرار بالإنسان بأكثر من إغوائه ودعائه إلى المعاصي، فأمّا بغير ذلك فلا يقدر عليه، لأنّه أخبر بذلك، ويجب أن يكون صادقاً، لأنّ الآخرة لا يقع فيها من أحد قبيح لكونهم ملجئين إلى تركه.

قوله [تعالى]:

وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ثلاث آيات في الكوفي والبصري، وآيتان في الباقي، تمام الثانية: ﴿في السماء﴾.

---

(١) للحارث بن خالد المخزومي، من أبيات أنشأها لمّا أقام بباب عبدالملك بن مروان شهراً ولم صل إليه، فانصرف عنه وقال الابيات. راجع ديوان الحارث: ١٠١.

أخبر الله تعالى: أنّ الّذين يؤمنون به ويصدّقون بوحدانيّته، ويعترفون بنبوّة أنبيائه، ويعملون بما دعاهم إليه من الطاعات والأعمال الصالحات، يدخلهم الله يوم القيامة ﴿جنّات﴾ من صفتها أنّها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ لأنّ «الجنّة» البستان الّذي يجنّه الشجر، فالأنهار تجري من تحت الأشجار، وقيل: أنهار الجنّة في أخاديد في الأرض ﴿خالدين فيها﴾ أي: مؤبّدين فيها دائمين، ونصبه على الحال من حيث إنّها تدوم لهم ﴿بإذن ربّهم﴾ أي: بأمر ربّهم وإطلاقه يخلدون فيها، ويكون تحيّة بعضهم لبعض في الجنّة: ﴿سلام﴾. و «التحيّة»: التلقّي بالكرامة في المخاطبة، كقولك: أحياك الله حياةً طيّبةً، سلام عليك، وما أشبه ذلك تبشيراً لهم بدوام السلامة.

ثمّ قال لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿ألم﴾ تعلم ﴿كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيّبةً كشجرةٍ طيّبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾ إنّما ضرب المَثَل بالكلمة الطيّبة للدعاء إليها في كلّ باب يحتاج إلى العمل عليه، وفي كلّ باب من أبواب العلم. ومعنى ﴿فرعها في السماء﴾: مبالغة له في الرفعة، فالأصل سافل والفرع عالٍ، إلّا أنّه من الأصل يوصل إلى الفرع، والأصل في باب العلم مشبّه بأصل الشجرة الّتي تؤدّي إلى الثمرة الّتي هي فرع ذلك الأصل، ويشبّه بأصل الدرجة الّتي يترقّى منها إلى أعلى مرتبة.

وروى أنس بن مالك عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ هذه الشجرة الطيّبة هي النخلة[1]. وقال ابن عبّاس: هي شجرة في الجنّة.

وقوله: ﴿تؤتي اكلها﴾ أي: تُخرِج هذه الشجرة الطيّبة ـ وهي النخلة ـ ما يؤكل منها في ﴿كلّ حين﴾ وقال ابن عبّاس في روايةٍ: يعني: ستّة أشهر

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره في ذيل الآية عنه من طرق متعدّدة.

إلى صرام النخل. وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام[١] وبه قال سعيد بن جُبَيْر والحسن. وقال مجاهد وابن زيد: كلّ سنة. وقال سعيد بن المسيِّب: الحين شهران. وفي رواية أُخرى عن ابن عبّاس: غدوة وعشية. وقال قوم: مِن أُكل النخلة: الطَّلْع والرُطَب والبُسْر والتَمْر، فهو دائم لا ينقطع على هذه الصفة. وأهل اللغة يذهبون إلى أنّ الحين هو الوقت[٢] قال النابغة:

تنادرها الراقُونَ من سُوءِ سُمِّها تُطَلِّقُهُ حيناً وحيناً تُراجِعُ[٣]

كذا رواه الأصمعي[٤] و ﴿مثلاً﴾ منصوب بـ ﴿ضرب﴾ والتقدير: ضرب الله كلمة طيّبة مثلاً. ﴿بإذن ربّها﴾ أي: يخرج هذا الأُكُل في كلّ حين بأمر الله وخلقه إيّاه ﴿ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكّرون﴾ إخبار منه تعالى أنّه يضرب المثل للكلمة الطيّبة بالشجرة الطيّبة في البادءة والعاقبة، لكي يتذكّروا ويتفكّروا فيه ويعتبروا به، فيودّيهم ذلك إلى دخول الجنّة وحصول الثواب.

وفائدة الآية: أنّ الله ضرب للإيمان مثلاً وللكفر مثلاً، فجعل مثل المؤمن الشجرة الطيّبة الّتي لا ينقطع نفعها وثمرها، وهي النخلة ينتفع بها في كلّ وقت، لا ينقطع نفعها ألبتّة، لأنّه ينتفع بطَلْعها وبُسْرها ورُطَبها وتَمرْها وسَعْفها وليفها وخُوصها وجِذْعها، ومثل الكافر بالشجرة الخبيثة

(١) الكافي ٤: ١٤٢، ح ٥ و٦.

(٢) نقله أبو عبيد في الغريبين ٢: ٥١٩ عن الأزهري.

(٣) من قصيدة يمدح الملك النعمان. راجع ديوان النابغة: ٨١ وفيه: «تناذرها» بدل «يبادرها» و «طوراً» بدل «حيناً».

(٤) حكاها الزجّاج في معانيه ٣: ١٦١.

وهي الحَنْظَلة. وقيل: الأُكْشُوث[١] لا انتفاع بـه ولا قـرار له ولا أصـل، فكذلك الكفر لا نفع فيه ولا ثبات.

قوله [تعالى]:

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِالْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَايَشَآءُ ﴿٢٧﴾ آيتان بلا خلاف.

لمّا ضرب الله المثل للكلمة الطيّبة بالشجرة الطيّبة الّتي ذكرها وأُكلها ضرب المثل للكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة الّتي تجتثّ أي: تُقْتلَع، يقال: اجتَثّه اجتثاثاً، وجثَّه جَثّاً، ومـنه: «الجُـثّة»، و «الاجـتثاث» الاسـتئصال للشيء واقتلاعه من أصله، وقال أَنَس بن مالك ومجاهد: الشجرة الممثَّل بها هي شجرة الحَنْظَل، قال أَنَس: وهي «الشَرْيان». وقال ابن عبّاس: هي شجرة لم تُخْلَق بعد.

و«المَثَل»: قول سائر يشبّه فيه حال الثاني بالأوّل. و «التشـبيه» فـي الأمثال: لما يحتاج إليه من البيان، وهو على وجهَيْن: أحدهما: ما يظهر فيه أداة التشبيه، والآخر: ما لا يظهر. و «الكلمة»: الواحدة من الكلام، [ولذلك يقال للقصيدة «كلمة» لأنّها قصيدة واحدة من الكلام[٢]] والكـلمة إنّـما تكون خبيثة إذا خَبُث معناها، وهي كلمة الكفر، والطيّبة كـلمة الإيـمان، و«الخبث» فساد يؤدّي إلى فساد.

---

(١) في «ح»: الكشوت، و جاء في اللسان: الكَشُوث والأُكْشُوث والكَشُوثى: كـلّ ذلك نـبات مجتثّ مقطوع الأصل. وقيل: لا أصل له، وهو أصفر يتعلّق بأطراف الشـوك وغـيره. (لسـان العرب: مادة كشث).

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، وأثبتناه من الحجريّة.

وقوله: ﴿يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوٰة الدنيا﴾ يعني: كلمة الإيمان ﴿وفي الآخرة﴾ قال ابن مسعود[١] والبَرَاء بن عازب وابن عبّاس: هي المساءلة في القبر إذا أتاه الملك فقال له: مَن رَبّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ فيقول: ربّي الله، وديني الإسلام، ونبيّي محمّد ﷺ. وقال قوم: معنى ﴿يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ يعني: الايمان يثيبهم[٢] الله بثوابه في الجنّة ويمدحهم فيها.

وقوله: ﴿ويضلّ الله الظالمين﴾ يحتمل أمرَين:

أحدهما: يحكم بضلال الظالمين. الثاني: يضلّهم عن طريق الجنّة إلى طريق النار. ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من ذلك، لا اعتراض عليه في ذلك ولا في غيره ممّا يريد فعله.

قوله [تعالى]:

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قيل فيمن نزل فيه قوله: ﴿الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً﴾ قولان:

أحدهما: قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر ومجاهد والضحّاك: إنّهم كفّار قريش، فقال عليّ عليه السلام: «أمّا بنو المغيرة فأبادهم الله يوم بدر، وأمّا بنو أُميّة فقد أُمهِلوا إلى يوم ما».[٣]

---

(١) في الحجريّة: شطب على «ابن مسعود»، وقد نقل الطبري معنى ذلك عنهم جميعاً، انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) في الحجريّة وظاهر «م»: «يثبّتهم».

(٣) رواه العياشي في تفسيره ٢: ٢٣٠ ح ٢٨ عن مسلم المشوب.

وقال قَتادة: هم القادة من كفّار قريش.

وروي عن عمر أنّه قال: هما الأَفْجَران من قريش: بنو المغيرة وبنو أُميّة، فأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين، وأمّا بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر[١].

أنعم الله تعالى عليهم بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر به، فقال الله تعالى لنبيّه: أما تنظر إلى هؤلاء الّذين كفروا بنعِمَ الله وبدّلوا مكان الشكر عليها كفراً ﴿وأحلّوا قومهم دار البوار﴾ أي: وأنزلوا قومهم دار الهلاك بدعائهم إيّاهم إلى الكفر بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وإغوائهم إيّاهم وصدّهم عن الإيمان به.

و «التبديل»: جعل الشيء مكان غيره، فهؤلاء القوم لمّا جعلوا الكفر بالنعمة مكان شكرها كانوا قد بدّلوا أَقْبح تبديل. و «الإحلال»: وضع الشيء في محلٍّ: إمّا مجاورةً إن كان من قبيل الأجسام، أو مداخلةً إن كان من قبيل الأعراض و «البوار»: الهلاك. بارَ الشيء يَبُور بوراً: إذا هلك وبَطَلُ. قال ابن الزِبَعْرَى:

يا رسولَ المليكِ إنّ لساني ... راتِقٌ ما فَتقتُ إذْ أَنا بُورُ[٢]

وقوله: ﴿جهنّم يصلونها﴾ في موضع نصب بدلاً من قوله: ﴿دار البوار﴾ لأنّه تفسير زمان[٣] لهذه الدار ﴿يصلونها﴾ أي: يصلون فيها ويشتوون فيها، ثمّ أخبر: أنّها ﴿بئس القرار﴾ أي: بئس المستقرّ والمأوىٰ.

ثمّ قال: إنّ هؤلاء الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار

---

(١) رواه الطبري ذيل الآية.

(٢) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٠، وهي من قصيدة قالها أمام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عند إسلامه يوم فتح مكّة.

(٣) شطب علىٰ كلمة «زمان» في الحجريّة.

﴿جعلوا لله انداداً﴾ زيادة على كفرهم وجحدهم نِعَم الله، و «الأنداد» جمع «ندّ» وهم الأمثال المنادّون، قال الشاعر:

تُهدَىٰ رؤوس المترفينَ الأَنداد إلىٰ أميرالمؤمنينَ الممتَادِ[١]

﴿ليُضِلّوا عن سبيله﴾ أي: لتكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الّذي هو الهلاك، واللام لام العاقبة، وليست بلام الغرض، لأنّهم ما عبدوا الأوثان من دون الله وغرضهم أن يُهلَكُوا، بل لمّا كان لأجل عبادتهم لها استحقّوا الهلاك والعذاب عبّر عن ذلك بهذه اللام، كما قال: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكونَ لهم عدوّاً وحَزَناً﴾[٢] وإنّما التقطوه ليكون لهم قُرَّة عين، ولكن لمّا كان عاقبة ذلك أنّه كان عدوّهم فعبّر عنه بهذه اللام. وقُرئ بضمّ الياء وكسر الضاد[٣].

والمعنى: أنّهم فعلوا ذلك ليُضلّوا غيرهم عن سبيل الحقّ الّذي هو الطريق إلى ثواب الله والنعيم في جنّته، فقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿قل﴾ لهؤلاء الكفّار الّذين وصفناهم: ﴿تمتّعوا﴾ وانتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا، فصورته صورة الأمر والمراد به التهديد، بدلالة قوله: ﴿فإنّ مصيركم إلى النار﴾ والمعنى: مرجعكم ومآلكم إلى النار والكون فيها عن قليل.

قوله [تعالى]:

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾ آية بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيّه أن يقول لعباده المؤمنين المعترفين بتوحيد الله

---

(١) أنشده أبو عُبَيدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٠، ونسبه إلى العجّاج. (٢) القصص: ٨.

(٣) وقراءة ضمّ الياء هي قراءة جمهور القرّاء السبعة غير ابن كثير وأبي عمرو. راجع الكشّاف ٢: ٣٧٨.

وعدله[١]: يديمون على فعل الصلاة ويقيمونها بشرائطها، وينفقون ممّا رزقهم الله ﴿سرّاً وعلانية﴾ أي: ظاهراً وباطناً. وموضع ﴿يُقيموا﴾ جزم من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه جواب الأمر وهو ﴿قل﴾. الثاني: أنّه جواب أمر محذوف، وتقديره: قل لهم أقيموا يُقيموا. الثالث: بحذف لام الأمر، لأنّ ﴿قل﴾ دالّة عليه[٢]، والمعنى: ليقيموا، وعلى هذا يجوز أن تقول: قل له يضرب، ولا يجوز: يضرب زيداً، لأنّه عوض من المحذوف، ذكره الزّجاج[٣].

﴿من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾ المعنى: بادروا بأفعال الخير من: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأفعال الخير ﴿قبل أن﴾ يأتيكم يوم القيامة الّذي ﴿لا بيع فيه﴾ ولا شراء، والمراد هاهنا: ولا فداء تفدون بها نفوسكم من عذاب الله ﴿ولا خلال﴾ أي: ولا مخالّة، تقول: خالَلْتُ فلاناً مُخَالّةً وخِلَالاً، قال امرؤ القَيْس:

صَرَفتُ الهوى عنهنّ من خيفَةِ الرَدَىٰ
ولستُ بِمقْليِّ الخِلالِ ولاَ قَالي[٤]

و «المخالّة»: إصفاء المودّة، وقد يكون «الخلال» جمع «خُلَّة» مثل: قُلَّة وقِلَال، وجُلَّة وجِلال.

قوله [تعالى]:

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ

---

(١) في الخطّية زيادة: الّذي، في الحجريّة: يؤدّون الصلوة.

(٢) في «م»: «دلالة عليه»، وصحّح في الحجريّة هكذا: «لانّ في قل دلالة عليه».

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٦٢ـ١٦٣.

(٤) من قصيدة طويلة يصف صَيده وسعيه إلى المجد. راجع ديوان امرئ القيس: ١٤٣. وفيه، خشية.

ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ثلاث آيات في الكوفي والمدنيّين، وآيتان فيما عداهما، آخر الأُولى: ﴿الأنهار﴾.

أخبر الله تعالى: أنّه جلَّ وعزّ اخترع ﴿السماوات والأرض﴾ وأنشأهما بلا معين ولا مشير ﴿وأنزل من السماء ماءً﴾ يعني: غيثاً ومطراً ﴿فأَخرج﴾ بذلك الماء ﴿الثمرات رزقاً﴾ لعباده ﴿وسخَّر﴾ لهم المراكب في البحر ﴿لتجري﴾ بأمر الله، لأنّها تسير بالرياح والله تعالى المنشئ للرياح ﴿وسخر لكم الأنهار﴾ الّتي تجري بالمياه الّتي ينزلها من السماء، ويجريها في الأودية، وينصبّ منها في الأنهار ﴿وسخّر لكم الشمس والقمر دائبَيْن﴾ معناه: ذلّل لكم الشمس والقمر ومهّدهما [لمنافعكم] وتدبير الله لما سخّره للعباد ظاهر لكلّ عاقل متأمّل، لا يمكنه الانصراف عنه إلّا على وجه المعاندة والمكابرة، و «الدؤوب» مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه، دَأَبَ يَدْأَبُ دَأباً ودُؤوباً فهو دائب، والمعنى: دائبَيْن لا يفتران في صلاح الخلق والنبات ومنافعهم ﴿وسخّر لكم الليل والنهار﴾ أي: ذلّلهما لكم ومهّدهما لمنافعكم، لتسكنوا في الليل وتبتغوا في النهار من فضله ﴿وآتاكم من كلّ ما سألتموه﴾ معناه: أنّ الإنسان قد يسأل الله العافية فيُعطى، ويسأله النجاة فيُعطى، ويسأله الغنى فيُعطى، ويسأله الملك فيُعطى، ويسأله الولد و العزّ وتيسير الأُمور وشرح الصدر فيُعطى، فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين عليه

وعلى غيره، فأين يذهب به ـ مع هذه النِعَم الّتي لا تُحصى كثرة ـ عن الله الّذي هو في كلّ حال محتاج[١] إليه، وهو مُظاهر بالنِعَم عليه؟

ودخلت ﴿من﴾ للتبعيض، لأنّه لو قال[٢] و «آتاكم كلّ ما سألتموه» لاقتضى أنّ جميع ما يسأله العبد يعطيه الله، والأمر بخلافه، لأنّ ما يكون فيه مفسدة لا يجيبه الله إليه ولا يعطيه إيّاه، وتقديره: وآتاكم من كلّ ما سألتم شيئاً، وحذفه لأنّ ﴿من﴾ تنبئ عنه. وقال قوم: ليس من شيء إلّا وقد سأله بعض الناس[٣] والتقدير: كلّ ما سألتموه قد آتى بعضكم.

وقوله: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ معناه: وإن ترموا عدّها بقصدكم إليه لا تحصوها لكثرتها، ويُروى عن طَلْق بن حبيب أنّه قال: إنّ حقّ الله أثقل من أن تقوم به العباد، وإنّ نِعَم الله أكثر من أن تحصيها العباد، ولكن أَصبِحوا تائبين وأمسُوا تائبين[٤].

وقوله: ﴿إنّ الإنسان لظَلُوم كفّار﴾ إخبار منه تعالى أنّ الإنسان ـ يعني مَن تقدّم وصفه بالكفر ـ كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفور لنِعَم الله غير مؤدٍّ لشكرها.

وقرئ: ﴿من كلٍّ ما سألتموه﴾ بالتنوين[٥] قال الفرّاء: كأنّهم ذهبوا إلى أنّا لم نسأله تعالى شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نِعَمه، فكأنّه قال: وآتاكم من كلّ ما لم تسألوه، والأوّل أَعْجَب إليّ، لأنّ المعنى: آتاكم من كلّ

---

(١) في الحجريّة: يحتاج. (٢) في الحجريّة: «كان» بدل «قال».

(٣) حكاه الطبري ذيل الآية، ونسبه إلى بعض نحويّ البصرة.

(٤) رواه عنه الطبري ذيل الآية مسنداً.

(٥) قرأه ابن عبّاس والضحّاك، ورويت عن الحسن البصري وقتادة وجعفر بن محمّد الصادق عليه‌السلام وسلام بن منذر. راجع مختصر شواذّ القرآن: ٧٣، والمحتسب ١: ٣٦٣.

ما سألتموه لو سألتموه، كأنّه قال: وآتاكم من كلّ سُؤْلكم، كما تقول: والله لأُعطينَّك سُؤْلَك ما بَلَغَتْه مسألتك وإن لم تسأل(١). قال المبرّد: يريد: ما يخطر ببالك. ومَن أضاف جعل ﴿ما﴾ في موضع نصب، وهي بمعنى «الّذي» ومَن نَوَّن جعلها نافية.

قوله [تعالى]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: اذكر ﴿إذ قال إبراهيم﴾ يا ﴿ربِّ اجعل هذا البلد﴾ يعني: مكّة وما حولها من الحرم ﴿آمناً﴾ يعني: يأمن الناس فيه على نفوسهم وأموالهم. و «الأمن»: سكون النفس إلى زوال الضرر، وهو نقيض «الخوف» ومثله: الطمأنينة إلى الأمر.

وقوله: ﴿واجنبني﴾ أي: اصرفني عنه، جَنَبْتُه أَجْنُبُهُ وجَنَبْتُهُ الشرَّ تجْنِيباً، واجْتَنَبْتُه اجتناباً، قال الشاعر:

وتَنقُضُ مهدَهُ شَفَقاً عليهِ وتَجْنُبُهُ قَلَائصُنا الصِعابا(٢)

﴿وبنيّ﴾ أي واصرف بنيَّ عنه ﴿أن نعبد الأصنام﴾ أي: جنِّبنا عبادة الأصنام بلطف من ألطافك الّذي نختار عنده الامتناع من عبادتها. ودعاء الأنبياء لا يكون إلّا مستجاباً، فعلى هذا يكون سؤاله أن يجنّب بنيه عبادة الأصنام مخصوصاً بمن علم الله من حاله أنّه يكون مؤمناً لا يعبد الّا الله، ويكون الله تعالى أذِن له في الدعاء لهم، فيجيب الله تعالى ذلك لهم.

---

(١) معاني القرآن ٢: ٧٧ـ٧٨.

(٢) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٢.

وقوله: ﴿ربِّ إنّهن أضللن كثيراً من الناس﴾ إخبار من إبراهيم أنّ هذه الأصنام ضلّ كثير من الناس بها حتّى عبدوها، فكأنّها أضلّتهم، كما يقول القائل: فَتَنَتْني فلانه، أي: افتتنت بها، قال الشاعر:

هَبُوني ٱمرءاً منكُم أَضَلَّ بَعيرَهُ

يعني: ضلَّ بعيره، لأنّ أحداً لا يضلّ بعيره عنه قاصداً إلى إضلاله.

وقوله: ﴿فمن تبعني﴾ حكاية ما قال إبراهيم من أنّ من تَبعه في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنّه منه وعلى دينه، ومَن عصاه في ذلك وعبد مع الله غيره، وعصاه في أوامره ﴿فإنّك﴾ يا الله ﴿غفور رحيم﴾ أي: ستّار على عبادك معاصيهم ﴿رحيم﴾ بهم أي: مُنْعِم عليهم في جميع الأحوال، وقيل: المعنى: أنّك غفور رحيم بهم إن تابوا وأقلعوا عمّا هم عليه من الكفر [١].

قوله [تعالى]:

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ آيتان بلا خلاف.

هذا حكاية ما دعا به إبراهيم عليه السلام فإنّه قال: يا ربِّ ﴿إنّي أسكنت من ذرّيتي﴾ أي: جعلت مأواهم ومقرّهم الّذي يقرّون فيه ويسكنون إليه، و«السكنى»: اتّخاذ مأوىً لصاحبه يسكن إليه في ليله، ومتى يشاء من

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١٦٣.

أوقاته، أسكنه البلدة والدار: إذا جعله مأوىً له. و «الذرّيّة»: جماعة الولد على تنشيبه[١] من حال الذرّ في الصغر، ويجوز أن يكون من ذرأ الله الخلق: إذا أظهرهم بايجاده لهم فيكون على تنشيبه من حين يظهر إلىٰ أن يكبر، والمراد بالذرّيّة هاهنا: إسماعيل وأُمّه هاجر حين أسكنه وادي مكّة، وهو الأبْطَح.

ولم يذكر مفعول ﴿أسكنت﴾ لأنّ ﴿من﴾ تفيد بعض القوم، كما يقال: قتلنا مِن بني فلان، وأكلنا مِن الطعام، وشربنا مِن الماء، قال تعالى: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله﴾[٢] فموضع ﴿من﴾ نصب.

و «الوادي»: سفح الجبل العظيم، ومن ذلك قيل للأنهار العِظام: «أودية» لأنّ حافّاتها كالجبال لها، ومنه: «الدية» لأنّها مال عظيم يحتمل في أمر عظيم من قتل النفس المحرّمة ﴿غير ذي زرع﴾ أي: لا زرع في هذا الوادي، أي: لا نبات فيه. و «الزرع»: كلّ نبات ينفرش من غير ساق، وجمعه: زروع ﴿عند بيتك المحرّم﴾ معناه: حُرِّم فيه ما أُحلّ في غيره من البيوت، من: الجماع، والملابسة بشيءٍ من الدم والنجاسة، وإنّما أضاف «البيت» إلى الله لأنّه مالكه من غير أن يملكه أحد سواه، لأنّ ما عداه قد ملّك غيره من العباد. وسمّاه بيتاً قبل أن يبنيه إبراهيم لأمرَيْن:

أحدهما: أنّه لمّا كان المعلوم أنّه يبنيه فسمّاه ما يكون بيتاً.

والثاني: قيل: إنّه كان البيت قبل ذلك، وإنّما خرّبته «طَسْم»

(١) كذا في «ح» والكلمة غير واضحة في «م»، وفي الحجريّة: «تنسية». وفيها سقط ما بين الكلمتين والعبارة فيها هكذا.

(٢) الأعراف: ٥٠.

واندرس[١]. وقيل: إنّه رُفِع أيّام الطوفان إلى السماء.

وقوله: ﴿ربّنا ليقيموا الصلاة﴾ أي: أسكنتهم هذا الوادي ليدوموا على الصلاة ويقيموا شرائطها ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله تعالى قلوب الخلق تحنّ إلى ذلك الموضع، ليكون في ذلك أُنس ذرّيّته بمن يرد من الوفود ويدرّ أرزاقهم على مرور الأوقات ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ مسألة منه أن يرزق ذرّيته من أنواع الثمار لكي يشكروه على نِعَمه وفنون إحسانه.

﴿ربّنا إنّك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ اعتراف من إبراهيم لله تعالى بأنّه جلّ وعزّ يعلم ما يخفي الخلق وما يظهرونه، وأنّه لا يخفى عليه شيء من ذلك ممّا يكون في الأرض، وما يكون في السماء مع عِظَمهما[٢] وبُعْد ما بينهما، لأنّه عالم لنفسه بجميع المعلومات. وقال قوم: إنّ قوله: ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ إخبار منه تعالى بذلك دون الحكاية[٣].

قوله [تعالى]:

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ثلاث آيات بلا خلاف .

---

(١) كذا في النسخ، وفي مجمع البيان: «طسم وجَديس». جاء في اللسان: و «طَسْم» حيّ من العرب انقرضوا. الجوهري: طَسْم قبيلة من عاد، كانوا فانقرضوا، وفي حديث مكّة: وسكّانها طَسْم وجَدِيس، وهما قوم من أهل الزمان الأوّل. (لسان العرب: مادة طسم). وحديث مكّة أورده ابن الأثير الجزري في النهاية: مادة «طسم» بعينه.

(٢) في الحجريّة: «عِظَمها».

(٣) انظر تفسير السمرقندي ٢: ٢٥٧.

هذا حكاية من الله تعالى باعتراف إبراهيم عليه السلام بنِعَم الله تعالى، وحمده إيّاه على إحسانه بما وهب له على كِبَر سنّه ولدَيْن: إسماعيل وإسحاق، وأنّه أخبر بأنّ ربّه الّذي خلقه يجيب الدعاء لمن يدعوه، وذلك يدلّ على أنّه كان تقدّم منه مسألة الله تعالى أن يهب له ولداً، فلذلك كان مجيباً له.

و «الحمد»: هو الوصف بالجميل[1] على وجه التعظيم لصاحبه والإجلال. وفرّق الرُمّاني بين «الحمد» و «المدح»: بأنّ «المدح» هو الوصف للشيء بالخير من جهته على وجه التعظيم له، فَعَله أو لم يفعله، ولكن كان سبباً يؤدّي إليه، وليس كذلك «الحمد». و «الذمّ»: نقيض لهما، لأنّه الوصف بالقبيح على جهة التحقير. و «الهبة» عطيّة التمليك من غير عقد مثامنة، وَهَبَ له كذا يَهبُهُ هِبَةً فهو واهب. و «الدعاء»: طلب الفعل بدلالة القول، وما دعا الله عزّوجلّ إليه فقد أمر به ورغّب فيه، وما دعا العبد به ربّه فالعبد راغب فيه، ولذلك لا يجوز أن يدعو الإنسان بلعنه ولا عقابه، ويجوز أن يدعو غيره به. و «التقبّل»: أخذ العمل على طريقة إيجاب الحقّ به مقابلة عليه.

وقال سعيد بن جُبَيْر: بُشِّر إبراهيم بالولد بعد مائة وسبعة عشرة سنة.

وقوله: ﴿ربِّ اجعلني مقيم الصلاة﴾ سؤال من إبراهيم عليه السلام لله تعالى أن يجعله ممّن يقيم شرائط الصلاة ويدوم عليها بلطفٍ يفعله به يختار ذلك عنده، وسأله أن يفعل ذلك بذرّيّته، وأن يجعل منهم جماعةً يقيمون الصلاة، وهم الّذين أعلمه الله أن يقوموا بها دون الكفّار الّذين لا يقيمون الصلاة. ﴿ربّنا وتقبّل دعاءِ﴾ رغبةً منه إليه تعالى أن يجيب دعاءه فيما سأله.

---

(١) في الحجريّة: الجميل.

وقوله: ﴿ربّنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ نداء من إبراهيم لله تعالى أن يغفر له ولوالدَيْه ولجميع المؤمنين، وهو أن يستر عليهم ما وقع منهم من المعاصي عند من أجاز الصغائر عليهم، ومَن لم يجز ذلك حمل ذلك على أنّه انقطاع منه إليه تعالى فيما يتعلّق به، وسؤال على الحقيقة في غيره.

وقد بيّنّا[١] أنّ أَبَوَيْ إبراهيم لم يكونا كافرَيْن وفي الآية دلالة على ذلك، لأنّه سأل المغفرة لهما يوم القيامة، فلوكانا كافرين لما سأل[٢] ذلك لأنّه قال تعالى: ﴿فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه﴾[٣] فدلّ ذلك على أنّ أباه الّذي كان كافراً جدُّه لأُمّه أو عمُّه على الخلاف، قال البلخي: إنّ أُمّه كانت مؤمنة، لأنّه سأل أن يغفر لأبيه، وحكى ﴿إنّه كانَ من الضالّين﴾[٤] وقال: ﴿إلّا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك﴾[٥] ولم يقل: لأبوَيْه.

و﴿يوم يقوم الحساب﴾ أي: يقوم فيه الحساب، والعامل في ﴿يوم﴾ قوله: ﴿اغفرْ﴾.

قوله [تعالى]:

وَلَاتَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَايَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ الجماعة: ﴿إنّما يؤخّرهم﴾ بالياء، وروي عن أبي عمرو بالنون.

قال أبو عليّ: وجه الياء: أنّ الغيبة للمفرد قد تقدّم، فيكون بالياء:

---

(١) عند تفسير الآية: ٧٤ من سورة الأنعام المباركة.
(٢) في الحجريّة: «قال» بدل «سأل».
(٣) التوبة: ١١٤.
(٤) الشعراء: ٨٦.
(٥) الممتحنة: ٤.

﴿لا تحسبنّ الله[١] غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم﴾ ووجه النون أنّه مثل الياء في المعنى، وقد تقدّم مثله كثيراً[٢].

هذا خطاب للنبيّ ﷺ نهاه الله تعالى ـ والمراد به الأُمّة ـ أن يظنّ أنّ الله غافل عن أعمال الظالمين ومُهمِل لأُمورهم. و «الغفلة» و «السهو» واحد. ثمّ بيّن الله تعالى أنّه إنّما لم يعاجلهم بالعقوبة ويؤخّر عقابهم ليعذّبهم في اليوم الّذي ﴿تشخص فيه الأبصار﴾ وهو يوم القيامة، وشخوص البصر: أن تبقَى العين مفتوحة لا تنطبق، لعِظَم ذلك اليوم ﴿مهطعين﴾ قال سعيد بن جُبَيْر والحسن وقَتادة: مسرعين، يقال: أَهْطَعَ إِهْطاعاً إذا أسرع، قال الشاعر:

بــمُهْطِعٍ سُــرُحٍ كأَنَّ زِمـامَهُ
في رأْسِ جِذْعٍ من أَوالَ[٣] مُشَذَّبِ[٤]

وقال آخر:

بـمُستَهْطعٍ رَسْـلٍ كأَنَّ جَـدِيلَهُ بقَيْدُوم رَعْنٍ من صَوامٍ مُـمَنَّعُ[٥]

وقال ابن عبّاس: «المُهْطِع»: الدائم النظر لا يطرف، وقال ابن زيد: «المهْطِعُ»: المطرق الّذي لا يرفع رأسه. وقوله: ﴿مقنعي رُؤُسهم﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك وقَتادة وابن زيد: معناه: رافعي رؤوسهم، وإقناع الرأس: رفعه، قال الشمَّاخ:

يُباكِـرْنَ العِـضَاه بـمُقْنَعات نَواجِذُهنَّ كالحَدَأ الوَقيعِ[٦]

---

(١) في الخطيّة والحجريّة: فلا تحسبنّى الله مخلف وعده.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٧.

(٣) في الحجريّة: أراك.

(٤) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٢.

(٥) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه لأحد.

(٦) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٣.

يعني: يُباكِرْن العِضاة بمقْنَعاتٍ أي: برؤوس مرفوعاتٍ إليها لتتناول منها، يصف إبلاً له تَرعَى الشجر، وأنّ أسنانها مرتفعة كالفؤوس، وقال الراجز:

أَنقضَ نَحْوي رأسَهُ وأَقْنعا كأنَّما أَبْصَرَ شَيئاً أَطْمَعا[١]

وقوله: ﴿لا يرتدّ إليهم طرفهم﴾ أي: لا ترجع إليهم أعينهم ولا يُطيقُونها.

وقوله: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ معناه: منخرقة، لا تعي شيئاً للخوف والفزع الّذي دخلها، فهي كهواء الجوّ في الانخراق وبطلان الإمساك.

وقوله: ﴿يوم يأتيهم﴾ نصب على أنّه مفعول به، والعامل فيه «أَنذِرْهم» كأنّه قال: خوّفهم عقاب الله، ولا يكون على الظرف لأنّه لم يؤمر بالإنذار في ذلك اليوم. وقيل في قوله: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ ثلاثة أقوال:

أولها: قال ابن عبّاس ومُرَّة[٢] والحسن: منخرقة لا تعي شيئاً، وفارغة من كلّ شيء إلّا من ذكر إجابة الداعي. الثاني: قال سعيد بن جُبَيْر: يردّد في أجوافهم، لا يستقرّ في مكان. الثالث: قال قَتادة: خرجت إلى الحناجر لا تنفصل ولا تعود. وكلّ ذلك تشبيه بهواء الجوّ، والأوّل أَعْرَف في كلام العرب. وقال حسّان بن ثابت:

أَلاَ أَبْلِغْ أَبا سُفيان عنِّي فأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[٣]

وقال زُهَيْر:

كأَنَّ الرَحْلَ منها فَوقَ صَعْلٍ من الظِلْمان جُؤجُؤُهُ هَواءُ[٤]

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٤. فيه: أنفض.
(٢) هو مرّة بن شراحيل.
(٣) من قصيدة أنشأها يوم فتح مكّة. راجع ديوان حسّان: ١٨.
(٤) من قصيدة طويلة يهجو بها قوماً من بني غليب. راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ٩.

وقيل: إنّ الظليم لا فؤاد له. وقال آخر:

ولا تَكُ مِن أَخْدانِ كُلِّ يَـراعَـةٍ هَواءٍكَسَقْبِ البانِ خوفاً يكاسِرُه[1]

قوله [تعالى]:

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ آية بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يقول للناس على وجه التخويف لهم من عقابه، ويحذّرهم يوم يجيئهم العذاب من الله على معاصيهم في دار الدنيا، وهو يوم القيامة، و ﴿يقول الّذين ظلموا﴾ أنفسهم بارتكاب المعاصي وترك الواجبات: يا ﴿ربّنا أَخِّرنا إلىٰ أجل قريب﴾ أي: ردّنا إلى الدنيا، واجعل ذلك مدّة قريبة ﴿نُجِبْ دعوتك﴾ فيها ﴿ونتّبع﴾ رسلك فيما يدعوننا إليه. فيقول الله تعالى: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم﴾ وحلفتم في دار الدنيا ﴿ما لكم من زوال﴾. قال مجاهد: معناه: أنّهم أقسموا في الدنيا أنّه ليس لهم انتقال من الدنيا إلى الآخرة. وقال الحسن: معناه: من زوال إلى العذاب.

و «الأجل»: الوقت المضروب لانقضاء الأَمَد. و «الأَمَد» مدّة من المُدَد، فإنّما طلبوا أجلاً يستدركون فيه ما فات من الفساد بالصلاح، وفي المعلوم أنّهم يبعدون من الفلاح.

وفي الآية دلالة على أنّ أهل الآخرة غير مكلّفين، بخلاف

---

(١) أنشده في اللسان: مادة «هوا» ونسبه إلى كعب الأمثال: وفيه: «جوفٍ» بدل «خوفاً»، و «مُكاسِرُهْ».

ما يقول النجّار وجماعة من المجبِّرة، لأنّهم لو كانوا مكلَّفين لما كان قوله: ﴿أخِّرنا إلى أجل قريب﴾ معنىً، لأنّهم مكلَّفون، وكانوا يؤمنون ويتخلّصون من العقاب.

وقوله: ﴿فيقول﴾ رفع عطفاً على قوله: ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ وليس بجواب الأمر، لأنّه لو كان جواباً له لجاز فيه النصب والرفع، فالنصب مثل قول الشاعر:

يا ناقَ سيرِي عَنَقاً فَسِيحا إلىٰ سُلَيمانَ فَنَسْتَريحا[1]

والرفع على الاستئناف. وذكر الفرَّاء: أنّ العَلاء بن سَيَّابة كان لا ينصب في جواب الأمر بالفاء، قال: والعلاء هوالّذي علَّم معاذاً الهرَّاء وأصحابه.[2]

قوله [تعالى]:

وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ آيتان بلا خلاف .

قرأ الكسائي وحده: ﴿لَتزولُ﴾ بفتح اللام الأُولى وضمّ الثانية، ورُوِي ذلك عن علي عليه السلام[3]، الباقون بكسر اللام الأُولى وفتح الثانية.

قال أبو عليّ: مَن كسر اللام الأُولى وفتح الثانية جعل ﴿إن﴾ بمعنى «ما» والتقدير: وما كان مكرهم لتزول، ومثل ذلك قوله: ﴿إنِ الكافرون إلّا في غُرور﴾[4] ومعناه: ما الكافرون، ومعنى الآية: وقد مكروا مكرهم

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية. والبيت متداول في كتب النحويّين، والمعروف أنّه منسوب إلى أبي النجم العجلي. راجع شرح ابن عقيل ٢: ٣٥٠ رقم الشاهد (٣٢٤).

(٢) معاني القرآن ٢: ٧٩.

(٣) رواه الطبري ذيل الآية مسنداً عنه عليه السلام.

(٤) الملك: ٢٠.

وعند الله مكرهم، أي: جزاء مكرهم، فحذف المضاف كما حذف من قوله: ﴿ترى الظالمين مشفقين ممّا كسبوا وهو واقع بهم﴾[1] أي: جزاؤه، والمعنى: قد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه، وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. و «الجبال» كأنّه أراد بها القرآن وأمر النبيّ ﷺ وأعلامه ودلالاته، أي: ما كان ليزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه ممّن أراد إزالته.

ومَن قرأ بفتح اللام الأُولى وضمّ الثانية، جعل ﴿إن﴾ هي المخفّفة من الثقيلة على تعظيم أمر مكرهم، وهو في تعظيم مكرهم، كما قال في موضع آخر: ﴿ومكروا مكراً كُبَّاراً﴾[2] أي: قد كان مكرهم من الكِبَر والعِظَم بحيث يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الامتناع على من أراد إزالته، ومثله في تعظيم الأمر قول الشاعر:

أَلم تَرَ صَدْعاً في السماءِ مُبيَّناً ... عَلَى ٱبنِ لُبَيْنَى الحارثِ بنِ هشامِ

وقال آخر:

بَكَىٰ حارثُ الجُولانِ من مَوْتِ ربّهِ ... وحُورانُ مِنْهُ خاشِعٌ مُتَضائِلُ[3]

وقال أَوْس:

أَلَم تُكْسَفِ الشمسُ شَمسُ النَهار ... مَعَ النَجْمِ والقَمَرِ الواجِبِ[4]

فهذا كلّه على تعظيم الأمر وتفخيمه. ويدلّ على أنّ الجبال يعني بها أمر النبيّ ﷺ قوله بعد ذلك: ﴿فلا تحسبنّ الله مُخْلِفَ وعدِهِ رُسُلَه﴾ أي: فقد

---

(١) الشورى: ٢٢. (٢) نوح: ٢٢.

(٣) للنابغة الذبياني من قصيدة طويلة في رثاء النعمان الملك. راجع ديوان النابغة: ٢١٣ وفيه: «موحشٌ» بدل «خاشع».

(٤) البيت مطلع قصيدة في الرثاء. راجع ديوان أَوْس بن حَجَر: ١٠ ورواية الديوان بألفاظٍ مختلفة.

وعدك الظهور عليهم والغَلَبة لهم في قوله: ﴿ليظهره على الدين كلّه﴾[١] وفي قوله: ﴿قل للّذين كفروا ستُغلَبون وتُحشَرون﴾[٢]. وقد استعمل لفظ «الجبال» في غير هذا في تعظيم الشيء وتفخيمه، قال ابن مُقْبل:

إذا مِتُّ عن ذِكْر القَوافي فَلَنْ تَرىٰ   لَـها شـاعِراً مِـثْلي أَطَبَّ وأَشْـعَرا
وأَكـثَر بَـيْتاً شـاعِراً ضَـرَبَتْ بـهِ   بُطُونَ جبالِ الشِعْرِ حتّىٰ تَـيَسَّرا[٣]

يقول الله تعالى للكفّار: ﴿أوَلَم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ ممّا أنتم عليه من النعيم ﴿و﴾ أنتم ﴿سكنتم في مساكن الّذين ظلموا أنفسهم﴾ بارتكاب المعاصي وكفران نِعَم الله، فأهلكهم الله ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ والمعنى: أنّ مثلكم كمثلهم في الإهلاك إذا أقمتم على ما أقاموا عليه من الفساد والتتابع في المعاصي ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ يعني: الكفّار الّذين ظلموا أنفسهم مكروا بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم واحتالوا له، ومكروا بالمؤمنين وخدعوهم ﴿وعند الله﴾ جزاء ﴿مكرهم﴾ ولم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوّات، فلا يبطل شيء منه لأنّه ثابت بالدليل والبرهان.

وعلى القراءة الأُولى: ولو كان مكرهم يزيل الجبال من عِظَمه وشدّته لمَا أزال أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّه أَثْبَت من الجبال.

ورُوي عن عليّ عليه السلام وجماعة: أنّهم قرأوا: «وإن كاد مكرهم» من المقاربة[٤].

قال سعيد بن جُبَيْر وغيره: إنّ قوله: ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ نزلت في

(١) التوبة: ٣٣ والفتح: ٢٨، والصفّ: ٩.
(٢) آل عمران: ١٢.
(٣) النصّ بطوله في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٨ـ١٩.
(٤) رواه ابن خالويه في مختصر شواذّ القرآن: ٧٢ عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس وابن مسعود.

صاحب النِسْرَيْن الّذي أراد صعود السماء[١]. وقال قوم: ﴿مكرهم﴾ كفرهم بالله وشركهم في عبادته[٢].

قوله [تعالى]:

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ آيتان بلا خلاف.

قرئ في الشواذّ: «مُخْلِفَ وَعْدَه رُسُلِهِ» وهي شاذّة رديئة، لأنّه لا يجوز أن يُفصَل بين المضاف والمضاف إليه، وأنشد الفرّاء:

فَزَجَجْتُها بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أبي مَزَادَه[٣]

والمعنى: زَجَّ أبي مَزَادَة القَلُوصَ. والصحيح ما عليه القُرّاء، وتقديره: مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه، كما تقول: هذا معطي زيدٍ درهماً، والمعنى: مُخْلِفَ رُسُلَهُ وَعْدِهِ.

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿لا تحسبنّ الله﴾ أي: لا تظنّه ﴿مخلف﴾ ما وعدك به من الظفر بهم والظهور عليهم، فإنّه لا يخلف ما وعد ﴿رسله﴾ به. ثمّ أخبر ﴿انّ الله﴾ تعالى قادر لا يُغَالَب، ينتقم ممّن كفر نِعَمه وكذّب أنبياءه، و «الانتقام»: هو العقاب ﴿يوم تبدّل الأرض غير الأرض﴾. العامل في: ﴿يوم﴾ الانتقام، وتقديره: ذو انتقام يوم تبدّل، و «التبديل»: التغيير برفع الشيء إلى بدل. وقيل: إنّ تبديل الأرض بغيرها برفع الصورة الّتي كانت عليها إلى صورةٍ غيرها. وقال ابن عبّاس ومجاهد وأنس بن مالك وابن مسعود: يبدّل الله هذه الأرض بأرضٍ بيضاء كالفضّة، لم يعمل عليها

---

(١) أخرجه الطبري ذيل الآية مسنداً عن عليّ عليه السلام وأنس وسعيد بن جبير ومجاهد.

(٢) كابن عبّاس والضحّاك وقتادة. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) معاني القرآن ٢: ٨١، وفيه: «فزججتها متمكّناً... إلخ».

خطيئة. والأوّل قول الحسن.

وقوله: ﴿والسموات﴾ تقديره: تبدّل السماوات غير السماوات، وحُذِف لدلالة الكلام عليه. وقيل: تبديل الأرض بتسيير الجبال وتفجير بحارها وكونها مستوية ﴿لا تَرىٰ فيها عِوجاً ولا أَمْتاً﴾[١] وتبديل السماوات: انتشار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها وخسوف قمرها[٢].

وقوله: ﴿وبرزوا لله الواحد القهّار﴾ معناه: يظهرون من قبورهم، و«البروز»: الظهور، وبَرَزَ يَبْرُزُ بُروزاً فهو بارِزٌ، وبارَزَ قِرْنَهُ مُبارَزَةً ﴿لله الواحد القهّار﴾ والمعنى: الواحد لا شبه له ولا نظير و «القهار»: المالك الّذي لا يُضام.

قوله [تعالى]:

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ آيتان بلا خلاف .

يقول الله لنبيّه ﷺ: إنّك يا محمّد ﴿ترىٰ﴾ الّذين أجرموا وفعلوا المعاصي من الكفر وجحد النعِمَ يوم القيامة ﴿مقرَّنين في الأصفاد﴾ أي: قرنت أيديهم بالغلّ إلى أعناقهم، وقال الجُبَّائي: قرن بعضهم إلى بعض. و«الصَفَد»: الغلّ الّذي يقرن به اليد إلى العنق، ويجوز أن يكون: السلسلة الّتي يقع بها التقرين، وأصل «الصَفَد»: القيد، وهو الصِفاد، وجمعه: «صُفُد» قال عَمْرو بن كُلْثُوم:

فَآبُوا بالنِهابِ وبالسّبايا ... وأُبنا بالمُلوكِ[٣] مُصَفَّدينا[٤]

---

(١) طه: ١٠٧.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١٦٩.

(٣) في الحجريّة: وأبناء الملوك.

(٤) من معلّقته المشهورة. راجع ديوان عمرو بن كلثوم: ٦٦.

أي: مقيَّدين، ومنه: أصْفَدْتُه إصْفاداً إذا أعطيته مالاً، قال الأعشى:

تَضَيّفتُه يوماً فأكرَمَ مجلسي وأَصْفَدَني عند الزَمانَةِ قائِداً[١]

وقال الذُبْياني:

هذا الثَناءُ فإنْ تَسْمَع لقائلِهِ فما عَرَّضْتُ أَبيتَ اللَعْنَ بالصَفَدِ[٢]

أي: ما تعطيه. وإنّما قيل لها: «صَفَد» لأنّها تقيّد المودّة وترتبطها. وقال قَتادة: «الأصفاد»: القيود والأغلال. و «السرابيل» القُمُص في قول ابن زيد، واحدها: «سِرْبَال» قال امرؤ القيْس:

لَعُوبٍ تُنَسِّيني إذا قُمْتُ سِرْبالي[٣]

و «القَطِران» هو الّذي تهنأ به الإبل، في قول الحسن. وفيه لُغات: «قَطِران» بفتح القاف وكسر الطاء، وبتسكين الطاء وكسر القاف، ويجوز فتحها، قال أبو النَجْم:

جَوْنٌ كأَنَّ العَرَقَ المنْتُوحا أَلْبَسَهُ القِطْرانَ والمسُوحا[٤]

فكسر القاف. وقال أيضاً:

كأنَّ قِطْراناً إذا تَلاها تَرمي بهِ الريحُ إلىٰ مَجْراها[٥]

وإنّما جُعِلت سرابيلهم من قَطِران؛ لأنّ النار تسرع إليها، وقرئ: «قِطْر آنٍ»[٦] ورُوي ذلك عن ابن عبّاس[٧] و «القِطْر»: النحاس، ومنه قوله:

---

(١) من قصيدة يمدح هوذة الحنفي. راجع ديوان الأعشى: ٤٦ وفيه: «فقرّب» بدل «فأكرم».

(٢) من قصيدة يمدح فيها الملك النعمان. راجع ديوان النابغة الذبياني: ٣١ وفيه: «فإن تَسمع به حسناً»، و «فلم أعرِّض».

(٣) من قصيدة طويلة يصف فيها صيده ومجده. راجع ديوان امرئ القيس: ١٤٠.

(٤) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٥) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٦) قرأه عيسى بن عمر. راجع مختصر شواذّ القرآن؛ لابن خالويه: ٧٤.

(٧) رواه الطبري ذيل الآية.

﴿آتوني أُفرغْ عليه قِطْراً﴾[(١)] والمعنى: مِن قِطْرٍ بالغ حرّه وانتهى. والفرّاء: على أنّه اسم واحد[(٢)] على وزن «الظَّرِبَان»[(٣)]. والظَّرِبَان: دابّة منتنة فسَّاءة، وهي من السباع. ﴿وتَغشىٰ وجوههم﴾ معناه: تجلّلها.

قوله [تعالى]:

لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾

آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى بأنّه إنّما فعل ما تقدّم ذكره ﴿ليجزي﴾ ﴿كلّ نفس﴾ الّذي ﴿كسبت﴾ إن كسبت خيراً أتاها الله بالنعيم الأبد في الجنّة، وإن كفرت وجحدت وكسبت شرّاً عاقبها بنار جهنّم مخلّداً فيها ﴿إنّ الله سريع الحساب﴾ أي: سريع المجازاة، وقيل: معنى: ﴿سريع الحساب﴾: لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة آخرين.

و «الكسب»: فعل ما يجتلب به النفع للنفس أو يدفع به الضرر عنها. و «الكسب» ليس بجنس الفعل، والله تعالى يقدر على مثله في الجنس.

وقوله: ﴿هذا بلاغ﴾ قال ابن زيد وغيره من المفسِّرين: هو إشارة إلى القرآن، ففيه بلاغ ﴿للناس﴾ لأنّ فيه البيان عن الإنذار والتخويف، وفيه البيان عمّا يوجب الإخلاص بما ذكر من الإنعام الّذي لا يقدر عليه إلّا الله.

وفي الآية حجّة على ثلاث فِرَق:

أحدها: على المجبِّرة في الإرادة، لأنّها تدلّ على أنّه تعالى أراد من

---

(١) الكهف: ٩٦.

(٢) يريد أنّه اسم واحد مقابل الوجه الآخر الّذي ذهب إلّا أنّه متكوّن من اسمين: «قطر» و «آن».

(٣) معاني القرآن ٢: ٨٢.

جميع المكلّفين أن ﴿يعلموا أنّما هو إله واحد﴾ وهم يزعمون أنّه أراد من النصارى أن يثلّثوا، ومن الزنادقة أن يقولوا بالتثنية.

الثاني: حجّة عليهم في أنّ المعصية لم يردها، لأنّه إذا أراد منهم أن يعلموا أنّه إله واحد، لم يرد خلافه من التثليث والتثنية الّذي هو الكفر.

الثالث: حجّة على أصحاب المعارف، لأنّه بيّن أنّه أراد من الخلق أن يتذكّروا ويفكّروا في دلائل القرآن الّتي تدلّهم على أنّه إله واحد.

ثمّ أخبر تعالى أنّه إنّما يتذكّر ﴿أُولوا الألباب﴾ أي: ذوو العقول، لأنّ مَن لا عقل له لا يمكنه الذكر والاعتبار.

سورة الحِجر

مكّية في قول قَتادة ومجاهد، وهي تسع وتسعون آية بلا خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله [تعالى]:

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ (١) رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ (٢) آيتان بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة وعاصم ﴿رُبَما﴾ بالتخفيف، الباقون بالتشديد، ورُوِي عن أبي عمرو الوجهان. قال أبو عليّ: أنشد أبو زيد(١):

[ماوِيَّ يـا رُبَّـتما غـارَة شَعْوَاءَ كاللَذْعةِ بـالمِيْسَمِ

قال الأزهري: «الماويّ» الرخمة(٢). وأنشد أيضاً أبو زيد](٣):

يــا صَـاحِبا رُبَّتَ إِنسـانٍ حَسَـنٍ يَسأَلُ عنكَ اليومَ أو يَسْأَلُ عَنْ(٤)

---

(١) في النوادر في اللغة لأبي زيد: ٥٥ ونسبه إلى ضَمْرَةَ فيه: بدل «يا» «بل».

(٢) كذا في الحجريّة، ولعل الصحيح «مرخمة»، والموجود في معجم تهذيب اللغة ٤: ٣٤٦٨ «ميّة اسم إمرأة... ويقال في الاسم ميّ والبيت من السريع، قيل: قد تلي ربما الاسماء وكذلك ربتما، وماوية اسم امرأة، وهو من أسماء النساء، وأراد هنا يا ماوية فرخّم، وغارة شعواء أي فاشية متفرّقة.

(٣) ما بين المعقوفتين من الحجريّة.

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٠.

وقال قُطْرُب والسُكَّري: «رُبّما ورُبَما» «ورُبَّتما ورُبَتما» و «رُبَّ ورُبَ» ستَ لغات. قال سيبويه: «ربّ» حرف. وتلحقها «ما» على وجَهيْن:

أحدهما: أن تكون نكرة بمعنى شيء، كقوله:

رُبَّ ما تَجزَعُ النُفُوسُ من الأمـ ـرِ له فَرجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[١]

فـ«ما» في هذا البيت اسم، لما يقدّر من عود الذكر إليه من الصفة، والمعنى: ربّ شيء تكرهه النفوس، وإذا عاد إليه الهاء كان اسماً، ولم يجز أن يكون حرفاً.

والضرب الآخر: أن تدخل «ما» كافّة، نحو الآية، ونحو قول الشاعر:

رُبَّما أَوْفَيتُ في عَلَمٍ يَرفَعْنَ ثَوبي شَمالاتُ[٢]

والنحويّون يسمّون «ما» هذه كافّة، يريدون: أنّها بدخولها كفّت الحرف عن العمل الّذي كان له، وهيّأتها لدخولها على ما لم تكن تدخل عليه، ألا ترى أنّ «رُبَ» إنّما تدخل على الاسم المفرد، نحو: رُبَ رجلٍ يقول ذلك، ورُبَة رجلٍ يقول، ولا تدخل على الفعل، فلمّا دخلت «ما» عليها هيّأتها للدخول على الفعل، كما قال: ﴿رُبَما يودّ الّذين كفروا﴾ فوقع الفعل بعدها ـ في الآية ـ وهو على لفظ المضارع، ووقع في قوله: «رُبَّما أوفيت في عَلَم» على لفظ الماضي، وهكذا ينبغي في القياس؛ لأنّها تدلّ على أمرٍ قد وقع ومضى، وإنّما وقع في الآية على لفظ المضارع لأنّه حكاية لحال آتية، كما أنّ قوله: ﴿وإِنَّ ربَّك لَيَحكُمُ بينهم﴾[٣] حكاية لحال

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب ٢: ١٠٩ ونسبه إلى أميَّة بن أبي الصلت. وفيه: «تكره» بدل «تجزع» وانظر الحجة للقرّاء السبعة ٣: ٢٠.

(٢) أنشده أيضاً سيبويه في الكتاب ٣: ٥١٨ ونسبه إلى جُذيمة بن الأبرش.

(٣) النحل: ١٢٤.

آتية أيضاً، ومن حكاية الحال قول القائل:

جاريةٌ في رَمَضان الماضِي تُقَطِّعُ الحَدِيثَ بالإِيماضِ[١]

ومَن زعم أنّ الآية على إضمار «كان» وتقديره: «رُبَما كان يودّ» فقد خرج عن قول سيبويه، لأنّهم لا يضمرون على مذهبه «كان» في قول القائل: عبدالله المقتول، أي: كُن عبدالله المقتول. وأمّا إضمار «كان» بعد: «إن خيراً فخيراً» فإنّما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له. فصار اقتضاء الحرف له كذكره. فأمّا ما أنشده ابن[٢] حبيب لِنَبْهان بن مسكين[٣]:

لَقَد رُزِيتُ كَعبُ بن عُوفٍ ورُبَّما
فتىً لم يكُنُ يرضَىٰ بشيءٍ يَضيمُها[٤]

فإنّ قوله: «فتى» يحتمل ضروباً:

أحدها: أن يكون لما جرى ذكر «رُزِيَتْ» استُغْنِيَ بِجَرْيِ ذكره عن إعادته، فكأنّه قال: رُبّما رزيت فتىً، فانتصب «فتى» بـ«رزيت» المضمرة، كقوله: ﴿ءَالآن وقد عَصَيْتَ﴾[٥] فاستغنى بذكر «آمنت» المعلوم عن إظهاره بعد، ويجوز أن يكون انتصب بـ«رُزِيَتْ» هذه المذكورة، كأنّه قال: لقد رُزِيَت كَعبُ بن عوفٍ فتىً، وربّما لم يكن يرضى أي: رزيت فتىً لم يكن يُضام، ويكون هذا الفصل وهو أجنبيّ بمنزلة قوله:

أَبو أُمّه حيٌّ أَبوهُ يُقارِبُه[٦]

ويجوز أن يكون رفعاً بفعل مضمرٍ، كأنّه قال: ربّما لم يرضى فتىً،

(١) أنشده في اللسان مادة «رمض» ولم ينسبه لأحد.

(٢) كذا في الحجريّة: وفي المخطوطة «أبو حبيب» بدل «ابن حبيب».

(٣) في مجمع البيان: «لنبهان بن مسوّر» وفي الحجّة للقرّاء السبعة: «لنبهان بن مشرّق».

(٤ و٦) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٣.

(٥) يونس: ٩١.

كقوله:

. . . . وقَــــلَّما وِصَالٌ على طُولِ الصُدُودِ يَدُومُ[١]

ويجوز أن تكون «ما» نكرة بمنزلة شيء، ويكون «فتىً» وصفاً لها، كأنّه قال: رُبّ شيء فتىً لم يكن كذا، فهذه الأوْجه فيها ممكنة.

ويجوز في الآيـة أن تكـون «مـا» بـمنزلة شـيء و «ودّ» صـفة له؛ لأنّ «ما» لعمومها تقع على كلّ شيء، فيجوز أن يعني بـها «الودّ» كأنّـه: رُبّ ودّ يودّه الّذين كفروا، ويكون ﴿يودّ﴾ في هذا الوجه حكاية حـال، لأنّه لم يكن بعدُ كقوله: ﴿فارجِعْنا نَعملْ صالحاً﴾[٢] وقوله: ﴿ياليتنا نُرَدُّ ولا نُكَذِّبَ﴾[٣]

وأمّا مَن خفّف فلأنّه حرف مضاعف، والحروف المضاعفة قد تُحذَف، وأن لم يُحذَف غير المضاعف، فمن المضاعف الّذي حُذِف «إنّ» و «أنّ» و«لكنّ» قد حُذِف كلّ واحد من الحروف، وليس كلّ المضاعف يُحذَف، لأنّي لا أعلم الحذف في «ثمّ» قال الهُذَلِيّ:

أَزُهَـــيْرُ إنْ يَشِبِ القَــذالُ فــإِنَّني رُبْ هَيْضَلٍ لَجِبٍ لَفَفْت بِهَيْضَلِ[٤]

وأمّا دخول التاء في «ربّتما» فإنّ من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيت نحو: «ثَمّ وثمّت» و «لا ولات» قال الشاعر:

ثُمَّتَ لا يحزُونني غـير ذلِكُـمُ ولكِن سيحزُنني المليكُ فـيعقبا

فلذلك اُلحق التاء في قوله: «رُبَّتما»[٥]. وقال المبرّد: قال الكسـائي:

---

(١) راجع الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٣، وصدر البيت «صددت وأطوالت الصـدود وقـلّما» وهـو للمرار الفقعسي، انظر: ديوانه: ٤٨٠.

(٢) السجدة: ١٢.

(٣) الأنعام: ٢٧.

(٤) أنشده في اللسان: مادة «هضل» ونسبه إلى أبي كبير.

(٥) النصّ بطوله في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٤.

العرب لا تكاد توقع «رُبّ» على أمر مستقبل، وهذا قليل في كلامهم، وإنّما المعنى عندهم أن يوقعوها على الماضي، كقولهم: رُبّما فعلت ذلك، ورُبّما جاءني فلان. وإنّما جاء هذا في القرآن، على ما جاء في التفسير: أنّ ذلك يكون يوم القيامة، وإنّما جاز هذا لأنّ كلّ شيء من أمر الله خاصّة فإنّه وإن لم يكن وقع بعد، فهو كالماضي الّذي قد كان، لأنّ وعده آتٍ لا محالة، وعلى هذا عامّة القرآن، نحو قوله: ﴿ونُفِخ في الصُور فَصَعِق من في السموات ومن الأرض﴾[1] وقوله: ﴿وسيق الّذين اتّقوا﴾[2] وقوله: ﴿وجاءت كلّ نفس معها سائق وشهيد﴾[3] ومع هذا يحسن أن يقال في الكلام ـ إذا رأيت الرجل يفعل ما يشاء، تخاف عليه ـ: رُبّما يندم، ورُبّما يتمنّى أن لا تكون[4] فعلت، قال: وهذا كلام عربي حسن. ومثله قال الفرّاء والمبرّد وغيرهم[5].

فإن قيل: لِمَ قال: ﴿رُبَما يودّ الذين كفروا﴾ و «رُبّ» للتقليل؟ قلنا عنه جوابان:

أحدهما: أنّه شغلهم العذاب عن تمنّي ذلك إلّا في القليل. والثاني: أنّه أبلغ في التهديد، كما تقول: ربّما ندمت على هذا، وهو يعلم أنّه يندم ندماً طويلاً، أي: يكفيك قليل الندم فكيف كثيره!

فإن قيل: لِمَ قال: ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن﴾ والكتاب هو القرآن؟ ولِمَ أضاف «الآيات» إلى «الكتاب» وهي القرآن؟ وهل هذا إلّا إضافة الشيء إلى نفسه؟!

(١ و ٢) الزمر: ٦٨ و ٧٣ على التوالي.
(٣) قّ: ٢١.
(٤) في الحجريّة: يكون.
(٥) انظر معاني القرآن؛ للفرّاء ٢: ٨٢.

قلنا: إنّما وصفه بالكتاب وبالقرآن لاختلاف اللفظَيْن وما فيهما من الفائدتَيْن وإن كانا لموصوفٍ واحدٍ، لأنّ وصفه بالكتاب يفيد أنّه ممّا يُكْتَب ويُدَوَّن، و «القرآن» يفيد أنّه ممّا يؤلّف ويُجمَع بعض حروفه إلى بعض، قال الشاعر:

إلى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ وليْثَ الكَتيبةِ في المزْدَحَم[١]

وقال مجاهد وقَتادة: المراد بالكتاب ما كان قبل القرآن من التوراة والإنجيل. فعلى هذا سقط السؤال. فأمّا إضافة الشيء إلى نفسه فقد بيّنا الوجه فيما مضىٰ فيه، وأنّه يجري مجرى قوله: «مسجد الجامع» و «صلاة الظهر» و «يوم الجمعة» وقوله تعالى: ﴿لحقُّ اليقين﴾[٢] وهو مستعمل مشهور، وبيّنّا الوجه فيه[٣]. ووصف القرآن بأنّه ﴿مبين﴾ لأنّه يظهر المعنى للنفس، و «البيان»: ظهور المعنى للنفس بما يميّزه من غيره، لأنّ معنى «أبانه[٤] منه»: فصله منه، فإذا ظهر النقيضان في معنى الصفة فقد بانَت وفُهِمَت.

و «الودّ»: التمنّي، يقال: وَدَدْتُهُ إذا تَمنَّيتُه، ووَدَدْتُه: إذا أَحببتُه، أَوُدَّ ـ فيهما جميعاً ـ ودّاً. وقال الحسن: إذا رأى المشركون المؤمنين دخلوا الجنّة تمنَّوا أنّهم كانوا مسلمين. وقال مجاهد: إذا رأى المشركون المسلمين يُغْفَر لهم ويُخْرَجون من النار يودّون لو كانوا مسلمين.

---

(١) أنشده الفرّاء في معاني القرآن ١: ١٠٥ ولم ينسبه لأحد.

(٢) الحاقّة: ٥١، وانظر: الواقعة: ٩٥.

(٣) راجع تفسير الآية الأُولىٰ من سورة الحجر والآية ١٠٩ من سورة يوسف.

(٤) في الحجريّة: إبانته.

قوله [تعالى]:

ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٥) وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ (٩) سبع آيات [بلا خلاف].

يقول الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله على وجه التهديد للكفّار: أُترك هؤلاء ﴿يأكلوا﴾ ما يشتهون، ويستمتعوا في هذه الدنيا بما يريدون ويشغلهم ﴿الأمل فسوف يعلمون﴾ وبال ذلك فيما بعد، يعني: يوم القيامة ووقت الجزاء على الأعمال.

ثمّ أخبر تعالى أنّه لم يهلك أهل ﴿قرية﴾ فيما مضى على وجه العقوبة ﴿إلّا﴾ وكان لها ﴿كتاب معلوم﴾ يعني: أجل مكتوب قد علمه الله تعالى لابدّ أن سيبلغونه لما سبق في علمه، ويجوز: ﴿إلّا ولَها﴾ بالواو وبغير الواو، لأنّه جاء بعد التمام، ولو جاء بعد النقصان لم يجز، نحو: إنّ رجلاً هو قائم، ولا يجوز: وهو قائم، وكذلك في الظرف في خبر «كان».

وقال: لم تكن أُمّة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخّر عن أجلها الّذي قُدّر لها، بل إذا استوفت أجلها أهلكها الله.

ثمّ قال له صلى الله عليه وآله: إنّ هؤلاء الكفّار يقولون لك: ﴿يا أيّها الذي نُزِّل عليه الذكر﴾ [يعنون: القرآن نُزِّل عليك على قولك، لأنّهم لم يكونوا من المعترفين بذلك] ﴿إنّك لمجنون﴾ في ادّعائك أنّه أُنزل عليك الذكر ولم يكن ممّا يوحي الله إليك[1].

---

(١) وردت العبارة في الحجريّة هكذا: «ولم نكن نقرّ بوحي الله إليك».

وقوله: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ معناه: هلّا تأتينا، وهو دعاء إلى الفعل وتحضيض عليه، ومثله قوله: ﴿لولا أُنْزِل عليه مَلَك﴾ (١) قال الشاعر:

تَعُدّونَ عَقْرَ النِيبِ أَفضلَ مَجْدكُم
بَني ضَو طَرَىٰ لولا الكَمِيَّ المُقْنَعا (٢)

وقد جاءت «لوما» في معنى «لولا» الّتي لها جواب، قال ابن مُقْبل:

لوما الحياءُ ولوما الدينُ عِبْتُكُما ببعضِ ما فيكما إذ عِبْتُما عَوَرِي (٣)

أي: لولا الحياء. والمعنى في الآية: هلّا تأتينا بالملائكة إن كنت صادقاً في أنّك نبيّ! وقال أبو عبيد عن ابن جُرَيْج: فيه تقديم وتأخير، يعني قوله: ﴿ولو فتحنا﴾ (٤) هو جواب ﴿لو ما تأتينا﴾ والمعنى: فلو فعلنا ذلك بهم أيضاً لما آمنوا، وما بينهما كلام مقدَّم والمراد به التأخير، وفيه أيضاً تذكير للملائكة ﴿فظلّوا﴾ ولم يقل: «فظلّت» ولا «فظللن». قال المبرّد: هذا الّذي ذكره جائز، لكن فيه بُعد، لأنّه يلبس بأن يكون فتح عليهم من أنفسهم فعرج بهم، والله أعلم. وكِلَا الأمرَيْن غير ممتنع، إلّا أنّ العرب تمنع مما فيه لبس.

وقوله: ﴿ما ننزّل الملائكة إلّا بالحقّ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالنون ونصب ﴿الملائكةَ﴾. الباقون بالتاء ورفع ﴿الملائكةُ﴾ إلّا أبابكر عن عاصم فإنّه ضمّ التاء على ما لم يسمّ فاعله.

فحجّة مَن قرأ بالنون قوله: ﴿ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة﴾ (٥) وحجّة مَن قرأ: ﴿تَنَزَّل الملائكةُ﴾ بفتح التاء قوله: ﴿تَنزَّل الملائكةُ والروح

---

(١) الأنعام: ٨.

(٢) لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق. راجع ديوان جرير: ٢٥٤ وفيه: «سعيكم» بدل «مجدكم» و «هلّا» بدل «لولا».

(٣) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٦.

(٤) الآية: ١٤ الآتية.

(٥) الأنعام: ١١١.

فيها﴾[١] وحجّة مَن قرأ على ما لم يسمّ فاعله قوله: ﴿ما تُنَزَّلَ الملائكةُ إلّا بالحقّ﴾: قوله تعالى: ﴿ونُزِّلَ الملائكةُ تنزيلاً﴾[٢].

ومعنى قوله: ﴿ما نُنزِّل الملائكةَ إلّا بالحقّ﴾ يعني: بالحقّ الّذي لا يلتبس معه الباطل طرفة عين، وقال الحسن ومجاهد: معناه: إلّا بعذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا بالآيات كما كانت حال من قبلهم حين جاءتهم الآيات الّتي طلبوا فلم يؤمنوا. ومعنى ﴿وما كانوا إذاً مُنْظَرين﴾: أنّه إن نزّل عليهم الملائكة ولم يؤمنوا لم ينظرهم الله، بل كان يعاجلهم العقوبة.

وقوله: ﴿إنّا نحن نزَّلنا الذكر﴾ يعني القرآن، في قول الحسن والضحّاك وغيرهم ﴿وإنّا له لحافظون﴾ قال قَتادة: لحافظون من الزيادة والنقصان. ومثله قوله: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾[٣] وقال الحسن: لحافظون حتّى نجزي به يوم القيامة أي: لقيام الحجّة به على الجماعة من كلّ مَن لزمته دعوة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقال الفرّاء: الهاء في قوله: ﴿وإنّا له لحافظون﴾ يجوز أن تكون كناية عن النبيّ، فكأنّه قال: إنّا نحن نزّلنا القرآن وإنّا لمحمّد لحافظون[٤]. وقال الجُبّائي: معناه: وإنّا له لحافظون من أن تناله أيدي المشركين، فيسرعون إلى إبطاله ومنع المؤمنين من الصلاة به.

وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن، لأنّ ما يكون مُنْزَلاً ومحفوظاً لا يكون إلّا مُحدَثاً، لأنّ القديم لا يجوز عليه ذلك ولا يحتاج إلى حفظه.

---

(١) القَدْر: ٤.
(٢) الفُرقان: ٢٥.
(٣) فصِّلت: ٤٢.
(٤) معاني القرآن ٢: ٨٥.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ أربع آيات بلا خلاف.

يقول الله عزّوجلّ لنبيّه محمّد ﷺ تسليةً له عن كفر قومه: ﴿لقد أرسلنا من قبلك في شِيَع الأوَّلين﴾ قال ابن عبّاس وقَتادة: «الشيع»: الأمم، واحدهم: شيعة، لمتابعة بعضهم بعضاً في الأحوال الّتي يجتمعون عليها في الزمن الواحد من مملكةٍ أو عمارةٍ أو ديانةٍ أو نحو ذلك من الأُمور الجارية في العادة، «والمُرسل» محذوف لدلالة ﴿أرسلنا﴾ عليه.

وقوله: ﴿وما يأتيهم من رسول الله الّا كانوا به يستهزءون﴾ إخبار منه تعالى أنّه لم يبعث رسولاً فيما مضى إلّا وكانت أُممهم تستهزئ بهم، واستهزاؤهم بهم: حملهم عليه استبعادهم ما دعوا إليه[1] واستيحاشهم منه واستنكارهم له، حتّى توهّموا أنّه ممّا لا يكون ولا يصحّ مع مخالفته لما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم وأسلافهم، فكان عندهم كأنّه دعا إلى خلاف المشاهدة وإلى ما فيه جحد الضرورة، و «المكابرة» و «الهُزْء»: إظهار ما يقصد به العيب على إيهام المدح، وهو بمعنًى اللعب والسخريّة.

وقوله: ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خَلَت سُنَّةُ الأَوّلين﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: كذلك نسلك القرآن الّذي هو الذكر بإخطاره على البال ليؤمنوا به فهم لا يؤمنون به، ماضين على سُنَّة مَن تقدّمهم من تكذيب

---

(١) في مجمع البيان هكذا: واستهزاؤهم بالرسل إنّما حملهم على ذلك استبعادهم مادعوهم إليه و...

الرسل، كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب مَن سلف من الأُمم. ذهب إليه البلخي والجُبَّائي.

وقال الحسن وقَتادة: نسلك الاستهزاء بإخطاره على البال ليجتنبوه، ولو كان المراد أنّه يسلك الشرك في قلوبهم لكان يقول: إنّهم لا يؤمنون بالشرك، ولو كانوا كذلك كانوا محمودين غير مذمومين، يقال: سلكه فيه يسلكه سلكاً وسلوكاً، وأسلكه إسلاكاً، قال عَدِّي بن زَيْد:

وكُنتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لم أُعَرِّدِ وقد سلكوكَ في يومٍ عَصيبِ[1]

وقال الآخر:

حتَّى إذا أسلَكُوهُم في قُتائِدَةٍ شَلًّا كما تَطردُ الجمَّالَةُ الشُرُدا[2]

ومعنى قوله: ﴿وقد خَلَت سُنَّة الأَوَّلين﴾ أي: في إهلاك من أقام على الكفر بالمعجزات بعد مجيء ما طلب من الآيات، ويحتمل أن يكون المراد: وقد خَلَت سُنَّة الأَوَّلين في تكذيب رسلهم والكفر بما جاءوا به.

قوله [تعالى]:

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ آيتان.

قرأ ابن كثير وحده: ﴿سُكِرَت﴾ بالتخفيف، الباقون بالتشديد.

قال أبو عُبَيْدة: ﴿سُكِّرَت﴾ معناه: غُشِيَت[3]. والمعنى في الآية: سُكِّرت الأبصار فلا ينفذ نورها، ولا تدرك الأشياء على حقيقتها، وكأنّ

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٢٩٤.

(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٧ و ٣٣١ ونسبه إلى عبد مناف بن رِبْع الهُذَلي.

(٣) مجاز القرآن ١: ٣٤٧.

المعنى: انقطاع الشيء عن سننه[١] الجاري، فمن ذلك: سكر الماء[٢] هو ردّه عن سننه[٣] وقالوا: التسكير في الرأي قبل أن يعزم على شيء، فإذا عزم على أمر ذهب التسكير [ومنه السكر في الشراب]، وهو أن ينقطع عمّا[هو] عليه من المضاء في حال الصحو، فلا ينفذ رأيه على حدّ نفاذه في صحوه. ووجه التثقيل: أنّ الفعل مسند إلى جماعة مثل قوله: ﴿مفتَّحةً لهم الأبواب﴾[٤] ووجه التخفيف: أنّ هذا النحو من الفعل المسند إلى الجماعة قد يُخفَّف، قال الشاعر:

ما زِلْتُ أغلقُ أبواباً وأفتحها[٥]

أخبر الله تعالى نبيّه ﷺ: أنّ هؤلاء الكفّار لشدّة عنادهم وغلظة كفرهم وتمرّدهم وعتوّهم ﴿لو فتحنا عليهم باباً من السماء﴾ فصاروا ﴿فيه يعرجون﴾ والعُرُوج: الصعود في الهواء تعلّقاً به نحو السماء، عَرَجَ الملك يَعْرِجُ عُرُوجاً، فلو عَرَجَ هؤلاء عُرُوج الملك لقالوا هذا القول. و«التسكير»: إدخال اللطيف في المسامّ، ومنه: السُكْر بالشراب، و«السِكْر» السدّ بالتراب ﴿لقالوا إنّما سُكِّرت أبصارنا﴾ بما أُدخل فيها من اللطيف في مسامّها، حتّى مُنِعْنا من رؤية الأشياء على حقّها. وأصل «السكر» السدّ بما أُدخل في المسامّ. وقال مجاهد والضحّاك وابن كثير:

---

(١) في الحجّة: «عن سببه».

(٢) من الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٥، والعبارة وردت في الحجريّة والظاهر من الخطّية سكراً إنّما.

(٣) في الحجّة: «هو ردُّه عن سببه في الجِزية». (٤) سورة صٓ: ٥٠.

(٥) أنشده في اللسان: مادّة «غلق» ونسبه إلى الفرزدق ولم نجده في ديوانه، والنصّ بأكمله موجود في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٥.

معنى ﴿سُكِّرت﴾ سُدّت. قال المثنّى بن جندل الطهوري:

جـاءَ الشـتاءُ واجْـثَأَلَّ القُـنْبُرُ واستَخْفَتِ الأَفْعىٰ وكانَتْ تَظهرُ
وطَـلَعَتْ شَـمسٌ عـليها مِـغْفَرُ وجَعَلَتْ عينُ الحَرورِ تَسْكُرُ[١]

أي: تسدّ بشدّة البرد، و «قُنْبُر»[٢] و «قُنْبَر» بضمّ الباء وفتحها لغتان، مثل جُنْدُب وجُنْدَب، قال ذوالرمّة:

قَـبلَ انْـصِداعِ الفَـجْرِ والتَـهَجُّرِ وخَوضُهُنَّ الليلَ حتّىٰ تَسْكُرِ[٣]

أي: يسدّ بظلمته. وحكى الفرّاء: أنّ من العرب مـن يـقول: سَكَـرَت الريحُ إذا سَكَنَت[٤].

وقال ابن عباس وقَتادة والضحّاك: المعنى: لو فتحنا عليهم بـاباً مـن السماء فظلّت الملائكة تعرج إلى السماء، وهم يرونها على مااقترحوه لقالوا: إنّما سُكِّرت أبصارنا. وقال الحسن: يظلّ هؤلاء المشركون يعرجون فيه.

﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ أي يقولون: سُحِرْنا، فنحن مسـحورون، و«السّحر» حيلة خفيّة توهم معنى المعجزة من غير حقيقة، ولهذا من عمل بالسحر كان كافراً، لأنّه يدّعي المعجزة للكذّابين، فلا يعرف نبوّة الصادقين.

وقال أبو عُبَيْدَة: سُكِّرت أبصار القوم إذا دِيرَ بهم، وغشيهم كالسمادير فلم يبصروا[٥].

وروى ابن خالويه عن الزُهْري أنّه قرأ: ﴿سَكِرت﴾ بفتح السين وكسر

---

(١) أنشده أبو عَبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٤٨. (٢) في الحجريّة: «رؤية».

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية، ونسبه إلى ذي الرمّة، ولم نجده في ديوانه وفيه: «حين تسكر».

(٤) معاني القرآن ٢: ٨٦.

(٥) راجع مجاز القرآن ١: ٣٤٧، والسمادير: ضعف البصر، وقيل: هوالشيء الّذي يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب وغشي النعاس والدوار. «لسان العرب، مادة سمدر».

الكاف والتخفيف[١] أي: اختلطت وتغيَّر عقله.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه جعَل ﴿في السماء بروجاً﴾ و «الجعل» قد يكون تصيير الشيء عن صفةٍ لم يكن عليها، وقد يكون بالإيجاد له، والله تعالى قادر أن يجعل في السماء بروجاً من الوجهَيْن. و «البُرج»: ظهور منزل ممتنع بارتفاعه، فمن ذلك: برج الحِصْن، وبرج من بروج السماء الإثني عشر، وهي منازل الشمس والقمر، وأصله: الظهور، يقال: تَبَرَّجَت المرأة إذا أظهرت زينتها. وقال الحسن ومجاهد وقَتادة: المراد بالبروج: النجوم.

وقوله: ﴿وحفظناها من كلّ شيطان رجيم﴾ يحتمل أن تكون الكناية راجعة إلى السماء، وإلى البروج. وحفظ الشيء: جعله على ما ينفي عنه الضياع، [فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه ومراعاته حتّى لا يُنسى، ومنه: حفظ المال بإحرازه بحيث لا يضيع][٢] بتخطّف الأيدي له، وحفظ ا لسماء من كلّ شيطان بالمنع بما أُعِدّ له من الشهاب. و «الرَجيم» بمعنى: المرجوم، و «الرَجْم»: الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلةٍ مهيَّأةٍ للإصابة، فإنّ النفوس يُرمى عنها ولا يُرجَم؟

وقوله: ﴿إلّا من استرق السمع﴾ معنى ﴿إلّا﴾: «لكن» فكأنّه قال: لكن من استرق السمع من الشيطان يتبعه شهاب مبين. قال الفرّاء: أي

(١) مختصر شواذّ القرآن: ٧٤.

(٢) مابين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة.

لا يخطئ[١]. وقال المفسِّرون[٢]: قوله: ﴿إلّا من استرق السمع﴾ مثل قوله: ﴿إلّا من خَطِفَ الخَطْفة﴾[٣] ومعناه معناه. و «الاستراق»: أخذ الشيء خفيّاً، وليس طلبهم استراق السمع مع علمهم بالشهب خروج عن العادة في صفة العقلاء، لأنّهم قد يطمعون في السلامة من بعض الجهات. و«الشهاب»: عمود من نور يمتدّ لشدّة ضيائه كالنار، وجمعه: «شُهُب». وقال ابن عبّاس: الشهاب[٤] يخبّل ويحرق ولا يقتل. وقال الحسن: هو يقتل. قال ذو الرُمَّة:

كأنَّه كَوْكَبٌ في إثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ في سَوَادِ الليلِ مُنْقَضِب[٥]

و «الإتباع»: إلحاق الثاني بالأوّل، أتْبَعَه إتْباعاً، وتَبِعَهُ يَتْبَعُهُ: إذا طلب اللحاق به، وكذلك: اتّبعه اتّباعاً بالتشديد. ﴿مبين﴾ أي: ظاهر بيِّن.

وقال الفرّاء: قوله ﴿إلّا من استرق السمع﴾ استثناء صحيح، لأنّ الله تعالى لم يحفظ السماء ممّن يصعد إليها ليسترق السمع، لكن إذا سمعه وألقاه إلى الكهنة أتبعه شهاب مبين.

فأمّا استراقهم السمع فقال المفسِّرون: إنّ فيهم من كان يصعد السماء فيسمع الوحي من الملائكة، فإذا نزل إلى الأرض أغوى به شياطينه، أو ألقاه إلى الكهَّان فيغوون به الخلق، فلمّا بعث الله تعالى نبيّه ﷺ منعهم من ذلك، وكان قبل البعثة لم يمنعهم من ذلك تغليظاً في التكليف. قال الزجّاج: والدليل على أنّه لم يكن ذلك قبل النبيّ أنّ أحداً من الشعراء

---

(١) معاني القرآن ٢: ٨٦.

(٢) كابن عبّاس وقتادة والضحّاك. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) الصافّات: ١٠.

(٤) وفي الحجريّة: «بالشهاب».

(٥) من قصيدته البائية المشهورة. راجع ديوان ذي الرُمَّة: ٤٨.

لم يذكره قبل بعثة النبيّ ﷺ مع كثرة ذكرهم الشُهُب بعد ذلك[١].

قوله [تعالى]:

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝٢٠ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قوله: ﴿والأرض مددناها﴾ عطف على قوله: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً... والأرض﴾. ويجوز أن يكون: ومددنا الأرض مددناها، كما قال: ﴿والقمر قدَّرناه﴾[٢] ومعنى ﴿مددناها﴾: بسطناها وجعلنا لها طولاً وعرضاً ﴿وألقينا فيها﴾ يعني: طرحنا فيها ﴿رواسي﴾ يعني: جبالاً ثابتة، وأصله: الثبوت، ويقال: رَسَت السفينة: إذا ثبتت، و «المراسي»: ما تثبَّت به، وقيل: جُعِلت الجبال أوتاداً للأرض. وقيل: جُعِلت أعلاماً يهتدي بها أهل الأرض.

وقوله: ﴿أنبتنا فيها﴾ يعني: أخرجنا النبات في الأرض، و «النبات»: ظهور النامي عن غيره حالاً بعد حال، والأغلب عليه: ظهوره من الأرض، وقد يكون من غيره، كنبات الشعر على البدن والرأس.

﴿من كلّ شيء موزون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر ومجاهد والجُبَّائي: من كلّ شيء مقدّر معلوم.

و [الثاني] قال الحسن وابن زيد: من الأشياء الّتي توزن من الذهب والفضّة والنحاس والحديد وغير ذلك. و «الوزن»: وضع أحد الشيئين بإزاء

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٧٦.

(٢) يٓس: ٣٩.

الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته. يقال: وَزَنَهُ يَزِنَه وَزْناً فهو موزون.

﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ جمع «معيشة» وهي طلب أسباب الرزق مدّة الحياة، فقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرّف والتكسّب، وقد يُطلَب له، فإن أتاه أسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنيء.

وقوله: ﴿ومَن لستم له برازقين﴾: ﴿من﴾ في موضع نصب عطفاً على ﴿معايش﴾ وقال مجاهد: المراد به: العبيد والإماء والدوابّ والأنعام. قال الفرّاء: العرب لا تكاد تجعل «مَن» إلّا في الناس خاصّة، قال: فإن كان مع[1] الدوابّ المماليك حَسُن حينئذٍ، قال: وقد يجوز أن يجعل «مَن» في موضع خفضٍ نسقاً على الكاف والميم في «لكم»[2] قال المبرّد: الظاهر المخفوض لا يُعطَف على المضمر المخفوض، نحو: «مررت بك وزيد» إلّا أن يضطرّ شاعر، على ما مضى ذكره في سورة النساء[3] وأنشد الفرّاء في ذلك:

نُعَلِّقُ في مِثْلِ السَواري سُيُوفَنا ... وما بينَها والكَعْبِ غَوْطٌ نَفَانِفُ

فردّ «الكعب» على «بينها». وقال آخر:

هلّا سَأَلْتَ بذِي الجماجِمِ عَنْهُمُ ... وأَبي نُعَيْمٍ ذي اللِواءِ المُحْرِقِ

فردّ «أبي نعيم» على الهاء في «عنهم». قال: ويجوز أن يكون في موضع رفع، لأنّ الكلام قد تمّ. ويكون التقدير على قوله: ﴿ولكم فيها﴾... ﴿من لستم له برازقين﴾[4].

---

(١) في الحجريّة «من» بدل «مع».
(٢) انظر معاني القرآن ٢: ٨٦.
(٣) راجع التبيان ٤: ٣٤٤.
(٤) راجع معاني القرآن للفرّاء ٢: ٨٦ـ٨٧.

وقوله: ﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه﴾ فخزائن الله: مقدوراته، لأنّه تعالى يقدر أن يُوجِد ما شاء من جميع الأجناس، فكأنّه قال: وليس من شيءٍ إلّا والله تعالى قادر من جنسه على ما لا نهاية له.

وقوله: ﴿وما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾ أي: لست أُنزّل من ذلك الشيء ﴿إلّا بقدر معلوم﴾ أي: ما يصلحهم وينفعهم دون ما يفسدهم ويضرّهم، حسب ما سبق في علمي.

قوله [تعالى]:

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ أربع آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده: ﴿الريح لواقح﴾ الباقون: ﴿الرياح﴾ على الجمع. قال أبو عُبَيْدَة[1]: لا أعرف لذلك وجهاً، إلّا أن يريد: أنّ الريح تأتي مختلفة من كلّ وجه، فكانت بمنزلة رياح. وحكى الكسائي: أرض أغْفال، وأرض سَباسِب. قال المبرّد: ويجوز ذلك على بُعْدٍ، أن يجعل الريح جنساً، وليس بجيّدٍ، لأنّ الرياح ينفصل بعضها عن بعض بمعرفة كلّ واحدة، وليست كذلك الأرض، لأنّها بساط واحَد. وقال الفرّاء: هو مثل: ثوب أخلاق، وأنشد:

جاءَ الشتاءُ وقَميصِي أَخلاقْ ... شَرَاذِمٌ يَضحَكُ منهُ التَـواقْ[2]

---

(١) كذا في النسخ، والمطلب المذكور في معاني القرآن للفرّاء ٢: ٨٧.

(٢) أورده الفرّاء في معاني القرآن ٢: ٨٧.

اسم ابنه، ومن قرأ: ﴿الرياح لواقح﴾ احتمل ذلك شيئين:

أحدهما: أن يجعل الريح هي الّتي تَلْقَح بمرورها على التراب والماء، فيكون فيها اللَقَاح، فيقال فيها: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح.

والثاني: أن يصفها باللَقْح وإن كانت تُلْقِح، كما قيل: ليل نائم، وسرّ كاتم[1].

يقول الله تعالى: أنّه بعث ﴿الرياح لواقح﴾ للسحاب والأشجار تعداداً لنِعَمِه على عباده وامتناناً عليهم، واحدها: «ريح» وتُجمَع أيضاً: «أرواحاً» لأنّها من الواو، قال الشاعر:

مَشَيْنَ كما ٱهتَزَّت رِمَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعالِيَها مَرُّ الرياحِ النَواسِمِ[2]

فاللواقح: الّتي تلقح السحاب حتّى تحمل الماء، أي: تلقي إليه ما يحمل به الماء، يقال: لَقِحَت الناقة إذا حَمَلَت، وألْقحها الفحل: إذا ألقى إليها الماء فحملته، فكذلك الرياح هي كالفحل للسحاب، و «لواقح» في موضع «ملاقح» وقيل في علّة ذلك قولان:

أحدهما: لأنّه في معنى: ذات لقاح، كقولهم: همٌّ ناصب أي: ذو نصب، قال النابغة:

كليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَة ناصِبٍ وَلَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطيء الكَواكِبِ[3]

أي: منصب، وقال نهشل بن حري النهشلي:

---

(١) النصّ موجود في معاني القرآن ٢: ٨٧.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «سفه» ولم ينسبه لأحد.

(٣) مطلع قصيدة يمدح عمرو بن الحارث الأصغر حينما هرب إلى الشام ونزل به. راجع ديوان النابغة الذبياني: ٤٨.

ليبك يزيدُ ضارعٌ لخصومة ومختبطٌ ممّا تُطيع الطوائح

أي: المطاوح. وقال قَتادة وإبراهيم والضحّاك: معنى هذا القول: أنّ الرياح تلقح السحاب الماء. وقال ابن مسعود: إنّها لاقحة بحملها الماء، ملقّحة بإلقائها إيّاه إلى السحاب.

وقوله: ﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾ يعني: غيثاً ومطراً ﴿فاسقيناكموه﴾ أي جعلناه سَقْياً لأرضكم تشربه، يقال: سَقَيْته فيما يشربه بشفته، وأَسقيته فيما تشربه أرضه، وقد تجيء «أَسْقَيْته» بمعنى «سَقَيْته» كقوله تعالى: ﴿نُسقيكم ممّا في بطونه من بين فَرْثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾[1] وقال ذو الرُمَّة:

وَقَفْتُ علىٰ رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقَتي فما زِلْتُ أَبكي عندَهُ وأُخاطبُهْ
وأُسقِيهِ حتّىٰ كادَ ممّا أَبُثّهُ تُكَلِّمني أَحجارُهُ ومَلَاعِبُهْ[2]

أي: أدعو له بالسقيا. ﴿و من لستم[3] له برازقين﴾ أي: لستم تقدرون أن ترزقوا أحداً ذلك الماء لولا تفضّل الله عليكم.

ثم أخبر تعالى أنّه هو الّذي يحيي الخلق إذا شاء و علم ذلك صلاحاً لهم، ويميتهم إذا أراد وعلم صلاحهم، وأنّه هو الّذي يرث الخلق، لأنّه إذا

---

(١) النحل: ٦٦.

(٢) مطلع قصيدة يخاطب الأطلال بعد رحيل قومه. راجع ديوان ذي الرُمَّة: ٢٨٧.

(٣) في النسخ: «وما انتم» بدل «ومن لستم» وقد تقدم تفسيره ﴿ومن لستم له برازقين﴾ قبل صفحات، ولم يذكر المصنف‌ تفسيره قوله تعالىٰ: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ وقد جاء تفسيره في مجمع البيان هكذا: «اي وما أنتم أيّها الناس له بحافظين ولا محرزين، بل الله يحفظه ثمّ يرسله من السماء، ثمّ يحفظه في الارض، ثمّ يخرجه من العيون بقدر الحاجة، ولا يقدر أحد على احراز ما يحتاج اليه من الماء في موضع».

أفنى الخلق ولم يبق أحد كانت الأشياء كلّها راجعة إليه، ينفرد بالتصرّف فيها وكان هو الوارث لجميع الأملاك.

وقوله: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾ قيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: قال مجاهد وقَتادة: مَن مضىٰ ومَن بقي. وثانيها: قال الشعبي: أَوّل الخلق وآخره. وثالثها: قال الحسن: المتقدّمين في الخير والمبطّئين.

وقال الفرّاء: لمّا قال النبيﷺ: «إنّ الله يصلّي على الصفّ الأَوّل» أراد بعض المسلمين أن يبيع داره النائية ليدنوا إلى المسجد فيدرك الصفّ الأوّل، فأنزل الله الآية، وأنّه يجازي على نيّاتهم، فَقَرَّ الناس[1].

ثمّ أخبر تعالى ﴿أنّ﴾ الّذي خلقك يا محمّد ﴿هو﴾ الّذي ﴿يحشرهم﴾ بعد إماتتهم، ويبعثهم يوم القيامة، لأنّه ﴿حكيم﴾ في أفعاله، عالم بما يستحقّونه من الثواب والعقاب.

و «الحشر»: جمع الحيوان إلى مكانٍ، يقال: هؤلاء الحُشّار، لأنّهم يجمعون الناس إلى ديوان الخراج. و «الحكيم»: العالم بما لا يجوز فعله، لقبحه أو سقوط الحمد عليه، مع أنّه لا يفعله، فعلى هذا يوصف تعالى فيما لم يزل بأنّه حكيم، و «الحكيم»: المُحكِم لأفعاله بمنع الخلل أن يدخل في شيءٍ منها، فعلى هذا لا يوصف تعالى فيما لم يزل بأنّه حكيم.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ

---

(١) معاني القرآن ٢: ٨٨، واخرج الحديث أحمد في المسند ٤: ٢٦٩ عن النعمان بن بشير.

مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ آيتان بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه خلق الإنسان، والمراد به آدم عليه السلام بلا خلاف.

وقيل في معنى «الصلصال» قولان:

أحدهما: إنّه الطين اليابس الّذي يُسْمَع له عند النَقْر صلصلة، ذهب إليه ابن عبّاس والحسن وقَتادة.

والثاني: قال مجاهد: هو مثل الخَزَف الّذي يُصَلْصِل. وقال مجاهد: «الصلصال»: المنتن، في روايةٍ عنه، مشتقّ من: صَلَّ اللحم وأَصَلَّ: إذا أَنْتَنَ. والأوّل أقوى، لقول تعالى: ﴿خلق الإنسان من صَلْصال كالفخّار﴾[١] وما يبس كالفخّار فليس بمنتن. وقال الفرّاء: الصلصال طين الحُرّ إذا خُلِط بالرمل: إذا جفَّ كان صلصالاً، وإذا طُبِخ كان فخّاراً[٢]. و «الصلصلة»: القَعْقَعَة، وهو صوت شديد متردّد في الهواء كصوت الرعد. يقال لصوت الرعد: صلصلة، وللثوب الحديد: قَعْقَعة، وأصل «الصَلْصَلة»: الصوت، يقال: صَلَّ يَصِلُّ ولهُ صَليل إذا صَوَّت، قال الشاعر:

رَجَعْتُ إلى صَدْرٍ كَجَرَّةِ حَنْتَمٍ إذا قُرِعَتْ صِفْراً من الماءِ صَلَّتِ[٣]

وقيل: خُلِقَ آدم على صورة الإنسان من طين ثمّ تُرِكَ حتّى جفَّ، فكانت الريح إذا مرّت به سُمِعَ له صلصلة.

وقوله: ﴿من حمإٍ مسنون﴾ فالحَمَأُ جمع «حَمْأَة» وهو الطين المتغيّر إلى السواد، يقال: حَمِئَت البئر وأَحْمَأْتُها أنا إذا بَلَغت الحَمأة. وقيل في

(١) الرحمن: ١٤.
(٢) معاني القرآن ٢: ٨٨.
(٣) أنشده في اللسان: مادّة «حنتم» ونسبه إلى عمرو بن شأس.

معنى «المسنون» قولان:

أحدهما: المصبوب، من قولهم: سَنَنْتُ الماء على الوجه وغيره إذا صَبَبْتُه. وعن ابن عبّاس: أنّه الرطب. فعلى هذا يكون رطباً مصبوباً ثمّ ييبس فيصير كالفخّار.

الثاني: إنّه المتغيّر، من قولهم: سَنَنْتُ الحديدةَ على المِسَنّ: إذا غيَّرتها بالتحديد، والأصل: الاستمرار في جهة من قولهم: هو على سنن واحد.

ومعنى قوله: ﴿والجانّ خلقناه من قبل﴾ المراد به: إبليس، خلقه الله قبل آدم، في قول الحسن وقَتادة ﴿من نار السموم﴾ أي: من نار الريح الحارّة[1]. وقال عبدالله: هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم الّتي خرج منها الجانّ. وهو مأخوذ من دخولها بلطفها في مسامّ البدن، ومنه: السمّ القاتل، يقال: سُمَّ يومنا يسمّ سُمُوماً: إذا هبّت له ريح السموم.

قوله [تعالى]:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ أربع آيات بلا خلاف .

لفظة ﴿إذ﴾ تدلّ على ما مضى من الزمان، ولابدّ لها من فعل متعلّق به، والتقدير: ﴿و﴾ اذكر يا محمّد ﴿إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً﴾ أي: أخلقه فيما بعد، قبل أن يخلقه، والمراد بالبشر: آدم، وسُمِّي بشراً لأنّه ظاهر الجلد، لا يُرى فيه شعر ولا صوف كسائر الحيوان، ثمّ قال: ﴿من

(١) في الحجريّة: «من النار الحارّة».

صلصال من حمإٍ مسنون﴾ وقد فسّرناه.

وقوله: ﴿فإذا سوّيته﴾ معناه: سوّيت صورته الإنسانيّة، و «التسوية»: جعل كلّ واحدٍ من الشيئين على مقدار الآخر، وقد يسوّى بين الشيئين في الحكم لعلّة.

وقوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فالنفخ: إجراء الريح في الشيء باعتماد، نَفَخ يَنْفخُ نَفْخاً: إذا أَجْرى الريح باعتماد، فلمّا أجرَى الله الروح على هذه الصفة في البدن كان قد نفخ الروح فيه. وأضاف روح آدم إلى نفسه تكرمةً له، وهي إضافة الملك لما شرَّفه وكرَّمه. و«الروح»: جسم رقيق روحاني فيه الحياة التي بها يحيى الحيّ، فإذا خرجت الروح من البدن كان ميّتاً في الحكم، فإذا انتفت الحياة من الروح فهو ميّت في الحقيقة.

وقوله: ﴿فقعوا له ساجدين﴾ أمر من الله تعالى إلى الملائكة أن يسجدوا لآدم، وقيل في وجه سجودهم له قولان:

أحدهما: إنّه سجود تحيّة وتكرمة لآدم، عبادةً لله تعالى. وقيل: إنّه على معنى السجود إلى القبلة[1]. والأوّل عليه أكثر المفسِّرين.

ثم استثنى من جملتهم ﴿إبليس﴾ أنّه لم يسجد و ﴿أبىٰ أن يكون مع الساجدين﴾ لآدم، و «إبليس» مشتقّ من «الإبلاس» وهو اليأس من روح الله، إلّا أنّه شبّه بالأعجمي من جهة أنّه لم يستعمل إلّا على جهة العَلَم فلم يُصْرَف، وقال قوم: أنّه ليس بمشتقّ، لأنّه أعجمي بدلالة أنّه

---

(١) منهم الجُبّائي والبلخي. وقد تعرّض لذكره المصنّف من قبل في تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة السا[بقة] كة.

لا ينصرف[١]. و «الإباء»: الامتناع. و «السجود»: خفض الجبهة بالوضع على بسط من الأرض أو غيره، وأصله: «الانخفاض» قال الشاعر:

تَرَى الأُكْمَ فيها سُجّداً للحَوافِرِ[٢]

واختلفوا في هذا الاستثناء، فقال قوم: إنّ ابليس كان من الملائكة، فلذلك استثناه[٣]. وقال آخرون: إنّما كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم، فلذلك استثناه من جملتهم[٤]. وقال آخرون: هو استثناء منقطع ومعناه: «لكن»[٥] وقد بيّنّا الصحيح من ذلك في سورة البقرة[٦].

ومَن قال: لم يكن من الملائكة قال: الملائكة خُلقوا من نور وإبليس خُلِق من نار، والملائكة لا يعصون وإبليس عصى بكفره بالله، والملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح، وإبليس بخلاف ذلك.

قال الحسن: إبليس أب الجنّ كما أنّ آدم أب الإنس.

قوله [تعالى]:

قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَالَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَم أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ آيتان بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لإبليس، يقول له: لِمَ لا ﴿تكون مع الساجدين﴾

---

(١) كالزجّاج والرُّمّاني من النحويّين. وقد ذكر المصنّف رحمه الله التفصيل فيه عند تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة المباركة.

(٢) لزيد الخيل، من أبيات في الحماسة. راجع الكامل للمبرّد ٢ : ٧٣٥.

(٣) قاله ابن عبّاس وابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريج والطبري راجع التبيان ٢: ٨٧ (من طبعتنا).

(٤) راجع التبيان ٢: ٩٣ (من طبعتنا).

(٥) قاله الحسن البصري وقتادة في رواية ابن زيد «البلخي والرماني كما تقدّم في التبيان ٢: ٨٧ (من طبعتنا).

(٦) الآية: ٣٤ منها.

تسجد كما سجدوا؟ واختلفوا في كيفيّة هذا الخطاب، فقال الجُبَّائي: قال الله له ذلك على لسان بعض رسله، وهو الأَلْيَق، لأنّه لا يصحّ أن يكلّمه الله بلا واسطة في زمان التكليف. وقال آخرون: كلَّمه بالإنكار عليه والإهانة له، كما قال: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلِّمون﴾[1]. هذا ينبغي أن يكون حكايةً عمّا يقوله له في الآخرة، فقال إبليس مجيباً لهذا الكلام: ما كنت بالّذي أسجد ﴿لبشرٍ خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون﴾ وقد فسّرناه.

ولم يعلم وجه الحكمة في ذلك، لأنّ في ذلك قلباً للشيء عن الحالة الحقيرة في الصِفَة إلى هذه الحالة الجليلة، وأيّ ذلك كان، فإنّه لا يقدر عليه غير الله، وأنّه لا ينفع العِظَم[2] في الصفة مع إمكان قلبه إلى النقص في الصفة، وكذلك لا يضرّ النقص في الصفة مع إمكان قلبه إلى العِظم، فلو نظر في ذلك لزالت شبهته في خلقه من نار وخلق آدم من طين. قال المبرّد: قوله: ﴿مالك ألا تكون﴾ «لا» زائدة مؤكّدة، والتقدير: ما منعك أن تسجد، فـ «أنّ» في قول الخليل وأصحابه: في موضع نصب، لأنّه إذا حذف حرف الجرّ نصب ما بعده. وقال غيره: في موضع خفض، لأنّ المعنى: ما منعك من أن تكون، فحذف «من»[3].

قوله [تعالى]:

قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ خمس آيات بلا خلاف.

---

(١) المؤمنون: ١٠٨.
(٢) في الحجريّة: «لا ينتفع للعظم».
(٣) انظر تفسير الطبري ذيل الآية ومجمع البيان ٦: ٣٣٥.

هذا خطاب من الله تعالى لإبليس لمّا احتجّ لامتناعه من السجود لآدم بما ليس بحجّة، بل هو حجّة عليه: ﴿فاخرج منها﴾ قال الجُبّائي: أمره بالخروج من الجنّة. وقال غيره: أمره بالخروج من السماء ﴿فإنّك رجيم﴾ أي مرجوم بالذمّ والشتم «فعيل» بمعنى «مفعول». وقد يكون «فعيل» بمعنى «فاعل» مثل: «رحيم» بمعنى «راحم».

﴿وإنّ عليك اللعنة﴾ أي: عليك مع ذلك اللعنة، وهي الإبعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز أن تلعن بهيمةً، فأمّا لعن إبليس إلى يوم الدين فإنّ الله قد لعنه والمؤمنون لعنوه لعنةً لازمة ﴿إلى يوم الدين﴾ وهو يوم القيامة، ثمّ يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار. وقيل: ﴿الدين﴾ هاهنا الجزاء، ومثله: ﴿مالك يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاء، ويقال: لفلان دين، أي: طاعة يستحقّ بها الجزاء، وفلان يدين للملوك، أي: يدخل في عادتهم في الجزاء، فقال حينئذٍ إبليس: ياربّ ﴿انظرني إلى يوم يُبعَثون﴾ أي: أخِّرني وبقّني إلى يوم يُحشَرون، يعني: القيامة، يحشرهم الله للجزاء. و «الإنظار» و «الإمهال» واحد، فقال الله تعالى له: إنّي أنظرتك وأخّرتك وجعلتك من جملة ﴿المنظرين إلى يوم الوقت الملعوم﴾ فقال قوم: هو يوم القيامة، أنظره الله في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة[1] وفي التبقية إلى آخر أحوال التكليف، و ﴿يوم يُبعَثون﴾ هو يوم القيامة، وقد قيل: إنّ يوم الوقت المعلوم هو آخر أيّام التكليف[2] وأنّه سأل الإنظار إلى يوم القيامة لئلّا يموت، إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد، فلم يجبه الله إلى ذلك، وقيل له:

(١) عن الحسن والجبائي وأبي مسلم، كما في مجمع البيان ٦: ٣٣٧.
(٢) قاله ابن عبّاس كما في مجمع البيان ٦: ٣٣٧.

﴿إلى الوقت المعلوم﴾ الّذي هو آخر أيّام التكليف(١). وقال البلخي: أراد بذلك الىٰ يوم الوقت المعلوم الّذي قدّر الله أجله فيه، وهو معلوم له، لأنّه لا يجوز أن يقول تعالى لمكلّف: إنّي أُبقيك إلى يوم معيّن، لأنّ في ذلك إغراء له بالقبيح.

واختلفوا في تجويز إجابة دعاء الكافر، فقال الجُبَّائي: لا يجوز، لأنّ إجابة الدعاء ثواب، لما فيه من إجلال الداعي بإجابته إلى ما سأل.

وقال ابن الأخشاد: يجوز ذلك، لأنّ الإجابة كالنعمة في احتمالها أن تكون ثواباً وغير ثواب، لأنّه قد يحسن منّا أن نجيب الكافر إلى ما سأل استصلاحاً له ولغيره، فأمّا قوله: فلان مجاب الدعوة، فهذه صفة مبالغة لا تصحّ لمن كانت إجابته نادرة من الكفّار.

قوله [تعالى]:

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ آيتان بلا خلاف .

لمّا أجاب الله تعالى إبليس إلى الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم ﴿قال﴾ عند ذلك: يا ﴿ربِّ بما أغويتني﴾ أي: فيما خيّبتني من رحمتك، لأنّ «الغيّ»: الخيبة، قال الشاعر:

فَمَن يَلْقَ خيراً يَحمدِ الناس أمرَهُ ومَن يَغْوَ لايَعدمَ على الغيّ لائما(٢)

وقال قوم: معناه: بما نسبتني إلى الغيّ ذمّاً لي، وحكمت عليَّ بالغيّ(٣).

---

(١) عن ابن عبّاس كما في مجمع البيان ٦: ٣٣٧.

(٢) أنشده في العقد الفريد ٢: ١٥٥ و ج ٥: ٣٢٨ ونسبه إلى المرقّش الأصغر.

(٣) انظر النكت والعيون ٣: ١٦٠.

وقال البلخي: معناه: فيما كلّفتني السجود لآدم الّذي غويت عنده، فسمّى ذلك غواية، كما قال: ﴿فزادتهم رجساً الىٰ رجسهم﴾[١] لمّا ازدادوا عندها. على أنّ هذا حكاية قول إبليس، ويجوز أن يكون اعتقد أنّ الله خلق فيه الغواية، فكفر بذلك، كما كفر بالإمتناع من السجود.

والباء في قوله: ﴿فبما أغويتني﴾ قيل في معناها قولان:

أحدهما: إنّ معناها القسم، كقولك: بالله لأفعلنّ. والآخر: بخيبتي لأُغوينّهم[٢] كأنّها سبب لإغوائهم، كقولك: بمعصيته ليدخلنّ النار، وبطاعته ليدخلنّ الجنّة.

و «الإغواء»: الدعاء إلى الغيّ، و «الإغواء» خلاف «الإرشاد» فهذا أصله، وقد يكون «الإغواء» بمعنى «الحكم بالغيّ» على وجه الذمّ. و«التزيين»: جعل الشيء منقبلاً في النفس من جهة الطبع أو العقل، بحقٍّ أم بباطل. وإغواء الشيطان: تزيينه الباطل حتّى يدخل صاحبه فيه، ويرى أنّ الحظّ بالدخول فيه.

و ﴿لأُغوينّهم﴾ أي: أدعوهم إلى ضدّ الرشاد، ثمّ استثنى من جملتهم عباد الله ﴿المخلَصين﴾ الّذين أخلصوا عبادتهم لله، وامتنعوا من إجابة الشيطان في ارتكاب المعاصي، لأنّه ليس للشيطان عليهم سبيل، كما قال تعالى: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ يعني: عباد الله الّذين فعلوا ما أمرهم به وانتهوا عمّا نهاهم عنه. ومَن كسر اللام فلقوله: ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾[٣] ومَن فتحها أراد: أنّ الله أخلصهم بأن وفّقهم لذلك، ولطف لهم فيه.

---

(١) التوبة: ١٢٥.
(٢) انظر النكت والعيون ٣: ١٦٠.
(٣) النساء: ١٤٦.

قوله [تعالى]:

﴿قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ أربع آيات بلا خلاف.

قرأ يعقوب: ﴿صراطٌ عليٌّ﴾ بتنوين ﴿عليّ﴾ ورفعه على أنّه صفة لـ﴿صراط﴾ بمعنى: رفيع، وبه قرأ ابن سيرين وقَتادة، الباقون بفتح الياء على الاضافة إلى الياء. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ ذلك على وجه التهديد، كقولك لمن تتهدّده وتتوعّده: على طريقك، وإليَّ مصيرك، كما قال: ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد﴾[1] وهو قول مجاهد وقَتادة. الثاني: إنّه أراد به الدين المستقيم، وأنّ الله يبيّنه وينفي الشبهة عنه بهداية المستدلّ على طريق الدليل.

وقوله: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ إخبار منه تعالى أنّ عباده الّذين يطيعونه وينتهون إلى أمره ويجتنبون معاصيه ليس للشيطان عليهم سلطان ولا قدرة أكثر من أن يغويهم، فإذا لم يقبلوا منك ولا يتّبعونك فلا تقدر لهم على ضرّ ولا نفع. وقال الجبّائي: ذلك يدلّ على أنّ الجنّ لا يقدرون على الإضرار ببني آدم، لأنّه على عمومه. وقال غيره: الآية تدلّ على نفي السلطان بالإغواء، لأنّهم إذا لم يقبلوا منه ولا يتّبعونه فكأنّه لا سلطان له عليهم، ولا يمتنع أن يقدروا على غير ذلك من الإضرار.

ثمّ استثنى تعالى من جملة العباد من يتّبع ابليس على إغوائه وينقاد له

---

(١) الفجر: ١٤.

ويقبل منه، لأنّه إذا قَبِل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهـدَى إلى ما يدعوه إليه من اتّباع الهوى فيظفر به إبليس.

ثمّ أخبر تعالى ﴿أنّ جهنّم﴾ موعد جميع العُصاة والخـارجـين عـن طاعته ومَن يتّبع[1] إبليس في إغوائه. و «جهنّم» لا تنصرف لأنّها معرفة مؤنّثة، وقد يقال للنار إذا عظمت واشتدّت: هذه جـهنّم، تشـبيهاً بـجهنّم المعروفة، ولهذا لم تنكّر. ثمّ أخبر عن صفة جهنّم بأنّ ﴿لها سبعة أبواب﴾ وقال عليّ عليه السلام والحسن وقَتادة وابن جُرَيْج: «أبوابها أطباق بعضها فـوق بعض»[2]. ﴿لكلّ باب﴾ جزء من المستحقّين للعقوبة على قدر استحقاقهم من العقاب، في القلّة والكثرة، بحسب كثرة معاصيهم وقلّتها.

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ أربع آيات بلا خلاف.

لمّا أخبر الله تعالى عن الكفّار أنّ مستقرّهم جهنّم، ووَصَـفَ جـهنّم، أخبر هاهنا ما للمتّقين، فـقال: ﴿إنّ المـتّقين﴾ الّـذين يـتّقون عـقاب الله باجتناب معاصيه وفعل طاعته. ﴿جنّات﴾ وهي البساتين الّتي تنبع فـيها المياه كما تفور من الفوّارة ثمّ تجري فـي مـجاريه. وإنّـما يشـوّقهم إلى الثواب بالجنّات، لأنّها من أسباب لذّات الدنيا المؤدّية إليها، كما أنّ النار من أسباب الآلام لمن حصل فيها.

---

(١) كذا في الحجريّة، وفي المخطوطتين: «واتّبع».

(٢) أورده الطبري ذيل الآية عن عليّ عليه السلام وقتاده وابن جريج.

والفرق بين «الجنّة» و «الروضة» أنّ «الجنّة» لابدّ أن يكون فيها شجر، لأنّ أصلها من أن الشجر يجنّها، و «الروضة» قد تكون بغير شجر، يقال: روضة خَضِرَة، ورياض مُونِقات.

وقوله: ﴿ادخلوها﴾ أي: يقال للمتّقين: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ بسلامة، وهي البراءة من كلّ آفة ومضرّة، كما قال: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [١] أي: براءة منكم، ومعنىٰ ﴿آمنين﴾ أي: ساكني النفس إلىٰ انتفاء الضرر، و «الأمانة»: الثقة بالسلامة من الخيانة.

وقوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ﴾ فالغلّ: الحقد الّذي ينعقد في القلب، ومنه: الغُلّ الّذي يُجعل في العُنُق، و «الغُلُول»: الخيانة الّتي تطوّق عارها صاحبها، فبيّن تعالى أنّ الأحقاد الّتي في صدور أهل الدنيا تزول بين أهل الجنّة، ويصبحون ﴿إخواناً﴾ متحابّين ﴿علىٰ سُرُر﴾ وهي جمع «سرير» وهو المجلس الرفيع موطّأً للسرور، ويقال في جمعه: «أَسِرَّة» أيضاً، وهو مأخوذ من «السرور» لأنّه مجلس سرور ﴿متقابلين﴾ أي: كلّ واحد منهم مقابل لصاحبه ومحاذٍ لأخيه، فإنّه بذلك يعظم سرورهم، و «التقابل»: وضع كلّ واحد بإزاء الآخر على التشاكل، وقال قوم: إنّ نزع الغِلّ يكون قبل دخول الجنّة. وقال آخرون: يكون ذلك بعد دخولهم فيها.

وقوله: ﴿لا يمسّهم فيها نَصَب﴾ إخبار منه تعالى: أنّ هؤلاء المؤمنين الّذين حصلوا في الجنّة ﴿إخواناً علىٰ سُرُر متقابلين لا يمسّهم﴾ في الجنّة

---

(١) الفرقان: ٦٣.

﴿نَصَب﴾ وهو التعب والوهن الّذي يلحق من العمل، ومثله الإعياء مشتقّ من الانتصاب؛ لانّ صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل، للوهن الّذي يلحق. ثمّ أخبر أنّهم مع ذلك لا يخرجون من الجنّة، بل يبقون فيها مؤبّدين. و ﴿إخواناً﴾ نصب على الحال. وقال قوم: نصب على التمييز.

قوله [تعالى]:

نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ(٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ(٥٠) آيتان بلا خلاف .

أمر الله تعالى نبيّهﷺ أن يخبر عباد الله الّذين خلقهم لعبادته على وجه الترغيب لهم في طاعته والتخويف عن معصيته: بـ ﴿أنّي أنا﴾ الّذي أعفو وأستر على عبادي معاصيهم، ولا أفضحهم بها يوم القيامة إذا تابوا منها، لرحمتي بهم وإنعامي عليهم ﴿وأنّ﴾ مع ذلك ﴿عذابي﴾ وعقوبتي ﴿هو العذاب الأليم﴾ المؤلم الموجِع، فلا تعوّلوا على محض غفراني، وخافوا عقابي، وكونوا على حذرٍ باجتناب معاصيَّ وعمل طاعاتي.

قوله [تعالى]:

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ(٥١) إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ(٥٢) قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ(٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ(٥٤) أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع ﴿تُبشرونِ﴾ بكسر النون مع التخفيف، بمعنى: تُبشرونني، حذف النون استثقالاً لاجتماع المثلَيْن، وبقيت الكسرة الدالّة على الياء المفعولة، والنون الثانية محذوفة لأنّ التكرير بها وقع، ولم تحذف الأُولى لأنّها علامة الرفع، ومثله قول الشاعر:

تَـــرَاهُ كـالثُغامِ يُـعَلُّ مِسْكاً يَسُوءُ الَفالياتِ إذا فَلَيْني [١]

أراد: «فلينني» فحذف إحدى النونَيْن. وقال أهل الكـوفة: أُدغـم ثـمّ حذف، وحجّتهم: ﴿وكادوا يقتلونني﴾ [٢] وقوله: ﴿أَتعِدانـني﴾ [٣] فأظـهر النونات، وإمّا الحرف المشدّد نحو: ﴿تأْمُـرونّي﴾ [٤] و ﴿أَتـحاجّونّي﴾ [٥] وما أشبه ذلك. وشدّد النون وكسرها ابن كثير، الباقون بفتح النون.

قال أبو عليّ: مَن شدّد النون أدغم النـون الأُولى الّـتي هـي عـلامة الرفع فـي الثـانية المـتّصلة بـالياء الّـتي للـمضمر المـنصوب للـمتكلّم، وفتحها لأنّه لم يعدّ الفعل إلى مفعول به، كما عدّاه غيره، وحذف المفعول كثير، ولو لم يدغم وبيّن كان حسناً فـي القـياس، مـثل: «اقـتتلوا» فـي جواز البيان والإدغام، ومَن فتح النون جعلها علامة الرفع، ولم يُعَدِّ الفعل فتجتمع نونان [٦].

أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يخبر مَن تقدّم ذكره ﴿عن ضيف إبراهيم﴾ و «الضيف»: هو المـنضوي الى غـيره لطـلب القِـرى، وجـمعه: ضُـيُوف وأضْياف وضِيفَان ﴿إذ دخلوا عليه﴾ يتعلّق بـ﴿ضيف﴾ و «ضيف» يقع على الواحد والاثنين والجمع، فلذلك قال: ﴿إذ دخلوا عـليه﴾ فكـنّى بكـناية الجمع. وسمّاهم «ضيفاً» وهم ملائكة لأنّهم دخلوا بصورة البشر ﴿فقالوا سلاماً﴾ نصبه على المصدر، والمعنى: سلّمت سلاماً على وجـه الدعـاء والتحيّة، ومثله قوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [٧] والمعنى:

(١) أنشده سيبويه في الكتاب ٣: ٥٢٠ ونسبه إلى عمرو بن مَعْد يكرب.
(٢) الأعراف: ١٥٠. (٣) الأحقاف: ١٧. (٤) الزُمَر: ٦٤.
(٥) الأنعام: ٨٠. (٦) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٦ـ٢٧. (٧) الفرقان: ٦٣.

سلمنا منكم سلاماً، و «السلامة» نقيض «البلاء» و «الآفة المخوفة» و«النجاة» نقيض «الهلاك».

وقوله: ﴿قال إنّا منكم وجلون﴾ إخبار عمّا أجاب به إبراهيم لضيفانه بأنّه خائف منهم، و «الوَجَل»: الخوف، فأجابه الضِيفان و ﴿قالوا لا تَوْجَل﴾ أي: لا تخف ﴿إنّا﴾ جئناك ﴿نبشّرك بغلام عليم﴾ و «التبشير» الإخبار بما يسرّ، بما يظهر في بشرة الوجه سروراً به، يقال: بشَّرته أُبَشِّره بشارةً، وأَبْشَر إِبْشاراً بمعنى: استبشر، وبَشَّرْته تَبْشيراً.

وإنّما وصفه بأنّه ﴿عليم﴾ قبل كونه، لدلالة البشارة به على أنّه سيكون بهذه الصفة، لأنّه إنّما بُشِّر بولدٍ يرزقه الله ويكون عليماً، فقال لهم إبراهيم: ﴿أبشّرتموني على أن مسّني الكبر﴾ أي: كيف يكون لي ولد وقد صرت كبيراً؟ لأنّ معنى ﴿مسّني الكبر﴾ أي: غيّرني الكبر عن حال الشباب الّتي تُطمِع في الولد إلى حال الهرم. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّه عجب من ذلك لكبره، فقاله على هذا الوجه[1]. والآخر: إنّه استفهم فقال: أبأمرالله تبشرّونني؟ في قول الجُبَّائي. ومعنى ﴿علىٰ أن مسّنى﴾ أي: لأن مسّني، كما قال: ﴿حقيق على أن لا أقول﴾[2] بمعنى: بأن لا أقول.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ بَشَّرْنَـٰكَ بِالْحَقِّ فَلَاتَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦ إِلَّا ٱلضَّـآلُّونَ ﴿٥٦﴾ آيتان بلا خلاف.

---

(١) قاله مجاهد كما في النكت والعيون ٣: ١٦٤.

(٢) الاعراف: ١٠٥.

قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿يقنِط﴾ بكسر النون حيث وقع، الباقون بفتحها. وكلّهم قرأ: ﴿من بعد ما قَنَطوا﴾[1] بفتح النون. قال أبو عليّ: قَنَط يَقْنَطُ ويَقْنِطُ لغتان، بدلالة إجماعهم على قوله: ﴿من بعد ما قَنَطوا﴾ بفتح النون، وقد حكي: «يقنُط» بضمّ النون، وهي شاذّة، وهذا يدلّ على أنّ ماضيه على «فَعَل» لأنّه ليس في الكلام «فَعِل يَفعُل»[2]. وقد حكي عن الأعمش أنّه قرأ: «من بعدما قَنِطوا» بكسر النون، وهي شاذّة لا يُقْرَأ بها.

وفي هذه الآية حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم حين عجب أن يكون له ولد لكبر سنّه وعلوّ عمره: إنّا ﴿بشّرناك﴾ بذلك على وجه الحقّ والصحيح، وأخبرناك به على وجه الصدق ﴿فلا تكن﴾ بعد ذلك ﴿من﴾ جملة ﴿القانطين﴾ يعني: الآيسين، فأجابهم إبراهيم عند ذلك بأن ﴿قال ومَن﴾ الّذي ﴿يقنط﴾ أي: يأيس ﴿من رحمة﴾ الله وحسن إنعامه، ﴿إلّا﴾ مَن كان عادلاً عن الحقّ، ضالاً عن سبيل الهدى. وهذا يقوّي قول من قال: إنّه راجعهم في ذلك على وجه الاستفهام دون الشكّ في أقوالهم.

قوله [تعالى]:

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ أربع آيات بلا خلاف.

فقال إبراهيم عليه السلام بعد ذلك للملائكة: ﴿ما خطبكم﴾ أي: ما الأمر الجليل الّذي بُعِثْتم له؟ و «الخطب»: الأمر الجليل: ومثله: ما شأنك؟ وما

---

(١) الشورى: ٢٨. (٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٢٧.

أمرك؟ ومنه: «الخطبة» لأنّها في الأمر الجليل، فأجابته الملائكة: بـ ﴿إنّا أُرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ وقوم الرجل: هم الّذين يقيمون بنصرته، والنفر: الّذين ينفرون في مهمّ الأُمور، وقوم لوط هم الّذين كان يجب عليهم القيام بنصرته ومعونته[١] على أمره، وقال قوم: إنّه يقع على الرجال دون النساء. و «المجرم»: المنقطع عن الحقّ إلى الباطل، وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى المقابح.

والمعنى: إنّا أُرسلنا إلى مَن وصفناه لنهلكهم، ونَنْزِل بهم العقوبة، ثمّ استثنى من ذلك ﴿آل لوط﴾ وأخبر أنّهم ينجّونهم كلّهم، يقال نَجَّيْتُ فلاناً وأَنْجَيْتُه، فمن قرأ بالتشديد أراد التكثير، ثمّ استثنى من جملة آل لوط ﴿امرأته﴾ وبيّن أنّها هالكة مع الهالكين، و﴿قدّرنا﴾ أي: كتبنا ﴿إنّها لمن الغابرين﴾ و «الغابر»: الباقي فيمن يهلك، و «الغابر»: الباقي في مثل الغبرة ممّا يوجب الهلكة، قال الشاعر:

فَمَا وَنَىٰ محمّدٌ مُذْ أَن غَـفرْ ... له الإلهُ ما مَضَى وما غَبَرْ[٢]

و «آل الرجل»: أهله الّذين يرجعون إلى ولايته، ولهذا يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد، ولكن آل الرجل، فآل لوط: اتباعه الّذين يرجع أمرهم إليه بولايته ونصرته، وقيل: إنّ امرأة لوط كانت في جملة الباقين ثمّ أُهلكت فيما بعد[٣].

و «قدرنا» بالتخفيف مثل: «قدّرنا» بالتشديد، وكلّهم قرأ هاهنا مشدّداً،

(١) في الحجريّة: «اتباعه».
(٢) أنشده في اللسان: مادة «ثبت» ونسبه إلى العجّاج من قصيدة يمدح عمر بن عبدالله بن يعمر.
(٣) قاله الطبري ذيل الآية.

إلّا أبا بكر عن عاصم فإنّه خفّفها، ويكون ذلك من التقدير، كما قال: ﴿ومَن قُدِرَ عليه رزقه﴾[(١)]. وقال أبو عبَيْدَة: في الآية معنى فقهي[(٢)] كان أبو يوسف يتأوّله فيها، لأنّ الله تعالىٰ استثنىٰ آل لوط من المجرمين، ثمّ [استثنى امرأة لوط من آل لوط، فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين، لأنّه][(٣)] استثناءٌ ردّ على استثناءٍ كان قبله، وكذلك كلّ استثناءٍ في الكلام إذا جاء بعد آخر عاد المعنى الى أوّل الكلام، كقول الرجل: «لفلان عليّ عشرة إلّا أربعة إلّا درهما»، فإنّه يكون إقراراً بسبعة، وكذلك لو قال: «له عليّ خمسة إلّا درهماً إلّا ثُلُثاً»، كان إقراراً بأربعة وثُلُث، وكذلك لو قال لامرأته: «أنت طالق ثلاثاً إلّا اثنتين إلّا واحدة» كانت طالقاً اثنتين، قال: وأكثر ما يستثنى ما هو أقلّ من النصف، ولم يُسمَع أكثر من النصف إلّا بيت أنشده الكسائي:

أَدّوا الّتي نَقصَت سبعينَ من مائةٍ ثم ٱبعثُوا حَكَماً بالعدلِ حُكّاما

فجعلها مائة إلّا سبعين، وهو يريد: ثلاثين. وضعّف المبرّد الاحتجاج بهذا البيت، ولم يجز استثناء الأكثر من الجملة ولا نصفها، وإنّما جاز استثناء ما دون النصف من الجملة، حتّى قال: لا يجوز أن يقال: «له عندي عشرة إلّا نصف»، «ولا عشرة إلّا واحد» قال: لأنّ تسعة ونصف أولى بذلك، وكذلك

---

(١) الطلاق: ٧.

(٢) الكلمة غير واضحه في النسخ، ففي «م» «فقد» وفي «ح» «فقه» في الحجريّة فقر ولم نقف عليه في مجاز القرآن وما أثبتناه من مجمع البيان، فإنّه أورد النصّ بأكمله كما هنا. فراجع مجمع البيان ٦: ٣٤٠.

(٣) كذا في «ح» والحجريّة، والعبارة في «م» سقط منها ما يلي «وكان أبو يوسف يتأوّله فيها لأنّ الله تعالىٰ استثنى آل لوط من المجرمين».

لا يجوز: له ألف إلّا مائة، لأنّ تسعمائة أولى بذلك، وإنّما يـجوز ألف إلّا خمسين، وإلّا سبعين، وإلّا تسعين، قال، وعلى هذا النحو يبنى هذا الباب. والصحيح الأوّل عند أكثر العلماء من المتكلّمين والفقهاء وأكثر النحويّين.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَـٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ أربـع آيـات بـلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّ الملائكة الّذين بعثهم الله لإهـلاك قـوم لوط لمّـا جاءوا لوطاً وقومه ـ وكانوا في صورةٍ لا يعرفهم بـها لوط ـ أنكـرهم و ﴿قال﴾ لهم: ﴿إنّكم قوم مُنكَرون﴾ أي: لا تُعرَفون مع الاستيحاش منكم، لأنّه لم يثبتهم في ابتداء مجيئهم، فلمّا أخـبروه بأنّـهم رسـل الله جـاءوا بعذاب قومه وبيّنوا له الأمر عرفهم حينئذٍ، و ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أي: بالعذاب الّذي كانوا يشكّون فيه ويكذّبون به، وقد يُوصَف الجاهل بالشكّ من جهة ما يعرض له فيه من حيث لا يرجع إلى ثقة فيما هو عليه، وقالوا له أيضاً: إنّا جئناك ﴿بالحقّ﴾ فيما أخبرناك به من عذاب قومك، ونحن صادقون فيه.

قوله [تعالى]:

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ آيتان بلا خلاف .

هذا حكاية ما قالت الملائكة للوط، وأمرهم إيّاه بأن يسير[١] بأهله، و «الإسراء»: سير الليل، سَرَىٰ يَسْرِي سرىً، وأَسْرَى إسْراءً، لغتان، قال الشاعر:

سَرَيْتُ بِهم حتّىٰ تَكِلَّ مَطِيُّهمُ وحتّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بأَرْسانِ[٢]

وقوله: ﴿بقطعٍ من الليل﴾ معناه: بقطعة تمضي منه، كأنّه جمع «قطعة» مثل: تمرة وتمر، وبسرة وبسر، وقيل: ﴿بقطع من الليل﴾ ببعض الليل[٣]. وقيل: بقيّة من الليل[٤]. وقيل: إذا بقي من الليل قطعة ومضى أكثره[٥].

وقوله: ﴿واتّبع أدبارهم﴾ أي: اقتفِ آثارهم يعني: آثار الأهل، و «الاتّباع» اقتفاء الأثر، و «الاتّباع» في المذهب، و «الاقتداء» مثله، وخلافه: «الابتداع». و «الإدبار» جمع «دبر» وهو جهة الخلف، و «القُبل» جهة القُدّام، ويكنّى بهما عن الفرج، وجمع «القُبل»: أقبال.

ومعنى قوله: ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ أي: لا يلتفت إلى ما خلف ورائِهِ، كما يقول القائل: امض لشأنك، ولا تعرّج على شيء، وقيل: لئلّا يرى هو ما ينزل بهم ممّا لا تطيقه نفسه[٦] ﴿وامضوا حيث تُؤمرون﴾ أي: حيث تُؤمَرون بالمصير إليه.

وقوله: ﴿وقضينا إليه﴾ أي: أخبرناه وأعلمناه ﴿ذلك الأمر﴾ أي: ما

---

(١) كذا في المخطوطتين، وفي الحجريّة: «يسوي».

(٢) لامرئ القَيسْ من قصيدة أنشدها في مرضه. راجع ديوان امرئ القيس: ١٧٥ وفيه: «مَطَوْت».

(٣) قاله مقاتل، كما في تفسير الماوردي ٣: ١٦٥.

(٤) قاله الطبري ذيل الآية.

(٥) في معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٨٢ بقطع من الليل أي بعد ما يمضي شيء صالح من الليل وانظر الغريبين للهروي ٥: ١٥٦١.

(٦) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ١٨٢.

ينزل بهم من العذاب.

وقوله: ﴿أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ موضع ﴿أنّ﴾ نصب على البدل من الأمر، ويجوز أن يكون نصباً على حذف الجارّ، والمعنى: بأنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين، و «الدابر»: الأصل، وقيل: «دابرهم» آخرهم، وعقب الرجل: دابره[1] ﴿مصبحين﴾ نصب على الحال أي: في حال ما دخلوا في وقت الصبح، ومثله قوله: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾[2] نصب على الحال.

قوله [تعالى]:

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ خمس آيات بلا خلاف.

هذا إخبار من الله تعالى أنّه حين بلغ أهل المدينة نزول من هو في صورة الأضياف بلوط، جاءوا إليه مستبشرين فرحين، يقال: استَبْشَر استبشاراً، وأَبْشَر إبْشاراً بمعنىً واحد، وضدّه: اكتَأَبَ اكتآباً، وإنّما فرحوا طمعاً في أن ينالوا الفجور منهم، فقال لهم لوط: ﴿إنّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحونِ﴾ فيهم، و «الفيضحة»: ظهور السيّئة الّتي يلزم العار بها عند من عملها، يقال: فَضَحَهُ يَفْضَحُهُ فَضِيحةً، وافتَضَحَ افْتِضاحاً، وتَفاضَحُوا تَفاضُحاً، ثمّ قال لهم: ﴿اتّقوا الله﴾ باجتناب معاصيه، وفعل طاعته ﴿ولا تخزونِ﴾ و «الخِزْي»: الانقماع بالعيب الّذي يُستَحْيى منه، خَزِيَ خِزْياً،

---

(١) قاله قتادة وابن زيد. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) الآية: ١٧٣الآتية.

وأخْزَاهُ الله إخْزاءً. و «الإخْزاء» و «الإذلال» و «الإهانة» نظائر.

وللضيف ذمام كانت العرب تراعيه وتحافظ عليه، وتعيب من عنده ضيف ولم يقم بحقّه، فلذلك ﴿قال﴾ لهم: ﴿إنّ هؤلاء ضيفي﴾ فقالوا له في الجواب عن ذلك: ﴿أوَ﴾ ليس نهيناك أن تستضيف أحداً من جملة الخلائق أو تنزله عندك؟ فقال لهم عند ذلك: ﴿هؤلاء﴾ وأشار إلى بناته، وقيل: إنّهنّ كنّ بناته لصلبه[١] وقيل: إنّهنّ كنّ بنات قومه عرضهنّ عليهم بالتزويج والاستغناء بهنّ عن الذكران[٢].

وقال الحسن وقَتادة: أراد ﴿هؤلاء بناتي﴾ فتزوّجوهنّ ﴿إن كنتم فاعلين﴾ كناية عن طلب الجماع. وقال الجُبَّائي: ذلك للرؤساء الّذين يكفّون الأتباع، وقد كان يجوز في تلك الشريعة تزويج المؤمنة بالكافر، وقد كان في صدر شريعتنا جائزاً أيضاً ثمّ حُرِّم. وهو قول الحسن.

وقال الزجّاج: أراد نساء أُمّته، فهم بناته في الحكم[٣]. قال الجُبَّائي: وهذا القول كان من لوط لقومه قبل أن يعلم أنّهم ملائكة بُعثوا لإهلاك قومه، وإنّما ذكر مؤخّراً وهو في المعنى مقدّم، ولأنّ مع علمه أنّهم ملائكة لا يحتاج إلى هذا القول لقومه.

قوله [تعالى]:

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ

(١) قاله قتادة كما في تفسير الثعلبي ٥: ٣٤٦. وتفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) قاله مجاهد و سعدبن جبير كما في معالم التنزيل ٣: ١٣٥. وتفسير الطبري ذيل الآية ٧٨ من سورة هود.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٨٣.

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ سبع آيات بلا خلاف.

قال ابن عبّاس رحمه الله: معنى ﴿لعمرك﴾: وحياتك. وقال غيره: هو مدّة حياته وبقائه حيّاً بمعنى «لعمرك ومدّة بقائك حيّاً». و «العَمْر» و «العُمْر» واحد، غير أنّه لا يجوز في القَسَم إلّا بالفتح، قال أبو عُبَيْدَة: ارتفع ﴿لعَمْرُك﴾ وهي يمين، والأيمان تكون خفضاً إذا كانت الواو في أوائلها، ولو كانت «وعَمْرِك» لكانت خفضاً، وكذلك قولهم: «لحقٌّ لقد فعلت ذلك» وإنّما صارت هذه الأيمان رفعاً بدخول اللام في أوّلها لأنّها أشبهت لام التأكيد، فأمّا قولهم: عَمْرَك الله أفعل كذا، فإنّهم ينصبون «عَمْرَك» وكذلك ينصبون «الله لأَفْعَلَنَّ». قال المبرّد: لا أفتحها يميناً، بل هي دعاء ومعناه: اسأل الله لعَمْرُكَ. قال المبرّد: والتقدير: لعمرُكَ ما أُقْسِم به، ومثله: عليَّ عهدُ اللهِ لأفعلَنَّ، فـ«عهدُ الله» رفع بالابتداء، وفيه معنى القَسَم، وكذلك «لاها الله ذا». قال الخليل: «ذا» معناه: ذا ما أُقسِمُ عليه. وحُكِي عن الأَخْفَش أنّه قال: ذا ما أُقسِمُ به، لأنّه قد ذكر الله. وكِلَاهما حسن جميل.

وقوله: ﴿إنّهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ فالسكرة: غمور السهو للنفس، وهؤلاء في سكرة الجهل ﴿يعمهون﴾ أي: يتحيّرون، فلا يبصرون طريق الرشد.

وقوله: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ فالأخذ: فعل يصير به الشيء في جهة الفاعل، فالصيحة كأنّها أخذتهم بما صاروا في قبضتها حتّى هلكوا عن آخرهم، و «الصيحة»: صوت يخرج من الفم بشدّة. ويقال: إنّ الملك صاح بهم صيحةً أهلكتهم. ويجوز أن يكون جاء صوت عظيم من

فعل الله كالصيحة. و «الإشراق»: ضياء الشمس بالنهار، شَرَقَتِ الشمسُ تَشرُقُ شُروقاً: إذا طلعت، وأشْرَقَت إشْراقاً: إذا أضاءت وصَفَت، ومعنى ﴿مشرقين﴾: داخلين في الإشراق.

وقوله: ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ فـ«الجعل»: حصول الشيء على وجهٍ لم يكن بقادر عليه، ومثله: «التصيير» والمعنى: أنّه قلب القرية فجعل أسفلها أعلاها، وأعلاها أسفلها ﴿وأمطرنا عليهم حجارةً﴾ أي: أرسلنا الحجارة كما يرسل المطر ﴿من سجّيل﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّها من طين وهو معرّب[١]. وقيل: هو من «السِجِلّ» لأنّه كان عليها أمثال الخواتيم[٢]، بدلالة قوله: ﴿حجارةً من طين مسوَّمةً عند ربّك﴾[٣].

والثاني: إنّها حجارة معدَّة عند الله تعالى للمجرمين[٤] وأصله: «سجّين» فأُبدِلَت النون لاماً.

فإن قيل: ما معنى إمطار الحجارة عليهم مع انقلاب مدينتهم؟

قلنا فيه قولان:

أحدهما: أنّه أُمطرت الحجارة أوّلاً ثمّ انقلبت بهم المدينة. الثاني: أنّ الحجارة أخذت قوماً منهم خرجوا من المدينة لحوائجهم قبل الفجر، في قول الحسن.

---

(١) قاله الأزهري كما في الغريبين ٣: ٨٦٨.
(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٨٤.
(٣) الذاريات: ٣٣ و ٣٤.
(٤) قاله أبوبكر الهذلي كما نقل الثعلبي في تفسيره ٢: ١٨٤.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ فيما حكاه آيات ودلالات ﴿للمتوسّمين﴾ قال مجاهد: يعني: المتفرّسين. وقال قَتادة: يعني: المعتبرين. وقال ابن زيد: المتفكّرين. وقال الضحّاك: الناظرين. وقال أبو عُبَيْدَة: المتبصّرين[١]. و«المتوسّم»: الناظر في السِمَة الدالّة.

وقوله: ﴿وإنّها لبسبيل مقيم﴾ معناه: أنّ الاعتبار بها ممكن، لأنّ الآثار الّتي يستدلّ بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة «سَدُوم» والهاء كناية عن المدينة الّتي أهلكها الله، وهي مؤنثة. ثمّ قال: ﴿إنّ﴾ فيما قصّ من حكاية هذه المدينة ﴿لآية للمؤمنين﴾ ودلالة لهم. وقيل في وجه إضافة «الآية» إلى «المؤمنين» قولان:

أحدهما: أنّه يصلح أن يستدلّ بها. والآخر: أنّه يفعل الاستدلال بها. وتُضاف «الآية» إلى «الكافر» بشرطٍ واحدٍ وهو أنّه يمكنه الاستدلال بها.

وقوله: ﴿وإن كان أصحاب الأَيْكَة لظالمين﴾ فالأيْكَة: الشجر، في قول الحسن والجمع: «الأيْك» كشجرة وشجر. وقيل: ﴿الأَيْكة﴾ الشجر الملتفّ[٢]، قال أُميّة:

كَبُكاء الحمامِ علىٰ فُروعِ الأَيْـ ـكِ في الطَيرِ الجَرائح

وقيل: «الأَيْكَة» الغيضة[٣]. و ﴿أصحاب الأَيْكة﴾: هم أهل الشجر الّذين أُرسل إليهم شُعَيْب عليه السلام وأُرسل إلى أهل مَدْيَن، وأمّا أهل مَديَن فأُهلكوا بالصيحة، و [أمّا] أصحاب الأيْكة فأُهلكوا بالظلّة الّتي احترقوا بنارها، في

---

(١) مجاز القرآن ١: ٣٥٤.

(٢) قاله الطبري ذيل الآية، وفيه آخر البيت هكذا: «في الغُصُن الجوانح».

(٣) قاله الفرّاء في معانيه ٢: ٩١.

قول قَتادة. فأخبر الله تعالى أنّه أهلك أصحاب الأيْكَة بظلمهم وعتوّهم وكفرهم بآيات الله وجحدهم نبوّة نبيّه.

وقال ابن خالويه: «ليكة» اسم القرية، و الأيكة اسم البلد، كما أنّ «مكّة» اسم البلد، وبكّة اسم البيت. ولم يصرفوا «الأيكة» للتعريف والتأنيث، ويجوز أن يكونوا تركوا صرفه لأنّه معدول عن الألف واللام كما أنّ «شجر» معدول عن «الشجر» فلذلك لم يصرفوه.

قوله [تعالى]:

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّاكَانُواْ يَكْسِبُونَ﴿٨٤﴾ ستّ آيات بلا خلاف.

لمّا أخبر الله تعالى عن أصحاب الأيْكَة أنّهم كذّبوا رسل الله، أخبر بأنّه انتقم منهم بأن أهلكهم ودمّر عليهم. وفرّق الرُّماني بين «الانتقام» و «العقاب» فقال: «الانتقام» نقيض «الإنعام» و «العقاب» نقيض «الثواب» فالعقاب مضمّن بأنّه على المعصية، والانتقام مطلق، وهو هاهنا على المعاصي، لأنّ الإطلاق يصلح فيه التقييد بحذف الإضافة.

وقوله: ﴿وإنّهما﴾ يعني: قريتي قوم لوط، وأصحاب الأيْكة، لبطريقٍ يُؤَمُّ ويُتَّبع ويُهتدَى به، في قول ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك والحسن. وقال أبو عليّ الجُبّائي: ﴿لبإمام﴾ وهو الكتاب السابق الّذي هو اللوح المحفوظ، ثابت ذلك فيه ظاهر. و «الإمام» في اللغة هو المقدَّم الّذي يتبعه مَن بعده، وإنّما كانا بإمام ﴿مبينٍ﴾ لأنّهما على معنى: يجب أن يُتَّبع فيما

يقتضيه ويدلّ عليه، و «المبين»: الظاهر.

وقوله: ﴿ولقد كذّب أصحاب الحِجْر المرسلين﴾ إخبار منه تعالى أنّ أصحاب الحِجْر، ـ وهي مدينة في قول ابن شهاب. وسمّوا أصحاب الحِجْر لأنّهم كانوا سكّانه، كما تقول: أصحاب الصحراء ـ كذّبوا أيضاً الرسل الّذين بعثهم الله إليهم وجحدوا نبوّتهم، وقال قَتادة: هم أصحاب الوادي. وهو من «الحَجْر» الّذي هو الحظر.

وأخبر تعالى أنّه آتاهم الله الدلالات والمعجزات الدالّة على توحيده وصدق أنبيائه ﴿فكانوا﴾ يُعرضون عنها ولا يستدلّون بها ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ ينقرون نقراً، يأمنون فيها من الخراب، وقيل: ﴿آمنين﴾ من سقوطها عليهم. وقيل: كانوا آمنين من عذاب الله. وقيل: من الموت. ونصبه على الحال.

فأخبر تعالى: أنّ هؤلاء ﴿أخذتهم الصيحة مصبحين﴾ أي جاءتهم الصيحة وقت دخولهم في الصباح، ولم يغنهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من نحت البيوت في الجبال، وقيل: ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون في البلاد الفسيحة(١). و «الغنى»: وجود ما ينتفي به الضرّ عنهم.

قوله [تعالى]:

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَابَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ آيتان بلا خلاف .

(١) كذا في «م» و في «ح» والحجريّة: «من الملاذّ القبيحة» بدل «في البلاد الفسيحة»، و ورد في معالم التنزيل ٣: ٢٣٩ والكشف والبيان ٥: ٣٤٧ هكذا: ﴿ما كانوا يكسبون﴾ من الشرك والأعمال الخبيثة.

وجه اتّصال هذه الآية بما تقدّم ذكره هو أنّ الأُمم لمّا خالفوا الحقّ أُهلكوا، لأنّ الله ما خلق ﴿السموات والأرض﴾ إلّا بالحقّ وعلى أنّ الساعة آتية للجزاء، وأنّ جميع ما خلق يرجع إلى عالم به وبتدبيره. وقيل: ما أهلكناهم إلّا بالحقّ كما خلقنا السماوات والأرض بالحقّ، فأخبر تعالى أنّه لم يخلق السماوات والأرض ﴿إلّا بالحقّ﴾ ولوجهٍ من وجوه الحكمة ﴿وإنّ الساعة﴾ وهي يوم القيامة ﴿لآتية﴾ جائية بلا شكّ.

ثمّ أمر نبيّهﷺ أن يصفح، بمعنى: يعفو عنهم عفواً جميلاً، واختلفوا في كونه منسوخاً. فقال قَتادة ومجاهد والضحّاك: إنّه منسوخ بوجوب الجهاد والقتال، وكان الصفح قبل ذلك.

وقال الحسن: هذا فيما بينه وبينهم، لا في ما أمر به من جهة جهادهم.

وقال الجُبَّائي: أمره بأن يحلم عنهم فيما كانوا يسفهون عليه من شتمه وسفاهتهم عليه، فلا يقابلهم بمثله.

ثمّ أخبر تعالى: أنّه ﴿الخلّاق﴾ لما ذكر من السماوات والأرض، عليم بما فيه من المصلحة لعباده ووجه الحكمة فيه.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَاتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَامَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَاتَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ خمس آيات.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّهﷺ أنّه آتاه، أي: أعطاه ﴿سبعاً من المثاني﴾ فقال ابن مسعود وابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر ومجاهد: هي

السبع الطُّوَل[١] سبع سور من أوّل القرآن. وقال قوم: المثاني الّتي بعد المئين قبل المفصّل.

وفي رواية أُخرى عن ابن عبّاس وابن مسعود: أنّها فاتحة الكتاب، وهو قول الحسن وعطاء. ورُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «السبع المثاني أُمّ القرآن»[٢] وهي سبع آيات بلا خلاف في جملتها، وإنّما سُمّيت مثاني ـ في قول الحسن ـ: لأنّها تثنّى في كلّ صلاة وقراءة.

وقيل: المثاني السبع الطُوَل لما يثنّى فيها من الأخبار والأمثال والعِبَر. وقال ابن عبّاس في رواية: ﴿المثاني﴾ القرآن كلّه، لما يثنّى فيه من الحِكَم المصروفة، قال الراجز:

نَشَدْتُكم بمنزّل الفُرقانِ أُمَّ الكتابِ السبع مِنْ مَثَاني

ثنّتين مِن آيٍ من القُرآنِ والسَبْع سَبْع الطُّوَّل الدَوَانِي[٣]

وقد وصف الله تعالى القرآن كلّه بذلك في قوله ﴿الله نزَّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾[٤] فعلى هذا تكون «من» للتبعيض. ومن قال: إنّها الحمد قال: «من» بمعنى تبيين الصفة، تقوله: ﴿اجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[٥].

وقوله: ﴿والقرآن العظيم﴾ تقديره: وآتيناك القرآن العظيم سوَى الحمد.

وقوله: ﴿لا تمدَّنَّ عينيك إلىٰ ما متّعنا به أزواجاً منهم﴾ خطاب للنبيّ ﷺ والمراد به الأمّة، نهاهم الله تعالى أن يمدّوا أعينهم إلى ما مُتّع

---

(١) في الخطيّة: الطوال. (٢) رواه الطبري ذيل الآية مسنداً عن طرق عدّة.

(٣) أنشده أبو عُبَيْدة في المجاز ١: ٧ ولم ينسبه لأحد.

(٤) الزمر: ٢٣. (٥) الحج: ٣٠.

هؤلاء الكفّار به من نعيم الدنيا. ومعنى ﴿أزواجاً منهم﴾: أمثالاً من النعَمِ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ قال الجُبّائي: معناه: لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك. وقال الحسن: لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من النار بكفرهم.

ثمّ أمر نبيّه ﷺ أن يخفض جناحه ﴿للمؤمنين﴾ وهو أن يلين لهم جانبه ويتواضع لهم ويحسّن خُلقه معهم، وأن يقول لهم: ﴿إنّي أنا النذير﴾ يعني: المخوِّف من عقاب الله من ارتكب ما يستحقّ به العقوبة، ومبيّن لهم ما يجب عليهم العمل به.

وقوله: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ قال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر والحسن: هؤلاء هم أهل الكتاب اقتسموا القرآن، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وقال قَتادة: هم قوم من قريش عضوا كتاب الله. وقال ابن زيد: هم قوم صالح تقاسموا لنبيتنّه وأهله. وقال الحسن: أنزلنا عليك الكتاب كما أنزلنا على المقتسمين من قبل، قوم اقتسموا طرق مكّة ينفرون عن النبيّ ﷺ ويقولون: إنّه ساحر، وبعضهم يقول: هو كاهن، وبعضهم يقول: مجنون، فأنزل الله بهم عذاباً أهلكهم به. وتقديره: أنذركم بما[١] أنزل بالمقتسمين، ذكره الفرّاء[٢].

وقوله: ﴿الّذين جعلوا القرآن عضين﴾ أي: جعلوه متفرّقاً بالإيمان ببعضه والكفر ببعض، فعضوه على هذا السبيل الّذي ذمّهم الله بها. وقيل: جعلوه عضين بأن قالوا: سحر وكهانة،في قول قَتادة. وأصل «عِضين»: «عِضَة» منقوصة الواو[٣] مثل: عِزَة وعِزين، قال الشاعر:

---

(١) كذا في الحجريّة، وفي المخطوطتين: «كما»، وفي المصدر: «أنذرتكم ما انزل با المقتسمين».

(٢) معاني القرآن: ٢: ٩١.

(٣) لأنّ أصله: «عِضْوَة» فحذف الواو.

ذاكَ ديـــارٌ يَأْزِمُ المآزِمـــا وعِضَواتٌ تَقْطَعُ اللَهازِما[١]

وقال آخر:

للماء مِن عِضَاتهنّ زَمْزَمَهْ[٢]

وقال رُؤْبَة:

وليسَ دينُ اللهِ بالمعضَّىٰ[٣]

فالمعنى: أنّهم عضوه أي: فرّقوه، كما تُعضَّى الشاة والجزور، وأصل «عِضَة»: عضْوَة فنقصت الواو، ولذلك جُمعِت «عِضِين» باالنون كما قالوا: «عزين» جمع «عِزَة» و الأصل: «عِـزْوَة» ومـثله: ثُـبَة وثـبون، وأصـله: «ثُبْوَة». و العَضِيْهَةُ: الكذب، فلمّا نسبوا القرآن إلى الكذب، وأنّه ليس من قبل الله فقد عَضَهُوا بذلك.

قوله [تعالى]:

فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ سبع[٤] آيات بلا خلاف.

---

(١) أنشده في اللسان: مادة «أزم» ونسبه إلى أبي مهديّة الأعرابي.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٣) نقله أبو عبيدة في مجاز القرآن ١ : ٣٥٥.

(٤) كذا في النسختين، وفي مجمع البيان: «ثمان».

أقسم الله تعالى بقوله: ﴿فو ربّك﴾ يا محمّد، وفي ذلك تشريف للنبيّ ﷺ وتنبيه على عِظَم منزلته عند الله ﴿لنسألنّهم﴾ يعني: هؤلاء الكفّار ﴿أجمعين﴾ وإنّما يسألهم سؤال توبيخ وتقريع، فيقول لهم: لِمَ عضيتم القرآن؟ وما حجّتكم فيه؟ وما دليلكم عليه؟ فيظهر عند ذلك خزيهم وفضيحتهم عند تعذّر جوابٍ يصحّ منهم.

وقوله: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ أمر من الله تعالى لنبيّه ﷺ أن يفرّق بما أُمر به، والمعنى: أُفرقْ بين الحقّ والباطل بما تُؤْمَر به، قال أبو ذُؤَيْب:

وكأنَّهنَّ رِبابَةٌ وكأنَّه يَسَرٌ يُفيضُ على القِداحِ ويَصْدَعُ[1]

وقال مجاهد: معناه: فاجهر بما تُؤْمَر. وإنّما قال: ﴿بما تُؤْمَر﴾ ولم يقل: بما تُؤْمَر به، لأمرَيْن: أحدهما: أنّه حذف «به» كما يقال: آمرك وآمر بك، وأكفرك وأكفر بك، قال الشاعر:

إذا قالَتْ حَذَامُ فَصدِّقُوها فإنَّ القَولَ ما قالَتْ حَذامِ[2]

والثاني: أنّه أراد المصدر كما قال الآخر:

أَمرْتُكَ أمراً جازِماً فَعَصَيْتَني وأَصْبَحْتَ مسْلُوبَ الإمارَة نادِماً[3]

وقوله: ﴿أعرض عن المشركين﴾ أمر له بأن يعرض عن المشركين ولا يخاصمهم إلى أن يأمره بقتالهم.

وقوله: ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾ المعنى: كفيناك شرّهم واستهزاءهم بأن أهلكناهم، وكانوا خمسة نفر من قريش: الوَليد بن المُغِيرة، والعاصُ

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٥٥.

(٢) أنشده في اللسان: مادة «حذم» ونسبه إلى وسيم بن طارق، ويقال: لجيم بن صَعْب.

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية، ونسبه إلى الحُصَيْن بن منذر الرقاشي.

بن وائِل، وأبو زمعة، والأَسْوَد بن عبد يَغُوث، والحارث بن عَيْطَلَة ـ في قول سعيد بن جُبِيْر وقيل: الأسود بن المطَّلب، أهلكهم الله.

وقوله: ﴿الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر﴾: «الذين» في موضع جرّ، لأنّه بدل من ﴿المستهزئين﴾ وصفهم بأنّهم اتّخذوا مع الله إلهاً آخر عبدوه، ثمّ قال: ﴿فسوف يعلمون﴾ وبال ذلك يوم القيامة، وهذا غاية التهديد. ثمّ قال: ﴿ولقد نعلم أنّك﴾ يا محمّد ﴿يضيق صدرك﴾ ويشقّ عليك ﴿ما يقولون﴾ من التكذيب والاستهزاء، ثمّ أمره أن يحمد ربّه على نِعَمه، وأن يكون ﴿من الساجدين﴾ الّذين يسجدون لله، ويوجّهون عبادتهم إليه، وأن يعبد ربّه إلى الوقت الّذي يأتيه ﴿اليقين﴾ ومعناه: حتّى يأتيه الموت، في قول الحسن ومجاهد وقَتادة. وسُمّي يقيناً لأنّه موقن به، توسّعاً وتجوّزاً، لأنّه ممّا يوقن به جميع العقلاء، ويحتمل أن يكون أراد: حتّى يأتيه العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الّذي يزول معه التكليف.

سورة النَحل

هي مكّية إلّا آية، وهي قوله: ﴿والّذينَ هاجرُوا في الله مِن بعدِ ما ظُلِمُوا﴾ الآية[1]. وقال الشعبي: نزلت النَحْل كلّها بمكّة، إلّا قوله: ﴿وإن عاقبتم﴾[2] إلى آخرها. وقال قَتادة: من أوّل السورة إلى قوله: ﴿كن فيكون﴾[3] مكّي، وباقيها مدني. وقال مجاهد: أوّلها مكّي وآخرها مدني. وهي مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها خلاف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله [تعالى]:

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ آية بلا خلاف.

قرأ نافع وعاصم وأبو عمرو: ﴿يشركون﴾ بالياء، وقرأ ابن عامر وابن كثير مثل ذلك، وقرأ حمزة والكسائي بالتاء.

مَن قرأ بالتاء فلقوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾ فردّ الخطاب الثاني إلى الأوّل.

---

(١) النحل: ٤١.
(٢) النحل: ١٢٦.
(٣) النحل: ٤٠.

ومَن قرأ بالياء قال: لأنّ الله أنزل القرآن على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فقال محمّد تنزيهاً لله: ﴿سبحانه وتعالىٰ عمّا يشركون﴾.

وقرأ سعيد بن جُبَيْر: أتىٰ أمر الله فلا تستعجله ورُوي عن ابن عبّاس أنّه قال: المشركون قالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين، فقال الله تعالى: ﴿أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه﴾.

وإنّما قال: ﴿أتىٰ أمر الله﴾ ولم يقل: «يأتي» لأنّ الله تعالى قرّب الساعة فجعلها كلَمْح البصر، فقال: ﴿وما أمر الساعة إلّا كلَمْح البصر أو هو أقرب﴾ [١] وقال: ﴿اقتربت الساعة﴾ [٢] وكلّ ما هو آت قريب، فعبّر بلفظ الماضي ليكون أبلغ في الموعظة، وإن كان قوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾ يدلّ على أنّه في معنى «يأتي».

و ﴿أمر الله﴾ يراد به العذاب، في قول الحسن وابن جُرَيْج وغيرهما. وقال الضحّاك: معناه: فرائضه وأحكامه. وقال الجُبّائي: أمره: القيامة. والأوّل أصحّ، لأنّهم استعجلوا عذابه دون غيره.

و«التسبيح» في اللغة ينقسم أربعة أقسام:

أحدها: التنزيه، مثل قوله: ﴿سبحان الّذي أَسرىٰ بعبده ليلاً﴾ [٣] وقال الشاعر:

أَقُولُ لمّا جاءَني فَخْرُهُ ... سُبحانَ من عَلْقَمَة الفاخرِ [٤]

والثاني: معنى الاستثناء، كقوله: ﴿لولا تُسبِّحون﴾ [٥] أي: هلّا تستثنون.

---

(١) الآية: ٧٧ الآتية. (٢) القمر: ١.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) للأعشى من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة لمّا نافر عامر بن الطفيل. راجع ديوان الأعشىٰ: ٩٤. (٥) القلم: ٢٨.

والثالث: الصلاة، كقوله: ﴿فلولا أنّه كان من المسبِّحين﴾[(١)].

والرابع: النور، جاء في الحديث: «فلولا سُبُحات وجهه» أي: نوره.

ومعنى ﴿تعالىٰ﴾: تعاظم بأعلى صفات المدح عن أن يكون له شريك في العبادة وجميع صفات النقص منتفية عنه.

قوله [تعالى]:

يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ آية بلا خلاف .

قرأ روح والكسائي عن أبي بكر: ﴿تَنَزَّل الملائكةُ﴾ بالتاء وفتحها وفتح النون والزاي ورفع ﴿الملائكة﴾: الباقون بالياء وضمّها وفتح النون وتشديد الزاي وكسرها ونصب ﴿الملائكةَ﴾ إلّا أنّ ابن كثير وأبا عمرو ووَرْشاً يسكّنون النون ويخفّفون الزاي.

من قرأ بالياء ففاعل ﴿يُنزِّل﴾ هو الضمير العائد إلى اسم الله في قوله: ﴿أتىٰ أمر الله﴾ وإسكان النون وتخفيف الزاي وتشديدها، فكلاهما جائزان قال تعالى: ﴿إنّا نحن نزّلنا الذِكْر﴾[(٢)] وقال: ﴿وأنزلنا إليك الذِكْر﴾[(٣)]. فأمّا ما رُوِي عن عاصم من القراءة بالتاء فلأنّه أنّث الفعل بإسناده إلى ﴿الملائكة﴾ كقوله: ﴿إذ قالت الملائكة﴾[(٤)] وبنى الفعل للمفعول به وأسنده إليهم، والأوّل أبْيَن.

أخبر الله تعالى أنّه ينزّل الملائكة بالروح من أمره، واختلفوا في معنى «الروح» هاهنا: فقال ابن عبّاس: أراد به الوحي. وقال الربيع بن أَنَس: أراد

---

(١) الصافّات: ١٤٣.
(٢) الحِجْر: ٩.
(٣) الآية: ٤٤ الآتية.
(٤) آل عمران: ٤٢ و ٤٥.

به كلام الله. وقال قوم: أراد حياة النفوس والإرشاد لهم إلى الدين[١] وقد فسّر تعالى بقوله: ﴿أن أنذروا﴾ وهو بدل من ﴿الروح﴾ وموضعه الجرّ، وتقديره: «بأن أنذروا» لأنّ الموعظة والإنذار للكافر حياة له، لأنّه تعالى شبّه الكافر بالميّت فقال: ﴿أوَ مَن كان مَيْتاً فأحييناه﴾[٢] بالإسلام. والروح تنقسم عشرة أقسام: فالروح: الإرشاد والحياة، والروح: الرحمة قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فروح وريحان﴾[٣] والروح: النبوّة لقوله: ﴿يُلقي الروح من أمره علىٰ من يشاء من عباده﴾[٤] والروح: عيسى روح الله أي: خُلِق من غير بشر، وقال آخرون: من غير فحل، وقيل: إنّه سمِّي بذلك لكونه رحمة على عباده بما يدعوهم إلى الله. والروح: جبرائيل عليه السلام والروح: النفخ، يقال: أحييت النار بروحي أي: بنفخي، قال ذو الرُمَّة يصف الموقد والزندة:

فلمَّا بَدَتْ كَفَّنتُها وهي طِفْلةٌ بِطَلْساءَ لم تَكْمُلْ ذِراعاً ولا شِبْراً
وقلتُ له ارفَعْها إليكَ وأَحْيِها بِرُوحِكَ واْقْتَتْهُ لها قِيتَةً قَدْراً[٥]

والروح: الوحي قال الله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾[٦] قيل: إنّه جبرئيل، وقيل: الوحي. والروح: مَلَك في السماء من أعظم خلقه، فإذا كان يوم القيامة وقف صفّاً، والملك كلّهم صفّاً، والروح: روح الإنسان، وقال ابن عبّاس: في الإنسان روح ونفس، فالنفس هي الّتي تكون فيها التمييز والكلام، والروح هو الّذي يكون به الغطيط والنَفَس، فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه، وإذا مات خرجت نفسه وروحه معاً.

(١) منهم الزجّاج في معانيه ٣: ١٩٠. (٢) الأنعام: ١٢٢. (٣) الواقعة: ٨٩.
(٤) غافر: ١٥. (٥) من قصيدة يصف ركباً ومتاعاً له. راجع: ديوان ذي الرُمَّة: ٤٨٧.
(٦) الشورى: ٥٢.

وقوله: ﴿علىٰ من يشاء من عباده﴾ يعني: الأنبياء يأمرهم أن يخبروا عباده أنّه لا إله يستحقُّ العبادة غير الله تعالى، ويأمرهم بأن يتّقوا معاصيه ويفعلوا طاعاته.

قوله [تعالى]:

خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي: ﴿تشركون﴾ بالتاء في الموضعَيْن لقوله: ﴿فلا تستعجلوه﴾ فردّ الخطاب إلى الأوّل. ومن قرأ بالياء فلما تقدّم ذكره.

احتجّ الله تعالى بهذه الآية وما قبلها وبعدها على خلقه، وأعلمهم عظيم نِعَمِه، ودلّهم على قدرته، إذ ﴿خلق السماوات والأرض﴾ بما فيهما من العجائب والمنافع، و ﴿خلق الإنسان من نُطفة﴾ مهينة ضعيفة سيّالة، فرتبها[1] ودبّرها حتّى صارت إنساناً يخاصم ويُبِين، ولو وضعت النطفة بين أيدي الخلائق فاجتهدوا وفكّروا ما قدروا على قلبها، ولا عرفوا كيف يمكن ويتأتّى أن تقلب حالاً بعد حال حتّى تصير فيها روح وعقل وسمع وبصر، وحتّى تنطق وتعرب عن نفسها وتحتجّ فتدفع عنها.

وقيل في معنى ﴿خصيم مبين﴾ قولان:

أحدهما: إنّه أخرج من النطفة ما هذه صفته، ففي ذلك أعظم العِبْرة.

والثاني: لمّا خلقه ومكّنه خاصم عن نفسه خصومةً أبانَ فيها عن نفسه. وقيل: إنّه يحتمل ثلاثة أوْجه: أحدها: تعريف قدرة الله في إخراجه من النُطفة ما هذه سبيله. الثاني: تعريف نِعَم الله في تبليغ هذه المنزلة مَن

---

(١) في الحجريّة: «فربّاها».

خلق الله من نُطفة. الثالث: تعريف فاحش ما ارتكب الإنسان من تضييع حقّ الله بالخصومة[١].

قوله [تعالى]:

وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

﴿الأنعام﴾ جمع «نَعَم» وهي الإبل والبقر والغنم، سُمِّيت بذلك لنعمة[٢] مشيها، بخلاف الحافر الّذي يصلب مشيها. ونصبت بفعل مقدّر يفسّره ما بعده، والتقدير: وخلق الأنعام خلقها، وإنّما نصب لمكان الواو العاطفة على منصوب قبله، وقوله: ﴿خلقها لكم﴾ تمام، لأنّ المعنى: خلق الأنعام لكم، أي: لمنافعكم.

ثمّ أخبر فقال: ﴿فيها دفء﴾ والدفء: ما استدفأت به، وقال الحسن: يريد ما استُدْفِئَ به من أوبارها وأصوافها وأشعارها. وقال ابن عبّاس: هو اللباس من الأَكْسية وغيرها، كأنّه سمِّي بالمصدر، ومنه: دَفُؤَ يومنا دِفْأً، ونظيره: «الكنّ» قال الفرّاء: كُتِبَت «دِفْ» بغير همز، لأنّ الهمزة إذا سكن ما قبلها حذفت من الكتاب، ولو كُتِبَت في الرفع بالواو وفي النصب بالألف وفي الخفض بالياء كان صواباً[٣].

وقال قَتادة: ﴿فيها دفء ومنافع﴾ معناه: منفعة هي بُلغَة، من الألبان وركوب ظهرها ﴿ومِنها تأكلُون ولكم فيها جمال حين تريحون﴾ وذاك

(١) قالها الماوردي في النكت والعيون ٣: ١٧٩.
(٢) في هامش الحجريّة: «لنعومة» ظاهراً.
(٣) معاني القرآن ٢: ٩٦.

أعجب ما يكون إذا راحت[١] عظاماً ضروعها، طوالاً أسنمتها ﴿وحين تَسرحون﴾ إذا سرحت لرعيها. فالسروح: خروج الماشية إلى المرعى بالغداة، والإراحة: رجوعها من المرعى عشيّاً، سَرَحَتِ الماشيةُ سَرْحاً وسُرُوحاً، وسَرَحَها أهلُها، قال الشاعر:

كأَنَّ بَقَايا الإِثْرِ فوقَ مُتُونِهِ
مَدَبُّ الدَبَىٰ فَوْقَ النَقَا وهو سارِحُ[٢]

وقوله: ﴿وتحمل أثقالكم﴾ يعني: هذه الأنعام تحمل أثقالكم، وهو جمع «الثِقْل» وهو المتاع الّذي يثقل حمله، وجمعه: أَثْقال ﴿لَم تكونوا بالغيه إلّا بشقّ الأنفس﴾ «والبلوغ»: المصير إلى حدٍّ من الحدود، بَلَغَ يَبْلُغُ بُلُوغاً، وأَبْلَغَه إِبْلَاغاً، وبَلَّغُهُ تَبْليغاً وتَبَلَّغ تَبَلُّغاً، وتَبالَغَ تَبالُغاً. و «الشقّ» المشقّة، وفيه لغتان: فتح الشين وكسرها. فالكسر عليه القُرَّاء السبعة بالفتح قرأ أبو جعفر المدني. و «الشِقّ» أيضاً: أحد قِسْمَي الشيء الّذي في إحدى جهتيْه، وقال قَتادة: معناه: بِجهد الأَنْفُس. وكسرت الشين من «شِقّ الأَنْفُس» مع أنّ المصدر بفتح الشين لأَمرَيْن:

أحدهما: قال قوم: هما لغتان في المصدر، قال الشاعر:

وذِي إِبِلٍ يَسْعَىٰ ويَحْسِبُها له أَخي نَصَبٍ منْ شِقّها ودُؤُوبِ[٣]

بالكسر والفتح، وقال العجّاج:

أَصْبَحَ مَسْحولٌ يوازِي شِقّا[٤]

---

(١) في «ح»: «بلغت».

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد، وفيه: «الأُتْن» بدل «الإثْر».

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «شقق» ونسبه إلى النمر بن تَوْلَب.

(٤) أنشده في اللسان: مادّة «شقق».

بالكسر والفتح، بمعنى: يقاسي مشقّة. وقال قوم: إنّ المعنى: إلّا بذهاب شقّ قِوَى النفس، ذكره الفرّاء والزجّاج، واختاره الطبري[(١)].

وقوله: ﴿إنّ ربّكم لروف رحيم﴾ أي: رؤوف بكم رحيم، ومن رحمته أنّه خلق لكم الأنعام لتنتفعوا بها على ما ذكره.

قوله [تعالى]:

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ آيتان بلا خلاف.

هذه الآية عطف على الّتي قبلها، فلذلك نصب ﴿والخيلَ﴾ وتقديرها: وخلق الخيل، وهي الدوابّ الّتي تُركَب ﴿والبغال﴾ واحدها: بَغْل ﴿والحمير﴾ واحدها: حمار ﴿لتركبوها﴾ وتتزيّنوا بها، ونصب ﴿وزينةً﴾ بتقدير: وجعلها زينةً ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من أنواع الحيوان والجماد والنبات لمنافعكم، ويخلق من أنواع الثواب للمطيعين، وأنواع العقاب للعصاة ما لا تعلمون.

وحُكِي عن ابن عبّاس: أنّ الآية دالّة على تحريم لحم الخيل، لأنّها للركوب والزينة، والأنعام لِما ذكر قبلُ، وهو قول الحَكَم والأَسْودَ، وقالوا: لأنّه تعالى ذكر في آية الأنعام: ﴿ومنها تأكلون﴾ ولم يذكر ذلك في آية الخيل بل ذكرها للركوب والزينة.

وإبراهيم لم يَرَ به بأساً[(٢)] وهو قول جميع الفقهاء، وقال جابر: كنّا

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٩١ ومعاني القرآن ٢: ٩٧ وتفسير الطبري: ذيل الآية.

(٢) انظر تفسير الطبري ذيل الآية وإبراهيم هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النَخَعي الكوفي، ولد عام ٥٠ هوكان تابعيّاً، روى عن عائشة وأنس، وكان أحد الفقهاء الكبار بالكوفة، وينسب إليه أنّه كان يعتمد الرأي في الفقه، توفّي سنة ٩٦ ه(حلية الأولياء ٤: ٢١٩ـ٢٤٠).

نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله ﷺ (١).

وقوله: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ قال ابن عبّاس: معناه: بيان قصد السبيل، أي: بيان الهدى من الضلال ﴿ومنها جائرٌ﴾ أي: عادل عن الحقّ، فمن الطريق ما يهدي إلى الحقّ، ومنها ما يضلّ عن الحقّ، ثمّ قال: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الحسن والبلخي: لو شاء لهداكم بالإلجاء، لأنّه قادر علىٰ ذلك.

الثاني: قال الجُبَّائي: لو شاء لهداكم إلى الجنّة.

قوله [تعالى]:

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم إلّا الأعشى والبُرْجُمي: ﴿نُنبت﴾ بالنون، الباقون بالياء.

من قرأ بالياء فلِمَا تقدّم من قوله: ﴿هوالّذي أنزل من السماء ماء... ينبت لكم﴾ وهو أشكل بما تقدّم، والنون لا يمتنع أيضاً، يقال: نَبَتَ البقلُ وأَنْبَتَه الله، وقد روي: أنْبَتَ البقلُ، وأنكر الأصمعي، وقال قصيدة زُهَيْر الّتي فيها:

حتّىٰ إذا أنْبَتَ البَقْلُ (٢)

(١) رواه الطبري ذيل الآية وانظر البخاري في الذبائح والصيد الباب ٢٧ لحوم الخيل ومسلم في الصيد والذبائح الباب ٦ في أكل لحوم الخيل.

(٢) وتمام البيت:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتىٰ اذا انبت البقل

وهو لزهير بن أبي سلمى، انظر: الحجة للقرّاء السبعة ٣: ٣١.

مبهمة. قال أبو عليّ: فأمّا قوله: ﴿تَنْبُتُ بالدُهْن﴾[١] فيجوز أن تكون الباء زائدة، كقوله: ﴿ولا تُلقُوا بأيديكم﴾[٢] قال: ﴿وألقىٰ في الأرض رواسي أن تميد﴾[٣] فعدّى ﴿ألقىٰ﴾ مرّة بالباء وأُخرى بغير باء، وإذا ثبت أن «أَنبت» في معنى «نَبَت» جاز أن تكون الباء للتعدّي، كما لو كانت مع «نَبَت» كان كذلك، ويجوز أن تكون الهمزة في «أنبت» للتعدّي والمفعول محذوف والباء للحال، كأنّه قال: تَنْبتُ ثمره بالدُهْن، فحذف المفعول و«بالدُهْن» في موضع حال، كأنّه قال: تنبت وفيه دهن، ويجوز في ﴿تَنْبتُ بالدُهْن﴾: أن تَنْبتُ ما فيه دُهْن[٤].

أخبر الله تعالى: أنّه الّذي ينزّل ﴿من السماء ماءً﴾ يعني: غَيْثاً ومطراً لمنافع خلقه، من ذلك الماء شراب تشربونه، ومن ذلك نبات الشجر، و«الشجر»: ما ينبت من الأرض وقام على ساقٍ وله ورق، وجمعه: أشجار، ومنه: «المُشَاجَرَة» لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر، وقال الأزْهَري: ما نبت من الأرض شجر، قام على ساقٍ أو لم يقم، ترعاه الإبل والأنعام كلّها.

وقوله: ﴿فيه تسيمون﴾ أي: ترعون؛ يقال: أَسَمْتُ الإبل إذا رَعَّيْتُها، وقد سامَت تَسُومُ فهي سائمة إذا رَعَت. وأصل «السَوْم»: الإبعاد في المرعى، و «السَوْم» في البيع: الارتفاع في الثمن. و «الإنْبات»: إخراج الزرع، والإنسان يزرع والله تعالى يُنْبِت ويُجري العادة.

وقوله: ﴿ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كلّ الثمرات﴾ أي: يُنبت بذلك الماء هذه الأشياء الّتي عدّدها لتنتفعوا بها. ثمّ

---

(١) المؤمنون: ٢٠. (٢) البقرة: ١٩٠.
(٣) النحل: ١٥، ولقمان: ١٠. (٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٣٢.

أخبر ﴿انّ في ذلك﴾ لدلالة وحجّة واضحة لمن يفكّر فيه فيعرف الله به، وإنّما أضاف الدلالة إليهم لأنّهم الّذين انتفعوا بها، ولأنّ مَن لم يفكّر فيها فكأنّها لم تنصب له.

قوله [تعالى]:

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ آيتان بلا خلاف .

قرأ ابن عامر: ﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخّراتٌ﴾ بالرفع فيهنّ كلّهنّ، وافقه حفص في رفع ﴿والنجومُ مسخّراتٌ﴾ والباقون بالنصب فيهنّ كلّهنّ.

أمّا ابن عامر فإنّما رفع ذلك لأنّه جعل الواو واو حالٍ وابتدأ ﴿والشمس﴾ رفع بالابتداء ﴿والنجوم﴾ نسق عليها ﴿والقمر﴾[1] والـ﴿مسخّرات﴾ رفع خبرها، ومَن نصبها كلّها جعلها منسوقة على قوله: ﴿وسخّر لكم الليل النهار﴾. وأمّا حفص فإنّما رفع ﴿النجومُ مسخّراتٌ﴾ لأنّه لا يصحّ أن يقول وسخّر النجوم مسخّرات، فقطعها ممّا قبلها، فعلى هذا حجّة من نصب أن يقدّر فعلاً آخر ينصبه به، وتقديره: وجعل النجومَ مسخّرات.

ووجه تسخير الشمس والقمر والليل والنهار: أنّ الليل والنهار إنّما يكون بطلوع الشمس وغروبها، فما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر ـ وهو ضوء الشمس ـ فهو ليل، وما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس فهو نهار، فالله تعالى سخّر الشمس على هذا التقدير لا يختلف لمنافع خلقه ومصالحهم، وليستدلّوا بذلك على أنّ المسخِّر لذلك والمقدِّر له حكيم. ثمّ بيّن ﴿إنّ في ذلك﴾ التسخير لدلالات ﴿لقومٍ يعقلون﴾ عن الله،

---

(١) في هامش الحجريّة: «أي نسق عليها».

ويتبيّنون مواضع الاستدلال بأدلّته.

وقوله: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه﴾ معنى ﴿ما﴾: «الّذي» وموضعه النصب، والتقدير: وخلق لكم ما.

أخبر الله تعالى: أنّ الّذي خلقه وأظهره من الأجسام المختلفة الألوان ﴿إنّ في ذلك﴾ دلالة ﴿لقومٍ يذّكّرون﴾ وأصله: يتذكّرون، فأُدغِمَت التاء في الذال. و «الذَرْء»: إظهار الشيء بإيجاده، ذَرَأَه يَذْرَؤُهُ ذَرْءاً، و «ذَرَأَه» و«فَطَرَه» و «أَنشَأَه» نظائر، و «ملح ذَرْآنيٌّ»: ظاهر البياض. و«الاختلاف» هو الامتناع من أن يسدّ أحد الشيئين مسدّ الآخر، ونقيضه: الاتّفاق.

قال قَتادة: قوله: ﴿وما ذرأ لكم في الأرض﴾ معناه: خلق لكم ﴿مختلفاً ألوانه﴾ من الدوابّ والشجر والثمار، نِعَماً ظاهرة فاشكروها لله.

قال المؤرّج: «ذَرَأَ» بمعنى «خَلَقَ» بِلُغَة قريش.

قوله [تعالى]:

وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ثلاث آيات بلا خلاف .

وهذا تعديد لنوع آخر من نِعَمِه، فقال: ﴿وهو الّذي سخّر البحر﴾ أي ذلّله لكم، وسهّل لكم الطريق إلى ركوبه، واستخراج ما فيه من أنواع المنافع فتصطادون منه أنواع السمك، فتأكلون لحمه ﴿طريّاً﴾ ولا يجوز أن تهمز «طريّاً» لأنّه من «الطراوة» لا من «الطراءة» ﴿وتستخرجوا﴾ من البحر ﴿حِلْيَةً﴾ يعني: اللؤلؤ والمرجان الّذي يخرج من البحار

﴿تلبسونها﴾ وتتزيّنون بها ﴿وتَرى الفُلْك﴾ يعني: السفن ﴿مواخرَ فيه﴾ قال الحسن: معناه: مقبلة ومدبرة بريحٍ واحدةٍ. وقال قوم: معناه مثقّلة. و«المواخر» جمع «ماخرة» و «المَخْر»: شقّ الماء من عن يمين وشمال، يقال: مَخَرَتِ السفينةُ الماءَ تَمْخَرُ مَخْراً فهي ماخِرَة، و «المَخْر» أيضاً: صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها.

وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي: ولتلتمسوا[1] من فضل الله ونِعَمه بركوب البحر، ولكي تشكروه علىٰ أياديه، والواو دخلت ليُعلَم أنّ الله خلق ذلك وأراد جميع ذلك وقصده. ثمّ أخبر أنّه ﴿ألقى في الأرض رواسي﴾ وهو جمع «راسِيَة» وهي الجبل العالي الثابت ﴿أن تميد بكم﴾ أي: لئلّا تميد بكم الأرض. وقال الزجّاج: معناه: كراهة أن تميد[2]. ولم يجز حذف «لا» و «المَيْد»: الميل يميناً وشمالاً، وهو الاضطراب، مادَ يَميدُ مَيْداً وهو مائِدٌ.

وقوله: ﴿وأنهاراً وسبلاً﴾ تقديره: وجعل لكم أنهاراً، لدلالة ﴿ألقىٰ﴾ عليه، لأنّه لا يجوز أن يكون عطفاً على ﴿ألقى﴾ ومثله قول الشاعر:

تَسْمَعُ في أَجْوافِهِنَّ صَرَدا   وفي اليَدَيْنِ جسْأَةً وبَدَدا[3]

أي: وترى في اليَدَيْن يبساً وتفرّقاً، ومثله قولهم: «عَلَفْتها تبناً وماءً بارداً» والمعنى: وسقيتها ماءً، ومثله كثير. ﴿وسُبُلاً﴾ عطف على ﴿أنهاراً﴾ لكي تهتدوا بها في سلوككم، وانتقالكم في أغراضكم.

وقوله: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ أي: جعل لكم علامات،

---

(١) في الحجريّة: «ولتكتسبوا». (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٩٣.

(٣) أنشده الفرّاء في معانيه ١: ٤٠٥ ولم ينسبه لأحد، وفيه: «تسمع للأحشاء منه لغطاً».

وقيل: إنّها الجبال[١] ونحوها، قال ابن عبّاس: يعني الجبال يُهتدى بها نهاراً، والنجم يُهتدى به ليلاً، وهو اختيار الطبري[٢] و «العلامة»: صورة يُعلَم بها المعنى، من خطٍّ أو لفظٍ أو إشارةٍ أو هيئة، وقد تكون وضعية، وقد تكون برهانية.

وقوله: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ فالنجم هو الكوكب، ويقال: نَجَمَ النَبْتُ إذا طَلَع تشبيهاً بطُلُوع النَجْم. وإنّما قال هاهنا: ﴿وبالنجم﴾ فوحّد، وقال فيما تقدّم: ﴿والنجوم مسخّرات﴾ لأنّ النجوم على ثلاثة أضْرُب: ضرب يُهتَدى بها مثل الفَرْقَدَيْن والجدي لأنّها لا تزول، وضرب هي الشُهُب، وضرب هي زينة السماء، كما قال: ﴿زيّنا السماء الدنيا بزينةٍ الكواكب﴾[٣] فقوله: ﴿وبالنجم﴾ يجوز أن يريد به النجوم، فأخبر بالواحد عن الجميع، كما قال: ﴿أو الطفل الّذين لم يظهروا علىٰ عورات النساء﴾[٤] والنجم في قوله: ﴿والنجم الثاقب﴾[٥] يريد الثريّا فقط ﴿والنجم إذا هوىٰ﴾[٦] يعني: نزول القرآن إذا نزل به جبرائيل عليه السلام وقوله: ﴿والنجمُ والشجرُ يسجدان﴾[٧] يريد: كلّما نَجَم من الأرض أي: نَبَت ممّا لا يقوم على ساقٍ، كالبطّيخ والقَرع والضَغابيس وهو القِثّاء الصغار، ويُشبَّه الرجل الخسيس بالضُغْبُوس، أنشد ابن عرفة:

قَد جَرَّبَتْ عَرَكِي في كُلِّ مُعْتَرَكٍ غُلْبُ الأُسُودِ فَمابالُ الضغَابِيسِ[٨]

---

(١) قاله الماوردي في النكت والعيون ٣: ١٨٢ ونقله الطبري عن الكلبي في تفسيره ذيل الآية.
(٢) تفسير الطبري ذيل الآية. (٣) الصافّات: ٦. (٤) النور: ٣١.
(٥) الطارق: ٣. (٦) النجم: ١. (٧) الرحمن: ٦.
(٨) البيت منسوب لجرير من قصيدة يهجو التيم. راجع ديوان جرير: ٢٥١.

قوله [تعالى]:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾ آيتان بلا خلاف .

في هذه الآية ردّ على عُبَّاد الأصنام والأوثان بأن يقال: ﴿أفمن يخلقُ﴾ ما تقدّم ذكره من السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من أنواع العجائب ﴿كمن لا يخلق﴾ ذلك من الأصنام الّتي هي جمادات؟ فكيف توجّه العبادة إليها، ويُسوَّى بينها وبين خالق جميع ذلك؟ ﴿أَفَلا﴾ يتفكّرون في ذلك ويعتبرون به؟ فإنّ ذلك من الخطأ الفاحش. وجعل ﴿مَن﴾ فيما لا يعقل، لِمَا اتّصلت بذكر الخالق.

وتعلّق بهذه الآية المجبِّرة، فقالوا: أعلمنا الله تعالى أنّ أحداً لا يخلق، لأنّه خلاف الخالق، وأنّه لو كان خالق غيره لوجب أن يكون مثله ونظيره! وهذا باطل، لأنّ «الخلق» ـ في حقيقة اللغة ـ هو التقدير والإتقان في الصنعة، وفعل الشيء لا على وجه السهو والمجازفة، بدلالة قوله: ﴿وتخلُقُون إفْكاً﴾ [١] وقوله: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ [٢] وقوله: ﴿أحسن الخالقين﴾ [٣] فأعلمنا أنّ غيره يكون خالقاً لأنّه لو لم يستحقّ اسم «خالق» غيره لما قال: ﴿أحسن الخالقين﴾ كما لا يجوز أنّه أعظم الآلهة لما لم يستحقّ الإلهية غيره، وقال زُهَيْر:

ولأَنْتَ تَفْري ما خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القومِ يَخلُقُ ثُمَّ لا يَفْرِي [٤]

---

(١) العنكبوت: ١٧. (٢) المائدة: ١١٠. (٣) المؤمنون: ١٤، والصافّات: ١٢٥.

(٤) من قصيدة يمدح هرم بن سنان. راجع ديوان زهير بن أبي سلمىٰ: ٢٩.

وقال الحجّاج: لا أَعِدُ إلّا وَفَيْتُ، ولا أَخْلُقُ إلّا فَرَيْتُ[١] وقال الشاعر:

ولا يَـئِطّ بأَيْـدِي الخـالقينَ ولا أَيـدي الخـوالق إلّا جِـيدُ الأدمِ

فعلمنا بذلك جواز تسمية غيره بأنّه خالق، إلّا أنّا لا نطلق هذه الصفة إلّا فيه[٢] تعالى لأنّ ذلك يوهم، فإذا ثبت ذلك فالوجه في الآية ما قدّمنا ذكره من الردّ على عُبّاد الأصنام والجمادات الّتي لا تقدر على ضرّ ولانفع ولا خلق شيء، ولا استطاعة لها على فعل، وأنّ مَن سوّى بينها وبين من خلق ما تقدّم ذكره من أنواع النِعَم وأشرك بينهما في العبادة كان جاهلاً بعيداً عن الصواب، عادلاً عن طريق الهدى.

ويقوّي ذلك أنّه قال عقيب هذه الآية: ﴿والّذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلَقُون أمواتٌ غير أحياءٍ﴾ فعلمنا أنّه أراد بـذلك ماقدّمناه من إسقاط رأيهم وتسويتهم بين الجماد والحيّ، والفـاعل ومَـن ليس بفاعل، وهذا واضح.

وقوله: ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ قال الحسن: لا تـحصوها بأداء حقّها وتعظيمها. وقال الجُبّائي: لا تحصوها مفصّلة لكثرتها وإن صحّ منكم إحصاؤها على وجه الجملة.

قوله [تعالى]:

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَاتُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَايَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾

ثلاث آيات.

قرأ يعقوب وحفص ويحيى والعـليمي: ﴿والّـذين يـدعون﴾ بـالياء،

---

(١) حكاه في اللسان: مادّة «خلق».

(٢) في الحجريّة بدل «فيه» «لله».

الباقون بالتاء.

قال أبو عليّ: هذا كلّه على الخطاب، لأنّ ما بعده خطاب، كقوله بعد: ﴿أفلا تذكّرون﴾ وقوله: ﴿وألقىٰ في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾[1] ﴿وإلٰهكم إلٰهٌ واحد﴾[2] فكلّ هذا خطاب.

فإن قلت: إنّ فيه ﴿والّذين يدعون من دون الله﴾ فإنّه لا يكون خطاباً للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولا للمسلمين.

قيل: التقدير في ذلك: قل لهم: والّذين تدعون من دون الله، فلا يمتنع الخطاب على هذا الوجه، ولهذا قرأ عاصم بالياء لما كان عنده ذلك إخباراً عن المشركين، ولم يجز أن يكون في الظاهر خطاباً للمسلمين[3]. وفي هذه الآية أيضاً احتجاج على عبّاد الأصنام لأنّ الله تعالى أخبر نبيّه وقال: قل لهم: إنّ الله الّذي يستحقّ العبادة هو الّذي يعلم ما يظهرونه وما تستسرّون به ويخفونه، وإنّ ﴿الّذين يدعون[4] من دون الله﴾ من الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ فضلاً عن أن يخلقوا ما يستحقّ به العبادة، ﴿وهم﴾ مع ذلك مخلوقون مربوبون، وهم مع ذلك ﴿أمواتٌ غير أحياءٍ﴾ وإنّما قال: أموات غير أحياء، لأنّها في حكم الأموات في أنّها لا تعقل شيئاً، وقيل: ﴿غير أحياء﴾ على وجه التأكيد بما صارت به كالأموات، لأنّه قد يقال للحيّ: هو كالميّت إذا كان بعيداً من أن يعلم.

و ﴿أَموات﴾ رفع بأنّه خبر ابتداء، والتقدير: هنّ أموات غير أحياء، ويجوز أن يكون خبراً عن ﴿الّذين﴾ والتقدير: والّذين يدعون أموات.

---

(١) في الآية: ١٥. (٢) في الآية: ٢٢. (٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٣٤.

(٤) في الحجريّة: الأفعال بالياء، وإن كان السياق يقتضي التاء.

وقوله: ﴿وما يشعرون أيّان يبعثون﴾ أي: هم لا يعلمون أيّ وقت يحشرهم الله للجزاء والحساب، بل ذلك لا يعلمه إلّا الله تعالى. ومعنى «أيّان»: متى، و «متى» أَوضح لأنّه أغلب في الاستعمال، فلذلك فسِّر به «أيّان» وهو سؤال عن الزمان، كما أنّ «أين» سؤال عن المكان.

وقال الفرّاء: معناه هي أموات فكيف تشعر متى تُبعَث يعني: الأصنام. قال: ويُقال للكفّار أيضاً: وما يشعرون أيّان يُبعثون. و «إِيَّان» بكسر الهمزةِ لُغة سُلَيمْ، قرأها أبو عبدالرحمن السُلَمي[1].

قوله [تعالى]:

إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَاجَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَايُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَايُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣) آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى لعباده: إنّ ﴿إلهكم﴾ الّذي يستحقّ العبادة ﴿إلهٌ واحد﴾ لأنّه لا يقدر على ما يستحقّ به العبادة من أُصول النِعَم سواه، ثمّ قال: إنّ ﴿الذين لا﴾ يصدّقون ﴿بالآخرة﴾ وبالبعث والنشور والثواب والعقاب، تجحد ﴿قلوبهم﴾ وتنكر ما ذكرناه ﴿وهم﴾ مع ذلك يستكبرون أي: يمتنعون من قبول الحقّ، أَنَفةً من أهله، و «الاستكبار»: طلب الترفّع بترك الإذعان للحقّ.

ثمّ قال تعالى: ﴿لا جَرَم﴾ أي: حقّ ووجب أنّه ﴿يعلم ما﴾ يبطنونه ويخفونه في نفوسهم وما يظهرونه، لا يخفى عليه منه شيء و ﴿إنّه لا يحبّ المستكبرين﴾ يعني: لا يريد ثوابهم ولا منافعهم، ولا يفعل ذلك بهم

(١) معاني القرآن ٢: ٩٨ـ٩٩.

لكونهم مستحقّين للعقاب.

قوله [تعالى]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى: ﴿إذا قيل﴾ لهؤلاء الكفّار على وجه الاستفهام: ﴿ما﴾ الّذي ﴿أَنزل ربّكم﴾ على نبيّه محمدﷺ؟ أجابوا بأن ﴿قالوا أساطير الأَوَّلين﴾ يعني: أحاديث الأوَّلين الكاذبة، في قول ابن عبّاس وغيره، واحدها: «أُسْطُورة» سمِّي بذلك لأنّهم كانوا يسطرونها في الكتب.

وقوله: ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي: أثقالهم من المعاصي: و «الوِزْر»: الإثم، و «الوِزْر» الثقل، ومنه: «الوزير»؛ لأنّه يحمل الأثقال عن الملك، يقال: وازَرَهُ على أمره أي: عاوَنَه بحمل الثقل معه، واللام لام العاقبة، لأنّهم لم يقصدوا بما فعلوه ليتحمّلوا أوزارهم.

وقوله: ﴿كاملة﴾ معناه: حملوا المعاصي تامّة على أقبح وجوهها من غير اختلال بشيءٍ منها(١) ﴿ومن أوزار الّذين يضلّونهم بغير علم﴾ معناه: أنّهم يتحمّلون مع أوزارهم من أوزار من أضلّوه عن دين الله وأغْوَوْه عن اتّباع الحقّ، بغير علمٍ منهم بذلك بل جاهلين به. والمعنى: أنّ هؤلاء كانوا يصدّون من أراد الإيمان بالنبيّﷺ فعليهم آثامهم وآثام أتباعهم لاقتدائهم بهم.

وعلى هذا ما روي عن النبيّﷺ أنّه قال: «أيُّما داعٍ دعا إلى الهدى

---

(١) في الحجريّة: «من غير إخلال بشيء منها».

فاتَّبع، فله مثل أُجورهم من غير أن ينقص من أُجورهم شيء، وأيُّما داعٍ دعا إلى الضلالة فإنّ عليه مثل أوزار من اتّبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(١).

والوجه في تحمّلهم أوزار غيرهم أحد شيئين:

أحدهما: أنّه أراد بذلك إغواءهم وإضلالهم، وهي أوزارهم، فأضاف الوِزْر إلى المفعول به، كما قال: ﴿انّي أُريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾(٢).

والثاني: أن يكون أراد اقتداء غيرهم بهم فيستحقّون علىٰ معصيتهم زيادة عقاب، فجاز لذلك أن يُضاف إليهم.

ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بئس الشيء الّذي يتحمّلونه لأنّه يحمل ما يؤدّي إلى العقاب، ومعنى ﴿يزرون﴾: يحملون ثقل الآثام.

قوله [تعالى]:

قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَايَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ نافع وحده ﴿تشاقّون﴾ بكسر النون، أراد: «تشاقّونني» فحذف النون تخفيفاً، وحذف الياء اجتزاءً بالكسرة، وقد ذكر فيما مضى علّة ذلك في قوله: ﴿فَبِم تبشّرون﴾(٣). وقرأ الباقون بفتح النون، لايجعلونه مضافاً إلى الياء. والنون في هذه القراءة علامة الرفع، والنون مع الياء المحذوفة

(١) كتاب سليم بن قيس: ٤٢٩ عن سلمان، وسنن ابن ماجة ١: ٧٥ح ٢٠٥ عن أنس.

(٢) المائدة: ٢٩.

(٣) عند تفسير الآية: ٥٤ من سورة الحجْر المباركة.

في موضع النصب.

ومعنى ﴿تشاقّون﴾ أي: تعادون الله فيهم فتجعلونها[1] شُرَكاء له و«الشقاق» الخلاف في المعنى، ومعنى ﴿تشاقّون﴾: تكونون في جانبٍ والمسلمون في جانب، لا تكونون معهم يداً واحدةً، ومن ثمّ قيل لمن خرج عن طاعة الإمام وعن جماعة المسلمين: شقّ العصا، أي: صار في جانبٍ عنهم، فلم يكن مجتمعاً في كلمتهم.

يقول الله تعالى: إنّ الّذين من قبل هؤلاء الكفّار قد مَكَروا واحتالوا مع رسلهم، و «المكر»: الفتل بالحيلة إلى جهة منكرة، يقال: مَكَرَ به يَمكُرُ مَكْراً فهو ماكِرٌ ومَكَّار، ثمّ قال: ﴿ف﴾إنّ الله تعالىٰ ﴿أتىٰ﴾ أمره وعقابه ﴿بنيانهم﴾ الّتي بنوها فهدمها ﴿فخرَّ عليهم السقف من فوقهم﴾. وقيل في معنى ﴿من فوقهم﴾ قولان:

أحدهما: إنّه قال ذلك تأكيداً، كقولك: قُلتَ أنت. الثاني: إنّهم كانوا تحته[2] وقد يقول القائل: «تهدّمت عليَّ المنازل» وإن لم يكن تحتها، وأيضاً فيعلم أنّهم لم يكونوا فوق السقوف.

وقال ابن عبّاس وزيد بن أَسْلَم: الّذين خرّ عليهم السقف من فوقهم نَمرُود بن كَنْعان. وقال غيرهم: بَخْتنصَّر. وقال الزجّاج وأبوبكر بن الأنباري: المعنى فأتَى الله مكرهم من أصله، أي: عاد ضرر المكر عليهم وبهم[3].

وذكرت «الأساس» مثلاً كما ذكر «السقف» ولا سقف ثَمَّ ولا أساس، وهذا الّذي ذكره يليق بكلام العرب ويشبهه، والمعنى: أنّ الله أتى بنيانهم من القواعد أي: قلعه من أصله، كقولهم: أُتِيَ فلانٌ من مأمنه أي: أتاه

---

(١) في الحجريّة: بالياء.
(٢) وهذا قول قتادة، انظر النكت والعيون ٣: ١٨٥.
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٩٥.

الهلاك من جهة مأمنه.﴿وأتاهم العذاب من﴾ جهة الله وهم ﴿لا يشعرون﴾ أي: لا يعلمون أنّه من جهة الله نزل بهم العذاب.

ثمّ قال: إنّه تعالى مع ذلك ﴿يُخزيهم﴾ يوم القيامة، أي: يذلّهم بأنواع العذاب ﴿ويقول﴾ لهم: ﴿أين شركائي﴾ الّذين اتّخذتموهم آلهة فعبدتموهم، يعني ﴿الّذين كنتم تشاقّون فيهم﴾ الله تعالى، وتخرجون عن طاعة الله.

ثمّ أخبر: أنّ ﴿الذين﴾ أُعطُوا ﴿العلم﴾ والمعرفة بالله تعالى وأُوتوه يقولون لهم: ﴿إنّ الخزي﴾ يعني: الذلّ والهوان ﴿اليوم والسوء﴾ الّذي هو العذاب ﴿على الكافرين﴾ الجاحدين لنِعَمِهِ، المنكرين لتوحيده وصدق أنبيائه.

قوله [تعالى]:

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَاكُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٠) ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة: ﴿الّذين يتوفّاهم﴾ بالياء، الباقون بالتاء. من قرأ بالتاء فلتأنيث لفظة ﴿الملائكة﴾ ومن قرأ بالياء فلأنّ التأنيث غير حقيقي، وقد مضى نظيره كثيراً.

يقول الله تعالى: ﴿إنّ الخزْي اليوم والسوء على الكافرين الّذين تتوفّاهم الملائكة ظالِمي أنفسهم﴾ ف﴿الّذين﴾ في موضع الجرّ بأنّه بدل

من ﴿الكافرين﴾ وإنّما قال ذلك ليعلم به أنّ الوعيد تناول مَن كان مات على كفره، لأنّه إن تاب لم يتوجّه الوعيد إليه. ومعنى ﴿تتوفّاهم الملائكة﴾ أي: تقبض أرواحهم بالموت ﴿ظالمي أنفسهم﴾ بما فعلوه من ارتكاب المعاصي الّتي استحقّوا بها العقاب. و «الظالم»: منَ فعل الظلم، ويصحّ أن يظلم الإنسان نفسه كما يظلم غيره.

وقوله: ﴿فألقوا السَلَم﴾ أي: استسلموا للحقّ حين لا ينفعهم السَلَم والانقياد والإذعان. وقوله: ﴿ما كنّا نعمل من سوء﴾ أي: قالوا: ما عملنا من سوء، فكذّبهم الله وقال: ﴿بلى﴾ قد فعلتم، والله عالم ﴿بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من المعاصي وغيرها، وقيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: ما كنّا نعمل من سوء عند أنفسنا، لأنّهم في الآخرة ملجؤون إلى ترك القبيح والكذب، ذكره الجُبَّائي.

وقال الحسن وابن الأخشاد: و الآخرة مواطن يلجؤون في بعضها دون بعض.

ثم بيّن أنّه تعالى يقول لهم: ﴿ادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها﴾ أي: مؤبّدين فيها ﴿فلبئس مثوى المتكبّرين﴾ قَسَم من الله تعالى أنّها بئس المأوى لمن تكبّر على الله ولم يعمل بطاعته ﴿وقيل للّذين اتّقوا ماذا أنزل ربّكم﴾ أي: أيّ شيءٍ أنزل ربّكم؟ ﴿قالوا خيراً﴾ على معنى «ماذا» والمعنى: أنزل الله خيراً.

وإنّما نصب ﴿خيراً﴾ هاهنا ـ بعد قوله: ﴿قالوا﴾ ـ ورفع ﴿أساطير﴾ فيما تقدّم، لأمرَيْن:

أحدهما: أنّهم جحدوا التنزيل فقالوا: إنّما هي أساطير الأوّلين، وأقرّ المؤمنون بالتنزيل فقالوا: أنزل ربّنا خيراً.

والثاني: قال سيبويه: أن يكون الرفع على تقدير: ما الّذي أنزل ربّكم؟ فيكون «ذا» بمعنى «الّذي» وفي النصب يكون «ذا» و «ما» بمنزلة اسمٍ واحد.

وقوله: ﴿للّذين أحسنوا﴾ الحسنى يحتمل أن يكون من كلام مَن قال خيراً، ويحتمل أن يكون إخباراً من الله تعالى، وهو الأقوى، لأنّه أبلغ في باب الدعاء إلى الإحسان، فأجاز الحسن والزجّاج كِلَا الوجهَيْن[1] والمعنى: أنّ للّذين أحسنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ مكافأةً لهم في الدنيا قبل الآخرة [ثمّ قال: ﴿ولدار الآخرة خير]⁽²⁾ ولنِعْم دار المتقّين﴾ يعني: الجنّة الّتي يدخلها الّذين اتّقوا معاصي الله وفعلوا طاعاته.

قوله [تعالى]:

جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَايَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ آيتان بلا خلاف .

يحتمل رفع «جنّات» وجهَيْن:

أحدهما: أن تكون خبر ابتداء محذوف، وتقديره: هي جنّات يدخلونها، كأنّ قائلاً لمّا قال الله: ﴿ولنِعْم دار المتّقين﴾ قال: ما هذه الدار؟ فقيل: هي جنّات عدن.

والثاني: أن يكون رفعاً بالابتداء وخبره: ﴿نِعْم دار المتّقين﴾ وقد يقدّم الخبر، والتقدير: جنّات عدن نِعْم دار المتّقين.

ثمّ وصف هذه الجنّات بما فيها، فقال: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ لأنّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٩٦. (٢) مابين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

الجنّة هي البستان الّذي فيه الأشجار، فالأنهار تجري تحت الأشجار، وقيل: لأنّ أنهار الجنّة في أخاديد[1]. ثمّ أخبر أنّ لهؤلاء الّذين دخلوا الجنّة في الجنّة ما يشاؤونه ويشتهونه، ثمّ قال: مثل ذلك يجازي الله تعالى الّذين يتّقون معاصيه ويعملون بطاعاته.

ثمّ قال: ﴿الّذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين﴾ أي: صالحين بأعمالهم الجميلة، خلاف من تتوفّاهم الملائكة خبيثين بأعمالهم القبيحة. وأصل «الطيبة»: حال المستلذّ من الأطعمة، ﴿يقولون﴾ الملائكة لهمعليهم السلام ﴿سلام عليكم ادخلوا الجنّة﴾ جزاءً على أعمالكم في الدنيا من الطاعات.

قوله [تعالى]:

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ آيتان بلا خلاف .

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً: ﴿إلّا أن يأتيهم﴾ بالياء، الباقون بالتاء، وقد بيّنّا وجهه. ومعنى قوله: ﴿هل ينظرون﴾: ينتظرون، يعني: هؤلاء الكفّار ﴿إلّا أن تأتيهم الملائكة﴾ يعني: بالموت أو الهلاك ﴿أو يأتي أمرُ ربّك﴾ يعني: يوم القيامة، ذكره مجاهد وقَتادة.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ الّذين مضوا ـ فيما سلف من الكفّار ـ فعلوا مثل فعل هؤلاء من تكذيب الرُسُل وجحد توحيده وإنكار رُسُله فأهلكهم الله، فما الّذي يؤمّن هؤلاء أن يهلكهم؟ ثمّ أخبر تعالى: أنّه بإهلاكه إيّاهم

(١) تقدّم في تفسير سورة البقرة، الآية ٢٤: «إنّ أنهار الجنّة جارية في غير أخاديد، روي ذلك عن مسروف رواه عنه أبو عبيده وغيره»، راجع التبيان ٢: ١٩ (من طبعتنا).

لم يظلمهم، ولكن هم الّذين ظلموا أنفسهم فيما مضى بالمعاصي الّتي استحقّوا بها الهلاك. ثمّ أخبر تعالى: أنّه ﴿أصابهم﴾ يعني: الكفّار جزاء ﴿سيّئات﴾ أعمالهم، وهي القبائح ﴿وحاق بهم﴾ أي: حلّ بهم وبال ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: يسخرون برُسُل الله وبأنبيائه.

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن المشركين مع الله إلهاً آخر ومعبوداً سواه أنّهم قالوا: ﴿لو شاء الله﴾ أي: لو أراد الله لم نكن نعبد شيئاً ﴿من دونه﴾ من الأصنام والأوثان، لا ﴿نحن ولا آباؤنا ولا حَرَّمنا﴾ من قبل نفوسنا شيئاً، بل أراد الله ذلك منّا، فلذلك فعلنا، كما تقوله المجبِّرة الضُّلّال، فكذّبهم الله وأنكر عليهم، وقال: مثل ذلك ﴿فعل الّذين من قبلهم﴾ من الكفّار الضُّلّال: كذّبوا رُسُل الله وجحدوا أنبياءه، ثمّ عَذَرَ أنبياءه فقال: ﴿هل على الرُسُل إلّا البلاغ [المبين]﴾ الظاهر، أي: ليس عليهم إلّا ذلك. وفي ذلك إبطال مذهب المجبِّرة، لأنّ الله أنكر عليهم قولهم: إنّه ﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾ ومثل هذه الآية الّتي في الأنعام[1] وقد بيّنّاها مستوفاة.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ

---

(١) الآية: ١٤٨.

عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ۝٣٦ آية بلا خلاف .

أخبر الله تعالى نبيّهﷺ بأنّه قد أرسل ﴿في كلّ أُمّة﴾ من الأُمم السالفة ﴿رسولاً﴾ بأن ﴿اعبُدُوا الله﴾ أي: أُمروا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن يجتنبوا عبادة ﴿الطاغوت﴾ وهو كلّ ما يُعبَد من دون الله، وقيل(١): «الطاغوت» اسم للشيطان ويكون المعنى: اجتنبوا إغواء الشيطان وكلّ داعٍ يدعو إلى الفساد.

ثمّ أخبر عن المبعوث إليهم بأنّ منهم مَن لَطُف الله لهم بما علم أنّه يؤمن عنده فآمن عنده، فسمّى ذلك اللطف هداية، ولم يرد نصب الأدلّة على الحقّ لأنّه تعالى سوّى في ذلك بين المؤمن والكافر، كما قال: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمىٰ على الهدىٰ﴾(٢) ويحتمل أن يكون المراد: فمنهم من هداه الله إلى الجنّة بإيمانه.

وقوله: ﴿ومنهم مَن حقّت عليه الضلالة﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه حقّت عليهم عقاب الضلالة، لأنّهم ضلّوا عن طريق الحقّ وكفروا بالله، وهو قول الحسن.

الثاني: حقّت عليهم الضلالة عن طريق الجنّة بما ارتكبوه من الكفر والضلالة. و «الضلالة» هاهنا المراد بها العدول عن الجنّة، وقد سمّى الله العقاب ضلالاً فقال: ﴿إنّ المجرمين في ضلال وَسُعُرٍ﴾(٣) أي: عذاب، ثمّ قال: قل لهم: ﴿سيروا في الأرض﴾ وتعرّفوا أخبار من مضى، وتبيّنوا ﴿كيف كان عاقبة﴾ الّذين كذّبوا بآيات الله، ولم يصدّقوا رسله، فإنّ الله أهلكهم ودمّر عليهم، كقوم هود ولوط وثمود وغيرهم، فإنّ ديارهم عليها

(١) قاله الطبري ذيل الآية. (٢) فُصِّلت: ١٧. (٣) القمر: ٤٧.

آثار الهلاك والدمار ظاهرة.

قوله [تعالى]:

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (٣٧)

آية بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة: ﴿يَهدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال، الباقون بضمّ الياء وفتح الدال. ولم يختلفوا في ضمّ ياء ﴿يُضِلّ﴾ وكسر الضاد.

فمن فتح الياء [وكسر الدال] احتمل ذلك أمرين:

أحدهما: أنّه أراد: أنّ الله تعالى لا يهدي من يضلّه. والثاني: أنّ من أضلّه الله لا يهتدي. ومن ضمّ الياء أراد: من أضلّه [الله][1] لا يقدر أحد أن يهديه، وقوّوا ذلك بقراءة أُبيّ: «لا هادي لمن أضلّ الله». فاسم الله تعالى اسم ﴿إنّ﴾ و ﴿يُضِلّ﴾ الخبر.

ومعنى «إضلال الله» هاهنا يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: أنّ من حكم الله بضلاله وسمّاه ضالاً لا يقدر أحد أن يجعله هادياً ويحكم بذلك. والثاني: أنّ من أضلّه الله عزّوجلّ عن طريق الجنّة لا أحد يقدر على هدايته إليها، ولا يقدر هو أيضاً على أنْ يهتدي إليها.

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿إنْ تحرص﴾ يا محمّد على أن يؤمنوا ويهتدوا إلى الجنّة فهم بسوء اختيارهم لا يرجعون عن كفرهم، والله تعالى قد حكم بكفرهم وضلالهم واستحقاقهم للعقاب، فلا أحد يقدر على خلاف ذلك.

و ﴿مَن﴾ في الوجهَيْن في موضع رفع، فمن ضمّ الياء رفعها لأنّها

(١) وهو في قوله تعالى: ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ (الأعراف: ١٨٦).

لم يسمّ فاعلها، ومن فتح الياء فلأنّها الفاعلة. والمراد بالآية: التسلية للنبيّ ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لانهماكه في الكفر، وأنّ ذلك ليس بتقصير من جهتك بل لأنّه ليس إلى فلاح مثل هذا سبيل.

وقوله: ﴿وما لهم من ناصرين﴾ معناه: ليس لهم ناصر ينصرهم ويخلّصهم من العقاب، وذلك يبيّن أنّه ليس المراد بالآية الضلال عن الدين، وإنّما المراد ما قلناه من عدولهم عن الثواب إلى العقاب. و«الحرص»: طلب الشيء بجدٍّ واجتهاد، تقول: حَرَصَ يَحْرِصُ حِرْصاً، وحَرِصَ يَحْرَصُ بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل، والأوّل لغة أهل الحجاز.

قوله [تعالى]:

وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَايَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى: إنّ هؤلاء الكفّار حلفوا بالله على قدر طاقتهم وجهدهم أنّه لا يحشر الله أحداً يوم القيامة، ولا يُحْيِيه بعد موته! ثمّ كذّبهم تعالى في ذلك فقال: ﴿بلىٰ﴾ يحشرهم الله ويبعثهم ﴿وعداً﴾ وعدهم به، ولا يخلف وعده. ونصب ﴿وعداً﴾ على المصدر، والتقدير: وَعَدَ وَعْداً. وقال الفرّاء: تقديره: بلى ليبعثنّهم وعداً حقّاً، ولو رفع على معنى: ذلك وَعْدٌ عليه حقٌّ، كان صواباً[1]. والمعنى: وَعَدَ وعداً عليه حقّاً ذلك الوعد ليس له خلف ﴿ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ صحّة ذلك لكفرهم بالله

(١) معاني القرآن ٢: ١٠٠.

وجحدهم أنبياءه.

وقوله: ﴿ليبيّن لهم الّذي يختلفون فيه﴾ بيان من الله تعالى أنّه أنّما يحشر الخلائق يوم القيامة، ليبيّن لهم ما كانوا يختلفون فيه في دار الدنيا، لأنّه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الّذي يزول معه التكليف ويزول خُلْفُهم فيه، ويعلم أيضاً كلّ كافر أنّه كان كاذباً في الدنيا في قوله: إنّ الله لا يبعث أحداً بعد موته، هذا إن جعلنا قوله: ﴿ليبّين﴾ متعلّقاً بـ ﴿بلىٰ﴾ يبعثهم الله، ويحتمل أن يكون متعلّقاً بقوله: ﴿ولقد بعثنا في كلّ أُمّة رسولاً.... ليبّين الّذي يختلفون فيه﴾ ويهديهم إلى طريق الحقّ وينبّههم[١] عليه.

قوله [تعالى]:

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ آية بلا خلاف.

قرأ الكسائي وابن عبّاس: ﴿فيكون﴾ نصباً، الباقون رفعاً. فمن نصب جعله عطفاً على ﴿أن نقول... فيكون﴾. ولا يجوز أن يكون نصباً على جواب الأمر، لأنّ ما ينتصب لأجل جواب الأمر هو ما يكون فعلان، ويجب الثاني من أجل الأوّل، كقولك: «ائتني فأُكرمك» فالإكرام يجب من أجل الإتيان، وليس كذلك في الآية، لأنّه إنّما قال هو فعل واحد أمر، وأخبر أنّه يكون، ولذلك أجمع القُرّاء على رفع الّذي في آل عمران في قوله: ﴿إنّ مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون﴾[٢] وقد أجاز الزجّاج النصب على أن يكون جواباً[٣] وهو غلط

(١) في الحجريّة: «ويثيبهم».
(٢) آل عمران: ٥٩.
(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٩٨.

ومن وقع أراد: أن يقول له كن فإنّه يكون.

وقيل في معنى الآية قولان:

أحدهما: إنّه بمنزلة قوله: ﴿كن﴾ في أنّه يكون منّا من غير كُلْفة ولا معاناة.

والثاني: إنّ قول: ﴿كن﴾ علامة للملائكة يدلّهم على أنّه سيحدث كذا وكذا عند سماعه.

قوله [تعالى]:

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

آيتان بلا خلاف.

موضع ﴿الّذين﴾ رفع بالابتداء، والخبر: ﴿لنبوّئنّهم﴾.

يقول الله تعالى: إنّ ﴿الّذين هاجروا﴾ من ديارهم فراراً بدينهم، واتّباعاً لنبيّهم ﴿من بعد﴾ أن ظلمهم قومهم وآذوهم وبخسوهم حقوقهم، فإنّ الله تعالى يبوّؤهم ﴿في الدنيا حسنة﴾ و «التبوّء»: الإحلال بالمكان للمقام، يقال: تَبَوَّأَ منزلاً يَتبوّأ إذا اتّخذه، وبَوَّأَهُ غيره تَبْوِيئاً: إذا أحلّه غيره، ومنه: ﴿بَوَّأنا بني إسرائيل مُبَوَّءَ صِدْقٍ﴾[1].

وقال ابن عبّاس وقَتادة والشعبي: بَوَّأَهم الله المدينة، وأحلّ لهم فيها غنيمةً حسنةً يأخذونها من أموال الكفّار.

ثمّ أخبر: أنّ ما أعدّه لهم من الأجر في ﴿الآخرة﴾ ونعيم الجنّة أكثر من ذلك بكثير ﴿لو كانوا يعلمون﴾. ثمّ وصف الّذين هاجروا، فقال:

---

(١) يونس: ٩٣.

﴿الّذين صبروا﴾ على جهاد أعدائه، واحتملوا الأذى في جنب الله، وأسندوا أمرهم إليه تعالى وتوكّلوا عليه، فمن كان بهذه الصفة يستحقّ ما ذكرناه، ومن كان بخلافه لم يستحقّ منه شيئاً. وقيل: إنّ الآية نزلت في عمّار وصُهَيْب وأمثالهم الّذين كانوا يُعَذَّبون بمكّة(١).

قوله [تعالى]:

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ آيتان بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيّه ﷺ يقول له: إنّا لم نرسل ﴿من قبلك إلّا رجالاً﴾ أمثالك من البشر «يُوحىٰ إليهم» أي: يوحي الله إليهم، ومن قرأ بالنون ـ وهو حفص ـ أراد: نُوحي نحن إليهم، إخبار منه تعالى بذلك.

ثمّ قال الله لهم: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ صحّة ما أخبرناكم به من أنّا أرسلنا رجالاً قبلك وأوحينا إليهم، وقال ابن عبّاس ومجاهد: المعنيّ بأهل الذكر: أهل الكتاب. ومنهم من قال: المراد: من آمن من أهل الكتاب(٢). ومنهم من قال: أمر مشركي العرب أن يسألوا أهل الكتاب عن ذلك، فإنّهم لا يتّهمونهم(٣). وقال ابن زيد: يريد: أهل القرآن لأنّ الذكر هو القرآن. وقال الرمّاني والأزهَري والزجّاج(٤): المعنيُّ بذلك أهل العلم بأخبار مَن مضى من الأمم ـ سواء كانوا مؤمنين أو كفّاراً ـ

---

(١) قاله الواحدي النيسابوري في أسباب النزول: ٣٣٤ ح ٥٨١.

(٢) كالأعمش. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) كالطبري ذيل الآية.

(٤) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٠١ والنكت والعيون ٣: ١٨٩.

وما آتاهم من الرسل، قال: وفي ذلك دلالة على أنّه يحسن أن يُردّ الخصم ـ إذا التبس عليه أمرٌ ـ إلى أهل العلم بذلك الشيء، وإن كان من [أوائل العقول سأل][١] أهل العقول السليمة من آفة الشبهة.

و «الذكر» ضدّ «السهو» وسُمِّي العلم بذلك لأنّه منعقد بالعلم، وهو بمنزلة السبب المؤدّي إليه في ذكر الدليل، وإذا تعلّق هذا التعلّق حسن أن يقع موقعه وينبئ عن معناه.

وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «نحن أهل الذكر»[٢].

وقوله: ﴿بالبيّنات والزبر﴾ العامل في الباء أحد أمرَيْن:

أحدهما: قوله: ﴿أرسلنا﴾ والتقدير: ما أرسلنا قبلك إلّا رجالاً بالبيّنات نُوحي إليهم. الثاني: أن يكون على حذف «أرسلنا هم بالبيّنات» كما قال الأعشىٰ:

وليسَ مُجِيراً إنْ أَتَى الحيَّ خائِفٌ ... ولا قائلاً إلّا هو المُتَعَيّبا[٣]

أي: أعني المتعيَّبا، ومثل الأوّل قول الشاعر:

نُبّئتهم عَذَّبوا بالنارِ جارَتَهُم ... وهل يُعذِّبُ إلّا اللهُ بالنارِ[٤]

وقوله: ﴿بالبيّنات والزّبر﴾ أي: بالدلالات الواضحات والكتب المُنزَلة.

و «الزُبُرُ»: الكتب، واحدها: زَبُور، يقال: زَبَرْت الكتابَ أَزْبُرُهُ زَبْراً إذا كتبته، ثمّ قال: ﴿وأنزلنا إليك﴾ يا محمّد ﴿الذّكْر﴾ يعني: القرآن ﴿لتبيِّن

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

(٢) رواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٢٦٠ ح ٣٢ عن محمّد بن مسلم، والطبري في تفسيره: ذيل الآية عن جابر.

(٣) من قصيدة هجاء لبني عبدان. راجع ديوان الأعشىٰ: ١٢، وفي المخطوطتين: «المتغيّبا» هنا وفيما يأتي.

(٤) ذكره الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه لأحد.

للناس ما نُزِّل إليهم﴾ فيه من الأحكام والدلالة على توحيد الله، لكي يتفكّروا في ذلك ويعتبروا به.

وإنّما قال: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً﴾ مع أنّه أرسل قبله الملائكة، لأنّ المعنى: وما أرسلنا من قبلك إلى الأُمم الماضية إلّا رجالاً بدلالة الآية، لأنّها حجّة عليهم في إنكار رسول من[1] الله إلى الناس من الرجال.

قوله [تعالى]:

أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: ﴿أفأَمن الّذين مكروا﴾ بالنبيّ والمؤمنين، وفعلوا ﴿السيّئات﴾ واحتالوا لفعل القبيح ـ على وجه الإنكار عليهم، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الإنكار ـ ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ من تحتهم؛ عقوبةً لهم على كفرهم ﴿أو﴾ يجيئهم ﴿العذاب من﴾ جهة ﴿لا يشعرون﴾ بها، على وجه الغفلة ﴿أو يأخذهم في تقلّبهم﴾ وتصرّفهم بأن يهلكهم على سائر حالاتهم، حتّى لا يفلت منهم أحد ﴿فماهم﴾ بفائتين، والمعنى: أنّ ما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه ما يريده منهم ﴿أو يأخذهم على تخوّف﴾. وقيل في معنى ﴿تخوّف﴾ قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة والضحّاك وابن زيد: على تنقّص، بمعنى: أنّه يُؤخَذ الأوّل فالأوّل حتّى لا يبقى منهم أحد، لأنّ تلك

---

(١) ليس في «ح» والحجريّة لفظة «من».

حال يخاف معها الفناء ويتخوّف الهلاك، وقال الشاعر:

تَخَوَّفَ السَّيْرَ مِنْها تـامِكاً قَـرِداً   كما تَخَوَّفَ عُودَ النَبْعَةِ السَفَنُ[١]

أي: ينقص السير سنامها بعد تموّكه[٢] كما ينحت العود فـيدقّ بـعد غلظه، وقال الآخر:

تَــخَوَّفَ عَـدوُهُم مـالي وأَهْـدَىٰ   سلاسِلِ في الحُلُوقِ لها صَـليلُ[٣]

والثاني: روي عن ابن عبّاس ـ في رواية أُخـرى ـ أنّ مـعناه: عـلى تقريع. وقال الحسن: تهلك القرية فتخوّف القرية الأُخرى.

وقال الفرّاء: «تخوفته» و «تحوّفته» بالخاء والحاء: إذا انـتقصته مـن حافّاته، ومثله: ﴿إنّ لك في النهار سَبْحاً طويلاً﴾[٤] بالخاء والحاء، سمعت العرب تقول: «سبِّخي صوفك» وهو شبيه بالندف، و «السبح» مثل ذلك[٥]. قال المبرّد: لا يقال: تحوّفته، وإنّما هو «تحيّفته».

وقوله: ﴿إنّ ربّكم لرؤوف رحيم﴾ أي: من رأفته ورحمته بكم إمهاله الكافر ليتوب ويراجع فلا يعاجله بالعقوبة.

قوله [تعالى]:

أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَاخَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

ثلاث آيات بلا خلاف.

---

(١) أنشده في اللسان: مادةّ «خوف».

(٢) أي بعد ارتفاعه، تَمَكَ السنامُ يَتْمك تُموكاً إذا طال وارتفع. (الصحاح: مادّة: «تمك»).

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد. (٤) المزّمّل: ٧.

(٥) معاني القرآن ٢: ١٠١ـ١٠٢.

قرأ حمزة والكسائي وخَلَف: ﴿أَو لم تروا﴾ بالتاء، الباقون بالياء.

مَن قرأ بالتاء حمله على الجمع، ومن قرأ بالياء فعلى ما قبله، من قوله: ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم... أو يأخذهم﴾ وكان النبيّ ﷺ وأصحابه رأوا ذلك وتيقّنوه، فلذلك عدل عن الخطاب.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿تتفيّؤا ظلاله﴾ بالتاء، الباقون بالياء. فمن أنّث فلتأنيث «الظلال» لأنّه جمع «ظلّ» فكلّ جمع مخالف الآدميّين فهو مؤنّث، تقول: هذه الأقطار وهذه المساجد. ومن ذكّر، فلأنّ «الظلال» وإن كان جمعاً فهو على لفظ الواحد، مثل: «جدار» لأنّ جمع التكسير يوافق الواحد.

يقول الله تعالى لهؤلاء الكفّار الّذين جحدوا وحدانيّته وكذّبوا نبيّه، على وجه التنبيه لهم على الدلالة توحيده: ﴿أو لم يروا﴾ هؤلاء الكفّار ﴿إلى ما خلق الله [من شيءٍ﴾ أي][1] من جسم قائم، شجر أو جبل أو غيره، يصير ظلاله فيئاً، أي: تدور عليه الشمس ثمّ ترجع إلى ما كان قبل زوال الشمس عنه، وقال ابن عبّاس: معنى ﴿يتفيّئوا﴾: يرجع من موضع إلى موضع ويتميّل. يقال منه: فاءَ الظلُّ يفِيءُ فَيْئاً إذا رجع، وتَفَيّأً يَتَفَيَّؤُ تَفَيُّؤاً بمعنىً واحد.

وقوله: ﴿عن اليمين والشمائل﴾ معناه: في أوّل النهار وآخره، في قول قَتادة والضحّاك وابن جُرَيْج، لأنّه بالغداة يتقلّص الفَيْء عن الجبل من جهة اليمين ويتقلّص بالعشيّ من جهة الشمال. وإنّما قال: ﴿عن اليمين﴾ على التوحيد ﴿والشمائل﴾ على الجمع لأحد أمرَيْن:

---

(١) مابين المعقوفتين لا يوجد في المطبوعة والمخطوطة.

أحدهما: أنّه أراد باليمين الأيمان، فهو متقابل في المعنى، ويتصرّف في اللفظ على الإيجاز، كما قال الشاعر:

بِفِي الشامِتينَ الصَخْرُ إِن كان هَدَّني رَزِيَّةُ شِبْلَي مُخْدِرٍ في الضَراغِمِ[١]

والمعنىٰ: بأفواه، وقال آخر:

الوارِدُون وتَيْمٌ في ذَرَى سَباءٍ
قد عَضَّ أَعناقَهُم جِلْدُ الجَوامِيسِ[٢]

وقوله: ﴿سجّداً لله وهم داخرون﴾ معناه: أنّها خاضعة لله ذليلة. بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبّرها، بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفة عين، فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله، الخاضع بذلّته[٣] فكأنّه من بسط الشمس عليه في أوّل النهار، ثمّ قبضها عنه إلى الجهة الأُخرى ثمّ قبضها أيضاً عنه فتغيّرت حاله، والتغيير يقتضي مُغَيِّراً غَيَّره ومُدَبِّراً دَبَّره، قال الحسن: أمّا ظلّك فيسجد لله، وأمّا أنت فلا تسجد لله، بئس والله ما صنعت! و «الداخر»: الخاضع الصاغر، دَخِرَ يَدْخَرُ دَخَراً ودُخُوراً: إذا ذلّ وخضع، قال ذو الرُمَّة:

فلم يَبْقَ إلّا داخِرٌ في مُخَيَّسٍ
ومُنْجَحِرٌ في غَيرِ أرضَكَ في جُحْرِ[٤]

ثمّ أخبر تعالى: أنّه ﴿يسجد﴾ له جميع ﴿ما في السموات وما في الأرض﴾ و «السجود» هو الخضوع بالعبادة أو الدعاء إلى العبادة، فكلّ

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٢) لجرير من قصيدة يهجو بها التَيم. راجع ديوان جرير: ٢٤١ وفيه: «تدعوك تيمٌ وتَيْمٌ في قُرَى سبإٍ».

(٣) في الحجريّة: «بذاته».

(٤) من قصيدة طويلة يمدح بلال بن أبي بردة. راجع ديوان ذي الرُمَّة: ٣٤١.

شيء من مقدوراته تعالى يسجد بالدعاء إلى العبادة بما فيه من الآية الّتي تقتضي الحاجة إليه تعالى، وكلّ مُحقٍّ من العباد فهو يسجد بالعبادة.

وقوله: ﴿مِن دابّة﴾ معنى ﴿مِن﴾ هاهنا هي الّتي تبيّن تبيين الصفة[١] كأنّه قال: وما في الأرض الّذي هوَ دابّة تدبّ على الأرض.

وقوله: ﴿والملائكة﴾ أي: وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة، و﴿وهم﴾ يعني: الملائكة، غير مستكبرين ولا طالبين بذلك التكبّر، بل مذعنين بالحقّ متذلّلين، غير آنفين من الإذعان به.

﴿يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: يخافون عقاب ربّهم من فوقهم، لأنّه يأتي من فوق.

الثاني: إنّه لمّا وصف بأنّه عالٍ ومتعالٍ من معنى «قادر» لا قادر أقدر منه، فقيل: صفته في أعلى مراتب صفات القادرين، حَسُنَ أن يقال: ﴿من فوقهم﴾ ليدلّ على هذا المعنى من الاقتدار الّذي لايساويه قادر.

وقوله: ﴿ويفعلون ما يُؤْمَرون﴾ يعني: هؤلاء الملائكة يفعلون ما يأمرهم الله به، ولا يعصونه، كما قال: ﴿لا يعصون الله ما أمرَهم ويفعلون ما يُؤْمَرون﴾[٢].

قوله [تعالى]:

وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّـٰيَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى ناهياً لعباده: ﴿لا تتّخذوا إلهين اثنين﴾ أي: لا تعبدوا مع الله غيره فتشركوا بينهما في العبادة، ثمّ أخبر: أنّه ﴿إله واحد﴾ لا أكثر

---

(١) كذا، وفي مجمع البيان: معنى «مِن» في قوله: (من دابّة) تبيين الصفة.

(٢) التحريم: ٦.

منه، لأنّ لفظة ﴿إنّما﴾ تفيد ثبوت الإله الواحد ونفي ما زاد عليه، على ما بيّناه فيما مضى.

وقوله: ﴿فإيّاي فارهبون﴾ معناه: ارهبوا عقابي وسخطي فلا تتّخدوا معي إلهاً آخر ومعبوداً سِواي.

وفي قوله: ﴿اثنين﴾ بعد قوله: ﴿إلهين﴾ قولان:

أحدهما: أنّه قال ذلك تأكيداً، كما قال: ﴿إله واحد﴾ تأكيداً. والثاني: أن يكون المعنى: لا تتّخدوا اثنين إلهين، فقدَّم وأخَّر، وكِلَاهما جائزان.

وقوله: ﴿وله ما في السماوات والأرض﴾ معناه: أنّه يجب علينا أن نتّقي عقاب من يملك جميع مافي السموات والأرض، لأنّه مالك الضرّ والنفع.

ومعنى قوله: ﴿وله الدين واصباً﴾ قال ابن عبّاس: يعني: دائماً. أي: طاعته واجبة على الدوام، وبه قال الحسن ومجاهد والضحّاك وقَتادة وابن زيد، ومنه قوله: ﴿ولهم عذاب واصب﴾[1] يقال منه: وَصَبَ الدين يَصِبُ وُصُوباً ووَصَباً، قال أبو الأَسْوَد الدُؤَلي:

لا أَبتَغي الحمدَ القليلَ بَقاؤُهُ يوماً بِذَمّ الدَهْرِ أَجْمَعَ واصِباً[2]

وقال حسّان:

غَيَّرَتْهُ الريحُ تَسْفِي بهِ وهَزِيمٌ رَعْدُهُ واصِبُ[3]

و «الوَصَب»: الألم الّذي يكون عن الإعياء بدوام العمل مدّة، يقال: وَصِبَ الرجلُ يُوصَبُ وَصَباً فهو وَصِبٌ، قال الشاعر:

---

(١) الصافّات: ٩.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٣) من قصيدة له. راجع ديوان حسّان بن ثابت ١: ٢٨٢.

لا يغمِزُ الساقَ من أيْنٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعَضُّ علىٰ شُرْسُوفِهِ الصَفَرُ[١]

وقيل: إنّ المعنى: وله الطاعة وإنكان فيها الوَصَب، وهوالشدّة والتعب.

قوله [تعالى]:

وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لخلقه: إنّ جميع النِعَم الّتي [تكون] ﴿بكم﴾ ولكم، من صحّةٍ في جسمٍ وسعةٍ في رزقٍ أو ولدٍ، فكلّ ذلك من عند الله، ومن جهته، بخلقه لها أو بتمكينكم من الانتفاع بها. والفاء في قوله: ﴿فمن الله﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: أن تكون ﴿ما﴾[٢] بمعنى «الّذي» وفيه شبه الجزء، كما قال تعالى: ﴿قل إنّ الموت الّذي تفرّون منه فإنّه ملاقيكم﴾[٣] ويقول القائل: ما لَكَ فهو لي، ولا يجوز أن يقول: مالُكَ فهو لي، لأنّه خبر ليس على طريق الجزاء.

والقول الثاني: على حذف [فعل][٤] الجزاء، وتقديره: ما يكن بكم من نعمة فمن الله.

وقوله: ﴿ثمّ إذا مسّكم الضرّ فإليه تجأرون﴾ معناه: متى ما لحقكم ضرّ وبلاء وألم وسوء حال تضرّعون إليه تعالى بالدعاء، وهو قول مجاهد. وأصل ذلك من: جُؤَار الثور، يقال: جَأَرَ الثورُ يَجْأَرُ جُؤاراً إذا رفع صوته

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.
(٢) في قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة﴾.
(٣) الجمعة: ٨.
(٤) ما بين المعقوفتين من الخطّية.

من جوعٍ أو غيره، قال الأعشى:

وَمَـــا أيْـبُلِيٌّ عــلىٰ هَــيْكَلٍ بَـــناهُ وَصَــلَّبَ فــيهِ وَصَــارا
يُـــراوِحُ مِــنْ صَــلَواتِ المــليـ ـكِ طَوْراً سُجُوداًوطَوْراًجُؤاراً[1]

وقال عَدِيّ بن زيد:

إنَّـــني واللهِ فـاقْبلْ حَـلفتي بِأَبيلٍ كُـلَّما صَـلَّىٰ جَأَر[2]

وقوله: ﴿ثمّ إذا كشف الضرّ عنكم إذا فريق منكم بربّهم يشركون﴾ إخبار منه تعالى أنّه إذا كشف ضرّ مَن يجأر ويخضع له، ويرفع البلاء عنه، يصير طائفة من الناس يشركون بربّهم في العبادة جهلاً منهم بربّه، ومقابلة للنعمة الّتي هي كشف الضرّ بمعصية الشرك، وهذا غاية الجهل.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي: ليكفروا بآياتِأنْعُمِنا عليهم ورِزْقنا إيّاهم، فمعنى اللام في ﴿ليكفروا﴾ هو البيان عمّا هو بمنزلة العلّة الّتي يقع لأجلها الفعل، لأنّهم بمنزلة من أشرك في العبادة ليكفروا بما أُوتي من النعمة، كأنّه لا غرض له في شركه إلّا هذا، مع أنّ شركهم في العبادة يوجب كفر النعمة، بتضييع حقّها، فالواجب في هذا ترك الكفر إلى الشكر لله تعالى.

وقوله: ﴿فتمتّعوا فسوف تعلمون﴾ تهديد منه تعالى، لأنّ المعنى: تمتّعوا بما فيه معصية له تعالى فسوف تعلمون عاقبة أمركم من العقاب الّذي ينزل بكم، وحذف لدلالة الكلام عليه، وهو أبلغ.

قوله [تعالى]:

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾

---

(١) من قصيدة طويلة يمدح قيس بن معديكرب. راجع ديوان الأعشىٰ: ٨٥ـ٨٦.

(٢) أنشده في اللسان: مادة «أبل» وفيه: «فاسمع حلفي».

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّ هؤلاء الكفّار ﴿يجعلون لما لا يعلمون نصيباً﴾ معناه: أنّهم يجعلون لما لا يعلمون أنّه يضرّ ولا ينفع نصيباً ﴿ممّا رزقناهم﴾ يتقرّبون إليه، كما يجب أن يتقرّبوا إلى الله تعالى، وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث والأنعام وغير ذلك: ﴿فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾[1] فجعلوا نصيباً لله ونصيباً للأصنام، وهو قول مجاهد وقتادة وابن زيد.

ثمّ أقْسم تعالى فقال: ﴿تالله لتُسئلُنَّ﴾ سؤال التوبيخ لا سؤال الاستفهام ﴿عمّا كنتم﴾ تعملون في دار الدنيا، لتُلْزَموا به الحجّة وتُعاقَبوا بعد اعترافكم على أنفسكم. وإنّما كان سؤال التوبيخ، لأنّه لا جواب لصاحبه إلّا بما يظهر به فضيحته، [وهو مثل سؤال الجدل من المحقّ للمبطل. لأنّه لاجواب له إلّا ما يظهر به فضيحته][2].

ثمّ أخبر تعالى عنهم بأنّهم ﴿يجعلون لله البنات﴾ لأنّهم كانوا يقولون: الملائكة بنات الله! كما قال تعالىٰ: ﴿وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾[3] فقال تعالى تنزيهاً لنفسه عمّا قالوه: ﴿سبحانه﴾ أي: تنزيهاً له عن اتّخاذ البنات.

وقوله: ﴿ولهم ما يشتهون﴾: ﴿ما﴾ في قوله: ﴿ولهم ما﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون في موضع نصب، والمعنى: ويجعلون لهم البنين

---

(١) الأنعام: ١٣٦.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

(٣) الزُخْرُف: ١٩.

الّذين يشتهون. والثاني: أن يكون في موضع رفع، والتقدير: ولهم البنون، على الاستئناف.

قوله [تعالى]:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبراً عن هؤلاء الكفّار الّذين جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين: إنّهم متى بُشِّر واحد منهم بأنّه ولد له بنت ﴿ظلّ وجهه مسودّاً﴾ أي: يتغيّر لذلك وجهه. و «ظلّ» يقال لما يعمل صدر النهار. يقال: ظَلَّ يفعل كذا، ومثله: «أضحىٰ» غير أنّه كثر فصار بمنزلة قولهم: أخذ يفعل. تقول: ظَلِلْتُ أَظَلُّ ظُلُولاً. ذكره الفرّاء.

وقوله: ﴿وهو كظيم﴾ قال ابن عبّاس: معناه: وهو حزين. وقال الضحّاك: كميد. وهو المغموم الّذي لا[1] يطبق فاه ولا يتكلّم للغمّ الّذي به، مأخوذ من: «الكِظَامَة» وهو شدّ فم القِرْبَة.

وقوله: ﴿يتوارى من القوم﴾ أي: يختبئ ويختفي من القوم ﴿من سوء ما بشّر به﴾ من الأُنثى، تميل نفسه بين أن ﴿يمسكه علىٰ هون﴾ أي: على هوان ومشقّة، ومنه قوله: ﴿عذاب الهُونِ﴾[2] وهي لغة قُرَيْش، وقال الشاعر:

فَلَسْتُ بوقّافٍ علىٰ الهُونِ

---

(١) في الحجريّة: شُطِبَ على كلمة «لا».

(٢) الأنعام: ٩٣، الأحقاف: ٢٠.

وقال الحُطَيْئَة:

فلمَّا خَشِيتُ الهُـونَ والعَـيرُ مُـمْسِكٌ
علىٰ رَغْمِهِ ما أَثْبَتَ الخَيْلَ حافِرُه[١]

وبعض تميم يجعلون الهُون من الشيء اللِين[٢] قال[٣]: سمعت من بعضهم: إن كان لقليل هُون المؤونة، فإذا قالوا: أَقبل يمشي على هَوْن، لم يقولوا إلّا بفتح الهاء، ومنه قوله: ﴿وعباد الرحمن الّذين يمشُون على الأرض هَوْناً﴾[٤].

قال المبرّد: «الهُون» بضمّ الهاء لا أعرفه في الرفق، وإنّما هـو بـفتح الهاء، كما يقال: سر عليه هَوْناً أي: رفيقاً.

﴿أم يدسّه في التراب﴾ أي: هو يميل بين إمسـاكـه عـلى مـذلّة أو دفنه حيّاً في التراب! ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿ألا ساء ما يـحكمون﴾ أي: بِئْس الحكم الّذي يحكمون، يجعلون لنفوسهم ما يشتهون، ويجعلون لله ما يكرهونه!!.

ثمّ قال تعالى: ﴿للّذين لا يؤمنون﴾ أي: لا يصدّقون بالبعث والنشور والدار الآخرة ﴿مثل السوء ولله المثل الأعلىٰ﴾ أي: لهم بذلك وصف سوء، ولله الوصـف الأعـلى مـن إخـلاص التـوحيد، ولا يـنافي هـذا قـوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾[٥] لأنّه بمعنى الأمثال الّتي توجب الأشباه، فأمّا الأمثال الّتي يضربها الله [للناس][٦] لما فيها من الحكمة من غير تشبيه له تعالىٰ بخلقه فحقٌّ وصواب، كما قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس

---

(١) من قصيدة طويلة يمدح بها شماساً. راجع ديوان الحطيئة: ٢١.

(٢) قاله الفرّاء في معانيه ٢: ١٠٦ وفيه: يجعل الهُون مصدراً للشيء الهيّن.

(٣) قاله الكسائي، راجع معاني الفرّاء ٢: ١٠٦.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) الآية: ٧٤ الآتية.

(٦) من الحجريّة.

وما يعقلها إلّا العالمون﴾[(١)].

قال الرُمّاني: وفي الآيات دلالة على أنّه لا يجوز أن يضاف إليه تعالى الأدْوَن بدلاً من الأصلح، لأنّ اختيار الأدْوَن على الأصلح صفة نقص، وقد عابهم الله بإضافة ما لا يرضونه لنفوسهم إلى ربّهم، وهو قولهم: الملائكة بنات الله، فكما لا يرضَى الإنسان لنفسه النقص الّذي فيه فهو منفيّ عنه، وعظماء الناس وأجلّاؤهم يرفعون نفوسهم عن صفات الأدنى دون العليا، فينبغي أن ينزّه تعالى عن مثل ذلك.

وقوله: ﴿وهو العليم الحكيم﴾[(٢)] معناه: عالم بوضع الأشياء مواضعها، حكيم في أنّه لا يضعها إلّا على ما هو حكمة وصواب.

قوله [تعالى]:

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ نافع: ﴿مُفْرِطون﴾ بكسر الراء والتخفيف، من الإفراط في الشيء أي: الإسراف فيه، بمعنى: أنّهم مسرفون، وقرأ أبو جعفر مثل ذلك بالكسر، غير أنّه شدّد الراء، من التفريط في الواجب، وقرأ الباقون بفتح الراء والتخفيف، ومعناه: أنّهم متروكون في النار منسيّون فيها، في قول قَتادة

(١) العنكبوت: ٤٣.

(٢) كذا، والآية: «العزيز الحكيم» والظاهر حصول الخلط. في ذهن المؤلّف رحمه الله.

ومجاهد وسعيد بن جُبَيْر والضحّاك. وقال الحسن وقَتادة في رواية أُخرى: إنّ المعنى أنّهم مقدَّمون بالإعجال إلى النار، وهو من قول العرب: أفرطنا فلاناً في طلب الماء، فهو مُفْرَط إذا قُدِّم لطلبه، وفَرَطَ فهو فارِطٌ إذا تقدّم لطلبه، وجمعه: فُرَّط، قال القُطامِيّ:

واستعجَلُونا وكانُوا من صَحابَتِنا كـما تَـعَجَّلَ فُـرَّاطٌ لِـوُرَّادِ[1]

ومنه قول النبيّ ﷺ: «أنا فَرَطُكم على الحوض» أي: متقدّمكم وسابقكم حتّى تَرِدُوهُ، ومنه يقال في الصلاة على الصبيّ الميّت: «اللّهمّ اجعله لنا ولأبويه فَرَطاً».

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أنا والنبيّون فُرَّاط العاصين»[2] أي: المذنبين.

والتأويل الأوّل من قول العرب: ما أَفْرَطْت ورائي أحداً أي: ما خلّفت ولا تركت، والمعنى يرجع إلى التقدّم أي: ما تقدّمت أحداً ورائي.

أخبر الله تعالى أنّه ﴿لو﴾ كان ممّن ﴿يؤاخذ﴾ الكفّار والعُصاة بذنوبهم، ويعاجلهم بعقوباتهم واستحقاق جناياتهم وظلمهم لما ﴿ترك﴾ على وجه الأرض أحداً ممّن يستحقّ ذلك من الظالمين، وإنّما ﴿يؤخّرهم﴾ تفضّلاً منه ليراجعوا التوبة، أو لما في ذلك من المصلحة

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٢) كذا في النسخ، وفي مجمع الزوائد ١٠: ٢٥، والمعجم الكبير للطبراني ١٨: ٢٦٥ و بحار الأنوار ٣٠: ١٤ ورد الحديث بلفظ «القاصفين» بدل «العاصين» وقال العلّامة المجلسي في ذيل الحديث: «هم المزدحمون، كأنّ بعضهم يقصف بعضاً لفرط الزحام، وتزاحمهم بداراً إلى الجنة، أي نحن متقدّمون في الشفاعة لقوم كثيرين متدافعين، والقصفة من القوم تدافعهم وتزاحمهم».

لباقي المكلّفين والاعتبار بهم، فلا تغترّوا بالإمهال، فإنّكم[1] مثلهم في استحقاق العقاب علىٰ ظلمكم.

وقيل في وجه تعميمهم بالهلاك مع أنّ فيهم مؤمنين قولان:

أحدهما: إنّ الإهلاك وإن عمّهم فهو عقاب الظالم دون المؤمن، لأنّ المؤمن يعوَّض عليه. الثاني: أن يكون ذلك خاصّة، والتقدير: ما ترك عليها من دابّة من أهل الظلم. وقيل: إنّ المعنى: أنّه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء.

وقوله: ﴿ولكن يؤخّرهم إلىٰ أجل مسمّى﴾ يعني: الأجل الّذي قدّره لموتهم وهلاكهم ﴿فإذا جاء﴾ ذلك الأجل لا يتقدّمون عليه لحظة ولا يتأخّرون.

وقوله: ﴿عليها﴾ يعني: على الأرض، لدلالة قوله: ﴿من دابّة﴾ عليها لأنّها تدبّ على الأرض.

وقوله: ﴿يجعلون لله ما يكرهون﴾ يعني: يضيفون إلى الله البنات مع كراهية ذلك لنفوسهم ﴿وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنىٰ﴾ فقوله: ﴿أنّ﴾ بدل من ﴿الكذب﴾ وموضعه النصب، وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال الحسن ـ فيما حكاه الزجّاج ـ:[2] إنّ لهم الجزاء الحسنى.

الثاني: قال مجاهد: إنّ لهم البنين مع جعلهم لله البنات اللاتي يكرهونهنّ.

ثمّ قال تعالى ﴿لا جرم أنّ لهم النار﴾ ومعناه، حقّاً أنّ لهم النار، في أقوال المفسّرين. وقيل: معناه: لابدّ أنّ لهم النار. فـ«جَرَم» على هذا

(١) كذا في «ح» وظاهر «م»، و في الحجريّة: «إنّكم».

(٢) قاله الزجّاج نفسُه ولم يحكِ عن الحسن، راجع معاني القرآن ٣: ٢٠٧.

اسم، فكأنّه قال: لا[١] قطع أنّ لهم النار، وقال بعضهم[٢]: «جَرَم» فعل ماض و «لا» ردّ لكلام متقدّم، فكأنّه قيل: قطع الحقّ أنّ لهم النار. وقيل: وجب قطعاً أنّ لهم النار. وقيل: كسب فعلهم أنّ لهم النار ﴿وأنّهم مُفْرَطون﴾ مقدَّمون ومُعَجَّلون إلى النار. وقال الخليل: «لا جَرَم» لا يكون إلّا جواباً، تقول: فعلوا كذا وكذا، فيقال: لا جَرَم أنّهم سيندمون، قال الشاعر:

ولَقَد طَعَنْت أبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزارَة بعدَها أن يَغضَبُوا[٣]

أي: بعثتهم على ذلك، ومثله: ﴿لا يَجْرِمَنَّكم شقاقي﴾[٤] أي: لا يبعثنّكم عداوتي على ﴿أن يصيبكم﴾ ومثله: ﴿لايجرمنّكم شنآنُ قومٍ علىٰ ألّا تعدلوا﴾[٥].

ثمّ أقسم تعالى فقال: ﴿لقد أرسلنا﴾ يعني: رسلاً ﴿إلىٰ أُمم من قبلك﴾ يا محمّد ﴿فزّين لهم الشيطان أعمالهم﴾ يعني: كفرهم وضلالهم، وتكذيب رسل الله زيّنه الشيطان لهم.

وقوله: ﴿فهو وليّهم اليوم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّه ناصرهم في الدنيا، لأنّه يتولّى إغواءهم ويسبّب إهلاكهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يوم القيامة. الثاني: أنّه يوم القيامة وليّهم، لأنّه لايمكنه أن يتولّى صرف المكروه عن نفسه فكيف يتولّى صرفه عنهم؟

ثمّ أخبر تعالى أنّ لهم عنده عذاباً أليماً موجعاً مؤلماً، جزاءً على

---

(١) في الحجريّة: لم يرد «لا».

(٢) قاله سيبويه في الكتاب ٣: ١٣٨.

(٣) أنشده البغدادي في الخزانة ١٠: ٢٩١ ونسبه إلى أبي أسماء بن الضريبة، وقيل: لعطيّة بن عُفَيْف.

(٤) هود: ٨٩.

(٥) المائدة: ٨.

كفرهم ومعاصيهم.

قوله [تعالى]:

وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: إنّا ﴿ما أنزلنا عليك الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿إلّا﴾ وأردنا منك أن تبيّن ﴿لهم﴾ وتكشف ﴿الّذي اختلفوا فيه﴾ من دلالة التوحيد والعدل وصدق الرسل، وما أوجبتُ فيه من الحلال والحرام ﴿وهدىً ورحمةً﴾ أي: أنزلته هدىً ودلالةً على الحقّ ورحمة بهم[١] ﴿لقوم يؤمنون﴾.

﴿وهدىً ورحمةً﴾ نصب على أنّه مفعول له، ويجوز أن يكون رفعاً على الابتداء. وإنّما أضافه إلى المؤمنين خاصّةً لانتفاعهم بذلك وإن كان دليلاً وحجّةً للجميع، كما قال في موضع آخر: ﴿هدىً للمتّقين﴾[٢] وقال: ﴿إنّما أنت منذرُ مَن يخشاها﴾[٣] وإن أنذر من لم يخشها.

ثمّ أخبر تعالى عن وجه نعمه على خلقه، فقال: ﴿والله﴾ المستحقّ للعبادة هو الّذي ﴿أنزل من السماء ماءً﴾ يعني: غيثاً ومطراً ﴿فأحيا به﴾ يعني: بذلك الماء ﴿الأرض بعد موتها﴾ أي: أحياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها، ففي ﴿ذلك﴾ أعظم دلالة وأجلّ آية ﴿لقوم يسمعون﴾ ذلك، ويتفكّرون فيه ويعتبرون به.

---

(١) في «م» بدل «ورحمة بهم»: «والصحيح»، وفي الحجريّة أورد الكلمتين معاً، وكتب عليهما: «زائد ظاهراً».
(٢) البقرة: ٢.
(٣) النازعات: ٤٠.

قوله [تعالى]:

وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: ﴿نَسقيكم﴾ بفتح النون، الباقون بضمّها. والفرق بين «أسقينا» و «سقينا»: أنّ معنى «أسقيناه»: جعلنا له شراباً دائماً من نهرٍ أو لبنٍ وغيرهما، و «سقيناه» شربةً واحدةً، ذكره الكسائي. قال لَبيد:

سَقَىٰ قَومي بني مَجْدٍ وأَسَقىٰ نُمَيْراً والقَبائِلَ من هِلالِ[١]

فعلى هذا: هما لغتان، والأَظْهر ما قال الكسائي عند أهل اللغة. وقال قوم[٢]: سَقَيْته ماءً كقوله: ﴿وسقاهم ربُّهم شراباً طَهوراً﴾[٣] و «أسقيته» سألت الله أن يسقيه، وأنشد لذي الرُمَّة:

وَقَفْتُ علىٰ رَبْعٍ لِميَّةَ ناقَتي فَما زِلْتُ أَبكي عِندَهُ وأُخاطِبُهْ
وأُسقِيهِ حتّىٰ كادَ ممّا أُبثُّهُ تُكَلِّمني أَحجارُهُ ومَلاعِبُهْ[٤]

وقيل: إنّ ما كان من الأنهار وبطون الأودية فبالضّم. وقال أبو عُبَيْدَ: إذا سقاه مرّةً يقال: سَقَيْته، وإذا سقاه دائماً قال: أَسْقَيته[٥].

يقول الله تعالى لخلقه المكلّفين: ﴿إنّ لكم في الأنعام﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم ﴿لعبرةً﴾ ودلالة، لأنّا ﴿نسقيكم ممّا في بطونه﴾ وقيل في

---

(١) من قصيدة طويلة يعاتب قومه لتسليمهم قيادهم إلى رجلٍ سيّء الخُلق. راجع ديوان لَبيد بن ربيعة: ١١٠، ١٦٨. (٢) كالفرّاء في معانيه ٢: ١٠٨. (٣) الإنسان: ٢١.

(٤) مطلع قصيدة طويلة له في الحنين. راجع ديوان ذي الرُمَّة: ٢٨٧.

(٥) الغريبين ٣: ٩٠٧.

تذكيره ثلاثة أقوال:

أحدهما: إنّه ردّ إلى واحده، لأنّ النَعَم والأنعام بمعنىً، قال سيبويه: والاسم الواحد يجيء على «أفعال» يقال هو الأنعام. قال تعالى: ﴿في بطونه﴾[١] ذهب إلى أنّه اسم واحد تلقيباً[٢] للجمع، كما أنّ «الخيل» اسم مؤنّث لا واحد له، والنَعَم اسم مذكّر للجماعة لا واحد له، وقال الراجز:

وطَابَ أَلْبانُ اللقاحِ فَبَرَدْ[٣]

ردّه إلى اللبن. الثاني: إنّه حُمِلَ على المعنى، والتقدير: بطون ما ذكرنا، كما قال الصَلَتان العَبْدي:

إنّ السماحةَ والمُروءَةَ ضُمِّنا قَبْراً بِمَرْوَ على الطريقِ الواضحِ[٤]

كأنّه قال: شيئان ضُمِّنا. الثالث: لأنّه في معنى «أيّ» كأنّه قال: ﴿نسقيكم ممّا في بطونه﴾ أي: من أيّ الأنعام كان في بطونه اللبن، لأنّه ليس لكلّها لبن[٥].

وقوله: ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾ فالفَرْث: الثفل الّذي ينزل إلى الكرش، فبيّن أنّه تعالى يخرج ذلك اللبن الصافي اللذيذ المشهّي من بين ذلك وبين الدم الّذي في العروق، النجس ﴿سائغاً للشاربين﴾ أي: مريئاً لهم، لا ينفرون منه ولا يشرقون بشربه، وذلك من عجيب آيات الله ولطف تدبيره وبديع حكمته، الّذي لا يقدر عليه غيره، ولا يتأتّى من أحدٍ سواه.

ثمّ قال: ﴿ومن ثمرات﴾ وهو جمع «ثمرة» وهو ما يطعمه الشجر ممّا فيه اللذّة، والثمرة خاصّة طُعْم الشجر ممّا فيه اللذّة. يقال: أَثْمَرَت الشجرة

---

(١) الكتاب ٣: ٢٣٠.
(٢) في الحجريّة: «بلفظ الجمع» بدل «تلقيباً».
(٣) أنشده الفرّاء في معانيه ١: ١٢٩ و٢: ١٠٨ ولم ينسبه لأحد. وكذا الطبري ذيل الآية.
(٤) أنشده الطبري ذيل الآية.
(٥) كذا، وفي مجمع البيان: «ليس لجميعها لبن» وفي الحجرية: «ليس كلّها لَبناً».

إثماراً إذا حملت كالنخلة والكرمة وغيرهما من أصناف الشجر.

وقوله: ﴿تتّخذون منه سَكَراً﴾ قيل في معنى «السكر» قولان:

أحدهما: تتّخذون منه ما حلّ طعمه من شرابٍ أو غيره، ذكره الشعبي وغيره. وروي عن ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر وإبراهيم وأبي رَزِين والحسن ومجاهد وقَتادة: أنّ السَكَر ما حُرِّم من الشراب، والرزق الحسن ما أُحلَّ منه.

و«السَكَر» في اللغة على أربعة أقسام: أحدها: ما أسكر، والثاني: ما طعم من الطعام، كما قال الشاعر:

جَعَلْتُ عَيْبَ الأَكْرمينَ سَكَرا[١]

أي: طعماً، الثالث: السكون، قال الشاعر:

وجَعَلْتُ عَيْنُ الحَرُورِ تَسْكُرُ[٢]

والرابع: المصدر من قولك: سَكِرَ سكْراً، وأصله: انسداد المجاري بما يُلْقى فيها، ومنها: السُكْر.

وقوله: ﴿منه﴾ الكناية راجعة إلى محذوف، قال قوم: تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتّخذون منه، فالهاء كناية عن «ما» المحذوفة. وقال آخرون: تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتّخذون منه.

وقد استدلّ قوم بهذه الآية على تحليل النبيذ بأن قالوا: امتنّ الله علينا وعدّده من جملة نِعمه علينا أن خوّلنا الثمار نتّخذ منها السَكَر والرزق الحسن، وهو لا يمتنّ بما هو محرَّم!![٣] وهذا لا دلالة فيه لأمور:

---

(١) و (٢) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٣) كابن جرير الطبري ذيل الآية وقال: قد دللنا عليه في كتابنا المسمّى «لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام».

أحدها: أنّه خلاف ما عليه المفسِّرون، لأنّ أحداً منهم لم يقل ذلك، بل التابعون من المفسِّرين[1] قالوا: أراد ما حرّم من الشراب؛ وقال الشعبي منهم: إنّه أراد ما حلّ طعمه من شرابٍ وغيره.

والثاني: أنّه لو أراد بذلك تحليل السَكَر لما كان لقوله: ﴿ورزقاً حسناً﴾ معنىً، لأنّ ما أحلّه وأباحه فهو أيضاً رزق حسن، فَلِمَ فرّق بينه وبين «الرزق الحسن» والكلّ شيء واحد؟ وإنّما الوجه فيه: أنّه خلق هذه الثمار لتنتفعوا بها، فاتّخذتم أنتم منها ما هو محرّم عليكم وتركتم ما هو رزق حسن.

وأمّا وجه المنّة فبالأمرَيْن معاً ثابتة، لأنّ ما أباحه وأحلّه فالمنّة به ظاهرة لتعجيل الانتفاع به، وما حرّمه فوجه المنّة أيضاً ظاهر به؛ لأنّه إذا حرّم علينا وأوجب الامتناع منه، ضمن في مقابلته الثواب الّذي هو أعظم النِعَم، فهو نعمة على كلّ حال.

والثالث: أنّ «السَكر» إذا كان مشتركاً بين المُسْكِر وبين الطُعْم وجب أن يتوقّف فيه، ولا يُحمل على أحدهما إلّا بدليل، وما ذكرناه مجمع على أنّه مراد، وما ذكروه ليس عليه دليل. على أنّه كان يقتضي أن يكون ما أسكر منه يكون حلالاً، وذلك خلاف الإجماع، لأنّهم يقولون: القدر الّذي لا يُسْكِر هو المباح، وكان يلزم على ذلك أن يكون الخمر مباحاً! وذلك لا يقوله أحد، وكذلك كان يلزم أن يكون النَقِيع حلالاً، وذلك خلاف الإجماع.

---

(١) كالشعبي وإبراهيم النخعي والضحّاك وأبي رزين وابن زيد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وابن أبي ليلى وغيرهم. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

وقوله: ﴿إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾ معناه: أنّ فيما ذكره دلالة ظاهرة للّذين يعقلون عن الله، ويتفهّمونه ويفكّرون فيه.

قوله [تعالى]:

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ آيتان بلا خلاف.

قُرِئ: ﴿يعرشون﴾ بضمّ الراء وكسرها، وهما لغتان. ومعناه: وما يبنونه من السُقُوف، وقال ابن زيد: يعني: الكروم. قال ابن عبّاس ومجاهد: معنى ﴿أوحى ربّك إلى النحل﴾ ألهمها إلهاماً. وقال الحسن: جعل ذلك في غرائزها، أي: ما يخفى مثله عن غيرها. وذلك إيحاء في اللغة.

وقال أبو عبيده: «الوَحْي» على وجوه في كلام العرب: منها: وحي النبوّة، ومنها: الإلهام، ومنها: الإشارة، ومنها: الكتاب، ومنها: الإسرار. فالوحي في النبوّة: ما يوحي الله إلى الأنبياء، كقوله: ﴿إلّا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه﴾[١]. والوحي بمعنى الإلهام، قوله: ﴿وأوحىٰ ربّك إلى النحل﴾ وقوله: ﴿وأوحينا إلى أمّ موسىٰ﴾[٢] وفي الأرض: ﴿بأنّ ربّك أوحىٰ لها﴾[٣] ووحي الإشارة كقوله: ﴿فأوحىٰ إليهم أن سبّحوا﴾[٤] قال مجاهد: أشار إليهم، وقال الضحّاك: كتب لهم. وأصل الوحي عند العرب هو: إلقاء الإنسان إلى صاحبه شيئاً بالاستتار والإخفاء. ووحي الإسرار مثل قوله: ﴿يوحي بعضهم الى بعض زُخْرُفَ القول

---

(١) الشورىٰ: ٥١. (٢) القصص: ٧. (٣) الزَلْزَلة: ٥. (٤) مريم: ١١.

غُروراً﴾[١]. فأمّا ما روي عن ابن عبّاس من أنّه قال: «لا وحي إلّا القرآن» قال أبو عبيد أراد: أنّ القرآن هو الوحي الّذي نزل به جبرائيل على محمّدﷺ دون أن يكون أنكر ما قلناه. ويقال: وَحى له وأوحى إليه، قال العجّاج:

وَحَىٰ لها القَرارَ فاستَقَرَّت[٢]

قال المبرّد: ما روي عن ابن عبّاس إنّما قاله لمّا سُئِلَ عمّا كان وضعه المختار وسمّاه الوحي، فقال ابن عبّاس: لا وحي إلّا القرآن، جواباً للسائل عمّا أحدثه المختار وادّعى أنّه ينزل إليه[٣].

وواحد «النحْل»: نَحْلَة، والمعنى: أنّ الله تعالى أَلْهَم النحل اتّخاذ المنازل والمساكن والأوكار[٤] والبيوت في الجبال وفي الشجر وغير ذلك ﴿وممّا يعرشون﴾ يعني: سقوف البيوت ﴿ثمّ كلي من كلّ الثمرات فاسلكي سُبُل ربّك ذُلُلاً﴾ معناه: أنّه تعالى ألهمها أيضاً أن تأكل من الثمرات وسائر الأشجار الّتي تحويها[٥]. و «الذُلُل» جمع «ذَلُول» وهي الطرق الموطَّأَة للسلوك، وقيل: طرق لا يتوعّر عليها سلوكها، عن مجاهد. وقال قَتادة: معنى: ﴿ذُلُلاً﴾ أي: مطيعة، ويكون من صفة النحل. وقال غيره: هو من صفات الطريق[٦] ومعنى ﴿ذُلُلاً﴾: أنّه قد ذلّلها لك وسهّل عليك سلوكها. وفي ذلك أعظم العِبَر وأظهر الدلالة على توحيده تعالى، وأنّه لا يقدر عليه سواه.

---

(١) الأنعام: ١١٢.
(٢) أنشده في اللسان: مادّة «وحي».
(٣) في الحجريّة: «تنزيله» بدل «أنّه ينزل».
(٤) في «م»: «الأوكان» بدل «الأوكار»، وكلاهما بمعنى واحد.
(٥) في هامش الحجريّة: تهويها ظ.
(٦) اختاره الطبري ذيل الآية.

ثمّ قال: ﴿يخرج من بطونها﴾ يعني: بطون النحل ﴿شراب مختلف ألوانه﴾ من أصفر وأبيض وأحمر، مع أنّها تأكل الحامض والمرّ فيحيله الله عسلاً حلواً لذيذاً ﴿فيه شفاء للناس﴾ [لما شفائها فيه][1]. وأكثر المفسّرين على أنّ الهاء راجعة إلى العسل، وهو الشراب الّذي ذكره، وأنّ فيه شفاء من كثير من الأمراض، ومنافع جمّة. وقال مجاهد: الهاء راجعة إلى القرآن ﴿وفيه شفاء للناس﴾ لما فيه من بيان الحلال والحرام، والفُتيا والأحكام. والأوّل أقوى.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ فيما ذكره آيات واضحات ودلالات بيّنات، لمن يتفكّر فيه ويهتدي بهديه. وإنّما قال: ﴿من بطونها﴾ وهو خارج مِن فِيها، لأنّ العسل يخلقه الله في بطون النحل ويخرجه إلى فِيه، ثمّ يخرجه مِن فِيه، ولو قال: «مِن فيها» لظُنَّ أنّها تلقيه مِن فِيها، وليس بخارج من البطن.

قوله [تعالى]:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٧٠﴾ آية بلا خلاف .

هذه الآية فيها تعديد لِنعِمَ الله تعالى على عباده شيئاً بعد شيء، ليشكروه عليها، وبحسبها يقول الله: إنّي أنا الّذي خلقتكم وأخرجتكم من العدم إلى الوجود، وأنعمت عليكم بضروب النِعَم، دينيّة ودنياويّة ﴿ثمّ﴾ إنّ الّذي خلقكم ﴿يتوفّاكم﴾ ويقبضكم، أي: يميتكم ﴿ومنكم مَن يُرَدُّ إلى أرذل العمر﴾ وهو أرداه وأوضعه، يقال منه: رَذَلَ الشيء يَرذُلُ رَذالَةً، وأرْذَلْتُه أنا إرذالاً، يريد به حال الذمّ، وقيل: إنّه يصير كذلك في خمس

(١) من الحجريّة.

وسبعين سنة، في قول عليّ عليه السلام(١).

وقوله: ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ إخبار منه لها بردّه إلى أرذل العمر ليرجع إلى حال الطفوليّة بنسيان ما كان علم للكبر. فكأنّه لا يعلم شيئاً ممّا كان علم، وفي ذلك أعظم دلالة وأبيَن اعتبار على قادر يصرّف الخلق(٢) من حال إلى حال. ثمّ أخبر ﴿إنّ الله عليم﴾ بمصالح عباده، قادر على ما يشاء من تدبيرهم وتغيير أحوالهم.

قوله [تعالى]:

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَامَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ آية بلا خلاف .

قرأ أبوبكر عن عاصم: ﴿تجحدون﴾ بالتاء على معنى: قل لهم يامحمّد أفمن أجل ما أنعم الله عليكم أشَرْتم وبطرتم وجحدتم؟ وقرأ الباقون بالياء.

وبّخهم الله تعالى على جحودهم نعمه، فيقول الله تعالى لخلقه، بأنّه ﴿فضّل﴾ بعضهم على بعض ﴿في الرزق﴾ لأنّه خلق فيهم غنيّاً وفقيراً، وقادراً وعاجزاً، وفضّل بني آدم على سائر الحيوان في لذيذ المأكل والمشرب، وجعل بعضهم مالكاً(٣) وبعضهم رقّاً مملوكاً.

وقوله: ﴿فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم علىٰ ما ملكت أيمانهم﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّهم لا يشركون عبيدهم في أموالهم وأزواجهم حتّى يكونوا (فيه سواء)، لأنّهم لا يرضون بذلك لأنفسهم، وهم يشركون عبيدي في

---

(١) رواه الطبري ذيل الآية.

(٢) كذا في «ح»، وفي «م»: «قادر من متصرف الخلق»، وفي الحجريّة: «قادر مصرّف للخلق».

(٣) في الحجريّة زيادة: «على بعض».

ملكي وسلطاني ويوجّهون العبادة والقربات إليهم، مثل قربهم إلى الله تعالى، ذكره ابن عبّاس وقَتادة ومجاهد.

الثاني: إنّهم سواء في أن رزقت الجميع، وأنّه لا يمكن أحداً أن يرزق عبيده إلّا برزقي إيّاه. أفبهذه النِعَم الّتي عددتها وذكرتها ﴿يجحدون﴾ هؤلاء الكفّار؟!

قوله [تعالى]:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّي أنا الّذي جعلت لكم أزواجاً ﴿من أنفسكم﴾ يعني: من البشر، والّذين يلدونهم ليكون ذلك آنس لهم وألْيَق بقلبهم، وخلقت من هؤلاء الأزواج ﴿بنين﴾ تسرّون بهم وتتزيّنون بهم ﴿وحَفَدَة﴾ أي: وخلق لكم حَفَدَة. وقيل في معناه أقوال:

قال مجاهد وطاووس: هم الخَدَم. وقال ابن عبّاس: هم الخَدَم والأعوان، وأنشد قول جَميل:

حَفَدَ الولائِدُ حولَها واستَمْسَكَت بأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمالِ[١]

وفي رواية أُخرى عن ابن عبّاس: أنّهم البنون وبنو البنين. وفي رواية أُخرى: أنّهم بنو امرأة الرجل من غيره. وقال الحسن: مَن أعانك فقد حَفَدَك من البنين وبني البنين والأعوان والأهل. وقال ابن مسعود وأبوالضحى وإبراهيم وسعيد بن جُبَيْر: هم الأختان، وهم أزواج البنات.

---

(١) لم أجده في ديوان جميل بثينة، وأنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد، ونسبه في ص ٩٨ إلى حميد، وفيه: «حولهُنَّ وأَسْلَمَتْ».

وأصل «الحَفْد»: الإسراع في العمل، ومنه: يسعى ويَحفِدُ، ومَرَّ البعيرُ يحفِدُ حَفَداناً: إذا مرَّ يسرع في سيره، وحَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً حُفُوداً وحَفَداناً، قال الراعي:

كَلَّفْتُ مَجْهُولها نُوقاً يَمانِيَةً إذا الحُداةُ علىٰ أكسائِها حَفَدوا[1]

و «الحَفَدَة» جمع «حافد» مثل: كامِل وكَمَلَة.

وقوله: ﴿ورزقكم من الطيّبات﴾ أي: جعل لكم أشياء تستطيبونها وأباحها لكم. وإنّما دخلت «من» لأنّه ليس كلّ ما يستطعيبه[2] الإنسان رزقاً له، وإنّما رزقه ما له التصرّف فيه وليس لغيره منعه منه.

ثمّ قال: ﴿أفبالباطل﴾ يعني: عبادة الأوثان والأصنام، وما حرم عليهم الشيطان من البحائر والسائبة والوصيلة، يصدّقون ﴿وبنعمة الله﴾ الّتي عدّدها لهم ﴿يكفرون﴾ أي: يجحدون ما أحلّه الله وما حرّم عليهم.

قوله [تعالى]:

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَالَايَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَايَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ آيتان بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفّار الّذين وصفهم بأنّهم يجحدون نِعَم الله: بأنّهم يوجّهون عبادتهم إلى مَنْ دون الله، إلى ﴿ما لا يملك لهم رزقاً﴾ أي: لا يقدر عليه، يعني بها: الأصنام الّتي لا تقدر لهم على نعمة، ولا على ما تستحقّ به العبادة، ولا على رزقٍ يرزقونهم ﴿من السموات والأرض﴾

---

(١) من قصيدة يمدح عبدالملك بن مروان. راجع ديوان الراعي النميري: ٨٥.

(٢) كذا في «ح»، وفي «م»: «يستطبعه»، وفي الحجريّة: «يستطعمه».

ولا يستطيعون ﴿شيئاً﴾ ممّا ذكرناهُ، ويتركون عبادة من يقدر على جميع ذلك ويفعله بهم، ورزق السماء الغيث الّذي يأتي من جهتها، ورزق الارض النبات والثمار الّتي تخرج منها.

وقوله: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ معناه: لا تجعلوا لله الأشباه والأمثال في العبادة، فإنّه لا شبه له ولا مثل[(١)] ولا أحد يستحقّ معه العبادة، وذلك في اتخاذهم الأصنام آلهة، ذكره ابن عبّاس وقَتادة.

وقوله: ﴿شيئاً﴾ نصب على أحد وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون بدلاً من ﴿رزقاً﴾ والمعنى: ما لا يملك لهم رزقاً، قليلاً ولا كثيراً. والثاني: أن يكون منصوباً بـ﴿رزقاً﴾ كما قال: ﴿أو إطعام في يومٍ ذي مَسْغبَة يتيماً﴾[(٢)] كأنّه قال: لا يملك لهم رزق شيء.

وقوله: ﴿إنّ الله يعلم﴾ أي: يعلم أنّه لا تحقّ العبادة إلّا له ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ ذلك بل تجهلونه، ولكن يجب عليكم أن تنظروا لتعلموا صحّة ما قلناه.

قوله [تعالى][(٣)]:

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آية[(٤)] بلا خلاف.

---

(١) في الحجريّة: «لا مثيل» بدل «لا مثل».
(٢) البلد: ١٤ و ١٥.
(٣) هذا أوّل النسخة رقم (٦٨١) من مكتبة آيةالله الحكيم العامّة فيالنجف، وقدرمزناله «س».
(٤) في «س» زيادة كلمة «واحدة» هنا وكذا في الموارد المشابهة، لكنا أعرضنا عن إثباتها عموماً؛ لِكون النسخة تغاير سائر ما بأيدينا بمثل هذه الزيادات وأشباهها. ممّا يدلّ على عدم تقيد الناسخ بالنصّ تقيّداً تامّاً.

قيل في معنى هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّه مَثَل ضرب للكافر الّذي لا خير عنده والمؤمن الّذي يكتسب الخير، للدعاء إلى حال المؤمن والصرف عن حال الكافر، وهو قول ابن عبّاس وقَتادة.

الثاني: قال مجاهد: إنّه مَثَل ضربه لعبادتهم الأوثان الّتي لا تملك شيئاً، والعدول عن عبادة الله الّذي يملك كلّ شيء، والمعنى: أنّ الاثنين المتساوِيَيْن في الخلق إذا كان أحدهما قادراً على الإنفاق مالكاً والآخر عاجزاً لا يقدر على الإنفاق لا يستويان، فكيف يسوّى بين الحجارة الّتي لا تتحرّك ولا تعقل وبين الله تعالى القادر على كلّ شيء الرازق لجميع خلقه؟! فبيّن بذلك لهم أمر ضلالتهم وبُعدهم عن الحقّ في عبادة الأوثان.

ثمّ قال: ﴿الحمد لله﴾ أي: الشكر له تعالى على نِعَمه، لا يستحقّه من لا نعمة له ولكن ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ ذلك.

وفي هذه الآية دلالة على أنّ المملوك لا يملك شيئاً، لأنّ قوله: ﴿مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ ليس المراد به نفي القدرة، لأنّه قادر على التصرّف، وإنّما المراد أنّه لا يملك التصرّف في الأموال، وذلك عامّ في جميع ما يملك ويتصرّف فيه.

قوله [تعالى]:

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَايَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰـهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَايَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴿٧٦﴾ آية بلا خلاف.

قيل في معنى ضرب هذا المَثَل قولان:

أحدهما: أنّه مَثَل ضربه الله فيمَن يُؤمَّل الخير من جهته ممّن لا يُؤمَّل،

فيؤمّل[١] الخير كلّه من الله تعالى لا من جهة الأوثان والعباد، فلا ينبغي أن يسوّى بينهما[٢] في العبادة.

الثاني: أنّه مَثَل للكافر والمؤمن، ووجه التقابل في ضرب المَثَل بهذين الرجلين: أنّه على تقدير: ومن هو بخلاف صفته ﴿يأمر بالعدل وهو علىٰ صراط مستقيم﴾ في تدبير الأُمور بالحقّ، وهذا زيادة في ضرب المَثَل من الله تعالى، فإنّه يقول: إنّ الرجلين إذا كان ﴿أحدهما أَبْكم لا يقدر علىٰ شيء﴾ وهو الّذي لا يسمع شيئاً ولا يبصر ولا يعقل، وهو مع ذلك ﴿كَلٌّ علىٰ مولاه﴾ أي: وليّه ﴿أينما يوجّهه﴾ بخير ﴿لا يأتِ بخيرٍ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل﴾ مع كونه ﴿علىٰ صراط مستقيم﴾؟ والمراد: أنّهما لا يستويان قطّ.

و «الأَبْكم»: الّذي يُولَد أخْرس، لا يَفْهَم ولا يُفْهِم. وقيل: إنّه ضرب المَثَل للوثن مع انهماكهم على عبادته وهو بهذه الصفة[٣]. وقيل: «الأَبْكم» هو الّذي لا يمكنه أن يتكلّم. و «الكَلّ»: الثِقْل، كَلَّ عن الأمر يَكلُّ كَلّاً: إذا ثَقُلَ عليه فلم ينبعث فيه، وكَلَّتِ السِكّينُ كُلُولاً: إذا غَلُظَت شفرتها، وكَلَّ لسانه: إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حدّه، فالأصل: الغلظ الّذي يمنع من النفوذ في الأمر.

وقوله: ﴿وهو علىٰ صراطٍ مستقيم﴾ أي: هو مع أمره بالعدل على طريقٍ من الحقّ في دعائه إلى العدل، فأمره به مستقيم لا يعوجّ ولا يزول عنه.

---

(١) في الحجريّة، وفي المخطوطة: «فتأميل». (٢) في «س»: «بينها».

(٣) قاله الفرّاء في معانيه ٢: ١١١.

قوله [تعالى]:

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ آيتان بلا خلاف .

أخبر الله تعالى: أنّ له ﴿غيب السموات والأرض﴾ ومعناه: أنّه المختصّ بعلم ذلك، وهو ما غاب عن جميع العالمين ممّا يصحّ أن يكون معلوماً، فإنّه تعالى يختصّ بالعلم به، وقال الجُبّائي: ويحتمل أن يكون المعنى: ولله ملك ما غاب عنكم[1] ممّا في السماوات والأرض.

ثمّ قال: ﴿وما أَمرُ الساعة﴾ أي: مجيئها وهي يوم القيامة، في السرعة وقرب المجيء ﴿إلّا كَلَمْح البصر أو هو أقرب﴾ من ذلك، وذلك مبالغة في ضرب المَثَل به في السرعة، وأنّه قادر عليه. ودخول ﴿أو﴾ في قوله: ﴿أو هو أقرب﴾ لأحد أمرَيْن:

أحدهما: الإبانة عن أنّه على إحدى منزلتَيْن إمّا كَلَمْح البصر أو أقرب من ذلك. والثاني: أنّه قال ذلك لشكّ المخاطب، وإنّما قرب أمرها لأنّه بمنزلة ﴿كن فيكون﴾[2] فمن هاهنا صحّ أنّها كلمح البصر أو هو أقرب.

ثمّ ذكر نعَمِه الّتي أنعم بها على خلقه، فقال: هو تعالى ﴿الّذي أخرجكم من بطون أُمّهاتكم﴾ وأنعم عليكم بذلك، وأنتم في تلك الحال ﴿لاتعلمون شيئاً﴾ ولا تعرفونه، فتفضّل عليكم بالحواسّ الصحيحة الّتي هي طرق إلى العلم بالمدركات (وجعل لكم) قلوباً تفقهون بها الأشياء

(١) لم ترد «عنكم» في الحجريّة.

(٢) ورد ذلك في مواضع متعدّدة من القرآن منها: الآية ٤٠ من هذه السورة.

لأنّها محلّ المعارف، لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه على نِعَمه.

قوله [تعالى]:

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿يوم ظَعَنِكم﴾ بتحريك العين، الباقون بتسكينها، وهما لغتان، مثل: «نَهْر وَنَهَر» و «شَمْع وشمَع». وقرأ ابن عامر وحمزة وخَلفَ ويعقوب ﴿ألم تروا﴾ بالتاء على الخطاب، الباقون بالياء على وجه التذكير لما تقدّم ذكره والتنبيه لهم.

يقول الله تعالى منبّهاً لخلقه على وجه الاستدلال على وحدانيّته: ﴿ألم يروا﴾ يعني: هؤلاء الكفّار الجاحدين لربوبيّته ﴿إلى الطير﴾ قد سخّرها الله ﴿في جوّ السماء﴾ و بسط[1] الهواء، حتّى يمكنها أن تتصرّف في جوّ السماء على حسب إرادتها، ويعلمون أنّ لها مسخّراً ومدبّراً لا يشبه الأشياء، لأنّ من المعلوم أنّ أحداً من البشر لا يقدر على مثل ذلك، ولا يتأتّى منه ذلك، وأنّ من مكّن الطير من تلك الحال قد كان يجوز أن يمكّنها منه ابتداءً واختراعاً، من غير أسباب أدّت إلى أن صارت على تلك الأوصاف، لأنّه قادر لا يعجزه شيء، ولا يتعذّر عليه شيء، وأنّه إنّما

---

(١) في «س»: «ووسط». في الحجريّة: وسط.

خلق ذلك ليعتبروا به وينظروا فيه، فيصلوا به إلى الثواب الّذي عرّضهم له، ولو كان فعل ذلك لمجرّد الإنعام به على العبد كان حسناً، لكن ضمّ إلى ذلك التعريض للثواب على ما قلناه.

وإنّما قال: ﴿ما يمسكهنّ إلّا الله﴾ وهي تستمسك بالقدرة الّتي أعطاها الله مبالغةً في الصفة، فإنّ الله يمكّنها بالهواء الّذي تتصرّف فيه، لأنّه ظاهر أنّها بالهواء تستمسك عن السقوط، وأنّ الغرض في ذلك تسخير ماسخّر لها.

ثمّ قال: ﴿إنّ في﴾ خلق ﴿ذلك﴾ على ما وصفه لدلالات ﴿لقوم﴾ يصدّقون بتوحيد الله ويصدّقون أنبياءه، وخصّ المؤمنين بذلك لأمرَيْن:

أحدهما: من حيث هم المنتفعون بها دون غيرهم. الثاني: لأنّهم يدلّون بها [على] مخالفي التوحيد، وهي دلالة من الله للجميع. و «الجَوّ»: الفُتُح [1] ما بين السماء والأرض، قال الأنصاري:

وَيْلُ امِّها في هَواءِ الجَوِّ طالبةً
ولا كَهذا الّذي في الأَرضِ مَطْلُوبُ [2]

ثمّ عدّد في الآية الأُخرى نِعَمه فقال: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سَكَناً﴾ أي: مواضع تسكنون فيها ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها﴾ وهي بيوت الأُدم الّتي تتّخذ للسفر والحضر، فهيّأالله ذلك لما فيه من المرافق والمنافع ﴿تستخفّونها﴾ أي: يخفّ عليكم حملها ﴿يوم ظَعْنِكم﴾ أي: يوم ارتحالكم من مكان إلى مكان ﴿ويوم إقامتكم﴾ يعني: اليوم الّذي تنزلون موضعاً تقيمون فيه، ثمّ قال: ﴿و﴾ جعل لكم ﴿من

(١) فُتُح: جمع فَتحه بمعنى فرجه.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية. والبيت منسوب إلى امرئ القيس، نسبه سيبويه في الكتاب ٢: ٢٩٤ ووجدناه في ديوانه: ٧٧ من قصيدة يصف فيها فرسه، وفيه: «لا كالّتي في هواء...».

أصوافها﴾ ومن أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز ﴿أثاثاً﴾ يعني: متاع البيت الكثير، من قولهم: شَعر أثيث أي: كثير، وأَثَّ النبت يَئِثُّ أَثّاً إذا كَثُر وٱلْتَفَّ، وكذلك «الشَعْر»، ولا واحد لـ«الأثاث»، كما لا واحد لـ«المتاع» قال الشاعر:

أَهــاجَتْكَ الظَـعَائِنُ يــومَ بـانُوا   بذِي الزيّ الجميلِ من الأَثاثِ[1]

وقوله: ﴿إلىٰ حينٍ﴾ معناه: إلى وقتٍ يهلك فيه، ثمّ قال: ﴿والله جعل لكم ممّا خلق ظِلالاً﴾ يعني: من الشجر وغيره[2] ما تسكنون فيه من أذى الحرّ والبرد ﴿وجعل لكم سرابيل﴾ يعني: قُمُصاً من القطن والكتّان في قول قَتادة، واحدها: سربال، ويقال للدروع: «سَرابيل» وهي الّتي تقي البأس، وقال الزجّاج: كلّ ما لبسته فهو سربال[3].

وقوله: ﴿تقيكم الحرّ﴾ أي: تمنعكم من الحرّ، وخصّ «الحرّ» بذلك مع أنّ وقايتها للبرد أكثر؛ لأمَرَيْن:

أحدهما: أنّ الّذين خُوطبوا بذلك أهل حرٍّ في بلادهم، فحاجتهم إلى ما يقي الحرّ أشدّ، في قول عطاء. الثاني: أنّه ترك ذلك لأنّه معلوم، كما قال الشاعر:

وما أَدرِي إذا يمَّمْتُ أَرضاً   أُريد الخـيرَ أَيُّـهما يـليني

فكنّى عن الشرّ ولم يذكره، لأنّه مدلول عليه، ذكره الفرّاء[4].

وقوله: ﴿كذلك يتمّ نعمته عليكم﴾ أي: كما أنعم عليكم بهذه النِعَم ينعم

---

(١) أنشده أبو عُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٦٥، ونسبه إلى محمّد بن نُمَيْر الثَقَفي.

(٢) كالكهوف في الجبال، وهو ما ذكره تعالى بقوله: ﴿وجعَل لكم من الجبال أكناناً﴾ أي مواضع تسكنون فيها من كهوف و ثقوب تأوون إليها (راجع: مجمع البيان: ذيل الآية).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢١٥.

(٤) معاني القرآن ٢: ١١٢.

عليكم بجميع ما تحتاجون إليه، وهو إتمام نِعَمه في الدنيا، وبيَّن أنّه فعل ذلك [لتسلموا وتؤمنوا، وقرأ ابن عبّاس[١] بفتح التاء، والمعنى][٢] لتَسلموا بتلك الدروع من الجراحات.

قوله [تعالى]:

فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم على وجه التسلية له عمّا كان يلحقه عند تولّي الكفّار عن الحقّ الّذي يلزمهم، وإعراضهم عن القبول منه ﴿فإن﴾ تولّوا[٣] هؤلاء الكفّار وأعرضوا عنك فإنّه لا يلزمك تقصير من أجل ذلك، لأنّ الّذي يلزمك ﴿البلاغ المبين﴾ يعني: الظاهر الّذي يتمكّنون معه من معرفته، وقد فعلته، وحذف جميع ذلك لدلالة الكلام عليه.

ثمّ أخبر عنهم بأن قال هؤلاء الكفّار: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ عليهم، بما[٤] يجدون من خلق نفوسهم وأقدارهم وإكمال عقولهم، وما خلق الله من أنواع المنافع الّتي ينتفعون بها ﴿ثمّ﴾ إنّهم مع ذلك ينكرون تلك النِعَم أن تكون من جهة الله ومنسوبة إليه، وينسبونها إلى الأصنام، ثمّ قال: ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ وإنّما قال: ﴿اكثرهم﴾ مع أنّ جميعهم كفّار لأمرَيْن:

أحدهما: لأنّ فيهم مَن لقّنوه الكفر، ممّن لم يبلغ حدّ التكليف لصغره ولم تقم الحجّة عليه، أو من هو ناقص العقل مؤوف فلا يحكم عليهم بالكفر.

---

(١) كذا في «ح» و في «س» والحجريّة: ابن عامر. وهذه القراءة مرويّة عن ابن عبّاس كما في وانظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في «م».

(٣) في الحجريّة: تولّى.

(٤) في الحجريّة: ممّا.

الثاني: أنّ منهم من ينكر النعمة في حالٍ لم يقم عليه حجّة، للشواغل في قلبه الّتي تلهيه عن تأمّل أمره والفكر في حاله، فيكون في حكم الساهي والصبيّ، وإن كان مكلّفاً لغير ذلك من الأُمور، فلا يكون كافراً بالإنكار في تلك الحال. وقال الجُبَّائي: هو وإن كان لفظُهُ خاصّاً فهو عامّ في المعنى. وقال الحسن: المعنى: أنّ جميعهم الكافرون، وإنّما عزل البعض احتقاراً له أن يذكره.

وفي الآية الثانية دلالة على فساد مذهب المجبِّرة: من أنّه ليس لله على الكافر نعمة! وقولهم: إنّ جميع ما فعله بهم نقمة وخذلان حتّى ارتكبوا المعصية. لأنّ الله تعالى قد بيّن خلاف ذلك نصّاً في هذه الآية.

قوله [تعالى]:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّ اليوم الّذي يُبعَث فيه ﴿من كلّ أُمّة شهيداً﴾ يشهد عليهم بكفرهم وضلالهم وجميع معاصيهم هو يوم القيامة، و «الشهيد» في كلّ أُمّة رسوله، ويجوز أن يكون قوم من المؤمنين المرضيين عند الله. وإنّما يقيم الشهادة عليهم مع أنّه عالم بأحوالهم من حيث: إنّ ذلك أَهْوَل في النفس وأعظم في تصوّر الحال وأشدّ في الفضيحة إذا قامت به الشهادة بحضرة الملأ، الّتي يكون من الله التصديق لها مع جلالة الشهود عند الله بالحقّ.

وقوله: ﴿ثمّ لا يُؤْذَن للّذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: أنّه لا يُؤْذَن لهم في الاعتذار، على أنّ الآخرة مواطن: فيها ما يُمنَعون منه، وفيها ما لا يُمنَعون. الثاني: أنّهم لو يُؤْذَن لهم في

الاعتذار بما ينتفعون، ولا يعرضون للعتبى الّذي هو الرضا. وقال الجُبَّائي: المعنى: أنّ الله يخلق فيهم العلم الضروري بأنّهم إن اعتذروا لم تُقْبَل معذرتهم، وإن استعتبوا لم يعتبوا، ولم يرد: أنّهم لا يُؤْمَرون بالاعتذار ولا يُمكَّنون منه، لأنّ الأمر والتكليف قد زالا عنهم.

ثمّ أخبر تعالى أنّ الظالمين إذا رأوا ﴿العذاب﴾ يوم القيامة وشاهدوه ﴿فلا يخفّف عنهم﴾ ذلك العذاب إذا حصلوا فيه ﴿ولاهم ينظرون﴾ أي: لا يؤخّرون إلى وقتٍ آخر، بل عذابهم دائم في جميع الأوقات، و وقت التوبة والندم قدفات.

قوله [تعالى]:

وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن حال المشركين والكفّار في الآخرة، وأنّهم إذا رأوا ﴿شركاءهم﴾ الّذين كانوا يعبدونهم من دون الله، وقيل: إنّما سمّوا ﴿شركاءهم﴾ لأمرَيْن:

أحدهما: لأنّهم جعلوا لهم نصيباً في أموالهم. الثاني: لأنّهم جعلوهم شركاء في العبادة.

ومعنى قوله: ﴿هؤلاء شركاؤنا الّذين كنّا ندعوا من دونك﴾ اعتراف منهم على أنفسهم بأنّهم كانوا يشركون مع الله غيره في العبادة.

وقوله: ﴿فألقوا إليهم القول إنّكم لكاذبون﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: ألقَى المعبودون القول: ﴿إنّكم لكاذبون﴾ في أنّا نستحقّ

العبادة. والثاني: إنّكم لكاذبون في قولكم: إنّا دعوناكم إلى العبادة.

وقيل: انّكم لكاذبون بقولكم إنّـا آلهـة. وإلقـاء المعنى إلى النـفس: إظهاره لها حتّى تدركه متميّزاً من غيره، فهؤلاء ألقوا القول حـتّى فـهموا عنهم أنّهم كاذبون.

وقوله: ﴿وألقوا إلى الله يومئذٍ السَلَم﴾ معناه: استسلموا بالذلّ لحكـم الله، في قول قَتادة ﴿وضلّ عنهم ما كانوا يـفترون﴾ أي: بـطل مـا كـانوا يأملونه ويتكذّبون[١] من أنّ آلهتهم تشفع لهم.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ ﴿الّذين﴾ يكفرون بـالله ويـجحدون وحـدانـيّته، ويكذّبون رسله، ويصدّون غيرهم ﴿عن﴾ اتّباع الحقّ الّذي هو ﴿سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب﴾ قال ابن مسعود: أفاعي وعقارب النـار لهـا أنياب كالنخل الطِوال جزاءً على ﴿ما كانوا يفسدون﴾ في الأرض.

قوله [تعالى]:

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّ اليوم الّذي ﴿نبعثُ في كلّ أُمّةٍ شهيداً﴾ أي: مـن يشهد ﴿عليهم من أنفسهم﴾ أي: من أمثالهم من البشر، ويجوز أن يكون ذلك نبيّهم الّذي بُعِث إليهم، ويجوز أن يكونوا مؤمنين عارفين بالله ونبيّه، يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي.

وفي ذلك دلالة على أنّ كلّ عصر لا يخلو ممّن يكون قوله حجّة على

---

(١) كذا في «ح»، وفي الحجريّة: «ويكذبون» وفي «م» و «س» «ويقدّرون».

أهل عصره، عدل عند الله، وهو قول الجُبَّائي وأكثر أهل العدل، وهو قولنا وإن خالفناهم في مَنْ ذلك العدل والحجّة؟

﴿وجئنا بك﴾ يا محمّد ﴿شهيداً علىٰ هؤلاء﴾ يعني: كفّار قريش وغيرهم من الّذين كفروا بنبوّته. ثمّ قال: ﴿ونزّلنا عليك الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿تبياناً لكلّ شيء﴾ أي: بياناً لكلّ أمر مشكل، و «التبيان» و«البيان» واحد. ومعنى العموم في قوله: ﴿لكلّ شيء﴾ المراد به: من أُمور الدين: إمّا بالنصّ عليه، أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبيّ ﷺ والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأُمّة، أو الاستدلال، لأنّ هذه الوجوه أُصول الدين، وطرق موصلة إلى معرفته.

وفي الآية دلالة على بطلان قول من قال: الكلام لا يدلّ على شيء، لأنّ كلام الحكيم يدلّ على ذلك[١] من وجهَيْن: أحدهما: أنّه دليل على نفس المعنى الّذي يحتاج إليه، والآخر: أنّه دليل على صحّة المعنى الّذي يحتاج إلى البرهان عليه، ولو لم يكن كذلك لخرج عن الحكمة وجرى مجرى اللغو الّذي لا فائدة فيه.

وقوله: ﴿وهدىً ورحمةً وبشرى﴾ يعني: القرآن دلالة ورحمة وبشارة ﴿للمسلمين﴾ بالجنّة.

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَاتَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا

---

(١) عبارة «على ذلك» من «س».

تَفْعَلُونَ﴿٩١﴾ آيتان بلا خلاف .

يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه: ﴿إنّ الله يأمر بالعدل﴾ يعني: الإنصاف بين الخلق، وفعل ما يجب على المكلّف، و ﴿الإحسان﴾ إلى الغير، ومعناه: يأمركم بالإحسان، فالأمر بالأوّل على وجه الإيجاب، وبالإحسان على وجه الندب، وفي ذلك دلالة على أنّ الأمر يكون أمراً بالمندوب إليه دون الواجب ﴿وإيتاء ذي القربىٰ﴾ أي: وأمركم بإعطاء ذي القربى، وهو[١] يحتمل أمرَيْن:

أحدهما: صلة الأرحام، فيكون ذلك عامّاً في جميع الخلق.

والثاني: أن يكون أمراً بصلة قرابة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهم الّذين أرادهم الله بقوله: ﴿فأنّ لله خُمُسَه وللرسول ولذي القربىٰ﴾[٢] على ما بيّنّاه فيما قبل.

وقوله: ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ إنّما جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي عنها مع أنّ الكلّ منكر فاحش؛ ليبيّن بذلك تفصيل ما نهى عنه، لأنّ «الفحشاء»: قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه ممّا لا يظهر أمره ويعظم قبحه، و «المنكر»: ما يظهر للناس ممّا يجب عليهم إنكاره. و «البغي»: ما يتطاول به من الظلم لغيره، ولا يكون «البغي» إلّا من الفاعل لغيره، و «الظلم» قد يكون ظلم الفاعل لنفسه.

وروي عن ابن[٣] عُيَيْنَة أنّه قال: «العدل» هو استواء السريرة والعلانية، و «الإحسان» أن تكون سريرته أحسن من علانيته، و«الفحشاء» و «المنكر» أن يكون علانيته أحسن من سريرته.

ثمّ بيّن تعالى أنّه يعظ بما ذكّره خَلْقَه، لكي يذّكّروا ويتفكّروا ويرجعوا

---

(١) كلمة «هو» من «س». (٢) الأنفال: ٤١. (٣) في الحجريّة: أبي.

إلى الحقّ. ثمّ أمر تعالى خلقه بأن يَفُوا بعهده إذا عاهدوا عليه، و «العهد» الّذي يجب الوفاء به: هو كلّ فعل حسن إذا عقد عليه وعاهد الله ليفعله بالعزم عليه، فإنّه يصير واجباً عليه ولا يجوز له خلافه، ثمّ يكون عِظَم النقض بحسب الضرر به، فأمّا إذا رأى غيره خيراً منه فليأتِ الّذي هو خير وليكفِّر عند الفقهاء. وقال أصحابنا: إذا وجد خيراً منه فعل الخير ولا كفّارة عليه، وهذا يجوز فيما كان ينبغي أن يشرط، فأمّا إذا أطلقه وهو لا يأمن أن يكون غيره خيراً، فقد أساء بإطلاق العقد عليه.

ثمّ قال: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ نهيٌ منه تعالى عن حنث الأيمان بعد عقدها وتأكيدها، يقال: أكّدته تأكيداً، ووكّدته توكيداً، والأصل الواو، وإنّما أُبدلت الهمزة منها كما قالوا: «وقّتت» و «أُقّتت».

وفي الآية دلالة على أنّ اليمين على المعصية غير منعقدة، لأنّها لو كانت منعقدة لما جاز نقضها، وأجمعوا على أنّه يجب نقضها، ولا يجوز الوفاء بها، فعلم بذلك أنّ اليمين على المعصية غير منعقدة.

والنقض في المعاني يمكن في ما لا يجوز أن يصحّ مع خلافه، بل إن كان حقّاً فخلافه باطل، وإن كان باطلاً فخلافه حقّ، نحو: إرادة الشيء وكراهته، والأمر بالشيء والنهي عنه، والتوبة من الشيء والعود فيه، وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلا﴾ أي: حسيباً فيما عاهدتموه عليه ﴿إنّ الله يعلم ما تفعلون﴾ من نقض العهد والوفاء به، وذلك تهديد ووعيد بأن يجازي على ما يكون منكم على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب.

وقيل: إنّ الآية نزلت في الّذين بايعوا النبيّ ﷺ على الإسلام[١].

وقال بعضهم: نزلت في الحِلْف الّذي كان عليه أهل الشرك، فأُمروا في الإسلام بالوفاء به، ذكره ابن زيد.

قوله [تعالى]:

وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ آيتان بلا خلاف.

هذا نهي من الله تعالى للمكلّفين أن يكونوا ﴿كالّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً﴾ فواحد «الأنكاث»: نِكْث، وكلّ شيء نُقِض بعد الفَتْل فهو أنْكاث، حبلاً كان أو غَزْلاً، يقال منه: نَكَثَ فلان الحَبْلَ يَنْكُثه نَكْثاً، والحبل منْتَكث إذا انتقضت قِوَاه.

و «الدَخَل»: ما أُدخل في الشيء على فساد، والمعنى: تدخلون الأيمان على فسادٍ للغرور، وفي نيّتكم الغدر بمن حلفتم له، لأنّ غيرهم أكثر عدداً منهم. وقيل: «الدَخَل»: الدَغَل والخَديعة[٢]، وإنّما قيل: «الدَخَل» لأنّه داخل القلب علىٰ ترك الوفاء، والظاهر على الوفاء. وقيل: ﴿دَخَلاً﴾ غلّاً وغشّاً[٣] ويقال، أنا أَعلم دَخْلَ فُلانٍ ودخْلُلَه ودخْلَلَه[٤] ودِخْلَته ودَخِيلَته، والمعنى: لا تنقضوا الأيمان لكثرتكم وقلّة مَن حَلفتم له، أو لقلّتكم وكثرتهم فإذا وجدتم أكثر منهم نقضتم، بل احفظوا عهدكم.

---

(١) قاله بُرَيْدة. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.
(٢) قاله الفرّاء في معانيه ٢: ١١٣.
(٣) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٢١٧.
(٤) في «م»: «و دخليله».

و﴿دَخَلاً﴾ منصوب بأنّه مفعول له.

وقوله: ﴿أن تكون أُمَّةٌ هي أَرْبىٰ من أمَّة﴾ أي: أكثر عدداً لطلب العزّ بهم مع الغدر بالأقلّ، وهو «أَفْعَل» من «الربا» قال الشاعر:

وأَسْــمَرَ خَــطِّي كأَنَّ كُعُوبَهُ نَــوَى

القَسْبِ قد أَرْبىٰ ذِراعاً على العَشْرِ[1]

ومنه: أربىٰ فلان، للزيادة الّتي يزيدها على غريمه في رأس ماله. ﴿وأربى﴾ في موضع رفع، وأجاز الفرّاء أن تكون في موضع نصب، وتكون «هي» عماداً[2]. وقال الزجّاج: لا يجوز ذلك، لأنّ العماد لايكون بين نكرتَينْ، لأنّ ﴿أُمَّة﴾ نكرة، ويفارق قوله: ﴿تجدوه عند الله هو خيراً﴾[3] لأنّ الهاء في ﴿تجدوه﴾ معرفة[4].

وقوله: ﴿إنّما يبلوكم الله به﴾ معناه: إنّما يختبركم الله بالأمر بالوفاء، فالهاء في ﴿به﴾ عائدة على الأمر، وتحقيقه: يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بالعمل ﴿وليبيّننّ لكم﴾ أي: ويفصّل لكم ويُظْهر لكم ﴿ما كنتم﴾ تختلفون في صحّته يوم القيامة.

والّتي نَقَضت غزلها من بعد إبرام قيل[5]: إنّها رَيْطَة بنت عَمر وبن كَعْب بن سعيد بن تَميم بن مُرَّة، وكانت حمقاء، فضربه الله مثلاً فقال: ﴿أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ فتكونوا إن فعلتم ذلك كامرأةٍ غزلت غزلاً، وقوّت قوّته[6] وأبرمته، فلمّا استحكم نقضته،

(١) أنشده الطبري في تفسيره ذيل الآية.

(٢) معاني القرآن ٢: ١١٣.

(٣) المزّمّل: ٢٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢١٨.

(٥) قاله الفرّاء، انظر معاني القرآن ٢: ١١٣.

(٦) في «ح»: «وقوّت قواه».

فجعلته أنْكاثاً أي: أنقاضاً، وهو ما ينقض من أخلاق بيوت الشعر والوبر ليُغْزَل ثانية، ويُعاد مع الجديد، ومنه قيل لمن بايع طائعاً ثمّ خرج عليك: ناكثاً؛ لأنّه نقض ما وكّده على نفسه بالأيمان والعهود، كفعل الناكثة غزلها.

ومعنى ﴿أن تكون﴾ لأن تكون[1] ﴿أُمّة﴾ أعزّ ﴿من أُمّة﴾ وقوم أعلى من قوم، يريد: لا تقطعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء فتجعلوها لهؤلاء، وقال مجاهد: كانوا يحالفون الحُلَفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم نقضوا حِلْف هؤلاء وحالفوا أُولئك الّذين هم أعزّ، فنهاهم الله عن ذلك.

وقوله: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أُمّة واحدة﴾ إخبار منه تعالى عن أنّ العباد إذا خالفوا أمره لم يعاجزوه ولم يغالبوه، تعالى عن ذلك؛ لأنّه لو شاء لأكرههم على أن يكونوا أُمّة واحدة، لكنّه شاء أن يجتمعوا على الإيمان، على وجهٍ يستحقّون به الثواب، ومثله قوله: ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾[2] كذلك قال سبحانه هاهنا: ﴿ولكن﴾ ليمتحنكم ويختبركم لتستحقّوا النعيم الّذي أراده لكم، فيضلّ قوم ويستحقّوا الإضلال عن طريق الجنّة، والحكم عليهم بأنّهم ضالّون، ويهتدي آخرون فيستحقّوا الهدى، يعني: الحكم لهم بالهداية وإرشادهم إلى طريق الجنّة. ثمّ قال: ﴿ولَتُسألُنَّ﴾ يا معشر المكلّفين ﴿عمّا كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الطاعات والمعاصي، فتُجازون عليه بقدره.

قوله [تعالى]:

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا إِنَّمَا

---

(١) في «س»: «لئلّا تكون».

(٢) محمّد ٤.

عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن‌كثير وعاصم: ﴿ولنجزينَّ الّذين صبروا﴾ بالنون، الباقون بالياء.

مَن قرأ بالنون فحجّته إجماعهم على قوله: ﴿ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (١) أنّه بالنون، ومَن قرأ بالياء فلقوله: ﴿وما عند الله باقٍ وليجزينّ﴾ الله ﴿الّذين صبروا﴾.

نَهى الله تعالى عباده المكلّفين أن يتّخذوا أيمانهم دَخَلاً بينهم، وقد فسّرنا معنى «دَخَلاً»(٢) وبيّن تعالى: أنّهم متى خالفوا ذلك زلّت أقدامهم ﴿بعد ثُبوتها﴾ وهو مَثَل ضربه الله، والمعنى: أنّه يضلّ بعد أن كان على هدىً، وقال قوم: الآية نزلت في الّذين بايعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على الإسلام والنصرة، نُهُوا عن نقض عهده، وترك نصرته(٣).

وقوله: ﴿وتذوقوا السوء﴾ يعني: العذاب، جزاء على معاصيكم وما﴿صددتم عن﴾ اتّباع ﴿سبيل الله ولكم﴾ مع ذلك ﴿عذاب عظيم﴾ تُعذَّبون به، ثمّ نهاهم فقال: ﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾ أي: لاتخالفوا عهد الله بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا، فيكون قد بعتم عظيم ما عند الله بالشيء الحقير، ثمّ بيّن أنّ الّذي ﴿عند الله هو خير﴾ وأشرف ﴿لكم إن كنتم تعلمون﴾ حقيقة ذلك وتحقّقونه.

ثمّ قال: إنّ الّذي ﴿عندالله﴾ لا ينفد، وهو ﴿باقٍ﴾ والّذي عندكم من نعيم الدنيا ﴿ينفدُ﴾ ويفنى، ثُمّ أخبر بأنّه يجزي الصابرين على بلائه

---

(١) في الآية التالية.
(٢) تقدّم تفسيره قبل صفحتين.
(٣) كبُرَيْدة، واختاره الطبري ذيل الآية.

وجهاد أعدائه ﴿أجرهم﴾ وثوابهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ وإنّما قال: ﴿بأحسن ما كانوا﴾ لأنّ أحسن أعمالهم هو الطاعة لله تعالى، وما عداه من الحسن مباح ليس بطاعة، ولا يستحقّ عليه أجر ولا حمد، وذلك يدلّ على فساد قول من قال: لا يكون حسن أحسن من حسن.

قوله [تعالى]:

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ أربع آيات بلا خلاف.

هذا وعد من الله تعالى بأنّ ﴿من عَمِل صالحاً﴾ من الطاعات، سواء كان فاعله ذكراً ﴿أو أُنثى وهو﴾ مع ذلك ﴿مؤمن﴾ بتوحيد الله، مقرّ بصدق أنبيائه، فأنّ الله يحييه ﴿حياة طيّبة﴾ في الجنّة، وقال ابن عبّاس: الحياة الطيّبة هو الرزق الحلال. وقال الحسن: هي القناعة. وقال قَتادة: حياة طيّبة في الجنّة. وقال قوم: الأولى أن يكون المراد بها القناعة في الدنيا، لأنّه عقيب ما توعّد غيرهم به من العقوبة فيها، مع أنّ أكثر المؤمنون ليسوا بمتّسعي الرزق في الدنيا[1].

ثمّ أخبر: أنّه يجزيهم زيادة على الحياة الطيّبة ﴿أجرهم﴾ وثوابهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ وقد فسّرناه[2]. وإنّما قال: ﴿ولنجزينّهم﴾ بلفظ الجمع لأنّ «مَنْ» يقع على الواحد والجميع، فردّ الكناية على المعنى.

ثمّ خاطب نبيّه فقال: يا محمّد ﴿إذا قرأت القرآن﴾ والمراد به جميع

(١) كالطبري في تفسيره ذيل الآية.
(٢) راجع تفسير سورة التوبة، الآية: ١٢١.

المكلّفين ﴿فاستعذ بالله﴾ والمعنى: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، كما قال: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا﴾[1] والمعنى: إذا أردتم القيام إليها، لأنّ بعد القراءة لا يجب الاستعاذة إلّا عند مَن لا يعتدّ بخلافه. وقال قوم: هو على التقديم والتأخير، وهذا ضعيف، لأنّه لا يجوز التقديم والتأخير في كلّ شيء، ولذلك حدود في العربيّة لا تتجاوز، وإنّما يجوز ذلك مع ارتفاع اللبس والشبهة.

والاستعاذة عند التلاوة مستحبّة غير واجبة بلا خلاف ﴿من الشيطان الرجيم﴾ أي: استعذ بالله من المبعَّد من رحمة الله، المرجوم بسخطه.

ثمّ أخبر: ﴿إنّه ليس﴾ للشيطان ﴿سلطان﴾ وحجّة ﴿على الّذين آمنوا﴾ بالله وحده ولم يشركوا به سواه، وفوّضوا أمرهم إليه وتوكّلوا عليه، و﴿إنّما سلطانه﴾ وقدرته ﴿على الّذين يتولّونه﴾ ويقبلون منه ﴿و﴾ على ﴿الّذين﴾ يشركون في عبادة الله سواه.

وقال الجُبَّائي: في الآية دلالة على أنّ الصرع ليس من قبل الشيطان، قال: لأنّه لو أمكنه أن يصرعه لكان له عليهم سلطان. وأجاز أبو الهُذيْل وابن الأخشاد ذلك وقالا: إنّه يجري مجرى قوله: ﴿كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ﴾[2] ولأنّ الله تعالى قال: ﴿إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه﴾ وإنّما أراد سلطان الإغواء والإضلال عن الحقّ.

ومعنى قوله: ﴿والّذين هم به مشركون﴾ فيه قولان:

أحدهما: قال الربيع: من أنّ الّذين يطيعونه فيما يدعوا إليه من عبادة غير الله مشركون، فلمّا كان من أطاعه فيما يدعو إليه من عبادة غير الله

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

مشركاً كان به مشركاً، وهو من الإيجاز الحسن. الثاني: قال الضحّاك: الّذين هم بالله مشركون.

قوله [تعالى]:

وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى: مخبراً عن أحوال الكفّار: بأنّا متى ﴿بدّلنا آية مكان آية﴾ بأن رفعنا آية ونسخناها وآتينا بأُخرى بدلها، لما نعلم في ذلك من مصلحة الخلق، وقد يكون تبديلها برفع حكمها مع ثبوت تلاوتها، وقد يكون برفع تلاوتها دون حكمها، وقد يكون برفعهما. و «التبديل» في اللغة: رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، تقول: بَدَّلَه تَبْديلاً، وأبْدَلَه إبْدالاً، واستبدل به استبدالاً، ثمّ قال: ﴿والله أعلم بما ينزّل﴾ ممّا فيه صلاح الخلق من غيره.

وقوله: ﴿قالوا إنّما أنت مفترٍ﴾ معناه: يقول هؤلاء الّذين جحدوا نبوّتك وكفروا بآيات الله: إنّما أنت يا محمّد مفترٍ كذّاب في ادّعائك الرسالة من الله! ثمّ أخبر عنهم فقال: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أنّك نبيّ، لتركهم النظر في معجزاتك، ولشُبَهٍ[1] داخلة عليهم، وإن علمه بعضهم وكابر وجحد[2] ما يعلمه.

ثمّ أمره بأن يقول لهم: ﴿نزّله روح القدس﴾ يعني: القرآن نزّله جبريل عليه السلام ﴿ليثبّت الّذين آمنوا﴾ وتثبيته لهم هو استدعاؤه لهم به

---

(١) في «ح» والحجريّة: «بشبهة». وفي «س»: «وشبهٍ».

(٢) في «ح» والحجريّة: «يكابر ويجحد».

وبألطافه ومعونته إلى الثبات على الإسلام وعلى تصديق محمّدﷺ. ثمّ بيّن: أنّ القرآن ﴿هدىً﴾ ودلالة وبشارة ﴿للمسلمين﴾.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ آية بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَلحَدون﴾ بفتح الياء والحاء، الباقون بضمّ الياء وكسر الحاء، وهما لغتان، يقال: أَلْحَدَ يُلحِدُ إلْحاداً فهو ملحد، ولَحَدَ يَلْحَدُ فهو مَلْحُود، وقيل: لَحَدَ في القبر وأَلْحَدَ في الدين، و «الإلحاد»: الميل عن الصواب، ويقال للّذي يميل عن الحقّ: ملحد، ومنه: اللحد في جانب القبر.

يقول الله تعالى لنبيّهﷺ إنّا: ﴿نعلم أنّهم يقولون إنّما يعلّمه﴾ يعني: الرسولﷺ ﴿بشرٌ﴾ مثله، وقال ابن عبّاس: الّذي مالوا إليه[١] بأنّه يعلّم محمّداًﷺ كان أعجميّاً هو «بَلْعام» وكان قيناً بمكّة روميا نصرانيّاً. وقال الضحّاك: أرادوا به «سلمان الفارسي». وقال قوم: أرادوا به إنساناً يقال له: «عايش» أو «يعيش» كان مولىً لحُوَيْطِب بن عبد العُزّى، أسلم وحسن إسلامه[٢]. فقال الله تعالى ردّاً عليهم: ﴿لسان الّذي﴾ يميلون ﴿إليه أعجميّ وهذا﴾ القرآن ﴿لسان عربيّ مبين﴾ كما تقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان، قال الشاعر:

لسانُ السُّوءِ تُهديها إلينا وحِنْتَ وما حَسِبْتُك أن تَحِينا[٣]

و «الأعجمي» الّذي لا يفصح، و «العجمي» منسوب إلى العجم، و«الأعرابي»: البدوي، و «العربي» منسوب إلى العرب و ﴿مبين﴾ معناه:

---

(١) في «س»: «الّذي قالوا عنه». (٢) قاله عكرمة وقَتادة، راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

ظاهر بيّن لا يشكل.

قوله [تعالى]:

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى: ﴿إنّ الّذين﴾ لا يصدّقون ﴿بآيات الله﴾ الّتي أظهرها والمعجزات الّتي يصدّق بها قولك يا محمّد ﴿لا يهديهم الله﴾ إلى طريق الجنّة ﴿ولهم﴾ مع ذلك ﴿عذاب أليم﴾ في النار. ويحتمل أن يكون المراد: لا يحكم الله تعالى بهدايتهم، لأنّهم كفّار.

ثمّ أخبر: أنّ الّذي يتخرّص الكذب و ﴿يفتري﴾ على الله هو الّذي لايؤمن ﴿بآيات الله﴾ ويجحدها، و ﴿هم الكاذبون﴾ وإنّما خصّ الّذين لايؤمنون بالله بالافتراء؛ لأنّه لا يردعهم عن الكذب إيمان بالجزاء ﴿وأُولئك هم الكاذبون﴾ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما ادّعوا عليه، وقيل: المعنى في ذلك تعظيم كذبهم، كما يقول القائل: هؤلاء هم الرجال.

قوله [تعالى]:

مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ آية بلا خلاف.

نزلت هذه الآية في عمّار بن ياسر رحمة الله عليه، أكرهه المشركون بمكّة بأنواع العذاب، وقيل: إنّهم غطّوه في بئر ماء على أن يلفظ بالكفر، وكان قلبه مطمئنّاً بالإيمان، فخاف[1] من ذلك، وجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جزعاً، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: كيف كان قلبك؟ قال: كان مطمئنّاً بالإيمان،

(١) كذا في «ح» و في «م» «فحاد». حاد، أي عدل ومال، وفي الحجريّة: «فجاز».

فأنزل الله فيه الآية(١).

وأخبر: أنّ الّذين يكفرون بالله بعد أن كانوا مصدّقين به بأن يرتدّوا عن الإسلام ﴿فعلَيهم غضب من الله﴾ ثمّ استثنى من ذلك: مَن كفر بلسانه وكان مطمئنّ القلب بالإيمان في باطنه، فإنّه بخلافه.

و ﴿مَن كفر﴾ رفع بما دلّ عليه خبر الثاني الّذي هو قوله: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ كأنّه قيل: فعليه غضب من الله، كما تقول: من يأتنا فمن يحسن نكرمه، فجواب الأوّل محذوف كفى فيه الثاني. وقال الزجّاج: ﴿من كفر﴾ رفع بأنّه بدل من قوله: ﴿وأُولئك هم الكاذبون﴾(٢).

وقال أبو عليّ: هذه معاريض يحسن من الله مثلها، ولا يحسن من الخلق إلّا عند التقيّة، قال: إلّا أنّ على أهل العقول أن يعلموا أنّ الله لم يفعل ذلك إلّا على ما يصحّ ويجوز، وليس ذلك للإنسان إلّا في حال التقيّة؛ لأنّه لا دليل يؤمّن من الخطأ عليه، فعلى هذا يلزمه في النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يحسن منه من غير تقيّة؛ لكونه معصوماً لا يكذب في إخباره، ولا خلاف بين أهل العدل أنّه لا يجوز إظهار كلمة الكفر إلّا مع التعريض، بأن ينوي بقلبه ما يخرجه عن كونه كاذباً، فأمّا على وجه الإخبار فلا يجوز أصلاً، لأنّه قادر على التعريض الّذي يخرج به عن كونه كاذباً.

قوله [تعالى]:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) نقله الطبري ذيل الآية.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢١٩، وعليه: فـ«من كفر» مبيّن للمراد من «الكاذبين» المتقدّم؛ ويكون التقدير: إنّما يفتري الكذب هؤلاء، وهم الكاذبون لأنّهم كفروا بعد إيمانهم.

هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما تقدّم ذكره من العذاب العظيم، أخبر الله تعالى أنّ ذلك العذاب العظيم إنّما أُعدّ لهم، لأنّهم آثروا ﴿الحياة الدنيا﴾ والتلذّذ فيها، والركون إليها ﴿على الآخرة﴾ والمعنى: أنّهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلباً لها دون طلب الآخرة، والعمل يجب أن يكون طلباً للآخرة، أو الدنيا والآخرة، فأمّا أن يكون لمجرّد الدنيا دون الآخرة فلا يجوز، لأنّه إذا طلب الدنيا ترك الواجب عليه من الطاعات لا محالة. وكذلك لا ينبغي أن يختار المباح على النافلة، لأنّ النافلة طاعة لله، والمباح ليس بطاعة له.

ثمّ أخبر تعالى: ﴿أنّ الله لا يهدى القوم الكافرين﴾ ومعناه أحد شيئين:

أحدهما: أنّه لا يهديهم إلى طريق الجنّة والثواب لكفرهم.

الثاني: أنّه لا يحكم بهدايتهم لكونهم كفّاراً. وأمّا[1] نصب الدلالة فقد هدى الله جميع المكلّفين، كما قال: ﴿وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدىٰ﴾[2]. وقيل: إنّهم لمّا لم يهتدوا بتلك الأدلّة، فكأنّها لم تكن نُصِبَت لهم[3] ونُصِبَت للمؤمنين الّذين اهتدوا بها، فلذلك نفاها عنهم، فكأنّها لم تكن. ويجوز أن يكون المراد: أنّه لا يهديهم بهدى المؤمنين من فعل الألطاف والمدح بالاهتداء، لكونهم كفّاراً.

ثمّ أخبر أنّ أُولئك الكفّار هم ﴿الّذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأُولئك هم الغافلون﴾ وبيّنّا معنى الطبع على القلوب والسمع والأبصار في سورة البقرة[4] وأنّ ذلك سمة من الله جعلها للملائكة ليفرّقوا

---

(١) كذا في الحجريّة، وفي المخطوطتين: «فأمّا».

(٢) فُصِّلت: ١٧.

(٣) في «ح»: «فكأنّها ما نُصبت لهم».

(٤) الآية: ٧.

بين الكافر والمؤمن، جزاء وعقوبة على كذبهم، وأنّ ذلك غير محيل بينهم وبين اختيار الإيمان لو أرادوه.

وإنّما وصفهم بعموم الغفلة مع الخواطر الّتي تزعجهم لأمرَيْن:

أحدهما: أنّهم بمنزلة الغافلين؛ ذمّاً لهم. الثاني: لجهلهم عمّا يؤدّي إليه حالهم وإن كانت الخواطر إلى النظر تزعجهم.

وقوله: ﴿لا جرم أنّهم﴾ معناه: حقّاً لهم أنّهم ﴿في الآخرة هم﴾ الّذين خسروا صفقتهم؛ لفوت الثواب وحصول العقاب. وموضع ﴿أنّهم﴾[1] يحتمل أمرَيْن من الإعراب:

أحدهما: النصب على معنى: «لابدّ أنّهم» أي لابدّ من ذا، ويجوز: على جرم فعلهم أنّ لهم النار، أي قطع بذا، وتكون ﴿لا﴾ صلة.

والثاني: الرفع، والمعنى: وجب قطعاً أنّ لهم ﴿النار، و لا﴾ صلة أو ردٌّ لكلام من قال: ماذا لهم؟ فقيل: وجب لهم النار.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَافُتِنُواْ ثُمَّ جَـٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ آيتان بلا خلاف .

قرأ ابن عامر وحده ﴿فَتَنوا﴾ جعل الفعل لهم، الباقون: ﴿فُتِنوا﴾ على ما لم يسمّ فاعله، يقال: فَتَنْتُ زيداً، وهي اللغة الجيّدة، وحُكِي: أفْتَنْتُ.

وحجّة مَن قرأ على ما لم يسمّ فاعله: أنّ الآية نزلت في المستضعفين المقيمين بمكّة: عمّار وبلال وصُهَيْب، فإنّهم حُمِلوا على الارتداد عن

---

(١) في المخطوطتين: «موضع الّذين» وما أثبتناه من ظاهر الحجريّة.

دينهم، فمنهم مَن أعطى ذلك تقيّة، منهم عمّار؛ فإنّه أظهر ذلك تقيّة ثمّ هاجر، ومعنى قراءة ابن عامر: أنّه فتن نفسه، والمعنى: من بعد ما فتن بعضهم نفسه بإظهار ما أظهره، بالتقيّة.

قال الرُمَّاني: في الآية دلالة على أنّهم فتنُوا في دينهم بمعصية كانت منهم؛ لقوله: ﴿إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم﴾ لأنّ المغفرة: الصفح عن الخطيئة، ولو كانوا أعطوا التقيّة على حقّها لم تكن هناك خطيئة. وهذا الّذي ذكره ليس بصحيح، ولا في الكلام دلالة عليه؛ وذلك أنّ الله تعالى إنّما قال: ﴿إنّ ربّك من بعدها﴾ يعني: بعد الفتنة[1] الّتي فُتِنوا بها ﴿لغفور رحيم﴾ أي: ساتر عليهم، لأنّ ظاهر ما أظهروه يحتمل القبح[2] والحسن، فلمّا كشف الله عن باطن أُمورهم، وأخبر أنّهم كانوا مطمئنّين بالإيمان كان في ذلك ستر عليهم، وإزالة للظاهر المحتمل إلى الأمر الجليّ، وذلك من نِعَم الله عليهم.

يقول الله تعالى: إنّ هؤلاء الّذين هاجروا ﴿بعد ما فُتِنوا﴾ عن دينهم، و﴿جاهدوا﴾ في سبيله ﴿وصبروا﴾ على الأذى في جنب الله، فإنّ الله بهم رحيم بأن يفعل بهم الثواب[3]، وساتر عليهم، ورحيم بهم، مُنْعِم عليهم.

وقوله: ﴿يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها﴾، ﴿يوم﴾ منصوب بأحد شيئين:

أحدهما: على معنى: إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم يوم... الثاني:

---

(١) في الحجريّة: «بالفتنة». (٢) في الحجريّة: القبيح.

(٣) كذا في «س»، والعبارة وردت مبتورة في النسخ: ففي م و ح وردت هكذا «فإنّ الله لهم بأن يفعل بهم الثواب» وفي الحجريّة: «فإنّ الله قسم لهم أن يفعل بهم الثواب» وفي الهامش كتب «ضمن لهم».

على معنى: واذكر يوم؛ لأنّ القرآن عِظَة وتذكير. ومعنى ﴿تجادل عن نفسها﴾: تخاصم كلّ نفس عن نفسها، وتحتجّ بما ليس فيه حجّة عند الحساب، كما قال تعالى حكايةً عنهم: ﴿والله ربّنا ما كنّا مشركين﴾[١] وقال الأتباع: ﴿ربّنا هؤلاء أضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾[٢] فهم يجادلون المَلَك المسائل لهم بين يدي الله، وقيل: تحتجّ عن نفسها بما تُقدِّر به إزالة العقاب عنها.

ثمّ أخبر الله أنّ كلّ نفسٍ ﴿تُوفّىٰ﴾ جزاء ما عملته على الطاعة الثواب وعلى المعصية العقاب، ولا يُظْلَم أحد في ذلك اليوم.

قوله [تعالى]:

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ آية بلا خلاف.

التقدير: ﴿وضرب الله مثلاً﴾ مَثَل ﴿قرية﴾ وقيل في القرية الّتي ضرب الله بها هذا المَثَل قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة: أنّها مكّة، لأنّها كانت بهذه الصفات الّتي ذكرها الله. وقال آخرون: أيُّ قريةٍ كانت على هذه الصفة، فهذه صورتها[٣].

وقوله: ﴿كانت آمنة مطمئنّة﴾ أي: يأمن الناس فيها على نفوسهم وأموالهم، لا يخافون الغارة والنهب كما يخاف سائر العرب، ويطمئنّون فيها، لا يحتاجون فيها أن ينتجعوا إلى غيرها كما يحتاج غيرهم إليه، وكان

---

(١) الأنعام: ٢٣. (٢) الأعراف: ٣٨.

(٣) ذهب إليه الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٢٢١.

مع ذلك يجيئُها ﴿رزقها﴾ أي: رزق أهلها ﴿من كلّ﴾ موضع، لأنّه كان يُجْلَب إليها تفضّلاً منه تعالى ﴿فكفرت بأنْعُم الله﴾ والمراد به: كفر أهلها بأنْعُم الله، وإنّما أضاف إلى القرية الكفر[١] مجازاً، ولذلك أنّث الفعل. وقيل في واحد «أنْعُم الله» ثلاثة أقوال:

أحدها: يقال: نِعْمة وأنْعم، كـ«شِدَّة» و «أشُدّ».

الثاني: جمع «نُعْم» كما قالوا: أيّامُ طُعْمٍ ونُعْمٍ، ومثله: «وُدٌّ» وأوُدٌ.

الثالث: جمع «نَعْماء» كما قالوا: بَأْسَاء وأَبْؤُس، وضَرَّاء وأَضُرّ؛ وقالوا: «اشُدّ» جمع «شَدّ»[٢]. قال الشاعر:

وعِنْدي قُرُوض الخيرِ والشرِّ كُلِّه ... فَبُؤْسٌ لذِي بُؤْسٍ ونَعمى بأَنْعُمِ[٣]

وقوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ إنّما سمّاه: لباس الجوع، لأنّه يظهر عليهم من الهزال وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل: إنّه[٤] شملهم الجوع والخوف كما يشمل[٥] اللباس البدن[٦]. وقيل: إنّ القحط دام بهم سنين، وبلغ بهم إلى أن أكلوا القدّ والعِلْهز وهو الوَبَر يخلط بالدم والقُراد[٧] ثمّ يُؤكَل[٨] وإنّما يقال لصاحب الشدّة: ذق، لأنّه يجده وجدان الذائق في تفقّده له، ولأنّه يتجدّد عليه إدراكه كما يتجدّد على الذائق، وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبيّ ﷺ وأصحابه، يُغيرون

---

(١) كلمة «الكفر» من «س».

(٢) في «س»: «أشدّة جمع شدّة».

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية، وفيه: ونُعْمٍ بأَنْعُم.

(٤) في الحجريّة: إنّهم.

(٥) في الحجريّة: شمل.

(٦) قاله الطبري ذيل الآية.

(٧) كذا، ولعلّه: «القَرَد» وهو ما تمعّط من الوَبَر والصوف وتلبّد، وأمّا «القُراد» فهو دُوَيْبة تعضّ الابل. اُنظر لسان العرب: مادّة «قرد».

(٨) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢١٧، وقال: قاله ابن عبّاس ومجاهد وقتادة.

على قوافلهم وتجاراتهم؛ جزاءً ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من الكفر والشرك وتكذيب الرسل.

وأجرى الخطاب من أوّل الآية إلى هاهنا على التأنيث إضافة إلى «القرية» ثمّ قال هاهنا: ﴿بما كانوا يصنعون﴾ على المعنى، أي: بما كان أهلها يصنعون. وروي عن أبي عمرو أنّه قرأ: ﴿لباسَ الجوعِ والخوف﴾ بالنصب، كأنّه أضمر[١] فعلاً[٢] لأنّ الله تعالى لم يبعث النبيّ بالقحط والجوع والخوف، فقد قذف في قلوبهم الرعب من النبيّ وسراياه.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ آيتان بلا خلاف .

قوله: ﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾ يعني: أهل مكّة، بعث الله منهم رسولاً من صميمهم لا من غيرهم ﴿فكذّبوه﴾ وجحدوا نبوّته ﴿فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ أي: في حال كونهم ظالمين أخذهم العذاب، وعذابهم هو ما سلّط الله تعالى النبيّ والمؤمنين حتّى قتلوهم يوم بدر وغيره من الأيّام، وما حلّ بهم من أنواع العذاب من جهته من الخوف والجوع الّذي تقدّم ذكره. ومَن قال: المراد بالقرية غير مكّة، قال: هذه صورة[٣] تلك القرية الّتي بعث رسولاً منهم.

---

(١) في الحجريّة: ضمّن. وفي المطبوعة. ضمّن فعل إرزاقهم الله لباس الجوع والخوف قاذفاً في قلوبهم الخوف.

(٢) في هامش الحجريّة هنا مايلي: «أي أذاقهم الله لباس الجوع قاذفاً في قلوبهم الخوف».

(٣) في الحجريّة: «قال: هو صفة».

ثمّ خاطب المؤمنين فقال: ﴿كُلُوا﴾ فصيغته وإن كان صيغة الأمر فالمراد به الإباحة، لأنّ الأكل غير واجب إلّا عند الخوف من تلف النفس، ولا مندوب إليه إلّا في بعض الأحوال ﴿ممّا رزقكم الله﴾ أي ملّككم التصرّف فيه على وجهٍ ليس لأحد منعكم منه ﴿حلالاً﴾ أي: جعله لكم ﴿حلالاً طيّباً واشكروا نعمت الله﴾ واعترفوا بها ﴿إن كنتم﴾ تعبدون الله دون غيره، وليس المعنى: إن كنتم تعبدون غيره فلا تشكروه، بل المعنى: أنّه لا يصحّ لأحد أن يشكره إلّا بأن يوجّه العبادة إليه تعالى وحده.

قوله [تعالى]:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥)﴾ آية بلا خلاف .

قد بيّنّا تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة[١] وهو أنّ الله حرّم ﴿الميتة﴾ وهو ما لم يذكّ ممّا فيه نفس سائلة ﴿ولحم الخنزير﴾ وبيّنّا أنّ الخنزير جميعه حرام، وإنّما خصّ اللحم تغليظاً ﴿وما أُهِلّ لغير الله به﴾ والمعنى: ما ذُكِر غير الله على تذكيته، لأنّهم كانوا يذبحوها للأصنام، ثمّ استثنى المضطّر إلى تناول ذلك خوف التلف، فأباح جميع ذلك له، واستثنى من المضطرّين البُغَاة فلم يبحها لهم، وقد بيّنّا الخلاف فيه، وأنّ قول مجاهد وما ذهب إليه أصحابنا هو: مَن خرج على إمام عادل، وقال قوم: معناه: ﴿غير باغٍ﴾ بذلك الشبع التقوّي به على معصيةٍ[٢] ﴿ولا عادٍ﴾ أي: يتعدّى فيه ما يجوز له[٣]. وفي تفسيرنا: أنّ معنى ﴿ولا عادٍ﴾ ماذهب

(١) الآية: ١٧٣.

(٢) النكت والعيون ١: ٢٢٣، و راجع تفسير الآية ١٧٣ من سورة البقرة في التبيان ج ٣: ١٥٣ (من طبعتنا).

(٣) في «م»: «ما لايجوز له».

إليه الحسن وغيره أنّه الّذي يخرج للاعتداء على الناس من قُطّاع الطريق[١] فإنّهم لا يرخّصون بأكل ذلك على وجه.

ثمّ أخبر: ﴿إنّ الله غفور رحيم﴾ أي: ستّار على عباده معاصيهم، رحيم بهم بأن يغفرها لهم، بالتوبة تارةً، وتفضّلاً منه ابتداءً تارةً أُخرى، والمعنى: أنّه لا يعاقب من تناول ما حرّم عليه في حال الضرورة.

و «الإهلال»: رفع الصوت بالكلام ومنه رفع: «الهلال» برفع[٢] الصوت بالتكبير عند رؤيته، وشبّه به صوت الصبيّ[٣]. وكلّ ما ذُكِر عليه اسم معبودٍ غير الله لا يحلّ أكله.

قوله [تعالى]:

وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

﴿ما﴾ في قوله: ﴿لما تصف﴾ مصدريّة، والتقدير: ولا تقولوا لوصف ﴿ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ وقال الزجّاج: قرئ: «الكُذُبُ» على أنّه نعت «الألسنة» يقال: لسانٌ كَذُوبٌ، وألْسنَةٍ كُذُبٌ. وحكى أيضاً بكسر الباء ردّاً على ﴿ما﴾ وتقديره: للّذي تصف ألسنتكم الكذب[٤] وهذا إنّما قيل لهم لِمَا كانوا حرّموه وأحلّوه، فقالوا: ﴿ما في بُطُون هذه الأنعام خالِصةٌ لذُكُورنا ومُحرَّمٌ علىٰ أزواجنا﴾[٥] وقد بيّنّاه فيما تقدّم.

---

(١) انظر النكت والعيون ١: ٢٢٢ وفيه: «والعادي: قاطع الطريق، وهو معنى قول مجاهد وسعيد بن جبير».
(٢) في المخطوطتين: «لرفع».
(٣) أي: عند الولادة.
(٤) في المصدر: «ولا تقولوا لوَصْفِ ألسنَتِكُم الكذبِ».
(٥) الأنعام: ١٣٩.

ثمّ أخبر عن هؤلاء ﴿الّذين يفترون على الله الكذب﴾ بأنّهم ﴿لا يُفلحون﴾ أي: لا ينجون ولا يفوزون بثواب الله.

وقوله تعالى: ﴿متاع قليل﴾ معناه: متاعهم هذا الّذي فعلوه وتمتّعوا به متاع قليل، ويجوز في العربيّة «متاعاً» أي: يتمتّعون بذلك متاعاً قليلاً ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم في مقابلة ذلك يوم القيامة.

وقوله: ﴿وعلى الّذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني: ما ذكره في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفرٍ﴾[1] الآية، في قول قَتادة والحسن وعِكْرِمَة، ثمّ أخبر أنّه تعالى لم يظلمهم بذلك ولا يبخسهم حظّهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم بنعم الله وجحودهم[2] لأنبيائه، فاستحقّوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيّر المصلحة عند كفرهم وعصيانهم.

قوله [تعالى]:

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١١٩﴾ آية بلا خلاف .

يقول الله تعالى ﴿إنّ﴾ الّذي خلقك يا محمّد ﴿للّذين عملوا السوء﴾ يعني: المعصية ﴿بجهالة﴾ أي: بداعي الجهل، لأنّه يدعو إلى القبيح، كما أنّ داعي العلم يدعو إلى الحسن، فقد يكون ذلك للجاهل بالشيء، والّذي يعمل عمل الجاهل بتغليب هواه على عقله.

وقوله: ﴿ثمّ تابوا﴾ يعني: رجعوا عن تلك المعصية وندموا عليها، وعزموا على أن لا يعودوا إلى مثلها في القبح ﴿وأصلحوا﴾ نيّاتهم

---

(١) الآية: ١٤٦.

(٢) في الخطيّة: بنعم الله وجحدهم.

وأفعالهم، فإنّ الّذي خلقك من بعد فعلهم ما ذكرناه من التوبة ﴿غفور﴾ لهم، ستّار عليهم ﴿رحيم﴾ بهم، مُنْعِم عليهم. وإنّما شرط مع التوبة فعل الصلاح، استدعاءً إلى فعل الصلاح، ولئلّا يغترّ بما سلف من التوبة حتّى يقع الإهمال لما يكون في الاستقبال[1].

قوله [تعالى]:

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤) خمس آيات بلا خلاف .

أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنّه ﴿كان أُمّة﴾ واختلفوا في معناه: فقال ابن مسعود: معناه: أنّه معلّم الخير قُدوة ﴿قانتاً لله﴾ مطيعاً، قال: وكان معاذ أُمّةً قانتاً لله. وقال قَتادة: معناه: أنّه إمام هدىً. و «القانت» الّذي يدوم على العبادة لله، وقيل: جعل «أُمّة» لقيام الأُمّة به. و «الحنيف» المستقيم على طريق الحقّ.

وقوله: ﴿ولم يكُ﴾ يعني: إبراهيم ﴿من المشركين﴾ الّذين يعبدون مع الله غيره، بل كان موحّداً ﴿شاكراً لأَنْعُمِه﴾ أي: بل شاكراً لِنِعَمِه، معترفاً بها ﴿اجتباه﴾ يعني: اختاره الله واصطفاه ﴿وهداه إلىٰ صراط مستقيم﴾ أي: حكم بأنّه على صراط مستقيم، أي: لطف له حتّى اهتدى طريق الحقّ.

وقوله: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنةً﴾ أي: أعطيناه جزاءً على هدايته في

---

(١) في الحجريّة: «من الاستقبال».

هذه الدنيا حسنة، وهي: تنويه الله بذكره في الدنيا بطاعته لربّه، ومسارعته إلى مرضاته، وإصلاحه[1] لعبادته، حتّى صار إماماً يُقْتَدى بـه، وعَـلَماً يُهتَدى بسُنَّته، قال قَتادة: حتّى ليس من أهل دين إلّا وهو يتولّاه ويرضاه. وقال الحسن: ومعنى ﴿حسنة﴾ يعني: نبوّة.

وقوله: ﴿وإنّه في الآخرة لمن الصالحين﴾ إخبار منه تعالى أنّه ـ مع إيتائه الحسنة في الدنيا ـ في الآخرة من جملة الصالحين، وإنّما لم يـقل: «لفي أعلى منازل الصالحين» مع اقتضاء حاله ذلك لمدح من هو منهم، والترغيب في الصلاح ليكون صاحبه في جنبة إبـراهـيم، ونـاهيك بـهذا الترغيب في الصلاح، وبهذا المدح لإبراهيم أن يشرّف جـملةً هـو مـنها، حتّىٰ يصير الاستدعاء إليها بأنّه فيها.

وقوله: ﴿ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهـيم حـنيفاً﴾ أي: أمـرناك أن ﴿اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً﴾ مستقيم الطريقة في الدعاء إلى تـوحيد الله وخلع الأنداد، والعمل بسنّته ﴿وما كان﴾ يعني: إبراهيم ﴿من المشركين﴾ بعبادة الله غيره.

وقوله: ﴿إنّما جعل السبت على الّذين اخـتلفوا فـيه﴾ اخـتلفوا فـي معناه[2] فقال الحسن: معناه: أنّه جعله عليهم، بأن لعنهم بالمسخ لاعتدائهم فيه، واختلافهم فيه كان بأن قال بعضهم: هو أعظم الأيّـام حُـرُمةً؛ لأنّـه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء كلّها. وقال آخرون: بل الأحد أفضل؛ لأنّه ابتدأ خلق الأشياء فيه. وقال مجاهد وابن زيد: عدلوا عمّا أُمروا بـه مـن تعظيم الجمعة.

---

(١) في «س» والحجريّة: «وإخلاصه».

(٢) عبارة «اختلفوا في معناه» من «س» فقط.

ووجه اتّصال هذه الآية بما تقدّم: أنّه لمّا أمر باتّباع الحقّ حذّر من الاختلاف فيه، بما ذكره من حال المختلفين في السبت، بما ليس لهم أن يختلفوا فيه، فشدّد عليهم فرضه، وضيّق عليهم أمره. وقال قوم: معنى ﴿اختلفوا فيه﴾ أي: خالفوا فيه، لأنّهم نُهوا فيه عن الصيد فنصبوا الشباك يوم الجمعة، ودخل فيها السمك يوم السبت، فأخذوه يوم الأحد.

ثمّ قال: ﴿إنّ ربّك لَيحكُمُ﴾ يا محمّد ﴿بينهم﴾ أي: يفصل بينهم ﴿يوم القيامة في﴾ الّذي كانوا مختلفين فيه، ويبيّن لهم الصحيح من الفاسد.

قوله [تعالى]:

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ أربع آيات بلا خلاف .

قرأ ابن كثير وإسماعيل عن نافع. ﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد، الباقون بفتحها.

فمن فتح أراد «ضَيِّق» فخُفِّف، مثل: سَيِّد وسَيْد، ومَيِّت ومَيْت، وهَيِّن، وهَيْن. ويجوز أن يكون أراد جمع «ضَيْقَة» كما قال الشاعر:

كَشَفَ الضَيْقَةَ عَنَّا وفَسَحْ[1]

ومَن كسر يجوز أن يجعله لغتين، ويجوز أن يكون «الضَيق» اسماً و«الضِيق» مصدراً. والاختيار أن يقال: «الضِيق» في المكان والمنزل،

---

(١) للأعشى، من قصيدة يمدح إياس بن قُبَيْصة الطائي الّذي استعان به كسرى لمدافعة الروم حين غزوا أطراف مملكته، فهبّ إياس وانتصر عليهم. راجع ديوان الأعشى: ٣٩.

و«الضَيق» في غير ذلك، فإن كان كذلك فالاختيار: ﴿ولا تَكُ في ضَيق﴾ لأنّه تعالىٰ لم يرد ضِيق المعيشة ولا ضِيق المنزل.

وأصل ﴿ولا تك﴾: ولا تكُونْ[١] فاستثقلوا الضمّة على الواو فنقلوها إلى الكاف فالتقى ساكنان: الواو والنون، فحذفوا الواو لالتقاء الساكنَيْن، ومَن حذف النون أيضاً فلأنّ النون ضارعت حروف المدّ واللين. وكَثُر استعمال «كان يكون» فحذفوها لذلك[٢] ألا ترى أنّك تقول: «لم يكونا» والأصل: يكونان فأسقطوا النون بالجزم، وشبّهوا «لم يك» في حذف النون بـ«لم يكونا».

أمر الله تعالى نبيّه محمّدﷺ أن يدعو عباده المكلّفين ﴿بالحكمة﴾ وهو أن يدعوهم إلى أفعالهم الحسنة الّتي لها مدخل في استحقاق المدح والثواب عليها، لأنّ القبائح يزجر عنها ولا يدعو إليها، والمباح لا يدعو إلى فعله لأنّه عبث، وإنّما يدعو إلى ما هو واجب أو ندب، لأنّه يستحقّ بفعله المدح والثواب. و «الحكمة»: هي المعرفة[٣] بمراتب الأفعال في الحسن والقبح، والصلاح والفساد، وقيل لها: «حِكْمة» لأنّها بمنزلة المانع من الفساد، وما لا ينبغي أن يختار، والأصل: المنع، من قول جَرِير:

أَبَني حَنِيفة أَحكِمُوا سُفَهاءَكُم إنّي أَخافُ عَليكُمُ أَن أَغْضَبَا[٤]

أي: امنعوهم من السفه. والفرق بين «الحكمة» و «العقل»: أنّ العاقل هو العاقد على ما يمنع من الفساد، والحكيم هو العارف بما يمنع من

---

(١) ويجدر ذكره أنّ (ولاتكُ) هنا بحذف النون، وفي النمل: ٧٠. (ولا تكن) بإثباتها، وقد جاء الأمران في القرآن، فالإثبات هو الأصل، والحذف تخفيف.

(٢) في الحجريّة: «كذلك». (٣) في «م»: «في المعرفة».

(٤) في أبيات يهجو بني حنيفة. راجع ديوان جرير: ٤٧.

الفساد، و «الحِكْمة» مشتركة بين المعرفة وبين الفعل[١] المستقيم، لأنّ كلّ واحد منهما ممتنع من الفساد عارٍ منه، والقديم تعالى لم يزل حكيماً بمعنى: لم يزل عالماً، ولا يجوز: لم يزل حكيماً فيما يستحقّ لأجل الفعل المستقيم، وكلّ حكمة يكون بتركها مضيّعاً لحقّ النعمة يجب على المكلف طلبها، معرفةً كانت أو فعلاً.

و ﴿الموعظة الحسنة﴾ معناه: الوعظ الحسن، وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه[٢] والتزهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع. وقيل: إنّ الحكمة النبوّة، والموعظة القرآن[٣].

﴿وجادلهم بالّتي هي أحسن﴾ فالجدال: فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج، و ﴿الّتي هي أحسن﴾ فيه الرفق والوقار والسكينة مع نصرة الحقّ بالحجّة. ثمّ أخبر ﴿إنّ ربّك﴾ يا محمّد ﴿أعلم بمن ضلّ عن سبيله﴾ بأن عدل عنها، و ﴿أعلم﴾ من غيره بمن[٤] اهتدى إليها، وليس عليك غير الدعاء.

وقوله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا﴾ قيل: في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: إنّ المشركين لمّا مثّلوا بقتلى أُحُد، قال المسلمون: متى أظهرنا الله عليهم لنمثّلنّ بهم أعظم ممّا مثّلوا بنا، ذكره الشعبي وقَتادة وعطاء.

الثاني: قال مجاهد وابن سيرين وإبراهيم: إنّه في كلّ ظلم[٥] بغصبٍ أو نحوه، فإنّما يجازى بمثل ما عمل.

وقيل: إنّ هذه الآية منسوخة بآية القتال، لأنّ هذا قبل أن يؤمروا

---

(١) في «س» والحجريّة: «العقل» بدل «الفعل».

(٢) في «س»: «في قوله» بدل «في تركه».

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٢٢٣.

(٤) في «م»: «بأن اهتدى» بدل «بمن اهتدى».

(٥) في الحجريّة: ظالم.

بالجهاد[١].

ثمّ قال: ﴿ولئن صبرتم﴾ أي: [إن] تركتم المجازاة والقصاص وجُرعتم[٢] مرارته ﴿لهو خير للصابرين﴾ في العاقبة. ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد أُمّته معه: ﴿واصبر﴾ يا محمّد ﴿و﴾ ليس ﴿صبرك إلّا بالله﴾ أي: إلّا بتوفيق الله وإقداره وترغيبه فيه ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني: على المشركين لإعراضهم عنك، وقيل: المراد: لا تحزن على قتلى أُحُد لما أعطاهم الله من الخير[٣] ﴿ولا تَكُ في ضَيقٍ ممّا يمكرون﴾ أي: لا يكن صدرك ضَيِّقاً ممّا[٤] يمكر به المشركون من الخديعة وغيرها، وما فعلوا بقتلى أُحُد من المُثْلة ﴿إنّ الله مع الّذين اتّقوا﴾ معاصيه خوفاً من عقابه، بالنصر لهم والتأييد ﴿و﴾ مع ﴿الّذين هم محسنون﴾ في أفعالهم، غير فاعلين للقبائح، يقذف في قلوب عدوّهم الرعب، خوفاً من رسول الله وسراياه.

(١) قاله ابن عبّاس، راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) في الحجريّة: «وتجرّعتم».

(٣) نقله ابن الجوزي في زاد المسير ٤: ٣٨٨ عن عليّ بن احمد النيسابوري.

(٤) في «ح»: «لما» وفي «س»: «بما».

سورة بني إسرائيل

وهي مكّية في قول مجاهد وقَتادة، وهي مائة وإحدى عشرة آية في الكوفي، وعشر آيات في البصري والمدني.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله [تعالى]:

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده: ﴿ألا يتّخذوا﴾ بالياء، الباقون بـالتاء[1] والمـعنى فيهما قريب، والتقدير: وجعلناه هدىً لبني إسرائيل ألّا تـتّخذوا[2] وقـلنا لهم: لا تتّخذوا، كما تقول: قلت لزيد: قُم، وقلت له: أن يقوم، وقال تعالى: ﴿قل للذين كفروا ستُغْلَبون﴾[3] بالتاء والياء.

ومعنى ﴿من دوني وكيلاً﴾ أي: كافياً وربّاً، ونصب ﴿ذرّيّةَ﴾ على النداء،

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٨.

(٢) أي قلنا، ظ.

(٣) آل عمران: ١٢.

وهو خطاب لجميع الخلق، لأنّ الخلق كلّه من نسل نوح من بنيه الثلاثة: حام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو البيضان: الروم والترك والصقالبة وغيرهم، وسام وهو أبو العرب والفرس، وتقديره: يا ذُرّيّةَ مَن حملنا.

ووزن «ذُرّيّة»: فُعْلِيَّة، من «الذَرّ» ويجوز أن يكون «فُعُّولَة» من «الذرّ» وأصله: «ذُرُّوية» فقُلِبت الواو ياءً وأُدغمت الياء في الياء[1].

قال أبو عليّ النحوي: ويجوز أن يكون نصباً على أنّه مفعول «الاتّخاذ» لأنّه فعل يتعدّى إلى مفعولَيْن، كقوله: ﴿واتّخذ الله إبراهيم خليلاً﴾[2] وقال: ﴿اتّخذوا أَيمانهم جُنَّةً﴾[3] وعلى هذا يكون مفعولاً ثانياً على القراءتين، ومتى نصبته على النداء فإنّما يتأتّى ذلك في قراءة من قرأ بالتاء، ولا يسهل أن يكون على قراءة من قرأ بالياء، لأنّ الياء للغيبة، والنداء للخطاب[4].

و«أن» في قوله ﴿ألّا يتّخذوا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون «أن» الناصبة للفعل، والمعنى: جعلناه هدىً كراهة أن يتّخذوا من دوني وكيلاً، أو: لأن لا يتّخذوا. والثاني: أن تكون بمعنى: أي، لأنّه بعد كلام تامّ[5] والتقدير: أي لا تتّخذوا. والثالث: أن تكون «أن» زائدة، ويضمر القول.

و«الوكيل» لفظه واحد، والمراد به الجميع، لأنّ معناه «فعيلاً» فيكون مفرد اللفظ والمراد على الجمع، نحو قوله: ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾[6].

(١) تقدّم الحديث عنه ضمن تفسير الآية: ٣٤ من آل عمران.
(٢) النساء: ١٢٥.
(٣) المجادلة: ١٦.
(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٩.
(٥) في المصدر: لأنّه بعد كلام تامٍ.
(٦) النساء: ٦٩.

قال أبو عبيد: أهل المدينة يقولون في نصب: «سبحان»: إنّه اسم في موضع مصدر، سَبَّحْتُ الله تَسْبيحاً وسبحاناً، و«التسبيح» هو المصدر، و«سُبْحان» اسم منه، كقولك: كَفَّرْت اليمين تَكْفيراً، وكُفْراناً و«التكفير» المصدر، و«الكفران» الاسم، قال أُميَّة بن أبي الصلت:

سُبحانَهُ ثمّ سُبْحاناً يَعودُ له وقَبْلَنا سَبَّحَ الجُودِيُّ والجُمُد[١]

وقال بعضهم: إنّه يجوز أن يكون نصباً على النداء، يريد: يا سبحانَ. ومعناه: التنزيه لله تعالى وتبعيد له من كلّ ما لا يليق به، و«التسبيح» يكون بمعنى الصلاة، كقوله: ﴿فلولا أنّه كان من المسبِّحين﴾[٢] أي: من المصلّين، ذكره أكثر المفسّرين. ومنه: «السُبْحَة» وهي النافلة، وروي أنّه كان ابن عمر يصلّي سُبْحَتَه في موضعه الّذي يصلّي فيه المكتوبة[٣]. ويكون بمعنى الاستثناء لقوله: ﴿لولا تسبّحون﴾[٤] أي: لولا تستثنون، وهي لغة لبعض [أهل] اليمن، ولا وجه للكلام غيره، لأنّه قال: ﴿إنّا بلوناهم كما بَلَونا أصحاب الجنّة﴾ إلى قوله: ﴿ولا يستثنون﴾[٥] ثمّ ﴿قال: أوسَطُهم ألم أقل لكم لولا تسبِّحون﴾ فأذْكرهم تركهم الاستثناء.

فأمّا سُبْحَة النور الّتي دون الله، قال المبرّد: لا يُعرف إلّا من الخبر الّذي رُوِي: «لولاَ ذلكَ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ» بمعنى: نور وجهه[٦] أي: الّذي إذا رأى الرائي قال: سُبحان الله.

وقال سيبويه: «سبحان» براءة الله من السوء، وهو اسم لهذا المعنى

---

(١) أنشده في اللسان: مادّة «سبح».
(٢) الصافّات: ١٤٣.
(٣) غريب الحديث ١: ٣٣١.
(٤) القلم: ٢٨.
(٥) القلم: ١٧و١٨.
(٦) أورد الحديث الطبري ذيل الآية.

معرفة، وقال الأعشى:

أقولُ لمَّا جاءَني فَخْرُهُ ... سُبْحانَ من عَلْقَمةَ الفاخِرِ

أي: براءة منه(١).

ولا ينزّه بلفظ «سبحان» غير الله، وإنّما ذكره الشاعر نادراً على الأصل وأجراه كالمَثَل.

وقوله: ﴿وإنْ من شيءٍ إلّا يسبّح بحمده﴾(٢) معناه: ليس شيء إلّا وفيه دلالة على تنزيه الله ممّا لا يليق به، وقولهم: سبَّح تسبيحاً، أي قال: سبحان الله، والسبَحْ في التعظيم: الجري فيه.

و«الإسراء» سير الليل، أسرى إسراءً، وسَرَى يَسْري سُرًى لغتان، قال الشاعر:

وليلةٍ ذاتِ دُجًى سَرَيْتُ ... ولَمْ يَلِتْني عن سُراها لَيْتُ(٣)

وقوله: ﴿ليلاً﴾ معناه: بعض ليل، على تقليل وقت الإسراء، ويقوّي ذلك قراءة حُذَيْفة وعبد الله: «من الليل»(٤).

وروت أُمّ هاني بنت أبي طالب: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في منزلها ليلة أُسْرِيَ به(٥). وقال الحسن وقَتادة: كان في نفس المسجد الحرام. وروي عن أُمّ هاني: أنّ الحرم كلّه مسجد(٦).

و«المسجد الأقصى» هو بيت المقدس، وهو مسجد سليمان بن داود، في قول الحسن وغيره من المفسِّرين(٧).

---

(١) الكتاب ١: ٣٢٤. (٢) الاسراء: ٤٤. (٣) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٤) ذكره الطبري في تفسيره ذيل الآية. (٥) رواه الطبري ذيل الآية.

(٦) رواه أبو صالح عن أُمّ هاني كما في النكت والعيون ٣: ٢٢٥.

(٧) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٢٦ من دون نسبة.

وإنّما قيل له: الأقصى، لبُعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام.

وقال الحسن: صلّى النبيّ صلى الله عليه وآله المغرب في المسجد الحرام، ثمّ أُسْرِي به إلى بيت المقدس من ليلته، ثمّ رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام. فلمّا أخبر به المشركين كذّبوا ذلك وقالوا: يسير مسيرة شهر في ليلة واحدة؟! وجعلوا يسألونه عن بيت المقدس وما رأى في طريقه، فوصفه لهم شيئاً شيئاً بما يعرفونه، ثمّ أخبرهم أنّه رأى في طريقه قَعْباً مغطّىً مملوءاً ماءً، فشرب الماء [كلّه] ثمّ غطّاه كما كان، ووصف لهم صفة إبلٍ كانت لهم في طريق الشام تحمل المتاع، فقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أوْرَق، فقعدوا في ذلك اليوم يستقبلونها، فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد شرقت، ولم تأتِ، وقال آخر: هذه والله العير يقدمها جمل أوْرَق كما ذكر محمّد(١) فكان ذلك معجزة له باهرة، ودلالة واضحة لولا العناد، وكان نفس الإسراء حجّة له صلى الله عليه وآله لا أنّه يحتاج إلى دلالة كغيره، ولذلك قال تعالى: ﴿لنريه من آياتنا﴾ فكان الإسراء من جملة الآيات الّتي تأكّد بها يقينه، وازدادت [به] بصيرته، لأنّه كان قد علم نبوّته بما تقدّم له من الآيات، فكان هذا على وجه التأكيد لذلك.

وعند أصحابنا وعند أكثر أصحاب التأويل، وذكره الجُبّائي أيضاً: أنّه عرج به في تلك الليلة إلى السماوات حتّى بلغ سدرة المنتهى في السماء السابعة، وأراه الله من آيات السماوات والأرض ما ازداد به معرفةً ويقيناً، وكان ذلك في يقظته دون منامه(٢). والّذي يشهد به القرآن الإسراء من

---

(١) نقل الطبري حديث المعراج بتفصيل، فراجع تفسيره ذيل الآية كما رواه الصدوق في الأمالي: ٣٦٣ عن الإمام الصادق.

(٢) انظر تفسير القمّي ٢: ٣ ـ ١٢.

المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والباقي يُعلم بالخبر.

وقوله: ﴿الّذي باركنا حوله﴾ يعني: بالثمار ومجاري الأنهار، وقيل: ﴿باركنا حوله﴾ بمن جعلنا حوله من الأنبياء والصالحين، ولذلك جعله مقدّساً[(١)]. ﴿لنريه من آياتنا﴾ أي: من العجائب الّتي فيها اعتبار، فروي[(٢)] أنّه أُرِيَ الأنبياء حتّى وصفهم واحداً واحداً[(٣)].

وقوله: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ إخبار منه تعالى أنّه بحيث يدرك[(٤)] المبصرات والمسموعات إذا وجدت، لأنّه حيّ و[(٥)] لا يجوز عليه الآفات.

وقوله: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ يعني: التوراة ﴿وجعلناه﴾ يعني: التوراة الّتي أنزلها ﴿هدىً﴾ ودلالةً لبني إسرائيل، وقلنا لهم: ﴿لا تتّخذوا من دوني وكيلاً﴾ أي: ربّاً تتوكّلون عليه، وكافياً تُسنِدون أُموركم إليه، وقال مجاهد: معنى ﴿وكيلاً﴾ شريكاً[(٦)]. قال المبرّد: هذا لا شاهد له في اللغة. وقلنا يا ﴿ذرّية من حملنا مع نوح﴾ في سفينته وقت الطوفان: ﴿إنّه كان عبدا شكوراً﴾ يعني: نوحاً كان عبداً لله شاكراً له على نِعَمه، ورُوِي: أنّه كان إذا أراد أكل طعام أو شرب شراب قال: بسم الله، وإذا شبع قال: الحمد لله[(٧)]. ومَن قال: هو نصب على أنّه مفعول، فإنّه قال: تقديره: لا تتّخذوا ذرّيّة من حملنا مع نوح وكيلاً من دوني.

---

(١) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٢٦.

(٢) في «م» والحجريّة: «وروي».

(٣) كذا في «م»، وفي «ح» «أُري عشرين من الأنبياء»، وفي «س»: «رأى من الأنبياء». وفي الحجريّة: «انه كان أُري الأنبياء»، ونقل معناه الطبري ذيل الآية ولفظه: «ثمّ لقي أرواح الأنبياء».

(٤) كذا في «ح»، وفي «س» و«الحجريّة»: «يجب أن يدرك»، وفي «م»: «أنّه يدرك».

(٥) في «ح» زيادة: «لا آفة به».

(٦) النكت والعيون ٣: ٢٢٧.

(٧) تفسير الطبري ذيل الآية.

قوله [تعالى]:

وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

القضاء على أربعة أقسام: بمعنى الخلق والإحداث، كما قال: ﴿فقضاهنّ سبع سماوات﴾[(١)] وبمعنى فصل الحكم كقوله: ﴿الله يقضي بالحقّ﴾[(٢)] وبمعنى الأمر كقوله: ﴿وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه﴾[(٣)] وبمعنى الإخبار كقوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أي: أخبرناهم وأعلمناهم بما يكون من الأمر المذكور، من أنّهم سيفسدون ﴿في الأرض مرّتين﴾ ويعلون ﴿علوّاً كبيراً﴾ أي: عظيماً، أي: يتجبّرون على عباد الله، قال ابن عبّاس وقَتادة: المبعوث عليهم في المرّة الأُولى جالوت إلى أن قتله داود، وكان ملكهم طالوت. وقال سعيد بن المسيّب: هو بختنصّر. وقال سعيد بن جُبَيْر: هو سَنْحاريب. وقال الحسن: هم العمالقة وكانوا كفّاراً.

والفساد الّذي ذكره: هو قتلهم الناس ظلماً، وتغلّبهم على أموالهم قهراً وإخراب ديارهم بغياً.

والآية تدلّ على أنّ قضاء الله بالمعاصي هو إخباره أنّها تكون.

وقوله: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني: وقت فناء آجالهم، ووقت عقوباتهم. و«الوعد» هوالموعود هاهنا، ووضع المصدر موضع المفعول به.

وقوله: ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أُولي بأس شديد﴾ وقيل في معنى ﴿بعثنا﴾

(١) فصّلت: ١٢. (٢) غافر: ٢٠. (٣) الإسراء: ٢٣.

قولان:

أحدهما: قال الحسن: إنّا خلّينا بينهم وبينكم، خاذلين لكم، جزاءً على كفركم ومعاصيكم، كماقال: ﴿إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزّاً﴾ [1].

الثاني: قال أبو عليّ: أمرناهم بقتالكم.

وقوله: ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ أي: تردّدوا وتخلّلوا بين الدور، جِسْتُ أجُوسُ جَوْساً وجَوَسَاناً، قال حسّان:

ومِنَّا الّذي لاقَى بسَيْفِ محمدٍ
فَجاسَ بِهِ الأعداءَ عُرْضُ العَساكِرِ [2]

معناه: تخلّلهم قتلاً بسيفه. وقيل: «الجَوْس» طلب الشيء باستقصاء [3].

وقوله: ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ أي: كائناً لا محالة على ما أخبرنا به ﴿ثمّ﴾ قال لهم: ﴿رددنا لكم الكرّة عليهم﴾ يعني: الرجعة والنصرة عليهم ﴿وأمددناكم بأموال وبنين﴾ أي: أعناكم وكثّرناكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أي: أكثر نُصَّاراً [4] ونصبه على التمييز، قال الزجّاج: يجوز أن يكون ﴿نفيراً﴾. جمع نفر كعَبيد وضَنين ومعين [5]. قال الفرّاء: زعموا أنّه رجل من أهل همدان بعثه الله على بُختنَصّر فقتله وأعاد الملك إلى بني إسرائيل فعاشوا [6].

قوله [تعالى]:

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا (٧) آية بلا خلاف.

(١) مريم: ٨٣. (٢) لم نجده في ديوان حسّان، وذكره الطبري ذيل الآية.

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٢٧.

(٤) يقال: رجل ناصر من قوم نُصَّار، أي جعلنا نصراءكم أكثر.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٣: ٢٢٨. (٦) انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ١١٦.

قرأ الكسائي: ﴿لنَسُوَ وجوهكم﴾ بالنون وفتح الواو[١] كما يقال: لن ندعوَ، فعلامة النصب فتحة الواو، وقرأ ابن‌عامر وحمزة وأبوبكر عن عاصم بالياء على واحد ﴿ليَسوءَ﴾ الباقون بالياء والمدّ[٢] وعلامة النصب هاهنا حذف النون، وإنّما مدّوا لتمكين الهمزة، لأنّ كلّ واوٍ سُكِّنت وانضمّ ما قبلها وثبتت بعدها همزة فلابدّ من مدٍّ، في كلمة كانت أو كلمتين، نحو: ﴿قالوا آمنا﴾[٣] وفي كلمة واحدة نحو: ﴿تبوء بإثمي﴾[٤] و«تبوء بحمله» وفي قراءة أُبيٍّ ﴿لنَسُؤن وجوهكم﴾ بنون خفيفة للتأكيد[٥] كقوله: ﴿لِنَسْفَعاً بالناصية﴾[٦].

قال أبو عليّ الفارسي: لمّا قال: ﴿لتفسدن في الأرض مرّتين﴾ وبيّن المرّة الأُولى قال: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ أي: المرّة الآخرة بعثناهم ﴿ليسوءوا وجوهكم﴾ فحذف «بعثناهم» لأنّه تقدّم ذكره، ولأنّه جواب ﴿إذا﴾ وشرطها يقتضيه، فحذف للدلالة عليه[٧].

فأمّا معنى ﴿ليسؤوا﴾ فقال أبو زيد:: سُؤتُهُ مَساءَةً ومَسَائِيَةً وسَوَايَةً. وقال: ﴿وجوهكم﴾ على أنّ الوجوه مفعول لـ«سُؤت» وعُدِّي إلى «الوجوه» لأنّ الوجوه قد يراد بها: ذوو الوجوه، كقوله: ﴿وكلّ شيء هالك إلّا وجهه﴾[٨] وقال: ﴿وجوه يومئذٍ مُسْفِرة ضاحكة مستبشرة﴾[٩] [وقال:] ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾[١٠] وقال النابغة:

أقارعُ عَوْفٍ[١١] لا أُحاولُ غَيرَها   وجُوهُ قُرودٍ تَبتَغي مَن تُجادِعِ[١٢]

---

(١) كذا في النسخ، وفي مجمع البيان: «بفتح الهمزة»، انظر الحجّه للقرّاء السبعة ٣: ٤٩، ومعجم القرآات القرآنية ٣: ٣٠٨.
(٢) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٩.
(٣) البقرة: ١٤.
(٤) المائدة: ٢٩.
(٥) نقل هذه القراءة الثعلبي في الكشف والبيان ٦: ٨٥.
(٦) العلق: ١٥.
(٧) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٩.
(٨) القصص: ٨٨.
(٩) عبس: ٣٨ و٣٩.
(١٠) القيامة: ٢٢.
(١١) كذا في المصدر، وفي النسخ: «عوفاً».
(١٢) من قصيدة يمدح بها النعمان الملك، راجع ديوان النابغة الذبياني: ٨١.

فكأنّ الوجوه إنّما خُصَّت بذلك، لأنّها تدلّ على ما كـان مـن تـغيّر الوجوه من الناس، من حزنٍ أو مسرَّةٍ، وبشارةٍ وكآبةٍ[١].

وحجّة من قرأ بالياء والجمع: أنّه أشبه بما قبله وما بعده، لأنّ الّـذي يُراد قـبله »بـعثناهم» وبـعده ﴿وليدخلوا المسجد﴾ وهـو بـيت المـقدس، والمبعوثون في الحقيقة هم الّذين يسؤونهم لقتلهم[٢] إيّاهم وأسرهم لهم، فهو وفق المعنى.

ومَن قرأ بالياء والتوحيد ففاعل ﴿ليسوءوا﴾ أحد شيئين:

أحدهما: أن يكون اسم «الله» لأنّ الّذي تقدّم: ﴿بعثنا﴾ و﴿رددنا لكم﴾ و﴿أمددناكم﴾. والآخر: أن يكون «البعث» و«الوعد» ودلّ عليه: ﴿بعثنا﴾ المـتقدّم كـقوله: ﴿لا يحسبنّ الّذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم﴾[٣] أي: البخل.

ومن قرأ بالنون كان المعنى كقول من قدّر أنّ الفعل ما تقدّم من اسم الله، وجاز أن تنسب المساءة إلى الله وإن كانت من الّذين جاسوا خـلال الديار في الحقيقة، لأنّهم فعلوها بقدرة الله وتمكينه، فجاز أن تنسب إليه، كما قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنّ الله رمى﴾[٤].

ويجوز أن يكون اللام في قـوله: ﴿ليسؤوا﴾ و﴿ليدخلوا﴾ و﴿ليتبّروا﴾ لام العاقبة، لأنّ الله لا يريد منهم ذلك من حيث كان ذلك ظلماً وفساداً.

يقول الله تعالى لخلقه من المكلّفين: ﴿إن أحسنتم﴾ أي: فعلتم الأفعال الحسنة من الإنعام إلى الغير، والأفعال الجميلة الّتي هي طـاعة ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ لأنّ ثواب ذلك واصل إليكم ﴿وإن أسأتم﴾ إلى الغير وظلمتموه

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٤٩.
(٢) كذا، وفي مجمع البيان: «بقتلهم».
(٣) آل عمران: ١٨٠.
(٤) الأنفال: ١٧.

أسأتم لأنفسكم، لأنّ وبال ذلك وعقابه واصل إليكم وإنّما قال: ﴿فلها﴾ ليقابل قوله: ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ والمعنى: أسأتم فإليها، كما يقال: «أحسن إلى نفسه» ليقابل «أساء إلى نفسه» على أنّ حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض إذا تقاربت معانيها، قال تعالى: ﴿بأنّ ربّك أوحى لها﴾(١) المعنى: أوحى إليها. ومعنى: «أنت منتهى الإساءة» و«أنت المختصّ بالإساءة» متقارب. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني: وعد المرّة الآخرة ليسوؤكم ﴿وليدخلوا المسجد﴾ يعني: المبعوثين عليكم ﴿كما دخلوه﴾ في المرّة الأُولى، يعنى غيرهم، لأنّ هؤلاء بأعيانهم لم يدخلوها في الدفعة الأُولى ﴿وليتبّروا ما علوا تتبيراً﴾ فالتَبار والهلاك والدمار واحد، وكلّ ما نكسّر من الزجاج والحديد والذهب: تِبْرٌ، ومعنى ﴿ما علوا﴾: ما غلبوا عليه. وجواب ﴿إذا﴾ محذوف، وتقديره: فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم، وقيل: بعثناهم ليسؤوا(٢).

قوله [تعالى]:

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطباً لنبيّه ﷺ: أن قل لبني إسرائيل: ﴿عسى ربّكم أن يرحمكم﴾ إن أقمتم على طاعته وترك معاصيه، «وعسى» من الله واجبة، ويجوز أن يكون بمعنى الإيهام(٣) على المخاطب.

---

(١) الزَلْزَلة: ٥.

(٢) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١١٦.

(٣) في الحجريّة: «الابهام».

وقوله: ﴿وإن عدتم﴾ يعني: في معاصي الله والكفر به وجحد أنبيائه ﴿عدنا﴾ في عذابكم والتسليط عليكم، كما فعلناه أوّل مرّة، وقال ابن عبّاس وقَتادة: عادوا فبعث الله عليهم المسلمين يذلّونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد وابن زيد وقَتادة: مَحْبساً. والحصير: الحَبْس، ويقال للملك حصير، لأنّه محجوب، قال لَبيد:

وقَماقِمٌ غُلْبِ الرِقَابِ كأَنَّهم ... جِنٌّ لدى بابِ الحَصيرِ قِيامُ(١)

وقال الحسن: يعني: مهاداً، كما قال: ﴿لهم من جهنّم مهاد﴾(٢) والحصير: البساط المرمول، يحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج، ويقال للجَنْبَين: الحصيران، لحصرهما ماأحاطا به من الجوف ومافيه، وقيل: لأنّ بعض أضلاعه حُصِرَ مع بعض، ويُسمَّى البساط الصغير: حصيراً، و«حصير» بمعنى «محصور» كرضي بمعنى مرضي.

ثمّ أخبر تعالى: ﴿إن هذا القرآن﴾ الّذي أنزله على محمّدﷺ ﴿يهدي﴾ أي: يدلّ ﴿للّتي هي أقوم﴾ قال الفرّاء: لشهادة أن لا إله إلّا الله(٣). ويحتمل أن يكون المراد: يهدي لجميع سبل الدين الّتي هي أصْوَب من غيرها، من: توحيد الله وعدله، وصدق أنبيائه، والعمل بشرعه، وفعل طاعاته وتجنّب معاصيه ﴿ويبشّر المؤمنين﴾ يعني: القرآن يبشّرهم ﴿بأنّ لهم أجرا كبيراً﴾ وثواباً عظيماً على طاعاتهم، ويبشّرهم أيضاً بـ﴿أنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ ويجحدون البعث والنشور أعدّ الله ﴿لهم عذاباً أليماً﴾ يعني: مؤلماً موجعاً.

---

(١) من قصيدة في الافتخار. راجع ديوان لبيد: ١٦١ وفيه: «مقامةٍ» بدل «قَماقِم»، و«طرف» بدل «باب».

(٢) الأعراف: ٤١.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢: ١١٧.

و﴿اعتدنا﴾ أصله: أعددنا، فقُلِبت إحدى الدالين تاءً، فراراً من التضعيف إلى حرفٍ من مخرج الدال. وتكون «البشارة» قد أوقعت على أنّ لهم الجنّة، وأنّ لعدوّهم النار، فلذلك نصب ﴿أنّ﴾ في الموضعين، ويحتمل أن يكون نصب ﴿أنّ﴾ الثانية على حذف اللام، والتقدير: لأنّ الّذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً، ولو كُسِرَت على الاستئناف جاز، غير أنّه لا يقرأ به أحد.

قوله [تعالى]:

وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ آيتان بلا خلاف.

قيل في معنى قوله ﴿ويَدْعُ الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير﴾ قولان:

أحدهما: ما ذكره ابن عبّاس والحسن وقَتادة ومجاهد: أنّه يدعو على نفسه وولده عند غضبه، فيقول: اللّهمّ العنه واغضب عليه، وما أشبهه، فيمنعه الله، ولو أعطاه لشقّ عليه.

والثاني: قال قوم: إنّه يطلب ما هو شرّ له لتعجيل الانتفاع به، مثل دعائه بما هو خير له، ويقوّي ذلك قوله: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾. ومعنى قوله: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ قال مجاهد: لأنّه يعجل بالدعاء بما لا يجوز. وقال ابن عبّاس: على طبع آدم لمّا نفخ فيه الروح فبلغت إلى رجلَيْه، قبل أن تجري فيهما رام النهوض. و«العجلة»: طلب الشيء قبل وقته الّذي لا يجوز تقديمه عليه، أو ليس بأولى فيه. و«السرعة»: عمل الشيء في أوّل وقته الّذي هو أولى به.

ثمّ أخبر أنّه تعالى جعل ﴿الليل والنهار آيتين﴾ ويريد: الشمس والقمر

في هذا الموضع عند قوم[١]. وقال الجُبّائي: هما الليل والنهار، وهو الظاهر، وهما دالّان على توحيد الله، لأنّ أحداً لا يقدر على الإتيان بالنهار، ولا على إذهابه والإتيان بالليل، وإنّما يقدر عليه القادر لنفسه الّذي لا يتعذّر عليه شيء.

ثمّ أخبر أنّه جعل إحدى الآيتيْن ممحوّة وهي الليل، أي: لا تُبصَر فيها المرئيّات كما لا يُبصَر ما يمحى من الكتاب، وهو من البلاغة العظيمة، وقال ابن عبّاس: محو آية الليل: السواد الّذي في القمر. وروي عن عليّ عليه السلام أنّه اللَطْخة الّتي في القمر[٢].

وقوله: ﴿وجعلنا آية النهار مبصرةً﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: مضيئة للأبصار. الثاني: جعلنا أهله بُصَراء فيه، كما يقال: رجل مُخْبِث، أي: أهله خُبَثاء، ورجل مُضْعِف: دوابّه ضُعَفاء[٣] فكذلك «النهار مبصراً» أي: أصحابه بُصَراء. ثمّ بيّن الغرض بذلك، وإنّما جعله كذلك ﴿لتبتغوا فضلاً﴾ أي: تطلبوا فضلاً من ربّكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ في مواقيتكم ومعاملاتكم ومعرفة سنينكم وغير ذلك، فيكثر بذلك انتفاعكم ﴿وكلّ شيء فصّلناه تفصيلاً﴾ أي: ميّزنا كلّ شيء ميّزناه تمييزاً ظاهراً بيّناً لا يلتبس، وبيّنّاه بياناً لا يخفى.

قوله [تعالى]:

وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا

---

(١) كابن عبّاس وقَتادة. راجع تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) رواه الطبري ذيل الآية مسنداً.

(٣) كذا في النسخ، وفي هامش الحجريّة: في نسخة «ذو رأي ضعيف».

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر: ﴿ويُخرَج﴾ بضمّ الياء وفتح الراء، وقرأ يعقوب بالياء وفتحها وضمّ الراء، الباقون بالنون وضمّها وكسر الراء، واتّفقوا على نصب ﴿كتاباً﴾. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر: ﴿يُلَقَّاه﴾ بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف، الباقون بفتح الياء والقاف وتخفيفها[١]. نصب قوله: ﴿كلَّ إنسان﴾ بفعلٍ يفسّره: ﴿ألزمناه﴾ وتقديره: ألزمنا كلّ إنسانٍ ألزمناه، كما قال: ﴿والقمر قدّرناه﴾[٢] فيمن نصب.

ومعنى ﴿طائره﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة: عمله من خير أو شرّ[٣] كالطائر الّذي يجيء من ذات اليمين فيُتَبَرَّك به، والطائر الّذي يجيء من ذات الشمال فَيُتَشاءم به، و﴿طائره﴾: عمله. وإلزام الله طائره في عنقه: الحكم عليه بما يستحقّه من ثواب أو عقاب، وقيل: معناه: أن يحكم بأنّ عمله كالطوق في عنقه[٤]. ثمّ أخبر تعالى أنّه يخرج للإنسان المكلّف يوم القيامة كتاباً فيه جميع أفعاله مثبتة ما يستحقّ عليه ثواب أو عقاب.

وقوله: ﴿يلقاه﴾ قرأه ابن عامر ضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف بمعنى: أنّ الملائكة يستقبلونهم به، الباقون بفتح الياء والقاف، بمعنى: أنّهم يلقونه ويرونه[٥].

من قرأ بالتخفيف فمن: لقيت الكتاب، فإذا ضاعفت قلت: لَقَّانيه، وقد يتعدّى بتضعيف العين إلى مفعولَيْن بعد أن كان متعدّياً إلى مفعول واحد،

---

(١) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٠. (٢) يس: ٣٩. (٣) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.
(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٢: ٢٣٠. (٥) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٠.

فإذا بُنِي للمفعول به نقص مفعول واحد من المفعولَيْن، لأنّ أحدهما يقوم مقام الفاعل لإسناد الفعل إليه، فيبقى متعدّياً إلى مفعول واحد، وعلى هذا: ﴿ويُلَقَّوْن فيها تحيةً وسلاماً﴾ [١] وفي البناء للفاعل: ﴿ولَقّاهم نضرةً وسروراً﴾ [٢] وحكي عن الحسن ومجاهد أنّهما قرآ ﴿ويَخْرُج﴾ بفتح الياء وضمّ الراء[٣] والمعنى: يخرج طائره[٤] له ﴿كتاباً﴾ نصب على التمييز، وقيل في ﴿طائره﴾: إنّه عمله. وقيل: إنّه حظّه، وما قدّمه من خير أو شرّ[٥]. قال المؤرّج: الطائر العمل، بِلُغة الأنصار[٦] ويكون المعنى على هذا: ويخرج عمله له كتاباً أي: ذا كتاب، ومعناه: أنّه مثبت في الكتاب الّذي قال فيه: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها﴾ [٧] وقال: ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ [٨] وإنّما قيل لعمله: «طائره» و«طيره» في بعض القراءات، على تعارف العرب، يقولون: جرى طائره بكذا، ومثله قوله: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ [٩] وقوله: ﴿إنّما طائرهم عند الله﴾ [١٠] وقال أبو زيد: ما مرّ من طائر أو ظبي أو غيره، كلّ ذلك عندهم طائر[١١]. قال أبو زيد: قولهم: «سألت الطير» و«قلت للطير» إنّما هو زجر، وقولهم: ﴿خبَّرتني الظباء والطير» معناه: وقع زجري عليهما، على كذا وكذا، من خيرٍ أو شرّ[١٢] ومنه قول الكُمَيْت:

ولا أنا ممَّن يَزجُرُ الطيرُ هَمُّهُ أصاحَ غُرابٌ أو تَعرَّضَ ثَعلَبُ[١٣]

---

(١) الفرقان: ٧٥. (٢) الإنسان: ١١. (٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥١.
(٤) في الحجريّة: «طائر». (٥) نقل هذه الأقوال الفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥١.
(٦) لم نقف عليه. (٧) الكهف: ٤٩. (٨) الحاقّة: ١٩. (٩) يس: ١٩.
(١٠) الأعراف: ١٣١. (١١ و١٢) نقله أبوعليّ الفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥١.
(١٣) من قصيدة يمدح بها بني هاشم ويدافع عنهم، انظر القصائد الهاشميات: ٢٥.

وقال حسّان:

ذَريــني وعِـلْمي بـالأُمورِ وسِـيرتي
فَما طـائِري فـيها عَـليكِ بـأَخْيَلا[١]

أي: ليس رأيي بمشؤوم، وقال كُثَيِّر:

أقولُ إذا مـا الطـيرُ مَرَّتْ مـخيلةً لعـلَّكَ يـوماً فـانتظِرْ أن تَـنَالها[٢]

معنى «مَخيلةً» مكروهة من: «الأخيل»[٣]. ومعنى ﴿في عنقه﴾ لزوم ذلك له، وتعلّقه به، ومثله قولهم: طوّقتك كذا، وقـلّدتك كـذا، أي: ألزمـته إيّاك، ومثله: قلّده السلطان كذا، أي: صارت الولاية فـي لزومـها له فـي موضع القلادة.

وإنّما خصّ إلزام الطائر بالعنق لأنّ إضافة ما يزيّن من طوقٍ أو يشين من غلّ يضاف إلى الأعناق، ولأنّ في عرف الناس أن يقولوا: هـذا فـي رقبتك. وقد يضاف «العمل» إلى اليـد أيـضاً، كـما قـال: ﴿ذلك بما قدّمت أيديكم﴾[٤] وإن كان كسبه بفرجه ولسانه، وغير ذلك، وإنّما يذمّ بذلك على وجه التقريع والتبكيت بما فعله[٥] من المعاصي، ويكون في العلم بـذلك لطف في دار الدنيا وإن كان الله عالماً بتفصيل ما فعلوه.

وقـوله: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي: حسـبك نـفسك اليـوم حاكماً عليك في عملك، وما تستحقّه من ثواب على الطاعة ومن عقاب على المعصية، لأنّه أنصفك من جعلك حسيباً على نفسك بعملك. وقـيل:

---

(١) من قصيدة طويلة يمدح الأنصار ويفتخر بهم راجع ديوان حسّان ١١: ٤٤.

(٢) من قصيدة في مدح عبد الملك بن مروان، راجع ديوان كثير عزة: ١٤٦.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٢. (٤) آل عمران: ١٨٢. (٥) في «م» «يفعله».

معنى ﴿حسيباً﴾ شاهداً وشهيداً[١].

وقوله ﴿من اهتدى﴾ يعني: فعل الخيرات والطاعات، وانتفع بهداية الله إيّاه ﴿فإنّما يهتدي لنفسه﴾ وأنّ ثواب ذلك واصل إليه ﴿ومن ضلّ﴾ أي: جارَ عن الحقّ وعدل عن الصواب وارتكب المعاصي ﴿فإنّما يضلّ عليها﴾ أي: يجور عليها، لأنّ عقاب ذلك ووباله واصل إليه، لأنّ الله تعالى قال: ﴿لا تزر وازرة وزر أُخرى﴾ أي: لا تأخذ أحداً بذنب غيره، و«الوزر»: الإثم، وقيل: معناه: لا يجوز لأحد أن يعمل الإثم لأنّ غيره عمله[٢] والأوّل أقوى.

وقوله: ﴿وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً﴾ إخبار من الله تعالى أنّه لا يعاقب أحداً على معاصيه حتّى يستظهر عليه بالحجج، وإنفاذ الرسل ينبّهونه على الحقّ، ويهدونه إليه ويرشدونه إلى سلوكه، استظهاراً في الحجّة، لأنّه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع إلى الحقّ تأكّد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد. وليس في ذلك دلالة على أنّه لو لم يبعث رسولاً لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقليّة، اللّهمّ إلّا أن يفرض أن في بعثه الرسول لطفاً، فإنّه لا يحسن من الله تعالى مع ذلك أن يعاقب أحداً إلّا بعد أن يعرّفه ما هو لطف له ومصلحة لتنزاح علّته. وقيل: معناه: ﴿وما كنّا معذّبين﴾ بعذاب الاستئصال والإهلاك في الدنيا حتّى نبعث رسولاً[٣].

وفي الآية دلالة على بطلان قول المجبّرة من أنّ الله يعذّب أطفال الكفّار بكفر آبائهم، لأنّه بيّن أنّه لا يأخذ أحداً بجرم غيره.

---

(١) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.
(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٢٣١.
(٣) قاله مقاتل، راجع تفسير الماوردي ٣: ٢٣٤.

قوله [تعالى]:

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا﴿١٦﴾ آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب: ﴿آمرنا﴾ بمدّ الهمزة[1] وعن الحسن: ﴿أمّرنا﴾ بالتشديد، وروي عنه: ﴿أمِرْنا﴾ بكسر الميم خفيفة وهي رديّة.

ذُكِر في هذه الآية وجوه أربعة:

أحدها: أنّ مجرّد الإهلاك لا يدلّ على أنّه حسن أو قبيح، بل يمكن وقوعه على كلّ واحد من الأمرَيْن، فإذا كان واقعاً على وجه الظلم كان قبيحاً، وإذا كان واقعاً على وجه الاستحقاق أو على وجه الامتحان كان حسناً، فتعلّق الإرادة به لا يقتضي تعلّقها على الوجه القبيح. وإذا علمنا أنّ القديم لا يفعل القبيح علمنا أنّ إرادته الإهلاك على الوجه الحسن.

وقوله: ﴿أمرنا مترفيها﴾ المأمور به محذوف، وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وإن وقع بعده الفسق، بل لا يمتنع أن يكون التقدير: وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرناهم بالطاعة ففسقوا فيها فحقّ عليها القول، وجرى ذلك مجرى قولهم: أمرته فعصى ودعوته فأبى، والمراد: أمرته بالطاعة ودعوته إلى الإجابة والقبول فعصى.

فإن قيل: أيّ معنىً لتقدّم الإرادة؟ فإن كانت متعلّقة بإهلاكٍ مستحقّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله: ﴿إذا أردنا... أمرنا﴾ لأنّ أمره بما يأمر به لا يحسّن إرادته للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور في الآية

---

(١) انظر النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠٦.

فهو الّذي تأبونه، لأنّه يقتضي أنّه تعالى مريد لإهلاك من لم يستحقّ العقاب!

قلنا: لم تتعلّق الإرادة إلّا بالإهلاك المستحقّ بما تقدّم من الذنوب، وإنّما حسن قوله: ﴿إذا أردنا... أمرنا﴾ أنّ في تكرير الأمر بالطاعة والإيمان إعذاراً للعصاة وإنذاراً لهم وإيجاباً للحجّة عليهم، ويقوّي ذلك قوله قبل هذه الآية: ﴿وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولاً﴾ منبّهاً بذلك أنّه أراد إثبات الحجّة وتكرّرها عليهم.

الثاني: أن يكون قوله: ﴿أمرنا مترفيها﴾ من صفة «القرية» وصلتها، ولا يكون جواباً لقوله ﴿وإذا أردنا﴾ ويكون تقدير الكلام: وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنّا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها، ولا يكون لـ﴿إذا﴾ جواب ظاهر في اللفظ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه، ومثله قوله: ﴿حتّى إذا جاءُوها وفُتِحت أبوابها وقال لهم خَزَنَتها سلام عليكم﴾ إلى قوله: ﴿فنِعْم أجر العاملين﴾[1] ولم يأتِ لـ﴿إذا﴾ جواب في طول الكلام للاستغناء عنه، وقال الهُذَلي:

حتّى إذا أسلكوهم في قُتَائِدةٍ شَلّاً كما يطرد الجمَّالةُ الشُرُدا[2]

فحذف جواب «إذا» ولم يأتِ به، لأنّ هذا البيت آخر القصيدة.

الثالث: أن يكون الكلام على التقديم والتأخير، وتقديره: إذا أمرنا مترفي قريةٍ بالطاعة فعصوا واستحقّوا العقاب أردنا إهلاكهم، ويشهد بهذا التأويل قوله: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾[3] والطهارة إنّما تجب قبل القيام إلى الصلاة، ومثله قوله: ﴿وإذا كنت فيهم

(١) الزُمَر: ٧٣ و ٧٤.
(٢) لعبد مناف بن ربع الهذلي، راجع مجاز القرآن ١: ٣٧.
(٣) المائدة: ٦.

فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك﴾[١] وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة، لأنّ إقامتها هو الإتيان بجميعها على الكمال، ومثله قوله: ﴿ما إنّ مفاتحه لتنوءُ بالعُصبة أُولي القوّة﴾[٢] والتقدير: ما إنّ مفاتحه لتنوء بها العصبة أي: يثقلون بها، ومثله قول الشاعر:

ذَعرتُ به القَطَا وَنَفَيتُ عنْهُ   مقامَ الذئبِ كالرجلِ اللَّعينِ[٣]

أراد: مقام الذئب اللعين، وقد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه، قال الشاعر:

بين ذراعي وجبهة الأسد

أراد: بين ذراعي الأسد وجبهته.

والرابع: أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً واتّساعاً وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم، وأنّهم متى أُمروا فَسقوا وخالفوا، وجرى ذلك مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كلّ وجه، وجاءهُ الخسران من كلّ طريق، وإذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله، ومعلوم أنّ أحداً ممّن ذكرناه لم يرد ذلك، لكن لمّا كان المعلوم من حال هذا الخسران، ومن حال ذاك الهلاك، حسن هذا الكلام، وكان أفصح وأبلغ، لما فيه من الاستعارة والمجاز الّذي لا يكون الكلام بليغاً من دونهما. ويكون تلخيص الكلام: إذا أردنا إهلاك قرية ـ كقوله: ﴿جداراً يريد أن ينقضَّ﴾[٤] ـ أمرناهم بالطاعة، ففسقوا فيها فحقّ عليها القول.

وإنّما خصَّ المترفون بذكر الأمر، لأنّهم الرؤساء الّذين مَن عداهم

---

(١) النساء: ١٠٢.
(٢) القصص: ٧٦.
(٣) للشمّاخ، راجع مجاز القرآن ١: ٤٦.
(٤) الكهف: ٧٧.

تبع لهم، كما أمر فرعون ومَن عداه تبع له من القبط. ومن حمل[١] على أنّ المراد به: «أكْثَرنا» قال: لأنّ الأمر بالطاعة ليس بمقصور على المترفين، بل هو عامّ لجميعهم، فلذلك شدّد الميم أو مدّ الهمزة.

وإنّما قال: ﴿ففسقوا فيها﴾ ولم يقل: «فكفروا» لأنّ المراد: فتمرّدوا في كفرهم، لأنّ الفسوق في الكفر الخروج إلى أفحشه، فكأنّه قال: فـفسقوا بالخروج عن الأمر إلى الكفر.

وقال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر: المعنى: أمرناهم بالطاعة فـفسقوا، ومثله: أمرتك فعصيتني.

ومن قرأ: ﴿أمرنا مترفيها﴾ بتشديد الميم، من: التأمير بمعنى «التسليط» وقد يكون بمعنى «أكْثَرنا». ويجوز أن يكون المعنى: أكْثَرْنا عددهم أو ما لهم، وقرئ: ﴿آمرنا﴾ ممدوداً[٢] المعنى: أكْثَرْنا مترفيها، وإنّـما قـيل فـي الكثرة: أمِرَ القوم، لأنّهم يحتاجون إلى أمير يأمرهم وينهاهم، فقد أمِـرُوا لذلك، قال لَبِيد:

إنْ يُـغْبَطُوا يَـهْبَطُوا وإنْ أمِـرُوا يَوْماً يصيرُوا لِلهُلْكِ[٣] والفند[٤]

ورُوي: «والنكد»[٥]. وقال بعضهم: «آمـرنا» بـمعنى: أكـثرنا. وقـال أبوعمرو: ولا يكون من هذا المعنى «أمرنا». قال أبو عبيدة: يدلّ على هذه اللغة قولهم: «سِكَّةٌ» مأبُورة ومُهْرَة مأمُورة» أي: كثيرة الولد[٦]. ومن قال

(١) في «س»: «حمله».

(٢) في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٣، وروى نصر بن عليّ عن أبيه عن حمّاد بن سلمة، قال: سمعت ابن كثير يقرأ: (آمرنا) ممدوداً. (٣) في «م» و«ح»: «للقلّ». (٤) ديوان لبيد بن ربيعة: ٥٠.

(٥) رواه الزجّاج في معانيه ٣: ٣٣٢، وقال: ويروى: «بالنقد» بالقاف.

(٦) مجاز القرآن ١: ٣٧٣.

بالأوّل قال: هذا لمكان الازدواج، كما قالوا: الغَدَايا والعَشَايا، و«الغداة» لا يجمع على «غَدايا» ولكن قيل ذلك ليزدوج الكلام مع قولهم: «العشايا». وقال قوم: يقال: أمر الشيء وأمَّرته أي: كثر وكثّرته، لغتان، مثل: رَجع ورجَّعته، والمشهور الأوّل، وإنّما تعدّى إمّا بالتضعيف أو الهمزة، وإذا كان مخفَّفاً فهو من «الأمر» الّذي هو خلاف «النهي» على ما بيّنّاه. وقال المبرّد: «أمرنا» خفيفة بمعنى «أكثرنا» وروى الجرمي: فعلت وأفعلت عن أبي زيد بمعنىً واحد. قال: وقرأته على الأصمعي: و«دمَّرنا» معناه: أهلكنا، و«الدمار»: الهلاك.

قوله [تعالى]:

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى بأنّه أهلك ﴿من القرون من بعد نُوح﴾، أُمَماً كثيرة، لأنّ ﴿كم﴾ يفيد التكثير ضدّ «رُبّ» الّذي يفيد التقليل. و«القَرْن» قيل: مائة وعشرون سنة، في قول عبد الله بن أبي أوفى وقال محمّد بن القاسم المازني: هو مائة سنة. وقال قوم: هو أربعون سنة[1].

ودخلت الباء[2] في قوله: ﴿كفى بربّك﴾ للمدح، كما تقول: ناهيك به رجلاً، وجاد بثوبك ثوباً، وطاب بطعامك طعاماً، وأكرِمْ به رجلاً، وكلّ ذلك

(١) كابن سيرين، على ما في تفسير الطبري ذيل الآية.
(٢) في «س» والحجريّة: «أُدخلت الباء».

في موضع رفع، كما قال الشاعر:

ويُخْبِرُني عـن غـائبِ المَـرْءِ هَـدْيُهُ
كَفَى الهَدْيُ عَمّا غَيَّبَ المَرءُ مُخْبرا[١]

فرفع لمّا أسقط الباء. والمعنى: كفى ربّك عالماً وحسيباً بذنوب عباده بصيراً بها، ثمّ قال: ﴿من كان يريد﴾ المنافع ﴿العاجلة﴾ في الدنيا ﴿عجّلنا له فيها﴾ يعني: في الدنيا القدر الّذي نريده لمن نريد، لا على قدر ما يريدونه، لأنّ ما يريدونه ربّما كانت فيه مفسدة، لا يجوز إعطاؤهم إيّاه، ثمّ بيّن أنّه إذا أعطاهم ما طلبوه عاجلاً جعل ﴿لهم جهنّم﴾ جزاءً على معاصيهم وكفرهم، يصلونها مذمومين مدحورين، أي: في حال ذمّنا إيّاهم، يقال: «ذَأَمْتُهُ» و«ذِمْتُهُ» و«ذَمِمْتُهُ» بمعنى واحد، فهو مَذْؤُوم ومَذِيم ومَذْمُوم، يكون ذَأَمْتُه أي: طردته، فهو مَذْؤُوم. و ﴿مدحوراً﴾ أي: متباعداً من رحمة الله، دَحَرْتُهُ أدْحَرُهُ دَحْراً أي: باعدته.

ثمّ قال: ﴿ومن أراد الآخرة﴾ أي: خير الآخرة، ثواب الجنّة ﴿وسعى لها سعيها﴾ بأن فعل الطاعات وتجنّب المعاصي ﴿وهو﴾ مع ذلك مؤمن مصدّق بتوحيد الله، ومقرّ بأنبيائه، فإنّ ﴿أولئك﴾ يكون ﴿سعيهم مشكوراً﴾ أي: تكون طاعاتهم مقبولة، وقال قَتادة: شكر الله حسناتهم، وتجاوز عن سيّئاتهم[٢]. والمعنى أحلّنا[٣] محلّ ما يشكر عليه في حسن الجزاء كما قال: ﴿من ذا الّذي يُقرض الله قرضا حسناً﴾[٤].

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.
(٢) تفسير الطبري ذيل الآية.
(٣) كذا في الحجريّة وفي «م»: «أحلنا» وفي «ح»: «أحللنا»، وفي «س»: أحلّهم».
(٤) البقرة: ٢٤٥.

قوله [تعالى]:

كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قوله: ﴿كُلّاً نمّد هؤلاء وهؤلاء﴾ نصب ﴿كُلّاً﴾ بـ﴿نمدّ﴾، و﴿هؤلاء﴾ بدل منه، والمعنى: أنّا نعطي البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر في الدنيا، وأمّا الآخرة فللمتّقين خاصّةً ﴿وما كان عطاء ربّك محظوراً﴾ أي: لم يكن عطاء الله ممنوعاً.

ثمّ قال لنبيّه والمراد به أُمّته معه: ﴿أُنظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض﴾ بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، وبعضهم موالي وبعضهم عبيداً، وبعضهم أصحّاء وبعضهم مرضى، بحسب ما علمنا من مصالحهم، ثمّ قال: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ لأنّهم معطون على مقدار طاعاتهم، فمن كان كثير الطاعة حصلت له الدرجات العالية من الثواب. وإنّما أراد أن يبيّن أنّ التفاضل في الدنيا إذا كان يُتَنافَس عليه، فالتفاضل في الجنّة أولى بأن يُرَغَّب فيه.

ثمّ قال لنبيّه والمراد به أُمّته: ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر﴾ توجّه إليه عبادتك، وتستدعي الحوائج من قبله، فإنّك إن فعلت ذلك قعدت ﴿مذموماً مخذولاً﴾ وإذا كان الخطاب عامّاً كان التقدير: فلا تجعل أيّها الإنسان مع الله إلهاً آخر. ونصب ﴿فتقعد﴾ لأنّه جواب النهي.

قوله [تعالى]:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ

لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي وخَلَف: ﴿يَبلُغانِّ﴾ بألف وكسر النون على التثنية، الباقون: ﴿يَبلُغنَّ﴾ على الوحدة[١]. وقرأ ابن كثير وابن عبّاس ويعقوب: ﴿اف﴾ بفتح الفاء من غير تنوين، وقرأ أهل المدينة وحفص بكسر الفاء مع التنوين، الباقون بكسر الفاء من غير تنوين[٢]. ومثله في الأحقاف[٣].

قال أبو عليّ الفارسي: قوله: ﴿أحدُهُما﴾ مرتفع بالفعل، وقوله ﴿أو كِلاَهُما﴾ معطوف عليه، والذِكْر الّذي عاد من قوله: ﴿أحدهما﴾ يغني عن إثبات علامة الضمير في ﴿يَبلُغنّ﴾ فلا وجه لمن قال: إنّ الوجه إثبات الألف، لتقدّم ذِكْر الوالدين[٤]. ويجوز أن يكون رفع ﴿أحدُهُما﴾ على البدل من الضمير في ﴿يَبلُغانّ﴾ ويجوز أن يرفعه بفعل مجدّد على تقدير: إمّا يبلغانّ عندك الكبر، يبلغ أحدهما أو كِلاَهما، ويكون رفعاً على السؤال والتفسير[٥] كقوله: ﴿وأسَرُّوا النَجوى الذين ظَلَموا﴾[٦] ومَن أثبت الألف فعلى وجه التأكيد، ولو لم يذكر لم يخلّ بالكلام، نحو قوله[٧]: ﴿أمواتٌ غيرُ أحياءٍ﴾[٨] فقوله: ﴿غير أحياء﴾ توكيد، لأنّ قوله: ﴿أموات﴾ دلّ عليه[٩].

قال[١٠]: وقول ابن كثير ﴿أُفَّ﴾ يبنى الفاء على الفتح، لأنّه وإن كان في الأصل مصدراً من قولهم: «أُفّةً وتُفّةً» يراد به: نَتْناً وذَفْراً، فقد سمّي الفعل

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٢: ٤٣. (٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠٧.

(٣) وهو قوله تعالى: ﴿والّذي قال لوالديه أُفّ لكما...﴾ الأحقاف: ١٧. ومثله قوله تعالى: (أُف لكم ولما تعبدون من دون الله) الأنبياء: ٦٧. (٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٦ ـ ٥٧.

(٥) في «م»: «والتعبير». (٦) الأنبياء: ٣.

(٧) في «م» و«س» العبارة هكذا: «نحو فيها أموات غير أحياء». (٨) النحل: ٢١.

(٩) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٧. (١٠) أي أبو عليّ الفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة.

به فبُني، وهذا في البناء على الفتح كقولهم: «سَرعان ذا إهالة» لمّا صار اسماً لـ«سرع» فكذلك «أُفَّ» لمّا كان اسماً لـ«أنكَره»[١]. ومثله «رويد» في أنّه سمِّي به الفعل، فبُنِي ولم يلحق التنوين، إلّا أنّ هذا في الأمر والنهي، و«أُفّ» في الخبر[٢].

وقول نافع في البناء على الكسر مع التنوين، مثل «أُفّ» في البناء على الفتح، إلّا أنّه بدخول التنوين دلّ على التنكير مثل: «إيْهٍ» و«مِهٍ» و«صِهٍ» ومثله قولهم: «صهٍ» فبنوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدراً، كما كان «أفة» في الأصل كذلك. ومن كسر ولم ينوّن جعله معرفة، فلم ينوّن، كما أنّ من قال: «صهِ» و«غاقِ» فلم ينوّن، أراد به المعرفة[٣].

وموضع «أُفّ» على اختلاف القراءات موضع الجمل، مثل «رويد» في أنّ موضعه موضع الجمل، وكذلك لو قلت: «هذا فداً»[٤] قال أبو الحسن: وقول من قال «أُفٍّ» أكثر وأجود. ولو جاء: «أُفٌّ لك» لاحتمل أمرَيْن: أحدهما: أن يكون الّذي صار اسماً للفعل لحقه التنوين لعلامة التنكير، والآخر: أن يكون نصباً معرباً، وكذلك الضمّ[٥] فإن لم يكن معه «لك» كان ضعيفاً كما أنّك لا تقول: «ويل» حتّى تقرن به «لك» فيكون في موضع الخبر[٦].

«وأُفّ» كلمة يكنّى بها عن الكلام القبيح وما يتأفّف منه[٧] لأنّ

---

(١) كذا في المصدر، وفي الحجريّة: «للنكرة».
(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٥.
(٣) النصّ منقول بتلخيص من الحجة للقرآء السبعة ٣: ٥٦.
(٤) كذا وفي الحجّة ومجمع البيان: «ومثله ولهم فداء لك».
(٥) في الحجريّة «الضمير» بدل «الضمّ».
(٦) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٦.
(٧) في «س» والحجريّة: «به» بدل «منه». وفي «ح»: «ولا يتأفّف منه».

«التُفّ»: وسخ الظفر، و «الأفّ»: وسخ الأُذُن، وقيل: «التُفّ»: كلّ ما رفعت بيدك من حقيرٍ من الأرض. وقيل: معنى: أفّ» التبرّم. وقيل: النَتن[١]. وقد جرى مجرى الأصوات فزال عنه الإعراب، مثل «صهْ» ومعناه: أُسكتْ، و«مه» ومعناه: كُفَّ، و«هيهات هيهات» أي: بعيد بعيد، فإذا نوّنت أردت النكرة أي: سكوتاً وقبحاً، وإذا لم تنوّن أردت المعرفة. وإنّما جاز حركة الفاء بالضمّ والفتح والكسر، لأنّ حركتها ليست حركة إعراب، وإنّما هي حركة التقاء الساكنَيْن فتفتح لخفّة الفتحة، وتضمّ اتّباعاً للضمّ قبله، وقيل: تُضَمُّ تشبيهاً بـ«قبل» و«بعد» وتكسر على أصل حركة التقاء الساكنَيْن. وفي «أُفّ» سبع لغات: «أُفِّ» و«أُفُ» و«أُفُّ» و«أُفّاً» و«أُفٍ» و«أُفَ» و«أُفّى» ممال[٢] وزاد ابن الأنباري بسكون الفاء[٣].

وروي عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمّدعليهم‌السلام أنّه قال: «لو علم الله لفظةً أوجز في ترك عقوق الوالدين من ﴿أُفّ﴾ لأتى به»[٤]. فإن قيل: هل أباح الله أن يقال لهما: أُفّ قبل أن يبلغا الكبر؟ قلنا: لا، لأنّ الله أوجب على الولد طاعة الوالدين على كلّ حال، وحظر عليه أذاهما، وإنّما خصّ الكبر، لأنّ وقت كبر الوالدين ممّا يضطرّ فيه الوالدان إلى الخدمة إذا كانا محتاجين عند الكبر، وفي المثل يقال: فلان أبرُّ من النسر، لأنّ النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقّه، كما كان أبواه يزقّانه، ومثله قوله: ﴿ويكلّم الناس في المهد

(١) اختلفت النسخ في ضبط اللغات، في الحجرية «الشر» بدل «النتن».
(٢) انظر معجم القراءات القرآنية ٣: ٣١٦ ـ ٣١٧.
(٣) نقله عن ابن الأنباري الطبرسي في مجمع البيان ٦: ٤٠٨.
(٤) نقله عن الطبرسي في مجمع البيان ٦: ٤٠٩.

وكهلاً﴾[١] والوجه في قوله: ﴿وكهلاً﴾ مع أنّ الناس يتكلّمون كلّهم حال الكهولة: أنّ الله أخبر أنّ عيسى يكلّم في المهد أُعجوبة، وخبّر[٢] أنّه يعيش حتّى يكتهل ويتكلّم بعد الكهولة، ونحوه قوله: ﴿والأمر يومئذٍ لله﴾[٣] وإنّما خصّ ذلك اليوم بأنّ الأمر لله، لأنّ في الدنيا مع أنّه يملك، قد ملّك أقواماً، جعلهم ملوكاً وخلفاء، وذلك اليوم لا يملك سواه.

معنى قوله: ﴿وقضى ربّك ألّا تعبدوا﴾ أمر، في قول ابن عبّاس والحسن وقَتادة وابن زيد[٤].

فإن قيل: الأمر لا يكون أمراً بـ«ألّا يكون الشيء» لأنّه يقتضي إرادة المأمور به، والإرادة لا تتعلّق بـ«ألّا يكون الشيء» وإنّما تتعلّق بحدوث الشيء.

قلنا: المعنى: أنّه كره ربّكم عبادة غيره، وأراد منكم عبادته على وجه الإخلاص، وسمّى ذلك أمراً بـ«أن لا تعبدوا إلّا إيّاه» لأنّ معناهما واحد.

وقوله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ العامل في الباء يحتمل شيئين:

أحدهما: وقضى بالوالدين إحساناً. والثاني:وأوصى، وحُذِف لدلالة الكلام عليه. والمعنى متقارب، والعرب تقول: أمر به خيراً، وأوصى به خيراً، قال الشاعر:

عَجِبْتُ مِن دَهْماءَ إذْ تَشْكُونا ... ومِنْ أبي دَهْماءَ إذْ يُوصِينا
خَيْراً بها كأننا جافُونا[٥]

فأعمل «يوصينا» في «الخير» كما أعمل في «الإحسان».

---

(١) آل عمران: ٤٦. (٢) في «س»: «وأخبر». (٣) الانفطار: ١٩.
(٤) انظر تفسير الطبري ذيل الآية. (٥) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه لأحد.

وقوله: ﴿إمّا يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كِلاَهما﴾ معناه: متى بلغ واحد منهما أوهما الكبر ﴿فلا تقل لهما أُفٍّ﴾ أي: لا تؤذهما بقليل ولا كثير ﴿ولا تنهرهما﴾ أي: لا تزجرهما بإغلاظ وصياح، يقال: نَهَرَهُ يَنْهُرُهُ نَهْراً، وانْتَهَرَه انْتِهاراً: إذا أغلظ له ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ أي: شريفاً تكرّمهما به وتوقّرهما ﴿واخفض لهما جناح الذُلّ﴾ أي: تواضع لهما واخضع لهما، وقرأ سعيد بن جُبَيْر ﴿الذلِّ﴾ بكسر الذال، و«الذُلّ» و«الذُلّة» مصدر «الذليل» و«الذِلّ» مصدر «الذَلُول» مثل: الدابّة والأرض، تقول: جَمَلٌ ذَلُول، ودابَّةٌ ذَلُول ﴿وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً﴾ أي: ادع لهما بالمغفرة والرحمة كما ربّياك في حال صغرك[1]. وقال قوم: الاستغفار لهما منسوخ إذا كانا مشركين بقوله: ﴿ما كان للنبيّ والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾[2]. وقال البلخي: الآية تختصّ بالمسلمين.

قوله [تعالى]:

رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُواْ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخاطباً للمكلّفين من عباده: إنّه ﴿أعلم﴾ بهم، ومعناه: أنّ معلوماته أكثر من معلوماتهم[3] وقد يقال: «أعلم» بمعنى: «أثبت» فيما به يعلم، فيجيء من هذا: أنّ الله تعالى أعلم بأنّ الجسم حادث من الإنسان العالم به، وكذلك كلّ شيء يمكن أن يُعلَم على وجوه متغايرة، فالله تعالى

---

(١) كذا في «س» واستظهر أيضاً في الحجريّة، وفي سائر النسخ: «كما ربّياه في حال صغره».

(٢) التوبة: ١١٣.

(٣) في الحجريّة «معلوماتكم» بدل «معلوماتهم».

عالم به على تلك الوجوه وإن خفي على الواحد منّا بعضها.

ومعنى ﴿بما في نفوسكم﴾ أي: بما تضمرونه وتخفونه عن غيركم، فالله أعلم به منكم، وفي ذلك غاية التهديد، ثمّ قال: ﴿إن تكونوا صالحين﴾ أي:تفعلون الأفعال الصالحة الحسنة الجميلة، فإنّ الله ﴿كان للأوّابين غفوراً﴾ ومعنى ﴿الأوّابين﴾: التوّابين، وهم الّذين يتوبون مرّة بعد مرّة، في قول سعيد بن المسيّب، كلّما أذنب ذنباً بادر بالتوبة[١] وقال سعيد بن جُبَيْر ومجاهد: «الأوّاب» هو الراجع عن ذنبه بالتوبة. وأصله: الرجوع، يقال: آبَ يَؤُوبُ أوْباً إذا رجع من سفره، قال عَبِيد بن الأبْرَص:

وكُـلُّ ذِي غَـيْبَةٍ يَـؤوبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَؤُوبُ[٢]

ثمّ قال: ﴿وآتِ ذا القُربى حقَّه﴾ وهو أمر من الله لنبيّهﷺ أن يعطي ذوي القُربى حقوقهم الّتي جعلها الله لهم، فروي عن ابن عبّاس والحسن: أنّهم قرابة الإنسان[٣]. وقال عليّ بن الحسينعليه السلام: هم قرابة الرسول[٤]. وهو الّذي رواه أيضاً أصحابنا[٥].

وروي: أنّه لمّا نزلت هذه الآية استدعى النبيّﷺ فاطمةعليها السلام وأعطاها فَدَكاً وسلّمه إليها[٦] وكان وكلاؤها فيها طول حياة النبيّﷺ فلمّا مضى النبيّﷺ أخذها أبو بكر، ودفعها عن النحلة، والقصّة في ذلك مشهورة، فلمّا لم يقبل بَيِّنَتَها، ولا قَبِل دعواها، طالبت بالميراث، لأنّ من له الحقّ إذا مُنِع منه من وجهٍ جاز له أن يتوصّل إليه بوجهٍ آخر. فقال لها: سمعت

(١) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.
(٢) من قصيدة له في الفخر، راجع ديوان عبيد بن الأبرص: ٢٦.
(٣) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.
(٤) تفسير الطبري ذيل الآية.
(٥) تفسير القمّي ٢: ١٨.
(٦) انظر تفسير العيّاشي ٢: ٢٨٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ماتركناه صدقة» فمنعها الميراث أيضاً، وكلاهما في ذلك مشهور، لا نطوّل بذكره الكتاب.

وقوله: ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ أي: وأعطوا هؤلاء أيضاً حقوقهم الّتي جعلها الله لهم من الزكوات وغير ذلك، ثمّ نهاهم عن التبذير بقوله: ﴿ولا تبذّر تبذيراً﴾ و«التبذير»: التفريق بالإسراف، وقال عبد الله: «التبذير» إنفاق المال في غير حقّه، وهو قول ابن عبّاس وقَتادة. وقال مجاهد: لو أنفق مُدّاً في باطل كان تبذيراً. ثمّ قال: ﴿إنّ المبذّرين كانوا إخوان الشياطين﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ الشيطان أخوهم باتّباعهم آثاره، وجريهم على سننه. والثاني: إنّهم يُقرنُون بالشيطان في النار.

ثمّ أخبر عن حال الشيطان بأنّه كفور لنِعَم الله تعالى، وجاحد لآلائه.

قوله [تعالى]:

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى: ﴿وإمّا تعرضنّ﴾ وتقديره: وإن تُعرِض، و «ما» زائدة، والمعنى: ومتى ما صرفت وجهك ﴿عنهم﴾ يعني: عن الّذين أمروا بإعطائهم حقوقهم ممّن تقدّم ذكره، لأنّه قد يعرض عند عوز ما طلبوه، ليبتغي الفضل من الله، والسعة الّتي يمكنه معها البذل، والتقدير: وإذا أتتك قرابتك أو سواهم من المحتاجين يسألونك فأعرضت عنهم، لأنّه لا شيء عندك، فقل لهم قولاً حسناً، أي: عِدْهم عِدَةً جميلةً. و«الإعراض»: صرف

الوجه عن الشيء، وقد يكون عن قلىً[١] وقد يكون للاشتغال بما هو الأولى، وقد يكون لإذلال الجاهل مع صرف الوجه عنه، كما قال: ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾[٢].

وقوله: ﴿ابتغاء رحمةٍ من ربّك ترجوها﴾ والابتغاء: الطلب، وقوله: ﴿ترجوها﴾ معناه: تأمّلها، و«الرجاء»: تعليق النفس بطلب الخير ممّن يجوز منه، ومَن يقدر على كلّ خيرٍ وصرف كلّ شرٍّ فهو أحقّ بأن يُرجى، ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «ألا لا يرجونّ أحدكم إلّا ربّه، ولا يخافنّ إلّا ذنبه»[٣].

وقوله: ﴿وقل لهم قولاً ميسوراً﴾ المعنى: إذا أعرضت[٤] ابتغاء رزقٍ من ربّك، فقل لهم قولاً ليّناً سهلاً، مثل: رَزَقَنا الله تعالى، وهو قول الحسن ومجاهد وإبراهيم وغيرهم. وقال ابن زيد: تعرض عنهم إذا خشيت أن ينفقوا بالعطيّة على معاصي الله، فيكون: تبتغي رحمةً من الله لهم بالتوبة. وأصل «التيسير»: التسهيل، و«اليُسْر» خلاف «العُسْر»، وقد يكون التيسير بالتقليل، فيسهل عليه لقلّته، ويكون بمنزلة المعونة على عمله.

ثمّ قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدَك مغلولةً إلى عُنُقك﴾ أي: لا تكن ممّن لا يعطي شيئاً ولا يهب، فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه، لا يقدر على الإعطاء، وذلك مبالغة في النهي عن الشحّ والإمساك ﴿ولا تبسطها كلّ البَسْط﴾ أي: ولا تعطِ أيضاً جميع ما عندك، فتكون بمنزلة مَن بَسَط يده حتّى لا يستقرّ فيها شيء، وذلك كناية عن الإسراف.

وقوله: ﴿فتقعد ملوماً محسوراً﴾ معناه: إن أمسكت قعدت ملوماً عند

---

(١) القلى: الهجران. (٢) الأعراف: ١٩٩. (٣) نهج البلاغة: ٤٨٢، الحكمة ٨٢.

(٤) لم ترد في الحجريّة، والعبارة غير واضحة في المخطوطة.

العقلاء مذموماً، وإن أسرفت بقيت محسوراً، أي: مغموماً متحسّراً، وأصل «الحَسْر»: الكشف، من قولهم: حَسَرَ عن ذراعَيْه يَحْسُرُ حَسْراً إذا كشف عنهما، و«الحَسْرة»: الغمّ لانحسار ما فات، ودابّة حَسِير: إذا كلَّت لشدّة السير، لانحسار قوّتها بالكلال. وكذلك قوله: ﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ [1] و«المحسور»: المنقطع به، لذهاب ما في يده، وانحساره عنه، قال الهُذَلي:

إنَّ العَسيرَ بها داءٌ مُخَامِرُها فَشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسورُ [2]

ثمّ قال: ﴿إن ربّك﴾ يا محمّد ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ فيوسعه عليه على حسب ما يعلم له من المصلحة فيه ﴿ويَقْدِر﴾ أي: يضيّق عليه، لعلمه بما له فيه من الصلاح، كما قال: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبَغَوا في الأرض﴾ [3].

وقوله: ﴿إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ أي: وهو عالم بأحوالهم، لا يخفى عليه ما يصلحهم وما يفسدهم، فيفعل معهم بحسب ذلك.

قوله [تعالى]:

وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير: ﴿خِطَاء﴾ بكسر الخاء وبألف بعد الطاء ممدوداً، وقرأ

---

(١) المُلْك: ٤.

(٢) أنشده أبوعُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٣٧٥.

(٣) الشورى: ٢٧.

أبوجعفر وابن ذَكْوان بفتح الخاء والطاء من غير ألف بعدها وغير مدٍّ، الباقون بكسر الخاء من غير مدٍّ، إلّا أنّ الداجُوني عن هشام روى وجهَيْن: أحدهما: مثل أبي عمرو، والآخر: مثل أبي جعفر. وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً: ﴿فلا تسرف﴾ بالتاء، الباقون بالياء.

قال أبو عليّ الفارسي: قول ابن كثير ﴿خِطَاء﴾ يجوز أن يكون مصدر: «خاطَأ» وإن لم يسمع «خاطَأ» ولكن قد جاء ما يدلّ عليه، لأنّ أبا عُبَيْدَة أنشد:

تَخَاطَأَتِ النَبْلُ أحشاءَهُ[1]

وأنشد محمّد بن السُدِّي[2] في وصف كَمْأة:

وأشْعَثَ قَدْ نَاوَلْتُهُ أحْرَشُ[3] القِرَى
أدَرَّتْ عليهِ المُدْجِنَاتُ الهواضِبُ
تَخاطَأهُ القُنَّاصُ[4] حتّى وَجَدْتُهُ
وخُرْطُومُهُ من مَنْقَع الماءِ راسِبُ

فـ«تَخَاطَأ» يدلّ على «خاطَأ» لأنّ «تفاعَلَ» مطاوع «فاعَلَ» كما أنّ «تفعَّل» مطاوع «فَعَّل». وقول ابن عامر[5]: «خَطَأ» فإنّ الخَطَأ ما لم يتعمّد، وما كان المأثم فيه موضوعاً عن فاعله، وقد قالوا: أخْطَأَ في معنى «خَطِئَ» كما أنّ «خطئ» في معنى «أخْطَأَ» قال الشاعر:

---

(١) أنشده في اللسان مادّة «خطأ»، ونسبه إلى أوفى بن مطر المازني، وفيه «تخطّأت».

(٢) في المصدر: «السري» بالراء.

(٣) الحرش: الأثر، وخصّ بعضهم به الأثر في الظهر (لسان العرب «حرش»).

(٤) في المصدر: «القعاص» ولعلّ الصحيح المقّاص، يقال: مقصه مقصاً، أي طعنه طعناً سريعاً، ومقصه: قتله في مكانه.

(٥) برواية ابن ذكوان الّتي ذكرها المصنّف آنفاً.

عـبادُك يَـخْطَأُنَ وأنتَ رَبٌّ كريمٌ لا تَليقُ بكَ الذُّمُومُ[١]

ففحوى الكلام: أنّهم خاطِئُون، وفي التنزيل: ﴿لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾[٢] فالمؤاخذة عن المخطئ موضوعة، فهذا يدلّ على أنّ «أخْطَأَ»[٣] في قوله:

يا لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلاً[٤]

وفي قول آخر:

والنـاسُ يَـلْحَوْنَ الأمِـيرَ إذا هُـمُ خَطِئُوا الصَوابَ ولا يُلامُ المُرْشَدُ[٥]

أي: اخطؤوه، وكذلك قول ابن عامر: «خَطَأً» في معنى: أخْطَأ، وجاء «الخطأ» في معنى «الخطاء»، كما جاء «خطئ» في معنى «أخَطَأ» وقال أبوالحسن: هذا خِطاء من رأيك، فيمكن أن يكون «خطأ» لغةً فيه أيضاً. ومَن قرأ: ﴿خطأً﴾ فلأنّه يقال: خَطِئَ يَخْطَأُ خَطَأً إذا تعمّد الشيء، حكاه الأصمعي، والفاعل منه «خاطِئ». وقد جاء الوعيد فيه في قوله: ﴿لا يأكُلُه إلّا الخاطِئُون﴾[٦]. ويجوز أن يكون «الخطأ» لغة في «الخطاء» مثل: «المَثَلِ والمَثِلِ» و«الشَّبه والشِّبه» و«البَدَلِ والبِدل»[٧] وقال الفرّاء: هما لغتان، مثل: «قِتْب وقَتَب» و«بِدْل وبَدَل»[٨]. وحكى ابن دريد عن أبي حاتم،

---

(١) أنشده ابن منظور في اللسان: مادّة «خطأ» عن أبي الهيثم.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) في المصدر زيادة: «في معنى خطِئَ».

(٤) لامرئ القيس، لما بلغه قتل أبيه، راجع ديوان امرئ القيس: ١٥٠.

(٥) لعبيد بن الأبرص من قصيدة له يصف فيها ظبيه، راجع ديوان عبيد: ٥٨، وفيه: إذا غوى خطب الصواب».

(٦) الحاقّة: ٣٧.

(٧) النصّ بطوله من الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٧ ـ ٥٨ (بتصرّف).

(٨) راجع معاني القرآن ٢: ١٢٣.

قال: تقول: «مكان مخطوءٌ فيه» من: خَطِئَت، و«مكان مُخطَأ فيه» من: أَخْطَأَ يُخْطِئُ، و«مكان مَخْطُوٌّ» بغير همزة من: تخطّي الناس فيخطّي، ومَن همز «تخطّيت الناس» فقد غلط[١]. وقال المبرّد: خِطْأَهُ وخَطَأَهُ بمعنىً، عند أبي عُبَيْدة والفرّاء والكسائي، إلّا أنّ «الخِطأ» بكسر الخاء أكثر في القراءة و«الخَطَأ» بالفتح أفشى في كلام الناس، ولم يسمع الكثير في شيء من أشعارهم إلّا في بيتٍ قاله الشاعر:

الخِطْء فاحِشَةٌ والبِرُّ فَاضِلَةٌ كَعَجْوَةٍ غُرِسَتْ في الأرضِ توبير[٢]

قال أبو عبيد: وفيه لغتان، خَطِئَت وأخطَأت، فَمن قال: «خَطِئت» قال: خَطِأَ الرجل يَخْطَأُ خَطأً، وخِطَاءً، يكون «الخطأ» بفتح الخاء هو المصدر، وبكسرها الاسم، ومن قال: أخطأت كان «الخطأ» بالفتح والكسر جميعاً اسمين، والمصدر «الإخطاء»[٣].

وقال أبو عليّ: قوله: ﴿فلا يسرف في القتل﴾ فاعل «يسرف» يجوز أن يكون أحد شيئين:

أحدهما: أن يكون القاتل الأوّل، فيكون التقدير: فلا يسرف القاتل في القتل، وجاز أن يضمر وإن لم يجر له ذكر، لأنّ الحال تدلّ عليه، ويكون تقديره: بالإسراف، جارياً مجرى قوله في أكل مال اليتيم: ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾[٤] وإن لم يجز أن تأكل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره، لقوله: ﴿إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في

---

(١) راجع جمهرة اللغة ٣: ٢٧١، وليس فيه حكاية عن أبي حاتم.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية، وفيه: «تؤبّر» بدل «توبير».

(٣) راجع الغريبين ٢: ٥٦٧.

(٤) النساء: ٦.

بطونهم ناراً﴾[١] فحظر أكل مال اليتيم حظراً عامّاً وعلى كلّ حال، فكذلك لا يمتنع أن يقال للقاتل الأوّل: لا تسرف في القتل، لأنّه يكون بقتله مسرفاً. ويؤكّد ذلك قوله: ﴿يا عبادي الّذين أسرفوا على أنفسهم﴾[٢] فالقاتل داخل في هذا الخطاب ــ بلا خلاف ــ مع جميع مرتكبي الكبائر، ويكون الضمير على هذا في قوله: ﴿إنّه كان منصوراً﴾ لقوله: ﴿ومن قتل مظلوماً﴾ وتقديره: فلا يسرف القاتل الأوّل بقتله في القتل، لأنّ من قُتِل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتصّ له وليّه أو السلطان إن لم يكن له وليّ غيره، فيكون هذا ردعاً للقاتل عن القتل، كما أن قوله: ﴿ولكم في القِصاص حياة﴾[٣] كذلك، فالوليّ إذا اقتصّ، فإنّما يقتصّ للمقتول، ومنه انتقل إلى الوليّ، بدلالة أنّ المقتول لو أبرأ من السبب المؤدّي إلى القتل لم يكن للوليّ أن يقتصّ، ولو صالح الوليّ من العمد على مالٍ كان للمقتول أن يؤدّي منه دينه[٤] ولا يمتنع أن يقال في المقتول: منصور، لأنّه قد جاء قوله: ﴿ونصرناه من القوم الّذين كذّبوا بآياتنا﴾[٥].

والآخر: أن يكون في ﴿يسرف﴾ ضمير «الوليّ» وتقديره: فلا يسرف الوليّ في القتل، وإسرافه فيه: أن يقتل غير من قتل، أو يقتل أكثر من قاتل وليّه، لأنّ مشركي العرب كانوا يفعلون ذلك، والتقدير: فلا يسرف في القتل، إنّ الوليّ كان منصوراً بقتل قاتل وليّه. والاقتصاص منه.

---

(١) النساء: ١٠. (٢) الزمر: ٥٣. (٣) البقرة: ١٧٩.

(٤) كذا في المصدر، وفي النسخ وردت العبارة مضطربة، ففي النسخ العبارة هكذا: «ولو صالح الوليّ من العمد على مال، كان عليه أن يقتصّ منه دون المقتول» ولكن في هامش الحجريّة: كتب على عبارة «عليه ـ إلى ـ المقتول» زائد، وكتب في الهامش مايلي: «يقضي منه دين المقتول».

(٥) الأنبياء: ٧٧.

ومن قرأ بالتاء احتمل أيضاً وجهَيْن:

أحدهما: أن يكون المبتدئ القاتل ظلماً، فقيل له: لا تسرف أيّها الإنسان فتقتل ظلماً من ليس لك قتله، إنّ من قُتِل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له.

والآخر: أن يكون الخطاب للوليّ، والتقدير: لا تسرف في القتل أيّها الوليّ فتتعدّى قاتل وليّك إلى مَن لم يقتله، لأنّ المقتول ظلماً كما منصوراً، وكلّ واحد من المقتول ظلماً ومن وليّ المقتول قد تقدّم في قوله: ﴿ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً﴾[1].

وقوله: ﴿ولا تقتلوا﴾ يحتمل موضعه شيئين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون نصباً بـ﴿قضى ربّك أن لا تعبدوا إلّا إيّاه... ولا تقتلوا﴾ ويحتمل أن يكون جزماً على النهي، فيكون الله تعالى نهى الخلق عن قتل أولادهم خشية الإملاق. و«الإملاق» الفقر، وهو قول ابن عبّاس وقَتادة ومجاهد[2] وإنّما نهاهم عن ذلك لأنّهم كانوا يَئِدون البنات بدفنهم أحياء، فنهاهم الله عن ذلك.

وقوله: ﴿نحن نرزقهم وإيّاكم﴾ إخبار منه تعالى أنّه الّذي يرزق الأولاد والآباء، فلا ينبغي قتلهم خوف الفقر، وأخبر ﴿إنّ قتلهم﴾ في الجاهليّة ﴿كان خطِئاً كبيرا﴾ وهو الآن خطأ وإثم كبير.

ثمّ قال: ﴿ولا تقربوا الزنى﴾ ومعناه لا تزنوا، و«الزنا»: هو وطء المرأة حراماً، بلا عقدٍ ولا شبهة عقدٍ مختاراً. ثمّ أخبر: أنّ الزنا ﴿فاحشة﴾ أي: معصية كبيرة ﴿وساء سبيلاً﴾ أي: بئس الطريق ذلك، وفي الناس من

---

(١) إلى هنا من الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٩.

(٢) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

قال: الزنا قبيح بالعقل، لما في ذلك من إبطال حقّ الولد على الوالد، وفساد الأنساب.

وقوله: ﴿ولا تقتلوا النفس الّتي حرّم الله﴾ نهي من الله تعالى عن قتل النفوس المحرّم قتلها، واستثنى من ذلك من يجب عليه القتل: إمّا لكفره، أوردّته، أو قتله قصاصاً، فإنّ قتله كذلك حقّ، وليس بظلمٍ، وقد فسّرنا تمام الآية.

و«السلطان»: الّذي جعله الله للوليّ، قال ابن عبّاس والضحّاك: هو القَوَد أو الدية أو العفو. وقال قَتادة: الهاء في قوله: ﴿إنّه كان منصوراً﴾ عائدة على «الوليّ». وقال مجاهد: عائدة على المقتول.

ونصرة الله له بذلك: حكمه له بذلك، وقيل: نصرة النبيّ والمؤمنين أن يعينوه. وقيل: «الوليّ» هم الورّاث من الرجال من الأولاد الذكور، ومن الأقارب من كان من قِبَل الأب.

قوله [تعالى]:

وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ثلاث آيات[١].

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر عن عاصم: ﴿بالقسطاس﴾ بكسر القاف، الباقون بالضمّ، وهما لغتان[٢]. وقال الزجّاج: «القسطاس» هو الميزان صَغُر أو كَبُر. وقال الحسن: هو القَبَّان. وقال مجاهد: هو «العدل» بالرومية،

---

(١) في المخطوطة زيادة «بلا خلاف».

(٢) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

وهو القرصطون[١]. وقال قوم: هو الشاهين[٢]. وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿بالقصطاس﴾ بالصاد، قُلِبَت السين صاداً، مثل: «صراط» و«سراط» لقرب مخرجهما.

في الآية الأُولى نهي من الله تعالى لجميع المكلّفين أن يقربوا ﴿مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن﴾ وهو أن يحفظوا عليه ويثمّروه، أو ينفقوا عليه بالمعروف على ما لا يشكّ أنّه أصلح له، فأمّا لغير ذلك فلا يجوز لأحدٍ التصرّف فيه. وإنّما خُصَّ اليتيم بذلك وإن كان التصرّف في مال البالغ بغير إذنه لا يجوز أيضاً، لأنّ اليتيم إلى ذلك أحوج والطمع في مثله أكثر.

وقوله: ﴿حتّى يبلغ أشدّه﴾ قال قوم: حتّى يبلغ ثماني عشرة سنة. وقال آخرون: حتّى يبلغ الحلم. وقال آخرون ـ وهو الصحيح ـ: حتّى يبلغ كمال العقل، ويُؤنَس منه الرشد[٣].

وقوله: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ أمر من الله تعالى بالوفاء بالعهود، وهو العقد الّذي يقدّم للتوثّق من الأمر، ومتى عقد عاقد على ما لا يجوز فعليه نقض ذلك العقد الفاسد والتبرّؤ منه، وإنّما يجب الوفاء بالعقد الّذي يحسن. وقيل: المعنى في الآية: أوفوا بالعهد في الوصيّة بمال اليتيم وغيرها[٤]. وقيل: كلّ ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد[٥]. وقد يجب الشيء للنذر وللعهد

(١) في معاني القرآن ٣: ٢٣٨: والقسطاس: ميزان العدل، أي ميزان كان من موازين الدرهم أو غيرها. القرصطون وهي كلمة أعجميّة اسم للميزان لنوع منه.

(٢) في تفسير القمّي (٢: ١٩) في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «القسطاس المستقيم فهو الميزان الّذي له لسان».

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٥٩ والنشر في القراءات العشر ٢: ٣٠٧.

(٤) النكت والعيون ٣: ٢٤٢.

(٥) النكت والعيون ٣: ٢٤٢.

والوعد به وإن لم يجب ابتداءً، وإنّما يجب عند العقد.

وقوله: ﴿إنّ العهد كان مسؤولاً﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّه كان مسؤولاً عنه للجزاء عليه، فحذف «عنه» لأنّه مفهوم.

والثاني: كان العهد يُسأَل فَيُقال له: لِمَ نُقِضْت؟ كما تُسأَل الموؤدة بأيّ ذنب قُتِلت؟

ثمّ أمرهم أن يوفوهم الكيل إذا كالوهم، ولا يبخسوهم ولا ينقصوهم، وأن يوفوا بالميزان المستقيم الّذي لا غبن فيه؛ فإنّ ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ أي: أحسن عاقبة، وهو ما يرجع إليه أمره.

ثمّ نهى نبيّهﷺ أن يَقْفُو ما ليس له به علم، وهو متوجّه إلى جميع المكلّفين، ومعناه: لا تقل: «سمعت» ولم تسمع، ولا: «رأيت» ولا: «علمت» ولم تَرَ، ولم تعلم، في قول قَتادة[١] وأصل «القفو»: اتّباع الأثر، ومنه: «القيافة» وكأنّه يتبع قفا المتقدّم، قال الشاعر:

ومِثلُ الدُّمى شُمَّ العرانينِ ساكنٌ   بِهِنَّ الحَياءُ لايُشِعْنَ التَقافِيا[٢]

أي: التقاذف. وقال أبو عبيد والمبرّد: «القَفو»: العَضِيَهة[٣]، «ولا تَقُفْ» بضمّ القاف وسكون الفاء، من: قَافَ يَقُوفُ، ويكون من المقلوب مثل: «جذب» و«جبذ». و«مسؤولاً» نصب على أنّه خبر ﴿كان﴾.

واستدلّ بهذه الآية على أنّه لا يجوز العمل بالقياس ولا بخبر الواحد، لأنّهما لا يوجبان العلم، وقد نهى الله تعالى أن يتّبع الإنسان ما لا يعلمه.

---

(١) النكت والعيون ٣: ٢٤٢.

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٧٩، ونسبه إلى النابغة الجعدي.

(٣) لم نقف على ذلك، والعضيهة: البهتان. انظر الغريبين ٤: ١٢٩٣.

وقوله: ﴿إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ أي: يُسأل عمّا يفعل بهذه الجوارح من الاستماع لما لا يحلّ، والإبصار لما لا يجوز، والإرادة لما يقبح. وإنّما قال: ﴿كلّ أولئك﴾ ولم يقل: كلّ ذلك، لأنّ «أولئك» و«هؤلاء» للجمع القليل من المذكّر والمؤنّث، فإذا أراد الكثير جاء بالتأنيث فقال: «هذه» و«تلك» قال الشاعر:

ذم المنازِل بَعْدَ مَنْزِلةِ اللِوَى والعَيْشَ بَعْدَ أُولئك الأيَّامِ[1].

قوله [تعالى]:

وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ثلاث آيات[2].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿سيّئة﴾[3] منوّناً غير مضاف[4]، الباقون على الإضافة.

فمن قرأ على الإضافة قال: لأنّه قد تقدّم ذكرُ حسنٌ وسيءٌ في قوله: ﴿وقضى ربّك أن لا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحساناً﴾ فخصّ من ذلك السيّء بأنّه مكروه عند الله، لأنّه تعالى لا يكره الحسن. وقوّوا ذلك بقراءة أُبيٍّ: ﴿كان سيّئاته﴾ بالجمع مضافاً[5] وقال آخرون: إنّما أراد بذلك المنهيّ عنه فقط، وقالوا: ليس فيما نهى الله تعالى عنه حسن، بل جميعه سيّئة مكروه.

﴿وكلّ﴾ وإن كان معناه الجمع فلفظه لفظ الواحد، فلذلك قال: «كان»

(١) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٢) في «م» و«س» زيادة بلاخلاف.

(٣) لم ترد «سيّئة» في «س».

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٠.

(٥) راجع لقراءة أُبي معجم القراءات القرآنية ٣: ٣٢٢.

بلفظ الواحد، ومثله قوله: ﴿وكلٌّ أتوه داخرين﴾[١] وقال: ﴿إن كلُّ مَن في السماوات والأرض إلّا آتي الرحمن عبداً﴾[٢].

و ﴿مكروهاً﴾ على هذه القراءة نصب على الحال من الضمير في ﴿عند ربّك﴾ أو يكون بدلاً من قوله: ﴿سيّئه﴾.

وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبّرة من: أنّ الله تعالى يريد المعاصي، لأنّ هذه الآية صريحة بأنّ السيّء من الأفعال مكروه عند الله.

وقوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ نهي للنبيّ صلى الله عليه وآله والمراد به الأُمّة أن يمشوا في الأرض مرحين. وقيل في معنى «المرح» أربعة أقوال:

أوّلها: إنّه البطر والأشر، والثاني: التبختر في المشي والتكبّر، الثالث: تجاوز الإنسان قدره مستخفّاً بالواجب عليه.

[والرابع: شدّة الفرح بالباطل][٣].

وقوله: ﴿إنّك لن تخرق الأرض﴾ مَثَل ضربه الله بأنّك يا إنسان لن تخرق الأرض من تحت قدمك بكبرك ﴿ولن تبلغ الجبال﴾ بتطاولك، والمعنى: إنّك لن تبلغ بما تريد كثير مبلغ، كما لا يمكنك أن تبلغ هذا، فما وجه المثابرة[٤] على ما هذه سبيله مع زجر الحكمة عنه؟! وأصل «الخَرْق» القطع، خَرق الثوب تخريقاً أي: قَطّعه، ورجل خرق[٥] أي: يقطع الأُمور الّتي لا ينبغي أن يقطعها. و«الخَرْق»: الفلاة، لانقطاع أطرافها بتباعدها، قال رُؤبَة:

(١) النمل: ٨٧. (٢) مريم: ٩٣. (٣) من «س» والحروفيّة.

(٤) كذا في «م» و«ح»، وفي «س»: «المكابرة»، وفي مجمع البيان ٦: ٤١٦ «المنابزة».

(٥) كذا في النسخ، وفي كتب اللغة: «الخرق من الفتيان: الكريم المتخرق في الكرم: المتوسّع فيه، والجمع: أخراق، والأخرق يعني الجاهل الأحمق الّذي لم يحسن عمله، ويقطع ما لا ينبغي قطعه، والانثى خرقاء. (راجع لسان العرب ٤: ٧٤، مادّة «خرق»).

وقاتِمِ الأعماقِ خَـاوِي المـخْتَرَقْ مشْـتَبَه الأعـلام لمَّاع الخَـفق[١]

أي: خاوي المقطع[٢]. و«المرح»: شدّة الفرح، مَرِحَ يَمْرَحُ مَرَحاً فهو مَرِحٌ، وقال قَتادة: ﴿مَرَحاً﴾ خيلاءً وكبراً.

وقوله: ﴿ذلك ممّا أوحى إليك ربّك من الحكمة﴾ أي: ذلك الّذي ذكرناه وقصصناه من جملة ما أوحى إليك يا محمّد ربّك من الحكمة، أي: الدلائل الّتي تؤدّي إلى المعرفة بالحسن والقبيح، والفرق بينهما، والواجب ممّا لا يجب، وذلك كلّه مبيّن في القرآن، فهو الحكمة البالغة. ثمّ نهاه أن يتّخذ ﴿مع الله﴾ معبوداً ﴿آخر﴾ يشركه في العبادة مع الله، فإنّك متى فعلت ذلك أُلقيت في ﴿جهنّم ملُوماً﴾ أي: مذموماً ﴿مدحُوراً﴾ مطروداً، في قول ابن عبّاس.

قوله [تعالى]:

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

الألف في ﴿أفأصفاكم﴾ ألف استفهام، والمراد بها الإنكار، لأنّه لا جواب لمن سُئِل إلّا بما فيه أعظم الفضيحة، وفي ذلك تعليم سؤال المخالفين للحقّ، وهذا خطاب لمن جعل لله بناتٍ، وقال: الملائكة بنات الله، فقال الله تعالى لهم: أخلَّص لكم البنين واختار لكم صفوة الشيء دونه؟ وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاختصّكم بالأرفع وجعل لنفسه الأدوَن؟ ثمّ

(١) أنشد صدر البيت الطبري ذيل الآية.

(٢) كذا في «م» و«ح»، وفي «س»: «المنقطع» وفي الحجريّة: «خاو المنقطع».

أخبر أنّهم يقولون في ذلك ﴿قولاً عظيماً﴾ أي: عظيم الوبال والوزر.

وقوله: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذّكّروا﴾ قراءة حمزة والكسائي في جميع القرآن خفيفاً، من: ذَكَر يَذْكُرُ، والباقون بالتشديد في جميع القرآن بمعنى: «ليتذكّروا» فأدغموا التاء في الذال[1].

وفي ذلك دلالة على بطلان مذهب المجبّرة، لأنّه أراد التصريف في القرآن، ليذّكّر المشركون ما يردّهم إلى الحقّ، وهذا ممّا علّقت الإرادة الفعل فيه بالمعنى من التذكّر، ولولاها لم يتعلّق. ثمّ أخبر: أنّه وإن أراد منهم الإيمان والهداية بتصريف القرآن لا يزدادون هم ﴿إلّا نفوراً﴾ عنه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يفعل تعالى ما يزدادون عنده الكفر؟ وهل ذلك إلّا استفساد ومنع اللطف؟!

قلنا: ليس في ذلك منع اللطف، بل فيه إظهار الدلائل ممّا لا يصحّ التكليف إلّا معه، ولو لم تظهر الدلائل لازدادوا فساداً أعظم من هذا الفساد، وفي إظهار الدلائل صلاح حاصل لمن نظر فيها وأحسن التدبّر لها، وإنّما جاز أن يزدادوا بما يؤنس من الدلائل نفوراً، لاعتقادهم أنّها حيل وشبه، فنفروا منها أشدّ النفور لهذا الاعتقاد الفاسد، ومنعهم ذلك من التدبّر لها وإدراك منزلتها في عِظَم الفائدة وجلالة المنزلة.

ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قُل﴾ يا محمّد لهؤلاء المشركين: ﴿لو كان مع الله آلهة﴾ أُخرى ﴿كما﴾ يزعمونه ﴿لابتغوا﴾ ما يقرّبهم إليه، لعلوّه عليهم وعظمته عندهم، في قول قَتادة[2] والزجّاج[3] وقال الحسن والجُبّائي:

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦١.

(٢) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٤١.

لابتغوا سبيلاً إلى مغالبته ومضادّته[١] كما قال: ﴿لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا﴾[٢].

قوله [تعالى]:

سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ثلاث آيات.

قرأ أهل العراق إلّا أبابكر: ﴿تُسبِّح﴾ بالتاء. وقرأ ابن كثير وحفص: ﴿عمّا يقولون﴾ بالياء، وقرأ أهل الكوفة إلّا أبابكر: ﴿عمّا تقولون﴾ بالتاء[٣].

قال أبو عليّ: قوله: ﴿عمّا يقولون﴾ بالياء، فالمعنى: عمّا يقول المشركون، ومن قرأ بالتاء يحتمل شيئين:

أحدهما: أن يعطف على قوله: ﴿كما تقولون﴾ كما عطف قوله: ﴿تحشرون﴾ على ﴿ستغلبون﴾. والثاني: أن يكون نزّه نفسه عن دعواهم، فقال: ﴿سبحانه وتعالى عمّا يقولون﴾. وقرأ عاصم ونافع وابن عامر[٤] على ما تقدّم[٥].

وقوله: ﴿عمّا يقولون﴾ على أنّه نزّه نفسه عن قولهم، أو على معنى: قل لهم: سبحانه عمّا يقولون.

فأمّا قوله: ﴿يسبّح﴾ بالياء والتاء، فحسنان، وقد بيّن في غير موضع معناه، ويقوّي التأنيث قراءة عبدالله: «فسبّحت له السموات»[٦].

---

(١) نقله أبوعليّ الفارسي في الحجّة ٣: ٦٣ من دون نسبة. (٢) الأنبياء: ٢٢.
(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٢. (٤) في هامش الحجرية زيادة «وابن عبّاس».
(٥) العبارة في الحجّة (٣: ٦٣) كمايلي: «وقرأ نافع وعاصم وابن عامر ﴿كما تقولون﴾ على ما تقدّم».
(٦) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٣.

لمّا أخبر الله تعالى أنّه ﴿لوكان معه آلهة﴾ سواه على ما يدّعيه المشركون نزّه نفسه عن ذلك، فقال: ﴿سبحانه﴾ ويحتمل أن يكون أمر نبيّه أن يقول: ﴿سبحانه﴾ أي: تنزيهاً له تعالى ﴿عمّا يقولون﴾ أي: عن قولهم، ويجوز أن يكون المراد: عن الّذي يقولونه من الأقوال الشنيعة فيه، بأنّ معه آلهة ﴿علوّاً كبيراً﴾ وإنّما لم يقل: تعالياً، لأنّه وضع مصدراً مكان مصدر، نحو: ﴿وتَبتّل إليه تبتيلاً﴾[1]. ومعنى ﴿تعالى﴾ أي: صفاته في أعلى المراتب، فإنّه لا مساوي له فيها، لأنّه قادر ولا أحد أقدر منه، وعالم لا أحد أعلم منه، ولا مساوي له في ذلك.

ثمّ أخبر أنّه ﴿يسبّح له﴾ أي: ينزّه نفسه عن ذلك ﴿السموات السبع والأرض ومن فيهنّ﴾ يعني: من[2] في السموات والأرض من العقلاء، وتنزيه السموات والأرض هو ما فيهما من الدلالة على توحيده وعدله، وأنّه لا يشركه في الإلهيّة سواه، وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ، وتسبيح العقلاء يحتمل ذلك، ويحتمل تسبيحهم باللفظ. غير أنّ ذلك يختصّ بالموحّدين منهم دون المشركين.

وقوله: ﴿وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده﴾ أي: ليس شيء من الموجودات إلّا يسبّح بحمدالله، بمعنى: كلّ شيءٍ يسبّح بحمده، من جهة خلقته أو معنى صفته، إذ كلّ موجودٍ سوى القديم تعالى حادثٌ يدعو إلى تعظيمه، لحاجته إلى صانع غيرمصنوع، صنعه أو صنع من صنعه، فهو يدعو إلى تثبيت قديم غنيّ بنفسه عن كلّ شيء سواه، لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات، وما عدا[3] الحادثات يدلّ على تعظيمه، بمعنى: حدثه من معدوم لا يصحّ

(١) المزّمّل: ٨.
(٢) لم ترد «من» في «ح» و«س».
(٣) كذا، والظاهر أنّ الصحيح «ما عداه». ولعلّ هناك سقط كلمة من بعد «ما عداه».

إلّا به، لدخوله تحت مقدوره أو مقدور مقدوره وممّا سبّحه من يسبّح بحمده من جهة معنى صفة في قوله، فهو على العموم في كلّ شيء.

وقال بعضهم: سل الأرض مَن شقَّ أنهارك؟ وغرس أشجارك؟ وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً.

وقال الحسن: المعنى: وإن من شيء من الأحياء إلّا يسبّح بحمده. وقال إبراهيم وغيره من أهل العلم: كلّ شيء على العموم يسبّح بحمده، حتّى صرير الباب[1].

وقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أي: لستم تفقهون تسبيح هذه الأشياء، من حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيفيّة دلالتها على توحيده.

وقوله ﴿إنّه كان حليماً غفوراً﴾ أي: كان حليماً حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على كفركم، وأمهلكم إلى يوم القيامة، وستره عليكم، لأنّه ستّار على عباده، غفور لهم إذا تابوا وأنابوا إليه.

وقوله: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ خطاب لنبيّه محمّد ﷺ أنّه متى قرأ القرآن ﴿جعلنا بينك﴾ يا محمّد ﴿وبين﴾ المشركين ﴿حجاباً مستوراً﴾ أي: كان بينك وبينهم حجاباً من أن يدركوا ما فيه من الحكمة وينتفعوا به، وقيل: ﴿مستوراً﴾ عن أبصار الناس. وقيل: ﴿مستوراً﴾ هاهنا بمعنى: ساتراً عن إدراكه، كما يقال: مشؤوم عليهم أو ميمون، في موضع: شائم ويامن، لأنّه من شؤمهم ويمنهم. والأوّل أظهر. وقيل: قوله: ﴿وجعلنا بينك﴾ وبينهم ﴿حجاباً مستوراً﴾ نزل في قومٍ كانوا يأذونه باللسان إذا تلا القرآن، فحال الله بينهم وبينه حتّى لا يؤذوه. والأوّل قول قَتادة، والثاني قول أبي عليّ

(١) في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي ٢: ٢٠: «فحركة كلّ شيء تسبيح الله عزّ وجلّ».

والزجّاج[1]. وقال الحسن: معناه: أنّ منزلتهم فيما أعرضوا عنه منزلة من بينك وبينه حجاب.

قوله [تعالى]:

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧) ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) ثلاث آيات بلاخلاف.

معنى قوله: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أي: حكمنا بأنّهم بهذه المنزلة ذمّاً لهم على الامتناع من تفهّم الحقّ، والاستماع إليه لتأمّل معانيه، مع الإعراض عنه عداوةً له ونفوراً منه، وقال الجُبّائي: إنّه تعالى منعهم من ذلك، وحال بينهم وبينه في وقت مخصوص، لئلّا يؤذوا النبيّ صلى الله عليه وآله.

وإنّما قال: ﴿وجعلنا﴾ ولم يقل: وجعلناهم كأنّ ﴿على قلوبهم أكنّة﴾ لأنّه أبلغ في الذمّ مع قيام الدليل من جهة [التكليف أنّه ليس على جهة][2] المنع، وإنّما لم يجز المنع والحيلولة بينهم وبين أن يفقهوه لأنّ ذلك تكليف ما لا يطاق، وذلك قبيح لا يجوز أن يفعله الله تعالى، على أنّه لا يصحّ أن يريد تعالى ما يستحيل حدوثه، وإنّما يصحّ أن يراد ما يصحّ أن يحدث أو يتوهّم ذلك منه[3] لأنّ استحالته صارفة [عن] أن يُراد، ولا داعٍ يصحّ أن يدعو إلى إرادته، وتجري استحالة ذلك مجرى استحالة أن يريد كون

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٤٣.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة، أثبتناه من الحجريّة.

(٣) في المخطوطة: «فيه» بدل «منه».

الشيء موجوداً معدوماً في حال واحدة.

«والأكنّة» جمع: «كِنان» وهو ما ستر. وقوله: ﴿وفي آذانهم وَقراً﴾ أي: وجعلنا في آذانهم وَقْراً. و«الوَقْر» بفتح الواو: الثقل في الأُذُن، وبالكسر: الحِمْل، والأصل فيه: «الثقل» إلّا أنّه خولف بين البنائين للفرق.

وقوله: ﴿وإذا ذَكَرْت ربّك في القرآن وحده﴾ يعني: إذا ذكرته بالتوحيد، وأنّه لا شريك له في الإلهية ﴿ولّوا﴾ عنك ولم يسمعوه ﴿علىٰ أدبارهم [نفوراً]﴾ نافرين عنك، وقال بعضهم: إذا سمعوا بسم‌الله الرحمن‌الرحيم ولّوا.

ثمّ أخبر تعالى عن نفسه أنّه ﴿أعلم﴾ من غيره ﴿بما يستمعون﴾ في حال ما ﴿يستمعون إليك﴾ أي: يصغون إلى سماع قراءتك، ويعلم أيّ شيءٍ غرضهم فيه.

وقوله: ﴿وإذ هم نجوى﴾ معناه: إذ هم يتناجون بأن يرفع كلّ واحد منهم سرّه إلى الآخر، ووُصِفوا بالمصدر، لأنّ «نجوى» مصدر، ونجواهم: زعمهم أنّه مجنون، وأنّه ساحر، وأنّه أتى بأساطير الأوّلين، في قول قَتادة. وكان من جملتهم: الوليد بن المغيرة.

وقوله: ﴿إذ يقول الظالمون إن تتّبعون إلّا رجلاً مسحوراً﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّكم ليس تتّبعون إلّا رجلاً قد سُحِر، فاختلط عليه أمره! يقولون ذلك للتنفير عنه، كما يقال: سُحِر فلان، فهو مسحور: إذا اختلط عقله، وقيل: ﴿مسحوراً﴾ أي: مصروفاً عن الحقّ، يقال: ما سحرك عن كذا؟ أي: ما صرفك.

الثاني: إنّ له سَحْراً أي: رئة، لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم، والعرب تقول للجبان: انتفخَ سَحْرُه، قال لَبيد:

فــإنْ تَسْأليــنا فِـيمَ نَـحنُ فـإنَّنا عَصافِيرُ مِنْ هذا الأنامِ المسَحَّرِ[١]

وقال آخر:

ونُسْحَرُ بالطَّعامِ وبالشَرابِ[٢]

وقيل: إنّ ﴿نفوراً﴾ جـمع «نـافر» كـقاعد وقُـعُود، وشـاهد وشُـهُود، وجالس وجُلُوس. وقيل: ﴿مسحُور﴾ معناه: مخدوع. ومعنى الآية: البيان عمّا يوجبه حال المناصب للحقّ المعادي لأهله، وذمّه بأنّ قلبه كأنّه في أكِنَّة عن تفهّمه، وكأنّ في أُذُنيه وَقْراً عن استماعه، فهو مولٍّ على دبره، نافر عنه بجهله، يناجي بالانحراف عنه جُهّالاً مثله، قد يـعلو بـالحجّة حـتّى نسبوا صاحبها إلى أنّه مسحور، لمّا لم يكن إلى مقاومة ما أتى به سبيل، ولا على كسره دليل.

وقوله: ﴿انظر﴾ أمر للنبيّ ﷺ بأن ينظر ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: كيف ضرب هؤلاء المشركون له المَثَل بالمسحور وغير ذلك، فجاروا به[٣] عن طريق الحقّ، فلا يسهل عليهم، ولا يخفّ الرجوع إليه، ولا اتّباع سبيل الدين. ويحتمل أن يكون المعنى: إنّهم لا يقدرون على تكذيبك، وأنّ ماذكروه فيك من قولهم: مسحور وكذّاب صدّوا به[٤] ولا يستطيعون على ذلك.

قوله [تعالى]:

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُواْ

---

(١) من قصيدة طويلة يذكر فيها من فقدهم من قومه، راجع ديوان لبيد بن ربيعة ٧١.

(٢) لامرئ القيس، وهو مطلع قصيدة يذكر فيها عمّه شرحبيل بن عـمرو. راجـع ديـوان امـرئ القيس: ٧٢ وأورده الطبري في تفسيره ذيل الآية والماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٤٧.

(٣) في «م» والحجريّة: «بذلك» بدل «به».

(٤) في الحجرية العبارة هكذا: «وكذا غيره لا يصدّق».

حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفّار الّذين أنكروا البعث والنشور والثواب والعقاب: أنّهم يقولون: ﴿أإذا كنّا عظاماً﴾ أي: إذا متنا وانتثر لحومنا وبقينا عظاماً ﴿ورفاتاً﴾ قال مجاهد: الرفات: التراب. وبه قال الفرّاء وقال: لا واحد له من لفظه، وهو بمنزلة «الدُقاق» و«الحُطام»[1] قال المبرّد: كلّ شيءٍ مدقوق مبالغ في دقّه حتّى انسحق فهو رفات، يقال: رَفَتَ رَفْتاً فهو مَرْفُوتٌ إذا صُيِّر كالحُطام.

و ﴿إذا﴾ في موضع نصبٍ، بفعلٍ يدلّ عليه: ﴿لمبعوثون﴾ وتقديره: أَنُبعَثُ إذا كنّا عظاماً ورُفاتاً ﴿أئنّا لمبعوثون خَلقاً جديداً﴾ وصورته صورة الاستفهام، وإنّما هم منكرون لذلك متعجّبون منه، وكلّ ما تحطّم وترضّض يجيء أكثره على «فُعال» مثل: حُطام ورُضاض ودُقاق وغُبار وتُراب، والخَلْق الجديد: هو المجدّد، أي: يبعثهم الله أحياءً بعد أن كانوا أمواتاً أنكروا ذلك وتعجّبوا منه، فقال الله لنبيّه ﷺ: ﴿قل﴾ لهم ﴿كونوا حجارةً أو حديداً﴾ أي: لو كنتم حجارةً أو حديداً بعد موتكم لأحياكم الله وحشركم ولم تفوتوا الله، إلّا أنّه خرج مخرج الأمر لأنّه أبلغ في الإلزام، كأنّ أكثر ما يكون منهم مطلوب حتّى يروا أنّه هيّن حقير ﴿أو خَلْقاً ممّا يكبر في صدوركم﴾ فقيل في معناه ثلاثة أقوال:

قال مجاهد: السماوات والأرض والجبال[2]. وقال قَتادة: أيُّ شيءٍ

---

(١) معاني القرآن ٢: ١٢٥.

(٢) النكت والعيون ٣: ٢٤٨ ونقله الطبري عن قَتادة في ذيل الآية.

استعظموه من الخلق[١]. وقال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر والفرّاء: إنّه الموت[٢]. قال الفرّاء: قالوا للنبيّ صلى الله عليه وآله: أرأيت لو كنّا الموت مَن كان يميتنا؟! فأنزل الله: ﴿أو خلقاً ممّا يكبر في صدوركم﴾ يعني: الموت نفسه[٣] أي: ليبعث الله عليكم مَن يميتكم ثمّ يحييكم.

﴿فسيقولون من يعيدنا﴾[٤] إخبار منه حكاية عن هؤلاء الكفّار: أنّهم يقولون: من يعيدنا أحياء؟ فقال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قل الّذي فطركم أوّل مرّةٍ﴾ أي: الّذي خلقكم ابتداءً يقدر على إعادتكم، لأنّ ابتداء الشيء أصعب من إعادته، كما قال: ﴿وهو الّذي يبدؤا الخلق ثمّ يعيده وهو أهْوَن عليه﴾[٥] وقال لمّا قالوا: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾[٦]: ﴿قل يحييها الّذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم﴾[٧] وإنّما قال لهم ذلك لأنّهم كانوا يقرّون بالنشأة الأُولى.

وقوله: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ معناه: أنّهم إذا سمعوا هذا حرّكوا رؤوسهم مستبعدين لذلك، وقال ابن عبّاس: يحرّكون رؤوسهم مستهزئين[٨]، يقال: أنْغَضْتُ رأسي أُنْغِضُه إنْغاضاً، ونَغَضَ برأسه يَنْغُضُ نَغْضاً إذا حرّكه، و«النَغْض»: تحريك الرأس بارتفاعٍ وانخفاضٍ، ومنه قيل للظَّليم: نَغْض، لأنّه يحرّك رأسه في مشيه بارتفاعٍ وانخفاضٍ، قال العجّاج:

أصَكَّ نَغْضاً لا يَني مُسْتَهْدَجا[٩]

---

(١) النكت والعيون ٣: ٢٤٨.

(٢) تفسير الطبري ذيل الآية، وورد مثله في البرهان ٣: ٥٤٠ عن أبي جعفر عليه السلام.

(٣) معاني القرآن ٢: ١٢٥، ونقل معناه الماوردي عن ابن عمر وابن عبّاس وغيرهما راجع: النكت والعيون ٣: ٢٤٨.

(٤) في «م» زيادة: «أحياء».

(٥) الروم: ٢٧.

(٦) يس: ٧٨.

(٧) يس: ٧٩.

(٨) نقله الطبري ذيل الآية.

(٩) أنشده الطبري ذيل الآية.

ونَغَضَت سنُّه: إذا تحرّكت من أصلها، قال الراجز:

وَنَغَضَتْ مِن هَرَمٍ أسنانُها[١]

وقال آخر:

لمَّا رَأَتْني أنْغَضَتْ لي الرأسا[٢]

﴿ويقولون﴾ يعني هؤلاء الكفّار: ﴿متى هو﴾ يعنون: بعثهم وإعادتهم أحياءً، فقال الله تعالى: ﴿قل﴾ لهم يا محمّد: ﴿عسى أن يكون قريباً﴾ و«عسى» من الله واجبة، وكلّ ما هو آتٍ قريب.

ومن كلام الحسن أنّه قال: كأنّك بالدنيا لم تكن، وكأنّك بالآخرة لم تزل.

قوله [تعالى]:

يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

﴿يوم﴾ يتعلّق بقوله: ﴿قل عسى أن يكون﴾ بعثكم أيّها المشركون ﴿قريباً يوم يدعوكم﴾. وقيل في معنى قوله: ﴿يوم يدعوكم﴾ قولان[٣]:

أحدهما: إنّهم يُنادَوْن بالخروج إلى أرض المحشر بكلامٍ تسمعه جميع العباد، وذلك يكون بعد أن يحييهم الله، لأنّه لا يحسن أن يُنادَى المعدوم ولا الجماد.

الثاني: إنّهم يسمعون صيحةً عظيمةً، فتكون تلك داعية لهم إلى

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٨٢ من دون نسبة.

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٨٢. (٣) راجع النكت والعيون ٣: ٢٤٨.

الاجتماع إلى أرض القيامة، ويجوز أن يكون ذلك عبارة عن البعث، فأجرى سرعة ثانيةً بمن دُعِي فأجاب في الحال ﴿فتستجيبون بحمده﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: تستجيبون حامدين، كما يقول القائل: جاء فلان بغضبه، أي: جاء غضبان. الثاني: تستجيبون على ما يقتضيه الحمد لله عزّوجلّ[١]. وقيل: معناه: يستجيبون معترفين بأنّ الحمد لله على نِعَمه، لا ينكرونه، لأنّ معارفهم[٢] ضرورة[٣] قال الشاعر:

فإنّي بحَمْدِ الله لا ثَوْبَ فاجِرٍ   لَبِسْتُ ولا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنَّع

و«الاستجابة»: موافقة الداعي فيما دعا إليه بفعله من أجل دعائه، وهي و«الإجابة» واحدة، إلّا أنّ «الاستجابة» تقتضي طلب الموافقة بالإرادة بأوْكَد من «الإجابة».

وقوله: ﴿وتظنّون إن لبثتم إلّا قليلاً﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّهم لمّا يرون من سرعة الرجوع يظنّون قلّة اللبث. الثاني: إنّه يراد بذلك تقريب الوقت، كما حكي عن الحسن أنّه قال: كأنّك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل. وقال قَتادة: المعنى: احتقاراً من الدنيا حين عاينوا يوم القيامة. وقال الحسن: ﴿إن لبثتم إلّا قليلاً﴾ في الدنيا بطول لبثكم في الآخرة.

وقوله: ﴿وقل لعبادي يقول الّتي هي أحسن﴾ قال الحسن: معناه: ﴿قل﴾ يا محمّد ﴿لعبادي﴾ يأمروا بما أمر الله به، وينهوا عمّا نهى عنه. وقال الحسن:

---

(١) النكت والعيون ٣: ٢٤٩، وفيه إضافة وجهين آخرين.

(٢) في «س» العبارة هكذا: «لأنّ المعارف هناك».

(٣) قاله الطبري ذيل الآية.

معناه: قل لعبادي يقل بعضهم لبعض أحسن ما يُقال، مثل: يرحمك الله، ويغفر الله لك. ثمّ أخبر تعالى: ﴿إنّ الشيطان ينزغُ بينهم﴾ أي: يفسد بينهم، ويلقي بينهم العداوة(١) وقال: ﴿إن الشيطان كان﴾ في جميع الأوقات عدوّاً مبايناً ﴿للإنسان﴾ آدم وذرّيّته.

وقوله: ﴿وربّكم أعلم بكم﴾ معناه: التحذير لعباده من إضمار القبيح، والترغيب في الجميل، لأنّه عالم به، يقدر أن يجازي على كلّ واحدٍ منه بما هو حقّه ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بالتوبة ﴿وإن يشأ يعذّبكم﴾ بالإقامة على المعصية.

وقوله: ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ معناه: إنّا ماوكّلناك بمنعهم من الكفر، بل أرسلناك داعياً لهم إلى الإيمان، وزاجراً عن الكفر، فإن أجابوك، وإلّا، فلا شيء عليك، واللائمة والعقوبة يحلّان بهم.

قوله [تعالى]:

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ثلاث آيات بلاخلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه: ﴿إنّ ربّك﴾ يا محمّد ﴿أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض﴾ وإنّما قال ذلك ليدلّ على أنّ تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض وقع موقع الحكمة، لأنّه من عالم بباطن

(١) في «س» زيادة: «والبغضاء».

الأُمور، وإذا ذكر ما هو معلوم فإنّما يذكره ليدلّ به على غيره.

والأنبياء عليهم السلام وإن كانوا في أعلى مراتب الفضل لهم طبقات، بعضهم أعلى من بعض، وإن كانت المرتبة الوسطى لا تلحق العليا، إذ[١] لا يلحق مرتبة النبيّ من ليس بنبيٍّ أبداً.

وقوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ أي: خصّصناه بالذكر، وفيه لغتان: فتح الزاي وضمّها، والفتح أفصح.

ثمّ قال لنبيّه ﴿قل﴾ لهم: ﴿ادعوا الّذين زعمتم من دونه﴾ يعني: الّذين زعمتم أنّهم أرباب وآلهة من دون الله ادعوهم إذا نزل بكم ضرر، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك أم لا؟ وقال ابن عبّاس والحسن: ﴿الّذين من دونه﴾ الملائكة والمسيح وعُزَيْر. وقال ابن مسعود: أراد قوماً كانوا يعبدون من الجنّ، وقد أسلم أُولئك النفر من الجنّ، لأنّ جماعةً من العرب كانوا يعبدون الجنّ، فأسلم الجنّ وبقي الكفّار على عبادتهم. وقال أبو عليّ: يرجع إلى ذكر الأنبياء في الآية الأُولى[٢] والتقدير: أنّ الأنبياء يدعون إلى الله يطلبون بذلك الزُلْفة لديه، ويتوسّلون به إليه وإلى رضوانه وثوابه، أيّهم كان أفضل عند الله، وأشدّ تقرّباً إليه بالأعمال. ثمّ قال: ﴿فلا يملكون﴾ يعني: الذين تدعون من دون الله ﴿كشف الضرّ﴾ والبلاء ﴿عنكم﴾ ولا تحويله إلى سواكم.

ثمّ قال: ﴿أُولئك الّذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيُّهم أقرب...﴾ الآية، فقوله: ﴿أُولئك﴾ رفع بالابتداء، و﴿الّذين﴾ صفة لهم، و ﴿يبتغون إلى ربّهم﴾ خبر الابتداء، والمعنى: الجماعة الّذين يدعون يبتغون إلى ربّهم.

---

(١) في «س» والحجرية: «أو» بدل «إذ».

(٢) أي الجبائي، وقد ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٦: ٤٢٢.

﴿أيّهم﴾ رفع بالابتداء و ﴿أقرب﴾ خبره، والمعنى: يطلبون الوسيلة ينظرون أيُّهم أقرب فيتوسّلون به، ذكره الزَجّاج. وقال قوم: ﴿الوسيلة﴾ هي القُرْبة والزُلْفة(١). وقال الزجّاج: «الوسيلة» و«السؤال» و«السُؤل» و«الطِلَبة» واحد(٢). والمعنى: أنّ هؤلاء المشركين يدعون هؤلاء الّذين اعتقدوا فيهم أنّهم أرباب، ويبتغي المدعوّون أرباباً إلى ربّهم القُرْبة والزُلْفة لأنّهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله، أيّهم أقرب عند الله بصالح أعماله واجتهاده في عبادته، فهم يرجون بأفعالهم رحمته، ويخافون عذابه بخلافهم إيّاه ﴿إنّ عذاب ربّك كان محذوراً﴾ أي: متّقىً.

قوله [تعالى]:

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه ليس ﴿من قرية إلّا﴾ والله تعالى مهلكها ﴿قبل يوم القيامة﴾ بكفر من فيها من معاصيهم جزاءً على أفعالهم القبيحة ﴿أو معذّبوها عذاباً شديداً﴾ والمعنى: أن يكون إمّا الإهلاك والاستئصال أو العذاب الشديد(٣) والمراد بذلك قرى الكفر والضلال دون قرى الإيمان،

(١) منهم الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٥١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٤٦.

(٣) لم ترد: «الشديد» في «من».

وقيل: إنّ ذلك يكون في آخر الزمان، فيهلك الله كلّ قريةٍ بعقوبة بعض من فيها ويكون امتحاناً للمؤمنين الّذين فيها[١]. وقيل: إنّ المعنى: ما من قرية إلّا والله مهلكها، إمّا بالموت لأهلها أو عذاب يستأصلهم[٢].

ثمّ أخبر أنّ ذلك كائن لا محالة، ولا يكون خلافه، لأنّ ذلك مسطور في الكتاب، يعني: في اللوح المحفوظ، و«المسطور» هو المكتوب[٣] سطر سطراً[٤]، قال العجّاج:

وٱعْلَمْ بأنَّ ذا الجَلالِ قَد قَدَرْ

في الصُحُفِ الأُولى الّتي كان سَطَرْ[٥]

ثمّ قال: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ يعني: الآيات الّتي اقترحتها قريش من قولهم: حوّل لنا الصفا ذهباً! وفجّر لنا من الأرض ينبوعاً! وغير ذلك، فأنزل الله إني[٦] إن حوّلته فلم يؤمنوا لم أُمهلهم، كسنّتي فيمن قبلهم، وهو قول قَتادة وابن جُرَيْج[٧].

و«المنع»: وجود ما لا يصحّ معه وقوع الفعل من القادر عليه[وإنّما جاز في وصف الله (منعنا) للمبالغة في أنّه لايصحّ وقوع الفعل][٨]، فكأنّه قد منع منه، فلا يجوز إطلاق هذه الصفة في صفات الله، والحقيقة: إنّا لم نرسل بالآيات لئلّا يكذّب بها هؤلاء كما كذّب من قبلهم، فيستحقّوا

(١) انظر مجمع البيان ٩: ٤٢٣.
(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٤٧.
(٣) في «س» زيادة: «يقال».
(٤) في هامش الحجريّة: في نسخة: «سطراً سطراً».
(٥) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٨٣.
(٦) في «س» العبارة هكذا: «فأنزل الله الآية أي انّي...».
(٧) نقل القمّي معناه عن أبي جعفر، راجع تفسير القمّي ٢: ٢١.
(٨) ما بين المعقوفتين لم يرد في «س».

المعاجلة بالعقوبة، وقال قوم: يجوز أن يكون قوله [تعالى]: ﴿إلّا أن كذّب بها الأوّلون﴾ تكون «إلّا» زائدة، وتقديره: ما منعنا أن نرسل بالآيات ﴿أن كذّب بها الأوّلون﴾ أي: لم يمنعنا ذلك من إرسالها، بل أرسلناها مع تكذيب الأوّلين، ومعنى ﴿أن كذّب﴾ هو التكذيب، كما تقول: «أُريد أن تقوم» بمعنى: أُريد قيامك. ويحتمل أن يكون «إلّا» بمعنى الواو، كما قال: ﴿لئلّا يكون للناس عليكم حجّة إلّا الّذين ظلموا﴾[1] معناه: والّذين ظلموا منهم فلا حجّة لهم عليهم. ويكون المعنى: وما منعنا أن نرسل بالآيات وإن كذّب بها الأوّلون، أي: لسنا نمتنع من إرسالها وإن كذّبوا بها. و«أنْ» الأُولى في موضع نصب بوقوع ﴿منعنا﴾ عليها. و«أنْ» الثانية رفع والمعنى: وما منعنا إرسال الآيات إلّا تكذيب الأوّلين من الأُمم، والفعل لـ«أنْ» الثانية.

وقوله: ﴿وآتينا ثمود الناقة مُبصرةً﴾ معناه: مبصرة تبصر الناس بما فيها من العِبَر، والهدى[2] من الضلالة، والشقاء من السعادة. ويجوز أن يكون المراد: أنّها ذات إبصار، وحكى الزجّاج: ﴿مُبْصَرة﴾ بمعنى: مُبَيَّنة[3] وبالكسر معناه: تبيِّن لهم. قال الفرّاء: «مَبْصَرة»[4] مثل: مَجْبَنَة ومَنْحَلة[5] وكلّ «مَفْعَلة» وضعته موضع فاعل أغنت عن الجمع والتأنيث، تقول العرب: هذا عُشْب مَلْبَنَة مَسْمَنَة، والولد مَجْبَنَة مَنْحَلَة[6] وإن كان من الياء والواو فأظهرهما، تقول: شَراب مَبْوَلَة، وكلام مَهْيَنَة[7] للرجال[8] قال عَنْتَرة:

---

(١) البقرة: ١٥٠.

(٢) كذا في الحروفية، وفي غيرها العبارة هكذا «من العبرة الهدى».

(٣) على قراءة من قرأ بفتح الصاد.

(٤) على قراءة من قرأ بفتح الميم والصاد ـ على وزن «عنترة» ـ وهو قتادة كما في البحر المحيط ٦: ٥٣، وانظر معاني القرآن ٢: ١٢٦.

(٥ و ٦) في المصدر: «مبخلة».

(٧) في المصدر «مهيبة».

(٨) انظر معاني القرآن ٢: ١٢٦.

والكُفْر مَخْبَثَة لنَفْسِ المنْعِمِ[١]

ومعنى ﴿مُبصِرة﴾: مضيئة، قال الله تعالى: ﴿والنهار مبصراً﴾[٢] أي: مضيئاً.

وقوله: ﴿فظلموا بها﴾ يعني: بالناقة لأنّهم نحروها، وعصوا الله في ذلك، لأنّه نهاهم عن ذلك، فخالفوا ونحروها. وقيل: ظلموا بها معناه: ظلموا بتكذيبهم إيّاها بأنّها معجزة باهرة.

وقوله: ﴿وما نرسل بالآيات إلّا تخويفاً﴾ أي: لم نبعث الآيات ونظهرها إلّا لتخويف العباد من عقوبة الله ومعاصيه.

وقوله: ﴿وإذا قلنا لك﴾ أي: اذكر الوقت الّذي قلنا لك يا محمّد ﴿إنّ ربّك أحاط بالناس﴾ أي: أحاط علماً بأحوالهم، وما يفعلونه من طاعة أو معصية، وما يستحقّونه على ذلك من الثواب والعقاب، وقادر على فعل ذلك بهم، فهم في قبضته، لا يقدرون على الخروج من مشيئته.

وقوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلّا فتنةً للناس﴾ قيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: إنّه أراد رؤية عين، ليلة الإسراء إلى البيت المقدس، فلمّا أخبر المشركين بما رأى كذّبوا به، ذكره ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر والحسن وقَتادة وإبراهيم وابن جُرَيْج وابن زيد والضحّاك ومجاهد[٣].

الثاني: في رواية أُخرى عن ابن عبّاس: أنّه رؤيا نوم، وهي رؤيا أنّه سيدخل مكّة، فلمّا صدّه المشركون في الحُدَيْبية شكّ قوم ودخلت عليهم

---

(١) من معلّقته المشهورة، راجع ديوان عنترة: ١٧.

(٢) يونس: ٦٧، النمل: ٨٦، غافر: ٦١.

(٣) النكت والعيون ٣: ٢٥٣.

الشبهة، فقالوا: يا رسول الله، أو ليس قد أخبرتنا أنّا ندخل المسجد؟ فقال: قلت لكم: إنّكم تدخلونها السنة؟! فقالوا: لا، فقال: سندخلنّها إن شاء الله، فكان ذلك فتنة وامتحاناً[١].

وروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنّ ذلك رؤيا رآها في منامه: أنّ قروداً تصعد منبره وتنزل، فساءه ذلك[٢].

وروى مثل ذلك سهل بن سعد الساعدي عن أبيه: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رأى ذلك[٣] ومثله عن سعيد بن يسار[٤] فأنزل الله عليه جبرائيل وأخبره بما يكون من تغلّب أمر بني أُميّة على مقامه، وصعودهم منبره.

وقوله: ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ قال ابن عبّاس والحسن وأبومالك وسعيد بن جُبَيْر وإبراهيم ومجاهد وقَتادة والضحّاك وابن زيد: إنّها شجرة الزقّوم الّتي ذكرها الله في قوله: ﴿إنّ شجرة الزقّوم طعام الأثيم﴾[٥] والمعنى: ملعون آكلها، وكانت فتنتهم بها قول أبي جهل وذويه: النار تأكل الشجرة وتحرقها، فكيف ينبت فيها الشجر؟![٦]

وعن أبي جعفر: أنّ الشجرة الملعونة هم بنو أُميّة[٧].

وقال البلخي: يجوز أن يكون المراد به الكفّار.

وقوله: ﴿ونخوّفهم﴾ أي: نرهبهم بما نقصّ عليهم من هلاك من مضى

---

(١) النكت والعيون ٣: ٢٥٣.
(٢) رواه القمّي في تفسيره ٢: ٢١.
(٣) رواه الطبري ذيل الآية.
(٤) في «م» والحجريّة سعد بن بشار، وفي كثير من التفاسير أنّ ذلك مرويّ عن سعيد بن المسيّب راجع الكشف والبيان٦: ١١١. والنكت والعيون ٣: ٢٥٤.
(٥) الدخان: ٤٣.
(٦) انظر تفسير الطبري ذيل الآية، النكت والعيون ٣: ٢٥٣.
(٧) رواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٢٩٧، الحديث ٩٣.

بها، فمايزدادون عند ذلك ﴿إلّا طغياناًكبيراً﴾ أي: عتوّاً عظيماً، وتمادياً وغيّاً.

قوله [تعالى]:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾

ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّهﷺ: واذكر ﴿إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس﴾ وقد بيّنّا[1]: أنّ أمر الله تعالى بـأن اسـجدوا لآدم تـعظيمٌ لآدم وتفضيله عليهم وإن كانت القربة بذلك السجود إلى الله تعالى، وفي الناس من قال: إنّه كان بمنزلة القِبْلة لهم وإن كان فيه تشريف له[2].

ثمّ أخبر تعالى: أنّ الملائكة امتثلت أمر الله فسجدت له ﴿إلّا إبليس﴾ فقد قلنا[3]: إنّ أخبارنا تدلّ على أنّ إبليس كان من جملة الملائكة، وإنّما كفر بامتناعه من السجود، ومن قال: إنّ الملائكة معصومون، فإنّ إبليس لم يكن من جملة الملائكة والاستثناء في الآية استثناء مـنقطع، و ﴿إلّا﴾ بمعنى «لكن» وإنّما ضمّه إلى المـلائكة مـن حـيث جـمعهم فـي الأمـر والتكليف بالسجود، فلذلك استثناه من جملتهم.

ثمّ اخبر تعالى عن إبليس أنّه قال: ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ على وجه الإنكار لذلك، وأنّ مَن خُلِق من نارٍ أشرف وأعظم من الّذي خُلِق من طين، وآدم إذا كان مخلوقاً من طين كيف يسجد له من هو مخلوق من نار، وهو

(١) ضمن تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة المباركة.

(٢) منهم الجُبّائي والبلخي. ذكره المصنّف فيما تقدّم في تفسير الآية: ٣٤ من البقرة.

(٣) ضمن تفسير الآية: ٣٤ من البقرة.

إبليس؟! وذلك يدلّ على أنّ إبليس فهم من ذلك الأمر تفضيله عليه، ولو كان بمنزلة القِبْلة لما كان لامتناعه عليه وجه، ولا لدخول الشبهة عليه بذلك مجال. و ﴿طيناً﴾ نصب على التمييز، ويجوز أن يكون نصباً على الحال. والمعنى: أنّك أنشأته في حال كونه من طين.

ووجه الشبهة الداخلة على‌إبليس: أنّ‌الفروع ترجع‌إلى‌الأُصول، فتكون على‌قدرها في‌التكبير أو التصغير، فلمّا اعتقد أنّ النار أكرم أصلاً من الطين، جاء منه أنّه أكرم ممّن خُلِق من طين، وذهب عليه بجهله أنّ الجواهر كلّها متماثلة، وأنّ الله تعالى يصرفها بالأعراض كيف شاء، مع كرم جوهر الطين، وكثرة ما فيه من المنافع الّتي تقارب منافع النار أو توفى عليها.

وإنّما جاز أن يأمره بالسجود له، ولم يجز أن يأمره بالعبادة له، لأنّ السجود يترتّب في التعظيم بحسب ما يراد به، وليس كذلك العبادة الّتي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع، لأنّه يترتّب في التعظيم بحسبه، يبيّن ذلك أنّه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح، قال الرُمّاني: الفرق بين السجود لآدم والسجود إلى الكعبة: أنّ السجود لآدم تعظيم له بإحسانه. وهذا يقارب قولنا في أنّه قصد بذلك تفضيله بأن أمره بالسجود له.

ووجه اتّصال هذه الآية بما قبلها: أنّ المعنى: ما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً، محقّقين ظنّ إبليس فيهم، مخالفين موجب نعمة ربّهم على أُمّتهم وعليهم.

ثمّ حكى تعالى عن إبليس أنّه قال: ﴿أرأيتَكَ هذا الّذي كرّمت عليّ﴾ ومعناه: أخبرني عن هذا الّذي كرّمته عليَّ، لِمَ كرَّمته عليَّ وقد خلقتني من نارٍ وخلقته من طين؟! فحُذِف لدلالة الكلام عليه.

وإنّما قال: ﴿أأسجد﴾ بلا حرف عطف، لأنّه على قوله: أسجد لِمَن خَلَقْتُ طيناً والكاف في قوله: ﴿أرأيتك﴾ لا موضع لها من الإعراب، لأنّها ذُكِرت في المخاطبة توكيداً، و ﴿هذا﴾ نصب بـ﴿أرأيتَك﴾ والجواب محذوف، والمعنى ما قدّمناه.

وقوله: ﴿لئن أخّرتنِ إلى يوم القيامة لأحتَنكَن ذرّيته إلّا قليلاً﴾ ومعنى ﴿لأحتنكنّ﴾ لأقتطعنّهم إلى المعاصي، يُقال منه: احْتَنَكَ فلان ما عند فلان من مالٍ أو علمٍ أو غير ذلك، قال الشاعر:

نَشكُو إليكَ سَنَةً قد أجْحَفَتْ جَهْداً إلى جَهْدٍ بنا وأضْعَفَتْ
واْحْتَنَكَتْ أموالُنا وجَلَّفَتْ[١]

وقال ابن عبّاس: معنى ﴿لأحتَنِكنَّ﴾ لأستولينّ. وقال مجاهد: لأحتوينّ. وقال ابن زيد: لأضلّنّهم. وقال قوم: لأستأصلنّ ذرّيته بالإغواء، وقال آخرون: لأقودنّهم إلى المعاصي كما تُقاد الدابّة بحنكها إذا شُدَّ فيها حبل تُجَرّ به.

وقوله: ﴿إلّا قليلاً﴾ استثناء من إبليس القليل من ذرّية آدم الّذين لا يتّبعونه ولا يقبلون منه، فقال الله تعالى عند ذلك: ﴿اذهَبْ﴾ يا إبليس ﴿فمن تَبِعك﴾ من ذرّية آدم، واقتفى أثرك، وقَبِل منك ﴿فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ أي: كاملاً، يقال منه: وَفَرْتُه أفِرُهُ وَفْراً فهو مَوْفُور، قال زُهَيْر:

وَمَن يجعلِ المعرُوفَ مِن دُون عِرْضِهِ
يَفِرْهُ وَمَن لا يَتّقِ الشَتْمَ يُشْتَمِ[٢]

---

(١) أورده الماوردي في تفسيره ٣: ٢٥٤ وفيه: «واجتلفت» بدل «جلّفت»، ونسبه محقّق الكتاب إلى عطاء بن اسيد وقال: البيت من ملحق ديوان العجّاج: ٦٥.

(٢) البيت من معلّقته المشهورة، راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ٨٧.

ووفَّرته توفيراً، ويقال: «موفُوراً» بمعنى «وافر» في قول مجاهد، كأنّه ذو وَفْر، كقولهم: «لابن» أي: ذو لبن، وقد دلّ على أنّهم لا ينقصون من عقابهم الّذي يستحقّونه شيئاً، وفي ذلك استخفاف به وهَوَان له.

وإنّما ظنّ إبليس هذا الظنّ الصادق بأنّه يغوي أكثر الخلق، لأنّ الله تعالى كان قد أخبر الملائكة أنّه سيجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، فكان قد علم بذلك، وقيل: إنّما قال ذلك لأنّه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً، فقال: بنو هذا مثله في ضعف العزيمة، ذكره الحسن. وهذا الوجه لا يصحّ على أصلنا، لأنّ عندنا أنّ آدم لم يفعل قبيحاً، ولا ترك واجباً، فلو ظنّ إبليس أنّ أولاده مثله لانتقض غرضه، ولم يخبر بما قال.

و«لئن» حرف شرط، ولا يليه إلّا الماضي، والشرط لا يكون إلّا بالمستقبل، والعلّة في ذلك: أنّ اللام في «لئن» تأكيد يرتفع الفعل بعده، و«إن» حرف شرط ينجزم الفعل بعده، فلمّا جمعوا بينهما لم يجز أن يُجزَم فعل واحد ويُرفَع، فغُيِّر المستقبل إلى الماضي، لأنّ الماضي لا يبين فيه الإعراب، ذكر هذه العلّة ابن خالويه.

قوله [تعالى]:

وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حفص وحده: ﴿ورَجِلِكِ﴾ بكسر الجيم، الباقون بتسكينها.

من سكّن أراد جمع «راجل» مثل: صاحِب وصَحْب، وراكِب ورَكْب، ومَن كسر أراد قولهم: رَجِلَ يَرْجَلُ، فهو راجِل.

قوله: ﴿واستفززْ... وأجلبْ﴾ صورته صورة الأمر، والمراد به: التهديد، وجرى مجرى قوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾[١] وكما يقال للإنسان: اجهد جهدك، فسترى ما ينزل بك، وإنّما جاء التهديد بصيغة الأمر، لأنّه بمنزلة من أُمِر بإهانة نفسه، لأنّ هذا الّذي يعمله هَوَان له وهو مأمور به.

ومعنى «استفزز» استزلّ يُقال: استفزّه واستزلّه بمعنىً واحد، وتَفَزَّزَ الثوب: إذا تَمزَّق، وفَزَّزَهُ تَفَزُّزاً، وأصله: القطع، فمعنى «استَفَزّه»: استزلّه بقطعه عن الصواب ﴿من استطعت منهم﴾ فالاستطاعة: قوّة تنطاع بها الجوارح للفعل، ومنه: «الطوع» و«الطاعة» وهو الانقياد للفعل.

وقيل في الصوت الّذي يستفزّهم به قولان:

أحدهما: قال مجاهد: هو صوت الغناء واللهو[٢]. الثاني: قال ابن عبّاس: هو كلّ صوتٍ يُدعى به إلى معصية الله[٣]. وقيل: كلّ صوتٍ دُعِي به إلى الفساد، فهو من صوت الشيطان[٤].

قوله: ﴿واجلبْ عليهم بخيلك﴾ فالإجلاب: السوق بجَلَبة، من السائق، وفي المَثَل: «إذا لم تَغْلِب فاجْلبْ»[٥] جَلَبَ[٦] يَجلِبُ جَلْباً، وأجْلَبَ إجْلاباً، واجْتَلَبَ اجْتِلاباً، واستَجْلَبَ استِجْلاباً، وجَلَّبَ تَجْليباً مثل: صَوَّتَ، وأصل «الجَلَبة»: شدّة الصوت، وبه يقع السوق.

وقوله: ﴿بخيلك ورجلك﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة: كلّ راكبٍ أو ماشٍ في معصية الله من الإنس والجنّ، فهو من خيل إبليس ورجله،

---

(١) فصّلت: ٤٠. (٢) تفسير الثعلبي ٦: ١١٣، النكت والعيون ٣: ٢٥٥.
(٣) تفسير الثعلبي ٦: ١١٣. (٤) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.
(٥) كذا، وفي مجمع الأمثال ١: ٣٦: «فاخلب» بالخاء، ويراد به الخدعة.
(٦) وردت العبارة في «س» هكذا: «يقال جلب».

و«الرَجْل» جمع «راجِل» مثل: تَجْر وتاجِر، ورَكْب ورَاكِب.

وقوله: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ فمشاركته إيّاهم في الأموال: كسبها من وجوه محظورة أو إنفاقها في وجوه محظورة، كما فعلوا في السائبة والبحيرة والحام والإهلال به لغير الله وغير ذلك، وفي الأولاد[١] قال مجاهد والضحّاك: فهم أولاد الزنا. وقال ابن عبّاس: الموؤدة. وقيل: من هوّدوا ونصّروا، في قول الحسن وقَتادة[٢]. وقال ابن عبّاس في رواية: هو تسميتهم عبد الحارث وعبد شمس وما أشبه ذلك[٣]. وقيل: كلّ[٤] واحد من هذه الوجوه، وهو أعمّ[٥].

وقوله: ﴿وعِدْهم﴾ أي: منّهم[٦] البقاء وطول الأمل، ثمّ قال تعالى: ﴿وما يعدهم الشيطان﴾ أي: ليس يعدهم الشيطان إلّا الغرور ونصب على أنّه مفعول له.

ثمّ قال تعالى: ﴿إنّ عبادي﴾ يعني: الّذين يطيعوني، ويقرّون بتوحيدي، ويصدّقون أنبيائي، ويعملون بما أوجبه عليهم، وينتهون عن معاصيّ ﴿ليس لك﴾ يا إبليس ﴿عليهم﴾ حجّة ولا سلطان. وقال الجُبائي: معناه: أنّ عبادي ليس لك عليهم قدرة، على ضرٍّ ونفعٍ أكثر من الوسوسة، والدعاء إلى الفساد، فأمّا على ضرٍّ[٧] فلا، لأنّه خلقٌ ضعيف متخلخل، لا يقدر على الإضرار بغيره. ثمّ قال: ﴿وكفى بربّك﴾ أي: حسب ربّك ﴿وكيلاً﴾ أي:

---

(١) العبارة في «س» هكذا: «ومشاركته في الأولاد».

(٢) راجع النكت والعيون ٣: ٢٥٥.

(٣) الكشف والبيان ٦: ١١٤، النكت والعيون ٣: ٢٥٦.

(٤) في «س» والحجريّة: «ذلك» بدل «كلّ».

(٥) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٦) في «م» و«ح» منّيهم».

(٧) في الحجريّة: كفر بدل «ضرّ».

حافظاً، ومن يسند الأمر إليه ويستعان به في الأُمور.

ثمّ خاطب تعالى خلقه فقال: ﴿ربّكم الّذي خلقكم﴾ هو الّذي ﴿يزجي لكم الفلك في البحر﴾ قال ابن عبّاس: معناه يجريها، وبه قال قَتادة وابن زيد. يقال: أزْجىٰ يُزجِي إزْجاءً إذا ساق الشيء حالاً بعد حال ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي: لتطلبوا فضل الله في ركوب البحر من الأرياح وغيرها ﴿إنّه كان بكم رحيماً﴾ أي: منعماً عليكم، راحم بكم، يسهّل لكم طرق ما تنتفعون بسلوكه ديناً ودنيا.

قوله [تعالى]:

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَاتَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَاتَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أن نخسف.. أو نرسل.. أن نعيدكم.. فنرسل... فنغرقكم﴾ بالنون فيهنّ، الباقون بالياء[1] إلّا أبا جعفر وورش، فإنّهما قرءا ﴿فتغرقكم﴾ بالتاء[2] يردّانه إلى الريح.

ومَن قرأ بالنون أراد الإخبار من الله عن نفسه، ومَن قرأ بالياء أراد أنّ محمّداً أخبر عن الله، والمعنيان متقاربان. وقال أبو عليّ: من قرأ بالياء فلأنّه تقدّم ﴿ضلّ من تدعون إلّا إيّاه فلمّا نجّاكم إلى البرّ... أفأمنتم أن يخسف بكم﴾ ومَن قرأ بالنون فلأنّ مثله قد ينقطع بعضه عن بعض،

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٥.
(٢) النشر في القراءات العشر ٢: ٣٠٨.

والمعنى واحد[١].

يقول الله تعالى لخلقه: إنّه إذا نالكم ﴿الضُرّ﴾ وأنتم رُكّاب البحر، بأن أشرفتم على الهلاك، وخبّ بكم البحر وهاجت[٢] الأمواج[٣] وكلّ من تدعونه من دون الله ﴿ضلّ من تدعون﴾ أي: يكون بمنزلة من يضلّ عنكم، ولا ينجّيكم من أهواله إلّا الله تعالى، وإنّما خصّ البحر بذكر النجاة لأنّ له أهوالاً عند هَيَجانه وخبّه، ولا يطمع عاقل في أن ينجّيه أحد منه إلّا الّذي خلق النفس، وأنعم بما وهب من العقل والسمع والبصر، ثمّ قال: إذا دعوتموه في تلك الحال ونجّاكم وخلّصكم وأخرجكم منه إلى البرّ أعرضتم عن ذكر الله، والاعتراف بنِعمَه، ثمّ أخبر تعالى[٤]: ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ لنِعَم الله تعالى.

ثمّ قال[٥] مهدّداً لهم: ﴿أفأمنتم﴾ أي: هل أمنتم إذا ضربتم إلى البرّ ﴿أن يخسف بكم﴾ جانبه، ويقلب أسفله أعلاه فتهلكون عند ذلك، كما خسفنا بمن كان قبلكم من الكفّار، نحو: قوم لوط وقوم فِرْعَون ﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾ بمعنى: حجارة تُحصَبون بها أو تُرمَون بها، و«الحَصْباء»: الحَصَى الصغار، يقال: حَصَبَ الحصى يَحْصِبُهُ حَصْباً إذا رماه رَمْياً متتابعاً، و«الحاصب»: ذو الحَصْب، و«الحاصب» فاعل الحَصْب ﴿ثمّ لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ أي: من يدفع ذلك عنكم؟

ثمّ قال: ﴿أم﴾ أي: هل ﴿أمنتم أن يعيدكم﴾ في البحر دفعة ﴿أُخرى﴾ بأن يجعل لكم إلى ركوبه حاجة ﴿فيرسل عليكم قاصفاً من الريح﴾ فالقاصف:

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٥.
(٢) في «س» والحجرية: «ماجت» بدل «هاجتْ».
(٣) في «س»: «وفيه الأمواج».
(٤) في «س»: «ثمّ أخبر وقال».
(٥) كذا في «م»، ولم ترد لفظة الجلالة في «س» والحجريّة، وفي «ح»: «قال تعالى».

الكاسر بشدّة، قَصَفَه يَقْصِفُهُ قَصْفاً فهو قاصِفٌ، وتَقَصَّفَ شعره تَقَصُّفاً، وانْقَصَفَ الرجل انْقِصافاً، وقَصَّفَ الشيء تَقْصِيفاً ﴿فيغرقكم بما كفرتم ثمّ لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾ أي: من يتّبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم أو يأخذ بثأركم؟ وقيل: إنّ «القاصف» الريح الشديدة تقصف الشجر بشدّتها[١].

وإنّما قيل: «حاصب» على وزن «فاعل» لأمرَيْن:

أحدهما: ريحٌ حاصبٌ أي: تحصب الحجارة من السماء، قال الشاعر:

مستَقْبِلينَ شَمالَ الشامِ يضْرِبُنا ... بحاصِبٍ كنَديفِ القُطْنِ مَنثُورُ[٢]

وقال الآخر:

ولَقَد عَلمْتُ إذا العِشارُ تَروَّحَتْ ... حتّى تَبيتَ على العصاةِ حفالا[٣]

الثاني: حاصِبٌ: ذو حَصْب.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّه كرّم ﴿بني آدم﴾ وإنّما عنى بني آدم بالتكرمة مع أنّ فيهم كفّاراً، لأنّ المعنى: كرّمناهم بالنعمة على وجه المبالغة في الصفة،

---

(١) قاله أبوعبيدة كما في معالم التنزيل ٣: ٢٩٧.

(٢) للفرزدق من قصيدة طويلة يمدح يزيد بن عبد الملك، راجع ديوان الفرزدق ١: ٣٦٠.

(٣) للأخطل من قصيدة يهجو جريراً، راجع ديوان الأخطل: ٢٤٨ وفيه: «على العِضاه جُفالا» ويذكر أنّ البيت الوارد إنّما هو ملفّق من صدر بيت وعجز بيت آخر، وصدره المرتبط بمحلّ الشاهد هو: «تَرمي العِضاهَ بحاصِبٍ من ثَلْجها».

وقال قوم: جرى ذلك مجرى قوله: ﴿كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس﴾[(١)] فأجرى الصفة على جماعتهم من أجل من فيهم على هذه الصفة. ثمّ بيّن تعالى الوجوه الّتي كرّم بها بني آدم بأنّه حملهم في البرّ والبحر على ما يحملهم من الإبل وغيرها، كما قال: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً﴾[(٢)] والبحر، والسفن الّتي خلقها لهم وأجراها بالرياح فوق الماء ليبلغوا بذلك حوائجهم ﴿ورزقناهم من الطيّبات﴾ يعني: من الثمار والفواكه وطيّبات الأشياء، وملاذّها الّتي خصّ بها بني آدم [ولم يشرك شيئاً من الحيوان فيها من فنون الملاذّ، وقيل:[(٣)] من تفضيل بني آدم[(٤)]] أن يتناول الطعام بيديه [دون غيره، لأنّ][(٥)] غيره يتناوله بفيه، وأنّه ينتصب، وما عداه على أربعٍ أو على وجهه.

وقوله: ﴿وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً﴾ وليس المراد بذلك تفضيلهم بالثواب، لأنّ الثواب لا يتفضّل به ابتداءً، وإنّما فضّلهم ابتداءً بأن خلق لهم من فنون النِعَم وضروب الملاذّ ما لم يجعله لشيءٍ من الحيوان، وإنّما فعل ذلك تفضّلاً منه تعالى، ولما في ذلك من اللطف للعاقل، والصلاح الّذي ينتظم ويتمّ بهذا التأويل.

واستدلّ جماعة بقوله: ﴿وفضّلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا﴾ على تفضيل الملائكة على الأنبياء، قال: لأنّ قوله: ﴿على كثيرٍ ممّن خلقنا﴾ يدلّ على أنّ هاهنا من لم يفضّلهم عليهم، وليس إلّا الملائكة، لأنّ ابن آدم أفضل من كلّ حيوان سوى الملائكة بلا خلاف. وهذا باطل بما قلناه من أنّ المراد

---

(١) آل عمران: ١١٠. (٢) النحل: ٨. (٣) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٢٥٢.

(٤ و٥) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوطة.

بذلك تفضيلهم بالنِعَم الدنياويّة والألطاف، وليس المراد بذلك الثواب، بدلالة ابتدائهم بهذا التفضيل، والثواب لا يجوز الابتداء به.

وقوله: ﴿يوم ندعو كلّ أُناس بإمامهم﴾ قال الزجّاج: يتعلّق بقوله: ﴿يعيدكم... يوم ندعو﴾[١]. وقيل: تقديره اذكر يوم. وقيل: إنّه يتعلّق بقوله: ﴿وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً... يوم ندعو﴾ لأنّ ما فعله بهم من الألطاف في الدنيا فعله لأن يطيعوا ويفعلوا من الأفعال ما يدعون به يوم القيامة.

واختلفوا في الإمام الّذي يُدعَون به يوم القيامة. فقال مجاهد وقَتادة: «إمامه» نبيّه. وقال ابن عبّاس: «إمامه» كتاب عمله. وقال ابن عبّاس[٢] إمامهم» كتابهم الّذي أنزل الله إليهم فيه الحلال والحرام والفرائض والأحكام[٣]. وقال البلخي: بما كانوا يعبدونه، ويجعلونه إماماً لهم. وقال أبو عبيد: بما كانوا يأتمّون به في الدنيا[٤]. وهو قول أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام[٥].

وقوله: ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه فأُولئك يقرأون كتابهم...﴾ الآية، جعل الله تعالى إعطاء الكتاب باليمين من علامة الرضا والخلاص، وأنّ من أُعطي كتابه باليمين تمكن من قراءة كتابه[٦] وسهل له ذلك، وكان فحواه أنّ من أُعطي كتابه بشماله أو وراء ظهره فإنّه لا يقدر على قراءة كتابه، ولا يتأتّى له، بل يتلجلج فيه، لما يراه من المعاصي الموبقات.

وقوله: ﴿ولا يُظلَمون فتيلاً﴾ معناه لا يُبخَس أحد حقّه، ولا يُظلَم شيئاً،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٥٢.

(٢) في «س» والحروفيّة: «وروي عنه أيضاً أن» بدل «وقال ابن عبّاس».

(٣) النكت والعيون ٣: ٢٥٨، عن ابن زيد، وانظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٤) مجاز القرآن ١: ٣٨٦.

(٥) رواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٣٠٢، ح ١١٦.

(٦) العبارة في «س» والحجريّة هكذا: «يمكن من قراءته».

سواء كان مستحقّاً للثواب أو العقاب، فإنّ المستحقّ للثواب لا يُبخس منه شيئاً، والمستحقّ للعقاب لا يُفعل به أكثر من استحقاقه، فيكون ظلماً له.
و«الفتيل»: هو المفتول الّذي في شقّ النواة، في قول قَتادة. وقيل: «الفتيل» في بطن النواة، و«النقير» في ظهرها، و«القطمير» قشر النواة، ذكره الحسن.

وقوله: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾ قرأ أهل الكوفة(١) إلّا حفصاً والأعشى: ﴿ومن كان في هذه أعمِى﴾ بالإمالة، الباقون بالتفخيم. وقرأ حمزة والكسائي إلّا نُصَيْراً وخَلَفاً وأبوبكر إلّا الأعشى والبُرْجُمي: ﴿فهو في الآخرة أعمِى﴾ بالإمالة، الباقون بالتفخيم.

وقيل في معنى الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة، وابن زيد: ﴿من كان في﴾ أمر ﴿هذه﴾ الدنيا وهي شاهدة له من تدبيرها وتصريفها(٢) وتقليب النِعَم فيها ﴿أعمى﴾ عن اعتقاد الصواب الّذي هو مقتضاها ﴿فهو في الآخرة﴾ الّتي هي غائبة عنه ﴿أعمى وأضلّ سبيلاً﴾(٣).

وقال قوم: من كان في هذه الدنيا أعمى عن طريق الحقّ، فهو في الآخرة أعمى عن الرشد المؤدّي إلى طريق الجنّة(٤).

وقال أبو عليّ: فهو في الآخرة أعمى عن طريق الجنّة(٥).

ومن فخّم في الموضعَيْن فلأنّ الياء فيهما قد صارت ألفاً لانفتاح ماقبلها، والأصل: فمن كان في هذه أعمَى فهو في الآخرة أعمى، ومن كان فيما وضعناه من نعيم الدنيا أعمَى فهو في نعيم الآخرة أعمى. وأمّا فرق

(١) في «ح» و«س»: «أهل العراق» بدل «أهل الكوفة».

(٢) في «س» والحجريّة: «توثقها».

(٣) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٤) انظر النكت والعيون ٣: ٢٥٩.

(٥) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٦.

أبي عمرو بين اللفظَيْن فلاختلاف المعنى، فقال: ومن كان في هذه أعمى ـ ممالاً ـ فهو في الآخرة أعمَى ـ بالفتح ـ أي: أشدّ عمًى، فجعل الأوّل صفة بمنزلة «أحمر» و«أصفر» والثاني بمنزلة «أفعل منك» كقوله: ﴿وأضلّ سبيلاً﴾ أي: أعمى قلباً[١]. والعمَى في العين لا يتَعجَّب منه بلفظة «أفعل» فلا يُقال: «ما أعماه» بل يُقال: ما أشدّ عماه! وفي القلب: ما أعماه بغير «أشدّ» لأنّ عَمَى القلب حمق، وربما قال الشاعر ضرورة: ما أحمره وأبيضه، قال:

أمّا الملوكُ فأنتَ اليوم ألأَمُهُم لُؤْماً وأبْيَضَهُم سِرْبالَ طَبَّاخِ[٢]

وقال بعضهم: لا وجه لفرق أبي عمرو، لأنّ الثاني وإن كان بمعنى «أفعل منك» فلا يمنع من الإمالة، كما لم يمنع بالّذي هو أدنى[٣] قال ابن خالويه أبو عبد الله: إنّما أراد أبو عمرو أن يفرّق بينهما لما اختلف معناهما، واجتمعا في آية واحدة، كما قرأ: ﴿ويوم القيامة يُردُّون﴾ يعني: الكفّار، ثمّ قال في آخرها: ﴿عمّا تعملون﴾[٤] أي: أنتم وهم، ولو وقع مفرداً لأجاز الإمالة والتفخيم فيهما.

قال أبو عليّ: ومن أمال الجميع كان حسناً، لأنّه ينحو نحو الياء بالألف ليعلم أنّها منقلبة إلى الياء وإن كانت فاصلة أو مشبهة للفاصلة، فالإمالة حسنة فيها، لأنّ الفاصلة موضع وقف، والألف تخفى في الوقف، فأمّا إذا أمالها نحا بها نحو الياء، ليكون أظْهر لها وأبْيَن[٥].

---

(١) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٦.

(٢) أنشده الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٢٨، ولعلّ البيت منحول، وهو لطرفة بن العبد قاله في هجاء عمرو بن هند.

(٣) انظر حجّة القراءات: ٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٤) البقرة: ٨٥.

(٥) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٦.

قوله [تعالى]:

وَإِنْ كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ثلاث آيات بلاخلاف.

قال الزجّاج: معنى الكلام: كادوا يفتنونك، ودخلت «إن» واللام للتوكيد[1]. ومعنى «كاد»: المقاربة، وقوله: ﴿وإن كادوا﴾ قال الحسن: معناه: قارب بأن همّ من غير عزم. وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنّ الله وضع عن أُمّتي ما حدّثت به نفسها، إلّا من عمل شيئاً أو تكلّم به»[2] وقيل: إنّهم قالوا: لا ندعك تستلم الحجر حتّى تلمّ بآلهتنا[3].

وقال مجاهد وقَتادة: الفتنة الّتي كاد المشركون أن يفتنوا النبيّ صلى الله عليه وآله بها: الإلمام بآلهتهم أن يمسّها في طوافه، لمّا سألوه في ذلك ولاطفوه! وقال ابن عبّاس: همّ بإنظار ثقيف بالإسلام حتّى يقبضوا ما يُهدى لآلهتهم ثمّ يسلموا فيها.

امتنّ الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله بأنّه ﴿لولا﴾ أنّه ثبّته بلطفه، وكثرة زواجره، وتواتر نهيه ﴿لقد﴾ كاد يركن أي: يسكن، ويميل إلى المشركين ﴿قليلاً﴾ على ما يريدون، يقال: رَكُنَ يَركنُ، ورَكَنَ يَركنُ، ثمّ قال: ﴿إذاً لأذقناك ضِعف الحياة وضِعف الممات﴾ أي: لو فعلت ذلك لأذقناك ضِعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات لعِظَم ذلك منه لو فعله، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة والضحّاك. وإنّما كان يعظم عذابه بالركون إليهم لكثرة زواجره، وفساد العباد به.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٥٣.
(٢) مسند أبي يعلى ١١: ٢٧٨ / ٦٣٩٠.
(٣) النكت والعيون ٣: ٢٥٩.

وقيل: لمّا نزلت هذه الآية قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «اللّهمّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين» روى ذلك قَتادة[1]. ومعنى «الفتنة» هاهنا: الضلال، والتقدير: وإن كادوا ليفتنونك ليضلّوك عن الّذي أوحينا إليك، في قول الحسن. وأصل «الفتنة»: المحنة الّتي يُطلب بها خلاص الشيء ممّا لابسه، فطلبوا إخراجه إلى الضلالة.

وقوله: ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي: لتكذب علينا غير ما أوحينا إليك، وإن فعلت ذلك ﴿لاتّخذوك خليلاً﴾ ووديداً.

وقوله: ﴿ثمّ لا تجد لك علينا نصيراً﴾ أي: لو فعلت الركون إليهم لأذقناك ما قلناه من العذاب، ثمّ لا تجد لك علينا ناصراً يدفع عنك مانريد فعله بك.

قوله [تعالى]:

وَإِنْ كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (٧٨)

ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلّا أبابكر: ﴿خلافك﴾ الباقون: ﴿خلفك﴾[2].

فمن قرأ ﴿خلفك﴾ فلقوله: ﴿فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها﴾[3] وقوله: ﴿بمقعدهم خِلاف رسول الله﴾ أي: لمخالفتهم إيّاه، ومن قرأ: ﴿خلافك﴾ قال: بعدك، و«خلفك» و«خلافك» بمعنىً واحد، يقول الله تعالى: ﴿وإن كادوا﴾ يعني: المشركين ﴿ليستفزّونك من الأرض﴾ قال

(١) الكشف والبيان ٦: ١١٨.
(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٧.
(٣) البقرة: ٦٦.

الحسن: معناه: ليقتلونك[١] وقال غيره: الاستخفاف بالإزعاج[٢].

وقال أبوعليّ: همّوا بأن يخرجوه من أرض العرب لا من مكّة فقط، إذ قد أخرجوه من مكّة[٣] وقال المعتمر بن أبي سليمان عن أبيه: الأرض الّتي أرادوا استزلاله منها هي أرض المدينة، لأنّ اليهود قالت له: هذه الأرض ليست أرض الأنبياء، وإنّما أرض الأنبياء الشام[٤]. وقال قَتادة[٥] ومجاهد: هي مكّة، لأنّ قريشاً همّت بإخراجه منها.

ثمّ قال تعالى: إنّهم لو أخرجوك من هذه الأرض لما لبثوا، ولما أقاموا بعدك فيها[٦] ﴿إلاّ قليلاً﴾ وقال ابن عبّاس والضحّاك: المدّة الّتي لبثوا بعده هو ما بين خروج النبيّ من مكّة وقتلهم يوم بدر. ومن قرأ: ﴿خلافك﴾ أراد: بعدك، كما قال الشاعر:

عَقَبَ الرَذَاذُ خِلافَها فكأنَّما ... بَسَطَ الشَواطِبُ بينهُنَّ حَصِيرا[٧]

الرذاذ: المطر الخفيف، يصف روضةً وأرضاً غبّ مطرها، وكانت خضراء، وقال الحسن: الاستفزاز هاهنا القتل.

وقوله: ﴿وإذاً لا يلبثون﴾ بالرفع، لأنّ ﴿إذاً﴾ وقعت بعد الواو، فجاز فيها الإلغاء، لأنّها متوسّطة في الكلام، كما أنّه لابدّ من أن تلغى في آخر الكلام.

وقوله: ﴿سنّة من قد أرسلنا﴾ انتصب ﴿سنّة﴾ بمعنى: لا يلبثون،

---

(١) التوبة: ٨٢، والظاهر حصول خلط في المقام حيث إنّ الآية حجّة للقراءة الأُولى.

(٢) قاله ابن عيسى كما في النكت والعيون ٣: ٢٦١.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٦١، ولم ينسبه.

(٤) رواه الطبري ذيل الآية، وفي النكت والعيون ٣: ٢٦١.

(٥) لم ترد «قتادة» في المخطوطة.

(٦) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٧) أنشده الطبري ذيل الآية، ويعني بقوله خلافها: بعدها.

وتقديره: لا يلبثون لعذابنا إيّاهم كسنّة من قبلك إذا فعلت أُممهم مثل ذلك. ثمّ قال: ﴿ولا تجد لسنّتنا تحويلاً﴾ أي: تغييراً وانتقالاً من حالة إلى حالة أُخرى، بل هي على وتيرة واحدة.

ثمّ أمر نبيّهصلى‌الله‌عليه‌وآله فقال: ﴿أقم الصلاة﴾ والمراد به: أُمّته معه ﴿لدلوك الشمس﴾ اختلفوا في «الدُلُوك» فقال ابن عبّاس وابن مسعود وابن زيد: هو الغروب، والصلاة المأمور بها هاهنا هي المغرب. وقال ابن عبّاس في رواية أُخرى والحسن ومجاهد وقَتادة: دُلُوكها: زوالها، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد اللهعليهما‌السلام.[1] وذلك أنّ الناظر إليها يدلك عينيه لشدّة شعاعها، وأمّا عند غروبها فيدلك عينيه ليتبيّنها، والصلاة المأمور بها عند هؤلاء الظهر، وقال الراجز:

هـــذا مَـــقَامُ قَـدَمَيْ رَبَـاحِ ... غُـدوَةَ حـتّى دَلَكَتْ بَـرَاحِ[2]

«رَبَاح» اسم ساقي الإبل، مَن روى بكسر الباء أراد: براحته، قال الفرّاء: يُقال بالراحة[3] على العين، فينظر هل غابت الشمس بَعدُ، قال الفرّاء: هكذا فسّروه لنا[4]. ومن رواه بفتح الباء جعله اسماً للشمس مبنيّاً على «فَعَال» مثل: قَطَام وحَذَام، وقال العجّاج:

والشَمسُ قد كادَتْ تَكُونُ دَنَفا ... أدفَـعُها بـالرَاح كَـيْ تَـزَحْلَفا[5]

و﴿غسق الليل﴾ ظهور ظلامه، ويقال: غَسَقَت القرحة إذا انفجرت فظهر ما فيها، وقال ابن عبّاس وقَتادة: هو بدوّ الليل[6] قال الشاعر:

---

(١) رواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٣٠٨ـ٣٠٩ الحديث ١٣٦ـ١٣٩.

(٢) أنشده أبوزيد في نوادره: ٨٨.

(٣) أقال بالراحة: أشار بها.

(٤) معاني القرآن ٢: ١٢٩.

(٥) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٦) تفسير الطبري ذيل الآية.

إنَّ هذا الليلُ إذْ غَسَقا[١]

وقال الجُبّائي: ﴿غسق الليل﴾ ظلمته، وهو وقت عشاء الآخرة[٢].

وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ قال قوم: يعني: قرآن الفجر في الصلاة، وذلك يدلّ على أنّ الصلاة لا تتمّ إلّا بالقراءة، لأنّه أمر بالقراءة وأراد بها الصلاة، لأنّها لا تتمّ إلّا بها[٣]. وقوله: ﴿إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ معناه: يشهده ملائكةالليل وملائكة النهار، ذهب إليه ابن عبّاس وقَتادة ومجاهد وإبراهيم[٤]. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام وأُبيّ بن كعب: أنّها الصلاة الوسطى[٥].

وقال الحسن: ﴿لدلُوك الشمس﴾ لزوالها: صلاة الظهر، وصلاة العصر إلى ﴿غَسَق الليل﴾ صلاة المغرب والعشاء الآخرة، كأنّه يقول من ذلك الوقت إلى هذا الوقت على ما يبين لك من حال الصلوات الأربع، ثمّ صلاة الفجر، فأفردت بالذِكْر.

وقال الزجّاج: سمّى صلاة الفجر ﴿قرآن الفجر﴾ لتأكّد أمر القراءة في الصلاة[٦] ومعنى ﴿لدلوك الشمس﴾ أي: عند دلوكها.

واستدلّ قوم بهذه الآية على أنّ وقت الأُولى موسّع إلى آخر النهار، لأنّه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى وقت غسق الليل، وذلك يقتضي أنّ ما بينهما وقت. وهذا ليس بشيء، لأنّ من قال: إنّ الدُلُوك

---

(١) أنشده أبو عبيدة في المجاز ١: ٣٨٨ ونسبه إلى ابن قيس الرُقيّات.

(٢) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٦٢ عن أبي جعفر الطبري، وفي تفسير الطبري، ذيل الآية. مايلي: «ان غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه. وذلك لا يكون إلّا بعد مغيب الشمس».

(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٤) انظر تفسير الطبري ذيل الآية وروى مثله عن عليّ عليه السلام في علل الشرائع: ٣٢٤، ح ١.

(٥) رواه الطبري ذيل الآية.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

هو الغروب، لا دلالة فيها عليه عنده؛ لأنّ من قال ذلك يقول: إنّه يجب إقامة المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الّذي هو غروب الشفق، وما بين ذلك وقت المغرب، ومن قال: الدُلُوك هو الزوال يمكنه أن يقول: المراد بالآية البيان لوجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن، لا بيان وقت صلاة واحدة، فلا دلالة له في الآية.

و﴿مشهوداً﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: تشهده ملائكة الليل والنهار. والثاني: قال الجُبَّائي: فيه حثّ للمسلمين على أن يحضروا هذه الصلاة، ويشهدوها للجماعة.

قوله [تعالى]:

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

هذا خطاب للنبيّ ﷺ يقول الله تعالى له: ﴿ومن الليل فتهجّد﴾ والتهجّد: التيقّظ بما ينفي النوم، والهُجُود: النوم، وهو الأصل، هَجَدَ يَهْجُدُ هُجُوداً فهو هاجِدٌ: إذا نام، قال لَبِيد:

قلت هَجِّدْنا فَقَد طالَ السُرَى[1]

وقال الشاعر:

ألاَ طَـرَقَتْنا والرفـاقُ هُـجُودُ فَـباتَتْ بِـعُلاَّتِ النَـوالِ تَـجُودُ[2]

(١) من قصيدة تحدث فيها عن مآثره، انظر ديوان لبيد بن ربيعة: ١٤٢. وفيه «قال» بدل «قلت».

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية.

وقال الحُطَيْئَة:

ألاَ طَرَقَتْ هِندُ الهُنُودِ وصُحْبَتي بحَوْرانَ حَوْران الجُنُودِ هُجُودُ[١]

وقال عَلْقَمة والأسود: «التهجّد» يكون بعد نومة[٢]. وقال المبرّد: «التهجّد» عند أهل اللغة: السهر للصلاة أو لذكر الله، فإذا سهر للصلاة قيل: تَهجَّدَ، وإذا أراد النوم قال: هَجَدَ[٣]. و«النافلة»: فعل ما فيه الفضيلة ممّا رغّب الله فيه ولم يوجبه، و«النافلة»: الغنيمة، قال الشاعر:

إنَّ تَقَوى ربِّنا خَيرُ نَفَلْ وبإذنِ اللهِ رَيْثي والعَجَلْ[٤]

أي: خير غنيمة. والحسن من أفعال العباد على ثلاثة أقسام: واجب وندب ومباح. وقال الرُمّاني[٥]: يجوز أن يكون نافلة أكثر ثواباً من فريضة إذا كان ترك الفريضة صغير، لأنّ نافلة النبيّ صلى الله عليه وآله أعظم من هذه الفريضة من فرائض غيره، وقد تكون نعمة واجبة أعظم من نعمة واجبة، كنعمة الله تعالى، لأنّه يستحقّ بها العبادة من نعمة الإنسان الّتي يستحقّ بها الشكر فقط.

وقوله: ﴿نافلة لك﴾ وجه هذا الاختصاص هو أنّه أتمّ للترغيب لما في ذلك من صلاح أُمّته في الابتداء به والدعاء[٦] إلى الاستنان بسنّته، وروي: أنّها فُرِضَت عليه ولم تُفرَض على غيره، فكانت فضيلةً له، ذكره ابن عبّاس[٧]. فيجوز ذلك بترغيب يخصّه في شدّته، وقال مجاهد: لأنّها

(١) راجع ديوان الحطيئة: ٢٢٣.
(٢) تفسير الطبري ذيل الآية.
(٣) معناه في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٥٦.
(٤) البيت للبيد بن ربيعه، وهو مطلع قصيدته، راجع ديوان لبيد: ١٣٩ وفيه: «وَعَجَل».
(٥) نقل معناه عنه الماوردي، انظر النكت والعيون ٣: ٢٦٤.
(٦) في مصحّحة الحجريّة «ادعى» بدل «الدعاء».
(٧) تفسير الطبري ذيل الآية، وانظر النكت والعيون ٣: ٢٦٤.

فضيلة له ولغيره كفّارة، لأنّ الله تعالى غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. وهذا أيضاً من اختصاصه بما ليس لغيره.

وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً﴾ معناه: متى فعلت ما ندبناك إليه من التهجّد يبعثك الله مقاماً محموداً، وهي الشفاعة، في قول ابن عبّاس والحسن ومجاهد وقَتادة. وقال قوم: المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة[1]. و«عسى» من الله واجبة، وقد أُنشِد لابن مقبل في وجوبها:

ظنّي بهم كعَسَى وَهُم بِتَنُوفَةٍ يتنازعُونَ جوائزَ الأمثالِ[2]

يريد: كيقين. ثمّ أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله أن يقول: ﴿أدخلني مُدْخَلَ صدقٍ وأخرجني مُخْرَج صدقٍ﴾ قال ابن عبّاس والحسن وقَتادة: إدخاله المدينة حين أُخرج من مكّة. وقيل: أدخلني فيما أمرتني، وأخرجني عمّا نهيتني بلطفٍ من ألطافك. قال الفرّاء: قال ذلك حين رجع من مُعَسْكَرِه الّذي أراد أن يخرج إلى الشام، حين قالوا له: ليست المدينة أرض الأنبياء، ﴿وأخرجني مُخْرَج صدق﴾ يعني: إلى مكّة[3].

وقال أيضاً: يا محمّد قل: ﴿واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ قال الحسن وقَتادة: معناه: اجعل لي عزّاً يمتنع به ممّن يحاول صدّه[4] عن إقامة فرائض الله في نفسه وغيره. وقال مجاهد: حجّة بيّنة.

ثمّ قال: ﴿وقل جاء الحقّ﴾ يعني: التوحيد، وخلع الأنداد، والعبادة لله وحده لا شريك له ﴿وزهق الباطل﴾ قال ابن عبّاس: معناه: ذهب الباطل. يقال: زَهَقَت نفسه زُهُوقاً: إذا خَرَجَت، فكأنّه خرج إلى الهلاك، وقيل: أمر

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٦٦.

(٢) أنشده في اللسان مادّة: «ظنن».

(٣) معاني القرآن ٢: ١٢٩.

(٤) كذا في النسخ، وفي الحروفيّة: «امتنع به ممّن يحاول صدّي».

بهذا الدعاء إذا دخل في أمرٍ أو خرج من أمر، ثمّ أخبر تعالى[1]: ﴿إنّ الباطل كان زهوقاً﴾ باطلاً هالكاً لاثباتَ له، وأنّه يضمحلّ ويتلاشى.

وروي عن ابن مسعود أنّه قال: دخل النبيّ ﷺ يوم‌الفتح مكّة وحول الكعبة ثلاثمائة وستّون صنماً، فجعل يطعنها بعودٍ ويقول: ﴿جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾ و ﴿جاء الحقّ وما يبدي الباطل ومايعيد﴾[2].

قوله [تعالى]:

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَايَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبرالله تعالى: أنّه أنزل القرآن وفيه شفاء، ووجه الشفاء فيه من وجوه:

أحدها: ما فيه من البيان الّذي يزيل عَمَى الجهل وحيرة الشكّ.

ومنها[3]: أنّه من جهة نظمه وتأليفه يدلّ على أنّه معجز دالّ على صدق من ظهر على يده. ومنها[4]: أنّه يتبرّك به فيدفع به كثيراً من المكاره والمضارّ، على ما يصحّ ويجوز في مقتضى الحكمة.

ومنها[5]: ما في العبادة[6] بتلاوته من الصلاح الّذي يدعو إلى أمثاله بالمشاكلة الّتي بينه وبينه.

---

(١) في «س» زيادة: «وقال».

(٢) نقله الطبري ذيل الآية.

(٣) في «س» والحروفيّة «وثانيها» بدل «ومنها».

(٤) في «س» والحروفيّة: «وثالثها» بدل «ومنها».

(٥) في «س ٩ والحروفية: «ورابعها» بدل «ومنها».

(٦) في هامش الحجريّة: في نسخة: «التعبّد».

ثمّ قال: ﴿ولا يزيد﴾ يعني القرآن ﴿الظالمين﴾ بمعنى: أنّهم لا يزدادون عنده ﴿إلّا خساراً﴾ يعني: يخسرون ثوابهم، ويستحقّون العقاب لكفرهم به، وحرمان أنفسهم تلك المنافع الّتي فيه، صار كأنّه يزيد هؤلاء خسراناً بدل زيادة المؤمنين تُقىً وإيماناً.

ثمّ قال: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض﴾ أي: ولّى عرضه، كأنّه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهال، وباعد عن إنعامنا عليه بضروب النِعَم، فلا يشكرها، كما أعرض عن النعمة بالقرآن.

وقوله: ﴿ونأى بجانبه﴾ أي: بَعُد بنفسه عن القيام بحقوق نِعَم الله. وقال مجاهد: معناه: تباعد منّا ﴿وإذا مسّه الشرّ كان يؤساً﴾ يعني: إذا لحق الإنسان شرّ وبلاء ﴿كان يؤساً﴾ أي: قنوطاً من رحمة الله، فقال الله لنبيّهﷺ قل لهم: ﴿كل يعمل على شاكلته﴾ أي: على طريقته الّتي تشاكل أخلاقه، وقال مجاهد: على طبيعته. وقيل: على عادته الّتي أَلِفَها. والمعنى: أنّه ينبغي للإنسان أن يحذر إلف الفساد فلا يستمرّ عليه، بل يرجع عنه، ثمّ قال: ﴿وربّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ يعني: أنّه عالم بمن يهتدي إلى الحقّ ممّن يسلك طريق الضلال، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم.

وأمال حمزة والكسائي ﴿وَنِأِي بجانبه﴾ بكسر النون والهمزة، وأمالوا الياء، وأمالوا النون لمجاورة الهمزة، لأنّها من حروف الحلق، كما يقولون: رغيف وشِعير وبِعير بكسر أوّلهنّ. وقرأ ابن عامر: ﴿وناءَ بجانبه﴾ من ناءَ يَنُوءُ، فانقلبت الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها، ومدّت الألف تمكيناً للهمزة. وقرأ أبو بكر[1] عن عاصم وأبو عمرو في رواية عبّاس[2]: «ونَئِيَ» بفتح النون

---

(١) كذا في النسخ المخطوطة، وفي المطبوعة: «أبوعامر» والصحيح ما أثبتناه. انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٦٨ والتيسير في القراءات السبع: ١٤١.

(٢) في «س» والحروفية: «عيّاش».

وكسر الهمزة ممالاً، ومثل ذلك: رَأى ورَئِيَ، و«راء» و«رئاء» في القلب، فإذا قالوا: فعلت، قالوا: رأيت، بلاخلاف. وأنشد المبرّد حاكياً عن أبي عبيد:

أغُـــلامٌ مُـعـلّـلٌ راءَ رُؤيـاً فَهو يَهذِي بما رأى في المنامِ[1]

قوله [تعالى]:

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿يسألونك عن الروح﴾ يا محمّد، واختلفوا في «الروح» الّذي سألوا عنه، فقال ابن عبّاس: هو جبرائيل. وروي عن عليّ عليه السلام: أنّ الروح مَلَك من الملائكة له سبعون ألف وجه، في كلّ وجه سبعون ألف لسان، يسبّح الله بجميع ذلك[2]. وقيل: هو روح الحيوان[3] وهو الأظهر في الكلام، قال قَتادة: الّذي سأله عن ذلك قوم من اليهود. وقيل: الروح هو القرآن، ذكره الحسن، لقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك رُوحاً من أمرنا﴾[4] واختاره البلخي، وقوّى ذلك بقوله بعدها: ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ بالّذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن. فقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿قل﴾ لهم: ﴿الروح من أمر ربّي﴾.

فعلى قول من قال: إنّهم سألوا عن القرآن أو عن جبرائيل أو عن المَلَك أو روح الحيوان، فقد أجاب عنه؛ لأنّه قال: ﴿من أمر ربّي﴾ أي: من خلق ربّي وفعله.

---

(١) انشده الطبري ذيل الآية، وفيه: «أعلام يقلل».

(٢) رواه الطبري ذيل الآية، بسندين، عن يزيد بن سمره عمّن حدثه عنه عليه السلام. والماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٦٩.

(٣) النكت والعيون ٣: ٢٧٠.

(٤) الشورى: ٥٢.

وعلى قول من قال: إنّهم سألوه عن مائية روح الإنسان، لم يجب، وإنّما عدل عن جوابهم لأنّهم وجدوا في كتابهم أنّه إن أجاب عن الروح فليس بنبيٍّ، فأراد صلّى الله عليه وآله أن يصدّق نبوّته بموافقة امتناعه من الجواب لما في كتابهم، ويقوّي ذلك قوله: ﴿وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾ أي: لم أُعْطَ من العلم إلّا شيئاً يسيراً، والأكثر لا أعلمه، لأنّ معلومات الله تعالى لا نهاية لها، و«الروح» من الأُمور المتروكة الّتي لا يصلح النصّ عليها، لأنّه ينافي الحكمة، لما فيه من الاستفساد، وإنّما أعلم ما نصّ لي عليه ممّا يقتضي المصلحة، وهو قليل من كثير.

وقيل أيضاً: إنّهم لم يجابوا عن الروح، لأنّ المصلحة اقتضت أن يحالوا على ما في عقولهم من الدلالة عليه[1] لما في ذلك من الرياضة على استخراج الفائدة، وأنّ ما طريقه السمع فقد أتى به، وما طريقه العقل فإنّما يأتي به مؤكّداً لما في العقل لضرب من التأكيد، ولما فيه من المصلحة.

و«الروح»: جسم رقيق هوائي، على بنية حيوانيّة، في كلّ جزء منه حياة، ذكره الرُمّاني، وقال: كلّ حيوان فهو روح وبدن، إلّا أنّ فيهم من الأغلب عليه الروح، وفيهم من الأغلب عليه البدن.

ثمّ قال تعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبنّ بالّذي أوحينا إليك﴾ ومعناه: أنّي أقدر أن آخذ ما أعطيتك، كما منعتك[2] من غيرك[3] لكنّي دبّرتك بالرحمة لك، فأعطيتك ما تحتاج إليه ومنعتك ما[4] لا تحتاج إليه وإلى النصّ عليه، وإن

---

(١) في النسخ المخطوطة: «عليها».

(٢) كذا في «م» و«ح» والحجريّة، وفي «س» والحروفيّة: «منعته» وفي هامش الحجريّة في نسخة: «منعت».

(٣) في «س» وهامش الحجريّة في نسخة: «من غيره».

(٤) في «م» و«ح»: «ممّا».

توهّم قومٌ أنّه ممّا تحتاج إليه[١] فتدبّر أنت بتدبير ربّك، وارض بما اختاره لك، ولو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلاً يستوفي ذلك منّا وقال قوم: معنى ﴿وإن شئنا لنذهبنّ﴾ أي: لنمحونّ هذا القرآن من صدرك وصدر أُمّتك[٢].

وقوله: ﴿إلّا رحمة من ربّك﴾ يعني: لكن رحمة من ربّك، أعطاك ما أعطاك من العلوم، ومنعك ما منعك منها ﴿إنّ فضل الله كان﴾ فيما مضى وفيما يستقبل ﴿عليك كبيراً﴾ عظيماً، فقابله بالشكر.

قوله [تعالى]:

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة: ﴿تفجر﴾ بالتخفيف، الباقون بالتشديد[٣] يقال: فَجَرَ يَفْجُرُ ـ بالتخفيف ـ إذا شقّ الأنهار، ومن شدّد فلقوله: ﴿وفجّرنا خلالهما نهرا﴾[٤] أي: مرّة بعد مرّة، ولقوله: ﴿فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً﴾[٥] فالتفجير لا يكون إلّا من «فجّر».

في الآية الأُولى تحدّي للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأنّهم يعجزون عن ذلك ولا يقدرون على معارضته، لأنّه تعالى قال: ﴿قل﴾ يا محمّد لهؤلاء الكفّار: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجنّ﴾ متعاونين متعاضدين ﴿على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ في فصاحته وبلاغته ونظمه، على الوجه

---

(١) في «س»: «يحتاج» بدل «تحتاج إليه».
(٢) النكت والعيون ٣: ٢٧١.
(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٩٦.
(٤) الكهف: ٣٣.
(٥) الإسراء: ٩١.

الّذي هو عليه، من كونه في الطبقة العليا من البلاغة، وعلى حدٍّ يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت، لما أتوا بمثله، ولعجزوا عنه ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ أي: معيناً، والمثليّة الّتي تحدّوا بالمعارضة بها معتادة بينهم، كمعارضة علقمة لامرئ القَيْس، ومعارضة الحارث ابن حِلِّزة عمرو بن كلثوم، ومعارضة جَرير الفَرَزْدَق، وما كان ذلك خافياً عليهم.

ثمّ قال: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن من كلٍّ مثل﴾ وتصريفه إيّاه هو توجيهه إيّاه في معانٍ مختلفة[1] وقال الرُمّاني: هو تصيير المعنى دائراً فيما كان من المعاني المختلفة. وذلك أنّه لو أُدير في المعاني المتّفقة لم يعد ذلك تصريفاً، فالتصريف تصيير المعنى دائراً في الجهات المختلفة. وقوله: ﴿لا يأتون بمثله﴾ إنّما رفعه لأنّه غلب جواب القسم على جواب «إن» لوقوعه في صدر الكلام، وقد يجوز أن يجزم على جواب «إن» إلّا أنّ الرفع الوجه، وقال الأعشى:

لَئِنْ مُنِيتَ بِنا عن غِبِّ معركةٍ لاتُلْفِنا من دِماءِ القَومِ نَنْتَفِلُ[2]

وقوله: ﴿فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً﴾ معناه: إنّا ﴿صرّفنا في هذا القرآن من كلّ مثل﴾ ليستدلّوا به على كونه من قِبَل الله تعالى، ومع ذلك يأبى أكثر الناس إلّا الجحد به وإنكاره، فالكفور ـ هاهنا ـ هو الجحود للحقّ بالاستكبار، ويقولون مع ذلك ﴿لن نؤمن لك﴾ يا محمّد ﴿حتّى تفجُر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ ومعناه: حتّى تشقّق من الأرض عيناً ينبع بالماء أي: يفور، فهو على وزن «يفعول» من «نَبَع» يقال: نَبَعَ الماءُ يَنْبعُ فهو نابعٌ، وجمعه:

(١) العبارة في «س» هكذا: «وتصريفه هو آيات توجّه في معاني مختلفة».

(٢) من قصيدته المشهورة الّتي مطلعها ودّع هريرة أنّ الركب مرتحل... راجع ديوان الأعشى: ١٥٤.

ينابيع، وإنّما طلبوا عيوناً ببلدهم، في قول قَتادة. و«التفجير»: التشقيق عمّا يجري من ماء أو ضياء، ومنه سُمّي «الفجر» لأنّه ينشقّ عن عمود الصبح، ومنه: «الفجور» لأنّه خروج إلى الفساد لشقّ عمود الحقّ.

قوله [تعالى]:

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر: ﴿قال سبحان ربّي﴾ الباقون: ﴿قل...﴾ وقرأ أهل المدينة وابن عامر وعاصم ﴿كسِفاً﴾ بفتح السين، الباقون بإسكانها.

من قرأ: ﴿قال﴾ معناه: أنّ الرسول قال ذلك عند اقتراحهم ما تقدّم ذكره، ممّا لا يدخل تحت مقدور البشر. ومن قرأ: ﴿قل﴾ فعلى أنّه أُمر بأن يقول لهم ذلك، ويقوّيه قوله: ﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم﴾ [(١)].

قال أبو زيد: قالوا: كَسَفْت الثوبَ أكْسِفُهُ كَسْفاً إذا قطعته قِطَعاً، و«الكِسَف»: القِطَع، واحده: «كِسْفَة» مثل: قِطْعة، قال أبو عُبَيْدة: ﴿كِسَفاً﴾ قِطَعاً [(٢)].

ومَن جعله جمع «كِسْفَة» قال: «كِسَفاً» مثل: قِطْعَة وقِطَع، ومَن سكّنه جاز أن يريد الجمع، مثل: سِدْرَة وسِدر. ويجوز أن يريد به المصدر، والمعنى: أطبق علينا السماء كِسْفاً أي: طبقاً.

نزلت هذه الآية في أقوام اقترحوا على النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الآيات، وقالوا:

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) انظر مجاز القرآن ٢: ٣٩٠ والغريبين ٥: ١٦٣٢.

[﴿لن نؤمن لك﴾ أي:][١] لن نصدّقك في أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأتي بها، وهم كانوا جماعة من قُرَيْش، منهم: عتبة بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، وأبوسُفْيان، والأسود بن المطّلب بن أسد، وزمَّعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبوجهل بن هشام، وعبدالله بن أبي‌أُميّة، وأُميّة بن خَلَف، والعاص ابن وائل، ونُبَيْه ومُنَبَّه ابنا الحجّاج السهميان، على ما ذكر ابن عبّاس[٢].

فمن الآيات الّتي اقترحوها ما ذكره في الآية المتقدّمة بأن قالوا: ﴿لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي: تشقّق لنا من الأرض عيون ماء[٣] في بلادنا ﴿أو تكون لك جنّة﴾ يعني: بستاناً ﴿من نخيل وعِنَب﴾ تشقّق ﴿الأنهار خلالها﴾ أي: في خلالها ووسطها تشقيقاً ﴿أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً﴾ وقرئ بسكون السين وفتحها، و«الكِسَف» القِطَع، في قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة. ويحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون جمع «كِسْفة وكِسْف» بسكون السين كـ«سِدْرة وسدْر» بسكون الدال، وهو للجنس يصلح للكثير والقليل، وتقول العرب: أعطني كِسْفَة من هذا الثوب أي: قِطْعة منه، حكى ذلك الفرّاء أنّه سمعه من بعض العرب[٤]. ومن ذلك: «الكسوف» لانقطاع نوره.

ويجوز أن يكون «الكسَف» مصدراً من: كَسَّفْت الشيء إذا غطّيته بالغطاء عمّن يراه، فكأنّهم قالوا: تسقطها طبقاً علينا.

وقوله: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ فيه دلالة على أنّهم كانوا مشبّهة،

---

(١) مابين المعقوفتين لم يرد في «م» و«ح».
(٢) النكت والعيون ٣: ٢٧٣ وتفسير الطبري ذيل الآية.
(٣) العبارة في «س» هكذا: «حتّى تشقّ من الأرض ينبوعاً أي عيوناً من ماء».
(٤) معاني القرآن ٢: ١٣١.

لأنّ العارف بالله على الحقيقة لا يقول هذا، لأنّه لا يجوز عليه تعالى المقابلة، ولا لهم استعمال هذا على معنى دلائل آيات الله، إذ لا دلائل تدلّ على ذلك، فلا يشرط في الظاهر ما ليس فيه، لأنّه لم يثبت معرفتهم وحكمتهم فيصرف ذلك عن ظاهره.

ومعنى ﴿قبيلاً﴾ قال الفرّاء: معناه: كفيلاً بذلك[١] يقال: قَبَلَت وكَفَلت، وزَعَمت وحَمَلت أقبله. وقال غيره: يعني: مقابلة[٢] وقال قتادة وابن جُرَيْج: معناه: نعاينهم معاينةً، قال الشاعر:

نُصالحُكُم حتّى تَبوءُوا بمِثْلِها كَصَرْخَةِ حُبْلىٰ يسَّرَتْها قَبِيلُها[٣]

أي: قابِلَتها، وهي مقابلة لها، والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر، فلا يثنى[٤] ولاَ يُجمَع ولا يُؤنَّث.

وقوله: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة والفرّاء: يعني: بيتاً من ذهب[٥] ﴿أو تَرقى في السماء﴾ أي تصعد إليها بحذائنا بسُلَّم. قال الفرّاء: إنّما قال: ﴿في السماء﴾ ولم يقل: «إلى» لأنّ المراد: أو ترقى في سلّم إلى السماء، فأتى بـ«في» ليدلّ على ما قلناه يقال: رَقِيْتُ في السُلَّم أرقى رُقِيّاً، ورَقِيْت من الرَقْيا أرقُوه رَقْياً ورَقْيةً ﴿ولن نؤمن﴾ لصعودك ﴿حتّى تُنزل علينا كتاباً﴾ مُكتتباً نقرأه كما أنزل على موسى الألواح، فقال الله تعالى له: ﴿قل﴾ يا محمّد ﴿سبحان ربّي هل كنت إلّا بشراً

---

(١) معاني القرآن ٢: ١٣١.

(٢) قاله أبوعبيدة كما في زاد المسير ٥: ٦٤، وانظر مجاز القرآن ٢: ٣٩٠.

(٣) للأعشى، من قصيدة له يعاتب فيها بني مرتد وجحدر لاشعالهما نار الحرب، راجع ديوان الأعشى: ١٤٠، وفيه: «قبولها» بدل «قبيلها» وهما بمعنى واحد.

(٤) في الحجريّة: «لا يثنى».

(٥) معاني القرآن ٢: ١٣١.

رسولاً﴾ وإنّما أجابهم بذلك لأنّ المعنى: أنّكم تتخيّرون[١] عليّ الآيات وليس أمرها إليّ، وإنّما أمرها إلى الّذي أرسلني والّذي هو أعلم بالتدبير منّي وما ينصبه من الدليل، فلا وجه لطلبكم هذا منّي مع أنّ هذه صفتي، لأنّي رسول أؤدّي إليكم ما أُوحي إليّ، وأُمرت بأن أُؤدّيه إليكم.

ومن قرأ ﴿قال﴾ حمله على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال ذلك ابتداءً من قِبَل نفسه قبل أن يؤمر به، لعلمه بأنّ الآيات لا تتّبع الشهوات والاقتراحات، وإنّما تتّبع المصالح، ولو تبعت الشهوات لكان كلّ واحد يقترح غير ما يقترحه الآخر، فيؤدّي إلى الفساد.

قوله [تعالى]:

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى: ما صرف ﴿الناس﴾ يعني: المشركين الّذين لم يؤمنوا، وإنّما أخبر عنه بالمنع مبالغةً له في صفة الصرف[٢] لأنّ المنع يستحيل معه الفعل، والصرف يمكن معه الفعل، لكنّه لشدّة صرفه شُبّه بالمنع. وقوله: ﴿أن يؤمنوا﴾ أي: ما صرفهم[٣] عن[٤] التصديق بالله ورسوله حين ﴿جاءهم الهدى﴾ يعني: الحجج والبيّنات وطريق الحقّ ﴿إلّا﴾ قولهم ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ فدخلت عليهم الشبهة في أنّه لا يجوز من الله أن يبعث رسولاً إلّا

---

(١) في «س» والحروفية: «تقترحون».

(٢) كذا في «ح» و«س»، وفي «م»: «في صرفة الصرف» وفي المطبوعة «في الصرف».

(٣) في الحجريّة: «صرفناهم».

(٤) كذا في «س» والحروفية، وفي غيرهما: «من».

من الملائكة، كما دخلت عليهم الشبهة في أنّ عبادتهم لا تصلح لله، فوجّهوها إلى الأصنام، فعظّموا الله تعالى بجهلهم بما ليس فيه تعظيم، وهذا فاسد، لأنّ تعظيم الله إنّما يكون بأن يُشكر على نعمته بغاية الشكر، ويُحمد غاية الحمد، ويُضاف إليه الحقّ دون الباطل، وهم عكسوا فأضافوا الباطل إليه وما يتعالى عن فعله أو إرادته. وإنّما عدلوا(١) عن الهدى إلى الضلال تقليداً لرؤسائهم، واعتقاداً للجهل بالشبهة.

فإن قيل: لم جاز أن يرسل الله إلى النبيّ ـ وهو من البشر ـ ملكاً ليس من جنسه، ولم يجز أن يرسل إلى غير النبيّ مثل ذلك؟!

قلنا: لأنّه صاحب معجزة، وقد اختير للهداية والمصلحة، فصارت حاله بذلك مقاربة(٢) لحال(٣) الملك، وليس كذلك غيره من الأمّة، مع أنّ الجماعة الكثيرة ينبغي أن يتخيّر لها ما تجتمع عليه هممها بما لا يحتاج إليه في الواحد منّا إذا أُريد صلاح الجميع. وقيل: لأنّهم لا يجوز أن يروا المَلَك وهم على هذه الهيئة الّتي همّ بها، على أنّه يلزمهم على الامتناع من اتّباع النبيّ ـ لأنّه بشر مثلهم ـ الامتناع من اتّباع المَلَك، لأنّه عبد ومُحدَث مثلهم في العبوديّة والحدوث، فإن جاز ذلك لأنّ الله تعالى عظّمه وشرّفه واختاره، جاز أيضاً في البشر لمثل هذه العلّة.

ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قل﴾ لهم ﴿لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ منهم قال الحسن: معنى: ﴿مطمئنّين﴾ قاطنين فيها. وقال الجُبّائي: ﴿مطمئنّين﴾ عن أمر الله الّذي يلزم بالإعراض عنها الذمّ، كما قال تعالى: ﴿ولكنّه أخلد إلى الأرض واتّبع هواه﴾(٤).

---

(١) في «م» و«ح» زيادة «هم».

(٢) في «ح»: «مقارنة».

(٣) في «م»: «بحال».

(٤) الأعراف: ١٧٦.

ثمّ قال له: ﴿قل﴾ لهم ﴿كفى بالله﴾ أي: حسبي الله ﴿شهيداً﴾ وعـالماً ﴿بيني وبينكم إنّه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ أي: عالماً بكم وبي، مـدرك لنـا. ونصب ﴿شهيداً﴾ على التمييز، وتقديره: حسبي الله من الشهداء، ويجوز أن يكون نصباً على الحال، وتقديره: كفى الله في حال شهادته. وإنّما قال هذا جواباً لهم حين قالوا: من يشهد لك بأنّك رسول الله؟ فقال الله له: ﴿قل كفى بالله شهيداً﴾.

قوله [تعالى]:

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّـهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قيل في معنى قوله ﴿من يهدِ اللهُ فهو المهتد﴾ قولان:

أحدهما: من يحكم الله بهدايته وتسميته بها بـإخلاصه الطـاعة فـهو المهتدي في الحقيقة، وفيه دعاء إلى الاهتداء وترغيب فيه وحثّ عـليه، وفيه معنى الأمر به.

الثاني: من يهديه الله إلى طريق الجنّة فهو المهتدي إليها.

وقوله: ﴿ومن يضلل﴾ يحتمل أيضاً أمرين:

أحدهما: من يحكم الله بضلاله وتسميته ضالاًّ بسوء اختياره للضلالة فإنّه لا ينفعه ولاية وليّ له، فلو تولّاه لم يعتدّ بتولّيه، لأنّه من اللغو الّذي

لا منزلة له، ولذلك حسن أن يُنفى[١] لأنّه بمنزلة ما لم يكن.

والثاني: من يضلّه الله عن طريق الجنّة وأراد عقابه على معاصيه لم يُوجد له ناصر يمنعه من عقابه.

ثمّ أخبر عن صفة حشرهم إلى أرض القيامة ـ يعني: الكفّار ـ: أنّه يحشرهم ﴿يوم القيامة﴾ مجرورين ﴿على وجوههم عُمْياً﴾ كما عُموا عن الحقّ في دار[٢] الدنيا ﴿بُكْماً﴾ جزاء على سكوتهم عن كلمة الإخلاص ﴿وصُمّاً﴾ لتركهم سماع الحقّ، وإصغائهم إلى الباطل ﴿كلّما خَبَت﴾ النار ﴿زدناهم سعيراً﴾ و «الخَبْوة»: هدوّ النار عن الالتهاب، خَبَتِ النارُ تَخْبُو خَبْواً إذا سكن، والمعنى: كلّما سكن التهب واستعر[٣] وذلك من غير نقصان آلام أهلها، قال عَديّ بن زيد:

وَسْطُهُ كاليَرَاعِ أو سُرُج المُجْدَلِ حيناً يَخبُو وحيناً يُنير[٤]

فإن قيل: كيف يحشرهم الله يوم القيامة على وجوههم عُمْياً وبُكْماً وصُمّاً مع قوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنّوا أنّهم مواقعوها﴾[٥] وقوله ﴿سمعوا لها تغيُّظاً وزَفيراً﴾[٦] وقوله: ﴿دَعَوْا هنالك ثُبوراً﴾[٧]؟! قلنا عنه جوابان:

أحدهما: أنّهم يحشرون كذلك، ثمّ يُجعلون يبصرون ويشهدون وينطقون.

الثاني: قال ابن عبّاس والحسن: إنّهم عُمْي عمّا يسرّهم، بُكْم عن التكلّم بما ينفعهم، صُمّ عمّا يمتعهم ﴿مأواهم جهنّم﴾ أي: مستقرّهم.

---

(١) في «س» العبارة هكذا: «فكذلك أخبر أنّه لم يلق». (٢) لم ترد «دار» في «س».
(٣) في «س» والحروفيّة العبارة هكذا: إذا سكنت، والمعنى كلّما سكنت التهبت واستعرت.
(٤) أنشده الطبري ذيل الآية. (٥) الكهف: ٥٣.
(٦) الفرقان: ١٢. (٧) الفرقان: ١٣.

فإن قيل: لِمَ جاز أن يكونوا عُمْياً عن العذاب يوم القيامة، ولم يجز أن يكونوا جُهلاء[(١)] به؟! قلنا: لأنّ الجاهل به لا يجد من ألمه ما يجده العالم، ولأنّ الحكمة تقتضي إعلامه أنّ عقابه من أجل جرمه، لأنّه واقع موقع التوبيخ له، وموقع الزجر في الخبر به.

وقوله: ﴿ذلك﴾ يعني ما قدّم ذكره من العقاب ﴿جزاؤهم﴾ استحقّوه بكفرهم بآيات الله، وقوله: ﴿إذا كنّا عظاماً ورفاتاً﴾[(٢)] أي: مثل التراب[(٣)] متحطّمين مترضّضين[(٤)] ﴿أئنّا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾ وإنّما قالوا ذلك لإنكارهم الحشر والبعث يوم القيامة، والثواب والعقاب.

ثمّ قال: ﴿أوَ لَم يروا﴾ يعني: هؤلاء الكفّار ﴿أنّ الله الّذي خلق السماوات والأرض﴾ لأنّهم كانوا مقرّين بأنّ الله خالقهما ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ لأنّ القادر على الشيء قادر على أمثاله إذا كان له مثل وأمثال [في الجنس ﴿وجعل لهم أجلاً﴾ يعيشون إليه ويخترمون[(٥)] عنده، لا شكّ ﴿فيه﴾][(٦)] وقال الجُبّائي: ﴿وجعل الله لهم أجلاً﴾ لمعادهم وحشرهم، لا شكّ فيه.

ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿فأبى الظالمون﴾ لنفوسهم، الباخسون حقّها بفعل المعاصي ﴿إلّا﴾ كفراً[(٧)] وجحداً بآيات الله ونِعَمه.

وفي الآية دلالة على أنّ القادر على الشيء قادر على جنس مثله إذا كان له مثل، وفيه دلالة على أنّه يجب أن يكون قادرا على ضدّه، لأنّ منزلته في المقدور منزلة مثله، وفيه دلالة على أنّه يقدر على إعادته إذا

---

(١) في الحروفيّة وهامش الحجريّة: «جهّالاً».

(٢) في الحجريّة زيادة: «قال».

(٣) عبارة «أي مثل التراب» لم ترد في «س».

(٤) في «س»: «محطّمين مرضوضين».

(٥) أي يهلكون.

(٦) مابين المعقوفتين ساقط من «ح».

(٧) في «س» والحروفيّة « كفوراً».

كان ممّا يبقى وتصحّ عليه الإعادة.

قوله [تعالى]:

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا﴿١٠٠﴾﴾ آية بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قل﴾ لهؤلاء الكفّار ﴿لو﴾ أنّكم ملكتم ﴿خزائن رحمة ربّي﴾ يعني: ما يقدر عليه من النِعَم، قدرتم على مثله، لَما أنفقتموه في طاعة الله، وأمسكتموه خوفاً من الفقر، ثمّ أخبر بأنّ ﴿الإنسان﴾ كان ﴿قَتُوراً﴾ يعني: مضيّقاً سيّء الظنّ بالله، وبالخلف على الإنفاق، وهو جواب لقولهم: ﴿لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[1] فأعلمهم الله أنّهم لو ملكوا خزائن الله لأمسكوا بخلاً بها وشحّاً، خشية نفادها، يقال: نَفَقَت نَفَقات القوم إذا نَفَدت، وأنفقها صاحبها أي: أنفدها حتّى افتقر، وقال قَتادة: ﴿خشية الانفاق﴾ أي: خشية الفقر.

والمراد بالإنسان في الآية ـ في قول ابن عبّاس والحسن ـ : هو الكافر، و«القَتور»: المضيّق للنفقة، يقال: قَتَر يَقْتِرُ وأقتَرَ إذا قدر النفقة. و﴿أنتم﴾ مرفوع بفعل مضمر، والمعنى: قل لو تملكون أنتم، لأنّ «لو» يقع بها الشيء لوقوع غيره، فلا يليها إلّا الفعل، وإذا وليها اسم يعمل فيه الفعل المضمر، قال الشاعر:

لو غَيْرُكُم عِلَقَ الزُبَيْرُ بحَبْلِهِ   أدَّى الجَوارَ إلى بَني العَوَّامِ[2]

---

(١) الآية: ٩٠ المتقدّمة.

(٢) لجرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق، راجع ديوان جرير ٤: ٣٥١، ٤١٨ وفيه: «ورحله» بدل «بحبله»، وقد تقدّم الاستشهاد به في ٦: ٢٩٨.

و«القَتُور»: البخيل، في قول ابن عبّاس. قال أبو دُواد:

لا أعُـدُّ الإقْـتارَ عُـدْماً ولكِـن فَـقْدُ مَـن قَـد رُزِئْـتُهُ الإعـدامُ[١]

وظاهر قوله: ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ العموم، وقد علمنا أنّ في الناس الجواد، والوجه فيه أحد أمرين:

أحدهما: أنّ الأغلب عليهم من ليس بجواد، من مقتصد أو بخيل، فجاز إطلاقه تغليباً للأكثر. والثاني: أنّه لا أحد إلّا وهو يجرّ إلى نفسه نفعاً بما فيه ضرر على الغير، فهو بخيل بالإضافة إلى جود الله تعالى.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴿١٠٢﴾ آيتان بلا خلاف.

قرأ الكسائي وحده: ﴿لقد عَلِمْتُ﴾ بضمّ التاء، الباقون بفتحها[٢].

حجّة مَن فتح[٣] أن قال: إنّ فرعون وملأه ممّن تبعه قد علموا صحّة أمر موسى، وأنّ ما أتى به ليس بسحر بدلالة قوله: ﴿لئن كشفتَ عنّا الرجز لنؤمننّ لك﴾[٤] وقوله: ﴿فلمّا جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحرمبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعُلُوّاً﴾[٥] وقولهم: ﴿يا أيّهاالساحرادعُلنا ربَّك﴾[٦].

ومن قرأ بضمّ التاء [فمن علم موسى.][٧]

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية. (٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٢. (٣) أي فتح التاء من «علمت».

(٤) الأعراف: ١٣٤. (٥) النمل: ١٣ و ١٤. (٦) الزخرف: ٤٩.

(٧) كذا في الحروفيّة، وفي «س» العبارة هكذا: «ومن ضمّ فلقول موسى» ولم يَرد ما بين المعقوفتين في سائر النسخ، ومحلّه أيضاً بياض في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٢، والظاهر أنّ المطلب مقتبس من هناك.

متى قيل[1] له: كيف يصحّ الاحتجاج عليهم بعلمه، وعلمه لا يكون حجّة على فرعون وملَئِه، وإنّما يكون علم فرعون ما علمه من صحّة أمر موسى حجّة عليه؟!

نقول: إنّه لمّا قيل له: ﴿إن رسولكم الّذي أُرسل إليكم لمجنون﴾[2] كان ذلك قدحاً في علمه، لأنّ المجنون لا يعلم، فكأنّه نفى ذلك، فقال: لقد علمتَ صحّة ما أتيتُ به، وأنّه ليس بسحر، علماً صحيحاً كعلم العقلاء، فصارت الحجّة عليه من هذا الوجه. ورويت هذه القراءة عن أمير المؤمنين عليه السلام[3].

يقول الله تعالى مخبراً عمّا أعطى موسى من الآيات، وذكر أنّها ﴿تسع آيات﴾ معجزات بيّنات ظاهرات دالّات على صحّة نبوّته، واختلفوا في هذه التسع، فقال ابن عبّاس والضحّاك: هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم، آيات مفصّلات. وقال محمّد بن كعب القُرَظي: هي الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم والبحر وعصاه والطمسة والحجر، والطمسة دعاء موسى وتأمين هارون[4] فقال الله تعالى: ﴿قد اجيبت دعوتكما﴾[5]. وفي رواية عِكْرِمة عن ابن عبّاس ومطر الورّاق: الطوفان[6] والجراد والقمّل والضفادع والدم

(١) في «س» والحروفيّة: «فإن قيل» وفي الحجّة: «فإن قلت». (٢) الشعراء: ٢٧.
(٣) تفسير الطبري ذيل الآية، والنصّ بطوله مقتبس من الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٣ (بتصرّف).
(٤) العبارة في «س» هكذا: «وقال محمّد بن كعب القرظي: هي الطوفان والقمل والضفادع والدم والبحر والعصا والجراد والحجر والطمسة، وهي دعاء موسى وتأمين هارون عليهما السلام».
(٥) يونس: ٨٩.
(٦) العبارة في «س» هكذا: «قال عكرمة في رواية ابن عبّاس ومطر الورّاق هي: الطوفان...».

والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات. وبه قال الشعبي ومجاهد، وقال الحسن مثل ذلك، غير أنّه جعل الأخذ بالسنين ونقص الثمرات آية واحدة، وجعل التاسعة: تلقّف العصا ما يأفكون.

وقال صفوان بن عَسّال: سأل يهودي رسول الله صلى الله عليه وآله عن التسع آيات، فقال: «هنّ: لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تَزْنوا، ولا تقتلوا النفس الّتي حرّمها الله إلّا بالحقّ، ولا تمشوا ببريءٍ إلى السلطان يقتله، ولا تَسْحَروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المُحْصَنة، ولا تولّوْا الفرار يوم الزَحْف، وعليكم خاصّةً يا يهود: أن لا تعتدوا في السبت» فقبّل يده وقال: أشهد أنّك نبيُّ الله[١].

وقوله: ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يسأل بني إسرائيل ﴿إذ جاءهم موسى﴾ وقال الحسن: عن ابن عبّاس قال: معناه: سؤالك إيّاهم، نظرك في القرآن. وروي عن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ: ﴿فسأل بني إسرائيل﴾ بمعنى: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه[٢].

وقوله: ﴿فقال له فرعون﴾ حكاية عمّا قال فرعون لموسى ﴿إنّي لأظنّك يا موسى مسحوراً﴾ أي: معطىً علم السحر بهذه العجائب الّتي تفعلها من سحرك، وقد يجوز أن يكون المراد: ﴿إنّي لأظنّك يا موسى﴾ ساحراً، فوضع «مفعول» موضع «فاعل»، مثل: «مشؤوم» و«ميمون» موضع «شائم» و«يامن» وقيل: معناه: أنّك سُحِرْت، فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر[٣]

(١) أورده الطبري ذيل الآية والماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٧٧.

(٢) تفسير الطبري ذيل الآية، النكت والعيون ٣: ص ٢٧٧.

(٣) في الحجرية: «على ما يقوله السحر».

الّذي بك[١]. وقيل: «مسحور» بمعنى: مخدوع[٢].

وقوله: ﴿قال لقد عَلِمْتَ﴾ حكاية عمّا أجاب به موسى فرعون، فإنّه[٣] قال له[٤]: لقد علمت يا فرعون أنّ ما جئتُ به ليس بسحرٍ، وإنّي صادق. ومن قرأ بضمّ التاء معناه: أنّه لمّا قال له فرعون: ﴿إنّي لأظنّك يا موسى مسحوراً﴾ قال له موسى: ﴿لقد عَلِمْتُ﴾ أنّي لست كذلك، وأنّه ما أنزل هذه الآيات ﴿إلّا رب السماوات والأرض﴾ الّذي خلقهنّ وجعلهنّ والأرضين ﴿بصائر﴾ أي: حُجَجاً واضحة، واحدها: بَصيرة ﴿وإنّي لأظنّك يا فرعون مثبوراً﴾ أي: ملعوناً ممنوعاً من الخير، تقول العرب: ما ثَبَرَك عن هذا الأمر، أي: ما منعك منه، وما صرفك عنه؟ وثَبَرَه الله فهو يَثْبُرُهُ ويُثَبِّرُهُ لغتان، ورجل مَثْبور: مَحْبوس عن الخيرات، قال الشاعر:

إذ أجاري الشيطانَ في سَنَنِ الغـ ... ـيِّ فمَن مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ[٥]

وهو قول ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر، وقال قوم: معناه: مغلوباً[٦] روي ذلك عن ابن عبّاس في رواية أُخرى[٧] وبه قال الضحّاك. وقال مجاهد: هالكاً، وبه قال قَتادة. وقال عطيّة معناه: مغيّراً مبدّلاً. وقال ابن زيد: معناه: مخبولاً لا عقل له.

قوله [تعالى]:

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ آية واحدة بلا خلاف.

---

(١) انظر: النكت والعيون ٣: ٢٧٨.
(٢) قاله ابن عبّاس كما في زاد المسير ٥: ٦٨.
(٣) في «ح»: «كأنه».
(٤) كلمة «له» من «م» فقط.
(٥) أنشده أبوعبيد في مجاز القرآن ١: ٣٩٢، ونسبه إلى ابن الزبعرى.
(٦) قاله مقاتل كما في النكت والعيون ٣: ٢٧٨.
(٧) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

قوله: ﴿فأراد﴾ يعني: فرعون ﴿أن﴾ يستفزّ موسى[١] وبني إسرائيل ﴿من الأرض﴾ أي: يخرجهم منها بالنفي والقتل والإزعاج كرهاً، من أرض مصر، وأصله: القطع بشدّة، فَزَّزَ الثوب: إذا قطعه بشدّة تخريق.

فأخبر الله تعالى: أنّا أغرقناه عند ذلك في البحر ﴿ومن معه﴾ من جنده وأتباعه، ونجّينا بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ﴿وقلنا﴾ لهم من بعد هلاك فرعون ﴿اسكنوا الأرض﴾ يعني: أرض الشام ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني: يوم القيامة، وهي الكرّة الآخرة ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ أي: حشرناكم إلى أرض القيامة مختلطين من كلّ قوم ومن كلّ قبيلة، قد التفّ بعضهم على بعضٍ، لا يتعارفون، ولا ينحاز منهم أحد[٢] إلى قبيلته، ومن ذلك قولهم: لَفَفْتُ الجيوش إذا ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع، وكلِّ شيء اختلط بشيءٍ فقد لفَّ به، وقال مجاهد: معناه: جئنا بكم من كلّ قوم[٣]. وقال قَتادة: جئنا بكم أجمع، أوّلكم وآخركم، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد في روايةٍ والضحّاك. و«لفيف» مصدر، تقول: لَففتُه لَفّاً ولَفِيفاً، فلذلك أخبر به عن الجميع، و﴿لفيفاً﴾ نصب على الحال.

قوله [تعالى]:

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ آيتان بلا خلاف.

قوله: ﴿وبالحقّ أنزلناه﴾ يعني: القرآن أنزله الله يأمر فيه بالعدل وبالإنصاف، والأخلاق الجميلة والأُمور الحسنة الحميدة، وينهى فيه عن

---

(١) في «س» والحروفيّة: «يستفرهم، أي موسى».

(٢) في «س»: «أحد منكم» وفي الحجريّة: «منهم أحد».

(٣) في تفسير الطبري ذيل الآية عن ابن أبي رَزين: «جئنا بكم لفيفاً، قال: من كلّ قوم».

الظلم وأنواع القبائح والأخلاق الذميمة ﴿وبالحقّ نَزَل﴾ معناه: بما ذكرناه من فنون الحقّ نزل القرآن من عند الله على نبيّهﷺ. وقال البلخي: يجوز أن يكون أراد موسى، ويكون ذلك كقوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾(١) ويجوز أن يكون أراد الآيات فكنّى عنها بالهاء وحدها، دون الهاء والألف، ويريد: أنزلنا ذلك، كما قال أبو عبيدة قال: أنشدني رُؤْبَة:

فيهِ خُطُوطٌ من سَوادٍ وبَلَقْ   كأنّه في العَيْن تَوليع البَهَق

فقلت له: إن أردت الخطوط فقل: «كأنّها» وإن أردت السواد والبياض فقل: «كأنّهما» قال: فقال لي: كأنّ ذلك وتلك(٢).

ثمّ قال: ﴿وما أرسلناك﴾ يا محمّد ﴿إلّا مبشّراً﴾ للمطيعين بالجنّة ﴿ونذيراً﴾ أي: مخوّفاً للعُصاة من النار.

وقوله: ﴿وقرآنا فَرَقْناه﴾ قرأه أهل الأمصار بالتخفيف، وحُكِي عن ابن عبّاس بتشديد الراء، بمعنى: نزّلنا شيئاً بعد شيء، آيةً بعد آية، وقصّةً بعد قصّة. ومعنى ﴿فَرَقناه﴾: فصّلنا فيه الحلال والحرام، وميّزنا بينهما، وهو قول ابن عبّاس. وقال أُبيّ بن كعب معناه: بيّنّاه. وقال الحسن وقَتادة: فرّق الله فيه بين الحقّ والباطل. ومَن قرأبالتشديد، قال ابن عبّاس وقَتادة وابن زيد: إنّ معناه: أُنزل متفرّقاً لم ينزل جميعاً، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة.

ونصب ﴿قرآناً﴾ على معنى: وأحكمنا قرآناً ﴿فرقناه﴾ أو: آتيناك قرآناً. وقال بعضهم: نُصب بمعنى: «ورحمةً» كأنّه قال: وما أرسلناك إلّا

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) مجاز القرآن ٤٤، وفيه: «في الجلد»، أعاده في ج ٢ ص ١٢٣ وأنشده ابن منظور في لسان العرب مادّة «بهق».

مبشّراً ونذيراً ورحمةً، قال: لأنّ القرآن رحمة[١].

وقوله: ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ معناه: على تؤدة، فترتّله وتبيّنه، ولا تعجل في تلاوته فلا يُفْهَم عنك، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وابن زيد. ويقال في «المكث» لغات: «مُكْث» بضمّ الميم وعليه القُرّاء[٢] وبفتح الميم وسكون الكاف، وبفتح الميم وكسر الكاف، وحُكي «مُكَّيْثَى» مقصور و«مكثاناً» ممدود[٣].

وقوله ﴿ونزّلناه تنزيلاً﴾ أي: أنزلناه شيئاً بعد شيء، وهو قول الحسن وقَتادة. وقوله: ﴿ونزّلناه تنزيلاً﴾ يدلّ على أنّ القرآن محدث، لأنّ القديم لا يجوز وصفه بالمنزَل والتنزيل، لأنّ ذلك من صفات المحدثين.

وقيل في معنى ﴿على مكث﴾ أنّه كان ينزل منه شيء، ثمّ يمكثون ما شاء الله، وينزل شيء آخر[٤].

قوله [تعالى]:

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَاتُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ ثلاث آيات في الكوفي خاصّةً، تمام الأُولى ﴿سُجّداً﴾ وآيتان فيما سوى ذلك.

يقول الله تعالى لنبيّه: ﴿قل﴾ لهؤلاء الّذين اقترحوا عليك الآيات

---

(١) منهم الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٣٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ذيل الآية، هذا وقد وردت الكلمة في الحجريّة «الفراء» ولكن لم يتعرّض الفراء لهذه الكلمة في معاني القرآن.

(٣) كذا في المخطوطة، وفي المطبوعة وردت العبارة هكذا: «وحكي مكثي مقصور، ومكاثاء ممدود».

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٧٩.

وقالوا: ﴿لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[١] على وجه التبكيت لهم في عدولهم عن عظيم مننه وكفرهم به، وأنّه لا يستضرّ بترك إيمانهم، لأنّ عيبه راجع عليهم ﴿آمنوا﴾ بهذا القرآن الّذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله وتعاونوا عليه لما قدروا عليه ﴿أو لا تؤمنوا﴾ وتجحدوه، فإنّ إيمانكم لن يزيد في خزائن الله شيئاً، ولا ترككم الإيمان به ينقص ذلك، وإن تكفروا به فإنّ ﴿الّذين أوتوا العلم﴾ بالله وآياته ﴿من﴾ قبل نزوله من مؤمني أهل الكتاب، وهم الّذين أسلموا و﴿إذا يتلى عليهم﴾ من القرآن ﴿يخرّون﴾ تعظيماً له وتكريماً، لعلمهم بأنّه من عند الله، لأذقانهم ﴿سُجّداً﴾ بالأرض.

واختلفوا في المعنيّ بقوله: ﴿يخرّون للأذقان﴾ فقال بعضهم: أراد به الوجوه، روي ذلك عن ابن عبّاس وقَتادة. وقال قوم: يعني بذلك اللِحى، حُكِي ذلك عن الحسن[٢].

وقوله: ﴿ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولاً﴾ حكاية من الله عن هؤلاء الّذين أُوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن خرّوا للأذقان سجوداً عند سماعهم القرآن يُتلى عليهم، تنزيهاً لله تعالى، وتبرئةً له ممّا يضيف إليه المشركون، ويقولون: لم يكن وعد ربّنا من ثواب وعقاب إلّا مفعولاً حقّاً يقيناً، إيماناً بالقرآن وتصديقاً له.

و«الأذقان» جمع «ذقن» وهو مجمع اللحيين، وقال مجاهد و ابن زيد: ﴿الّذين أوتوا العلم من قبله﴾ إلى قوله: ﴿خشوعاً﴾ ناس من أهل الكتاب حيث سمعوا ما أنزل الله على محمّد ﴿قالوا سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا

(١) الإسراء: ٩٠. (٢) تفسير الطبري ذيل الآية، النكت والعيون ٣: ٢٨٠.

لمفعولاً﴾ وقال ابن جُرَيْج: إذا يُتلى عليهم كتابهم وقال قوم: ﴿الّذين أوتوا العلم﴾ يعني به محمّد صلى الله عليه وآله والمؤمنين، ويُراد بقوله: ﴿إذا يتلى عليهم﴾ يعني: القرآن، لأنّه من سياق ذكر القرآن، ولم يجرِ قبله لغيره من الكتب ذكر. وهو الأقوى، لأنّ الآية فيها مدح لمن وصف بما فيها، وذلك لا يليق بالكفّار، إلّا أن يراد بذلك من آمن منهم وكان عالماً قبل ذلك بصحّة القرآن إذا أنزل الله على محمّد صلى الله عليه وآله بما علموه من التوراة والإنجيل، ويحتمل ذلك إذاً على ما بيّنّاه.

وقوله: ﴿ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ يقول الله: يخرّ هؤلاء الّذين أُوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان إذا يتلى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعِبَر ﴿خشوعاً﴾ يعني: خضوعاً لأمر الله وطاعته، واستكانةً له.

قوله [تعالى]:

قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

آيتان بلا خلاف.

هذا أمر من الله تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: أن ﴿قل﴾ يا محمّد لمشركي قومك المنكرين لنبوّتك، الجاحدين لدعائك وتسميتك الله تعالى بالرحمن: ﴿ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ أيّها القوم ﴿أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ معناه: بأيّ أسمائه تعالى تدعون ربّكم به، وإنّما تدعون واحداً، فله الأسماء الحسنى. وإنّما أمره بذلك لأنّ مشركي قومه لمّا سمعوا النبيّ صلى الله عليه وآله يدعو الله تارة بأنّه الله وتارة بأنّه الرحمن، فظنّوا أنّه يدعو إلهين حتّى قال

بعضهم: الرحمن رجل باليمامة، فأنزل الله هذه الآية احتجاجاً لنبيّه ﷺ بذلك، وأنّه شيء واحد وإن اختلفت أسماؤه وصفاته، وبه قال ابن عبّاس ومكحول ومجاهد وغيرهم.

و«ما» في قوله: ﴿أيّاً ما﴾ يحتمل أن يكون صلة، كقوله: ﴿عمّا قليلٍ ليصبحنَّ نادمينَ﴾[١] ويحتمل أن يكون بمعنى: «أيّ» كرّرت لاختلاف لفظها، كما قالوا: ما رأينا كالليلة ليلة.

وقوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ نهي من الله تعالى عن الجهر العظيم في حال الصلاة، وعن المخافتة الشديدة، وأمر بأن يتّخذ بين ذلك سبيلاً. وحدّ أصحابه الجهر فيما يجب الجهر فيه بأن يُسمع غيره، والمخافتة بأن يسمع نفسه.

واختلفوا في الصلاة الّتي عُني بها بالآية في قوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ فقال الحسن: لا تجهر بإشاعتها عند من يؤذيك، ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك.

وقال قوم: لا تجهر بدعائك ولا تخافت، ولكن بين ذلك، قالوا: والمراد بالصلاة الدعاء، ذهبت إليه عائشة وابن عبّاس وأبو عياض وعطاء ومجاهد وسعيد بن جُبَيْر وعبد الله بن شدّاد والزُبَيْر ومكحول.

وروي عن ابن عبّاس في رواية أخرى: أنّ النبيّ كان إذا صلّى يجهر في صلاته، فسمعه المشركون فشتموه وآذوه وآذوا أصحابه، فأمر الله بترك الجهر، وكان ذلك بمكّة في أوّل الأمر، وبه قال سعيد بن جُبَيْر.

وقال قوم: أراد لا تجهر بتشهّدك في الصلاة ولا تخافت به، روي ذلك

---

(١) المؤمنون: ٤٠.

عن عائشة في رواية أُخرى، وبه قال ابن سيرين.

وقال قوم: كان النبيّﷺ يصلّي بمكّة جهراً فأُمر بإخفاتها. ذهب إليه عِكْرِمة والحسن البصري.

وقال قوم: معناه: ﴿لا تجهر بصلاتك﴾ تحسنها مراءاةً في العلانية ﴿ولا تخافت بها﴾ تُسيء في القيام بها في السريرة، روي ذلك عن الحسن وقَتادة وابن عبّاس في رواية، وبه قال ابن زيد وابن وهب.

وقال الطبري: يحتمل أن يكون المراد: ﴿لا تجهر بصلاتك﴾ صلاة النهار العجماء ﴿ولا تخافت بها﴾ يعني: صلاة الليل الّتي تجهر فيها بالقراءة، قال: وهذا محتمل، غير أنّه لم يقل به أحد من أهل التأويل.

ثمّ قال لنبيّهﷺ: ﴿قل﴾ يا محمّد ﴿الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً﴾ فيكون مربوباً لا ربّاً، لأنّ ربّ الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد ﴿ولم يكن له شريك﴾ في ملكه، فيكون عاجزاً محتاجاً إلى غيره ليعينه فيكون ضعيفاً، ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة ﴿ولم يكن له ولي من الذلّ﴾ معناه: لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه، لأنّ ذلك صفة ضعيف عاجز، ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة، ثمّ أمره بأن يعظّمه تعظيماً لا يساويه تعظيم، ولا يقاربه لعلوّ منزلته. وروي(١) عن النبيّﷺ أنّه كان يعلّم أهله هذه الآية. وما قلناه هو قول مجاهد وسعيد بن جُبَيْر وابن عبّاس.

وقال [محمّد بن كعب] القُرَظي: في هذه الآية ردّ على اليهود والنصارى حين قالوا: اتّخذ الله الولد! وعلى مشركي العرب حيث قالوا:

---

(١) رواه الطبري ذيل الآية: موقوفاً.

لبّيك اللّهمّ لبّيك لبّيك لا شريك لك إلّا شريك هو لك! وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا: لولا أولياء الله لذلّ الله! فأنزل الله ردّاً لقولهم أجمعين.

وليس لأحدٍ أن يقول: كيف يحمد الله على أن لم يتّخذ ولداً، ولم يكن له شريك، والحمد إنّما يستحقّ على فعلٍ له صفة التفضيل، وذلك أنّ الحمد في الآية ليس هو على أن لم يفعل ذلك، وإنّما حمد على أفعاله المحمودة، ووجّه إلى من هذه صفته، لا من أجل أنّ ذلك صفته، كما تقول: أنا أشكر فلاناً الطويل الجميل، ليس أنّك تشكره على جماله وطوله، بل على غير ذلك من فعله.

ومعنى ﴿وكبّره تكبيراً﴾ صِفْه بصفاته الّتي لايشركه فيها أحد. وقيل: كبّره عن كلّ ما لا يليق وصفه به.

سورة الكهف

قال مجاهد وقَتادة: هي مكّية، وهي مائة وعشر آيات في الكوفي، وإحدى عشرة في البصري، وخمس في المدنيّين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر «لدْنِه» بإسكان الدال وإشمام الضمّة وكسر النون والهاء وإيصالها بياء، الباقون بضمّ الدال وسكون النون وضمّ الهاء من غير واو، إلّا ابن كثير فإنّه كان يصل الهاء بواو.

واعلم أن «لدن» اسم غير متمكّن، ومعناه: «عند» قال الله تعالى: ﴿من لدن حكيم خبير﴾[1] فالنون ساكنة في كلّ أحواله، والهاء إذا أتت بعد حرف ساكن لم يجز فيها إلّا الضمّ، نحو: «منْهُ» فالأصل «منْهو» و «له» «لهْـو» فهو كقراءة[2] ابن كثير، غير أنّهم حذفوا الواو اختصاراً. وإنّما أسكن أبوبكر

---

(١) هود: ١.

(٢) في «س» والحجريّة: «كقول». بدل «كقراءة».

الدال استثقالاً للضمّ، كما قالوا «في كرم زيد»: قد كرم زيد، فلمّا أسكن الدال التقى ساكنان: النون والدال، فكسر النون لالتقاء الساكنَيْن، وكسر الهاء لمجاورة حرفٍ مكسورٍ ووصلها بها، كما تقول: مررت بِهِ، ولو فتح النون لالتقاء الساكنَيْن لجاز بعد أن أسكن الثاني، كقول الشاعر:

عَجَبْتُ لمولُودٍ وليسَ لَهُ أبٌ ومن ولدٍ لَمْ يَلْدَهُ أبَوانِ[١]

يعني: آدم وعيسى عليهما السلام فلا يتوهّم أنّ عاصماً كسر النون علامةً للجرّ، لأنّ «لدن» لا تعرب. وحكى أبو زيد: جئت فلاناً لَدَن غدوةً[٢] بفتح الدال.

يقول الله تعالى لخلقه: قولوا: ﴿الحمدلله الّذي﴾ خصّ برسالته محمّداً صلى الله عليه وآله وانتخبه لبلاغها عنه، وبعثه إلى خلقه نبيّاً رسولاً، و﴿أنزل﴾ عليه كتاباً قيّماً ﴿ولم يجعل له عِوَجاً﴾. وقيل في معنى قوله ﴿قيّماً﴾ قولان:

أحدهما: معتدلاً مستقيماً. الثاني: أنّه قيّم على سائر الكتب، يصدّقها ويحفظها. والأوّل قول ابن عبّاس. فعلى هذا ﴿قيّماً﴾ مؤخّر، والمراد به التقدّم، وتقديره: أنزل الكتاب قيّماً ﴿ولم يجعل له عِوَجاً﴾ أي: اختلافاً، وقال الضحّاك: معناه: مستقيماً. وقال ابن إسحاق: معناه: معتدلاً لااختلاف فيه. وقال قَتادة: أنزل الله الكتاب قيّماً، ولم يجعل له عِوَجاً. وفي بعض القراءات: «ولكن جعله قيّماً».

وكُسِرت العين من قوله: ﴿عِوَجاً﴾ لأنّ العرب تقول: «عِوَجاً» بكسر

---

(١) قال السيوطي: عن ابن يسعون: ان البيت لرجل من السراة وقيل: لعمرو الجيني وقوله: لم يلْدهُ، الأصل يَلِدْهُ، فسكن الأمر للضرورة، فالتقى ساكنان فحرّك الثاني بالفتح لانه أخف. انظر شرح شواهد المغني ١: ٣٩٩.

(٢) ان وقعت «لدن» قبل «غدوة» جاز جرّ «غدوة» بالإضافة، ونصبه على التمييز، ورفعه على تقدير: «لدن كانت غدوَةٌ».

العين في كلّ إعوجاج كان في دينٍ أو فيما لا يُرى شخصه قائماً و يُدرك عياناً منتصباً، كالعِوَج في الدين، ولذلك كُسِرت العين في هذا الموضع، وكذلك «العِوَج» في الطريق، لأنّه ليس بالشخص المنتصب. فأمّا ما كان في الأشخاص المنتصبة فإنّ عينها تُفتَح كالعَوَج في القناة والخشبة ونحوها.

وقال ابن عبّاس: معنى قوله: ﴿ولم يجعل له عِوَجاً﴾ أي: لم يجعله ملتبساً. ولا خلاف بين أهل العربيّة أنّ قوله: ﴿قيّماً﴾ وإن كان مؤخّراً فتقديره إلى جنب الكتاب.

وإنّما افتتح الله تعالى هذه السورة بذكر نفسه بما هو أهله، وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله، ليخبر به المشركين من أهل مكّة بأنّ محمّد صلى الله عليه وآله رسوله، لأنّ المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن أشياء لقّنوها إيّاهم اليهود من قُرَيْظَة والنَضير، وأمروهم أن يسألوه عنها، وقالوا: إن أخبركم بها فهو نبيّ، وإن لم يخبركم فهو متقوّل، فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله الجواب عنها موعداً فأبطأ - على قول بعضهم - الوحي عنه بعض الإبطاء وتأخّر مجيء جبرائيل عليه السلام عنه، عن ميعاده القوم، فتحدّث المشركون بأنّه أخلفهم موعده، وأنّه متقوّل، فأنزل الله هذه السورة جواباً عن مسائلهم، وافتتح أوّلها بذكره تكذيباً للمشركين فيما تحدّثوا بينهم من أُحدوثتهم، ذكر ذلك محمّد بن إسحاق بإسناده عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس.

وكان الّذين ذهبوا إلى اليهود وسألوهم عن أمر النبيّ صلى الله عليه وآله النَضْر بن الحارث بن كلْدَة، وعُقْبَة بن أبي معيط، وكانت المسائل الّتي لقّنوهم إيّاها: أن قالوا: سلوه عن ثلاثٍ فإن أخبركم بهنّ فهو نبيّ مرسل، وإن لم يفعل فإنّه متقوّل: سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأوّل ما كان أمرهم، فإنّه كان لهم حديث عجيب؟ وسلوه عن رجلٍ طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها،

ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنّه نبيّ مبعوث فاتّبعوه، وإن لم يخبركم فإنّه متقوّل، فرجعا إلى مكّة واجتمعا مع قريش، فجاءوا إلى رسول اللهﷺ فسألوه عنها، فقال النبيّﷺ: أُخبركم بذلك. وقال بعضهم: إنّه قال: أُخبركم به غداً بما سألتم، ولم يستثنِ، فانصرفوا عن النبيّﷺ فمكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيلعليه السلام حتّى أرجف أهل مكّة وتكلّموا في ذلك، فشقّ ذلك على رسول اللهﷺ فأنزل الله عليه جبرائيل ومعه سورة «الكهف» يخبره فيها عمّا سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطوّاف، وأنزل عليه ﴿ويسألونك عن الروح...﴾ الآية[١].

فروى ابن إسحاق: أن رسول اللهﷺ افتتح السورة فقال ﴿الحمدلله الّذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً قيّماً﴾ أي: معتدلاً، لا اختلاف فيه[٢].

وقوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً﴾ معناه: أنزل على عبده القرآن معتدلاً مستقيماً لا عِوَج فيه لينذركم أيّها الناس بأساً شديداً من أمر الله، ومعنى «البأس»: العذاب العاجل والنكال الحاضر والسطوة، ومعنى ﴿من لدنه﴾: من عند الله، وهو قول ابن إسحاق وقَتادة. ومفعول ﴿لينذر﴾ محذوف، لدلالة الكلام عليه، وتقديره: لينذركم بأساً كما قيل[٣]: ﴿يخوّف أولياءه﴾[٤] وتقديره: يخوّفكم أولياءه.

ومعنى ﴿ويبشّر المؤمنين﴾ يعني: المصدّقين بالله ورسوله ﴿الّذين

---

(١) الإسراء: ٨٥، ونقله الطبري ذيل الآية.
(٢) رواه الطبري ذيل الآية.
(٣) في «س» والحروفيّة: «قال» بدل «قيل».
(٤) آل عمران: ١٧٥.

يعملون الصالحات﴾ يعني: ما أمرهم الله به من الطاعات، وهي الأعمال الصالحات، والانتهاء عمّا نهاهم عنه ﴿أنّ لهم أجراً حسناً﴾ يعني: ثواباً جزيلاً من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا بالطاعات واجتناب المعاصي، وذلك الثواب هو الجنّة.

وقوله: ﴿ماكثين فيه أبداً﴾ أي: لابثين فيه أبداً، خالدين مؤبّدين، لا ينتقلون عنه ولا ينقلبون. ونصب ﴿ماكثين﴾ على الحال من قوله: ﴿أنّ لهم أجراً حسناً﴾ في هذه الحال، في حال مكثهم في ذلك الأجر.

قوله [تعالى]:

وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى: أنّه يحذّر أيضاً محمّدﷺ القومَ ﴿الّذين قالوا اتّخذ الله ولداً﴾ من مشركي قومه وغيرهم عقابَ الله وعاجل نقمته وآجل[1] عذابه على قولهم ذلك.

وقوله: ﴿ما لهم به من علم﴾ معناه: ما لقائل[2] هذا القول، يعني قولهم: ﴿اتّخذ الله ولداً﴾ به من علم يعني: ليس لهم بالله من علم، ومعنى الكلام: ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله [من علم] بأنّه لا يجوز أن يكون له ولد[3] فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك.

وقوله: ﴿ولا لآبائهم﴾ معناه: ولا لأسلافهم الّذين مضوا قبلهم على مثل الّذي هم عليه اليوم، ما كان لهم بالله وعظمته علم.

---

(١) في «س»: «وأليم». (٢) في «س» والحروفيّة: «لقائلي».

(٣) مابين المعقوفتين من «س» والحروفيّة، والعبارة في سائر النسخ هكذا «ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله وبأنّه لا يجوز أن يكون له ولد من علم».

وقوله: ﴿كَبُرَت كلمةً تخرج من أفواههم﴾ نصب ﴿كلمةً﴾ على التمييز، وتقديره: كبرت كلمتهم الّتي قالوها كلمةً، كما تقول: نِعْمَ رجلاً عمرو، ونِعْم الرجلُ رجلاً قام. وقال بعضهم: نصب ﴿كلمةً﴾ لأنّها في معنى: أكْبِرْ بها كلمةً(١) كقوله: ﴿وساءَتْ مرتَفَقاً﴾(٢) وهي في النصب كقول الشاعر:

ولَقَد عَلِمْتَ إذا الرياحُ تَروَّحَت ... هَدَجَ الرِئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمالا(٣)

أي: تكُبُّهُنَّ الرياحُ شمالاً، فكأنّه قال: كَبُرَتْ تلكَ الكلمةُ. ورُوي عن بعض المكّيين أنّه قرأ ذلك بالرفع(٤) كقولهم: كَبُرَ قَولُكَ، وكَبُرَ شأنُكَ، فعلى هذا لا يكون في قوله: ﴿كَبُرَت﴾ مضمر، بل يكون صفة الكلمة. والأوّل أقوى، لإجماع القُرّاء على النصب، وهذا شاذّ، وتأويل الكلام: عَظُمَت الكلمةُ كلمةً تخرج من أفواه هؤلاء القوم الّذين قالوا: اتّخذ الله ولداً! والملائكة بنات الله!

وقوله: ﴿إن يقولون إلّا كذباً﴾ معناه: ليس يقول هؤلاء القائلون ﴿اتّخذ الله ولداً﴾ إلّا كذبا وفريةً افتروها على الله عزّ وجلّ.

قوله [تعالى]:

فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه محمّدﷺ: ﴿فلعلّك﴾ يا محمّد قاتل ﴿نفسك﴾

---

(١) ذهب إليه الأخفش كما في معاني القرآن ٢: ٦١٦.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٤) رواه الطبري ذيل الآية، وفي البحر المحيط ٦: ٩٧ انّ من هؤلاء المكّيين: ابن يعمر وابن محيصن والقوّاس وابن كثير.

ومهلكها[١] ﴿على﴾ آثار قومك الذين قالوا لك: ﴿لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[٢] تمرّداً منهم على ربّهم ﴿إن﴾ هم ﴿لم يؤمنوا بهذا﴾ الكتاب الّذي أنزلته عليك، فيصدّقوا بأنّه من عند الله ـ حزناً وتلهّفاً ووَجْداً ـ بإدبارهم عنك، واعراضهم عن قبول ما أتيتهم به. و ﴿أسَفاً﴾ نصب على المصدر، يقال بَخَعَ نفسَهُ يَبْخَعُها بَخْعاً وبُخُوعاً، قال ذو الرمّة:

ألاَ أيُّهذا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُ لشيءٍ نَحَتْهُ عن يَديهِ المقادِرُ[٣]

يريد: «نحته» فخفّف. وما ذكرناه قول قَتادة وغيره. وقوله: «أسفاً» قال قَتادة: معناه غضباً، وتقديره: فلعلّك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً، يعني: غضباً. وقال مجاهد: معناه: جزعاً. وفي رواية أُخرى عن قَتادة: حزناً عليهم. وفي رواية أُخرى عن قَتادة حذراً. وكُسِرَت إن لأنّها في معنى الجزاء، ولو فُتِحت لجاز، قال الشاعر:

أتَجْزَعُ أن بانَ الخَليطُ المُوَدِّعُ وحَبلُ الصَفَا من عِزَّةَ المتَقَطِّعُ[٤]

وهذه معاتبة من الله لرسوله على وُجْده بمباعدة قومه إيّاه فيما دعاهم إليه من الإيمان به والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيماً، وهو قول ابن إسحاق.

وقوله: ﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينةً لها﴾ معناه: إنّا جعلنا الّذي على الأرض من أنواع المخلوقات: جمادها وحيوانها ونباتها ﴿زينة لها﴾ يعني: للأرض ﴿لنبلوهم﴾ أي: لنختبر عبادنا ﴿أيّهم أحسن عملاً﴾ يعني: من اتّبع أمرنا ونهينا، وعمل فيها بطاعتنا، وهو قول مجاهد.

---

(١) كذا في «س» والحروفيّة: وفي سائر النسخ: «فتهلكها». (٢) الإسراء: ٩٠.

(٣) من قصيدة يصف فيها إبلاً له، راجع ديوان ذي الرُّمة: ٣٦١، وفيه: «يديك» بدل «يديه».

(٤) أنشده الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٣٤، ولم ينسبه لأحد...

قوله تعالى: ﴿وإنّا لجاعلون ما عليها صَعيداً جُرُزاً﴾ فيه إخبار من الله تعالى أنّا مخرّبوها بعد عمارتنا إيّاها بما جعلنا عليها من الزينة فنصيّرها صعيداً جُرُزاً، و«الصعيد»: ظهر الأرض، و«الجُرُز» الّذي لا نبات عليه ولا زرع ولا غرس، وقيل: إنّه أراد بالصعيد هاهنا المستوي بوجه[١] الأرض. وقال ابن عبّاس: معناه يهلك كلّ شيء عليها زينة[٢]. وقال مجاهد: ﴿جُرُزاً﴾ أي: بَلْقَعاً. وقال قَتادة: هو ما لا شجر فيه ولا نبات. وقال ابن زيد «الجُرُز»: الأرض الّتي ليس فيها شيء، بدلالة قوله: ﴿أو لم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زَرْعاً﴾[٣] يعني: الأرض الّتي ليس فيها شيء من النبات، والصعيد: المستوي، قال: [و] هو كقوله تعالى: ﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمْتاً﴾[٤]. قال سيبويه: يُقال جَرِزَتْ الأرضُ فهي مجرُوزَة وجَرَزَها الجَرادُ والنعم، وأرضون أجْراز: إذا كان لا شيء فيها. ويقال للسنة المُجْدِبَة جُرُز، وسُنُون أجْراز لجدوبها ويبسها وقلّة أمطارها، قال الراجز:

قد جَرَفَتْهُنَّ السُنُونُ الأجْرازْ[٥]

ويقال: أجْرَزَ القومُ إذا صارت ارضهم جُرُزاً، وجَرَزُوْا هم أرضهم: إذا أكلوا نباتها كلّه.

قوله [تعالى]:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى

---

(١) في «س» والحروفيّة: «من وجه» بدل «بوجه».

(٢) كذا في النسخ، وفي الطبري: «ويبيد» بدل «زينة»، انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) السجدة: ٢٧. (٤) طه: ١٠٧. (٥) أنشده الطبري ذيل الآية من دون نسبة.

ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾

آيتان بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله: ﴿أم حسبت﴾ يا محمّد، والمراد به أُمّته، أي: أحسبت ﴿أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ بل ما خلقت من السماوات والأرض وما بينهنّ من العجائب أعجب من أصحاب الكهف، وحجّتي بذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك وغيرهم من جميع عبادي، وهو قول مجاهد وقَتادة وابن إسحاق. وقال قوم: معناه: أم حسبت يا محمّد أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، فإنّ الّذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه، وهو قول ابن عبّاس. وقال الجُبائي: المعنى: أحسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، ولو لم نُعلمك ذلك لَما علمته. والأوّل أشبه، لأنّ الله تعالى جعل انزال سورة الكهف احتجاجاً على الكفّار بما واطأهم عليه اليهود.

والمراد بالكهف في الآية: كهف الجبل الّذي آوى إليه القوم الّذين قصّ الله شأنهم وذكر أخبارهم في هذه السورة، واختلفوا في معنى ﴿الرقيم﴾.

فقال قوم: هو اسم قريةٍ، ذهب إليه ابن عبّاس. وفى رواية أُخرى عنه: أنّه وادٍ بين عسفان، وايلة، دون فلسطين، وهو قريب من أيلة. وقال عطيّة: ﴿الرقيم﴾ وادٍ. وقال قَتادة: ﴿الرقيم﴾ اسم الوادي الّذي فيه أصحاب الكهف.

وقال مجاهد ﴿الرقيم﴾ كتاب تبيانهم. وفي روايةٍ أيضاً عن ابن عبّاس: أن ﴿الرقيم﴾ هو الكتاب.

وقال سعيد بن جُبَيْر: هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثمّ وضعوه على باب الكهف، وهو اختيار البلخي والجُبّائي وجماعة. وقيل: جُعل ذلك اللوح في خزائن الملوك، لأنّه من عجائب

الأُمور. وقيل: بل جُعل على باب كهفهم.

وقال ابن زيد: ﴿الرقيم﴾ كتاب، ولذلك الكتاب خبر، فلم يخبر الله عن ذلك الكتاب وما فيه، وقرأ قوله: ﴿وما أدراك ما علّيّون كتاب مرقوم يشهده المقرّبون﴾[1].

وقال قوم: هو اسم جبل أصحاب الكهف، وروي ذلك عن ابن عبّاس. وقيل: إنّ اسم ذلك الجبل «بنجلوس». وقيل: «بَناجلوس». وقد روي عن ابن عبّاس أنّه قال: كلّ القرآن أعلمه إلّا «حَنَان» و«الأوّاه» و «الرقيم».

واختار الطبري أن يكون ذلك اسماً للكتاب، أو لوحٍ أو حجرٍ كُتب فيه، و«الرقيم» فعيل، أصله: «مرقوم» صُرف إلى «فعيل» مثل: «جريح» بمعنى «مجروح» و«قتيل» بمعنى «مقتول» يقال: رَقَمْت الكتاب أرقُمُه إذا كتبته، ومنه: الرقم في الثوب، لأنّه خطّ يعرف به ثمنه، وقيل للحيّة «أرْقَم» لما فيها من الآثار، وتقول العرب: «عليك بالرَقم ودع الضفَّةَ» بمعنى: عليك برَقْمة الوادي حيث الماء مودع، ودع الضَفَّة أي: الجانب، والضَفَّتان: جانبا الوادي، ولعلّ من ذهب إلى أنّ ﴿الرقيم﴾ الوادي ذهب إلى رَقْمة الوادي.

وقوله: ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ معناه: أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً حين ﴿أوى الفتية﴾ أي: حين جاء أصحاب الكهف إلى كهف الجبل هرباً بدينهم إلى الله، قالوا إذ أوَوْه: ﴿ربّنا آتِنا من لدنك رحمةً﴾ رغبةً منهم إلى ربّهم في أن يرزقهم من عنده رحمة. وقوله: ﴿وهيّىء لنا من أمرنا رشداً﴾ معناه: أنّهم قالوا: يسِّر لنا ما نبتغي ونلتمس من رضاك، أي: دلّنا على ما فيه نجاتنا، والهرب من الكفر بك ومن عبادة

---

(١) المطفّفين: ١٩ ـ ٢١، ونقل هذا القول الطبري ذيل الآية.

الأوثان الّتي يدعونا إليها قومنا ﴿رشداً﴾ أي: رشداً إلى العمل الّذي تحبّ.

وقيل: إنّ هؤلاء الفتية كانوا مسلمين على دين عيسى عليه السلام وكان ملكهم يعبد الأصنام، فهربوا بدينهم منه. وقال آخرون: هربوا من الملك بجنايةٍ اتُّهموا بها فدخلوا الكهف.

ويجوز «رُشْداً» بضمّ الراء وتسكين الشين، غير أنّه لم يقرأ به هاهنا أحد، لأنّ أواخر الآيات كلّها على وزن «فَعَلَ» فلم يخالفوا بينها.

قوله [تعالى]:

فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ آيتان.

يقول الله تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف﴾ يعني: بالنوم، أي: ألقينا عليهم النوم، كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالج، بمعنى: أبلاك الله به، وقيل: منعناهم أن يسمعوا[١] والمعنى: أنمناهم.

وقوله: ﴿سنين عدداً﴾ معناه: سنين معدودة، ونصب ﴿سنين﴾ على الظرف بقوله: ﴿فضربنا﴾. و﴿عدداً﴾ بمعنى: معدود، و«العدّ» المصدر، ومثله: نقضت الشيء نَقْضاً، والمنقوض: نقض، وكذلك قبضته قبضاً، والمقبوض: قبض.

وقوله: ﴿ثمّ بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أَمَداً﴾ معناه: بعثنا هؤلاء الفتية الّذين أووا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عدداً من رقدتهم، لينظر عبادي فيعلموا بالبعث أيّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مكث الفتية في كهفهم رقودا ﴿أحصى لما لبثوا﴾ بمعنى أصْوَب

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٢٧١.

لقدر لبثهم فيه أمداً، و«الأمد»: الغاية، قال النابغة:

أَلَا لِـمِثْلِكَ أو مَـنْ أنتَ سابقُهُ ... سَبْقَ الجوادِ إذا ٱستولىٰ على الأَمَدِ[1]

وقال قوم: الحزبان جميعاً كانا كافرين. وقال آخرون: كان أحدهما مسلماً والآخر كافراً، فالأوّل قول مجاهد، وقال: الحزبان من قوم الفتية. وقال قَتادة: أحدهما كان كافراً، والآخر [كان] مؤمناً، ولم يكن لواحد منهما علم بمقدار زمان لبثهم. وقال قوم: الحزبان هم أصحاب الكهف، اختلفوا في مدّة لبثهم. وقال قوم: أحد الحزبَيْن أصحاب الكهف، والآخر أصحابهم وقومهم.

ومعنى ﴿أمداً﴾ قال ابن عبّاس: يعني: بعيداً. وقال مجاهد: يعني: عدداً. ويحتمل نصب ﴿أمداً﴾ وجهَين:

أحدهما: التمييز في قوله: ﴿أحصى﴾ كأنّه قال: أيّ الحزبَينْ أصْوَب عدداً.

والثاني: أن يكون نصباً بوقوع قوله: ﴿لبثوا﴾ عليه، كأنّه قال: أيّ الحزبَيْن أحصى للبثهم غايةً، أي: في الأمد. و«الفِتْية» جمع «فتى» مثل: صَبي وصِبْية، وغلام وغِلْمة.

قوله [تعالى]:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ثلاث

(١) من قصيدة بمدح بها النابغة الذبياني الملك النعمان، راجع ديوانه: ٢٥.

آيات بلا خلاف[١].

يقول الله تعالى: إنّا نخبرك يا محمّد و﴿نقصّ عليك﴾ خبر هؤلاء الفتية الّذين آوَوْا إلى الكهف على وجه الصحّة، و«القصص»: الخبر بمعاني يتلو بعضها بعضاً، وأصله: «الاتّباع» من قولهم: قَصَّ أثرَه يقصّ[٢] قَصَصاً إذا اتّبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿وقالت لأُخته قُصِّيه﴾[٣] أي: اتّبعي أثره، و«النبأ»: الخبر، و«فِتية» جمع «فتى» وهو جمع لا يُقاس عليه لأنّه غير مطّرد، وقد جاء: غُلام وغِلْمة، وصَبي وصِبْية، ولا يجوز: غُراب وغِرْبة.

ثمّ أخبر عنهم بأنّهم ﴿فِتية آمنوا بربّهم﴾ واعترفوا بتوحيده ﴿وزدناهم هدىً﴾ والمعنى: وزدناهم المعارف بما فعلنا لهم من الألطاف فيها من الآيات الّتي رأوها، ومن الربط على قلوبهم حتّى تمسّكوا بها.

وقوله: ﴿إذ قاموا فقالوا﴾ معناه: حين قاموا بحضرة الملك الجبّار فقالوا هذا القول الّذي أفصحوا فيه عن الحقّ في الديانة ولم يستعملوا التقيّة، فقالوا: ربّنا الّذي نعبده هو الّذي خلق السماوات والأرض، لن ندعوا من دونه إلهاً آخر فنوجّه العبادة إليه، ومتى قلنا غير ذلك ودعونا معه إلهاً آخر ﴿لقد قلنا إذاً شططاً﴾ و«الشطط»: الخروج عن الحدّ بالغلوّ فيه «فقلنا شططاً» أي: غلوّاً في الكذب والبطلان، قال الشاعر:

أَلاَ يالقِومي قَد أَشَطَّتْ عَواذِلي ... وَيزْعُمْنَ أن أودىٰ بِحَقِّي باطِلي
وَيَلْحَيْنَنَي في اللَّهوِ ألاَّ أُحِبَّهُ ... وَلِلَّهوِ داعٍ دائِبٌ غَيرُ غافِلِ[٤]

---

(١) في «س» والحروفيّة، وردت العبارة هكذا: «ثلاث آيات في عدد الكلّ ـ إلّا الشامي ـ آخر الأُولى: «هدى» عندهم وعند الشامي: «شططاً».

(٢) في «ش» والحروفيّة: «يقصّه».

(٣) القصص: ١١.

(٤) أنشده المبرّد في الكامل ١: ١٠٩ ونسبه إلى الأحوَص.

ومنه: قد أشَطَّ فلان في السوم إذا تجاوز القدر بالغلوّ فيه، يشِطُّ إشطاطاً وشَطَطاً، وشَطَّ منزل فلان يَشِطُّ شُطُوطاً: إذا جاوز القدر في البُعْد، وشَطَّت الجارية تَشطُّ شِطاطاً وشطاطةً: إذا جاوزت القدر في الطول.

وقوله: ﴿هؤلاء قومنا اتّخذوا من دونه آلهة﴾ إخبار من الفتية بحضرة الملك على وجه الإنكار على قومه: أنّ هؤلاء قومنا اتّخذوا من دون الله آلهةً يعبدونها ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بيِّن﴾[1] معناه: هلّا يأتون على عبادتهم إيّاهم بحجّة واضحة ودلالة بيّنة، وحُذِف لدلالة الكلام عليه. ثمّ قال[2]: ﴿فمن أظلم﴾ لنفسه ﴿ممّن﴾ يتخرّص ﴿على الله كذباً﴾ ويضيف إليه ما لا أصل له؟! وفي ذلك دلالة على أنّ التقليد في الدين لا يجوز، وأنّه لا يجوز أن يقبل دين إلّا بحجّة واضحة.

وفي قصّة أصحاب الكهف دلالة على أنّه لا يجوز المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيه إلّا بإظهار كلمة الكفر، وأنّه تجب الهجرة إلى دار الإسلام، أو بحيث لا يحتاجون إلى التلفّظ بكلمة الكفر.

قوله [تعالى]:

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ

---

(١) في الحجرية والحروفيّة زيادة: «فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً».

(٢) في «ح» و«س» والحجريّة: «قالوا» بدل «قال».

ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأهل المدينة وأبوبكر[١] إلّا يحيى والعُلَيمي: ﴿مَرفِقاً﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، الباقون بكسر الميم وفتح الفاء. وقرأ ابن عامر ويعقوب ﴿تَزْوَرُّ﴾ بتخفيف الزاي وتسكينها وتشديد الراء من غير ألف، وقرأ أهل الكوفة بتخفيف الزاي وألف بعدها وتخفيف الراء، الباقون كذلك إلّا أنّهم شدّدوا الزاي. وقرأ أهل الحجاز ﴿لمُلّئتَ﴾ بتشديد اللام، الباقون بتخفيفها وبالهمزة.

قال أبو عُبَيْدَة: «المِرْفَق» ما ارتفقت به[٢] وبعضهم يقول: «المَرْفِق» فأمّا في اليدين فهو «مِرْفَق» بكسر الميم وفتح الفاء. وهو قول الكسائي، وأجاز الفرّاء الفتح أيضاً[٣]. وقال أبو زيد: رَفَقَ الله عليك أهْون المِرفَق والرِفْق. قال أبو عليّ: ما حكاه أبو زيد في «المِرْفَق» فإنّه جعله مصدراً، لأنّه جعله كالرِفْق، وكان القياس الفتح لأنّه من «يَرْفُقُ» لكنّه كقوله ﴿مَرجعكم﴾[٤] و﴿يسألونك عن المَحيض﴾[٥] وقال أبو الحسن: ﴿مِرْفَقاً﴾ أي: شيئاً يرتَفقون به، مثل: «المِقْطَع» و«مَرفِقاً» جعله اسماً مثل: «المَسْجِد» أو يكون لغةً، يعنى في اسم المصدر مثل: «المَطْلِع» ونحوه، ولو كان على القياس لفُتِحت اللام. وقال أبوالحسن أيضاً: «مرفق» بكسر الميم وفتحها، لغتان لا فرق بينهما، إنّما هما اسمان مثل: المسجد والمطبخ[٦].

ومن قرأ: ﴿تَزْوَرُّ﴾ فإنّه مثل: «تحمرّ» و«تصفرّ» ومعناه: تعدل وتميل،

---

(١) في «س» والحروفيّة زيادة: «والأعشى».
(٢) مجاز القرآن ١: ٣٩٥.
(٣) معاني القرآن ٢: ١٣٦.
(٤) آل عمران: ٥٥.
(٥) البقرة: ٢٢٢.
(٦) النصّ بطوله من الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٧.

قال عَنْتَرة:

فازْوَرَّ من وَقْعِ القَنا بلَبانِهِ وشَكا إليَّ بعَبْرةٍ وتَحَمْحُمِ[١]

وقرأ عاصم الجُحْدَري: «تزوارّ» مثل: تحمارّ وتصفارّ. ومن قرأ ﴿تزاور﴾ أراد: «تتزاور» فأدغم التاء في الزاي، ومن خفّف أراد ذلك وحذف إحدى التائين وهي الثانية، مثل: «تساقط وتسّاقط» و«تظاهرون وتظّاهرون» قال أبو الزَحْفِ:

ودُونَ ليلى بَلَدٌ سَمَهْدَرُ جَدْبُ المُنَدَّى عن هَواها أزْوَرُ[٢]

يقال: هو أزْوَر عن كذا أي: مائِل عنه[٣] وفي فلان زَوَرٌ أي: عوج، و«الزَوْر» بسكون الواو هو المصدر، ومثله: «الجَوْشَن» و«الكَلْكَل» و«الكَلْكال» كلّ ذلك يُراد به المصدر. وقال أبو الحسن: قول ابن عامر: «تَزْوَرُّ» لا يوضع في ذا المعنى، إنّما يقال: هو مزْوَرّ عنّي أي: منقبض. وقال أبوعليّ: يدلّ على أنّ «أزْوَرَّ» بمعنى «انقبض» كما قال أبو الحسن، قوله:

وأزْوَرَّ من وَقْعِ القَنا بلَبانِهِ[٤]

والّذي حسَّن القراءة به قول جَرير:

عَسَفْنَ على الأداعِسِ من مهيلٍ وفي الأظْعانِ عن طَلَحَ ازْورارُ[٥]

فظاهر استعمال هذا في «الأظْعان» مثل استعماله في «الشمس»[٦].

ويقال: مُلِئَ فلان رُعْباً وفَزَعاً، فهو مملوٌّ ومليٌّ، فهو مُمَلّاً ـ بالتشديد ـ

---

(١) البيت من معلّقته المشهورة، راجع ديوان عنترة: ١٨.

(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٩٥، وفيه: «هوانا» بدل «هواها».

(٣) في المخطوطة: «أي مايلي عنه».

(٤) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٨.

(٥) من قصيدة يهجو بها الفرزدق، راجع ديوان جرير: ١٧٨.

(٦) نقل النصّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٨، وفيه: «عسفن على الأواعس من قفيل».

للتكثير من: مَلَأْت الإناء فهو مَلْآن، وامتَلَأَ الحوض يمتَلِئُ امتلاءً، وقولهم: تملّيت طويلاً، وعانقت حبيباً، ومت شهيداً، وأبليت جديداً، فهو غير مهموز. قال أبوالحسن: الخفيفة أجْوَد في كلام العرب، لأنّهم يقولون: ملأته رعباً، فلا يكادون يعرفون «ملّأتني»[١]. قال أبو عليّ: يدلّ على قول أبي الحسن قولهم:

فَيَملأُ بيتَنا أَقِطاً وسَمْناً[٢]

وقال الأعشى:

وقد مَلَأَتْ بكرٌ ومَن لَفَّ لَفَّها[٣]

وقال الآخر:

لا تَملَأ الدَلْو وَعرِّق فيها

وقولهم: «امتلأت» يدلّ على «مَلَأ» لأنّ مطاوع «فَعَلت» «افتعلت» وقد أنشدوا في التثقيل قول المُخَبّل السَعْدي:

فَملَّأ مِنْ كَعْبِ بنِ عَوْفٍ سَلاسِلُه[٤]

وقوله: ﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ خطاب من أهل الكهف بعضهم لبعضٍ، ودعاء بعضهم بعضاً إلى أن يأووا ﴿إلى الكهف﴾ رجاءً من الله أن ﴿ينشر﴾ لهم ﴿من رحمته﴾ ويبسطها عليهم ﴿ويهيّئ﴾ لهم من أمرهم ﴿مِرْفقاً﴾ أي: شيئاً يُرتَفَق به ويُستعان به، كالمِقْطَع والمِجْزر.

وقوله:﴿ومايعبدون إلّا الله﴾ «ما»في موضع نصبٍ ومعناه: وإذ اعتزلتموهم

(١) كذا، وفي مجمع البيان: لا يكادون يقولون: «ملأ منّي رعباً» وإنّما يقولون: «ملأتني رعباً».
(٢) لامرئ القيس من أبيات له، راجع ديوان امرئ القيس: ١٧٩.
(٣) صدر بيت من قصيدة يهجو علقمة بن عُلاثة، راجع ديوان الأعشى: ١٠٢.
(٤) نقله النصّ بطوله أبوعليّ الفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٧٩ ـ ٨٠.

وما يعبدون من دون الله من الأصنام والأوثان، ويحتمل الاستثناء أمرين:

أحدهما: أن يكون متّصلاً، فيجوز على ذلك أن يكون فيهم مَن يعبد الله مع عبادة الوثن، فيكون اعتزالهم للأوثان دون الله.

ويجوز أن يكون جميعهم كان يعبد الأوثان دون الله، فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً.

وقوله: ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي: اجعلوه مأواكم ومقرّكم ﴿ينشر﴾ الله ﴿لكم من رحمته ويُهَيِئ لكم من أمركم﴾ ما ترتفقون به، وقوله: ﴿فأووا﴾ جواب ﴿إذ﴾ كما تقول: إذ فعلت قبيحاً فتُب.

وقوله: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين﴾ أي: تعدل عنهم وتميل، يقال: ازْوَرَّ ازوراراً، وفيه: زَوَرٌ أي: ميل.

وقوله: ﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: تقطعهم في ذات الشمال، أي: أنّها تجوزهم منحرفة عنهم، من قولك: قرضته بالمِقْراض أي: قطعته. الثاني: تعطيهم اليسير من شعاعها ثمّ تأخذه بانصرافها، من قرض الدراهم الّتي تستردّ. وقال مجاهد: ﴿تَقرِضهم﴾ تتركهم. وقال أبو عُبَيْدَة: كذلك هو في كلامهم، يقال: قَرَضت الموضع إذا قطعته وجاوزته[1]. وقال الكسائي والفرّاء: هو المحاذاة يقال: قَرَضني فلان يَقْرِضُني، وحذاني ويحذوني بمعنىً واحد[2] قال ذو الرُمّة:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أجْوازَ مُشْرِفٍ   شِمالاً وعن أيْمانهنَّ الفَوارِسُ[3]

والقرض يستعمل في أشياء غير هذا، فمنه: القطع للثوب وغيره، ومنه سُمِّي «المِقْراض» ومنه: قرض الفار.

(١) انظر مجاز القرآن ١: ٣٩٦. (٢) نقله عنهما الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٩٠.

(٣) من قصيدة يصف فيها قومه وأنعامهم وأرضهم، راجع ديوان ذي الرمة: ٣٨٨.

وقال أبو الدَرْداء: «إن قارضتهم قارضُوك، وإن تركْتَهم لم يَتْرُكـوك» ومعناه: إن طعنت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله، وإن تركتهم منه لم يتركوك.

و«القَرْض» من تقارض الناس بينهم الأموال، وقد يكـون ذلك فـي الثناء، تثني عليه كما يثني عليك، و«القِراض» بلُغة أهل الحجاز: المُضارَبة، و«القَرْض» قول الشعر، القَصيد منه خـاصةً دون الرَجَـزِ، وقـيل للشـعر: قَرِيض. ومن ذلك قول الأغْلَب العِجْلي:

أرَجَزاً تُريدُ أم قَرِيضاً[١]

والمعنى في الآية: أنّ الشمس إذا طـلعت مـالت عـهم ذات اليـمين، وجاوزتهم إذا غربت، وكانوا في فجوة من الكهف، دلّ على أنّ الشـمس لاتصيبهم ألبتة أو في أكثر الأمر، فتكون صـورهم مـحفوظة. وقـيل: إنّ الكهف الّذي كانوا فيه كان محاذياً لبنات النعش إذا جازت خـطّ نـصف النهار[٢] والفجوة: المتّسع من الأرض.

وقال قَتادة: في فضاء منه. وتُجمَع «فَجَوات» و«فِجاء» ممدود، وقيل: الفَجْوة: متّسع داخل الكهف[٣] بحيث لا يراه من كان ببابه، وكان الكلب بباب الفَجْوة.

وقوله: ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي: من أدلّته وبراهـينه ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ معناه: من يسمّه الله هادياً ويحكم بهدايته ﴿فهو المهتد﴾. ويحتمل أن يكون أراد: من يهده الله إلى الجنّة فهو المهتد في الحقيقة، ويحتمل أن يكون: من يلطف الله له بما يهتدي عنده فهو المهتد ﴿ومن يضلل﴾ أي: من

(١) أنشده في اللسان: مادّة: «قرض».

(٢) حكاه الزجّاج في معانيه ٣: ٢٧٣، وهو قول مقاتل، كما في النكت والعيون ٣: ٢٩٠.

(٣) نقل معناه الماوردي عن الأخفش في النكت والعيون ٣: ٢٩١.

يحكم بضلاله أو يسمّيه ضالاً، أو من يضلّه عن طريق الجنّة، ويعاقبه ﴿فلن تجد له﴾ معيناً وناصراً يرشده إلى الجنّة والثواب.

ثمّ قال تعالى: ﴿وتحسبهم﴾ يعني: وتحسب يا محمّد أهل الكهف إذا رأيتهم «أيقاظاً» أي: منتبهين ﴿وهم رقود﴾ أي: نيام، وقيل: إنّهم كانوا في مكان موحش منه[١] أعينهم مفتوحة، يتنفّسون ولا يتكلّمون[٢]. وواحد ﴿رقود﴾: راقد، أي: نائم.

وقوله: ﴿ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ إخبار منه تعالى عمّا يفعل بهم، وكيفيّة حفظ أجسادهم بأن يقلّبهم من جنب إلى جنب، إلى اليمين تارةً وإلى اليسار أُخرى. وقوله ﴿وكلبهم باسط ذراعَيْه بالوصيد﴾ قال ابن‌عبّاس: الوصيد: الفناء. وبه قال مجاهد وقَتادة والضحّاك، وفي رواية أُخرى عن ابن‌عبّاس: [أنّه] هوالباب إذا أغلقته[٣] ومنه: ﴿نار مُوْصَدَة﴾[٤]. وجُمع «وصيد» وصائِد ووُصُد، وفي واحده لغتان: وَصِيد، وأصِيد، وأوْصَدْت وآصَدْت، وليس أحدهما مأخوذا من الآخر، بل هما لغتان، مثل: وَرَّخْت الكتاب وأرَّخْته، ووَكَّدت الأمر وأكَّدته.

وقوله: ﴿لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فراراً﴾ نصب على المصدر، ومعناه: لوأشرفت عليهملأعرضت عنهم هرباً، استيحاشاً للموضع ﴿ولمُلِئت منهم رُعْباً﴾ نصب على الحال، والمعنى: لمّا ألبسهم الله تعالى من الهيبة، لئلّا يصل إليهم أحد حتّى يبلغ الكتاب اجله فيهم، وينتبهوا من رقدتهم بإذن الله

(١) كذا في النسخ، وفي «م» العبارة هكذا: «مغرضين منه» غرض منه، أي خاف.
(٢) انظر النكت والعيون ٣: ٢٩١.
(٣) كذا في النسخ، ولعلّ الصحيح: «من اوصدت الباب إذا أغلقته» انظر الكشف والبيان ٦: ١٦٠.
(٤) البلد: ٢٠.

عند ذلك من أمرهم، وقيل: إنّه كانت أظفارهم قد طالت، وكذلك شعورهم، فلذلك يأخذه الرعب منهم. وقال الجُبَّائي: نوّمهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين، لا تتغيّر أحوالهم، ولا يطعمون ولا يشربون، معجزة لا تكون إلّا لنبيٍّ. وقيل: النبيّ كان أحدهم، وهم الرئيس الّذي اتّبعوه وآمنوا به[١].

قوله [تعالى]:

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ﴿٢١﴾ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢٢﴾﴾ ثلاث آيات[٢] بلا خلاف.

قرأ: «بـوَرْقكم» بسكـون الراء أبـو عـمرو وحـمزة وأبـو بكـر عـن عاصم، الباقون بكسر الراء، وروي عن أبـي عـمرو: ﴿بِوَرِقْكُم﴾ بـإدغام القاف في الكاف.

وفي «ورقكم» أربع لغات: فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل، وفتح الواو وسكون الراء، وكسر الواو وسكون الراء، والإدغام. فالورق: الدراهم، ويقال أيضاً بفتح الراء، ويُجمع: أوراقاً، ورجل ورَّاق: كثير الدراهـم، فـأمّا ما يُكتَب فيه فهو «الوَرَق» بفتح الراء لا غير، و«الوَرَق»: الغلمان الملاح، وقيل: «الوَرَق» ـ بفتح الراء ـ المال كلّه: المواشي وغيرها، قال العجّاج:

---

(١) انظر النكت والعيون ٣: ٢٩٢.

(٢) في الحروفية: «أربع آيات».

اغْفِرْ خَطايايَ وثَمِّر وَرَقِي[١]

في قصّة أصحاب الكهف اعتبار ودلالة على أنّ من قدر على نقض العادة ـ بتلك المعجزة ـ قادر لا يعجزه شيء، وإنّ التدبير يجري بحسب الاختيار، لا بإيجاب الطبائع[٢] كما يتوهّمه بعض الجُهّال، لأنّه يدلّ على تدبير مختار، كما يدلّ على تدبير عالم. ووجه التشبيه في قوله: ﴿وكذلك بعثناهم﴾ أي: كما حفظنا أحوالهم تلك المدّة بعثناهم من تلك الرقدة، لأنّ أحد الأمرين كالآخر في أنّه لا يقدر عليه إلّا الله تعالى.

بيّن الله تعالى أنّه بعث أهل الكهف بعد نومهم الطويل ورقدتهم البعيدة ليسأل بعضهم بعضاً عن مدّة مقامهم، فيتنبّهوا[٣] بذلك على معرفة صانعهم إن كانوا كفّاراً من قومهم، وإن كانوا مؤمنين يتنبّهوا زيادة على ما معهم، ويزدادوا يقيناً إلى يقينهم. وقال البلخي: اللام في قوله: ﴿ليتساءلوا﴾ لام العاقبة، لأنّ التساؤل بينهم قد وقع.

ثمّ أخبر تعالى أنّ قائلاً منهم ﴿قال﴾ للباقين ﴿كم لبثتم﴾ مستفهماً لهم، فقالوا في جوابه: ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وإنّما أخبروا بذلك من غير أن يعلموا صحّته، لأنّ الإخبار في مثل هذا عن غالب الظنّ، وعلى ذلك وقع السؤال، لأنّ النائم لا يدري ولا يتحقّق مقدار نومه إلّا على غالب الظنّ، وقيل: إنّهم لمّا ناموا كان عند طلوع الشمس فلمّا انتبهوا كانت الشمس دنت للغروب بقليل، فلذلك قالوا: ﴿يوماً أو بعض يوم﴾ ذكره الحسن. وقيل

---

(١) أنشده في اللسان: مادّة «ورق».

(٢) في المخطوطة: «الطباع».

(٣) كذا في الحجريّة والحروفيّة، وفي «ح» و«س»: فينتبهوا، والكلمة غير واضحة في «م».

أيضاً: إنّ الخبر بأنّه ﴿لبثوا[١] يوماً أو بعض يوم﴾ ليس ينافي أنّهم لبثوا[٢] المدّة الطويلة، لأنّ المدّة الطويلة تأتي على القصيرة وتزيد عليها لا محالة، ثمّ قالوا: ﴿ربّكم أعلم بما لبثتم﴾ ومعناه: أنّ الّذي خلقكم أعرف بمدّة لبثكم على التحقيق، و«الأعلم»: هو من كانت علومه أكثر، أو صفاته في كونه عالماً أزيد، وقيل: إنّ الأعلم هو من كانت معلوماته أكثر. وهذا ليس بصحيح، لأنّه يلزم أنّه عالم من أجل العلوم.

ثمّ قال بعضهم لبعض: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعاماً﴾ وقيل في معناه قولان:

أحدهما: قال قَتادة: ﴿أزكى﴾ أحلّ وخير[٣]. والثاني: أيُّها أنمى طعاماً بأنّه طاهر حلال، لأنّهم كانوا يذبحون للأوثان[٤] وهم كفّار أرجاس. وقيل: معناه: أيّها أكثر، فإنّ الزكاء والنماء: الزيادة[٥].

﴿فليأتكم برزق منه وليتلطّف﴾ في شرائه وإخفاء أمره ﴿ولا يشعرنّ بكم أحداً﴾ أي: لا يعلمنّ بمكانكم أحداً، وقيل: المعنى: وإن ظُهِر عليه فلا يُوقِعنَّ إخوانه فيما وقع فيه[٦] لأنّهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ وعلموا بمكانكم ﴿يرجموكم﴾. قال الحسن: معناه: يرجموكم بالحجارة. وقال ابن جُرَيْج: يشتموكم ويؤذوكم كأنّه أراد: يرجموكم بالقول القبيح ﴿أو يعيدوكم في ملّتهم﴾ أي: يردّوكم في عبادة الأصنام، ومتى فعلتم ذلك

---

(١) كذا في «ح»، وفي «م»: «بأنّه لبث»، وفي «س»: «بأنّهم لبثوا» وفي الحروفيّة: «بأنّهم قالوا: لبثنا».

(٢) في «م» و«ح»: «أنّه لبث».

(٣) النكت والعيون ٣: ٢٩٤.

(٤) قاله ابن عبّاس وعطاء كما في تفسير زاد المسير ٥: ٨٩.

(٥) قاله عكرمة كما في تفسير الطبري ذيل الآية.

(٦) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٧٦.

﴿لن تفلحوا﴾ بعد ذلك ﴿أبداً﴾ ولا تفوزوا بشيء من الخير.

ثمّ قال: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أنّ وعد الله حقّ﴾ ومعناه: أنّا كما فعلنا بهم مامضى ذكره، مثل ذلك أظهرنا عليهم وأطلعنا، ليعلم الّذين يكذبون بالبعث ﴿أنّ وعد الله حقّ﴾ ويزداد المؤمنون إيماناً. والتقدير: ليستدلّوا بما يؤدّيهم إلى العلم بأنّ الوعد في قيام الساعة حقّ، كما قبضت أرواح هؤلاء الفتية تلك المدّة. ثمّ بُعثوا كأنّهم لم يزالوا أحياء على تلك الصفة.

وقوله: ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ يجوز أن تكون ﴿إذ﴾ نصباً بقوله: ﴿أعثرنا﴾ والتقدير: وكذلك أطلعنا إذ وقعت المنازعة في أمرهم، ويجوز أن يكون نصباً بقوله: ﴿ليعلموا﴾ في وقت منازعتهم، والمعنى أنّه لمّا ظهر عليهم وعرف خبرهم أماتهم الله في الكهف، فاختلف الذين ظهروا على أمرهم من أهل مدينتهم من المؤمنين وهم الّذين غلبوا على أمرهم، وقيل: هم رؤساؤهم الّذين استولوا على أمرهم[١] فقال بعضهم: ابنوا عليهم مسجداً يصلّون فيه إذا انتبهوا، وقال بعضهم: ابنوا عليهم مسجداً ليصلّي فيه المؤمنون تبرّكاً بهم[٢]. وقيل: إنّ التنازع كان في أنّ بعضهم قال: قد ماتوا في الكهف، وبعضهم قال: لا، بل هم نيام كما كانوا[٣] فقال عند ذلك بعضهم: [إنّ] الّذي خلقهم وأنامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفيّة أمرهم، فقال عند ذلك الّذين غَلبوا على أمرهم من رؤسائهم: ﴿لنتّخذَنَّ عليهم مسجداً﴾.

وروي: أنّهم لمّا جاءوا إلى فم الغار دخل صاحبهم إليهم وأخبرهم بما كانوا عنه غافلين مدّة مقامهم، فسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى

(١) قاله ابن قتيبة كما في زاد المسير ٥: ٩١.

(٢) أورد معناه الطبري ذيل الآية عن عبدالله بن عبيد بن عمير.

(٣) انظر النكت والعيون ٣: ٢٩٦.

حالتهم الأُولى فأعادهم، إليها، وحال بين من قصدهم وبين الوصول إليهم بأن أضلّهم عن الطريق إلى الكهف الّذي كانوا فيه، فلم يهتدوا إليهم. وقيل: إنّهم لمّا دخلوا الغار سدّوا على نفوسهم بابه بالحجارة، فلم يهتدِ أحد إليهم لذلك.

قوله [تعالى]:

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ آية واحدة عند الجميع إلّا في المدني الأخير فإنّهما الآيتان، تمام الأولى قوله: ﴿إلّا قليل﴾ وقوله:

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾[1] آية واحدة في المدني الآخر، وآيتان عند الباقين، تمام الأولى قوله: ﴿غداً﴾.

يقول الله تعالى لنبيّه ﷺ: إنّه سيقول قوم من المختلفين في عدد أصحاب الكهف في هذا الوقت: إنّهم ﴿ثلاثة رابعهم كلبهم﴾ فـ﴿ثلاثةٌ﴾ مرفوع بأنّه خبر لمبتدأ محذوف، وتقديره: سيقول الّذين يتنازعون في أمرهم: ثلاثة[2] رابعهم كلبهم، وطائفة أُخرى ﴿يقولون خمسةٌ سادسهم كلبهم

---

(١) العبارة في «س» بعد قوله تعالى: ﴿من هذا رشداً﴾ هكذا: «ثلاث، الأُوليان في الكوفي والبصري والشامي والمكّي والمدني الأخير، وآيتان أيضاً في عدد إسماعيل، إلّا أنّه عدّ ﴿إلّا قليل﴾ آية، وعدّ الجماعة كلّهم ﴿أحداً﴾ آية، وهي عند إسماعيل آخر الثانية وعدّوا كلهم ﴿غداً﴾ الآية إلّا إسماعيل فإنّ آخر الآية عنده ﴿رشداً﴾، فمن قوله: ﴿سيقولون﴾ إلى ﴿رشداً﴾ ثلاث آيات، لا خلاف بينهم فيها وإن اختلفوا في آخر الآيات فإنّ إسماعيل عدّ ﴿إلّا قليل﴾ آية، و﴿منهم أحداً﴾ آية، و﴿رشداً﴾ آية وعدّ الباقون ﴿منهم أحداً﴾ آية و﴿غداً﴾ آية و﴿رشداً﴾ آية.

(٢) في «س» «هم ثلاثة».

رجماً بالغيب﴾ وتقول طائفة ثالثة: إنّهم ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾.

وذهب بعضهم إلى أنّهم سبعة لدخول واو العطف بعده في قوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ ولم يقل ذلك في الأوّل(١). وهذا ليس بشيء، لأنّه إنّما لم يدخل الواو في الأوّل، لأنّه جاء على الصفة بالجملة، والثاني عطف على الجملة. قال الرُمّاني: وفرق بينهما، لأنّ السبعة أصل للمبالغة في العدّة، كما قال عزّوجلّ: ﴿استغفر لهم أو لاتستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم﴾(٢) وحكى البلخي عن بعض أهل العلم أنّه قال: الواجب أن يعدّ في الحساب: واحد اثنان ثلاثة أربعة، فإذا بلغت إلى سبعة قلت: وثمانية، بالواو اتّباعاً للآية.

وقوله ﴿رجماً بالغيب﴾ قال قَتادة: معناه: قذفاً بالظنّ. وقال المؤرّج: ظنّاً بالغيب، بلُغة هُذَيل. وقال قوم: ما لم تستيقنه فهو الرجم بالغيب، قال الشاعر:

واجعل منّي الحقّ غَيْباً مرجَّماً(٣)

وقال زُهَير:

وما الحَربُ إلّا ما علِمتُمْ وذُقْتُمُ وما هُوَ عَنها بالحَديثِ المُرجَّمِ(٤)

ثمّ قال [تعالى] لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قل﴾ لهم يا محمّد: ﴿ربّي أعلم بعدّتهم﴾ من الخائضين في ذلك، والقائلين في عَدَدهم بغير علم، ثمّ قال تعالى: ليس يعلم عددهم ﴿إلّا قليل﴾ من الناس، وهم النبيّ صلى الله عليه وآله ومن أعلمه الله على

---

(١) راجع معاني القرآن وإعرابه، للزجّاج ٣: ٢٧٧.

(٢) التوبة: ٨٠.

(٣) أورد تمام البيت في ضمن تفسير الآية ٤٦ من سورة البقرة ونسبه إلى عميربن طارق راجع المجلّد الثانى من هذا التفسير: ١٧١.

(٤) البيت من معلّقته المشهورة، راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ٨١.

لسان نبيّه، وقال ابن عبّاس: أنا من القليل الّذين يعلمون ذلك: كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم.

ثمّ قال تعالى ناهياً لنبيّه، والمراد به أُمّته: ﴿فلا تُمارِ فيهم إلاّ مِراءً ظاهِراً﴾ قال ابن عبّاس وقَتادة ومجاهد والضحّاك: معناه: إلّا بما أظهرنا لك من أمرهم، والمعنى: أنّه لا يجوز أن تماري وتجادل إلّا بحجّة ودلالة وإخبار من الله، وهو المِراء الظاهر. وقال الضحّاك: معناه: حسبك ماقصصنا عليك. وقال البلخي: وفي ذلك دلالة على أنّ المِراء قد يحسن إذا كان بالحقّ وبالصحيح من القول، وإنّما المذموم منه ما كان باطلاً والغرض به المغالبة لا بيان الحقّ. و«المِراء»: الخصومة والجدال.

وقوله: ﴿ولا تستَفْتِ فيهم﴾ يعني: في أهل الكهف، وفي مقدار عددهم ﴿منهم﴾ يعني: من أهل الكتاب ﴿أحداً﴾ ولا تستفهم من جهتهم، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة.

وقوله: ﴿ولا تقولنَّ لشيءٍ إنّي فاعلٌ ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله﴾ نهي من الله تعالى لنبيّه أن يقول: إنّي افعل شيئاً في الغد، إلّا أن يقيّد قوله بمشيئة الله، فيقول: إن شاء الله، لأنّه لا يأمن اخترامه فيكون خبره كذباً، وإذا قيّده بقوله: إن شاء الله، ثمّ لم يفعل، لم يكن كاذباً. والمراد بالخطاب جميع المكلّفين، ومتى أخبر المخبر عن ظنّه وعزمه بأنّه يفعل شيئاً فيما بعد، ثمّ لم يفعل، لا يكون كاذباً، لأنّه أخبر عن ظنّه وهو صادق فيه. وقال قوم: ﴿إلاّ أن يشاء الله﴾ معناه: إلّا أن يشاء الله أن يلجئني إلى تركه.

وقال الفرّاء: قوله: ﴿إلاّ أن يشاء الله﴾ بمعنى المصدر، فكأنّه قال: إلّا مشيئة الله، والمعنى: إلّا ما يريده الله[1]. وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلّا

(١) انظر معاني القرآن ٢: ١٣٨.

الطاعات فكأنّه قال: لا تقل: إنّي أفعل إلّا الطاعات وما يقرّب إلى الله. هذا وجه حسن، ولا يطعن في ذلك جواز الإخبار عمّا يريد فعله من المباحات الّتي لا يشاؤها الله، لأنّ هذا النهي ليس نهي تحريم، وإنّما هو نهي تنزيه، لأنّه لو لم يقل ذلك لما أتم بلا خلاف، وإنّما هو نهي تحريم فيما يتعلّق بالقبيح، فإنّه لا يجوز أن يقول: إنّي افعل ذلك بحال، والآية تضمّنت أن لا يقول الإنسان: إنّي أفعل غداً شيئاً إلّا أن يشاء الله. فأمّا أن يعزم عليه من غير ذكر ذلك، فلا تلزم المشيئة فيه إلّا ندباً بغير الآية.

وقوله: ﴿واذكر ربّك إذا نسيت﴾ قال الحسن: معناه: إنّه إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثمّ ذكر فليقل: إن شاء الله. وقال ابن عبّاس: له أن يستثني ولو إلى سنة. وقال بعضهم: وله أن يستثني بعد الحنث، إلّا أنّه لا تسقط عنه الكفّارة في اليمين، إلّا أن يكون الاستثناء موصولاً بإجماع. وقال الحسن: له أن يستثني ما لم يقم من مجلسه الّذي هو فيه، فإن قام بطل استثناؤه.

وقال قوم ﴿واذكر ربّك إذا نسيت﴾ أمرا ثمّ تذكّرته، فإن لم تذكره فقل: ﴿عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً﴾(١). وقال بعضهم: عسى أن يعطيني ربّي من الرشد ما هو أولى من قصّة أصحاب الكهف(٢).

والّذي نقوله: إنّ الاستثناء متى لم يكن متّصلاً بالكلام أو في حكم المتّصل، لم يكن له تعلّق بالأوّل، ولا حكم له، وأنّه يجوز دخول الاستثناء بمشيئة الله في جميع أنواع الكلام، من: الأمر والنهي والخبر والأيمان وغير ذلك، ومتى استثنى ثمّ خالف لم يكن حانثاً في يمينه ولا كاذباً في خبره،

---

(١) ذكره الطبري ذيل الآية بسنده عن محمّد، قال: هو رجل من أهل الكوفة كان يفسر القرآن، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد.

(٢) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٢٧٨.

ومتى [هو] استثناه بعد مدّة وبعد انفصال الكلام لم يبطل ذلك حنثه ولزمته الكفّارة، ولو لم نقل ذلك أدّى إلى أن لا يصحّ يمين ولا خبر ولا عقد، فإنّ الإنسان متى شاء استثنى في كلامه، ويبطل حكم كلامه، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من حلف على أمرٍ يفعله ثمّ رأى ما هو خير له فليحنث وليكفّر»[١] ولو كان الاستثناء جائزاً بعد مدّة لكان يقول: فليستثني ولا يحتاج إلى الكفّارة، ولا يلزمه الحنث.

وقد روي في أخبارنا[٢] مثل ما حكيناه عن ابن عبّاس، ويشبه أن يكون المراد به: أنّه إذا استثنى وكان قد نسي من غير تعمّد، فإنّه يحصل له ثواب المستثني دون أن يؤثّر في كلامه، وهو الأشبَهَ بابن عبّاس وألْيَق بعمله وفعله، فإنّ ما حُكي عنه بعيد جدّاً.

وقال المبرّد وجماعة: إنّ قوله: ﴿ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله﴾ ضمّ الاستثناء إلى الكلام الّذي قبله، ثمّ قال: ﴿واذكر ربّك إذا نسيت وقل عسى﴾ استأنف كلاماً آخر وقصّةً أُخرى. وقال الجُبّائي: هذا استئناف كلامٍ من الله[٣] وأمر منه لنبيّه صلى الله عليه وآله أنّه إذا أراد فعلاً من الأفعال فنسيه فليذكرالله وليقل: ﴿عسى أن يهديني ربّي لأقرب﴾ ممّا نسيته ﴿رشداً﴾.

وقال عِكْرِمَة: ﴿واذكر ربّك إذا نسيت﴾ معناه: إذا عصيت[٤] فاذكر ربّك تتذكّره. وهذا يدلّ على أنّه لم يرد اليمين في الاستثناء.

---

(١) روى مثله في الموطأ ٢: ٤٧٨ ح ١١ بسنده عن أبي هريرة.

(٢) منها ما رواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٣٢٤، ح ١٥ عن أبيجعفر الباقر عليه السلام.

(٣) العبارة في «م» هكذا: هذا استثناء وكلام من الله... إلخ.

(٤) كذا في المطبوعين و«س» وفي «ج»: «عضيت»، وفي «م»: «غضبت»، وكذا نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٢٩٩ وأضاف: «قال عكرمة ليزول عنك الغضب عند ذكره».

وقيل: سبب نزول ذلك: أنّ قريشاً لمّا جاءت وسألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن قصّة أصحاب الكهف وقصّة ذي القرنين، فقال [لهم]: غداً أُخبركم، فأبطأ عنه جبرائيل. وقيل: تأخّر عنه أيّاماً ثمّ أتاه بخبرهم. [فأنزل الله تعالى هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيئة الله][١]. [وهذا ليس بصحيح، لأنّه لو كان كذلك بأن وعدهم بأن يخبرهم غداً ثمّ لم يخبرهم لكان كذباً، وهو منه محال][٢].

وقال إبراهيم: إذا حلف الحالف والكلام متّصل فله إذا قال: إن شاء الله. وقال الكسائي والفرّاء: التقدير: ولا تقولنّ لشيء: إنّي فاعل ذلك غداً، إلّا أن تقول: إن شاء الله[٣] فأضمر القول. وإنّما كان الاستثناء مؤثّراً إذا كان الكلام متّصلاً [لأنّه] يدلّ على أنّه نواه بأوّل كلامه، وإذا لم يكن متّصلاً فقد استقرّت نيّته وثبتت، فلا يؤثّر الاستثناء فيها.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: ﴿رابعهم كلبهم﴾ يعني راعياً تبعهم. حكاه قُطْرب، وقال: أخبر عن الكلب وأراد صاحبه، كقوله: ﴿واسأل القرية﴾[٤] وإنّما أراد: أهلها.

[وهذا لا يصحّ مع ظاهر قوله: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾][٥] وقال الجُبّائي: لمّا اجتازوا على الراعي، فقال لهم: أين تريدون؟ قالوا: نفرّ بديننا، فقال الراعي: أنا أولى بذلك، فتبعهم وتبعه الكلب.

وفي أصحاب الحديث من يقول: إنّ الكلب خاطبهم بالتوحيد والاعتراف بما اعترفوا به، ولذلك تبعهم. وهذا خرق عادة يجوز أن يكون

(١) مابين المعقوفتين من هامش الحجريّة.
(٢) مابين المعقوفتين من المطبوعتين و «س».
(٣) انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٣٨.
(٤) يوسف: ٨٢.
(٥) مابين المعقوفتين من «س» والحروفيّة.

الله فعله لطفاً لهم، ومعجزة لبعضهم على ما حكي أنّ بعضهم كان نبيّاً، وهو رئيسهم، فيكون ذلك معجزة له، غير أنّه ليس بمقطوع به.

وقوله: ﴿عسى أن يهديني ربّي لأقرب من هذا رشداً﴾ معناه: قل يا محمّد: عسى أن يعطيني ربّي من الآيات على النبوّة ما يكون أقرب وأدلّ من قصّة أصحاب الكهف.

قوله [تعالى]:

وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَـٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي ﴿ثلاثمائةِ سنين﴾ مضافاً، الباقون بالتنوين. قال الفرّاء: من العرب من يضع «سنين» في موضع «سنة» فهي في موضع خفض على قراءة من أضاف[1]. قال عَنْتَرة:

فيها اثنتان وأربعُونَ حَلُوبةً سُوداً كخَافيةِ الغُراب الأسْحَمِ[2]

فمن نوّن نصب ﴿سنين﴾ بـ﴿لبثوا﴾ وتقديره: لبثوا سنين ثلاثمائة، فـ﴿سنين﴾ مفعول ﴿لبثوا﴾ و﴿ثلاثمائة﴾ بدل، كما تقول: خرجت أيّاماً خمسة، و: صمت سنين عشرة، وإن شئت نصبت ﴿ثلاثمائة﴾ بـ﴿لبثوا﴾ وجعلت ﴿سنين﴾ بدلاً ومفسّرة عنها. ومن أضاف قال ابن خالويه: قراءة غير مختارة، لأنّهم لا يضيفون مثل هذا العدد إلّا إلى الأفراد فيقولون: ثلاثمائة درهم، ولا يقولون: ثلاثمائة دراهم. قال أبو عليّ الفارسي: قد

(١) معاني القرآن ٢: ١٣٨.

(٢) من معلّقته الشهيرة، راجع ديوان عنترة: ١٣.

جاء مثل ذلك مضافاً إلى الجمع، قال الشاعر:

فما زَوَّدُوني غَيْرَ سَحْقِ عِمامَةٍ   وخَمْسِمِئٍ مِنْها قَسِيٌّ وزائِفُ[١]

جمع على «فُعُول» وقد كسر القاف كما كسر في «حلى».

وقرأ ابن عامر ﴿ولا تشرك﴾ بالتاء على الخطاب، الباقون بالياء على الخبر. فمن قرأ على النهي قال: تقديره: لاتشرك أيّها الإنسان، ومن قرأ على الخبر، فلتقدّم الغيبة، وهو قوله: ﴿ما لهم من دونه من وليّ﴾ والهاء للغيبة.

وقرأ الحسن: ﴿تَسع وتسعون﴾ بفتح التاء، يقال: «تَسِع» بكسر التاء وفتحها، وهما لغتان، والكسر أكثر وأفصح.

قوله: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً قل الله أعلم بما لبثوا﴾ معناه: إخبار من الله تعالى وبيان عن مقدار مدّة لبثهم ـ أعني: أصحاب الكهف ـ إلى وقت انتباههم، ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: فإن حاجّك المشركون فيهم من أهل الكتاب، فـ﴿قل الله اعلم بما لبثوا﴾ وهو قول مجاهد والضحّاك وعَبِيد بن عُمَيْر، كما قال: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾[٢] ومن قرأ بالتاء قال: معناه: لا تَنسُبَنَّ أحداً إلى علم الغيب[٣] ويحتمل أن يكون المعنى: لا يجوز لحاكم أن يحكم إلّا بما حكم الله به أو بما دلّ على حكم الله، وليس لأحد أن يحكم من قِبَل نفسه فيكون شريكاً لله في أمره وحكمه.

وقيل: معناه: قل الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا. وحكي عن قَتادة: أنّ ذلك حكاية عن قول اليهود، فإنّهم الّذين قالوا: لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً. وقوّي ذلك بقوله: ﴿قل الله اعلم بما لبثوا﴾ فذكر تعالى

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨١.   (٢) الجنّ: ٢٦.

(٣) في المطبوعتين: «عالم الغيب».

أنّه العالم بذلك دون غيره. وقد ضعّف جماعة هذا الوجه، قالوا: لأنّ الوجه الأوّل أحسن، لأنّه ليس لنا أن نصرف[1] إخبار الله إلى أنّه حكاية إلّا بدليل قاطع، ولأنّه معتمد الاعتبار الّذي بيّنه الله عزّ وجلّ للعباد.

وقوله: ﴿له غيب السماوات والأرض﴾ فالغيب يكون للشيء بحيث لا يقع عليه الإدراك، ولا يغيب عن الله تعالى شيء، لأنّه لا يكون بحيث لا يدركه. وقيل: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾[2] معناه: ما يغيب عن إحساس العباد وما يشاهدونه.

وقيل: ما يصحّ أن يُشاهَد، وما لا يصحّ أن يُشاهَد.

وقوله: ﴿أبصر به وأسمع﴾ معناه: ما أبصره و ما أسمعه بأنّه لا يخفى عليه شيء، فخرج مخرج التعجّب على وجه التعظيم له تعالى.

وقوله: ﴿ما لهم من دونه من وليّ﴾ أي: ليس للخلق، وقيل: إنّه راجع إلى أهل الكهف، أي: ليس لهم من دون الله وليّ ولا ناصر ﴿ولا يشرك﴾ يعني: الله ﴿في حكمه أحداً﴾ والمعنى: أنّه لمّا جرى ذكر علمه وقدرته أعلمناه أنّه لا يشرك في حكمه بما يخبر به من الغيب ﴿أحداً﴾.

ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أتل ما أُوحي إليك﴾ أي: اقرأ عليهم ما أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم. وقل[3]: ﴿لا مبدّل لكلماته﴾ أي: لا مغيّر لما أخبر الله تعالى به، لأنّه صدق ولا يجوز أن يكون بخلافه ﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾ ومعناه: ملتجأ تهرب إليه، وقال مجاهد: ملجأً، وقال قَتادة: موئلاً، وقيل: معدلاً[4]. وهذه الأقوال متقاربة المعنى، وهو من

---

(١) العبارة في الحجريّة هكذا: «لأنّه ليس له أن يصرف».

(٢) الأنعام: ٧٣، الرعد: ٩.

(٣) في «سين»: «وقيل» بدل «وقل».

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٠.

قولهم: لَحَدْت إلى كذا أي: مِلْت إليه، ومنه: «اللَحد» لأنّه في ناحية القبر، وليس بالشقّ الّذي في وسطه، ومنه: الإلحاد في الدين، وهو العدول عن الحقّ فيه.

و«سنين» فيه لغتان: تُجمَع جمع السلامة، وجمع التكسير. فالسلامة: هذه سنون، ورأيت سنين، وجمع التكسير بتنوين النون تقول: هذه سنونٌ، وصَمَتَ سنيناً، وعجبت من سنين، وقوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ يعني: تسع سنين، فاستغنى بالتفسير في الأوّل عن إعادته هاهنا.

قوله [تعالى]:

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وحده: ﴿بالغُدُوة والعَشِيّ﴾ بضمّ الغين والواو وإسكان الدال، الباقون بفتح الغين والدال ومع الألف.

ولا يجوز عند أهل العربيّة إدخال الألف واللام على «غدوة» لأنّها معرفة، ولو كانت نكرة لجاز فيها الإضافة، كما يجوز: غداة يوم الجمعة. وقال أبو عليّ النحوي: من أدخل الألف واللام فإنّه يجوّز ـ وإن كان معرفة ـ أن تنكّر، كما حكى أبو زيد: لَقيتُه فَيْنَةَ، والفَيْنَة بعد الفَيْنَة، فـ«فَيْنَة» مثل «غدوة» في التعريف، ومثل قولهم: أمّا النَضْرة، فلا نَضْرة فأُجري

مجرى ما يكون سائغاً[١] في الجنس. ومن قرأ ﴿بالغَداة﴾ فقوله أبْيَن[٢] وقال ابن خالويه: العرب تُدخل الألف واللام على المعرفة إذا جاءوا بما فيه الألف واللام ليزدوج الكلام، قال الشاعر:

وَجَدنا الوليدَ بنَ اليزيد مبارَكاً   شَديداً بأعْباء الخلافةِ كاهِلُهُ[٣]

فأدخل الألف واللام على «يزيد» لمّا جاور «الوليد» فلذلك أدخل ابن عامر الألف واللام في «الغدوة» لمّا جاور ﴿العشي﴾ والعرب تجعل «بُكْرة» و«غُدْوة» و«سَحَر» معارف إذا أرادوا اليوم بعينه.

أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بالصبر على جملة المؤمنين الّذين يدعون الله بالغداة والعشيّ، والصبر على ثلاثة أقسام: صبر واجب مفروض، وهو ما كان على أداء الواجبات الّتي تشقّ على النفس وتحتاج إلى التكلّف. والثاني: ما هو مندوب، فإنّ الصبر عليه مندوب إليه. والثالث: مباح جائز، وهو الصبر على المباحات الّتي ليست بطاعة الله.

وقوله: ﴿يريدون وجهه﴾ معناه: يريدون تعظيمه والقربة إليه دون الرياء والسمعة، فذكر الوجه بمعنى التعظيم، كما يقال: أكرمته لوجهك، أي: لتعظيمك، لأنّ من عادتهم أن يذكروا وجه الشيء ويريدون به الشيء المعظّم، كقولهم: هذا وجه الرأي، أي: هذا الرأي الحقّ المعظّم.

وقوله: ﴿ولا تَعْدُ عيناك عنهم﴾ معناه: لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم ولا تنصرف، وقيل: إنّها نزلت في سلمان وأصحابه[٤] من أرباب الدنيا

(١) في ظاهر «ح» وفي المجمع: «شائعاً». انظر مجمع البيان ٦: ٤٦٤.

(٢) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨٣ـ٨٤.

(٣) لابن ميّادة من قصيدة يمدح بها الوليد الأُموي، راجع خزانة الأدب ٢: ٢٢٦ وما بعده، وفيه: «بأحناء».

(٤) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٤٠.

والممرحين[١] فيها ﴿تريد﴾ بذلك ﴿زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ نزلت في عُيَيْنَة بن حُصَيْن، وقيل في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تطع من صادفناه غافلاً عن ذكرنا، كقولهم: أحمدت فلاناً، أي: صادفته محموداً، فهو من باب صادفناه على صفة. الثاني: لا تطع من سمّيناه غافلاً، ونسبناه إلى الغفلة، كقولهم: أكفرناه، أي: نسبناه إلى الكفر. الثالث: لا تطع من أغفلنا قلبه، أي: جعلناه غافلاً بتعرّضه للغفلة.

وقيل: لم يسمه الله بما يسم به قلوب المؤمنين ممّا ينبئ عن فلاحهم، كما قال: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾[٢].

﴿واتّبع هواه﴾ يعني: الّذي أغفلناه عن ذكرنا اتّبع هواه ﴿وكان أمره فُرطاً﴾ معناه: تجاوزاً للحقّ وخروجاً عنه، من قولهم: أفرَطَ إفْراطاً إذا أسرف. فأمّا «فرّط» فمعناه: قصر عن التقدّم إلى الحقّ الّذي يلزمه، وقيل: معناه: وكان أمره سَرَفاً[٣]. ثمّ أمر [الله] نبيّه صلى الله عليه وآله بأن يقول: لهم الّذي أتيتكم به هو ﴿الحقّ من ربّكم﴾ الّذي خلقكم ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ صورته صورة الأمر والمراد به التهديد، وهو آكد في التهدّد من جهة أنّه: كأنّه مأمور بما يوجب إهانته. ثمّ أخبر أنّه أعدّ للظالمين العُصاة ناراً أحاط بهم سُرادِقها، فالسُرادِق: المحيط بما فيه ممّا يُنقل معه، والأصل: سُرادق الفسطاط، قال رُؤْبَة:

يا حَكَمَ بن المنذر بن الجارُودِ سُرادِقُ المَجْدِ عليكَ ممدُود[٤]

وقال ابن عبّاس: ﴿سُرادِقها﴾ حائط من نار يطيف بهم، وقيل:

---

(١) في «س»: «المحرجين».
(٢) المجادلة: ٢٢.
(٣) قاله أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٩٨.
(٤) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٩٩.

﴿سرادقها﴾ دخانها قبل وصولهم إليها[١]. وقيل: السُرادِق: ثوب يُدار حول الفسطاط[٢].

وقوله: ﴿وإن يستغيثوا﴾ معناه: إن طلبوا الغوث والنجاة، وطلبوا ماءً لشدّة ما هم فيه من العذاب ﴿أُغيثوا بماءٍ كالمُهْل﴾ والمُهل: كلّ شيء أُذيب حتّى انماع، كالصفر والنحاس والرصاص والذهب والحديد وغير ذلك، في قول ابن مسعود. وقال مجاهد: هو القيح والدم. وقال ابن عبّاس: هو دُرْديّ الزيت. وقال سعيد بن جُبَيْر: هو الشيء الّذي قد انتهى حرّه ﴿يشوي الوجوه﴾ أي: يحرقها من شدّة حرّه إذا قربت منه، ثمّ قال تعالى مخبراً عن ذلك بأنّه ﴿بئس الشراب﴾ يعني: ذلك المُهْل ﴿وساءت مرتفقاً﴾ وقيل: معناه: المتّكأ، من: «المرفق» كما قال أبو ذُؤَيْب:

باتَ الخَـلِيُّ وبِتُّ الليلَ مُرتَفِقاً كأنَّ عَيْنِي فيها الصابُ مَذْبُوحُ[٣]

وقيل: هو من الرفق[٤]. وقال مجاهد: معناه: مجتمعاً كأنّه ذهب به إلى معنى «مرافقة».

ثمّ أخبر تعالى عن المؤمنين الّذين يعملون الصالحات من الطاعات ويجتنبون المعاصي بأنّه لا يضيع ﴿أجر من أحسن عملاً﴾ ولا يبطل ثوابه، وقيل في خبر ﴿إنّ الّذين آمنوا﴾ ثلاثة أقوال[٥]:

أحدها: أنّ خبره قوله: ﴿أولئك لهم جنّات عدن﴾ ويكون قوله: ﴿إنّا

---

(١) قاله قتادة كما في النكت والعيون ٣: ٣٠٣.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٣: ٢٨٢.

(٣) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤٠٠ والطبري ذيل الآية.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٤.

(٥) ذكرها الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٣.

لا نُضيع اجر من أحسن عملاً﴾ اعتراضاً بين الاسم والخبر.

الثاني: أن يكون الخبر: إنّا لا نضيع أجره، إلّا أنّه وقع المظهر موقع المضمر.

الثالث: أن يكون على البدل، فلا يحتاج الأوّل إلى الخبر، كقول الشاعر:

إنّ الخليفةَ إنَّ الله سَرْبَلَهُ سِرْبالَ مُلْكٍ بهِ تُرْجَى الخَواتِيمُ[1]

فأخبر عن الثاني وأضرب عن الأوّل.

قوله [تعالى]:

أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ أربع[2] آيات في الكوفي والبصري، وثلاث في المدني، تمام الأُولى[3]: ﴿زَرْعاً﴾[4].

قرأ عاصم وأبو جعفر وروح: ﴿وكان له ثَمَر﴾ ﴿وأُحيط بثَمَره﴾ بفتح الثاء والميم فيهما، وافقهم رُوَيس في الأُولى، وقرأ أبو عمرو بضمّ الثاء وسكون الميم فيهما، الباقون بضمّهما فيهما.

قال أبو عليّ: «الثمرة» ما يُجتنى من ذي الثمر، وجمعه: «ثَمَرات»

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٢) كذا، وفي المصحف الشريف بقراءة حفص: «خمس آيات».

(٣) في «ح» و المطبوعتين «تمام الثانية».

(٤) العبارة في «س» هكذا: أربع آيات عراقي وشامي وإسماعيل، وثلاث فيما عداه، عدّ الأوّل «زرعاً» آية، وعدّ الباقون آخر الآية «نهرا».

مثل: رَحَبة ورَحَبات، ورَقَبة ورَقَبات، ويجوز في جمع «ثمرة» ضربان: أحدهما: على «ثَمَر» كبَقَرة وبَقَر، والآخر: على التكسير، فتقول: «ثِمار» كرَقَبة ورِقاب، فتشبّه المخلوقات بالمصنوعات، وشبّه كلّ واحد منهما بالآخر، ويجوز في القياس أن يكسر «ثِمار» الّذي هو جمع «ثَمَرة» على «ثُمُر» ككِتاب وكُتُب، ويجوز أن يكون «ثُمُر» جمع «ثَمَرة» كبَدَنَة وبُدُن، وخَشَبَة وخُشُب، ويجوز أن يكون «ثَمَر» واحداً كعَنَق وطَنَب، فعلى جميع هذه الوجوه يجوز إسكان العين منه، ومثله في قوله: ﴿وأُحيط بثَمَره﴾ وقال بعض أهل اللغة: «الثُمُر» المال و«الثَمَر» المأكول، وجاء في التفسير: أنّ «الثَمَر» النخل والشجر، ولم يرد به «الثَمَرة» فالثَمَر ـ على ما روي عن جماعة من السلف ـ : الأُصول الّتي تحمل الثمرة لا نفس الثمرة، بدلالة قوله: ﴿فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها﴾ [١] أي: في الجنّة، والنفقة إنّما تكون على ذوات الثَمَر في الأكثر، فكأنّ الآية الّتي أُرسلت عليها اصطلمت الأُصول واجتاحتها، كما قال تعالى في صفة الجنّة الأُخرى: ﴿فأصبحت كالصريم﴾ [٢] أي: كالليل في سوادٍ لاحتراقها إذ كانت كالنهار في بياضها، وحُكي عن أبي عمرو: [أنّ] «الثَمَر» و«الثُمُر» أنواع المال من الذهب والفضّة وغيرهما [٣] يقال: فلان مُثْمر أي: كثير المال، ذهب إليه مجاهد وغيره.

أخبر الله تعالى في الآية الأُولى عمّا للمؤمنين الّذين آمنوا وعملوا الصالحات، الّذين أخبر عنهم بأنّه لا يضيع عملهم الحسن وما قد أعدّ لهم، فقال: ﴿لهم جنّات عدن﴾ و«الجنّات» جمع «جنّة» وهي البستان الّتي فيها

(١) الآية: ٤٢ الآتية. (٢) القلم: ٢٠.

(٣) حكاه أبوعليّ الفارسي في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨٥.

الشجر، ومعنى «عَدْن» أي: موضع إقامة، وإنّما سُمِّي بذلك لأنّهم يبقون فيها ببقاء الله دائماً أبداً، و«العَدْن» الإقامة، وقيل: هو اسم من أسماء الجنّة، في قول الحسن. ويقال: عَدَنَ بالمكان يَعْدنُ عَدْناً إذا أقام فيه، فسمّى الجنّة عَدْناً من إقامة الخلق فيها.

ثمّ وصف هذه الجنّة فقال: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ وقيل في معنى ذلك قولان:

أحدهما: إنّ أنهار الجنّة في أخاديد من الأرض، فلذلك قال: ﴿من تحتهم﴾.

الثاني: إنّهم على غرف فيها، فالأنهار تجري من تحتهم، كما قال تعالى: ﴿وهم في الغُرُفات آمنون﴾[1].

وقوله: ﴿يُحلُّون فيها من أساور من ذهب﴾ أي: يجعل لهم فيها حلياً من زينة من أساور، وهو جمع «إسوار» على حذف الزيادة، لأنّ مع الزيادة «أساوير» في قول قُطْرُب، وقيل: هو جمع «أسورة»، و«أسورة» جمع «سِوار»، ويقال بكسر السين وضمّها، في قول الزجّاج[2]. و«السِوار» زينة تُلبس في الزند من اليد، وقيل: هو من زينة الملوك، يُسوَّر في اليد، ويُتوَّج على الرأس ﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق﴾ فالسندس: مارقَّ من الديباج، واحده: سُنْدُسَة، وهي الرقيقة من الديباج، على أحسن ما يكون وأفخره، فلذلك شوّق الله إليه، والاستبرق: الغليظ من الديباج، وقيل: هو الحرير[3]. قال المرقِّش:

(١) سبأ: ٣٧.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٣.
(٣) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٢٨٤.

تَـراهُـنَّ يَـلْبَسْنَ المشـاعِرَ مَـرَّةً وإسْتَبرقَ الديباجِ طَوْراً لِـباسُها[١]

وقوله تعالى: ﴿متّكئين﴾ نصب على الحال ﴿فيها﴾ يعني في الجنّة ﴿على الأرائك﴾ جمع «أريكة» وهي السرير، قال الشاعر:

خُدُوداً جَفَتْ فيالسيرِ حتّىكأنَّما يُباشِرْنَ بـالمَعْزاء مَسَّ الأرائِكِ[٢]

وقال الأعشى:

بَينَ الرِواقِ وَجـانِبٍ مـن سَـيْرِها مِـنْها وبـين أريكـة الأنْـضادِ[٣]

أي: السرير في الحجلة. وقال الزجّاج: ﴿الأرائك﴾ الفرش في الحجال[٤]. ثمّ قال تعالى: إنّ ذلك ﴿نِعْم الثواب﴾ والجزاء على الطاعات ﴿وحَسُنَت مرتفقاً﴾ يعني: حَسُنَت الجنّة مرتفقاً، فلذلك أنّث الفعل، ومعنى ﴿مرتفقاً﴾ أي: مجلساً، وهو نصب على التمييز.

ثمّ قال: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ أي: اضرب رجلين لهم مثلاً ﴿جعلنا لأحدهما جنّتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾ أي: جعلنا النخل مطيفاً بهما، يقال حفَّ القوم بزيد: إذا طافوا به ﴿وجعلنا بينهما زرعاً﴾ إعلام بأنّ عمارتها[٥] كاملة متّصلة لا يفصل بينهما إلّا عمارة، واعلمنا أنّهما كاملتان في تأدية حملها[٦] من غلّتها[٧] فقال: ﴿كلتا الجنّتين آتت اكلها﴾ أي: طعمها وما يؤكل منها ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي: لم تنقص، بل أخرجت ثمرها على الكمال والتمام، قال الشاعر:

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٢) لذي الرمة من قصيدة طويلة يصف فيها ايلاً له، راجع ديوان ذي الرمة: ٨٥١.

(٣) من قصيدة له في الفخر، راجع ديوان الأعشى: ٥٢، وفيه: «آرائك» بدل «أريكة».

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٤.

(٥) في الحروفيّة «عمارتهما».

(٦) في «ح» و «س» والحروفيّة: «حملهما».

(٧) في «س» والحروفيّة «غلتهما».

يَظْلمني مَا لِي هكذا ولَوَىٰ يَـدِي لَوَى يَدَه اللهُ الّذي هـو غـالِبه[(١)]

أي ينقضني ما لي. وقال الحسن: معناه لم تنقص[(٢)] ﴿وفجّرنا خلالهما نهراً﴾ أي: شققنا نهراً بينهما، وفائدتهما: أنّهما يشربان من نهر واحد ﴿وكان له ثمر﴾ وقرئ: ﴿ثُمر﴾[(٣)] قال مجاهد: هو ذهب وفضّة. وقال ابن عبّاس وقَتادة: هو صنوف الأموال، يقال: «ثِمار» و«ثُمُر» مثل: «حِمار» و«حُمُر» ويجوز أن يكون جمع «ثَمَر» مثل: «خَشَب» و«خُشُب». وإنّما قال: ﴿كلتا الجنّتين آتت﴾ على لفظ «كلتا» لأنّه بمنزلة «كل» في مخرج التوحيد، ولو قال: «آتتا» على ﴿الجنّتين﴾ كان جائزاً، قال الشاعر في التوحيد:

وكِلْتاهُما قَدْ خُطَّ لي فـي صَـحِيفَتي

فَلا العيشَ أهْواهُ ولا المَوْتَ أرْوَحُ[(٤)]

ويجوز كلاهما في الحديث، قال الشاعر:

كِـلَا عَـقِبَيه قـد تَشَـعَّثَ رأسُـها

من الضَرب في جَنْبَيْ ثَقَالٍ مُباشر[(٥)]

والألف في «كِلْتا» ليست ألف التـثنية، [ولذلك لا يـجوز أن تـقول: الاثنتان قام] ويجوز ان يقال: كلّ الجنّة آتت، ولا يجوز: كلّ المرأة قامت، لأنّ بعض الامرأة ليس بامرأة، وبعض الجنّة جنّة، فكأنّه قال: كلّ جنّة من جملة ما آتت.

---

(١) أنشده في اللسان مادّة «لوى» ونسبه إلى فرعان بن الأعرف وقد وردت ذيل العبارة فـي «س» و«ح» والحجريّة: «الّذي لا يغالبه». (٢) رواه الطبري ذيل الآية عن قتادة.

(٣) وهو قراءة ابن عامر كما في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨٥.

(٤) أنشده الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٤٢ ولم ينسبه لأحد.

(٥) أنشده الفرّاء أيضاً ولم ينسبه لأحد، راجع المصدر السابق: ١٤٣، وفيه: «تشعّب» بدل «تشعّث».

وقوله: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يقول أحد الرجلين لصاحبه، يعني: صاحبَي الجنّتين اللتين ضرب بهما المثل، يقول لصاحبه الآخر: ﴿وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً﴾ أي: وأعزّ عشيرة وأكثر أنصاراً، وقد فسّرناه فيما مضى.

وإنّما قال: ﴿وفجّرنا خلالهما نهراً﴾ والنهر يتفجّر من موضع واحد، لأنّ النهر يمتدّ حتّى يصير التفجّر كأنّه فيه كلّه، فالتخفيف والتثقيل فيه جائزان، ومنه: ﴿حتّى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾[١] يُخفَّف ويُثقَّل، على ما مضى القول فيه[٢].

قوله [تعالى]:

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ثلاث آيات في الكوفي والبصري[٣] والمدني الأوّل، واثنتان في المدني الأخير[٤].

قرأ أهل الحجاز وابن عامر: ﴿خيراً منهما﴾ بزيادة ميم على التثنية، الباقون بلا ميم.

أخبر الله تعالى عن أحد الرجلين اللذَيْن ضرب بهما المثل، وهو صاحب الجنّتين: أنّه ﴿دخل جنّته﴾ وهي البستان الّذي يجنّه الشجر، ويحفّه الزهر ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ أي: باخس لها حقّها بارتكاب القبيح والإخلال

---

(١) الإسراء: ٩٠. (٢) في ذيل الآيات ٨٨ ـ ٩٠ من سورة الإسراء فراجع.

(٣) لم ترد «والبصري» في المطبوعتين.

(٤) في «س» العبارة هكذا: آيتان في عدد إسماعيل وشامي، وثلاث فيما عداه، أوّلهم عدّوا «أبداً» آية، ولم يعدّها إسماعيل ولا الشامي.

بالواجب اللذَين يستحقّ بهما العقاب، ويفوته بهما الثواب. فلمّا رأى هذا الجاهل ما راقه، وشاهد ما أعجبه، وكبر في نفسه توهّم أنّه يدوم، وأنّ مثله لاتبيد[١] فقال: ﴿ما أظنّ أنّ تبيد هذه أبداً﴾ أي: تهلك هذه الجنّة أبداً ﴿وما أظنّ الساعة قائمةً﴾ يعني: يوم القيامة قائمة، أي: تقوم، كما يدّعيه الموحّدون، ثمّ قال: ﴿ولئن رُدِدْت إلى ربّي﴾ وجدت ﴿خيراً منها﴾ يعني: من الجنّة، ومَن قرأ: ﴿منهما﴾ أراد الجنّتين ﴿منقلباً﴾ أي: في المرجَع إليه، وإنّما قال هذا مع كفره بالله تعالى، لأنّ المعنى: إنْ رُدِدْت إلى ربّي، كما يُدَّعى من رجوعي، فلي خير من هذه، تهكّماً سوّلته [له] نفسه، لا مطمع له فيه. وقال ابن زيد: شكّ، ثمّ قال على شكّه في الرجوع إلى ربّه: ما أعطاني هذا إلّا ولي عنده خير منه[٢] فقال ﴿له صاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثمّ سواك رجلاً﴾ ومعنى ﴿خلقك من تراب﴾: أنّ أصلك من تراب، إذ خلق أباه آدم عليه السلام من تراب، فهو من تراب ويصير إلى التراب، وقيل: لمّا كانت النطفة يخلقها الله بمجرى العادة من الغذاء، والغذاء نبت من التراب، جاز أن يُقال: خلقك من تراب، لأنّ أصله تراب، كما قال: ﴿من نطفة﴾ وهو في هذه الحال خلق سويّ حيّ، لكن لمّا كان أصله كذلك جاز أن يُقال ذلك.

وفي الآية دلالة على أنّ الشكّ في البعث والنشور كفر، والوجه في خلق البشر وغيره من الحيوان، وتنقّله من تراب إلى نطفة، ثمّ إلى علقة، ثمّ إلى صورة، ثمّ إلى طفوليّة، ثمّ إلى حال الرجوليّة، ما في ذلك من الاعتبار الّذي هو دالّ على تدبير مدبّر مختار، يصرّف الأشياء من حال

(١) في المطبوعتين «لا يفنى».

(٢) في الحروفية «منها» والعبارة في «س» هكذا: «ولي خير منها عنده».

إلى حال، لأنّ ما يكون بالطبع يكون دفعةً واحدةً، كالكتابة الّتي يوجدها بالطبائع من لا يحسن الكتابة، فلمّا أنشأ الخلق حالاً بعد حال دلَّ على أنّه عالم مختار.

و«المحاورة»: مراجعة الكلام، و«المنقلب»: المعاد، و«التسوية» جعل الشيء على مقدارٍ سواء، فقوله: «سوّاك رجلاً» أي: كمّلك رجلاً.

قوله [تعالى]:

لَّـٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَاشَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴿٤١﴾ أربع آيات بلا خلاف.

قرأ نافع في رواية المسيِّبي وابن عامر وأبو جعفر ورُوَيْس، والبُرْجُمي والعَبَسي: ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾ بإثبات الألف في الوصل، وقرأ وَرْش عن نافع والباقون بغير الفٍ في الوصل، ولم يختلفوا في الوقف أنّه بألف، وقد جاء الإثبات في الوصل، قال الأعشى:

فكيفَ أنا وانْتِحالي القَوافِي بَعَد المَشيبِ كَفَى ذاكَ عَارا[1]

غير أنّ ذلك من ضروة الشعر، ويجوز في ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾ خمسة أوْجُه في العربيّة:

أحدها: «لكنّ هو الله» بالتشديد من غير ألف، في الوصل[2]. الثاني: بألفٍ في الوصل والوقف، الثالث: «لكننا» بإظهار النونين وطرح الهمزة، الرابع: «لكن هو الله ربّي» بالتخفيف، الخامس: «لكن أنا» على الأصل،

(١) من قصيدة للاعشى يمدح فيها قيس بن معديكرب، راجع ديوان الأعشى: ٨٦، وصدره «فما أنا أم ما انتحالي».

(٢) في «س» والحروفيّة: في الوصل والوقف.

وقال الكسائي: العرب تقول: «أنَّ قائم» بمعنى: أنا قائم، فهذا نظير «لكن هو الله»(١).

ومن قرأ ﴿لكنّا﴾ في الوصل احتمل أمرين:

أحدهما: أن يجعل الضمير المتّصل مثل المنفصل الّذي هو «نحن» فيدغم النون من «لكن» لسكونها في النون من علامة الضمير، فيكون على هذا بإثبات الألف وصلاً ووقفاً، لأنّ أحداً لا يحذف الألف من «نحن فعلنا»، وقوله: ﴿هو الله﴾ فهو ضمير علامة الحديث والقصّة. كقوله: ﴿فإذا هي شاخصة﴾(٢) وقوله: ﴿قل هو الله أحد﴾(٣) والتقدير: الأمر الله أحد، لأنّ هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر، فيصير المبتدأ والخبر في موضع خبره، وعاد على الضمير الّذي دخلت عليه «لكن» على المعنى، ولو عاد على اللفظ لقال: لكنا هو الله ربّنا. ودخلت «لكن» مخفّفة على الضمير، كما دخلت في قوله: ﴿إنّا معكم﴾(٤).

والوجه الآخر: أن يكون على ما حكاه سيبويه أنّه سمع من يقول: «أعطني أبيضَّة» فشدّد وألحق الهاء بالتشديد الموقف، والهاء مثل الألف في «سَبْسَبَّا» والياء في «عيهلّي» وأجرى الهاء مجراهما في الإطلاق، كما كانت مثلهما في نحو قوله:

صَفِيَّةُ قُومي ولا تَجْزَعِي وبَكِّي النساءَ على حَمْزَة

وهذا الّذي حكاه سيبويه ليس في شعر، فكذلك الآية تكون الألف فيها كالهاء، ولا تكون الهاء للوقف، لأنّ هاء الوقف لا يبين بها المعرب، ولا ما ضارع المعرب. فعلى أحد هذَيْن الوجهَيْن(٥) يكون قول من أثبت

(١) حكاه عنه الزجّاج في معانيه ٣: ١٤٥، وفيه: «ان قائم يريد ان أنا قائم».

(٢) الأنبياء: ٩٧. (٣) التوحيد: ١. (٤) البقرة: ١٤. (٥) في «م»: «أحد هذين القولين».

الألف في الوصل أو عليهما جميعاً ولو كانت فاصلةً، لكان مثل: ﴿فأضلُّونا السبيلاً﴾[١].

وفى «أنا» في الأصل ثلاث لغات: أجودها «أنا قمت» كقوله: ﴿أنا ربُّكم الأعلى﴾[٢] بغير ألف في اللفظ، ويجوز «أنا قمت» بإثبات الألف، وهوضعيف جدّاً، وحكوا[٣]: «أنْقمت» بإسكان النون، وهوضعيف أيضاً[٤]. وأمّا ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾ فهو الجيّد بإثبات الألف[٥] لأنّ الهمزة قد حُذفِت من «أنا» فصار إثبات الألف عوضاً عن الهمزة، وحُكِي أنّ أُبيّاً قرأ: «لكن أنا هو الله»[٦] قال الزجّاج: وهو الجيّد البالغ، وما قرأه القُرّاء أيضاً جيّد[٧].

وقوله: ﴿قلت ما شاء الله﴾ تحتمل «ما» أن تكون رفعاً، وتقديره: قلت: الأمر ما شاء الله، ويجوز أن تكون نصباً على معنى الشرط والجزاء، والجواب مضمر وتقديره: أيّ شيء شاء الله كانَ، وتضمر الجواب، كما تضمر جواب ﴿لو﴾ في قوله: ﴿ولو أنَّ قرآنا سُيِّرت به الجبال﴾[٨] والمعنى: كان هذا القرآن، ومعنى ﴿لا قوّة إلّا بالله﴾: لا يقدر أحد إلّا بالله، لأنّ الله هو الّذي يفعل القدرة للفعل.

وقوله ﴿إن تَرَنِ أنا أقلّ﴾ منصوب بأنّه مفعول ثانٍ لـ«ترني». و ﴿أنا﴾ تصلح لشيئين: أحدهما: أن تكون توكيداً للنون والياء، والثاني: أن تكون فصلاً، كما تقول: كنت أنت القائم يا هذا. ويجوز رفع ﴿أقلّ﴾ وقرأ بها عيسى بن عمر، على أن يكون ﴿أنا﴾ مبتدأ و ﴿أقلّ﴾ خبره، والجملة في

---

(١) الأحزاب: ٦٧، وقد ورد النصّ في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨٧ و٨٨.

(٢) النازعات: ٢٤. (٣) في «م»: «وحكي». (٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٧.

(٥) العبارة في «س» والحروفيّة هكذا: «بإثبات الألف فهو الجيّد».

(٦) مختصر شواذّ القرآن: ٨٣. (٧) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٧. (٨) الرعد: ٣١.

موضع المفعول الثاني لـ﴿ترنِ﴾.

وقوله: ﴿غَوْراً﴾ قرأه البُرْجُمي بضمّ الغين هاهنا وفي المُلْك[١]. وإنّما جاز أن يقع المصدر في موضع الصفة في «ماء غور» للمبالغة، كما تقول في الحسن وجهه: نور ساطع، وقال الشاعر:

تَظَلُّ جِيادُهُ نَوْحاً عَلَيْهِ مُقَلَّدةً أعِنَّتها صُفُونا[٢]

حكى الله تعالى عن الّذي قال لصاحبه: ﴿أكفرت بالّذي خلقك من تراب﴾: أنّه قال: ﴿لكنّا هو الله ربّي﴾ ومعناه: «لكن أنا هو الله ربّي» إلاّ أنّه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الساكن الّذي قبلها، فالتقت النونان، وأُدغمت إحداهما في الأُخرى، كما قال الشاعر:

ويَرمِينَني بالطَرْفِ أي أنتَ مذْنِبٌ ويَقْلِينَني لكِنَّ إيّاكَ لا أقْلِي[٣]

أي: لكِنْ أنا. وقوله: ولا أشرك بربّي أحداً﴾ أي: لا أشرك بعبادتي أحداً مع الله بل أوجهها إليه خالصاً وحده[٤]. وإنّما استحال الشرك في العبادة، لأنّها لا تستحقّ إلاّ بأُصول النِعَم، وبالنِعَم الّتي لا توازيها نعمة مُنْعِم، وذلك لا يقدر عليه أحد إلاّ الله.

ثمّ قال له: ﴿ولولا إذ دخلت جنّتك﴾ والمعنى: هلّا حين دخلت جنّتك ﴿قلت ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله﴾ لأحد من الخلق ﴿إن ترني أنا أقلّ منك مالاً وولداً فعسى ربّي أن يؤتيني﴾ بمعنى: أن يعطيني ﴿خيراً من جنّتك﴾ جنّة في

(١) الملك: ٣٠.

(٢) لعمرو بن كلثوم، من قصيدة فخرية له، راجع ديوان عمرو: ٥٧. وصدره: تركنا الخيل عاكفة عليه».

(٣) أنشده الفرّاء في معانيه ٢: ١٤٤، ونسبه إلى أبي ثروان.

(٤) العبارة في «س» هكذا: «بل أُوجّهها إليه خالصة وحده» وفي الحروفيّة: بل أوجهها إليه خالصة له وحده».

الدار الآخرة ﴿و﴾ أن ﴿يرسل عليها﴾ أي: على جنّتك ﴿حسباناً من السماء﴾. قال ابن عبّاس وقَتادة: معناه: عذاباً. وقيل: ناراً من السماء تحرقها[١]. وقيل: أصل «الحُسبان»: السهام الّتي تُرمى لتجري[٢] في طلق واحد، وكان ذلك من رمي الأساورة[٣]. و«الحُسبان»: المرامي الكثيرة، مثل: كثرة الحساب، واحده: حُسبانة. وقال الزجّاج: المعنى: ويُرسل عليها عذاب حساب ما كسبت يداك، لأنّ الحُسبان هو الحساب[٤].

وقوله: ﴿فتصبح صعيداً زَلَقاً﴾ أي: تراباً محترقاً، و«الزَلَق» الّذي لا نبات فيه. وقال الزجّاج: «الصعيد»: الطريق الّذي لا نبات فيه[٥]. أي: لإملاسها لا تنبت شيئاً.

وقوله: ﴿أو يصبح ماؤها غَوراً﴾ أي: ذاهباً في باطن غامض، والمعنى: غائراً، فوضع المصدر موضع الصفة ونصب على الحال، ولذلك لا يُثنّى ولا يجمع.

وقوله: ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾ أي: لا تقدر على طلب الماء إذا غار، و«الطلب»: تقليب الأمر لوجدان ما يهلك، قال الرُمّاني: هذا أصله، ثمّ قيل

---

(١) نقله أبوصالح عن ابن عبّاس كما في زاد المسير ٥: ١٠٦.

(٢) كذا في «ح» والمطبوعتين وفي غيرهما: «بمجري» وانظر مجمع البيان ٦: ٤٧١.

(٣) والأساورة جمع اسورة: قائد الفرس والجيد الرمي بالسهام، وهم قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً (المعجم الوسيط: ٤٦٢). قال النضربن شميل الحسبان: سهام يرمي بها الرجل في جوق قصبة تنزع في القوس، ثمّ يرمى بعشرين منها دفعة، فعلى هذا يكون المعنىٰ: ويرسل عليها مرامى من عذابه إمّا مجارة أو غيرهما راجع زاد المسير ٥: ١٠٧.

(٤) العبارة في المصدر هكذا: «فالمعنى في هذه الآية أن يرسل عليها عذاب حسبان، وذلك: الحسبان هو حساب ما كسبت يداك» انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٩٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه: ٣: ٢٩٠.

للمريد من غيره فعلاً: طالب لذلك الفعل بإرادته أو أمره. و«المفكّر» في المعنى طالب لإدراك ما فيه، وكذلك «السائل».

قوله [تعالى]:

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم: ﴿الولاية﴾ بفتح الواو ﴿لله الحق﴾ بكسر القاف، وقرأ حمزة بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بفتح الواو وضمّ القاف، وقرأ الكسائي بكسر الواو وضمّ القاف. وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً: ﴿ولم يكن﴾ بالياء، الباقون بالتاء.

من قرأ بالتاء فلتأنيث «الفئة» والفئة: الجماعة، وقد يسمّى الرجل الواحد: فئةً كما أنّ الطائفة تكون جماعةً وواحداً. قال ابن عبّاس في قوله: ﴿وليشهد عذابهما طائفة﴾[1] فالطائفة قد تكون الرجل الواحد، ومن قرأ بالياء فلقوله: ﴿ينصرونه﴾ ولأنّ التأنيث غير حقيقي.

وأمّا ﴿الولاية﴾ بفتح الواو، وكسرها فلغتان، مثل: الوَكالة والوِكالة، والدَلالة والدِلالة، وقال قوم: هما مصدران، فالمكسور مصدر «الوالي» من الإمارة والسلطان، والمفتوح مصدر «الوليّ» ضدّ «العدوّ» تقول: هذا وليٌّ بيِّن الولاية[2].

وأمّا قوله: ﴿الحقّ﴾ فمن خفض قال: الحقّ هو الله، فخفضه نعتاً لله،

---

(١) النور: ٢. (٢) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٨٩، ومعاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٨٩.

واحتجّ بقراءة ابن مسعود: ﴿هنا لك الولاية لله وهو الحقّ﴾ وفي قراءة أُبيّ: «هنا لك الولاية الحقّ لله». ومن رفع جعله نعتاً للولاية، وأجاز الكوفيّون والبصريّون النصب بمعنى: أحقّ ذلك حقّاً، و«الحقّ»: اليقين بعد الشكّ.

قوله: ﴿وأُحيط بثمره﴾ معناه: هلكت ثمرهم عن آخرها، ولم يسلم منها شيء، كما يُقال: أحاط بهم العدوّ، إذا هلكوا عن آخرهم. و«الإحاطة» إدارة الحائط على الشيء، ومنه قوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ (١) أي: لا يعلمون معلوماته. و«الحدّ». محيط بجميع المحدود (٢).

وقوله: ﴿فأصبح يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها﴾ أي: يتحسّر على ما أنفق في عمارتها ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ معناه: حيطانها قائمة لا سقوف عليها، لأنّها انهارت فصارت في قرارها، وخوت فصارت خاوية من الأساس، ومثله قولهم: الدار على سقوفها، أي: أعلاها في أسفلها، وقيل: خالية على (٣) بيوتها (٤) والعروش الأبنية، أي: قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها. وقيل: «العروش»السقوف (٥) فصارت الحيطان على السقوف.

[وقوله]: ﴿ويقول يا ليتني لم اشرك بربّي أحداً﴾ إخبار منه تعالى عمّا يقول صاحب الجنّة الهالكة، وأنّه يندم على ما كان منه من الشرك بالله، ثمّ قال تعالى: ﴿ولم تكن له فئة﴾ أي: جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ قال العجّاج:

كما يَحُوزُ الفِئَةُ الكَمِي

وقوله تعالى: ﴿وما كان منتصراً﴾ قال قَتادة: معناه: ما كان ممتنعاً.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.
(٢) في الحجرية: «الحدود».
(٣) في «س»: عن.
(٤) قاله أبو عُبَيْدة في المجاز ١: ٤٠٥.
(٥) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٤٥.

وقيل: معناه: ما كان منتصراً بان يستردّ بدل ما كان ذهب منه.

وقوله: ﴿هنالك الولاية لله الحقّ﴾ إخبار منه تعالى أنّ في ذلك الموضع الولاية بالنصرة والإعزاز لله عزّوجلّ، لا يملكها أحد من العباد يعمل بالفساد فيها، كما قد مكّن في الدنيا على طريق الاختبار فيصحّ الجزاء في غيرها.

وقوله: ﴿هو خير ثواباً وخير عُقْباً﴾ إنّما قال: هو خير ثواباً مع أنّه لا يثيب أحد إلّا الله لأمرَيْن:

أحدهما: أنّه على ادّعاء الجُهّال أنّه قد يثيب غير الله، فتقديره: لو كان يُثيب غيره لكان هو خير ثواباً. والثاني: أنّه خير جزاء على العمل، وعاقبة ما يدعو إليه خير من عاقبة ما لا يدعو إليه.

و«الولاية» بفتح الواو ضدّ «العداوة» وبكسرها الإمارة والسلطان. وقرأ عاصم وحمزة ﴿عُقْباً﴾ بسكون القاف، الباقون بضمّتين، وهما لغتان بمعنى «العاقبة» وهو نصب على التمييز. و﴿هنالك﴾ إشارة إلى يوم القيامة، والمعنى: أنّ يوم القيامة تتبيّن نصرة الله لأوليائه. و﴿عقباً﴾ أي: عاقبة، يقال: عُقبى الدار، وعقب الدار، وعاقبة الدار، بمعنىً واحد.

قوله [تعالى]:

وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ آيتان بلا خلاف.

أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها، وترغيباً في الآخرة، بأن قال: إنّ مثلها كمثل ماء أنزله الله من السماء ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ أي: نبت بذلك الماء المنزل من السماء نبات، فالتفّ بعضه ببعض،

يروق حُسناً وغَضاضة، ثمّ عاد ﴿هشيماً﴾ أي: مكسوراً مفتّتاً ﴿تذروه الرياح﴾ فتنقله من موضع إلى موضع، فانقلاب الدنيا بأهلها كانقلاب هذا النبات، ثمّ قال: ﴿وكان الله على كلّ شيء﴾ أراده ﴿مقتدراً﴾ أي: قادراً، لا يجوز عليه المنع [منه]. و«التذرية»: تطيير الريح الأشياء الخفيفة على كلّ جهة، ذَرَتْه الريحُ تَذرُوه ذَرْواً، وذرّته تَذْرِيةً، وأذْرَتْهُ إذْراءً، قال الشاعر:

فَقُلتُ لَهُ صَوِّبْ ولا تَجْهِدَنَّهُ فيُذْرِكَ مِن أُخرى القَطاةِ فَتَزْلَقِ[1]

وأذريت الرجل عن الدابّة: إذا ألقيته عنها، و«الهشيم» النبات اليابس المتفتّت. وقال الحسن: معنى ﴿وكان الله على كلّ شيء مقتدراً﴾ أي: كان قادراً قبل أن يكوّنه، وقبل أن يكون. وهو إخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل، وهذا المثل للمتكبّرين الّذين اغترّوا بأموالهم، واستنكفوا من مجالسة فقراء المؤمنين، فأخبرهم الله أنّ ما كان من الدنيا لا يُراد به الله، فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادّة له، فهو يروق ما خالطه ذلك الماء، فإذا انقطع عنه عاد هشيماً تذروه الرياح لا ينتفع به.

وقوله: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ إخبار منه تعالى أنّ كثرة الأموال الّتي يتموّله الإنسان ويملكه في الدنيا، والبنين الّذين يرزقهم الله ﴿زينة الحياة الدنيا﴾ أي: جمال الدنيا وفخرها ﴿والباقيات الصالحات﴾ يعني: الطاعات لله تعالى، لأنّه يبقى ثوابها أبداً، فهي خيرٌ من نفعٍ منقطعٍ لا عاقبة له يفرح بها ويدوم خيرها، وهي صالحات بدعاء الحكيم إليها وأمره بها، وقال ابن عبّاس: ﴿الباقيات الصالحات﴾ الطاعات لله، وروي في أخبارنا: أنّ من الباقيات الصالحات والأُمور الثابتات: القيام بالليل لصلاة

(١) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه لأحد.

الليل[١]. و«الأمل»: الرجاء، ومعنى ﴿خير أملاً﴾ أنّ الرجاء للعمل الصالح والأمل له خير من الأمل للعمل الطالح.

قوله [تعالى]:

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَـٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عامر: ﴿تُسيَّر﴾ لتأنيث ﴿الجبال﴾ ورفع ﴿الجبالُ﴾ لأنّه اسم ما لم يسمّ فاعله، ولأنّه قال: ﴿وسُيِّرت الجبال فكانت سراباً﴾[٢] ولأنّ أُبيّاً قرأ: «ويوم سُيِّرت الجبالُ» فإذا كان الماضي «سُيِّرت» كان المضارع «تُسيَّر». الباقون: ﴿نُسيِّر﴾ بالنون، إخبار من الله تعالى عن نفسه، ونصب ﴿الجبالَ﴾ وهو مفعول به، وحجّتهم قوله: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ ونصب ﴿ويوم نُسيِّر﴾ بإضمار فعل، وتقديره: واذكر يا محمّد صلى الله عليه وآله يوم نُسيِّر الجبالَ.

وقوله: ﴿وترى الأرض بارزةً﴾ أي: [ظاهرةً فلا يتستّر منها شيء، لأنّ الجبال إذا سُيِّرت عنها وصارت دكّاً مُلْساً ظهرت][٣] وبرزت، وقيل: ﴿وترى الأرض بارزة﴾ أي: يبرز ما فيها من الكنوز والأموات، فهو مثل قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «ترمي الأرض بأفلاذ كبدها».

وأجاز بعض البصريّين أن ينصب ﴿ويوم﴾ بقوله: ﴿والباقيات الصالحات

---

(١) معناه في الكافي ٢: ٤٩٧. (٢) النبأ: ٢٠. (٣) مابين المعقوفتين لم يرد في «م».

خير... ثواباً﴾ في ﴿يوم تسيّر الجبال﴾. فـ«الباقيات الصالحات» قيل: الطاعات، وقيل: الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر. وروي عن أبي جعفر عليه‌السلام أنّه قال: «القيام بالليل لصلاة الليل»[١].

[وسمع بعضهم عزّى صديقاً له، فقال: ابنك كان زينة الدنيا، ولو بقي كان سيّداً مثلك، وإذ استأثر الله به فجعله من الباقيات الصالحات ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربّك ثواباً وخير أملاً﴾ فتسلّى بذلك][٢].

يقول الله تعالى لنبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله: اذكر ﴿يوم نُسيِّر الجبال﴾، والتسيير: تطويل السير، وقد يكون بمعنى: أن يجعله يسير، وهذا هو معنى: «تسيير الجبال» وإنّما يسيّرها الله تعالى ويخبر به لِمَا في ذلك من الاعتبار به في الدنيا، وقيل: يسيّرها بأن يجعلها هباءً منبثّاً. ومعنى ﴿وترى الأرض بارزةً﴾ أي: لا شيء يسترها، لحشر الناس حتّى يكونوا كلّهم على صعيد واحد، ويرى بعضهم بعضاً، وكلّ ذلك من هول يوم القيامة.

أخبر الله به للاعتبار به، والاستعداد بما يخلّصه[٣] من أهواله.

وقوله: ﴿وحشرناهم﴾ أي: بعثناهم وأحييناهم بعد أن كانوا أمواتاً ﴿فلم نغادر منهم أحداً﴾ أي: لم نترك واحداً منهم لانحشره، و«المغادرة»: الترك، ومنه: «الغَدْر» ترك الوفاء، ومنه: «الغَدير» لترك الماء فيه. وقيل: ﴿نغادر﴾ نخلف[٤]. وقيل: «أغدرت» و«غادرت» واحد[٥].

وقوله: ﴿وعرضوا على ربّك صفّاً﴾ قيل: معناه: أنّهم يُعرضون صفّاً بعد صفّ كالصفوف في الصلاة. وقيل: المعنى: أنّهم يُعرضون على ربّهم

---

(١) رواه الشيخ في التهذيب ٢: ١٢٠، الحديث ٢٢٣. وانظر تفسير العيّاشي ٢: ٣٢٧، الحديث ٣٣.

(٢) مابين المعقوفتين لم يرد في «س».

(٣) في المطبوعتين: يخلص.

(٤) قاله ابن قتيبة كما في النكت والعيون ٣: ٣١٢.

(٥) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٤٧.

لا يخفى منهم أحد فكأنّهم صفّ واحد[١]. وقيل: إنّهم يُعرضون وهم صفّ[٢] ويقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرّة﴾ يعني: جئتم إلى الموضع الّذي لا يملك الأمر فيه أحد إلّا الله كما خلقناكم أوّل مرّة لا تملكون شيئاً.

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «يُحشَرون حُفَاة عُرَاة غُرلاً» فقالت عائشة: أفَما يحتشمون يومئذ؟ فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: ﴿لكلّ امرئ منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾[٣].

ويقال لهم أيضاً: ﴿بل زعمتم﴾ في دار الدنيا ﴿أن لن نجعل لكم موعداً﴾ يعني: يوم القيامة، وأنّكم أنكرتم البعث والنشور.

ثمّ قال الله تعالى: ﴿ووضع الكتاب﴾ يعني: الكتب الّتي فيها أعمالهم مثبتة ﴿فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه﴾ أي: يخافون من وقوع المكروه بهم. و«الإشفاق»: الخوف من وقوع المكروه مع تجويز ألّا يقع، وأصله: «الرقّة»، ومنه: «الشَفَق»: الحُمْرة الرقيقة الّتي تكون في السماء، وشَفَقة الإنسان على ولده: رقّته عليه.

وقوله: ﴿ويقولون﴾ الواو واو الحال، وتقديره: قائلين ﴿يا ويلتنا﴾ وهذه لفظة مَن وقع في شدّةٍ ودعاء بها[٤] ﴿ما لهذا الكتاب﴾ أيّ شيء لهذا الكتاب ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾ أيّ: لا يترك صغيرةً ولا كبيرةً من المعاصي ﴿إلّا أحصاها﴾ بالعَدَد وحواها. و ﴿لا يغادر﴾ في موضع نصب

---

(١) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٢٩٢. (٢) قاله الطبري ذيل الآية.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٤: ٢١٩٤ ح ٢٨٥٩ وما بعده والنسائي في سننه ٤: ١١٤، والآية ٣٧ من سورة عبس.

(٤) في «ح» و«س» وهامش الحجريّة «ودعا بها»، وفي الحجرية «ودعاء بها»، والعبارة في مجمع البيان هكذا: هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع في شدّة فيدعو على نفسه بالويل والثبور.

بالحال ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ إخبار منه تعالى أنّهم يجدون جزاء ما عملوا في ذلك الموضع، ولا يبخس الله ﴿أحداً﴾ حقّه في ذلك اليوم، ولا ينقصه ثوابه الّذي استحقّه، وقيل: معناه: ووجدوا أعمالهم مثبتة كلّها، ويُعاقب(١) كلّ واحد(٢) على قدر معصيته.

قوله [تعالى]:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده: ﴿ويوم نقول﴾ بالنون، على أنّ الله تعالى هو المخبر عن نفسه بذلك، لأنّه قال قبل ذلك: ﴿وما كنت متّخذ المضلّين عَضُداً ويوم نقول﴾ حمله على ما تقدّم، والجمع والإفراد في ذلك بمعنى(٣) الباقون بالياء، بمعنى: قل يا محمّد: يقول الله: أين شركائي الّذين زعمتم؟ ولو كان بالنون لكان الأشبه بما بعده أن يكون جمعاً: فيقول شركاؤنا، فأمّا قوله: ﴿الّذين زعمتم﴾ فالراجع إلى الموصول محذوف، والمعنى: الّذين زعمتموهم إيّاهم، أي: زعمتموهم شركاء، فحذف الراجع من الصلة، ولابدّ من تقديره، كقوله: ﴿أهذا الّذي بعث الله رسولاً﴾ (٤).

يقول الله تعالى لنبيّه: واذكر الوقت الّذي قال الله ﴿للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وأنّهم سجدوا ﴿إلّا إبليس﴾ وقد فسّرنا ذلك فيما تقدّم(٥). وقيل: إنّما

---

(١) في «م»: «ولا نعاقب». (٢) لم ترد «كلّ واحد» في «م» و«ح» والحجريّة.

(٣) كذا في المصدر، وفي النسخ: «بذلك المعنى». (٤) الفرقان: ٤١.

(٥) عند تفسير الآية: ٣٤ من سورة البقرة، والآية: ١١ من سورة الأعراف، والآية ٦١ من سورة الإسراء.

كرّر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده ممّا يحتاج إلى اتّصاله به، فهو كالمعنى الّذي يفيد أمراً في مواضع كثيرة، والإخبار عنه بأخبار مختلفة، كقولهم: برهان كذا كذا، وبرهان كذا كذا، وكذلك المعنى الّذي يحتاج إلى إحكامه في أُمور كثيرة.

وقوله: ﴿كان من الجنّ﴾ قيل: معناه: صار من الجنّ المخالفين لأمر الله. وقال قوم: ذلك يدلّ على أنّه لم يكن من الملائكة، لأنّ الجنّ جنس غير الملائكة، كما أنّ الإنس غير جنس الملائكة والجنّ، ومن يصّر أنّه كان من الملائكة يقول: معنى﴿كان من الجنّ﴾ يعني: من الّذين يستترون عن الأبصار، لأنّه مأخوذ من «الجنّ» وهو الستر، ومنه: «المجنّ» لأنّه يستر الإنسان.

وقال ابن عبّاس: نُسب إلى الجنان الّتي كان عليها، كقولك: كوفي وبصري. وقال قوم: بل كانت قبيلته الّتي كان فيها يقال لهم الجنّ، وهم سبط من الملائكة، فنُسِب إليهم. وقال ابن عبّاس: لو لم يكن إبليس من الملائكة ما أُمر بالسجود. وقال: وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وروى عِكْرِمة عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿كان من الجنّ﴾ قال: كان إبليس من الملائكة، فلمّا عصى لُعِن فصار شيطاناً.

ومَن قال إنّ إبليس له ذرّية، والملائكة لا ذرّية لهم ولا يتناكحون ولا يتناسلون، عوّل على خبر غير معلوم. فأمّا الأكل والشرب ففي الملائكة، ولو علم أنّه مفقود فإنّا لا نعلم أنّ إبليس كان يأكل ويشرب.

فأمّا من قال: إنّ الملائكة رسل الله ولا يجوز عليهم أن يرتدّوا، فلا نسلّم لهم أنّ جميع الملائكة رسل الله، وكيف نسلّم ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً﴾[1] فأدخل «من» للتبعيض، فدلّ

---

(١) الحجّ: ٧٥.

على أنّ جميعهم لم يكونوا أنبياء، كما أنّه تعالى قال: ﴿ومن الناس﴾[١] فدلّ على أنّ جميع الناس لم يكونوا أنبياء.

وقوله: ﴿ففسق عن أمر ربّه﴾ معناه: خرج عن أمر ربّه إلى معصيته بترك السجود لآدم، وأصل «الفسق»: الخروج إلى حال تضرّ، يقال: فَسَقَت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وفَسَقَت الفأرة: إذا خرجت من حُجْرها قال رُؤْبَة:

يَهْوِينَ في نَجْدٍ وغَوْراً غَائِراً فَواسِقاً عن قَصْدِها جَوائِرا[٢]

وقال أبو عُبَيْدة: هذه التسمية لم أسمعها في شيء من أشعار الجاهليّة ولا أحاديثها، وإنّما تكلّمت بها العرب بعد نزول القرآن. قال المبرّد: والأمر على ما ذكر أبو عُبَيْدة، وهي كلمة فصيحة على ألسنة العرب، وأوكد الأُمور ما جاء في القرآن. وقال قُطْرُب: معنى ﴿فَفَسَق عن أمر ربّه﴾ عن ردّه أمر ربّه، كقولهم: كسوته عن عُرىً، وأطعمته عن جوع.

ثمّ خاطب تعالى الخلق الّذين أشركوا بالله غيره، فقال: ﴿أفتتخذونه﴾ يعني: إبليس ﴿وذرّيته أولياء﴾ أي: أنصاراً توالونهم ﴿من﴾ دون الله[٣] ﴿وهم﴾ يعني: إبليس وذرّيته ﴿لكم عدوّ﴾ يريدون بكم الهلاك والدمار ﴿بئس﴾ البدل ﴿للظالمين بدلاً﴾ ونصب ﴿بدلاً﴾ على التمييز.

ثمّ قال: ﴿ما أشهدتُّهم خلق السماوات﴾ قيل: معناه: ما أشهدتهم ذلك مستعيناً بهم[٤] وقيل: معناه: ما أشهدتّ بعضهم خلق بعض[٥]. ووجه اتّصال ذلك بما قبله اتّصال الحجّة الّتي تكشف حيرة الشبهة، لأنّه بمنزلة

---

(١) الحجّ: ٧٥.
(٢) أنشده الطبري ذيل الآية وأبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤٠٦.
(٣) العبارة في «ح» هكذا: «اتّخذونه وذرّيته أولياء يعني إبليس وذرّيته أي نصّاراً توالونهم من دون الله».
(٤) انظر النكت والعيون ٣: ٣١٥.
(٥) قاله الطبري ذيل الآية.

ما قيل: إنّكم قد أقبلتم على اتّباع إبليس وذرّيته حتّى كأنّ عندهم علماً تحتاجون إليه، فلو أشهدتّهم خلق السماوات والأرض وخلق أنفسهم فلم يخفَ عليهم باطن الأمور وظاهرها لم تزيدوا على ما أنتم عليه في أمرهم[١].

ثمّ قال تعالى ﴿وما كنت متّخذ المضلّين عضداً﴾ يعني: أعواناً، وهو قول قَتادة، وهو من: ٱعْتَضَد به إذا ٱستعان به، وفي «عضد» خمس لغات، وهي: عَضُد وعُضُد وعَضِد وعُضْد وعُضَد.

ثمّ أخبر تعالى عن حالهم يوم القيامة، فقال: ﴿و﴾اذكر ﴿يوم يقول﴾ الله تعالى للمشركين: ﴿نادوا شركائي الّذين زعمتم﴾ على وجه التقريع لهم والتوبيخ، واستغاثوا بهم ﴿فَدَعَوْهم﴾ يعني: المشركين يدعون أولئك الشركاء الّذين عبدوهم مع الله فلا يستجيبون لهم، ثمّ قال تعالى: ﴿وجعلنا بينهم مَوْبِقاً﴾ قال ابن عبّاس: أي: مهلكاً، وبه قال قَتادة والضحّاك وابن زيد، وهو من أوبَقَتْه ذنوبه، أي: أهلكته، وقال الحسن: معنى ﴿مَوبِقاً﴾ أي: عداوة، كأنّه قال: عداوة مهلكة، وقال أنس بن مالك: هو وادٍ في جهنّم من قيحٍ ودم. وحكى الكسائي: وَبَقَ يَبِقُ وَبُوقاً، فهو وابِقٌ: إذا هَلَك، وحكى الزجّاج: وَبَقَ الرجلُ يَوْبَقُ وَبَقاً، و«الوَبَق» مصدر «وَبِقَ»[٢].

قوله [تعالى]:

وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ

---

(١) في «س»: «في أمره» وفي المطبوعتين «في أمركم».

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٩٥.

ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة: ﴿قُبُلاً﴾ بضمّ القاف والباء، الباقون بكسر القاف وفتح الباء. فمن قرأ بضمّ القاف والباء أراد جمع «قَبيل» نحو: قَميص وقُمُص، وقال قوم: إنّ القَبِيلة بنو أب، و«القَبيل» يعبّر بها عن الجماعة وإن اختلفت أنسابهم، واحتجّوا بقول النابغة:

جَـوانِـحُ قَـد أيـقَنَّ أنّ قَـبيلَهُ إذا ما ٱلتقَى الجَمْعان أوّلُ غَالبِ[١]

وجمع «القَبيلة»: قَبائِل، و«القَبائل» أيضاً: قَبائل الرأس، وهي عـروق مجرى الدمع من الرأس، وسُمِّي أيضاً شؤوناً، واحدها: شـأن. ومـن قـرأ بكسر القاف وفتح الباء أراد: مقابلةً، أي: معاينة. ويحتمل أيضاً الضمّ ذلك، ذكره الفرّاء والزجّاج[٢] وهما لغتان.

أخبر الله تعالى عن المجرمين والعصاة أنّهم إذا شـاهدوا نـار جـهنّم ورأوهـا ﴿فظنّوا﴾ أي: عـلموا ﴿أنّهم مواقعوها ولم يجدوا﴾ عـن دخـولها معدلاً، ولا ﴿مَصْرفاً﴾ لأنّ معارفهم ضروريّة، فالظنّ هاهنا بـمعنى العـلم، وقد يكون «الظنّ» غير العلم، وهو ما قوي عند الظانّ كون المظنون على ما ظنّه مع تجويزه أن يكون على خلافه. و«الإجرام»: قـطع العـمل إلى الفساد، وأصله: القطع، يقال: هذا زمن الجرام أي: زمن الصرام، يعني: زمان قطع الثمرة عن النخل. و«المواقعة»: ملابسة الشيء بشدّة، ومـنه: وقـائع الحروب، وأوقَعَ به إيقاعاً، وتَواقَعُوا تَواقُـعاً، و«التـوقّع»: التـرقّب لوقـوع الشيء. و«المَصْرِف»: المَعْدِل، وهو موضع الّذي يُعْدَل إليه، صَرَفَه عن كذا يَصْرِفُهُ صَرْفاً. والموضع: «مَصْرِف» قال أبو كثير:

---

(١) من قصيدة له يمدح بها عمرو بن الحارث حين هرب إلى الشام ونزل به، راجع ديوان النابغة: ٤٨.

(٢) معاني القرآن ٢: ١٤٧ ومعاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٩٧.

أزُهَيْر هَل عن شَيْبَةٍ من مَصْرِفِ أمْ لا خُلُودَ لباذِلٍ مَتَكَلِّفِ[١]

وقوله: ﴿ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كلّ مثلٍ﴾ إخبار من الله تعالى أنّه نقل المعاني في الجهات المختلفة في هذا القرآن، فتصريف المثل فيه تنقيله في وجوه البيان على تمكين فهام، والمعنى: بيّنّا للناس من كلّ مثلٍ يحتاجون إليه، ثمّ أخبر تعالى عن حال الإنسان فقال: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ أي: خصومة، و«الجَدَل»: شدّة الفتل عن المذهب بطريق الحجاج. وأصله: الشدّة، ومنه: «الأجْدَل» الصقر، لشدّته، وسَير مَجْدول: شديد الفَتْل.

وقوله ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربّهم إلّا أن تأتيهم سنّة الأولين﴾ معناه: ما منعهم من الإيمان بعد مجيء الدلالة، وأن يستغفروا ربّهم على ماسبق من معاصيهم، إلّا طلب أن يأتيهم سنّة الأوّلين من مجيء العذاب من حيث لا يشعرون، أو مقابلة[٢] من حيث يرون، وإنّما هم بامتناعهم من الإيمان بمنزلة من يطلب هذا حتّى يؤمن كرهاً، لأنّهم لا يؤمنون حتّى يروا العذاب الأليم، كما يقول القائل لغيره: ما منعك أن تقبل قولي إلّا أن تُضرَب، إلّا أنّك لم تُضرَب، لأنّ مشركي العرب طلبوا مثل ذلك، فقالوا: ﴿اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمْطِر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم﴾[٣].

قوله [تعالى]:

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَـٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ

(١) أنشده أبوعُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٤٠٧ وفيه: «أبوكبير الهذلي».

(٢) في «س»: إلى مقابلته.

(٣) الأنفال: ٣٢.

بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى أنّه لم يرسل رسله إلى الخلق إلّا مبشّرين لهم بالجنّة إذا أطاعوا، ومخوّفين لهم بالنار إذا عصوا، فالبشارة: الإخبار بما يظهر سروره في بَشَرة الوجه، بَشَّرَهُ تَبْشيراً وبَشارةً، وأبْشَرَه إبشاراً: إذا آستبشر بالأمر، ومنه: «البَشَر» لظهور بَشَرَته. ثمّ قال: ﴿ويجادل الّذين كفروا بالباطل﴾ أي: يناظر الكفّار دفعاً عن مذاهبهم بالباطل، وذلك أنّهم ألزموه أن يأتيهم أو يُريهم العذاب على ما توعّدهم ممّا هو لاحق بهم إن أقاموا على كفرهم، و«الباطل»: المعنى الّذي معتقده على خلاف ماهو به، كالمعنى في أنّه ينبغي أن تكون آيات الأنبياء على ما تقتضي الأهواء، وكالمعنى في أنّه يجب عبادة الأوثان على ما كان عليه الكُبَراء ﴿ليدحضوا به الحقّ﴾ والإدحاض: الإذهاب بالشيء إلى الهلاك، ودَحَضَ هو دَحْضاً، ومكانٌ دَحْضٌ أي: مزْلق مزلّ، لا يثبت فيه خُفّ ولا حافِر ولا قَدَم، قال الشاعر:

رَدِيْتُ ونَــجَّى اليَشْكُــرِيَّ حِــذَارُهُ
وحادَ كَما حادَ البعيرُ عن الدَحْضِ [1]

ثمّ أخبر تعالى عنهم أنّهم ﴿اتّخذوا آيات الله﴾ ودلالته وما خوّفوا به من معاصيه ﴿هزواً﴾ أي: سخريّة يسخرون منه. ثمّ قال تعالى: ﴿ومن أظلم﴾ لنفسه ﴿ممّن ذكّر بآيات ربّه﴾ أي: ممّن نُبِّه على أدلّته وعُرّف إيّاها ﴿فأعرض عنها﴾ جانباً ولم ينظر فيها ﴿ونسي ما قدمت يدّاه﴾ أي: نسي

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

ما فعله من المعاصي الّتي يستحقّ بها العقاب، وقال البلخي: معناه: تذكّر واشتغل عنه، استخفافاً به وقلّة معرفة بعاقبته، لا أنّه نَسِيَه.

ثمّ قال تعالى: ﴿إنّا جعلنا على قلوبهم أكنّة﴾ وهي جمع: كِنَان، كراهية ﴿أن يفقهوه﴾ وقيل: لئلّا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ أي: ثقلاً، وقد بيّنّا معنى ذلك فيما مضى[1] وجملته أنّه على التمثيل في جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه، كقوله: ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لَم يسمعها كأنّ في أُذُنيه وَقْراً﴾[2] والمعنى: كأنّ قلوبهم في أكنّة عن أن تفقه، وفي آذانهم وَقْراً أن تسمع، وكأنّه مستحيل أن يجيبوا الداعي إلى الهدى، ويقوّي ذلك قوله: ﴿ومن أظلم ممّن ذُكِّر بآيات ربّه فأعرض عنها﴾ فدلّ أنّه كان يسمعها حتّى صحّ إعراضه عنها. وقال البلخي: يجوز أن يكون المراد انّا إذا فعلنا ذلك ليفقهوه فلن يفقهوا، لأنّه شبّههم بذلك، ويجوز أن يكون المراد بذلك الحكاية عنهم أنّهم قالوا ذلك، كما حكى تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وَقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾[3] ثمّ قال: إن كان الأمر على ذلك ﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾.

وقوله: ﴿وإن تَدْعُهم إلى الهدى﴾ مع ما جعلنا فيهم ﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ ولا يرجعون إليها، بسوء اختيارهم، وسوء توفيقهم من الله، جزاءً على معاصيهم، وذلك يختصّ بمن علم الله أنّه لا يؤمن منهم. ويجوز أن يكون الجعل في الآية بمعنى الحكم والتسمية.

ثمّ قال: ﴿وربّك﴾ يا محمّد ﴿الغفور ذو الرحمة﴾ يعني: الساتر على عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم، و﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا﴾ عاجلاً ﴿لعجّل لهم العذاب﴾ لكن لا يؤاخذهم به، لأنّ ﴿لهم موعداً﴾ وَعَدَهم الله أن يعاقبهم

---

(١) راجع سورة الأنعام: ٢٥ والإسراء: ٤٦. (٢) لقمان: ٧. (٣) فُصِّلت: ٥.

فيه، وهو يوم القيامة ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ أي: ملجأ، في قول ابن‌عبّاس وقَتادة وابن زيد. وقال مجاهد: يعني: محرزاً، وقال أبو عُبَيْدَة: يعني منجىً ينجيهم[1] ويقال: لا وَأَلَتْ نفسه، بمعنى: لانَجَت، قال الأعشى:

وقد أُخالِسُ رَبَّ البيتِ غَفْلَتَهُ وقَد يُحاذِرُ منّي ثمّ ما يَئِلُ[2]

وقال الآخر:

لا وَأَلَتْ نَفْسُكَ خَلَّيْتَها للعامِرِيَّيْنِ ولَمْ تُكْلَمِ[3]

أي: لانَجَت نفسك.

قوله [تعالى]:

وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم: ﴿لَمْهلَكهم﴾ بفتح الميم واللام في رواية أبي بكر عنه، وفي رواية حفص بفتح الميم وكسر اللام، الباقون بضمّ الميم وفتح اللام.

من فتح الميم واللام جعله مصدراً لهَلَكَ يَهلكُ مَهْلكاً، مثل: طَلَعَ مَطْلَعاً، ومن كسر اللام جعله وقت هلاكهم أو موضع هلاكهم، مثل: مَغْرِب الشمس، وحكى سيبويه عن العرب: أتت الناقة على مضربها ومنتجِها ـ بالكسر ـ أي: وقت ضرابها ونتاجها، وإن كان «مضرَباً» بفتح الراء، أي: «ضرباً» جعلها مصدراً، ومن ضمّ الميم وفتح اللام ـ وهو الاختيار ـ فلأنّ المصدر من «أفعل» والمكان يجيء على «مُفْعَل» كقوله: ﴿أدخِلْني مُدْخَل

---

(١) مجاز القرآن ١: ٤٠٨ وأنشد بيت الأعشى.

(٢) من قصيدته اللاميّة المشهورة في هجوه يزيد الشيباني، راجع ديوان الأعشى: ١٥١.

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية.

صِدْقٍ﴾ (١) كذلك: أهلَكَهُ الله مُهْلَكاً، وكلّ فعلٍ كان على فَعَل يَفْعل، مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ فالمصدر «مَضْرَب» بالفتح، والزمان والمكان «مَفْعِل» بكسر العين، وكلّ فعل كان مضارعه «يَفْعَلُ» بالفتح، نحو: يَشْرَبُ ويَذْهَبُ، فهو مفتوح أيضاً نحو: المَشْرَب والمَذْهَب، وكلّ فعل كان على «فَعَلَ يَفْعُل» بضمّ العين في المضارع نحو: يَدْخُلُ ويَخْرُجُ، فالمصدر والمكان منه بالفتح نحو: المَدْخَل والمَخْرَج، إلّا ما شذّ منه نحو: المَسْجِد، فإنّه من: سَجَدَ يَسْجِدُ، وربّما جاء في «فَعِل يَفْعِل» المصدر بالكسر، كقوله: ﴿إلى الله مَرْجِعُكم﴾ (٢) أي: رجوعكم، ونحو قوله: ﴿ويسئلونك عن المَحِيض﴾ (٣) أي: الحيض ونحو قوله: ﴿وجعلنا النهارَ مَعاشاً﴾ (٤) فهذا مصدر وربّما جاء على «المَعيش» مثل: المَحِيض، كما قال الشاعر:

إليكَ أشكوُ شدّة المَعِيش ومُرّ أيامٍ نَتَفْنَ رِيشي (٥)

اخبر الله تعالى: أنّ ﴿تلك القرى أهلكناهم﴾ يعني: أهل القرية، ولذلك قال: «هم» ولم يقل: «ها» لأنّ القرية هي المسكن، مثل: المدينة، والبلدة. والبلدة لا تستحقّ الهلاك، وإنّما يستحقّ العذاب أهلها، ولذلك قال: ﴿لمّا ظلموا﴾ يعني: أهل القرية الّذين أهلكناهم، و«الإهلاك»: إذهاب الشيء بحيث لا يوجد، فقيل: هؤلاء أُهلكوا بالعذاب، و«الإهلاك» و«الإتلاف» واحد، وقولهم: «الضائع هالك» من ذلك، لأنّه بحيث لا يوجد.

وقوله: ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي: لوقت إهلاكهم في من ضمّ الميم، أو لوقت هلاكهم في من فتحها ﴿موعداً﴾ أي: ميقاتاً وأجلاً، فلمّا بلغوه جاءهم العذاب، و«الموعد»: الوقت الّذي وُعِدُوا فيه بالإهلاك.

---

(١) الإسراء: ٨٠. (٢) المائدة: ٤٨ و١٠٥. (٣) البقرة: ٢٢٢. (٤) النبأ: ١١.

(٥) أنشده الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٤٩ ونسبه إلى رؤبة بن العجّاج.

وقوله: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ معناه: واذكر إذ قال موسى لفتاه، لما في قصّته من العِبْرة بأنّه قصد السفر، فوفّق الله عزّ وجلّ في رجوعه أكثر ممّا قصد له ممّن أحبّ موسى أن يتعلّم منه ويستفيد من حكمته الّتي وهبها الله له، وقيل: إنّ فتى موسى عليه السلام كان يوشع بن نون، وقيل: ابن يوشع[1] وسُمّي فتاه لملازمته إيّاه ﴿لا أبرح﴾ أي: لا أزال، كما قال الشاعر:

وأبْـرَحُ مـا أدامَ اللهُ قَـومِي   بحَمدِ الله مُنْتَطِقاً[2] مُجيداً[3]

أي: لا أزال، ولا يجوز أن يكون بمعنى: لا أزول، لأنّ التقدير: لا أزال أمشي حتّى أبلغ، ومعنى «لا يزال يفعل كذا» أي: هو دائب فيه، وقيل: إنّه كان وعد بلقاء الخضر عند مجمع البحرين[4].

وقوله: ﴿أو أمضي حُقُباً﴾ معناه: لا أبرح حتّى أبلغ مجمع البحرين إلى أن أمضي حُقُباً. قال ابن عبّاس: والحُقُب: الدهر. وقيل: هو سَنَة بلُغة قَيْس[5]. وقيل: سبعون سنة، ذكره مجاهد. وقال عبد الله بن عمر[6]: هو ثمانون سنة. وقال قَتادة: الحُقُب: الزمان. وقال قَتادة: ﴿مجمع البحرين﴾ بحر فارس والروم.

وقوله: ﴿فلمّا بلغا مجمع بينهما﴾ يعني: بين البحرين ﴿نسيا حوتهما﴾ وإنّما نسيه يوشع بن نون وأضافه اليهما، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنّما

---

(١) كذا في النسخ، وفي تفسير الثعلبي ٦: ١٨٠: «وقيل: فتاه أخو يوشع».

(٢) في «س»: «منطيقاً».

(٣) أنشده في اللسان: مادّة «نطق» ونسبه إلى خداش بن زهير.

(٤) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٢٩٩، وانظر زاد المسير ٥: ١٢١.

(٥) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٥٤.

(٦) كذا في «س» والمطبوعتين و في «م» و «ح»... عبدالله بن عمرو وكذا نقله الطبري ذيل الآية.

نسيه بعضهم. وقيل نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء[١].

وقوله: ﴿فاتّخذ سبيله﴾ يعني: الحوت ﴿في البحر سرباً﴾ قال ابن عبّاس وابن زيد ومجاهد: أحيا[٢] الله الحوت فاتّخذ طريقه في البحر مسلكاً. وقيل: إنّ الحوت كانت سمكة مملَّحة فطفرت من موضعها إلى البحر ذاهبة. وقال الفرّاء: كان مالحاً فلمّا حُيِيَ بالماء الّذي أصابه من العين وقع في البحر ووجد مذهبه[٣] فكان كالسَرَب[٤]. ورُوي عن أُبيّ بن كعب أنّ مجمع بينهما أفريقية، وأراد الله أن يعلّم موسى أنّه وإن آتاه التوراة فإنّه قد آتى غيره من العلم ما ليس عنده، فوعده بلقاء الخضر[٥].

وقوله: ﴿مجمع بينهما﴾ يعني: موسى وفتاه بلغا مجمع البحرين. وقال قَتادة: قيل لموسى: آية لقياك إيّاه أن تنسى بعض متاعك، وكان موسى وفتاه تزوّدا حوتاً مملوحاً حتّى إذا كانا حيث شاء الله، ردّ الله إلى الحوت روحه فسرب في البحر، فذلك قوله: ﴿فاتّخذ سبيله في البحر سرباً﴾ أي: مذهباً، يقال: سَرَبَ يَسْرُبُ سَرَباً إذا مضى لوجهه في سفرٍ غير بعيدٍ ولا شاقّ، وهي السَرْبَة، فإذا كانت شاقّة فهي السُبْأة بالهمزة. وروي: أنّ الله تعالى بعث ماءً من عين، فأصاب ذلك الماء تلك السمكة، فحييت وطفرت إلى البحر ومضت.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا وفد موسى إلى طور سيناء قال:

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ١٥٤.

(٢) في «م»: «احتاز»، واحتازه أي ساقه بلين.

(٣) في المصدر: «جمد طريقه» بدل «ووجد مذهبه».

(٤) معاني القرآن ٢: ١٥٤.

(٥) انظر الكشف والبيان ٦: ١٨٠.

ربِّ أيّ عبادك أعلم؟ قال: الّذي يبغي علم الناس إلى علمه، لعلّه يجد كلمةً تهديه إلى هدىً أو تردّه عن ردىً، قال: ربِّ من هو؟ قال: الخضر، تلقاه عند الصخرة الّتي عندها العين الّتي تنبع من الجنّة.

وقال الحسن: كان موسى سأل ربّه: هل أحد أعلم منّي من الآدميّين، فأوحى الله إليه: نعم، عبدي الخضر، فقال موسى عليه السلام: كيف لي بلقائه؟ فأوحى الله إليه أن يحمل حوتاً في متاعه ويمضي على وجهه حتّى يبلغ ﴿مجمع البحرين﴾ بحر فارس والروم، المحيطان بهذا الخلق. وجعل العلم على لقائه أن يفقد حوته، فإذا فقدت الحوت فاطلب حاجتك عند ذلك، فإنّك تلقى الخضر عند ذلك. وقال الحسن: كان الحوت طريّاً. وقال ابن عبّاس: كان مملوحاً. قال الحسن: فمضى على وجهه هو وفتاه حتّى ﴿بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتّخذ سبيله في البحر سرباً﴾ يعني: الحوت. ثمّ ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ ففتّش متاعه ففقد الحوت ﴿قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة﴾ وكانت الصخرة عند مجمع البحرين ﴿فإنّي نسيت الحوت وماأنسانيه إلّا الشيطان أن أذكره واتّخذ سبيله في البحر﴾ يعني: الحوت، وانقطع الكلام، فقال موسى عليه السلام عند ذلك: ﴿عجباً﴾ كيف كان ذلك؟! وقال لفتاه: ﴿ذلك ماكنّا نبغ فارتّدا على آثارهما قصصاً﴾ وقال الزجّاج: يحتمل أن يكون ذلك من قول صاحبه، فإنّه أخبر بأنّ اتّخاذ الحوت طريقاً في البحر كان عجباً[1].

قوله [تعالى]:

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا[2] (٦٢) قَالَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٢٩٩.

(٢) هنا تنتهي نسخة «م» وقد جاء في آخرها مايلي: «وافق الفراغ منه آخر شوّال سنة ستّين وخمسمائة (ويحتمل ستّ ستّين وخمسمائة كتبه محمّد عليّ وحسبنا الله ونعم الوكيل).

أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى: أنّ موسى وفتاه لمّا ﴿جاوزا﴾ أي: خرجا من ذلك الموضع، و«المجاوزة»: الخروج عن حدّ الشيء، يقال: تجاوز الله عن فلان أي: تجاوز عن عقابه، بمعنى: أزال الله العقاب عنه. و«الفتى»: الرجل الشابّ، وجمعه: فِتْيَة وفِتْيان، مثل: صِبْيَة وصِبْيان. وإنّما أُضيف إلى موسى، لأنّه كان يلزمه ليتعلّم منه العلم، وصحبه في سفره، وقيل: إنّه كان يخدمه[١]. والعرب تُسمّي خادم الرجل فتىً وإن كان شيخاً، والأمَة فتاة وإن كانت عجوزاً، وتُسمّي التلميذ فتىً وإن كان شيخاً. والفتى عند العرب: السخيّ على الطعام وعلى المال، والشجاع. و«الغداء»: طعام الغداة، و«العشاء» طعام العشي، و«التغدّي»: أكل طعام الغداة، و«التعشّي»: أكل طعام العشي. و«النَصَب»: التعب والوهن الّذي يكون عند الكدّ، ومثله: الوَصَب.

فقال له فَتاه في الجواب: ﴿أرأيت﴾ الوقت الّذي ﴿أوينا إلى الصخرة﴾ أي: أقمنا عندها ﴿فإنّي نسيت الحوت﴾ ثمّ قال: ﴿وما انسانيه﴾ يعني: الحوت ﴿إلّا الشيطان أن اذكره﴾ أي: وسوسني وشغلني بغيره حتّى نسيت، فلذلك إضافه إلى الشيطان، لمّا كان عند فعله، ومعنى ﴿وما انسانيه﴾ أي: الحوت، يعني: نسيت أن أذكر كيف اتّخذ سبيله في البحر، وجاز نسيان مثل ذلك مع كمال العقل لأنّه كان معجزاً.

وضمّ الهاء من ﴿أنسانيه﴾ حفص عن عاصم، لأنّ الأصل في حركة

---

(١) انظر النكت والعيون ٣: ٣٢١.

الهاء الضمّ، ومن كسرها فلأنّ ما قبلها ياء، فحرّكها بما هو من جنسها.

وقوله: ﴿واتّخذ سبيله في البحر عجباً﴾ يعني: أنّ موسى عليه السلام لمّا رأى الحوت قد حُيِي وهو يسلك طريقاً إلى البحر[١] عجب منه ومن عِظَم شأنه، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة وابن زيد.

وقوله: ﴿ذلك ما كنّا نبغِ﴾ حكاية عمّا قال موسى عند ذلك من أنّ ذلك الّذي كنّا نطلب من العلامة، يعني: نسيانك الحوت، لأنّه قيل له: صاحبك الّذي تطلبه ـ وهو الخضر ـ حيث تنسَى الحوت، ذكره مجاهد. ﴿فارتدّا﴾ يقصّان أي: يتّبعان آثارهما حتّى انتهيا إلى مدخل الحوت، ذكره ابن عبّاس. وقيل: نسي ذكر الحوت لموسى عليه السلام فرجعا إلى الموضع الّذي حييت فيه السمكة[٢] وهو الّذي كان يطلب منه العلامة. وقيل: الصخرة موضع الوعد[٣].

قوله [تعالى]:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قال أبوعليّ: يحتمل أن يكون ﴿رشداً﴾ منصوباً على أنّه مفعول له، ويكون متعلّقاً بـ«أتّبع» كأنّه قال: أتّبعك للرشد، أو: طلب الرشد على أن تعلّمني، فيكون «على» هذا حالاً من قوله: ﴿أتّبعك﴾. ويجوز أن يكون مفعولاً به، وتقديره: أتّبعك على أن تعلّمني رشداً ممّا علمته، ويكون «العلم» الّذي يتعدّى إلى مفعول واحد يتعدّى بالتضعيف إلى مفعولين،

---

(١) العبارة في «س» هكذا: «بمعنى أنّ موسى لمّا رأى الحوت قال عجباً، وذلك حيث سلك طريقاً في البحر». (٢) قاله الطبري ذيل الآية. (٣) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٢٩٩.

والمعنى: على أن تعلّمني أمراً ذا رشدٍ أو علماً ذا رشد[١].

قوله: ﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾ أي: صادفاه وأدركاه، وهو الوجود، ومنه: وجدان الضالّة أي: مصادفتها وإدراكها. و«العبد»: المملوك من الناس، فكلّ إنسان عبد لله، لأنّه مالك له، وقادر عليه وعلى أن يصرّفه أتمّ التصريف، وهو يملك الإنسان وما يملك.

وقوله: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ أي: أعطيناه رحمةً أي: نعمةً من عندنا ﴿وعلّمناه من لدنّا علماً﴾ والتعليم: تعريض الحيّ لأن يعلم؛ إمّا بخلق العلم في قلبه، وإمّا بالبيان الّذي يرد عليه، كما أنّ من أرى الإنسان شيئاً فقد عرضه لأن يراه؛ إمّا بوضع الرؤية في بصره عند من قال: الإدراك معنىً، أو بالكشف له عن المرئيّ.

﴿قال له﴾ يعني: لذلك العبد الّذي علّمه الله العلم ﴿هل أتّبعك على أن تعلّمني ممّا عُلِّمت رُشداً﴾ و«الاتّباع» و«الانقياد» واحد، اتّبعه في مسيره، واتّبعه في مذهبه، واتّبعه في أمره ونهيه، واتّبعه فيما دعاه إليه. و«الرَشَد» بفتح الراء والشين قراءة أبي عمرو، الباقون بضمّ الراء وسكون الشين، إلّا ابن عامر في رواية ابن ذكوان فإنّه ضمّهما، وهما لغتان، مثل: أَسَد وأُسْد، ووَثَن ووُثْن.

واختلفوا في الّذي كان يتعلّم موسى منه، هل كان نبيّاً أم لا؟ فقال الجُبّائي: كان نبيّاً، لأنّه لا يجوز أن يتّبع النبيّ من ليس بنبيٍّ ليتعلّم منه العلم، لما في ذلك من الغضاضة على النبيّ. وقال ابن الأخشاد: ويجوز أن لا يكون نبيّاً، على أن لا يكون فيه وضع من موسى. وقال قوم: كان ملكاً[٢].

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٩٣.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٢٥ من دون نسبة.

وقال الرُمّاني: لا يجوز أن يكون إلّا نبيّاً، لأنّ تعظيم العالم المُعلِّم فوق تعظيم المتعلّم منه.

وقيل: إنّه سُمِّي «خضراً» لأنّه كان إذا صار في مكان لا نبات فيه اخضَّر ما حوله[1]. وكان الله تعالى قد أطلعه من علم بواطن الأُمور على ما لم يطّلع عليه غيره.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكون نبيّ أعلم من نبيٍّ في وقته؟

قيل عن ذلك ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنّه يجوز أن يكون نبيٌّ أعلم من نبيٍّ في وقته، عند من قال: إنّ الخضر كان نبيّاً. والثاني: أن يكون موسى أعلم من الخضر بجميع ما يؤدّي عن الله على عباده، وفي كلّ ما هو حجّة فيه، وإنّما خصّ الخضر بعلم ما لا يتعلّق بالأداء.

الثالث: أنّ موسى استعلم من جهته ذلكالعلم فقط وإن كان عنده علم ما سوى ذلك.

فقال الخضر لموسى عليه السلام: ﴿إنّك لن تستطيع معي صبراً﴾ ومعناه: يثقل عليك الصبر ولا يخفّ عليك، ولم يرد أنّه لا يقدر عليه، [لأنّ موسى عليه السلام كان قادراً متصرّفاً، وإنّما قال له ذلك][2] لأنّ موسى كان يأخذ الأُمور على ظواهرها، والخضر كان يحكم بما أعلمه الله من بواطن الأُمور، فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك، ولو أراد نفي الاستطاعة الّتي هي القدرة لما قال: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾ لأنّه دلّ على أنّه لهذا لا يصبر، ولو كان على نفي القدرة ـ سواء علم أو لم يعلم ـ لم يستطع.

---

(١) حكاه الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٠١.

(٢) مابين المعقوفتين لم يرد في الحجريّة.

قوله [تعالى]:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

هذا حكاية ما قال الخضر لموسى عليه السلام حين قال: ﴿إنّك لن تستطيع معي صبراً﴾ أي: كيف تصبر على ما لم تعلم من بواطن الأمور ولاتخبرها؟ فقال له موسى عليه السلام عند ذلك: ﴿ستجدني﴾ أي: ستصادفني إن شاء الله صابراً، ولم يقل ذلك على وجه التكذيب، لكن لما أخبر به على ظاهر الحال، فقيّده بمشيئة الله، لأنّه جوّز أن لايصبر فيما بعد بأن يعجز عنه، ليخرج بذلك من كونه كاذباً ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾ أي: لا أُخالف أوامرك، ولا أتركها، فقال الخضر: ﴿فإن اتّبعتني﴾ واقتفيت أثري ﴿فلا تسألني عن شيءٍ حتّى أُحدِث لك منه ذكراً﴾ معناه: لا تسألني عن باطن أمرٍ حتّى أكون أنا المبتدئ لك بذلك. و«الصبر»: تجرّع مرارةٍ تمنع النفس عمّا تنازع إليه، وأصله: حبس النفس عن أمرٍ من الأمور. و«الذِكْر»: العلم، و«الذِكْر»: إدراك النفس للمعنى بحضوره، كحضور نقيضه، ويمكن أن يجامعه علم بصحّته[1] أو جهل أو شكّ. و﴿خبراً﴾ نصب على المصدر، والتقدير: لم تخبره خبراً.

وقرأ نافع: ﴿تسألنّ﴾ بتشديد النون، الباقون بتخفيفها وإثبات الياء، إلّا ابن عامر فإنّه حذف الياء. قال أبو عليّ: قول ابن كثير ومن اتّبعه أنّهم عدّوا السؤال المفعول الّذي هوالمتكلّم، مثل: «لا تضربني» و «لا تظلمني». ونافع إنّما فتح اللام لأنّه لمّا ألحق الفعل النون الثقيلة بُنِيَ الفعل معها على

---

(١) في «س» والحجريّة «علم يصحبه».

الفتح وحُذِف الياء، وكُسِرت النون ليدلّ على الياء المحذوفة[١].

قوله [تعالى]:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

أربع آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿ليغرق أهلها﴾ بالياء ورفع ﴿أهلها﴾ الباقون: بالتاء ونصب «الأهل». فمن قرأ بالتاء ونصب «الأهل» فلقوله: ﴿أخَرقتها لتُغرق﴾ بذلك ﴿أهلها﴾ أي: فعلت ذلك وغرضك إهلاك أهلها! على وجه الإنكار. ومن قرأ بالياء أسند «الغرق» إلى «الأهل» فكأنّه قال: فعلت ذلك ليغرقوا هم.

وقرأ أهل الكوفة وابن عامر: ﴿زكيَّة﴾ بلا ألف، وقرأ الباقون: ﴿زاكية﴾ بألف. وقرأ ابن عامر ونافع في رواية الأصمعي عنه وأبو بكر عن عاصم: ﴿نُكُراً﴾ بضمّ النون والكاف، الباقون بتخفيف الكاف. قال الكسائي: «زاكية» و«زكية» لغتان مثل: قاسِيَة وقَسِيّة. وقال أبو عمرو: «الزاكية» الّتي لم تذنب قط، و«الزكية» الّتي أذنبت وتابت. و«النكر» بالتثقيل والتخفيف لغتان، مثل: الرُعُب والرُعْب.

أخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام وصاحبه الّذي تبعه ليتعلّم منه: أنّهما ذهبا حتّى إذا بلغا البحر، فركبا في السفينة، فخرق صاحبه السفينة، أي: شقَّ فيها شقّاً، لما أعلمه الله من المصلحة في ذلك، فقال له موسى منكراً

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٩٤.

لذلك على ظاهر الحال: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها﴾ أي: غرضك بذلك أن تغرق أهلها الّذين ركبوها، ويحتمل أن يكون قال ذلك مستفهماً، أي: فعلت ذلك لتغرق أهلها أم لغير ذلك؟ والأوّل أقوى لقوله بعد ذلك: ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ فالإمر: المنكر، في قول مجاهد وقَتادة، وقال أبو عُبَيْدَة: داهية عظيمة، وأنشد:

لَقَد لَقِيَ الأقْرانُ منه نُكْراً داهِيةً دَهْياءَ إدّاً إمْرا[١]

ومن سكّن «النكر» فعلى لغة من سكّن «رسل». و«الإمْر» مأخوذ من «الأمر» لأنّه الفاسد الّذي يحتاج أن يُؤمَر بتركه إلى الصلاح، ومنه: «رجلٌ إمْرٌ» إذا كان ضعيف الرأي، لأنّه يحتاج أن يُؤمَر حتّى يقوى رأيه، ومنه: «آمر القوم» إذا كثروا حتّى احتاجوا إلى من يأمرهم وينهاهم، ومنه: الأمر من الأمور أي: الشيء الّذي من شأنه أن يُؤمَر فيه، ولهذا لم يكن كلّ شيء أمراً.

فقال له الخضر: ﴿ألم أقل﴾ لك فيما قبل ﴿إنّك لن تستطيع معي صبراً﴾ أي: لا يخفّ عليك ما تشاهده من أفعالي ويثقل عليك، لأنّك لا تعرف المصلحة فيه، ولم يرد بالاستطاعة القدرة، لأنّ موسى كان قادراً في حال ما خاطبه بذلك، ولم يكن عاجزاً، وهذا كما يقول الواحد منّا لغيره: أنا لا أستطيع النظر إليك، وإنّما يريد أنّه يثقل عليّ، دون نفي القدرة في ذلك.

فقال له موسى في الجواب عن ذلك: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ وروي أنّه قال ذلك لمّا رأى الماء ليس يدخل السفينة مع خرقها، فعلم أنّ ذلك لمصلحة يريدها الله[٢] فقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ وقيل في معنى نسيت ثلاثة أقوال:

---

(١) مجاز القرآن ١: ٤٠٩ وفيه: «مني» بدل «منه».

(٢) رواه الزجّاج في معانيه ٣: ٣٠٢.

أحدها: ما حكي عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: معناه: بما غفلت، من النسيان الّذي هو ضدّ الذكر. والثاني: ما روي عن ابن عبّاس أنّه قال: معناه: بما تركت من عهدك. الثالث: لا تؤاخذني بما كأنّي نسيته، ولم ينسه في الحقيقة، في رواية أُخرى عن أُبيّ بن كعب الأنصاري.

وقوله: ﴿ولا ترهقني من أمري عُسْراً﴾ قيل: معناه: لا تُغْشِني[1] من قولهم: رَهَقَهُ الفارس إذا غَشِيَه وأدرَكَه، وغلامٌ مراهِقٍ: إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ. و«الإرهاق» ادراك الشيء بما يغشاه، وقيل معنى «أرهقه الأمر»: إذا ألحقه إيّاه.

ثمّ أخبر تعالى أنّهما مضيا ﴿حتّى إذا لقيا غلاماً﴾ أي: رَأيا غلاماً ﴿فقتله﴾ قال له موسى ﴿أقتلت نفسا زاكية﴾ ومعناه: طاهرة من الذنوب، ومن قرأ: ﴿زكيّة﴾ فمعناه: بريئة من الذنوب، وذلك أنّها كانت صغيرة لم تبلغ حدّ التكليف على ما روي في الأخبار، وقوله: ﴿بغير نفس﴾ أي: بغير قَوَد، ثمّ قال له: ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ أي: منكراً، وقيل: معناه: جئت بما ينبغي أن يُنْكَر[2] وقال قَتادة: النكر أشدّ من الأمر، وإنّما قيل لما لا يجوز فعله منكراً، لأنّه ممّا تنكر صحّته العقول ولا تعرفه.

قوله [تعالى]:

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴿٧٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

---

(١) قاله الطبري ذيل الآية، وأبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١٠.

(٢) قاله الطبري ذيل الآية.

معنى قوله: ﴿ألم أقل لك إنّك لن تستطيع معي صبراً﴾ تحقيق ما قال له أوّلاً مع نهيه عن العود لمثل سؤاله، لأنّه لا يجوز أن يكون توبيخاً، لأنّه جارٍ مجرى الذمّ في أنّه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام فقال له موسى في الجواب عن ذلك: ﴿إن سألتك﴾ أي: إن استخبرتك عن شيء تعمله بعد هذا ﴿فلا تصاحبني قد بلغت من لدنّي عُذراً﴾ ومعناه: إقرار من موسى بأنّ صاحبه قد قدّم إليه ما يوجب العذر عنده، فلا يلزمه ما أنكره.

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه تلا هذه الآية فقال: «استحيا نبيّ الله موسى»[1].

و«العذر»: وجود ما يسقط اللوم من غير جهة التكفير بتوبة أو اجتناب كبير لوقوع سهو لم يتعرّض له. وفي «لَدْن» خمس قراءات: فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي مثقّلاً. الثاني: بضمّ الدال وتخفيف النون، قرأ به نافع. الثالث: قرأ أبو بكر بضمّ اللام وسكون الدال وإشمام من غير إشباع، الرابع: قرأ الكسائي عن أبي بكر بضمّ اللام وسكون الدال. الخامس: في رواية عن أبي بكر بفتح اللام وسكون الدال. وهذه كلّها لغات معروفة.

ثمّ أخبر الله تعالى عنهما أنّهما مضيا حتّى ﴿أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾ أي: طلبا منهم ما يأكلانه، فامتنعوا من تضييفهما ﴿فَوَجدَا فيها﴾ يعني: القرية ﴿جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامه﴾ ومعناه: وجدا حائطاً قارب أن ينقضّ، شبّهه بحال من يريد أن يفعل في التأنّي، كما قال الشاعر:

يُريدُ الرُمحُ صَدْرَ أبي بَراءٍ ... ويَرغَبُ عن دِماءِ بَني عُقَيْلِ[2]

ومثله ترائى آثارهما، ودار فلان ينظر إلى دار فلان. وقال سعيد بن

(١) رواه الطبري ذيل الآية بسنده عن أُبيّ بن كعب.

(٢) أنشده أبوعُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٤١٠ ونسبه إلى الحارثي.

جُبَيْر: معنى قوله: ﴿فأقامه﴾ أنّه رفع الجدار بيده فاستقام. و«الانقضاض»: السقوط بسرعة، يقال انقضّت الدار إذا سقطت وتهدّمت، قال ذو الرُمَّة:

فانْقَضَّ كالكَوكَبِ الدُرّي مُنْصَلِتا[1]

فقال له موسى ﴿لو شئت لاتّخذت عليه أجراً﴾ وقد قرأ ابن كثير وأبوعمرو ﴿لتخذت﴾ الباقون: ﴿لاتّخذت﴾ يقال: تَخِذَ يَتخِذُ بالتخفيف، قال الشاعر:

وقَد تَخِذَتْ رِجْلي لدى جَنْبِ غَرْزِها

نَسِيفاً كأفْحُوصِ القَطاةِ المُطَرِّقِ[2]

«المطرّق»: الّتي تريد أن تبَيض وقد تعسّر عليها، و«الأفْحُوص» و«المُفَحَّص»: عشّ الطائر. وابن كثير يُظهر الذال، وأبو عمرو يدغم، والباقون على وزن «افتعلت» مثل: اتَّقَى يَتَّقِي، وقد حُكِيَ: تَقِيَ يَتْقِي، خفيفاً، قال الشاعر:

جَلاها الصَيقَلون فأخلصُوها خِفافاً كلّها يَتِقي بأثَر[3]

ومن أدغم فلقرب مخرجَيْهما، ومن أظهر فلتغاير مخرجَيْهما. وقال الفرّاء في قوله: ﴿لو شئت﴾ قال موسى: لو شئتَ لم تُقِمْه حتّى يَقْرونا، فهو الأجر[4] وأنشدوا في ﴿يريد أن ينقضّ﴾ قول الشاعر:

إنَّ دَهْراً يلُفُّ شَمْلي بجُمْلٍ لَزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحْسانِ[5].

أي: كأنّه يهمُّ، وإنّما هو سبب الإحسان المؤدّي إليه، وقال آخر:

---

(١) لم نعثر عليه في ديوان ذي الرمّة نقله الطبري ذيل الآية.

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١١ ونسبه إلى الممزّق العبدي.

(٣) أنشد عيسى بن عمر الثقفي، راجع ترتيب إصلاح المنطق: ٢٩.

(٤) معاني القرآن ٢: ١٥٦.

(٥) أنشده الطبري ذيل الآية.

يَشكُو إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرَى صَبراً جَميلاً فَكِلاَنا مُبتَلَى(١)

والجَمَل لم يَشْكُ شيئاً، وقال عَنْتَرَة:

وشَكَا إلَيَّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُم(٢)

وكلّ ذلك يُراد به ما ظهر من الأمارة الدالّة على المعاني.

قوله [تعالى]:

قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَالَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَـٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة وأبو عمرو: ﴿أن يبدّلهما﴾ وفي التحريم: ﴿أن يبدّله﴾(٣) وفي نون ﴿أن يبدّلنا﴾(٤) بالتشديد فيهنّ، الباقون بالتخفيف. فأمّا الّتي في سورة النور: ﴿وليبدلنهم﴾(٥) فخفّفها ابن كثير ويعقوب، وشدّده الباقون. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب: ﴿رُحُماً﴾ بضمّ الحاء، الباقون بإسكانها. وروى القتيبي: ﴿ما لم تسطّع﴾ بتشديد الطاء، الباقون بتخفيفها.

قال أبو عليّ: «بدّل» و«أبدل» متقاربان، مثل «نزّل» و«أنـزل» إلّا أنّ «بدّل» ينبغي أن يكون أرجح، لقوله تعالى: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾(٦)

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.
(٢) من معلّقته الشهيرة. راجع ديوان عَنترة بن شدّاد: ١٨.
(٣) التحريم: ٥.
(٤) أي سورة القلم: ٣٢.
(٥) النور: ٥٥.
(٦) يونس: ٦٤.

ولم يجئ «الإبدال» كما جاء «التبديل» ولم يجئ «الإبدال» في موضعٍ من القرآن، وقد جاء: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾[1] فهذا قد يكون بمعنى «الإبدال» كما أن قوله وهو الشاعر:

فَلَم يَستَجِبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ[2]

بمعنى: فلم يجبه[3].

وقال قوم: أبدلت الشيء من الشيء إذا أزَلْت الأوّل وجعلت الثاني مكانه، كقول أبي النجم:

عَزْلُ الأمير للأميرِ المُبْدَلِ[4]

وبدَّلت الشيء من الشيء: إذا غيَّرت حاله وعينه، والأصل باقٍ، كقولهم: بدَّلت قميصي جُبَّةً، واستدلّوا بقوله: ﴿كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها﴾[5] فالجلد الثاني هو الأوّل، ولو كان غيره لم يجز عقابه.

وأمّا «رُحُم» و«رُحْم» فلغتان، مثل: العُمُر والعُمْر، والرُعُب والرُعْب، وحُكِي لغة ثالثة: بفتح الراء وإسكان الحاء كما يقال: أطال الله عَمْرك وعُمَرك وعُمْرَك، والمعنى: وأقرب رحمةً وعطفاً، وقربىً وقرابةً، قال الشاعر:

ولَمْ تُعَوَّجْ رُحْمُ مَن تَعَوَّجاً[6]

وقال آخر:

يا مُنْزِلَ الرُحْمِ على إدْرِيس[7]

---

(١) النساء: ٢٠.

(٢) أنشده أبوعُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٦٧ ونسبه إلى كعب الغنوي. وقد تقدّم ذكره في غير موضع في هذا الكتاب.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٩٨.

(٤) أنشده الطبري في ذيل الآية.

(٥) النساء: ٥٦.

(٦) أنشده أبوعُبَيْدة في مجاز القرآن ١: ٤١٣ ونسبه إلى العجّاج.

(٧) أنشده أبوعليّ في ذيل الآية، الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ٩٩.

حكى الله تعالى عن صاحب موسى أنّه قال له: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ ومعناه: هذا وقت فراق اتّصال ما بيني وبينك، فكرّر «بين»[1] تأكيداً، كما يقال: أخزى الله الكاذب منّي ومنك، أي: أخزى الله الكاذب منّا. وقيل في ﴿هذا﴾: إنّها إشارة إلى أحد شيئين: أحدهما: هذا الّذي قلته فراق بيني وبينك، والثاني: هذا الوقت فراق بيني وبينك[2]. ثمّ قال له ﴿سأُنبئك﴾ أي: سأُخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ ولم يَخْفَ عليك رؤيته، ثمّ بيّن واحداً واحداً فقال: ﴿أمّا﴾ السبب في خرقي ﴿السفينة﴾ أنّها ﴿كانت لمساكين﴾ أي: للفقراء الّذين لا شيء لهم يكفيهم، قد سكّنهم[3] قلّة ذات أيديهم ﴿يعملون في البحر﴾ أي: يعملون بها في البحر، ويتعيّشون بها ﴿فأردت أن أعيبها﴾ والسبب في ذلك أنّه ﴿كان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً﴾ فقيل: إنّ الملك كان يأخذ السفينة الصحيحة، ولا يأخذها إذا كانت معيبة[4]. وقد قرئ في الشواذّ «يأخذ كلّ سفينة صحيحة غصباً» رُوِي ذلك عن أُبيّ وابن مسعود.

و«الوراء» و«الخلف» واحد، وهو نقيض جهة «القدّام» على مقابلتها. وقال قَتادة: ﴿وراءهم﴾ هاهنا بمعنى: أمامهم. ومنه قوله: ﴿من ورائهم جهنّم﴾[5] و ﴿من ورائهم بَرْزَخ﴾[6] وذلك جائز على الاتّساع، لأنّها جهة مقابلة لجهة، فكأنّ كلّ واحد من الجهتين وراء الآخر، قال لَبِيد:

---

(١) كذا في «س» والحروفيّة، ولم ترد «فكرّر بين» في «ح» والحجريّة.

(٢) النكت والعيون ٣: ٣٣١.

(٣) كذا في «ح» والحروفيّة، وفي «س» و الحروفيّة «أسلمتهم».

(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٣٠٥.

(٥) الجاثية: ١٠.

(٦) المؤمنون: ١٠٠.

أَلَـيْسَ وَرائـي إنْ تَـراخَتْ مَـنِيَّتِي   لُزُومُ العَصا تُحنَىٰ عَليها الأصابعُ[١]

وقال آخر:

أيَرْجُو بـنُو مَـرْوانَ سَـمْعي وطـاعَتِي

وقَــوْمي تَــميمٌ والفَــلاةُ وَرائِــيا[٢]

وقال الفرّاء: يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام، تقول: البرد والحرّ وراءنا، ولا تقول: زيد وراءك[٣]. وقال الرُمّاني وغيره: يجوز في الأجسام الّتي لا وجه لها، كحجرَيْن متقابلَيْن، كلّ واحد منهما وراء الآخـر. وقـرأ ابن‌عبّاس: «وكان أمامهم ملك». وقال الزجّاج: ﴿وراءهم﴾ خـلفهم، لأنّـه كان رجوعهم عليه، ولم يعلموا به[٤].

ثمّ قال: ﴿وأمّا الغلام فكان أبواه مؤمنَيْن فخشينا أن يُرهِقهما طغياناً وكفراً﴾ وقيل: إنّ قوله ﴿فخشينا﴾ من قول الخضر[٥]. وقـيل: إنّـه مـن قـول الله تعالى[٦] ومعناه: علمنا. وقيل: معنى ﴿خشينا﴾ كرهنا[٧]. فبيّن أنّ الوجـه في‌قتله ما لأبويه من‌المصلحة في‌ثبات‌الدين[٨] لأنّه لو بقي حيّاً لأرهقهما طغياناً وكفراً، أي: أوقعهما فيه، فكأنّ يكون ذلك مفسدة، فـأمر الله بـقتله لذلك، كما لوأماته. وفي‌قراءة أُبيّ: وأمّا الغلام‌فكان‌كافراً وكان‌أبواه مؤمنين.

ثمّ قال: ﴿فأردنا أن يُبدلِهما﴾ يعني: أن يبدل الله لأبويه خيراً من هـذا الغلام ﴿زكاة﴾ يعني: صلاحاً وطهارة ﴿وأقرب رُحْماً﴾ أي: أبرّ بوالديه من

---

(١) من قصيدة يرثي بها أخاه، راجع ديوان لبيد بن ربيعة : ٨٩.

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٣٣٧.

(٣) انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٥٧.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٠٥.

(٥) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٣٠٥.

(٦) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٥٧.

(٧) قاله الأخفش في معانيه ٢: ٦٢٠.

(٨) كذا في «س» والحروفيّة، وفي «ح»: «فمن باب الدين» وفي الحجريّة «من باب الدين».

المقتول، في قول قَتادة. يقال: رَحِمَه رحْمةً ورُحْماً، وقيل: الرَحم والرِحم: القَرابة[١] قال الشاعر:

ولم تُعوَّجْ رُحْمُ مَن تَعَوَّجا[٢]

وقال آخر:

وكيفَ يظلم جَارية ومنها اللِّينُ والرُحْمُ[٣]

وقيل: معناه: وأقرب أن يرحما به[٤]. ثمّ أخبر الخضر عن حال الجدار الّذي أقامه، وأعلم أنّه ﴿كان لغلامَيْن يتيمَينْ في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ فقال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر ومجاهد: كانت صُحُف من علم. وقال الحسن: كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه الحكم. وقال قَتادة وعِكْرِمَة: كان كنز مال. و«الكنز» في اللغة: هو كلّ مال مذخور من ذهب وفضّة وغير ذلك. وقوله ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ يعني: أبا اليتيمين ﴿فأراد﴾ الله ﴿أن يبلغا أشدّهما﴾ يعني: كمالهما من الاحتلام وقوّة العقل ﴿ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربّك﴾ أي: نعمة من ربّك، ثمّ قال صاحب موسى: ﴿وما فعلتُ﴾ ذلك من قِبَل نفسي وأمري بل بأمر الله فعلتُ، ثمّ قال: ﴿ذلك﴾ الّذي قلته لك ﴿تأويل ما لم تَسطِع عليه صبراً﴾ وثقل عليك مشاهدته واستبشعته.

وفي الآية دلالة على وجوب اللطف، لأنّ مفهومه أنّه تدبير من الله في عباده لم يكن يجوز خلافه، وقد عظّم الله شأنه بما يفهم منه هذا المعنى.

وقال الجُبّائي: لا يجوز أن يكون صاحب موسى الخضر، لأنّ خضراً كان من الأنبياء الّذين بعثهم الله من بني إسرائيل بعد موسى! قال: ولا يجوز أيضاً أن يبقى الخضر إلى وقتنا هذا، كما يقوله من لا يدري! لأنّه

---

(١) وهو قول الزجّاج في معانيه ٣: ٣٠٥.

(٢) تقدّم آنفاً.

(٣) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١٣ ولم ينسبه لأحد.

(٤) قاله الطبري ذيل الآية.

لا نبيّ بعد نبيّنا، ولأنّه لو كان لعرفه الناس، ولم يخْفَ مكانه!!

وهذا الّذي ذكره ليس بصحيح، لأنّا لا نعلم أوّلاً أنّ خضراً كان نبيّاً، ولو ثبت ذلك لم يمتنع أن يبقى إلى وقتنا هذا، لأنّ تبقيته في مقدور الله تعالى، ولا يؤدّي إلى أنّه نبيّ بعد نبيّنا، لأنّ نبوّته كانت ثابتة قبل نبيّنا، وشرعه ـ إن كان شرعاً خاصّاً ـ أنّه منسوخ بشرع نبيّنا، وإن كان يدعو إلى شرع موسى أو مَن تقدّم من الأنبياء فإنّ جميعه منسوخ بشرع نبيّناصلى الله عليه وآله فلا يؤدّي ذلك إلى ما قال.

وقوله: «لو كان باقياً لرُؤِيَ ولعُرِفَ» غير صحيح، لأنّه لا يمتنع أن يكون بحيث لا يتعرّف إلى أحد، فهم وإن شاهدوه لا يعرفونه.

وفي الناس من قال: إنّ موسى الّذي صحب الخضر ليس هو موسى بن عمران، وإنّما هو موسى بن ميشا، رجل من بني إسرائيل[١]. والله أعلم بذلك.

ورُوي عن جعفر بن محمّدعليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ قال: سطران ونصف ولم يتمّ الثالث، وهي: «عجباً للموقن بالرزق كيف يتعب، وعجباً للموقن بالحساب كيف يغفل، وعجباً للموقن بالموت كيف يفرح»[٢] وفي بعض الروايات زيادة على ذلك: «أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله»[٣].

وذكر أنّهما حُفِظا لصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاح. وكان بينهما وبين الأب الّذي حُفِظا به سبعة آباء، وكان سيّاحاً[٤]. واستشهد على أنّ

---

(١) انظر النكت والعيون ٣: ١٢٠ وزاد المسير ٥: ٣٢٠.

(٢) معناه في تفسير القمّي ٢: ٤٠ والكافي ٢: ٤٨، الحديث ٦ ومعاني الأخبار: ٢٠٠.

(٣) رواها الثعلبي في الكشف والبيان ٦: ١٨٨.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٦: ١٨٨ وانظر معالم التنزيل ٣: ٣٤٥.

الخشية بمعنى العلم بقوله تعالى: ﴿إلّا أن يخافا ألّا يقيما حدود الله﴾ (١) وقوله: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً﴾ (٢) أي: علمت، واستشهد على أنّه بمعنى الكراهية بقول الشاعر:

يا فَـقْعَسيّ لِـمَ أكَـلْته لُـمّه　　　لو خافَكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَه (٣)

قال قُطْرُب: يريد لو كره أكلك لحرَّمه عليك.

قوله [تعالى]:

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) خمس آيات في الكوفي والبصري، وأربع آيات في المدنيّين (٤)، جعلوا ﴿فأتبع سَبَباً﴾ بعض الآية الأُولى، ولم يعدّ أهل الكوفة ﴿قوماً﴾ آخر آية، بل (٥) جعلوا آخر الآية ﴿حُسناً﴾ (٦).

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ﴿فأتْبع﴾ بقطع الهمزة وفتحها وتخفيف التاء وسكونها فيهنّ، الباقون ﴿فاتّبع﴾ جعلوها ألف وصل وشدّدوا التاء وفتحوها. وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلّا حفصاً وأبو جعفر ﴿حامئة﴾ بألف

---

(١) البقرة: ٢٢٩.　(٢) النساء: ١٢٨.

(٣) تقدّم ذكره ضمن تفسير الآية: ٢٢٩ من سورة البقرة، راجع التبيان ٣: ٣٥٩ «من طبعتنا».

(٤) كذا في «ح» وفي المطبوعتين بدل تلك العبارة مايلي: «خمس آيات كوفي وحجازي، وستّ بصري وشامي، عدّ إسماعيل والكوفيّون والبصري والشامي ﴿من كلّ شيء سبباً﴾ آية، وعدّ المدني الآخر والمكي والبصري والشامي ﴿عندها قوماً﴾ آية.

(٥) كذا في «ح»، وفي المطبوعتين: «بأن» بدل «بل».

(٦) العبارة من قوله «جعلوا» إلى هنا لم ترد في «س».

وتخفيف الهمزة، الباقون: ﴿حمئة﴾ بلا ألف مهموز.

قال أبو عليّ النحوي: «تبع» فعل يتعدّى إلى مفعول واحد، فإذا نقلته بالهمزة يتعدّى إلى مفعولَيْن، قال الله تعالى: ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً﴾ [١] وقال: ﴿وأُتْبِعوا في هذه الدنيا لعنةً﴾ [٢] لمّا بُني الفعل للمفعولين قام أحد المفعولين مقام الفاعل. وأمّا «اتّبعوا» فافتعلوا، فتعدّى إلى مفعول واحد كما تعدّى «فعلوا» إليه، مثل: شَوَيْته واَشْتَوَيته، وحَفَرْته واَحْتَفَرته، وقوله: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ [٣] تقديره: فأتبعوهم جنودهم، فحُذِف أحد المفعولين كما حُذِف من قوله: ﴿لينذر بأساً شديداً من لدنه﴾ [٤] ومن قوله: ﴿لا يكادون يفقهون قولاً﴾ [٥] والمعنى: لا يكادون يفقهون أحداً، ولينذر الناس بأساً شديداً[٦]. فمن قطع الهمزة فتقديره: فأتبع أمره سبباً، أو: أتبع ما هو عليه سبباً والسبب هاهنا الطريق مثل السبيل. والسبب الحبل. والسبب القرابة.

وقال أبو عبيدة «في عين حمئة» بالألف ذات حمأة[٧]. وقال أبو عليّ: من قرأ حمئة بغير الف فهي فعله. ومن قرأ (حامية) فهي فاعلة من حميت فهي حامية، قال الحسن: يعني حارّة. ويجوز فيمن قرأ (حامية) أن تكون فاعلة من الحمأة، فخفّف الهمزة وقلبها ياء على قياس قول أبي الحسن. وإن خفّف الهمزة على قول الخليل كانت بين بين. وقرأ ابن عبّاس «في عين حمئة» وقال: هي ماء وطين[٨]. وتقول العرب: حَمَأْتُ البئرَ إذا أخرجتُ منها الحَمْأةَ، وأحمأتُها إذا طرحتُ فيها الحَمْأة، وحَمِئَتْ تَحْمَأُ،

---

(١) القصص: ٤٢. (٢) هود: ٦٠. (٣) الشعراء: ٦٠. (٤) الكهف: ٢.

(٥) الكهف: ٩٣. (٦) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٠٠.

(٧) مجاز القرآن ١: ٤١٣. (٨) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٠١.

ومعنى «حَمِئَة» صار فيها الحَمْأَة.

فأمّا قولهم: هذا حَمٌ لفلان، ففيه أربع لغات: حَمُوهُ وحَمُهُ وحَماهُ وحَمْءٌ. وذكر اللحياني لغةً خامسةً وسادسةً: «الحمو» مثل: العفو، و«الحَمَأ» مثل: الخَطَأ. وكلّ قرابة من قبل الزوج فهم الأحماء، وكلّ قرابة من قبل النساء فهم الأُختان، والصهر يجمعهما، وأُمّ الرجل ختنة وأبوه ختنه، وأُمّ الزوج حماة وأبوها حمو. وقال أبو الأسود الدؤلي شاهد لأبي عمرو في عين حمئة:

تَجِيءُ بِمِلْئِها طَوْراً وطَوْراً تَجِيءُ بحَمأَةٍ وقَليلِ ماءِ[1]

يقول الله تعالى لنبيّه محمّدﷺ: ﴿يسألونك﴾ يا محمّد ﴿عن ذي القَرْنَين﴾ وأخباره وسيرته، وكان السائل عن ذلك قوماً من اليهود، وقيل: كانوا قوماً من مشركي[2] العرب، فـ﴿قل﴾ لهم يا محمّد: ﴿سأتلو عليكم﴾ يعني: سأقرأ عليكم من خبره ﴿ذِكْراً﴾. ثمّ قال تعالى مخبراً له: ﴿إنّا مكّنّا له في الأرض﴾ أي: بسطنا يده فيها وقوّيناه ﴿وآتيناه من كلّ شيء سبباً﴾ ومعناه: عِلْماً يتسبّب به إلى ما يريده، في قول ابن عبّاس وقَتادة وابن زيد والضّحاك وابن جريج. وقيل: ﴿آتيناه من كلّ شيء سبباً﴾ يعني: ما يتوصّل به إلى مراده. ويقال للطريق إلى الشيء: سبب، وللحبل: سبب، وللباب: سبب ﴿فأتبع سبباً﴾ أي: سبباً من الأسباب الّتي أُوتِيَ، ومَن قرأ بقطع الهمزة أراد: فَلَحِق سبباً، يقال: ما زلت أتَبْعَه حتّى أتْبَعته، أي: لحقته.

وقوله: ﴿فأتبع سبباً﴾ قال مجاهد وقَتادة والضحّاك وابن زيد: معناه:

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١٣ ولم ينسبه إلى أحد وفيه: «يوما ويوماً» بدل «طوراً وطوراً».

(٢) قاله الطبري ذيل الآية.

طرقاً بين[1] المشرق والمغرب[2]. وقيل: معنى ﴿وآتيناه من كلّ شيء سبباً﴾ ليستعين به على الملوك، وفتح الفتوح، وقتل الأعداء في الحروب[3] ﴿فأتبع سبباً﴾ أي: طريقاً إلى ما أُريد منه. وقيل: سُمِّي بـ«ذي القرنين» لأنّه كان في رأسه شبه القَرنَيْن[4]. وقيل: سُمِّي بذلك لأنّه ضُرِب على جانبَي رأسه. وقيل: لأنّه كانت له ضفيرتان. وقيل: لأنّه بلغ قَرْنَيْ الشمس، مطلعها ومغربها. وقيل: لأنّه بلغ قُطْرَيْ الأرض من المشرق والمغرب.

وقوله: ﴿حتّى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾ أي: في عين ماءٍ ذات حَمْأة، في قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة وسعيد بن جُبَيْر. ومن قرأ: «حامية» أراد حارّة، في قول الحسن. وقرأ به في إحدى الروايتَينْ عن ابن عبّاس، قال الشاعر:

تَجِيءُ بِمِلْئِها طَوْراً وطَوْراً ... تَجِيءُ بِحَمْأةٍ وقليلِ ماءِ

وقال أبو عليّ الجُبّائي والبلخي: المعنى: وجدها كأنّها تغرب في عين حَمِئَة وإن كانت تغيب وراءها. قال البلخي: لأنّ الشمس أكبر من الأرض بكثير، وأنكر ذلك ابن الأخشاد وقال: بل هي في الحقيقة تغيب في عينٍ حَمِئَةٍ، على ظاهر القرآن.

وقوله ﴿ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إمّا أن تعذّب وإمّا أن تتّخذ فيهم حُسْناً﴾ معناه: إمّا أن تعذّبهم بالقتل لإقامتهم على الشرك بالله، وإمّا أن تتّخذ

(١) في «س» والمطبوعتين: «من» بدل «بين».

(٢) في «س» «إلى المغرب»، وفي تفسير الطبري عن مجاهد في قوله: ﴿سبباً﴾: قال منزلاً وطريقاً مابين المشرق والمغرب انظر تفسير الطبري ذيل الآية. وفي النكت والعيون ٣: ٣٣٨؛ «طرقاً بين المشرق والمغرب».

(٣) انظر النكت والعيون ٣: ٣٣٨.

(٤) انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

فيهم حُسْناً بأن تأسرهم فتعلّمهم الهدى وتستنقذهم من العمى فـ﴿قال﴾ ذو القرنين لمّا خيّره الله في ذلك: ﴿أمّا مَن ظَلَم﴾ نفسه بأن عصى الله وأشرك به ﴿فسوف نعذّبه﴾ يعني: بالقتل و﴿يردُّ﴾ فيما بعد ﴿إلى ربّه فيعذّبه﴾[1] يوم القيامة ﴿عذاباً نُكْراً﴾ أي: عظيماً منكراً تنكره النفس من جهة الطبع، وهو عذاب النار، وهو أشدّ من القتل في الدنيا.

قوله [تعالى]:

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴿٩١﴾ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴿٩٢﴾ خمس آيات في الكوفي والبصري، وأربع في المدنيّين[2].

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر ﴿فله جزاء الحسنى﴾ بالنصب والتنوين، الباقون بالرفع والإضافة.

فمن أضاف احتمل أن يكون أراد: فله جزاءُ الطاعةِ وهي الحسنى، ويحتمل أن يكون أراد: فله الجنّة وأضافه إلى الحسنى وهي الجنّة، كما قال: ﴿وإنّه لحقّ اليقين﴾[3]. ومن نوّن أراد: فله الحسنى، أي: الجنّة، لأنّ الحسنى هي الجنّة لامحالة. ونصبه يحتمل أمرَين:

أحدهما: أن يكون نصباً على المصدر في موضع الحال، أي: فلهم الجنّة يجزون بها جزاءً. قال قوم: هو نصب على التمييز، وهو ضعيف، لأنّ

---

(١) كذا في الحجريّة، والعبارة في «ح» و«س» هكذا: «فسوف نعذّبه يعني بغير القتل فيما بعد ويرد إلى ربّه فيعذّبه».

(٢) العبارة في «س» هكذا: «خمس آيات كوفي وبصري وثلاث فيما عداهما عَدّا ﴿ثمّ اتبع سبباً﴾ آية في الموضعين، وعدّ الباقون كلّ واحد منهما تمام آية.

(٣) الحاقّة: ٥١.

التمييز يقبح تقديمه، كقولك: تفقأ زيد شحماً، وتصبّب عرقاً، وله دنّ خلّاً، ولا يجوز: له خلّاً دنّ، وأمّا عرقاً، فما أحد أجازه إلّا المازني. وشاهد الإضافة قوله: ﴿لهم جزاء الضِعْف﴾[1] والحسنى هاهنا الجزاء.

لمّا حكى الله تعالى ما قال ذو القَرنَيْن: إنّ مَن ظَلَم نعذّبه، وإنّ له عندالله عذاباً نُكراً، أخبر أنّ من صدّق بالله وَوَحَّده وعمل الصالحات الّتي أمر الله بها ﴿فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يُسراً﴾ أي: قولاً جميلاً. ثمّ قال: ﴿ثمّ أتبع سبباً حتّى إذا بلغ مطلع الشمس﴾ أي: الموضع الّذي تطلع منه ممّا ليس وراءه أحد من الناس فوجد الشمس ﴿تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾ أي: أنّه لم يكن بتلك الأرض جبل ولا شجر ولا بناء، لأنّ أرضهم لم يكن يبنى عليها بناء، فكانوا إذا طلعت الشمس عليهم يغورون في المياه والأسراب، وإذا غربت تصرّفوا في اُمورهم، في قول الحسن وقَتادة وابن جُرَيْج. وقال قَتادة: هم الزَنْج. وقوله: ﴿كذلك﴾ معناه كذلك هم. ثمّ قال: ﴿وقد أحطنا بمالديه خبراً﴾ أي: كذلك علمناهم وعلمناه. ويحتمل أن يكون المراد كذلك «اتبع سبباً» إلى مطلع الشمس، كما أتبعه إلى مغربها.

وقوله: ﴿ثمّ أتبع سبباً﴾ يعني: طريقاً ومسلكاً لجهاد الكفّار.

وقال الحسن: إنّ ذا القَرنَيْن كان نبيّاً، ملك مشارق الأرض ومغاربها.

وقال عبد الله بن عمر: كان ذو القَرنَيْن والخضر نبيّين، وكذلك لقمان كان نبيّاً.

قوله [تعالى]:

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا

---

(١) سبأ: ٣٧.

عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص ﴿السَّدَّين﴾ بالفتح، الباقون بالضمّ. وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً وحده: ﴿يُفْقِهون﴾ بضمّ الياء وكسر القاف، الباقون بفتح الياء والقاف. وقرأ عاصم وحده: ﴿يأجوج ومأجوج﴾ بالهمز، الباقون بلا همز. وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿خراجاً﴾ بألف، الباقون: ﴿خرجا﴾ بغير ألف.

أخبر الله تعالى عن حال ذي القرنين أنّه أتبع طريقاً إلى جهاد الكفّار إلى أن ﴿بلغ بين السدَّين﴾ ووصل إلى ما بينهما، وهما الجبلان اللذان جعل الردَمْ بينهما، في قول ابن عبّاس وقَتادة والضحّاك. و«السدّ»: وضع ما ينتفي به الخرق، يقال: سَدَّهُ يَسُدُّه سدّاً، فهو سادٌّ، والشيء مَسدُود، وٱنْسَدَّ انْسِداداً، ومنه: سَدَّدَ السَهْمَ، لأنّه سدّ عليه طرق الاضطراب. ومنه: «السداد» الصواب، و«السدّ»: الحاجز بينك وبين الشيء، قال الكسائي: الضمّ والفتح في السدّ بمعنىً واحد. وقال أبو عُبَيْدة وعِكْرِمَة: «السدّ» بالضمّ: من فعل الله، وبالفتح: من فعل الآدميّين[1].

وقوله: ﴿وجد من دونهما﴾ يعني: دون السدّين ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ أي: لا يفهمونه، ومن ضمّ الياء أراد: لا يفهمون غيرهم، لاختلاف لغتهم عن سائر اللغات. وإنّما قال: ﴿لا يكادون﴾ لأنّهم فقهوا بعض الشيء عنهم وإن كان بعد شدّةٍ، ولذلك حكي عنهم أنّهم قالوا: ﴿إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾. و«الفقه»: فهم متضمّن المعنى، والفهم للقول هو الّذي يعلم به متضمّن معناه، يقال: فَقِهَ يَفْقَهُ، وفَقُهَ يَفْقُهُ.

---

(١) مجاز القرآن ١: ٤١٤ وتفسير الطبري ذيل الآية.

وقـــوله: ﴿قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ حكاية عمّا قال القوم الّذين وجدهم ذو القرنين من دون السَدَّين، فقالوا: إنّ هؤلاء مفسدون في الأرض، أي: في تخريب الديـار، وقـطع الطـرق، وغير ذلك ﴿فهل نجعل لك خراجاً﴾ فمن قرأ بالألف فإنّه أراد: الغلّة، ومن قرأ بلا ألف أراد: الأجر ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً﴾ يـعني: بـيننا وبـين يأجوج ومأجوج سدّاً ﴿قال﴾ لهم ذو القرنين: ﴿ما مكّنّي فيه ربّي خير﴾ " من الأجر الّذي تـعرضون عـليَّ ﴿فأعينوني بقوّةٍ اجعل بينكم وبينهم رَدْماً﴾ فالرَدْم: أشدّ الحجاب، في قول ابن عبّاس. يقال: رَدَمَ فلانٌ مـوضعَ كـذا يَرْدِمُهُ رَدْماً، ورَدَّمَ ثوبه تَرْدِيماً: إذا أكثر الرقاع فيه، ومنه قول عَنْتَرَة:

هَل غـادَرَ الشُـعراءُ مـن مُـتَرَدَّمِ أم هَلْ عرفْتَ الدارَ بعد تَوهُّمِ[١]

أي: هل تركوا من قولٍ يؤلَّف تأليف الثوب المُرقَّع؟ وقـيل: «الرَدْم» السدّ المتراكب[٢]. وقرأ ابن كثير: ﴿مكنّني﴾ بنونين، الباقون بنون واحدة مشدّدة. من شدّد أدغم كراهية المثلَيْن، ومن لم يدغم قـال: لأنّـهما مـن كلمتَيْن، لأنّ النون الثانية للفاعل، والياء للمتكلّم، وهو مفعول به. وقوله: ﴿أعينوني بقوّة﴾ أي: برجال يبنون.

و«الخرج»: المصدر لما يخرج من المال، و«الخراج» الاسم لما يخرج عن الأرض ونحوه. وترك الهمزة في «يأجوج» و«مأجوج» هو الاختيار، لأنّ الأسماء الأعجميّة لا تُهمَز، مثل: «طالوت» و«جالوت» و«هاروت» و«ماروت». ومَن همّز قال: لأنّه مأخوذ من: أجَّـجَ النـار، ومـن: المـلح الأُجاج، فيكون «يفعولاً» منه في قول من جـعله عـربيّاً، وتـرك صـرفه

---

(١) البيت مطلع معلّقة عنترة الشهيرة، راجع ديوان عنترة بن شدّاد: ١٢.

(٢) النكت والعيون ٣: ٣٤٢.

للتعريف والتأنيث، لأنّه اسم قبيلة، وإذا اختار أن يقول: لو كان عربيّاً، لكان هذا اشتقاقه، ولكنّه أعجمي فلا يشتق لكان أصوب قال رؤبة:

لو أنّ يأجُوجَ ومأجُوجَ مَعا وَعادَ عادٌ واستَجاشُوا تُبَّعا[1]

فترك الصرف في الشعر، كما هو في التنزيل، وجمع «يأجوج»: يآجيج، مثل: يعقوب ويعاقيب، لذكر الحجل، وولد القبج: السلك والأُنثى: سلكة. ومن جعل «ياجوج» و«ماجوج» فاعولاً جمعه: «يَواجيج» بالواو، مثل: طاغُوت وطَواغيت، وهارُوت وهَواريت. وأمّا «مأجوج» في قول مَن هَمَز، فـ«مفعول» من: أجَّ، كما أنّ «يأجوج» يفعول منه، فالكلمتان على هذا من أصل واحد في الاشتقاق. ومن لم يهمز «يأجوج» كان عنده «فاعول» من: يَجَّ، كما أنّ «ماجوج»: «فاعُول» من: مَجَّ، فالكلمتان على هذا من أصلَيْن، وليسا في أصل واحد، كما كانا كذلك فيمن همَّزهما. وإن كانا من العجمي فهذه التقديرات لا تصحّ فيهما، وإنّما مثّل بها على وجه التقدير على ما مضى.

وقال الجُبّائي والبلخي وغيرهما: إنّ يأجوج ومأجوج قبيلان من ولد آدم. وقال الجُبّائي: قيل: إنّهما من ولد يافث بن نوح[2] ومن نسلهم الأتراك.

وقال سعيد بن جُبَيْر: قوله: ﴿مفسدون في الأرض﴾ معناه: يأكلون الناس. وقال قوم: معناه: أنّهم سيفسدون، ذهب إليه قَتادة.

قوله [تعالى]:

ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١٤.

(٢) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٤١ من دون نسبة.

نَقْبًا﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّـآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴿٩٨﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ ﴿الصُدُفين﴾ بضمّ الصاد والدال ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، الباقون: بفتح الصاد والدال، إلّا أبا بكر عن عاصم فإنّه ضمّ الصاد وسكّن الدال. وقرأ أهل الكوفة إلّا حفصاً ﴿قال آتوني﴾ قصراً، الباقون ممدوداً. وقرأ حمزة وحده: ﴿فما اسطّاعوا﴾ مشدّدة الطاء بالإدغام، وهو ضعيف عند جميع النحويّين، لأنّ فيه جمعاً بين ساكنَيْن.

حكى الله تعالى عن ذي القَرنَيْن أنّه قال للقوم الّذين شكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، وبذلوا له المال فلم يقبله، وقال لهم: أعينوني برجال، وأعطوني، وجِيئوا بزُبُر الحديد لأعمل منه ـ في وجوه يأجوج ومأجوج ـ الرَدْم.

و«الزُبْرَة»: الجملة المجتمعة من الحديد والصفر ونحوهما، وأصله: الاجتماع، ومنه: «الزُبُور» وزَبَرْت الكتابَ: إذا كتبته، لأنّك جمعت حروفه. و«الحديد» معروف، حدّدته تَحديداً: إذا أرهفته، ومنه: حَدُّ الشيء: نهايته. وقال ابن عبّاس ومجاهد: ﴿زُبَر الحديد﴾: قِطَع الحديد. وقال قَتادة: فلق الحديد.

وقوله: ﴿حتّى إذا ساوى بين الصدفين﴾ تقديره: أنّهم جاءوا بزُبَر الحديد وطرحوه حتّى إذا ساوى بين الصدفين ممّا جعل بينهما، أي: وازى رؤوسهما، و«الصَدَفان»: جبلان، في قول ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك وإبراهيم. وقيل: هما جبلان، كلّ واحد منهما منعزل عن الآخر، كأنّه قد صَدَف عنه. وفيه ثلاث لغات: ضمّ الصاد والدال، وفتحهما، وتسكين الدال وضمّ الصاد. قال الراجز:

قد أَخَذَتْ ما بين عَرْضِ الصُدُفَيْن نـاحِيَتَيْها وأعـالي الرُكْـنَيْن[١]

وقال أبو عُبَيْدة: ﴿الصَدَفان﴾ جانبا الجبل[٢]. وقوله: ﴿قال انفخوا﴾ يعني: قال ذو القَرنَيْن: انفخوا النار على الحديد والزُبر، فنفخوا ﴿حتّى إذا جعله ناراً﴾ أي: مائعاً مثل النار ﴿قال﴾ لهم ﴿آتوني﴾ أي: أعطوني، وقرئ بقطع الهمزة ووصلها، فمَن قطع فعلى ما قلناه، ومَن وصل خفض وقصّر، وقيل: معناه: جيئوني[٣] ﴿أُفرِغ عليه قِطْراً﴾ نصب ﴿قِطْراً﴾ بـ﴿أُفرغ﴾ ولو نصبه بـ﴿آتوني﴾ لقال: أفرغه. و«القطر»: النحاس ـ في قول ابن عبّاس ومجاهد والضحّاك وقَتادة ـ وأراد بذلك أن يلزمه، وقال أبو عُبَيْدة: «القِطْر»: الحديد المذاب، وأنشد:

حُساماً كَلَوْنِ المِلْحِ صَافٍ حَدِيدُه جُرازاً من أقطارِ الحَديدِ المُنَعَّتِ[٤]

وقال قوم: هو الرصاص النقر، وأصله: القطر، وكلّ ذلك إذا أُذيب قَطَرَ كما يَقْطُرُ الماء. وقوله: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾ أي: لم يقدروا أن يعلوه ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ من أسفله، في قول قَتادة، وفي «استطاع» ثلاث لغات: «استَطاعَ يَستَطِيعُ» و«اَسطاعَ يَسطِيعُ» بحذف التاء، و«اَستاع يَستِيعُ» بحذف الطاء، استثقلوا اجتماعهما من مخرج واحد. فأمّا «اسطاع يسطيع» فهي من: أطاعَ يُطيعُ، جعلوا السين عوضاً من ذهاب حركة العين.

ثمّ ﴿قال﴾ ذو القَرنَيْن: ﴿هذا﴾ الّذي يسهّل فعله من الرَدْم بين الجبلين نعمة ﴿من ربّي﴾ عليكم ﴿فإذا جاء وعد ربّي﴾ لإهلاكه عند أشراط الساعة ﴿جعله دكّاء﴾ أي: مدكوكاً مستوياً بالأرض، من قولهم: ناقة دكّاء، لا سنام

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤١٤ ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) انظر مجازالقرآن ١: ٤١٤. (٣) انظر تفسيرالطبري ذيل الآية. (٤) مجازالقرآن ١: ٤١٥.

لها، بل هي مستوية السنام. ومن قرأ: «دكّاً» منوّناً[١] أراد: دَكّه دَكّاً، وهو مصدر، ومَن قرأ بالمدّ[٢] أراد: جعل الجبل أرضاً دكّاءً منبسطةً، وجمعها: دكّاءات.

وقال ابن مسعود في حديثٍ مرفوعٍ: «إنّ ذلك يكون بعد قتل عيسى الدجّال». وقيل: إنّ هذا السدّ وراء بحر الروم، بين جبلين هناك، يلي مؤخّرهما البحر المحيط[٣]. وقيل: إنّه وراء در بند، وبحر خزران من ناحية أرمينية وآذربيجان يمضي إليه[٤]. وقيل: إنّ مقدار ارتفاع السدّ مائتا ذراع[٥] وإنّه من حديد يشبه المصمت، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً[٦].

وقوله: ﴿وكان وعد ربّي حقاً﴾ معناه: ما وعد الله بأنّه يفعله لابدّ من كونه، فإنّه حقّ لا يجوز أن يخلف وعده. وروي: أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنّي رأيت سدّ يأجوج ومأجوج، فقال ﷺ: فكيف رأيته؟ قال: رأيته كأنّه رِداءٌ مُحَبَّرٌ، فقال له رسول الله ﷺ: قد رأيته[٧].

قوله [تعالى]:

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَـٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبراً عن حال تلك الأُمم: إنّهم تُركوا أي: بقوا

---

(١) هو ابن كثير ونافع وأبوعمر وابن عامر كما في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٠٩.

(٢) هو حمزة والكسائي وعاصم كما في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٠٩.

(٣) انظر النكت والعيون ٣: ٣٤٤.

(٤) في تفسير الطبري ذيل الآية: الجبلان بين ارمينية وآذربيجان.

(٥ و٦) النكت والعيون ٣: ٣٤٤.

(٧) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٤٤.

ولم يخترموا، بل أُديموا على الصفات الّتي يبقون بها ﴿يومئذٍ يَمُوج﴾ بعضهم ﴿في بعضٍ﴾ فلو اقتُطِعُوا عنها لكان قد أُخذوا عن تلك الأحوال.

وبعض الشيء: ما قُطِع منه، يقال: بعّضته أي: فَرقّته بأن قطعته أبعاضاً، و«البعض» جزء من «كلّ» فإن شئت قلت: البعض مقدارٌ من الكلّ، وإن شئت قلت: هو مقدار ينقص بأخذه الجميع.

و«الموج» اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض، والمعنى: أنّهم يموجون في بناء السدّ، ويخوضون فيه متعجّبين من السدّ، ومعنى ﴿يومئذ﴾: يوم انقضاء السدّ، فكانت حال هؤلاء كحال الماء الّذي يتموّج باضطراب أمواجه. والترك في الحقيقة لا يجوز على الله، إلّا أنّه يتوسّع فيه فيعبّر به عن الإخلال بالشيء بالترك.

وقوله: ﴿ونُفِخَ في الصور﴾ فالنفخ: إخراج الريح من الجوف باعتماد، يقال: نَفَخَ يَنْفُخُ نَفْخاً، ومنه: «انتفخ» إذا امتلأ ريحاً، ومنه: «النُفّاخة» الّتي ترتفع فوق الماء بالريح. و«الصُور» قال عبد الله بن عمر[1] في حديثٍ يرفعه: إنّه قَرْن يُنْفَخ فيه[2]. ومثله رُوي عن ابن عبّاس وأبي سعيد الخُدَري[3].

وقيل: إنّه يُنْفَخ فيه ثلاث نَفْخات: الأُولى نفخة الفزع الّتي يفزع من في السماوات والأرض، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لربّ العالمين[4].

وقال الحسن: ﴿الصُور﴾ جمع «صُورَة» فيُحْيَوْن بأن يُنْفَخ في الصور الأرواح. وهو قول أبي عُبَيْدة[5].

وقوله: ﴿فجمعناهم جمعاً﴾ يعني: يوم القيامة يحشرهم الله أجمع

(١) في الطبري عبدالله بن عمرو. (٢) رواه الطبري ذيل الآية. (٣) تفسير الطبري ذيل الآية.
(٤) رواه أبوهريرة عن النبيّ ﷺ كما في تفسير الطبري ذيل الآية.
(٥) انظر مجاز القرآن ١: ٤١٦.

﴿وعرضنا جهنّم يومئذٍ للكافرين عَرْضاً﴾ أي: أبـــرزناها وأظـهرناها حتّى يروها، فإذا استبانت وظهرت قيل: أعرضت، ومنه قول عمرو:

وأعرَضَتِ اليَمامةُ واشمَخَرَّتْ   كأسْيافٍ بـأيْدي مُـصْلِتينا[١]

وقوله: ﴿الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ شبّه الله أعين الكفّار الّذين لم ينظروا في أدلّة الله وتوحيده ولم يعرفوا الله بأنّها كانت في غطاء، ومعناه: كأنّها في غطاء ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ معناه: أنّه كان يـثقل عليهم الاستماع، وقال البَلْخي: يجوز أن يكون المراد: أنّهم لا يسـمعون، كما قال تعالى: ﴿هل يستطيع ربّك أن ينزّل علينا مائدة﴾[٢] وإنّما أراد بذلك: هل يفعل أم لا؟ لأنّهم كانوا مقرّين بـأنّ الله قـادر، لأنّـهم كـانوا مـقرّين بعيسى عليه السلام.

قوله [تعالى]:

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلاً ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ثلاث آيات في الكوفي والبصري، تمام الثانية قوله: ﴿أعمالاً﴾ وآيتان في المدنيّين[٣].

قرأ الأعشى إلّا النقّار[٤]: ﴿أفَحَسْبُ﴾ بتسكين السين وضمّ الباء، وهي قراءة عليّ عليه السلام الباقون بكسر السين وفتح الباء.

---

(١) من معلّقته المشهورة راجع ديوان عمرو بن كلثوم: ٥٦.   (٢) المائدة: ١١٢.

(٣) كذا في المطبوعتين، وفي «س» العبارة هكذا: ثلاث آيات كوفي وبصري وشامي، وآيـتان فيما عداه، عدّ الأوّل «اعمالاً» آية، وقرأ...

(٤) في الحجريّة: «قرأ الاعشى إلّا النقار»، وفي «س»: «وقرأ الأعشى ويحيى بن يـعمر» وفـي الحروفيّة: «قرأ الأعشى ويحيى بن يعمر إلّا النقّار».

يقول الله تعالى لنبيّهﷺ: ﴿أَفَحسِبَ الّذين كفروا﴾ بتوحيد الله، وجحدوا ربوبيّته ﴿أن يتّخذوا عبادي من دونه أولياء﴾ أي: أنصاراً يمنعونهم من عقابي لهم على كفرهم، وقد أعددت ﴿جهنّم للكافرين نُزُلاً﴾ أي: مأوىً ومنزلاً في قول الزجّاج وغيره[١]. وقال قوم: «النُزُل»: الطعام، جعل الله لهم طعاماً[٢]. و«النُزْل»: الرَيْع[٣]. ومَن ضمّ الباء [من ﴿أفحسب﴾][٤] معناه: حَسْبُهم على اتّخاذهم عباد الله من دونه أولياء أن جعل لهم جهنّم نزلاً ومأوى، وقيل: بل هم لهم أعداء، يعني: الّذين عبدوا المسيح والملائكة[٥].

ثمّ أمر نبيّهﷺ أن يقول لهم ﴿هل ننبّئكم بالأخسرين﴾ أي: نخبركم بالأخسرين ﴿أعمالاً﴾ وهم ﴿الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾ وأنّ أفعالهم طاعةً وقُربة، وقيل: إنّهم اليهود والنصارى[٦]. وقيل: الرُهبان منهم[٧]. ورُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: هم أهل حروراء من الخوارج[٨] وسأله ابن الكوّاء عن ذلك، فقال عليه السلام: أنت وأصحابك منهم[٩]. وهم ﴿الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا﴾ أي: حادَ عنهم وهلك ﴿و﴾ هم مع ذلك ﴿يحسبون﴾ أي: يظنّون أنّهم يفعلون الأفعال الجميلة، و«الحسبان»: هو الظنّ، وهو ضدّ العلم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٣: ٣١٤.

(٢) في الحروفيّة: «جعل الله لهم جهنّم طعاماً» وهو قول قتادة كما في النكت والعيون ٣: ٣٤٦.

(٣) الربع: فضل كلّ شيء.

(٤) الزيادة من الحروفيّة، وهذا هو قراءة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعكرمة وقتادة كما في تفسير الطبري ذيل الآية.

(٥) قاله أبوسيلمان الدمشقي كما في زاد المسير ٥: ١٤٥.

(٦) قاله سعد بن أبي وقّاص كما في تفسير الطبري ذيل الآية.

(٧) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٨) النكت والعيون ٣: ٣٤٧ وتفسير الطبري ذيل الآية.

(٩) رواه الطبري ذيل الآية.

وفي الآية دلالة على أنّ المعارف ليست ضروريّة، لأنّهم لو عرفوا الله تعالى ضرورة ما حسبوا غير ذلك، لأنّ الضروريّات لا يُشَكّ فيها.

وقوله: ﴿الأخسرين أعمالاً﴾ نصب على التمييز، ومَن قرأ ﴿أفحَسْبُ﴾ بضمّ الباء وسكون السين كان عنده ﴿أن يتّخذوا﴾ في موضع رفع، ومن جعلها فعلاً ماضياً جعل ﴿أن﴾ في موضع نصب بوقوع «حَسِبَ» عليه.

قوله [تعالى]:

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

أخبر الله تعالى عن الكفّار الّذين تقدّم وصفهم بأنّهم الّذين جحدوا أدلّة ربّهم وأنكروا ﴿لقاءه﴾ أي: لقاء ثوابه وعقابه في الآخرة، من حيث أنكروا البعث والنشور، بأنّهم قد ﴿حبطت أعمالهم﴾ لأنّهم أوقعوها على غير الوجه الّذي أمرهم الله به ﴿فلا نُقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ وصفهم الله بأنّه لا وزن لهم، كما يقال في التحقير للشيء، هذا لا شيء، من حيث إنّه لا يعتدّ به، ويقال للجاهل: لا وزن له، لخفّته وسرعة طيشه وقلّة تثبّته فيما ينبغي أن يتثبّت فيه، وقال قوم: معناه: لا نقيم لهم وزناً لطاعتهم، لأنّهم أحبطوها. وقال البلخي: معناه: أنّ أعمالهم لا يستقيم وزنها، لفسادها. ثمّ قال: وإنّما كان ﴿ذلك﴾ كذلك، لأنّ جهنّم ﴿جزاؤهم بما كفروا﴾ أي: جحدوا الله ﴿واتّخذوا﴾ آياته ورسله ﴿هُزُواً﴾ أي: سخريّة، يقال: هَزِئَ يَهْزَءُ هُزُؤاً، فهو هازِئ.

ثمّ أخبر عن حال الّذين صدّقوا بالله ﴿وعملوا الصالحات﴾ أنّ ﴿لهم

جنّات الفردوس نُزُلاً﴾ أي: مأوىً، و«الفِرْدَوس»: البستان الّذي يجمع الزهر والثمر وسائر ما يمتّع ويلذّ، وقال كعب: هو البستان الّذي فيه الأعناب. وقال مجاهد: ﴿الفِرْدَوس﴾ البستان بالروميّة. وقال قَتادة: هو أطْيَب موضع في الجنّة. ورُوي: أنّه «أعلى الجنّة وأحسنها» في خبر مرفوع[١]. وقال الزجّاج: ﴿الفِرْدَوس﴾: البستان الّذي يجمع محاسن كلّ بستان[٢].

وقوله: ﴿نُزُلاً﴾ أي: مأوى. وقيل: ﴿نزلاً﴾ أي: ذات نُزُول[٣]. وحكى الزجّاج: أنّ ﴿الفردوس﴾ الأوْدِية الّتي تنبت ضروباً من النبت[٤]. و«النُزُل» بضمّ النون والزاي من النُزُول، و«النَزَل» بفتحهما: الرَيْع[٥].

قوله [تعالى]:

خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً ﴿قبل أن يَنْفَد﴾ بالياء، الباقون بالتاء[٦].

فمَن قرأ بالتاء فالتأنيث «الكلمات» ومَن قرأ بالياء فلأنّ التأنيث ليس بحقيقي، وقد مضى نظائر ذلك[٧].

أخبر الله تعالى عن أحوال المؤمنين الّذين وصفهم بالأعمال الصالحة،

---

(١) تفسير الطبري ذيل الآية. (٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣١٥.

(٣) انظر تفسير الطبري ذيل الآية وزاد المسير ٥: ١٤٥ والنكت والعيون ٣: ٣٤٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣١٤ ـ ٣١٥. (٥) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٦) في الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١١٠: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «ينفد» بالياء.

(٧) راجع تفسير سورة الإسراء الآية ٤٤.

وأنّ لهم جنّات الفردوس جزاءً على أعمالهم، بأنّهم خالدون في تلك الجنات، ونصب ﴿خالدين﴾ على الحال، وقوله: ﴿لا يبغون عنها حِوَلاً﴾ أي: لا يطلبون عنها التحوّل والانتقال إلى مكان غيرها، وقال مجاهد: «الحول»: التحوّل أي: لا يبغون متحوّلاً. وقد يكون معناه: التحوّل من حال إلى حال، ويقال: حالَ عن مكانهِ حِوَلاً مثل: صَغُرَ صِغَراً، وكبُرَ كبراً.

ثمّ أمر نبيّه ﷺ أن يقول لجميع المكلّفين: ﴿لو كان ماء البحر مداداً﴾ في الكثرة، لكتابة كلمات الله ﴿لنَفِدَ ماء البحر﴾ ولم تنفد كلمات الله بالحكم. و«البحر»: مستقرّ الماء الكثير الواسع الّذي لا يُرى جانباه من وسطه، وجمعه: أبْحُر وبِحار وبُحُور. و«المداد» هو الجائي شيئاً بعد شيء على اتّصال، و«المداد» الّذي يُكتَب به. و«المَدَد» المصدر، وهو مجيء شيءٍ بعد شيء، وقال مجاهد: هو مداد العلم[١]. والكلمة الواحدة من الكلام، ولذلك يُقال للقصيدة: «كلمة» لأنّها قطعة واحدة من الكلام، والصفة المفردة: كلمة، و﴿مدداً﴾ نصب على التمييز، وهذا مبالغة لوصف ما يقدر الله تعالى عليه من الكلام والحكم.

ثمّ قال: ﴿قل﴾ لهم ﴿إنّما أنا بشر مثلكم﴾ لست بمَلَكٍ، آكل وأشرب ﴿يُوحى إليَّ أنّما إلهكم إله واحد﴾ أي: يوحى إليَّ بأنّ معبودكم الّذي تحقّ له العبادة واحد ﴿فمن كان) منكم ﴿يرجو لقاء ربّه﴾ أي: لقاء ثوابه أو عقابه، و«يرجو» معناه: يأمل، وقيل: معناه يخاف[٢] ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ أي: طاعةً يتقرّب بها إليه ﴿ولا يشرك بعبادة﴾ الله أحداً غيره: من مَلَك ولا بَشَر،

---

(١) في تفسير الطبري ذيل الآية عن مجاهد: للقلم. وفي النكت والعيون ٣: ٣٤٩: أنّه العلم بالقرآن.

(٢) قاله مقاتل وقطرب كما في النكت والعيون ٣: ٣٤٩ وفي زاد المسير ٥: ١٥٠ قاله ابن قتيبة.

ولا حَجَر ولا مَدَر ولا شَجَر، فتعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وقال سعيد ابن جُبَيْر: معنى ﴿لا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾ أي: لا يُرائي بعبادة الله غيره. وقال الحسن: لا يعبد معه غيره.

وقيل: إنّ هذه الآية آخر ما نزل من القرآن[١].

وقال ابن جُرَيْج: قال حيّ بن أخْطَب: تزعم يا محمّد إنّا لم نُؤتَ من العلم إلّا قليلاً، وتقول: ﴿ومن يُؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾[٢] فكيف يجتمعان؟! فنزل قوله تعالى: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي﴾ ونـزل ﴿ولو أنّما في الأرض من شجرةٍ أقلام...﴾ الآية[٣].

---

(١) انظر تفسير الطبري ذيل الآية، والنكت والعيون ٣: ٣٥١، زاد المسير ٥: ١٥٠.

(٢) البقرة: ٢٦٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

سورة مريم

هي مكّية في قول قَتادة ومجاهد، وهي ثمانٍ وتسعون آية[1] في المدني الأوّل والكوفي والبصري والشامي. وتسع وتسعون في المكّي والمدني الأخير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣.

ثلاث آيات في الكوفي خاصّةً، عدّوا ﴿كهيعص﴾ آية، وآيتان في الباقي.

قرأ أبو عمرو: ﴿كهيعص﴾ بإمالة الهاء وفتح الياء، وقرأ ابن عامر إلّا الداجوني عن هشام وحمزة إلّا العبسي وخلف في اختياره: بفتح الهاء وإمالة الياء، وقرأ الكسائي ويحيى والعليمي والعبسي بإمالة الهاء، الباقون بفتحهما، وهم أهل الحجاز والداجوني عن هشام وعاصم إلّا يحيى والعليمي ويعقوب. وأبو جعفر بقطع الحروف على أصله، ويُظهر الدال من

---

(١) في حاشية الحجريّة: «في المدني الأوّل والكوفي والبصري والشامي، وتسع وتسعون في المكّي والمدني الأخير وهو إسماعيل.

هجاء صاد عند ذلك، وكذلك أهل الحجاز وعاصم ويعقوب.

قال أبو عليّ: إمالة هذه الحروف سائغة، لأنّها ليست بحروف معنىً، وإنّما هي أسماء لهذه الأصوات. وقال سيبويه: قالوا «با»، «يا» لأنّها أسماء ما يتهجّأ به، فلمّا كانت أسماء غير حروف جازت فيها الإمالة كما جازت في الأسماء، ويدلّك على أنّها أسماء أنّك إذا أخبرت عنها أعربتها، وإن كنت لاتعربها أسماء قبل ذلك[1] فكما أنّ أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء، كذلك[2] هذه الحروف، وإذا كانت أسماء ساغت فيها الإمالة. فأمّا مَن لم يَمِلْ فعلى مذهب أهل الحجاز.

وكلّهم أخفى نون عين، إلّا حفصاً عن عاصم فإنّه بيّنها، وقال أبوعثمان: بيان النون مع حروف الفم لحن، إلّا أنّ هذه الحروف تجري على الوقف عليها، والقطع لها ممّا بعدها، فحكمها البيان وأن لا تخفى، فقول عاصم هو القياس فيها، وكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف، وعلى أنّها منفصلة عمّا بعدها. وقال أبو الحسن: تبيين النون أجْوَد في العربيّة، لأنّ حروف العدد والهجاء منفصل بعضها من بعض.

وروي عن أبي عمرو واليزيدي ـ في رواية أبي عمرو عنه ـ كسر الهاء والياء، وقال قلت له: لِمَ كسرت الهاء؟ قال: لئلّا تلتبس بهاء التنبيه، فقلت: لِمَ كسرت الياء؟ قال: لئلّا تلتبس بـ«يا» الّتي للنداء إذا قلت: ها زيد[3] ويا رجل.

ومَن أدغم الدال في الذال فَلِقُرب مخرجهما، ومَن أظهر فلأنّهما ليسا من جنس واحد، وليسا أُختَين.

---

(١) في «س» والمصدر زيادة: «كما أنّ أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتها».

(٢) في «س» والمصدر: «فكذلك».

(٣) في الحجريّة: «يا زيد».

وقرأ الحسن بضمّ الهاء، حكى سيبويه: أنّ في العرب من يقول في «الصَلاَة» بما ينحو نحو «الصَلوُة» الضمّ، وحكى «ها» «يا» بإشمام الضمّ[1]. قال الزجّاج: مَن حكى ضمّ الياء فهو شاذّ، لأنّه أجمعت الرواة على أنّ الحسن ضمّ الهاء لا غير[2].

قد بيّنّا في أوّل سورة البقرة اختلاف العلماء في أوائل أمثال هذه السور، وشرحنا أقوالهم، وبيّنّا أنّ أقوى ما قيل فيه: إنّها أسماء السور، وهو قول الحسن وجماعة[3] وقيل: إنّ كلّ حرف منها من اسمٍ من أسماء الله تعالى، فالكاف من «كبير» والهاء من «هاد» والياء من «حكيم» والعين من «عالم» والصاد من «صادق» وروى ذلك عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس وغيرهما[4] وروي عن علي عليه السلام أنّه دعا فقال: «سألتك يا كهيعص».

وقوله: ﴿ذكر رحمة ربّك عبده زكريّا﴾ رفع ﴿ذكر﴾ على أنّه خبر للابتداء، وتقديره: هذا، أو مبتدأ الخبر[5] وتقديره: فيما يتلى عليكم ذكر ﴿رحمة ربّك﴾ أي: نعمة ربّك ﴿عبده﴾ منصوب بـ﴿رحمة﴾. وقال الفرّاء: «الذِكْر» مرفوع بـ﴿كهيعص﴾ والمعنى ذكر ربّك عبده برحمته، فهو تقديم وتأخير[6] ونصب ﴿زكريّا﴾ لأنّه بدل من ﴿عبده﴾. ﴿إذ نادى ربّه نداءً خفيّاً﴾ أي: حين دعا ربّه دعاءً خفيّاً، أي: سرّاً غير جهر، لا يريد به رياءً، ذكره ابن جريج. وأصل النداء مقصور من: ندى الصوت بندى الحلق[7].

---

(١) في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣١٧: «عن الخليل وسيبويه: أنّ من العرب من يقول في الصلاة: الصلوة فينحو نحو الضم.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣١٧.

(٣) راجع التبيان ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٨ (من طبعتنا).

(٤) انظر النكت والعيون ٣: ٣٥٣، الكشف والبيان ٦: ٢٠٦، تفسير الطبري ذيل الآية.

(٥) عبارة «مبتدأ الخبر» لم ترد في المطبوعتين.

(٦) معاني القرآن ٢: ١٦١.

(٧) العبارة في «س» هكذا «والنداء أصله مقصور من مدّ الصوت بندي الحلق».

قوله [تعالى]:

قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٣﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٤﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٥﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿يرثْني﴾ جزماً على أنّه جواب الأمر، الباقون بالرفع على أنّه صفة لـ﴿وليّاً﴾.

فمن رفع قال: ﴿وليّاً﴾ نكرة، فجعل ﴿يرثني﴾ صلة له، كما تقول: أعرني دابّةً أركبها، ولو كان الاسم معرفةً لكان الاختيار الجزم، كقوله: ﴿فذروها تأكلْ في أرض الله﴾ (١) والنكرة كقوله: ﴿خُذْ من أموالهم صدقةً تُطهِّرُهُم﴾ (٢). وقال ابن مجاهد: مَن جزم جاز أن يقف على ﴿وليّاً﴾ ومن رفع لم يجز لأنّه صلة، ولأنّ المفسّرين قالوا: تقديره: هب لي الّذي يرثني، أي: وارثاً، فكلّ ذلك يقوّي الرفع.

حكى الله تعالى ما نادى به زكريّا ودعا ربّه به، وهو أن قال: ﴿ربِّ﴾ أي: يا ربِّ، وأصله: ربي، وإنّما حذف الياء تخفيفاً وبقيت الكسرة تدلّ عليها ﴿إنّي وَهَنَ العَظْم منّي﴾ أي: ضعف، والوَهْن: الضعف ونقصان القوّة، يقال: وَهَنَ الرجل يَهِنُ وَهْناً إذا ضعف، ومنه قوله: ﴿لا تَهِنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ (٣). وإنّما أضاف الوهن إلى العظم لأنّ العظم مع صلابته إذا كبر ضعف وتناقض (٤) فكيف باللحم والعصب. وقيل: شكا (٥) قلّة البطش

---

(١) الأعراف: ٧٣، هود: ٦٤. (٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) آل عمران: ١٣٩. (٤) كذا في «س»، وفي المطبوعتين: «فتناقص».

(٥) كذا في «س» والحروفية، ولم ترد «قلّة» في الحجرية والعبارة في مجمع البيان والنكت والعيون هكذا: «شكا ضعف البطش».

وهو لا يكون إلّا بالعظم[(١)].

وقوله: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ معناه: انتشر الشيب في الرأس كما ينتشر شعاع النار، وهو من أحسن الاستعارات. و«الاشتعال»: انتشار شعاع النار، و«الشيب»: مخالطة الشعر الأبيض للأسود في الرأس وغيره من البدن، وهو مثل الشائب الّذي يخالط الشيء من غيره ﴿ولم أكن بدعائك ربِّ شقيّاً﴾[(٢)] تمام حكاية ما دعا به زكريّا، وأنّه قال: لم أكن يا ربِّ بدعائي إيّاك شقيّاً، أي: كنت أدعوك وحدك وأعترف بتوحيدك، وقيل: معناه: إنّي إذا دعوتك أجبتني[(٣)]. و«الدعاء»: طلب الفعل من المدعوّ، وفي مقابلته «الإجابة» كما أنّ في مقابلة «الأمر»: «الطاعة». ويحتمل نصب ﴿شيباً﴾ أمرَين:

أحدهما: أن يكون نصباً على المصدر، كأنّه قال: شاب شيباً.

والثاني: التمييز، كقولهم: تصبّبتُ عرقاً، وامتلأت ماءً.

وقوله: ﴿وإنّي خفت الموالي من ورائي﴾ قال مجاهد وأبو صالح والسدّي: ﴿الموالي﴾ هاهنا: العصبة. وقيل: ﴿خفت الموالي﴾ أي بني عمّي[(٤)] على الدين، لأنّهم كانوا شرار بني إسرائيل، وإنّما قيل لبني العمّ: موالي لأنّهم الّذين يَلُونه في النسب بعدم[(٥)] الصلب. وقيل: معنى ﴿الموالي﴾ الأولياء، أن يرثوا علمي دون من كان من نسلي[(٦)]. وأنشدوا

---

(١) النكت والعيون ٣: ٣٥٤، مجمع البيان ٦: ٥٠٢.

(٢) لم ترد في «س» عبارة «ولم أكن بدعائك ربِّ شقيّاً تمام حكاية ما دعا به زكريّا وأنّه قال».

(٣) قاله الفرّاء والزجّاج في معانيهما انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٦١ ومعاني القرآن وإعرابه ٣: ٣١٩.

(٤) قاله الفرّاء والزجّاج في معانيهما ٢: ١٦١ و ٣: ٣١٩.

(٥) كذا في النكت والعيون، وفي النسخ: «بعد» بدل «بعدم».

(٦) قاله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٥٥ من دون نسبة.

في أنّ ﴿الموالي﴾ بنو العمّ قول الشاعر:

مَهْلاً بَني عمّنا مهلاً موالينا لا تنبشُوا بينَنا ما كان مَدفُونا[١]

و«المولى»: المعتِقُ، والمعتَقُ، و«المولى»: الناصر، و«المولى»: الوليّ، و«المولى» الأولى. وروي عن عثمان أنّه قرأ: «وإنّي خَفَّتِ الموالِي» بفتح الخاء وتشديد الفاء. وقوله: ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ يعني: لا تلد، ويقال للمرأة الّتي لا تلد: عاقر، والرجل الّذي لا يولد له: عاقر، قال الشاعر:

لَبِئْس الفَتى أنْ كنتُ أسودَ عاقّراً

جَباناً فما عُذْرِي لدى كُلِّ مَحْضَرِ[٢]

والعقر في البدن: الجُرح، ومنه أُخذ «العاقر» لأنّه نقص أصل الخلقة: إمّا بالجراحة وإمّا بامتناع الولادة، ومنه: «العَقَار» لأنّ فساده نقص لأصل المال.

وقوله: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضياً﴾ والميراث: تركة الميّت ما كان يملكه لمن بعده من مستحقّيه بحكم الله فيه، يقال: وَرِثَ يَرِثَ إرْثاً ومِيراثاً، وتَوارَثُوا تَوارُثاً، وورّثه تَوْرِيثاً، وأورثه عِلْماً ومالاً. و«الآل»: خاصّة الرجل الّذين يؤول أمرهم إليه، وقد يرجع إليه أمرهم بالقرابة تارةً وبالصحبة أُخرى، وبالدين والموافقة، ومنه قيل: آل النبيّ صلى الله عليه وآله. وقوله: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ قال أبو صالح: معناه: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة. وقال الحسن: يرثني العلم والنبوّة. وقال مجاهد: يرث علمه. وقال السُدّي: يرث نبوّته ونبوّة آل يعقوب. وكان

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ١٢٥، و٢: ١، ونسبه إلى الفضل بن عبّاس بن عتبة بن أبي لهب، وفيه: «لا تظهرنّ لنا ما كان مدفوفاً».

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ١ ونسبه إلى عامر بن الطفيل.

آل يعقوب أخواله، وهو يعقوب بن ماثان[١] وكان فيهم الملك[٢] وكان زكريّا من ولد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران، [و] قال مقاتل: يعقوب بن ماثان أخو عمران أبي مريم، وهما ابنا ماثان.

وقوله: ﴿واجعله ربّ رضياً﴾ فالجعل على أربعة أقسام:

أحدها: بمعنى الإحداث، كقولهم: جعل البناءَ أي: أحدثه. والثاني: إحداث ما يتغيّر به، كقولهم: جعل الطين خزفاً أي: أحدث ما به يتغيّر. الثالث: أن يحدث فيه حكماً، كقولهم: جعل فلاناً فاسقاً أي: بما أحدث فيه من حكمه وتسميته. الرابع: أن يحدث ما يدعوه إلى أن يفعل، كقولهم: جعله يقتل زيداً أي: بما أمره به ودعاه إلى قتله. ومعنى ﴿واجعله رب رضيّاً﴾ أي: اجعل ذلك الوليّ الّذي يرثني مرضيّاً عندك، ممتثلاً لأمرك، عاملاً بطاعتك.

وفي الآية دلالة على أنّ الأنبياء يورّثون المال، بخلاف ما يقول من خالفنا: إنّهم لا يورّثون، لأنّ زكريّا صرّح بدعائه وطلبه من يرثه ويحجب بني عمّه وعصبته من الولد، وحقيقة الميراث: انتقال ملك المورِّث إلى ورثته بعد موته بحكم الله. وحَمْلُ ذلك على العلم والنبوّة خلاف الظاهر، على أنّ النبوّة والعلم لا يورثان، لأنّ النبوّة تابعة للمصلحة، ولا مدخل للنسب فيها، والعلم موقوف على من يتعرّض له ويتعلّمه، على أنّ زكريّا إنّما سأل وليّاً من ولده يحجب مواليه من بني عمّه وعصبته من الميراث، وذلك لا يليق إلّا بالمال، لأنّ النبوّة والعلم لا يحجب الولد عنهما بحال، على أنّ اشتراطه أن يجعله «رضيّاً» لا يليق بالنبوّة، لأنّ النبيّ لا يكون إلّا

---

(١) في هامش الحجريّة: في نسخة «ماتان».

(٢) كذا في «س» وفي المطبوعتين: قيّم الملك، والصحيح ما أثبتناه. انظر النكت والعيون ٣: ٣٥٦.

رضيّاً معصوماً، فلا معنىً لمسألته ذلك، وليس كذلك المال، لأنّه يرثه الرضيّ وغير الرضيّ.

واستدلّ المخالف بهذه الآية على أنّ البنت لا تحوز المال دون بني العمّ والعصبة، لأنّ زكريّا طلب وليّاً يمنع مواليه، ولم يطلب وليّةً!! وهذا ليس بشيء، لأنّ زكريّا إنّما طلب وليّاً لأنّ من طباع البشر الرغبة في الذكور دون الإناث من الأولاد، فلذلك طلب الذكر، على أنّه قيل: إنّ لفظ «الوليّ» يقع على الذكر والأُنثى، فلا نسلّم أنّه طلب الذكر، بل يقتضي الظاهر أنّه طلب ولداً، سواء كان ذكراً أو أُنثى.

و«الوراء»: الخلف، و«الوراء»: القُدّام ممدودٌ. وكذلك «الوراء» ولد الولد ممدودٌ، و«الورى» مقصوراً: داء في الجوف. و«الورى» والورا مقصوراً أيضاً: الخَلْق مقصورٌ. وكلّهم قرأ ﴿ورائِي﴾ ممدوداً ساكن الياء، إلّا ما رواه ابن مجاهد عن قُنْبُل بفتح الياء مع المدّ، وروي عن شبل عن ابن‌كثير ﴿ورأيَ﴾ مقصوراً مثل: «هدايَ» بغير همزٍ وفتح الياء.

قال أبو عليّ: لا أعلم أحداً من أهل اللغة حكى القصر في هذه اللفظة، ولعلّه لغة جاءت، وقد جاء في الشعر قصر الممدود، وقياسه: ردّ الشيء إلى أصله، واللام في هذه الكلمة همزة، وليس من باب «الوَرى»[١]. وقال أبوعُبَيْدة وغيره: ﴿من ورائي﴾ يعني: من قُدّامي[٢] ومثله: ﴿وكان وراءهم مَلِكٌ﴾[٣] أي: بين أيديهم. وحُكِي عن التوزي[٤]: «وراء الرجل» خلفه وقدّامه، وقوله: ﴿ومن ورائه عذاب﴾[٥] أي: قُدّامه.

وقوله: ﴿وإنّي خفت الموالي﴾ فإنّ الخوف لا يكون من الأعيان وإنّما

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١١٢. (٢) مجاز القرآن ٢: ١. (٣) الكهف: ٧٩.
(٤) كذا في «س»، وفي المطبوعتين «الثوري». (٥) إبراهيم: ١٧.

يكون من معانٍ فيها، فقولهم: خفت الله أي: خفت عقابه، وخفت الموالي: خفت تضييعهم مالي، وإنفاقه في معصية الله.

قوله [تعالى]:

﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٦ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٧ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٨ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝٩﴾ أربع آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة: ﴿نبشرك﴾ وفي آخرها﴿لتبشر به﴾ بالتخفيف فيهما، الباقون بالتثقيل. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿عِتيّاً وصِليّاً وبكيّاً وجِثيّا﴾ بكسر أوائلهنّ، ووافقهما حفص في الموضعين إلّا في ﴿بكيّاً﴾ الباقون: بضمّ أوائلهنّ[1].

من كسر أوائل هذه الحروف فلمجاورة الياء، والأصل الضمّ، لأنّه جمع «فاعل» مثل: جالس وجُلُوس، وكذلك: صَالٍ وصِليّ، والأصل: «صُلُوي» ويكون على وزن «فعول» فانقلبت الواو ياءً، وأُدغمت الياء في الياء. والأصل في «عتيّاً»: عتوّاً، لأنّه من: عَتَا يعتُو، «وبكيّاً» من: بكى يبكي، كما قال تعالى: ﴿وعَتَوْ عتُوّاً كبيراً﴾[2] وإنّما قيل: ﴿عتيّاً﴾ هاهنا بالياء لأنّه جمع «عاتٍ» وأصله: «عاتو» فانقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، فبنوا الجمع على الواحد في قلب الواو ياءً، لأنّ الجمع أثقل من الواحد، وقوله: ﴿وعَتَوْ عُتُوّاً﴾ مصدر، والمصدر يجري مجرى الواحد حكماً وإن كان في اللفظ مشاركاً للجمع، لأنّك تقول: قَعَدَ يَقْعُدُ قُعُوداً، وقومٌ قُعُودٌ، وفي حرف أُبيّ: «وقد بلغت من الكِبَر عُسِيّاً» يقال للشيخ إذا

---

(١) العبارة في المطبوعتين هكذا: «وافقهم حفص إلّا في بكيّاً، الباقون بضمّ أوائلهنّ» وانظر التيسير في القراءات السبع: ١٤٨، الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١١٦.

(٢) الفرقان: ٢١.

كَبُر. عَسَا يَعْسُو، وعَتا يعتُو إذا يَبُس.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وقد خلقناك﴾ على الجمع، الباقون ـ بالتاء ـ على التوحيد. فَمَن قرأ بالنون فلقوله: ﴿وحناناً من لَدُنّا﴾ ومن قرأ بالتاء فلقوله: ﴿وهو عليَّ هيّن﴾ ولم يقل: علينا، وهما سواء في المعنى.

هذا حكاية ما قال الله تعالى لزكريّا حين دعاه، فقال له: ﴿يا زكريّا إنّا نبشّرك﴾ والبشارة: الإخبار بما يظهر سروره في بشرة الوجه، يقال: بَشَّرَهُ بشارةً، وتَبْشيراً، وأبشَرَ بالأمر إبشاراً: إذا استبشر به. وقوله: ﴿بغلام اسمه يحيى﴾ فالغلام اسم للذكر أوّل ما يبلغ، وقيل: إنّه منه اشتقّ: اغتلم الرجل، إذا اشتدّت شهوته للجماع. وقيل: إنّما سمِّي يحيى لأنّ الله تعالى أحياه بالإيمان، في قول قَتادة. وقوله: ﴿لم نجعل له من قبل سميّاً﴾ قال ابن عبّاس: معناه: لم تلد مثله العواقر ولداً. وقال مجاهد: لم نجعل له من قبل مثلاً. وقال ابن جُرَيْج وقَتادة و عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والسُدِّي: معناه: لم يسمّ أحداً باسمه. وقيل: إنّه لم يُسمَّ أحداً من الأنبياء باسمه قبله.

فقال زكريّا عند ذلك: ﴿أنّى يكون لي غلام﴾ أي: كيف يكون لي غلام وامرأتي عاقر لا يلد مثلها ﴿وقد بلغتُ﴾ أنا أيضاً ﴿من﴾ السنّ و ﴿الكبر عِتيّاً﴾ فالعتيّ والعسيّ واحد، يقال: عَتَا عُتُوّاً وعِتيّاً، وعَسَا يَعسُو عِسيّاً وعُسُوّاً، فهو عاتٍ وعاسٍ بمعنىً واحد. و«العاسي» هو الّذي غيّره طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف. وقال قَتادة: كان له بضع وسبعون سنة.

فقال الله تعالى له: ﴿كذلك﴾ هو أنّ الأمر على ما أخبرتك ﴿قال ربّك هو عليَّ هيّن﴾ ليس يشقّ عليَّ خلق الولد من بين شيخ وعاقر، لأنّي قادر على كلّ شيء وكيف يعسر عليَّ ذلك ﴿وقد خلقتك﴾ يا زكريّا ﴿من قبلُ﴾ ذلك ﴿ولم تك شيئاً﴾ أي: لم تكن موجوداً. ومَن نفى أن يكون المعدوم

شيئاً استدلّ بذلك فقال: لو كان المعدوم شيئاً لما نفى أن يكون شيئاً قبل ذلك، وحمل قوله: ﴿إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم﴾[1] على المجاز، والمعنى: أنّها إذا وجدت كانت شيئاً عظيماً ومَن قال: المعدوم شيء، قال: أراد: ولم يكن شيئاً موجوداً.

ولم يكن قول زكريّا ﴿أنّى يكون لي ولد﴾ على وجه الإنكار، بل كان ذلك على وجه التعجّب من عِظَم قدرة الله، وقيل: إنّه قال ذلك مستخبراً، وتقديره: أبتلك الحال أو بقلبه إلى حال الشباب؟ ذكره الحسن.

فقال زكريّا عند ذلك: يا ﴿ربّ اجعل لي آية﴾ أي: دلالة وعلامة استدلّ بها على وقت كونه، فقال الله تعالى له: ﴿آيتك﴾ أي: علامتك على ذلك ﴿ألّا تكلّم الناس ثلاث ليال سويّاً﴾ فقال ابن عبّاس: اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيّام. وقال قَتادة والسُدّي وابن زيد: اعتقل لسانه من غير خرس. وفي «زكريّا» ثلاث لغات: «زكريّاء» ممدود، و«زكريّا» مقصور، و«زكريّ» مشدّد، وقُرئ بالمقصور والممدود دون اللغة الثالثة[2].

قوله [تعالى]:

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٠﴾ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١١﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٢﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٣﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٤﴾ خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى: أنّ زكريّا ﴿خرج على قومه من المحراب﴾ وهو الموضع الّذي يتوجّه إليه للصلاة، وقال ابن زيد: محرابه مصلّاه. والأصل

---

(١) الحجّ: ١.

(٢) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٢: ١٦.

فيه: مجلس الأشراف الّذي يحارب دونه ذبّاً عن أهله ﴿فأوحى إليهم﴾ قيل: معناه: أشار إليهم وأومأ بيده[١] يقال: أوحى يُوحِي إيحاءً، وَوحَى يَحِي وَحْياً، مثل: أومأ يومِئُ إيماءً، ووَمَى يَمِي وَمْياً. و«الإيحاء»: إلقاء المعنى إلى النفس في خفي بسرعة من الأمر، وأصله: السرعة، من قولهم: الوَحَى الوَحاء أي: الإسراع. وقيل: كتب لهم على الأرض[٢] و«الوحي»: الكتابة.

وقوله: ﴿أن سبّحوا بكرةً وعشيّاً﴾ أي: أوحى إليهم بأن سبّحوا، ومعناه: صلّوا بكرةً وعشيّاً، في قول الحسن وقَتادة. وقيل للصلاة: تسبيح، لما فيها من الدعاء والتسبيح[٣] ويقال: فرغت من سبحتي، أي: صلاتي.

وقوله: ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾ يعني: التوراة الّتي أنزلتها على موسى ﴿بقوّة﴾ أي: بجدّ ﴿وآتيناه الحكم صبيّاً﴾ معناه: أعطيناه الفهم لكتاب الله حتّى حصل له عظيم الفائدة. وروي عن معمر: أنّ الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خُلِقْت، فأنزل الله ﴿وآتيناه الحكم صبيّاً﴾.

وقوله: ﴿وحناناً من لدنّا﴾ معناه: وآتيناه رحمةً من عندنا، في قول ابن‌عبّاس وقَتادة والحسن. وقال الفرّاء: فعلنا ذلك رحمة لأبويه ﴿وزكوة﴾ أي: وصلاحاً[٤]. وقال الضحّاك: رحمةً منّا لا يملك إعطاءها أحد غيرنا. وقال مجاهد: معناه: تعطّفاً. وقال عِكْرِمَة: معناه: محبّة، وأصل «الحنان»: الرحمة، يقال: حَنانَك، وحَنانَيْك. قال امرؤ القَيْس:

ويَمْنَعُها بنُو شَمَجَىٰ بنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُم حَنانَكَ ذَا الحَنَانِ[٥]

---

(١) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٦٣.

(٢) وهو قول مجاهد والحكم والسدّي كما في تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) النكت والعيون ٣: ٣٥٩.

(٤) معاني القرآن ٢: ١٦٣.

(٥) من أبيات يصف فيها الزمان ودورانه، راجع ديوان امرئ القيس: ١٧٦.

وقال الآخر:

فقالَت حَنانٌ ما أتى بك هاهنا   أذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحيِّ عارِفُ[١]

أي: أمرنا حنان، وتَحنَّنَ علينا تَحنُّناً أي: تعطَّفَ، قال الشاعر:

تَحَنّنْ عَليَّ هَداك المَليكُ   فإنّ لكلّ مَقام مَقَالا[٢]

وحَنَنْتُ عليه أحُنُّ حَنيناً وحَناناً، وحَنَّةُ الرجل: امرأته، وقال أبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المثنّى: أكثر ما يُستعمل بلفظة التثنية[٣] قال طَرَفَة:

أبا مُنْذرٍ أفَنيتَ، فاستَبْق بعضَنا

حَنانَيْكَ بعضُ الشرّ أهْوَنُ من بَعضِ[٤]

وقوله: ﴿وزكاة﴾ أي: وعملاً صالحاً زكيّاً، في قول قَتادة والضحّاك وابن جُرَيْج وقال الحسن: معناه: وزكاة لمن قبل عنه حتّى يكونوا أزكياء. وقال الجُبّائي: معناه: آتيناه تحنّناً على العباد، ورقّة قلبٍ عليهم، ليحرص على دعائهم إلى طاعة ربّهم ﴿وزكاة﴾ أي: إنّا زكّيناه بحسن الثناء عليه، كما يزكّي الشهودُ الإنسانَ ﴿وكان تقيّاً﴾ أي: يتّقي معاصي الله وترك طاعته ﴿وبرّاً بوالديه﴾ أي: كان بارّاً محسناً إلى والديه ﴿ولم يكن جبّاراً﴾ متكبّراً ﴿عصيّاً﴾ فعيل بمعنى فاعل.

ثمّ قال تعالى: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً﴾ في يوم القيامة، ومعناه: أنّ رحمة الله وسلامه اللتين هما تفضّلٌ من الله، هما على يحيى يوم وُلِد، وأنّ رحمة الله وسلامه اللتين هما جزاء لأعماله

---

(١) أنشده سيبويه في الكتاب ١: ٣٢٠ و ٣٤٩ ولم ينسبه لأحد.

(٢) الشعر للحطيئة من قصيدة طويلة له يستعطف فيها عمر، ويعتذر إليه، راجع ديوان الحطيئة: ٧١.

(٣) مجاز القرآن ٢: ٣.

(٤) من قصيدة طويلة يخاطب فيها عمرو بن هند الملك وكنيته أبومنذر، حين سجنه وأمر بقتله، راجع ديوان طرفة بن العبد: ١٧٢.

الصالحة، هما عليه يوم يموت ويوم يُبعث حيّاً، في الآخرة. قال قوم: معناه: أمان الله له وسلامه يوم وُلِد من عبث الشيطان له وإغوائه إيّاه، ويوم يموت من عذاب القبر وهَوْل المطّلع، ويوم يُبعث حيّاً من عقاب النار وأهوال المحشر.

قوله [تعالى]:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٥) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٦) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِالرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٧) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا (١٨) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (١٩)﴾ خمس آيات بلاخلاف.

قرأ أبو عمرو ونافع في رواية وَرْش وقَالُون عنه: ﴿ليهب لك﴾ بالياء «ربّك غلاماً» الباقون: ﴿لأهَب﴾ بالهمزة على الحكاية، وتقديره: قال ربّك: لأهَب لك. وقال الحسن: معناه: لأهَب لك بإذن الله ﴿غلاماً زكياً﴾ أي: صار بالبشارة كأنّه وهبَ لها.

وضعّف أبو عُبَيْدة قراءة أبي عمرو، لأنّها خلاف المصحف[1]. قال ابن‌خالويه: حجّة أبي عمرو: أنّ حروف المدّ واللين وذوات الهمز يحول بعضها إلى بعض، كما قرئ: «ليلّا» بالياء، والأصل الهمزة «لئلّا». قال أبوعليّ النحوي: من قرأ بالياء يجوز أن يكون أراد الهمزة، وإنّما قلبها ياءً على مذهب أبي الحسن، أو جعلها بين بين قول الخليل. وفى قراءة أُبي وابن مسعود: ﴿ليهب﴾ بالياء[2]، وهو الأجْوَد، ومعنى ﴿زكيّاً﴾: نامياً على

(١) في تفسير السمرقندي٢: ٣٨٩ ﴿لأهب لك غلاماً زكيّاً﴾ يعني: قال ربّك. وهذا اختيار أبي‌عبيدة، وهو موافق لخطّ المصحف.

(٢) انظر الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١١٨.

الخير والبركة.

يقول الله تعالى لنبيّه محمّدﷺ: ﴿اذكر في الكتاب مريم﴾ و«الذِكْـر»: إدراك النفس للمعنى بحضوره في القلب، و«الإذكـار»: إحـضار النـفس للمعنى، وقد يكون «الذكر» قولاً يحضر المعنى للنفس. والمراد بالكتاب هاهنا: القرآن، وإنّما سُمّي كتاباً لأنّه ممّا يكتب.

وقوله: ﴿إذ انتبذت من أهلها﴾ فالانتباذ: اتّخاذ الشيء بإلقاء غيره عنه، والأصل: الإلقاء، من قولهم: نَبَذَه وراء ظهره، أي: ألقاه، وفي هذا الطعام نَبْذٌ من شعير أي: مقدار كـفٍّ مـنه، و«النَـبْذ»: الطـرح، وقـال قَـتادة: مـعنى ﴿انتبذت﴾ انفردت. وقيل: معناه: اتّخذت مكـاناً تـنفرد فـيه بـالعبادة[١]. وقيل: معناه: تباعدت[٢].

وقوله: ﴿مكاناً شرقيّاً﴾ يعني: الموضع الّذي فيجهةالشرق، قال جَرير:

هَبَّتْ جنوباً فَذكْرىٰ مـا ذَكَـرْتُ لكـم
عندَ الصَفاةِ الّـتي شَـرْقيَّ حَـوْرانـاً[٣]

وقـال السُـدّي: مـعنى ﴿فاتّخذت من دونهم حجاباً﴾ أي: حـجاباً مـن الجدران. قال ابن عبّاس: إنّما جعلت النصارى قـبلتهم إلى المشـرق لأنّ مريم اتّخذت جهة المشرق موضع صلاتها. وقال ابن عبّاس: معنى ﴿من دونهم حجاباً﴾ أي: من الشمس جعله الله لها ساتراً.

وقوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ قال الحسن وقَتادة والسُدّي وابن جُرَيْج ووهب بن منبّه: يعني جبرائيل عليه السلام. وسمّاه الله روحاً لأنّه روحاني، لا يشبه

(١) قاله الجبائي كما في مجمع البيان ٦: ٥٠٧.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٣٢٣.

(٣) من قصيدة يهجو بها الأخطل، راجع ديوان جرير: ٤٥٣، وفيه «هبّت شمالاً».

شيئاً من غير الروح، وخصّ بهذه الصفة تشريفاً له. وقيل: لأنّه تحيى به الأرواح بما يؤدّيه إليهم من أمر الأديان والشرائع(١).

وقوله: ﴿فتمثّل لها بشراً سَويّاً﴾ أي: تمثّل لها جبرائيل في صورة البشر ﴿سَويّاً﴾ أي: معتدلاً. فلمّا رأته مريم ﴿قالت إنّي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّاً﴾ تخاف عقوبة الله. فإن قيل: كيف تعوّذت منه إن كان تقيّاً، والتقيّ لا يحتاج أن يُتَعوَّذ منه، وإنّما يتعوّذ من غير التقيّ؟! قيل: المعنى في ذلك: أنّ التقيّ للرحمن إذا تعوّذ بالرحمن منه ارتدع عمّا يسخط الله، ففي ذلك تخويف وترهيب، كما يقول القائل: إن كنت مؤمناً فلا تظلمني، وتكون هي غير عالمة بأنّه تقيّ أم لا.

فلمّا سمع جبرائيل منها هذا القول قال لها: ﴿إنّما أنا رسول ربّك﴾ أرسلني الله لأُبشّرك بأنّه يهب ﴿لك غلاماً﴾ ذكراً ﴿زكيّاً﴾ أي: طاهراً من الذنوب، وقيل: نامياً في أفعال الخير. فقالت مريم عند ذلك متعجّبة من هذا القول: ﴿أنّى يكون لي غلام﴾ أي: كيف يكون ذلك ﴿ولم يمسسني بشر﴾ بالجماع على وجه الزوجيّة ﴿ولم أك بغيّاً﴾ أي: لم أكُ زانية ـ في قول السُدّي وغيره – وهي الّتي تطلب الزنا، لأنّ معنى «تبغيه»: تطلبه.

و﴿لم أك﴾ أصلها: لم أكن، لأنّه من «كان يكون» وإنّما حُذِفت النون لاستخفافها على ألسنتهم، ولكثرة استعمالهم لها، كما حذفوا الألف في «لم أُبَلِ» وأصله: لم أُبالي، لأنّه من المبالاة، وكقولهم: «لا أدرِ» وكقولهم: «أيش» وأصله: أيّشيء، ومثله: «لا أبٌ لشانئك»، وأصله لا أبا لشانئك(٢) ومثله كثير.

---

(١) والعبارة في النكت والعيون ٣: ٣٦٢ هكذا: «لأنّه روحاني لا يشوبه شيء غير الروح، وأضافه إليه بهذه الصفة تشريفاً له». الثاني لأنّه تحيا به الأرواح.

(٢) قال ابن السكّيت: هي كناية عن قولهم: «لا أباً لك».

قوله [تعالى]:

قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحفص عن عاصم ﴿نَسْياً﴾ بفتح النون، الباقون بكسرها، وهما لغتان. وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ﴿مِنْ تحتها﴾ على أنّ ﴿مِنْ﴾ حرف جرّ، الباقون: ﴿مَنْ تحتها﴾ يعني: الّذي تحتها.

قال أبو عليّ النحوي: ليس المراد بقوله: ﴿من تحتها﴾ الجهة السُفلى، وإنّما المراد من دونها، بدلالة قوله: ﴿قد جعل ربّك تحتك سريّاً﴾ ولم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة، وإنّما المعنى: جعل دونك[1].

وقرأ ﴿تُساقِط﴾ بالتاء وضمّها وكسر القاف مخفّفة السين: حفص عن عاصم، وقرأ حمزة: ﴿تساقط﴾ بفتح التاء وتخفيف السين، الباقون ـ وهم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم ـ: بفتح التاء وتشديد السين، وقرأ يعقوب والعُلَيْمي ونُصَيْر: بياء مفتوحة وتشديد السين وفتح القاف، وكلّهم جَزم الطاء.

حكى الله تعالى ما قال لها جبرائيل حين سمع تعجّبها من هذه البشارة ﴿قال كذلك﴾ يعني: الله تعالى قال ذلك ﴿قال ربّك هو عليّ هيّن﴾ أي: سهل متأتٍّ، لا يشقّ عليّ ذلك ﴿ولنجعله آيةً للناس﴾ أي: نجعل خلقه من غير ذكرٍ آيةً باهرةً وعلامةً ظاهرةً للناس ﴿ورحمةً منّا﴾ أي: ونجعله نعمةً من

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١١٩.

عندنا ﴿وكان أمراً مقضيّاً﴾ أي: وكان خلق عيسى من غير ذَكَرٍ أمراً قضاه الله وقدّره حتماً كونه، أي: هو المحكوم بأنّه يكون، وما قضاه الله بأنّه كائن فلابدّ من كونه.

وقوله: ﴿فحملته﴾ يعني: حملت عيسى في بطنها، و«الحمل» رفع الشيء من مكانه، وقد يكون رفع الإنسان في مجلسه، فيخرج عن حدّ الحمل، ويقال له: «حِمْل» بكسر الحاء لما يكون على الظهر، وبالفتح لما يكون في البطن ﴿فانتبذت به مكاناً قصيّاً﴾ أي: انفردت به مكاناً بعيداً[١] ومعناه: قاصياً، وهو خلاف «الداني» قال الراجز:

لتَقْعُدنَّ مَقْعَدَ القَصِيِّ ... منّي كذِي القاذُورةِ المَقْليِّ[٢]

يقال: قَصا المكان يَقْصُو قصواً إذا تباعَدَ، وأقصيت الشيء: إذا أبعدته وأخّرته إقصاءً. وقوله: ﴿فأجاءَها المخاضُ﴾ أي: جاء بها المخاضُ، وهو[٣] ممّا يعدّى تارةً بالباء وأُخرى بالألف. مثل: ذَهَبت به وأذْهَبته، وأتيتك بعمروٍ وآتَيتك عمراً، وخَرَجت به وأخرجته، قال زُهَيْر:

وجارٍ سارَ مُعتَمِداً إليكُمْ ... أجاءَتْهُ المخافَةُ والرَجاءُ[٤]

أي: جاءت به. قال الكسائي تميم تقول: ما أجاءك إلى هذا، وما أشاء بك إليه، أي: صيّرك تشاء، ومن أمثالهم: «شرٌّ ما أجاءَكَ إلى مُخَّةِ

---

(١) روى الشيخ في التهذيب باسناده عن أبيحمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام في قوله ﴿فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً﴾ قال: خرجت من دمشق حتّى أتت كربلاء، فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثمّ رجعت من ليلتها (التهذيب ٦: ٧٣ ح ١٣٩).

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه لأحد. وفيه «ذي».

(٣) في «س» «وجاء به» بدل «وهو».

(٤) من قصيدة طويلة يهجو بها قوماً من بني غليب، راجع ديوان زهير بن أبيسلمى: ١٣.

عُرقُوبٍ»[١] وتميم تقول: «شَرٌّ أشاءَكَ[٢] إلى مُخَّةِ عُرقُوب». وقال ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة والسُدِّي: معنى ﴿فأجاءها﴾: ألجأها. وقال السُدِّي: إنّها قالت في حال الطلق: ﴿يا ليتني مِتُّ قبل هذا﴾ استحياءً من الناس ﴿وكنت نَسْياً منسيّاً﴾ فالنَسْي: الشيء المتروك حتّى يُنسى، بالفتح والكسر، مثل: الوَتْر والوِتْر، وقيل: «النَسْي» بالفتح المصدر، يقال: نَسَيْت الشيء نَسْياً ونِسْياناً، وبالكسر الاسم إذا كان لَقَىً لأيُؤْبَه به، وقيل: «النِسْيُ» خِرْقة الحيض الّتي تلقيها المرأة[٣] قال الشاعر:

كأنَّ لها في الأرضِ نَسْياً تَقُصُّهُ إذا ما غَدَتْ وإنْ تُكالِمْكَ تَبْلَتِ[٤]

أي: نَسيْاً تَركته، ومعنى «تَبْلَت» أي: تقطع كلامها رويداً رويداً وتقف وتصدّق. وقوله: ﴿فناداها من تحتها﴾ ابن عبّاس والسُدّي والضحّاك وقَتادة: المنادي كان جبرائيلﷺ. وقال مجاهد والحسن ووهب بن منبّه وسعيد بن جُبَيْر وابن زيد والجُبائي: كان المنادي لها عيسىﷺ. وقوله: ﴿ألّا تحزني﴾ أي: لا تغتمّي ﴿قد جعل ربّك تحتك سَرِيّاً﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جُبَيْر: «السَريّ» هو النهر الصغير. وقال قوم: هو النهر بالسريانيّة. وقال آخرون: هو بالنبطيّة. وقال إبراهيم والضحّاك وقَتادة: هو

---

(١) في معاني القرآن للزجّاج ٣: ٣٢٤ وفي أمثال العرب: «شر أجاءك إلى مخة عرقوب» ويضرب هذا المثل لكلّ مضطرّ إلى ما لا خير فيه كأن يكون طلبه عند لئيم أعطاه أو منعه، راجع جمهرة الأمثال ١: ٥٤٩، الرقم ١٠٠٧ والعبارة من قوله تميم يقول إلى هنا ساقطة من «س».

(٢) في «س» «أجاءك» وفي مجمع الأمثال: «شرّ ما يجيئك إلى مخّة عرقوب» وذلك لأن العرقوب لا مخ له وإنّما يلجأ إليه من لا يقدر على شيء وبنو تميم يجعلون الجيم شيئاً ويقولون يشيئك، بمعنى يجيئك ويلجئك.

(٣) قاله الطبري ذيل الآية.

(٤) في «س»: «تبتل»، وقد أنشده الزجّاج في معانيه ٣: ٣٢٥، نسبه إلى الشنفري، وفيه: «على أمّها» بدل «إذا ما غدت».

النهر الصغير بالعربيّة، مثل قول ابن عبّاس، وقال البراء بن عازب: هو الجدول. وقال الحسن وابن زيد: السَريّ عيسى عليه السلام. وقيل للنهر سَرِيٌّ لأنّه يسري بجريانه، كما قيل: «جدول» لشدّة جريه، قال لَبيد:

فَتَوسّطا عُرْضَ السَرِيِّ فَصَدَّعا مسْجُورةً متَجاوراً قُلّامُها[1]

وقال آخر:

سَلْمٍ تَرى الدالِي منْهُ أزْوَرا إذا يَعجُّ في السَرِيِّ هَرْهَرا[2]

وقوله: ﴿وهُزّي إليك بجذع النخلة﴾ معناه: هُزي النخلة إليك، ودخلت الباء تأكيداً، كما قال تعالى: ﴿تَنبتُ بالدُهْن﴾[3] وقال الشاعر:

نَضْرِبُ بالبِيضُ ونَرجو بالفَرَجْ[4]

أي: نرجو الفَرَج، وقال آخر:

بوادٍ يَمانٍ يُنْبِتُ السِدْرَ صَدْرُهُ وأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشَبَهانِ[5]

وفي رواية: يُنبِتُ الشَثَّ حوله. وقوله: ﴿تساقط عليك﴾ مَن شدّد أراد: «تتساقط» فأدغم أحد التاءَين في السين، ومن خفّف حذف أحد التاءَيْن. ومن قرأ بالياء أسند الفعل إلى الجذع، ومن قرأ بالتاء أسنده إلى النخلة. ومن قرأ ﴿تُساقِط﴾ أراد من المساقطة، وقرأ أبو حيوة «تُسْقِط عليك». وروي عنه «يسقط» وهو شاذّ والمعاني متقاربة. وقال أبو عليّ: من قرأ «تَسّاقَط» عدّي «فاعل» كما عدّي «يتفاعل»[6] وهو مطاوع «فاعل» قال الشاعر:

---

(١) من معلّقته المشهور، راجع ديوان لبيد بن ربيعة: ١٧٠.

(٢) أنشده الزجّاج في معانيه ٣: ٣٢٥ ولم ينسبه إلى أحد.

(٣) المؤمنون: ٢٠.

(٤) أنشده ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ١٩٣ ونسبه إلى النابغة الجعدي.

(٥) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه لأحد.

(٦) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٢٠.

تَطالَعَنا خِـيالاتٌ لسَـلْمى كَما يَتَطالَعُ الدَّيْنَ الغَريم[١]

وأنشد أبو عُبَيْدَة:

تَـخَاطَّأتِ النَـبلُ أحشـاءَهُ وأُخِّر يَوْمي فَلَم يُعجَلِ[٢]

قـال: فـي مـوضع «أخـطأت» كـقوله: ﴿فإن طبْن لكم عن شيءٍ منه نفساً﴾[٣] ومعنى الآية: يتواقَعُ عـليك ﴿رُطَباً جَنِيّاً﴾ و«الجَـنِيّ»: المَـجْنِي، فعيل بمعنى مفعول، وهو المأخوذ من الثمرة الطَرِيّة، اجـتَنَاهُ اجـتناءً: إذا اقتطعه، قال ابن أُخت جُذَيْمَة:

هذا جَـنايَ وخِـيارُهُ فِـيهْ إذ كلُّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيه[٤]

وفي نصب ﴿رُطَباً﴾ قولان:

أحدهما: قال المبرّد: هو مفعول به، وتقديره: هُزّي بجذع النخلة رُطَباً تُساقط عليك.

وقال غيره: هو نصب على التمييز، والعامل فيه ﴿تُساقط﴾[٥]. وقـال أبوعليّ: يجوز أن يكون نصباً على الحال[٦] وتقديره: تُساقط عليك ثمر النخلة رُطَباً، فحذف المضاف الّذي هو «الثمرة» ونصب «رطباً» على الحال.

وقيل: لم يكن للنخلة رأس، وكان في الشتاء، فجعله الله تعالى آيةً[٧].

وإنّما تمنّت الموت قبل تلك الحال الّتي قد علمت أنّها من قضاء الله، لكراهتها أن يُعصى الله بسببها، إذ كان الناس يـتسرّعون إلى القـول فـيها

---

(١) في هامش الحجّة للقرّاء السبعة (٣: ١٢٠) البيت من الوافر.

(٢) انظر: مجاز القرآن ٢: ٥، ونسبه إلى أوفى بن مطر المازني.

(٣) النساء: ٤.

(٤) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٥) ذهب إليه الزجّاج في معانيه ٣: ٣٢٦.

(٦) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٢١.

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٦٧ والزجّاج في معانيه ٣: ٣٢٥.

بما يسخط الله. وقال قوم: إنّها قالت ذلك بطبع البشريّة خوف الفضيحة[١]. وقال قوم: المعنى في ذلك: إنّي لو خُيِّرت قبل ذلك بين الفضيحة بالحمل والموت لاخترتُ الموت[٢].

واختلفوا في مدّة حمل عيسى، فقال قوم: كان حمله ساعة ووضعت في الحال[٣]. وقال آخرون: حملت به ثمانية أشهر، ولم يعش مولود لثمانية أشهر غيره عليه السلام فكان ذلك آية له[٤]. وفي بعض الروايات: أنّه ولد لستّة أشهر[٥]. وقوله: ﴿فأجاءَها المخاض﴾ يدلّ على طول مكث الحمل، فأمّا مقداره فلا دليل يقطع به.

قوله [تعالى]:

فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

لمّا قال جبرائيل لمريم: ﴿هُزّي إليك بجذع النخلة تُساقط عليك رُطَباً جَنِيّاً﴾ قال لها بعد ذلك: ﴿فكُلي﴾ من ذلك الرُطَب ﴿واشربي﴾ من السَرِيّ ﴿وقُرّي عيناً﴾ ونصبه على التمييز، كقوله: ﴿فإن طِبْن لكم عن شيءٍ منه

---

(١) قال السدّي: إنّها خافت من الناس أن يظنّوا بها سوءاً. النكت والعيون ٣: ٣٦٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٢٤.

(٣) قاله ابن عبّاس كما في تفسير الطبري ذيل الآية، النكت والعيون ٣: ٣٦٢.

(٤) حكاه الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٣٢٤.

(٥) النكت والعيون ٣: ٣٦٢ عن أبي القاسم الصيمري.

نفساً﴾[١] وقيل في معناه قولان: أحدهما: لتبرد عينك برد سرور بما ترى. الثاني: لتسكن سكون سرورٍ برؤيتها ما تحبّ.

يقال: قَرِرْت به عَيْناً أَقَرُّ قُروراً، وهي لغة قريش، وأهل نجد يقولون: قَرَرْتُ به عَيْناً ـ بفتح العين ـ أَقِرُّ قراراً، كما يقولون: قَرَرْتُ بالمكان، بالفتح.

وقوله: ﴿فأمّا تَرَيِنَّ من البشر أحداً فقولي إنّي نذرت للرحمن صوماً﴾ قال الجُبّائي: كان الله تعالى أمرها بأن تنذر لله تعالى الصمت، فإذا كلّمها أحد تومِئ بأنّها نذرت صوماً، أي صمتاً، لأنّه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنّها نَذَرت ولم تنذر، لأنّ ذلك كذب. وقال أنس بن مالك وابن عبّاس والضحّاك: تريد بالصوم الصمت. وقال قَتادة: يعني: صمتاً عن الطعام والشراب والكلام، أي: إمساكاً. وإنّما أمرها بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرّئ ساحتها، في قول ابن مسعود وابن زيد ووهب بن منبّه. وقيل: كان من صام في ذلك الوقت لا يكلّم الناس، فأذِنَ لها في هذا المقدار من الكلام، في قول السُدّي.

فإن قيل: كيف تكون نذرت الصمت وألّا تكلّم أحداً، مع قولها وإخبارها عن نفسها بأنّها نذرت، وهل ذلك إلّا تناقض؟ قيل: من قال: إنّه أذِن لها في هذا القدر فحسب، يقول: إنّها نذرت لا تكلّم بما زاد عليه. ومن قال: إنّها نذرت نذراً عامّاً، قال: أومأت[٢] بذلك ولم تتلفّظ به. وقيل: أمرها الله أن تشير إليهم بهذا المعنى، وأنّها ولدته بناحية بيت المقدس، وفي موضع يعرف بـ«بيت لحم».

ثمّ أخبر الله تعالى عن حال مريم أنّها أتت بعيسى إلى ﴿قومها تحمله﴾

---

(١) النساء: ٤.

(٢) في النسخ: ومت.

فلمّا رأوها ﴿قالوا﴾ لها: ﴿لقد جِئْتِ شيئاً فَرِيّاً﴾ أي: عملاً عجيباً، قال الراجز:

قَد أطْعَمَتْني دَقَلاً حَوْلِيّاً مُسَوَّساً مُدَوّداً حَـجْرِيّاً
قد كُنتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيّا[١]

وقال قَتادة ومجاهد والسُدّي: معنى «الفَرِيّ: العظيم من الأمر. وقيل: «الفَرِيّ»: القبيح من الافتراء[٢]. فقال لها قومها: ﴿يا أُخت هارون﴾ وقيل في هارون الّذي نُسِبت إليه بالأُخوّة أربعة أقوال؛ فقال قَتادة وكَعْب وابن زيد والمُغيرة بن شُعْبَة يرفعه إلى النبيّ ﷺ: إنّه كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل، يُنسَب إليه مَن عُرِف بالصلاح[٣]. وقال السُدّي: نُسِبت إلى هارون أخي موسى عليه السلام لأنّها كانت من ولده، كما يُقال: يا أخا بني فلان. وقال قوم: كان رجلاً فاسقاً مُعلِناً بالفسق، فنُسِبَت إليه[٤]. وقال الضحّاك: كان أخاها لأبيها وأُمّها. وكانت بنو إسرائيل يسمّون أولادهم بأسماء الأنبياء كثيراً.

وقوله: ﴿ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ وما كانت أُمّك بَغِيّاً﴾ أي: لم يكن أبواك إلّا صالحَيْن، ولم يكونا فاجرَيْن، فكيف خالفتهما؟ ﴿فأشارت إليه﴾ أي: أومأت عند ذلك مريم إلى عيسى عليه السلام أن كلّموه، واستَشْهِدوه على براءة ساحتي، فـ﴿قالوا﴾ في جوابها: ﴿كيف نكلّم من كان في المهد صبيّاً﴾ قال

---

(١) أنشد بعضه الطبري ذيل الآية، والفرّاء في معانيه ٢: ١٦٧ باختلاف. ولم ينسباه لأحد، ونسبه محقّق المعاني إلى زرارة بن صعب يخاطب بها العامريّة.

(٢) قاله الكلبي كما في النكت والعيون ٣: ٣٦٨.

(٣) رواه الطبري ذيل الآية مسنداً، النكت والعيون ٣: ٣٦٨.

(٤) قاله سعيد بن جبير كما في النكت والعيون ٣: ٣٦٩ وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٥: ١٦٨ أنّه قول وهب بن منبّه وأنّ ما قاله سعيد بن جبير هو أنّ قوم هارون كان فيهم فساق وزناة فنسبوها إليهم.

قوم: دخلت ﴿كان﴾ هاهنا زائدة، ونصب ﴿صبيّاً﴾ على الحال. وأنشد أبوعُبَيْدَة في زيادة (كان):

إلى كِنَاسٍ كانَ مستَعدّة[١]

وقال آخر:

فكَيفَ إذا رأيْتُ ديارَ قومٍ وجِيرانٍ لَنا، كانُوا، كِرامِ[٢]

والمعنى: وديار جيرانٍ كرامٍ، و «كانوا» فضلة، فلذلك لم تعمل[٣].

وقيل: معنى ﴿كان﴾: صار، وانشد لزُهَيْر:

أجزتُ إليه حَرَّةً أرحَبيّةً وقَد كانَ لَونُ اللَيلِ مِثْلَ الأرَنْدَجِ[٤]

أي: قد صار. وقال المبرّد: معنى ﴿كان﴾ حدث. وقال الزجّاج: معناه على الشرط، وتقديره: مَن كان في المهد صبيّاً كيف نكلّمه؟ على التقديم والتأخير[٥]. وقال قَتادة: «المهد» حِجْر أُمّه، وأصله: ما وُطِّئَ للصبيّ.

وقيل: إنّهم غضبوا عند إشارتها إلى ذلك، وقالوا: لسخريّتها بنا أشدّ علينا من زناها، فلمّا تكلّم عيسى قالوا: إنّ هذا الأمر عظيم، ذكره السُدّي. فقال عيسى عليه السلام عند ذلك: ﴿إنّي عبد الله آتاني الكتاب﴾ قال عِكْرِمَة: معناه فيما قضى ﴿وجعلني نبيّاً﴾ لأنّ الله أكمل عقله وأرسله إلى عباده، ولذلك كانت له تلك المعجزة، في قول الحسن وأبي عليّ الجُبّائي. وقال قوم:

---

(١) مجاز القرآن ٢: ٧ فيه: «مستعيده» ونسبه إلى غيلان بن حريث وقد وردت في «س» العبارة هكذا: وأنشد أبوعبيدة في زيادة كان قول الشاعر:

جياد بني أبي‌بكر تسامى على كان المسوّمة العراب

(٢) للفرزدق، من قصيدة يمدح بها هشام بن عبدالملك. راجع ديوان الفرزدق ٢: ٥٢٩، وفيه: «قومي».

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢: ٧.

(٤) قاله الطبري ذيل الآية وفيه صدر البيت: «زجرت» بدل: «أجرت» ولم نجد البيت في ديوان زهير بن أبي‌سلمى.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٢٨.

معناه: إنّي عبد الله سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيّاً فيما بعد، وكان ذلك معجزةً لمريم على براءة ساحتها، على قول من أجاز إظهار المعجزات على يد غير الأنبياء من الصالحين، وقال ابن الأخشاذ: كان ذلك إرهاصاً لنبوّته. وقال الجُبّائي: معنى ﴿وجعلني نبيّاً﴾ أي: وجعلني رفيعاً، لأنّ النبيّ هو الرفيع.

قوله [تعالى]:

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَـٰنَهُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائي: ﴿آتاني﴾ و﴿أوصاني﴾ بالإمالة، الباقون بالتفخيم.

فمن أمال فلأنّ هذه الألف تنقلب ياءً في «أوصيت» فأمال لمكان الياء، ومن لم يُمِلْ فلمكان الألف. والإمالة في ﴿آتاني﴾ أحسن من الإمالة في ﴿أوصاني﴾ لأنّ في ﴿أوصاني﴾ حرفاً مستعلياً يمنع من الإمالة، ومع ذلك، فهو جائز كصَفى وطغَى.

وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب: ﴿قولَ الحقّ﴾ بالنصب على المصدر، الباقون بالرفع على أنّه خبر الابتداء، وتقديره: ذلك الّذي تلوناه من صفته قولُ الحقّ، وقيل: هو تابع لـ﴿عيسى﴾ كأنّه قيل كلمة الحقّ[1]. وروي عن عبد الله [أنّه قرأ] «قالُ الحقّ» ومعناه قولُ الحقّ، نحو: العاب والعيب، والذام والذيم.

---

(١) انظر الكشف والبيان ٦: ٢١٥.

لمّا حكى الله تعالى عن عيسى أنّه قال لقومه: ﴿إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً﴾ أخبر أنّه قال: ﴿وجعلني مباركاً﴾ قال مجاهد: معناه: مُعلّماً للخير ﴿أينما كنت﴾. وقيل: نفّاعاً[١]. و«البركة»: نماء الخير، و«المبارك»: الّذي ينمى[٢] الخير به، و«التبرّك»: طلب البركة بالشيء، وأصله «الثبوت»[٣] من البرك وهو ثبوت الطير على الماء.

وقوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾ معناه: أمرني بهما، و«الوصيّة»: التقدّم في الأمر الّذي يكون بعد ما وقِّت له، كتقدّم الإنسان في التدبير بعد خروجه، وكتقدّمه في أُمور بعد موته. و«الصلاة» في أصل اللغة: الدعاء، وفي الشرع: عبارة عن هذه العبادة الّتي فيها الركوع والسجود، وقيل: عبارة عن عبادة افتتاحها التكبير وخاتمتها التسليم. قيل في معنى ﴿الزكاة﴾ هاهنا قولان: أحدهما: زكاة المال، والثاني: التطهير من الذنوب ﴿ما دمت حيّاً﴾ أي: أوصاني بذلك مدّة حياتي ﴿وبرّاً بوالدتي﴾ أي: وأوصاني بأن أكون بارّاً بوالدتي، أي: مُحسِناً إليها ﴿ولم يجعلني جبّاراً﴾ أي: متجبّراً، أي: لم يحكم عليّ بالتجبّر والشقاء، ولم يسمّني بذلك ﴿والسلام عليّ﴾ أي: والرحمة من الله بالسلامة والنعمة بها عليّ ﴿يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيّاً﴾.

وقوله: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحقّ﴾ أي: الّذي تلونا من صفة عيسى ﴿قول الحقّ﴾ أي: كلمة الحقّ ﴿الّذي فيه يمترون﴾ أي: يشكّون فيه ﴿ما كان لله أن يتّخذ من ولد﴾ إخبار منه تعالى بأنّه يكن لله أن يتّخذ من ولد على ما تقوله النصارى، ثمّ قال منزِّهاً لنفسه عن ذلك ﴿سبحانه إذا قضى

---

(١) نقله الطبري ذيل الآية عن مجاهد أيضاً.
(٢) في هامش الحجريّة: في نسخة «ينتمي».
(٣) في المطبوعتين: «التبرّك» بدل «الثبوت».

أمراً فإنّما يقول له كن فيكون﴾ أي: يفعله لا يشقّ عليه، بمنزلة ما يقال: كُن فيكون. وقد بيّنّاهُ فيما مضى[1] وحكينا ما قال بعضهم: إنّ قول «كن» عند خلق ما يريد خلقه ليعلم الملائكة أنّه لا يتعذّر عليه شيء يريد فعله.

و«السلام» مصدر سلمت سلاماً، ومعناه: عموم العافية والسلامة، و«السلام» جمع «سلامة»، و«السلام» اسم من أسماء الله، و«سلام» يبتدأ به في النكرة، لأنّه يكثر استعماله، تقول: «سلام عليكم»، وأسماء الأجناس يحسن الابتداء بها، لأنّ فائدتها واحدة، ولمّا جرى ذكر «وسلام» أُعيد هاهنا بالألف واللام ليرد على الأوّل.

قوله [تعالى]:

وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَـٰكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع ويعقوب إلّا روحاً ﴿وأنّ الله﴾ بفتح الهمزة، الباقون بكسرها. من نصب الهمزة احتمل أربعة أوْجُه: أحدها: أنّ المعنى: وقضى الله أنّ الله ربّى وربّكم في قول أبي عمرو بن العلاء، والثاني: أنّه معطوف على كلام عيسى، أي: وأوصاني أنّ الله ربّي وربّكم. والثالث: قال الفرّاء: إنّه معطوف على ذلك عيسى بن مريم، وذلك أنّ الله، ويكون موضعه الرفع بأنّه خبر المبتدأ[2] الرابع: ولأنّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه، والعامل فيه ﴿فاعبدوه﴾. ومن كسر ﴿إنّ﴾ استأنف الكلام، ويقوّي الكسر

(١) راجع تفسير سورة الأنعام: ٧٣.
(٢) انظر معاني القرآن ٢: ١٦٨.

أنّه روي: أنّ أُبيّاً قرأ: ﴿إنّ الله﴾ بلا واو، ويجوز أن يكون عطفاً على قوله: ﴿قال إنّي عبدالله﴾.

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ معناه: عبادتكم لله وحده لا شريك له هو الصراط المستقيم الّذي لا اعوجاج فيه.

وقوله: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ فالاختلاف في المذهب هو أن يعتقد كلّ قومٍ خلاف ما يعتقده الآخرون، و«الأحزاب»: جمع «حزب»، و«الحزب»: الجمع المنقطع في رأيه عن غيره، يقال: تحزَّبَ القوم إذا صاروا أحزاباً. وحزَّبَ عليهم الأحزاب أي: جمع، والمعنى في الآية: اختلف الأحزاب من أهل الكتاب في عيسى عليه السلام فقال قَتادة ومجاهد: قال قوم: هو الله وهم اليعقوبيّة، وقال آخرون: هو ابن الله وهم النُسْطُوريّة، وقال قوم: هو ثالث ثلاثة وهم الإسرائيليّة، وقال قوم: هو عبدالله وهم المسلمون. ثمّ قال تعالى: ﴿فويل للّذين كفروا﴾ بآيات الله، وجحدوا وحدانيّته من حضور ﴿يوم عظيم﴾ يعني: يوم القيامة.

وقوله: ﴿أسْمِعْ بهم وأبْصِرْ يوم يأتوننا﴾ معناه: ما أسمعهم وأبصرهم! على وجه التعجّب، والمعنى: أنّهم حلّوا في ذلك محلّ من يتعجّب منه، وفيه تهديد ووعيد أن سيسمعون ما يصدع قلوبهم، ويردون ما يهلكهم. وقال الحسن وقَتادة: المعنى: لئن كانوا في الدنيا صمّاً عمياً عن الحقّ، فما أسمعهم به وما أبصرهم به يوم القيامة ﴿يوم يأتوننا﴾ أي: يوم يأتون المقام الّذي لا يملك أحد فيه الأمر والنهي غير الله، ثمّ قال تعالى: ﴿لكن الظالمون﴾ أنفسهم بارتكاب معاصيه، وجحد آياته، والكفر بأنبيائه ﴿اليوم﴾ يعني: في دار الدنيا ﴿في ضلال﴾ عن الحقّ وعدول عنه ﴿بعيد﴾ عن الصواب.

ثمّ قال لنبيّهﷺ: ﴿وأنْذِرْهم﴾ يامحمّد، أي: خوفّهم هول ﴿يوم الحسرة﴾ أي: اليوم الّذي يتحسّر فيه الناس على ما فرّطوا فيه من طاعة الله، وعلى ما ارتكبوا من معاصيه في الوقت الّذي ﴿قضي الأمر﴾ وحكم بين الخلائق بالعدل ﴿وهم في غفلة﴾ اليوم عمّا يفعل بهم من العقاب على معاصيهم ﴿وهم﴾ لا يصدّقون بما يقال لهم ويُخبَرون به.

ثمّ أخبر تعالى عن نفسه فقال: ﴿إنّا نحنُ نرثُ الأرض ومَن عليها﴾ أي: يعود إلينا التصرّف في الأرض وفي من عليها من العقلاء وغيرهم، لا يبقى لأحد ملك ﴿وإلينا يرجعون﴾ أي: يردون يوم القيامة إلى الموضع الّذي لا يملك الأمر والنهي غيرنا.

قوله [تعالى]:

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ خمس آيات في الكوفي والبصري، وستّ آيات في المدنيّين، عدّوا ﴿في الكتاب إبراهيم﴾ آية.

أمر الله تعالى نبيّهﷺ أن يذكر إبراهيمعليه السلام ﴿في الكتاب﴾ الّذي هو القرآن، وسمّاه كتاباً لأنّه ممّا يُكتب. والمعنى: اقصص عليهم أو: اتل عليهم، وكذلك فيما بعد[1]. ثمّ قال: ﴿إنّه﴾ يعني: إبراهيم ﴿كان صدّيقاً نبيّاً﴾ و«الصدّيق» هو الكثير التصديق بالحقّ حتّى يصير علماً فيه، وكلّ نبيٍّ صدّيقٌ لكثرة الحقّ الّذي يصدق فيه ممّا هو عَلَم فيه وإمام يُقتدى به: من

(١) الآيات الكريمة التالية: ٥١ و٥٤ و٥٦ من هذه السورة.

توحيد الله وعدله، حين ﴿قال لأبيه يا أبت﴾ والأصل: «يا أبَتي» فحذف ياء الإضافة وبقيت كسرة التاء تدلّ عليها، وقيل إنّ التاء دخلت للمبالغة في تحقيق الإضافة، كما دخلت في «علّامة» و«نسّابة» للمبالغة في الصفة، ومثله: «يا أُمَّتِ» والوقف بالتاء لهذه العلّة، وأجاز الزجّاج الوقف بالهاء[١] وقيل: إنّ التاء عوض من ياء الإضافة[٢].

وقوله: ﴿لِمَ تعبد ما لايسمع و لايبصر و لايغني عنك شيئاً﴾ من أُمور الدنيا، وإنّما هو حجر منقور أو صنم معمول ﴿يا أبت إنّي قد جاءني من العلم﴾ بمعرفة الله وتوحيده، ووجوب إخلاص العبادة له، وقبح الإشراك ﴿ما لم يأتك فاتّبعني﴾ على ذلك وٱقتدِ بي ﴿أهدِكَ صراطاً سويّاً﴾ معتدلاً غير جائز بك عن الحقّ إلى الضلال ﴿يا أبتِ لا تعبد الشيطان إنّ الشيطان كان للرحمن عصيّاً﴾ أي: عاصياً، فعيل بمعنى فاعل.

﴿يا أبتِ إنّي أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن﴾ قال الفرّاء: ﴿أخاف﴾ بمعنى: «أعلم» هاهنا، ومثله: ﴿فخشينا أن يرهقهما﴾[٣] أي: علمنا[٤]. (أن يَمسَّك﴾ أي: يلحقك عذاب من الله على إشراكك معه في العبادة غيره، ومتى فعلت ذلك كنت ﴿وليّاً﴾ للشيطان وناصراً ومساعداً، ونصب ﴿فتكون﴾ عطفاً على ﴿أن يَمسَّك﴾. وقيل: إنّ معناه: أنّه يلزمك ولاية الشيطان لعِبادتك له ـ ذمّاً لك وتقريعاً ـ إذا ظهر عقاب الله لك، وسخطه عليك. وقيل: فتكون موكولاً إلى الشيطان، وهو لا يغني عنك شيئاً.

وقال قوم: هذه المخاطبة من إبراهيم كان لأبيه الّذي هو والده. والّذي

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣١.

(٢) ذهب إليه الخليل وسيبويه كما في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣١.

(٣) الكهف: ٨٠.　　　(٤) معاني القرآن ٢: ١٦٩.

يقوله أصحابنا: إنه كان جدّه لأُمّه، لأنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله كلّهم كانوا مسلمين إلى آدم، ولم يكن فيهم من يعبد غير الله تعالى، لقوله صلى الله عليه وآله: «لم يزل الله ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» والكافر لا يوصف بالطهارة، لقوله تعالى: ﴿إنّما المشركون نَجَسٌ﴾[1] قالوا: وأبوه الّذي ولده كان اسمه «تارخ» وهذا الخطاب منه كان لـ«آزر»[2].

قوله [تعالى]:

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

لمّا حكى الله تعالى ما قال إبراهيم لأبيه، وتوبيخه له في عبادة الأصنام، وتقريعه إيّاه على ذلك، حكي في هذه الآيات ما أجاب به أبوه، فإنّه ﴿قال﴾ له: يا إبراهيم ﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾ ومعناه: أزاهد في عبادة آلهتي، و«الرغبة»: اجتلاب الشيء لما فيه من المنفعة، و«الرغبة فيه» نقيض «الرغبة عنه»، و«الترغيب»: الدعاء إلى الرغبة في الشيء، ثمّ قال له مهدّداً: ﴿لئن لم تنته﴾ أي: لم تمتنع من ذلك، يقال: نَهاهُ فانتهى، وأصله: «النهاية» فالنهي: زجر عن الخروج عن النهاية المذكورة، و«التناهي»: بلوغ نهاية الحدّ.

وقوله: ﴿لأرجمنّك﴾ قال الحسن: معناه: لأرمينّك بالحجارة حتّى تباعد

(١) التوبة: ٢٨. (٢) تقدّم ذكره عند تفسير الآية ٧٤ من سورة الأنعام. فراجع.

عنّي. وقال السُدّي وابن جُرَيْج والضحّاك: معناه: لأرمينّك بالذمّ والعيب.

وقوله: ﴿واهجرني مَلِيّاً﴾ قيل في معناه قولان:

قال الحسن ومجاهد: ﴿مَلِيّاً﴾ دهراً.

ويُقال: كنت عندنا مَلْوَة ومُلْوَة ومِلْوَة ومَلاوَة ـ بالفتح ـ ومُلاوَة ـ بالضمّ ـ وكلّه من طول المقام[١] وبه قال سعيد بن جُبَيْر والسُدّي. وهو بمعنى المُلاوَة من الزمان وهو الطويل منه.

والثاني: قال ابن عبّاس وقَتادة وعطيّة والضحّاك: معنى ﴿مَلِيّاً﴾ سويّاً سليماً من عقوبتي، وهو من قولهم: فلان مليٌّ بهذا الأمر إذا كان كامل الأمر فيه مضطلعاً به.

فقال له إبراهيم: ﴿سلام عليك﴾ أي: سلامة عليك، أي: إكرام وبرّ بحقّ الأُبوّة وشكر التربية، وقال ذلك على وضع التواضع له، ولين الجانب لموضعه ﴿سأستغفر لك ربّي﴾ قال قوم: إنّما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل، ولم يكن قد استقرّ بعد قبح الاستغفار للمشركين. وقال قوم: معناه: سأستغفر لك إذا تركت عبادة الأوثان، وأخلصت العبادة لله تعالى.

ومعنى قوله: ﴿إنّه كان بِي حَفِيّاً﴾ إنّ الله كان عالماً بي لطيفاً، و«الحفيّ»: اللطيف بعموم النعمة، يُقال: تَحَفَّني[٢] فلان إذا أكرمني وألطفني، وحَفِيَ فلانٌ بفلانٍ حِفْوةً: إذا أبرّه وألطفه، و«الحَفا»: أذىً يلحق باطن القدم للطفه عن المشي بغير نعل.

ثمّ قال ﴿وأعتزلكم﴾ أي: أتنحّى عنكم جانباً، وأعتزل عبادة ﴿ما تَدْعُون من دون الله. وادعوا ربّي﴾ وحده ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربّي شقيّاً﴾.

---

(١) معاني القرآن ٢: ١٦٩.

(٢) في «س» تحفاني، وفي هامش الحجرية في نسخة تحفى بي وفي أُخرى «تحفابي».

وقوله: ﴿فلمّا اعتزلهم وما يَعبُدون من دون الله﴾ قيل: إنّه اعتزلهم بأن خرج إلى ناحية الشام ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلّاً جعلنا نبيّاً﴾ أي: لمّا اعتزلهم آنسنا وحشته بأولادٍ كرامٍ على الله، رُسُل لله، وجعلناهم كلّهم أنبياء معظّمين ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ أي: من نعمتنا ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً﴾ قال ابن عبّاس والحسن: معناه: الثناء الجميل الحسن من جميع أهل الملل، لأنّ أهل الملل على اختلافهم يحسنون الثناء عليهم. وتقول العرب: جاءني لسان فلان، تعني: مدحه أو ذمّه، قال عامر ابن الحارث:

إنّي أتَتْنِي لِسانٌ لا أُسَرُّبها مِن عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْها ولا سَخَرُ
جاءَتْ مُرَجَّمةً قد كُنْتُ أحذَرُها لو كانَ يَنْفَعُني الإشْفاقُ والحَذَرُ[1]

وقيل: معناه: أنّا جعلناهم رُسُل الله يصدّقون عليه أعالي الصفات.

قوله [تعالى]:

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة إلّا أبا بكر: ﴿مخلَصاً﴾ بفتح اللام، بمعنى: أخلصه الله للنبوّة، الباقون بالكسر بمعنى: أخلص هو العبادة لله.

يقول الله تعالى لنبيّه محمّدﷺ: أن ﴿اذكر﴾ موسى ﴿في الكتاب﴾ الّذي هو القرآن، وسمّاه كتاباً لما ذكرناه من أنّه يُكتَب، وأخبر أنّ موسى كان مُخْلِصاً بطاعاته وجه الله تعالى دون رياء الناس، وأنّه لم يشرك في

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

عبادته سواه، ومن فتح اللام أراد: أنّ الله أخلصه لطاعته، بمعنى: أنّه لطف له ما اختار عنده إخلاص الطاعة، وأنّه لم يشب ذلك بمعصيته له، وأنّه مع ذلك ﴿كان رسولاً﴾ لله تعالى إلى خلقه، قد حمّله رسالةً يؤدّيها إليهم، وكان (نبيّاً﴾ وهو العليّ برسالة الله إلى خلقه، وبما نَصَب له من المعجزة الدالّة على تعظيمه وتبجيله وعِظَم منزلته، وهو مأخوذ من «النبأ» وهو الخبر بالأمر العظيم.

ثمّ اخبر الله تعالى أنّه ناداه ﴿من جانب الطُور الأيْمن﴾ فإنّه قال له: ﴿إنّي أنا الله ربّ العالمين﴾[1]. و﴿الطور﴾: جبل بالشام، ناداه من ناحيته اليمنى، وهو يمين موسى عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿وقرّبناه نجيّاً﴾ معناه: قرّبناه من الموضع الّذي شرّفناه وعظّمناه بالحصول فيه ليسمع كلامه تعالى، وقال ابن عبّاس ومجاهد: قُرِّب من أهل الحجب حتّى سمع صَريف القلم. وقيل: معناه: أنّ محلّه منّا محلّ من قرّبه مولاه من مجلس كرامته. وقيل: قرّبه حتّى سمع صَرِير القلم الّذي كُتِب به التوراة[2].

وقوله: ﴿نجيّاً﴾ معناه: أنّه اختصّه بكلامه بحيث لم يسمع غيره، يقال: ناجاهُ يُناجِيه مُناجاةً: إذا اختصّه بإلقاء كلامه إليه، وأصل «النجوة»: الارتفاع عن الهلكة، ومنه: «النجاة» أيضاً، و«النجاء»: السرعة، لأنّه ارتفاع في السير، ومنه: «المناجاة».

وقال الحسن: لم يبلّغ موسى عليه السلام من الكلام الّذي ناجاه شيئاً قطّ.

ثمّ أخبر تعالى أنّه وهب له من رحمته ونعمته عليه ﴿أخاه هارون نبيّاً﴾ شدّ به أزره كما سأله.

---

(١) القصص: ٣٠.

(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣٣، وانظر النكت والعيون ٣: ٣٧٦.

ثمّ قال لنبيّه محمّدﷺ: ﴿واذكر في الكتاب﴾ الّذي هو القرآن أيضاً ﴿إسماعيل﴾ ابن إبراهيم، وأخبر ﴿إنّه كان صادق الوعد﴾ بمعنى: إذا وعد بشيء وفى به، ولم يخلف ﴿وكان﴾ مع ذلك ﴿رسولاً﴾ من قِبَل الله إلى خلقه ﴿نبيّاً﴾ معظّماً بالاعلام المعجزة. ﴿و﴾ أنّه ﴿كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾ قال الحسن: أراد بأهله: أُمّته، والمفهوم من الأهل في الظاهر أقرب أقاربه ﴿وكان﴾ مع هذه الأوصاف ﴿عند ربّه مرضيّاً﴾ قد رضي أعماله، لأنّها كلّها طاعات، لم يكن فيها قبائح، وإنّما أراد بذلك أفعاله الواجبات والمندوبات دون المباحات، لأنّ المباحات لايرضاها الله ولايسخطها. وأصل «مرضيّ»: «مَرضُوٌ»(١) فقُلِبَت الضمّة كسرةً، والواو ياءً، وأُدْغِمَت في الياء.

قوله [تعالى]:

وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ خمس آيات.

يقول الله تعالى لنبيّه محمّدﷺ: ﴿اذكر في الكتاب﴾ الّذي هو القرآن ﴿إدريس﴾ وأخبر أنّه كان كثير التصديق بالحقّ، وكان ﴿نبيّاً﴾ معظّماً مبجّلاً مؤيّداً بالمعجزات الباهرة.

(١) في الحجريّة: «مرضَوي» قال الفرّاء: «ومرضوّاً» لغة أهل الحجاز، ألاترى أنّ «الرضوان» بالواو؟ والّذين قالوا: «مرضيّاً» بنوا على رضيت. راجع معاني القرآن ٢: ١٧٠.

ثمّ أخبر تعالى: أنّه رفعه ﴿مكاناً عليّاً﴾ قال أنس بن مالك: رفعه الله إلى السماء الرابعة. وروي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله[1] وبه قال كعب ومجاهد وأبوسعيد الخُدَري. وقال ابن عبّاس والضحّاك: رفعه الله إلى السماء السادسة. وأصل «الرفع»: جعل الشيء في جهة العلوّ، وهي نقيض «السفل» يقال: رَفَعَه يَرْفَعُه رَفْعاً، فهو رافِعٌ وذاك مَرفُوع. و«العليّ» العظيم العلوّ و«العالي» العظيم فيما يقدر به على الأُمور، فلذلك وُصِف تعالى بأنّه عليٌّ، والفرق بين «العليّ» و«الرفيع»: أنّ «العليّ» قد يكون بمعنى الاقتدار وعلوّ المكان، و«الرفيع» من رفع المكان لا غير، ولذلك لايوصف تعالى بأنّه رفيع، وقوله: ﴿رفيعُ الدرجات﴾[2] إنّما وصف الدرجات بأنّها رفيعة، وإنّما اخذ من «علوّ» معنى الصفة بالاقتدار، لأنّها بمنزلة العالي المكان.

ثمّ أخبر تعالى عن الأنبياء الّذين تقدّم وصفهم فقال: ﴿أُولئك الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين﴾ فإن حملنا ﴿من﴾ على التبعيض لم تدلّ على أنّ من عداهم لم يُنعم عليهم، بل لايمتنع أن يكون إنّما أفردهم بأنّه أنعم عليهم نعمة مخصوصة عظيمة رفيعة وإن كان غيرهم أيضاً قد أنعم عليهم بنعمةٍ دونها، وإن حملنا ﴿من﴾ على أنّها لتبيين الصفة لم يكن فيه شبهة، لأنّ معنى الآية: يكون أُولئك الّذين أنعم الله عليهم من جملة النبيّين.

وقوله: ﴿من ذرّيّة آدم﴾ لأنّ الله تعالى بعث رسلاً ليسوا من ذرّيّة آدم، بل هم من الملائكة، كما قال: ﴿يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾[3].

وقوله: ﴿وممّن حملنا﴾ في السفينة ﴿مع نوح﴾ أي: أبوهم نوح، وهو من ذرّيّة آدم ولكن خصّهم للشرف، كما قال: ﴿ومن ذرّية إبراهيم وإسرائيل﴾ يعني: يعقوب ﴿وممّن هدينا﴾ هم إلى الطاعات فاهتدوا إليها

---

(١) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) غافر: ١٥.

(٣) الحجّ: ٧٥.

﴿واجتبينا﴾ هم أي: اخترناهم واصطفيناهم ﴿إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن﴾ أي: أعلامه وأدلّته ﴿خرّوا سُجّداً وبُكِيّاً﴾ أي: سجدوا له تعالى وبكوا، و«بُكيّ» جمع «باكٍ» ونصبهما على الحال، وتقديره: خرّوا ساجدين باكين، وبكي فعول ويجوز أن يكون جمع «باكٍ» على فعول، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى «البكاء». قال الزجّاج: لا يجوز النصب على المصدر، لأنّه عطف على قوله: ﴿سُجّداً﴾[١].

وإنّما فرّق ذكر نسبهم ـ وكلّهم لآدم ـ ليبيّن مراتبهم في شرف النسب، فكان لإدريس شرف القرب من آدم لأنّه جدّ نوح، وكان إبراهيم من ذرّيّة من حمل مع نوح لأنّه من ولد سام بن نوح، وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرّيّة إبراهيم، فلمّا تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم، وكان موسى وهارون وزكريّا ويحيى وعيسى من ذرّية إسرائيل، لأنّ مريم من ذرّيّته. وقيل: إنّما وصف الله صفة هؤلاء الأنبياء ليقتدى بهم وتتّبع آثارهم في أعمال الخير.

ثمّ أخبر تعالى أنّه خلف من بعد المذكورين ﴿خَلْف﴾ و«الخَلَف» بفتح اللام يستعمل في الصالحين، وبتسكين اللام في الطالح، قال لَبيد:

ذَهَبَ الّذين يُعاشُ في أكْنافِهم وبَقيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ[٢]

وقال الفرّاء والزجّاج: يستعمل كلّ واحد منهما في الآخر[٣]. وفي الآية دلالة على أنّ المراد بالخلف من لم يكن صالحاً، لأنّه قال سبحانه: ﴿أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات﴾ واختلفوا في معنى ﴿أضاعوا﴾ وقال

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣٥.

(٢) من قصيدة يذكر فيها قومه ويرثي أصحابه الّذين فقدهم، راجع ديوان لبيد: ٣٦.

(٣) معاني القرآن ٢: ١٧٠، معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣٥.

القُرَظي: تركوها. وقال ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز: أخّروها عن مواقيتها. وهو الّذي رواه أصحابنا. وقال قوم: «خَلَف» بفتح اللام إذا خَلَف من كان من أهله، وبسكون اللام إذا كان من غير أهله. ثمّ قال تعالى: ﴿فسوف يَلْقَون غيّاً﴾ و«الغيّ» الشرّ والخيبة، في قول ابن عبّاس وابن زيد. قال الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحمدُ النـاسُ أمـرَهُ   ومَن يَغْوَ لا يَعْدم على الغَيّ لائِماً[١]

أي: من يخب. وقال عبد الله بن مسعود: «الغيّ» وادٍ في جهنّم. وقيل: معناه: يلقون مجازاة غيّهم[٢]. ثمّ استثنى من جملتهم مَن يتوب فيما بعد ويرجع إلى الله ويؤمن به، ويصدّق أنبياءه، ويعمل الأعمال الصالحة من الواجبات والمندوبات، ويترك القبائح، فإنّ ﴿أولئك يدخلون الجنّة﴾ من ضمّ الياء أراد: أنّ الله يُدخِلهم الجنّة بأن يأمرهم بدخولها، فضمّ لقوله: ﴿ولا يُظلمون﴾ ليتطابق اللفظان، ومن فتح الياء أراد: أنّهم يدخلون بأمر الله، والمعنيان واحد.

وقوله: ﴿ولا يُظلمون شيئاً﴾ معناه: لا يُبخَسون شيئاً من ثوابهم، بل يوفّر عليهم على التمام والوفاء.

قوله [تعالى]:

جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (٦١) لَّايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَابَيْنَ أَيْدِينَا وَمَاخَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ

(١) أنشده ابن عبد ربّه في العقد الفريد في مواضع منها ٢: ١٥٥ و٥: ٣٢٨ ونسبه إلى الموقّش الأصغر.
(٢) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣٦.

وَاصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴿٦٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

﴿جنّات﴾ في موضع نصب بدلاً من قوله ﴿الجنّة﴾ في قوله: ﴿يدخلون الجنّة﴾ وكان يجوز الرفع بتقدير: هي جنّات. و«الجنّة» البستان الّذي يجنّه الشجر، فإذا لم يكن في البستان شجر ويكون من خضرة فهو رَوْضَة، ولا يسمّى جنّة. وإنّما قيل: ﴿جنّات﴾ على لفظ الجمع لأنّ لكلّ واحد من المؤمنين جنّة تجمعها الجنّة العظمى، و«العَدَن» الإقامة، يقال: عَدَنَ بالمكانِ يَعْدِنُ عَدْناً إذا أقامبه، و«الإقامة» كونٌبالمكان على مرور الأزمان، و«الوَعْد»: الإخبار بما يتضمّن فعل الخير، ونقيضه: «الوعيد» وهو الإخبار عن فعل الشرّ، وقد يقال: وعدته بالشرّ، ووعدته بالخير، وأوعدته بالشرّ، و«أوعدته» لايكون إلّا في الشرّ، والمراد بالوعد هاهنا: الموعود.

ومعنى «مأتيّاً» مفعولاً، ويجوز في مثل هذا «آتياً» و «مأتيّاً» لأنّ ما أتيته فقد أتاك، وما أتاك فقد أتيته، كما يقال: أتَيتُ على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة. وقيل معناه: أنّه كقولك: أتيتُ خيرَ فلان، وأتاني خيرُ فلان[١].

وقوله: ﴿بالغيب) معناه: أنّ الجنّة الّتي وعدهم بها ليست حاضرة عندهم، بل هي غائبة.

وقوله: ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ معناه: لايسمعون في تلك الجنّة القول الّذي لا معنىً له يستفاد، وهو اللغو. وقد يكون «اللغو»: الهَذَر من الكلام، و«اللغو» و«اللغا» بمعنىً واحد، قال الشاعر:

عَنِ اللَغا ورَفَثِ التَكَلُّمِ[٢]

(١) قاله الزجّاج في معانيه ٣: ٣٣٦.

(٢) للعجّاج من رجز له طويل فيه حمدالله وتمجيده، وقد تقدّم ذكره في ٣: ٢١٣ و ٢٥٤ و ٣٤١

وقوله: ﴿إلّا سلاماً﴾ يعني: لكن سلاماً وتحيّةً من بعضهم لبعض، قال أبو عُبَيْدة: تقديره: لايسمعون فيها لغواً إلّا أنّهم يسمعون سلاماً(١). وقال الزجّاج: المعنى: لايسمعون كلاماً يُؤلمهم(٢) إلّا كلاماً يسلِّمهم(٣) فيكون استثناءً منقطعاً.

وقوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً﴾ قيل: معناه: في مقدار اليوم من أيّام الدنيا، فذكر «الغداة» و«العشيّ» ليدلّ على المقدار، لأنّه ليس في الجنّة ليل ولا نهار(٤). وقيل: إنّما ذكر ذلك لأنّ أسلم الأكلات أكلة الغداة والعشيّ(٥) فهي أسلم من الأكل دائماً أيّ وقتٍ وجده، أو تكون أكلته واحدة.

وقوله: ﴿تلك الجنّة الّتي نُورِث من عبادنا من كان تقيّاً﴾ معناه: إنّما نملّك تلك الجنّة من كان تقيّاً في دار الدنيا بترك المعاصي، وفعل الطاعات. وإنّما قال: ﴿نُورِث﴾ مع أنّه ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم، لأنّه مشبّه بالميراث من جهة أنّه تمليك بحالٍ استُؤنفَت عن حالٍ قد انقضت من أمر الدنيا، كما ينقضي حال الميّت من أمر الدنيا. وقيل: إنّه تعالى أورثهم من الجنّة المساكن الّتي كانت لأهل النار لو أطاعوا(٦).

وقوله: ﴿وما نتنزّل إلّا بأمر ربّك﴾ قيل في معناه: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استبطأ جبرائيل عليه السلام فقال: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا» فأتاه بهذا الجواب وحياً من الله بأنّا لا نتنزّل إلّا بأمر الله. وهو قول ابن عبّاس والربيع وقَتادة والضحّاك ومجاهد وإبراهيم.

---

(١) مجاز القرآن ٢: ٨.
(٢) في هامش الحجريّة: «يؤثمهم ـ خ».
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣٧.
(٤) قاله الطبري في تفسيره ذيل الآية والزجّاج في معانيه ٣: ٣٣٧ والفرّاء في معانيه ٢: ١٧٠.
(٥) حكى معناه الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٨١.
(٦) قاله الطبري ذيل الآية.

وقوله: ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك﴾ قال ابن عبّاس والربيع وقَتادة والضحّاك وأبو العالية: ﴿له ما بين أيدينا﴾ الدنيا ﴿وما خلفنا﴾ الآخرة ﴿وما بين ذلك﴾ ما بين النفختَين.

وقوله: ﴿وما كان ربّك نَسِيّاً﴾ أي: ليس الله تعالى ممّن ينسى ويخرج عن كونه عالماً، لأنّه عالم لنفسه، وتقديره هاهنا: وما نَسِيَك وإن أخّر الوحي عنك.

وقوله: ﴿ربّ السماوات والأرض﴾ معناه: أنّ الله تعالى هو المالك المتصرّف في السماوات والأرض، ليس لأحدٍ منعه منه ﴿وما بينهما﴾ يعني: وله ما بين السماوات والأرض. ثمّ قال لنبيّهﷺ: ﴿فاعْبُدْهُ﴾ وحده لا شريك له ﴿واَصطبر لعبادته﴾ أي: اصبر على تحمّل مشقّة عبادته، وقال لنبيّهﷺ: ﴿هل تعلم له سَمِيّاً﴾ أي: مثلاً وشبهاً، وهو قول ابن عبّاس ومجاهد وابن جُرَيْج. وقيل: المعنى: أنّه لا يستحقّ أحد أن يُسمّى إلهاً إلّا هو(١).

ومن أدغم اللام في التاء فلأنّ مخرج اللام قريب من مخرج التاء، وقال أبو عليّ: إدغام اللام في الطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين جائز، لقرب مخرج بعضها من بعض(٢).

قوله [تعالى]:

وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

---

(١) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٨٢.

(٢) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٢٣ عن سيبويه.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم: ﴿أوَلا يذْكُر﴾ خفيفاً، الباقون بالتشديد.

من شدّد أراد: «أوَلا يَتَذَكّر» فأدغم التاء في الذال لقرب مخرجيهما، ومن خفّف، فلقوله: ﴿فمَن شاءَ ذَكَرَه﴾[١] والخفيفة دون ذلك في الكثرة في هذا المعنى.

وهذا حكاية من الله تعالى عن قول من ينكر البعث والنشور من الكفّار، وهم المعنيّون بقوله: ﴿أولا يذكر الإنسان﴾ بأنّهم يقولون على وجه الإنكار والاستبعاد: أإذا مِتْنا يخرجنا الله أحياء ويعيدنا كما كنّا؟! فقال الله تعالى منبّهاً على دليل ذلك: ﴿أو لا يذكر الإنسان﴾ من شدّد أراد: أوَلا يتفكّر، ومن خفف أراد: أوَ لا يعلم ﴿أنّا خلقناه من قبلُ﴾ هذا ﴿ولم يك شيئاً﴾ موجوداً، فَمَن قدر على أن يخلق ويُوجِد ما ليس بشيءٍ فيجعله شيئاً موجوداً، فهو على إعادته بعد عدمه إلى الحالة الاولى أقدر.

ثمّ أقسم تعالى فقال: ﴿فو ربّك﴾ يا محمّد ﴿لنحْشرَنّهم﴾ أي: لنبعثنّهم من قبورهم مُقرَنين بأوليائهم من الشياطين. ويحتمل ﴿الشياطين﴾ أن يكون نصباً من وجهَيْن: أحدهما: أن يكون مفعولاً به، بمعنى: ونحشر الشياطين. الثاني: أن يكون مفعولاً معه، بمعنى: لنحشرنّهم مع الشياطين ﴿ثمّ لنحضرنّهم حول جهنّم جِثِيّاً﴾ جمع «جاثي» وهو الّذي بَرَك على ركبتيه.

وقوله: ﴿ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعةٍ أيُّهم أشدّ على الرحمن عِتِيّاً﴾ يعني: تمرّداً، أي: نبدأ بالأكبر جرماً فالأكبر، في قول أبي الأحْوَص ومجاهد. و«الشيعة»: هم الجماعة المتعاونون على أمرٍ واحدٍ من الأُمور، ومنه: تَشايَع القومُ إذا تعاونوا، ويقال للشُجاع: مُشَيّع أي: مُعان. وفي رفع ﴿أيُّهم﴾ ثلاثة أقوال:

---

(١) المدثّر: ٥٥، عبس: ١٢.

أوّلها: الحكاية على تقدير: فيُقال لهم: أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِيّاً فليخرج.

الثاني: إنّه مبنيّ على الضمّ، ومعناه: الّذي هو أشدُّ على الرحمن عِتِيّاً، إلّا أنّه مبنيّ لمّا حذف منه «هو» واطّرد الحذف به فصار كبعض الاسم. فالأوّل قول الخليل، والثاني مذهب سيبويه.

والثالث: أن يكون ﴿لننزِعَنّ﴾ معلّقة كتعليق: علمت أنّهم في الدار، وهو قول يونس. وأجاز سيبويه النصب على أن يكون «أيّ» بمعنى «الّذي» وذكر أنّها قراءة هارون الأعرج[1].

وقوله: ﴿ولم يك شيئاً﴾ أي: لم يكن شيئاً موجوداً كائناً.

ثمّ أخبر تعالى: أنّه أعلم بالّذين عملوا المعاصي، وارتكبوا الكفر والكبائر، الّذين ﴿هم أولى بالنار صِلِيّاً﴾ لا تخفى عليه خافية.

قوله [تعالى]:

وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَـٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ خمس آيات.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٣٩ وفيه: هارون الأعور، وفي الهامش مايلي: «هارون الأعور القاري، هو هارون بن موسى العتكي البصري أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري و عاصم بن أبي النجود وعبدالله بن كثير، وعبدالله بن أبي إسحاق، أوّل من سمع بالبصرة وجوه القراءات وبحث أسانيد الشاذّ منها، مات قبل المأتيين (غاية النهاية: ٣٧٦٣).

قرأ نافع وابن عامر: ﴿وريّا﴾ بغير همز، الباقون بهمز. من همز فمعناه: المنظر الحسن، فعيل من «الرؤية» ومَن لم يهمز احتمل أن يكون خفّف الهمزة كما قالوا في «البريئة»: بريّة، ويحتمل أن يكون مأخوذاً من «الريّ» وهو امتلاء الشباب والنضارة، أي: تَرى الريّ في وجوههم، وقرأ سعيد بن جُبَيْر: ﴿وريّاً﴾ جعله من «الريّ». وقرئ بالزاي، ومعناه: ما يتزيّأ به. وقرأ ابن كثير: ﴿مُقاماً﴾ بضمّ الميم، الباقون بفتحها، فالمُقام ـ بضمّ الميم ـ مصدر «الإقامة» وبفتحها «المكان» كقوله: ﴿مَقام إبراهيم﴾[(١)]. وقرأ يعقوب الحضرمي وعاصم الجحدري وابن أبي ليلى وابن عبّاس: ﴿ثَمّ نُنجّي﴾ بفتح الثاء بمعنى: هناك نُنجّي المتّقين، والباقون: ﴿ثُمّ﴾ بضمّ الثاء حرف عطف.

يقول الله تعالى للمكلّفين: إنّه ليس منكم أحد إلّا وهو يرد جهنّم، فإنّ الكناية في قوله: ﴿إلّا واردها﴾ راجعة إلى «جهنّم» بلا خلاف، إلّا قول مجاهد، فإنّه قال: هي كناية عن الحمّى والأمراض. وروى في ذلك خبراً عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن أبي هُرَيْرة[(٢)]. وقال قوم: هو كناية عن القيامة. وأقوى الأقوال الأوّل، لقوله تعالى ﴿ثم نُنجّي الّذين اتّقوا ونَذَر الظالمين فيها جِثِيّاً﴾ يعني: في جهنّم.

واختلفوا في كيفيّة ورودهم إليها:

فقال قوم ـ وهو الصحيح ـ إنّ ورودهم هو وصولهم إليها وإشرافهم عليها، من غير دخولٍ منهم فيها[(٣)] لأنّ «الورود» في اللغة: هو الوصول إلى المكان، وأصله: ورود الماء، وهو خلاف الصدور عنه، ويقال: وَرَدَ

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) أخرجه الطبري ذيل الآية مسنداً عنه، وكذا الماوردي في النكت والعيون ٢: ٣٨٤.

(٣) قاله عبيد بن عمر كما في زاد المسير ٥: ١٩٠ والزجّاج في معاني القرآن ٣: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

الخبر بكذا، تشبيهاً بذلك، ويدلّ على أنّ «الورود» هو الوصول إلى الشيء من غير دخول فيه قوله تعالى ﴿ولمّا وَرَدَ ماء مَدْيَن﴾ (١) وأراد: وصل إليه، وقال زُهَيْر:

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وَضَعْنَ عِصِيّ الحاضر المتَخَيِّم (٢)

وقال قَتادة وعبد الله بن مسعود: ورودهم إليها هو ممرّهم عليها. وقال عِكْرِمَة: يردها الكافر دون المؤمن، فخصّ الآية بالكافرين.

وقال قومٌ شِذاذٌ: ورودهم إليها: دخولهم فيها ولو تحلّة القَسَم. روي ذلك عن ابن عبّاس، وكان من دعائه: اللّهمّ أزِخْني من النار سالماً، وأدخلني الجنّة غانماً. وهذا الوجه بعيد، لأنّ الله قال: ﴿إنّ الّذين سَبَقَت لهم منّا الحسنى أُولئك عنها مُبْعَدون﴾ (٣) فبيّن تعالى أنّ مَن سبقت له الحسنى من الله يكون بعيداً من النار، فكيف يكون مُبْعَداً منها مع أنّه يدخلها؟ وذلك متناقض، فإذاً المعنيّ بورودهم: أشرافهم عليها، ووصولهم إليها.

وقوله ﴿كان على ربّك حتماً مقضيّاً﴾ معناه: أنّ ورودهم إلى جهنّم على ما فسّرناه حتمٌ من الله وقضاءٌ قضاه، لابدّ من كونه. و«الحتم»: القطع بالأمر، وذلك حتم من الله قاطع، و«الحتم» و«الجزم» و«القطع بالأمر» معناه واحد، و«المقضيّ»: الّذي قُضِيَ بأنّه يكون.

ثمّ قال تعالى: ﴿ثمّ نُنجّي الّذين اتّقوا﴾ معاصي الله وفعلوا طاعاته من دخول النار ﴿ونَذَر الظالمين﴾ أي: ندعهم ﴿فيها﴾ ونقرّهم على حالهم ﴿جثيّاً﴾ باركين على رُكَبِهم في جهنّم. ثمّ قال: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات﴾ أي: إذا قُرِئت على المشركين أدلّة الله الظاهرة وحُجَجه الواضحة

(١) القصص: ٢٣.
(٢) من معلّقته الشهيرة راجع ديوان زهير بن أبي سلمى: ٧٨.
(٣) الأنبياء: ١٠١.

﴿قال الّذين كفروا﴾ بوحدانيّته، وجحدوا أنبياءه ﴿للّذين﴾ صدّقوا بذلك، مستفهمين منهم[١] وغرضهم الإنكار عليهم: ﴿أيّ الفريقَيْن خيرٌ مقاماً﴾ أي: منزلَ إقامةٍ في الجنّة أو في النار ﴿وأحسن نَدِيّاً﴾ أي: مجلساً، وقيل: معناه: أوسع مجلساً وأحسن نَدِيّاً[٢] فالنَدِيّ: المجلس الّذي قد اجتمع فيه أهله، يقال: نَدَوْتُ القومَ أنْدُوهم نَدْواً: إذا جمعتهم في مجلس، وفلانٌ في نَدِيّ قومه ونادِيهم بمعنىً واحدٍ، وأصله: مجلس النَدَى، وهوالكرم، وقالحاتم:

ودُعِيْت في أُولي النَدِيّ ولم يُـنْظَرْ إليَّ بـأَعْيُنٍ خُـزْرِ[٣]

والمراد بالفريقَيْن: فريق المشركين وفريق المؤمنين، فيفتخرون على المؤمنين بكثرة نِعَمهم وحسن أحوالهم وحال مجلسهم، فقال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قَبلَهم من قَرْنٍ هم أحسنُ أثاثاً ورِئْياً﴾ و«الأثاث»: المتاع، و«الرِئي»: المنظر، وهو قول ابن عبّاس. وقال الأحمر[٤]: واحد «الأثاث»: أثاثَة، كحَمام وحَمامَة. وقال الفرّاء: لا واحد له، ويُجْمَع «آثّة» و«أُثُث»[٥]. ويجوز في «رِئْياً» ثلاثة أوْجُه في العربيّة: «رِئْياً» بالهمز قبل الياء، و«ريئاً» بياء قبل الهمزة وهو على قولهم: راءَني على وزن «راعني»، و«رياً» بترك الهمزة، في قول الزجّاج[٦]. ويجوز أن يكون من الزاي، أنشد لابن دُرَيْد:

---

(١) كذا في «س»، وفي المطبوعتين: «لسهم» بدل «منهم».

(٢) قاله الطبري ذيل الآية، ولم ترد العبارة في «س».

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٤) في الحجريّة: «الآخر» وهو تصحيف، وفي تفسير الطبري «الأحمر»، والأحمر هو أبوالحسن عليّ بن مبارك، أحد أصحاب الكسائي، نشأ بالبصرة ورحل إلى بغداد فاشتغل بوظيفة مؤدب بيلاط العبّاسيّين، وكان حسن العلم بالنحو، وبينه وبين الفرّاء والأصمعي منافسة، توفّي سنة ١٩٤ هـ. (تاريخ التراث العربي ٨: ٢٠٥ـ٢٠٦).

(٥) معاني القرآن ٢: ١٧١.

(٦) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٤٢.

أهاجَتْكَ الظعائن يَومَ بانُوا بذي الزيّ الجميل من الأثاثِ[١]

ثمّ قال تعالى لنبيّهﷺ: ﴿قل﴾ يا محمّد ﴿من كان في الضلالة﴾ عن الحقّ، والعدول عن اتّباعه ﴿فَلَيَمدُدْ له الرحمنُ مَدّاً﴾ أي: يمدّهم ويحلم عنهم، فلا يعاجلهم بالعقوبة، كما قال: ﴿ويمدّهم في طغيانهم يعمهون﴾[٢] وإنّما ذكرهُ بلفظ الأمر ليكون آكد، كأنّه ألزم نفسه إلزاماً، كما يقول القائل: آمر نفسي، ويقول: من زارني فلأُكرمه، فيكون ألزم من قوله: أُكرمه. ويجوز أن يكون أراد: فليمدد له الرحمن مدّاً في عذابهم في النار، كما قال: ﴿ونُمدُّ له من العذاب مدّاً﴾[٣] وقوله: ﴿حتّى إذا رأوا ما يُوعَدون﴾ أي: شاهدوا ما وعدهم الله به ﴿إمّا العذاب﴾ والعقوبة على المعاصي ﴿وإمّا الساعة﴾ القيامة والمجازاة لكلّ أحدٍ على ما يستحقّه ﴿فسيعلمون﴾ حينئذٍ ويتحقّقون ﴿من هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جنداً﴾ الكفّار أم المؤمنون، وفي ذلك غاية التهديد في كونهم على ما هم عليه. وقيل: «العذاب» هاهنا المراد به: ما وعد المؤمنون به من نصرهم على الكفّار، فيعذّبونهم قتلاً وأسراً[٤] ﴿فسيعلمون﴾ بالنصر والقتل أنّهم ﴿أضعف جنداً﴾ من جند النبيّ والمسلمين، ويعلمون بمكانهم من جهنّم ومكان المؤمنين من الجنّة ﴿من هو شرّ مكاناً﴾.

قوله [تعالى]:

وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ

(١) وأنشد البيت الجوهري في الصحاح، مادّة «رأى» ونسبه إلى محمّد بن نمير الثقفي، وفيه: «اشاقتك»، وانظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٤٢.
(٢) البقرة: ١٥.
(٣) الآية: ٧٩ الآتية.
(٤) قاله الزجّاج في معاني القرآن ٣: ٣٤٣.

﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)﴾ خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّه ﴿يزيد الّذين اهتدوا﴾ إلى طاعة الله واجتناب معاصيه ﴿هدىً﴾ ووجه الزيادة لهم فيه: أن يفعل فيهم الألطاف الّتي يستكثرون عندها الطاعات بما يبيّنه لهم من وجه الدلالات والأُمور الّتي تدعو إلى أفعال الخيرات، وقيل: زيادة الهدى هو بإيمانهم بالناسخ والمنسوخ[١].

وأخبر تعالى: أنّ ﴿الباقيات الصالحات﴾ وهي فعل جميع الطاعات واجتناب جميع المعاصي، وقيل: هو قول: «سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولله الحمد»[٢].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ الباقيات الصالحات القيام آخر الليل لصلاة الليل والدعاء في الأسحار[٣].

وسُمِّيت «باقيات» بمعنى: أنّ منافعها تبقى وتنفع أهلها في الدنيا والآخرة، بخلاف ما نفعه مقصور على الدنيا فقط.

وقوله: ﴿خير عند ربّك ثواباً﴾ أي: أكثر ثواباً من غيرها، وقيل: معناه: خير ثواباً من مقامات الكفّار الّتي بها عندهم الافتخار. وقيل: خير من اعمال الكفّار على تقدير: إن كان فيها خير.

وقوله: ﴿وخيرٌ مَرَدّاً﴾ أي: خيرٌ نعيماً تردّه الباقيات الصالحات على

---

(١) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٧١.

(٢) رواه عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما في زاد المسير ٥: ١١٠. وانظر النكت والعيون ٣: ٣١٠ وتفسير الطبري ذيل الآية ٤٦ من سورة الكهف.

(٣) تقدّم استخراجها عند تفسير الآية ٤٦ من سورة الكهف وانظر التهذيب ٢: ١٢٠، الحديث ٢٢٣.

صاحبه، لأنّه ذاهب عنه لفقده له، فتردّه عليه حتّى يجده في نفسه.

وقوله: ﴿أرأيت الّذي كفر بآياتنا وقال لأُوتَيَنَّ مالاً ووَلَداً﴾ قيل: نزلت في العاص بن وائِل السَهْمي، في قول ابن عبّاس وخبّاب بن الأرتّ ومجاهد. وقال الحسن: نزلت في الوليد بن المُغِيرة، فإنّه قال استهزاءً: لأُوتَيَنّ مالاً وولداً في الجنّة، ذكره الكلبي. وقيل: أراد في الدنيا[١] يعني: إن أقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي لأُوتَيَنّ مالاً وولداً.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَوُلْداً﴾ بضمّ الواو، الباقون بفتحها. وقيل فيذلك قولان: أحدهما: إنّهما لغتان كالعَدَم والعُدْم، والحَزَن والحُزْن[٢] قال الشاعر:

فلَيْتَ فُلاناً كانَ في بَطْنِ أُمِّـهِ ... وليتَ فُلاناً كانَ وُلْدَ حِمارِ[٣]

وقال الحارثُ بن حِلِّزة:

ولَـقَد رأيتُ مَـعاشِراً ... قَد ثَمَّروا مالاً ووُلْداً[٤]

وقال رُؤْبة:

الحَـمدُ للهِ العَـزيزُ فَـرْداً ... لم يتَّخِذْ من وُلْد شيءٍ وُلْدا[٥]

والثاني: إنّ قيساً تجعل «الوُلْد» بالضمّ جمعاً، وبالفتح واحداً، كقولهم: أسَد وأُسْد، ووَثَن ووُثن.

فقال الله تعالى: ﴿أطَّلَعَ الغيب﴾ أي: أشرف على علم الغيب وعرفه حتّى قال ماقال؟! وهذه الف الاستفهام دخلت على الف الوصل المكسورة

(١) وإليه ذهب الجمهور كما في فتح القدير ٣: ٤٢٧.

(٢) انظر النكت والعيون ٣: ٣٨٧.

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه إلى أحد.

(٤) من قصيدة فخريّة له، راجع ديوان الحارث: ٤٦، وفيه: «جمّعوا» بدل «ثمروا».

(٥) في «س»: «لم يتخّذ صاحبه وولداً».

فسقطت، المكسورة مثل: ﴿أصطفى البناتِ على البنين﴾[١].

وقوله: ﴿أم اتّخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال قَتادة: معناه: اتّخذ عهداً للرحمن بعمل صالح قدّمه؟ وقال غيره: معناه: اتّخذ عند الرحمن عهداً، أي: قولاً قدّمه إليه بمّا ذكرتم[٢].

ثمّ قال تعالى: ﴿كلّا﴾ أي: حقّاً ـ وهو قَسَم ـ ﴿سنكتب ما يقول﴾ أي: نثبته ليواقف عليه يوم القيامة ﴿ونمدُّ له من العذاب مدّاً﴾ أي: نؤخّر عنه عذابه ولا نعاجله، ويجوز أن يكون المراد: أنّا نطيل عذابه.

وقوله: ﴿ونَرِثُهُ ما يقول﴾ قال ابن عبّاس وقَتادة وابن زيد: نرثه نحن المال والولد بعد إهلاكنا إيّاه، وإبطالنا ما ملّكناه ﴿ويأتينا فَرْداً﴾ أي: يجيئنا يوم القيامة فَرْداً لا أحد معه، ولا شيء يصحبه.

قوله [تعالى]:

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴿٨٢﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴿٨٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴿٨٤﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٥﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴿٨٦﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن نهيك: ﴿كُلّاً سيكفرون﴾ بضمّ الكاف، بمعنى: جميعاً سيكفرون، الباقون بفتح الكاف.

أخبر الله تعالى: أنّ هؤلاء الكفّار الّذين ذكرهم ووصفهم ﴿اتّخذوا من دون الله آلهةً﴾ عبدوها، ووجّهوا عبادتهم نحوها ﴿ليكونوا لهم عِزّاً﴾

---

(١) الصافّات: ١٥٣.

(٢) في الكشف والبيان ٦: ٢٢٩: «قال الكلبي: عهد إليه انّه يدخله الجنّة». وفي زاد المسير ٥: ١٩٣: «أم عهد إليه انّه يدخله الجنّة قاله ابن السائب».

و«الاتّخاذ»: إعداد الشيء ليأتيه في العاقبة، فهؤلاء اتّخذوا الآلهة ليصيروا إلى العزّ فصاروا بذلك إلى الذلّ، فسخط الله عليهم وأذلّهم. و«العزّ»: الامتناع من الضيم، عَزَّ يَعِزُّ عِزّاً فهو عزيز، أي: منيع من أن يُنال بسوءٍ.

فقال الله تعالى: ﴿كلّا سيكفرون بعبادتهم﴾ أي: حقّاً ليس الأمر على ما قالوه، بل سيكفرون بعبادتهم. وقيل في معناه قولان:

أحدهما: إنّ معناه: سيجحدون أن يكونوا عبدوها، لما يرون من سوء عاقبتها. وهذا جواب من أجاز وقوع القبائح والكذب من أهل الآخرة.

والثاني: سيكفرون ما اتّخذوه آلهةً بعبادة المشركين لها[١] كما قال الله تعالى: ﴿تبرّأنا إليك ماكانوا إيّانا يعبدون﴾[٢] أي: بأمرنا وإرادتنا. ﴿ويكونون عليهم ضدّاً﴾ قيل في معناه قولان:

أحدهما: قال مجاهد: يكونون عَوناً في خصومتهم وتكذيبهم.

الثاني: قال قَتادة: يكونون قُرناءهم في النار، يلعنونهم ويتبرّؤون منهم.

ثمّ قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ألم تَرَ﴾ يا محمّد ﴿أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي: لمّا سلّط الكفّار الشياطين على نفوسهم، وقبلوا منهم واتّبعوهم، خلّينا بينهم وبينهم حتّى أغووهم، ولم نَحُل بينهم وبينهم بالإلجاء ولا بالمنع، وعبّر عن ذلك بالإرسال على ضربٍ من المجاز، ومثله قوله: ﴿فَيمسك الّتي قضى عليها الموت ويرسلُ الأُخرى إلى أجَلٍ مسمّى﴾[٣]. ويحتمل أن يكون أراد به: يرسل الشياطين عليهم في النار بعد موتهم يعذّبوهم ويلعنونهم، كما قال: ﴿فَوَربّك لنَحشُرَنَّهم والشياطينَ﴾[٤] ويقال:

---

(١) كذا في المطبوعتين، وفي «س» العبارة هكذا: «سيكفر ما اتّخذوه من عبادة المشركين»، والمعنى أنّ المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذّبونهم فيها.

(٢) القصص: ٦٣. (٣) الزمر: ٤٢. (٤) الآية: ٦٨، المتقدّمة.

أرسلت الباز والكلب على الصيد إذا خلّيت بينه وبينه.

وقوله: ﴿تؤزّهم أزّاً﴾ أي: تـزعجهم إزعـاجاً. و«الأزّ»: الإزعـاج إلى الأمر، أزَّهُ أزّاً وأزيزاً: إذا هَزَّهُ بالإزعاج إلى أمرٍ من الأُمور. ثمّ قال تعالى: ﴿فلا تعجل﴾ على هؤلاء الكفّار ﴿إنّما نعُدُّ لهم عدّاً﴾ الأيّام والسنين، وقيل: الأنفاس (١).

وقوله: ﴿يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً﴾ أي: اذكر يوم نحشر الّذين اتّقوا معاصي الله وفعلوا طاعاته إلى الرحمن وفداً، أي: رُكباناً في قدومهم، ووحّد لأنّه مصدر «وفد» ويُجمع: «وفوداً» تقول: وَفَدْت أفِدُ وَفْـداً، فـأنا وافِدٌ، وقيل: إنّهم يُؤْتَون بنُوقٍ لم يُرَ مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمّـتها الزبرجد، فـيركبون عـليها حـتّى يـصيروا إلى أبـواب الجـنّة، فـي قـول ابن‌عبّاس. وقيل: معناه: يحشرهم الله جماعةً جماعة (٢).

قوله [تعالى]:

وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٧﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٨﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٩﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٩٠﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩١﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٣﴾ سبع آيات بلا خلاف.

قرأ الكسائي ونافع: «يكاد» بالياء، الباقون بالتاء. وقرأ ابن كثير ونافع والكسائي وحفص: ﴿يَتَفَطَّرْن﴾ بياء وتاء من: تَفَطَّرَ يَتَفَطَّرُ تَفطُّراً، البـاقون ﴿يَنْفَطرن﴾ من: انفطر، كقوله: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ (٣) و«تَـفَطَّر» مـطاوع

---

(١) رواه ابن أبي‌طلحة عن ابن عبّاس وبه قال طاووس ومقاتل كـما فـي زاد المسـير ٥: ١٩٥، وراجع تفسير الطبري ذيل الآية. (٢) قاله الأخفش كما في النكت والعيون ٣: ٣٨٩.

(٣) الانفطار: ٢.

«فطر» والتشديد يفيد التكثير.

أخبر الله تعالى أنّه يسوق ﴿المجرمين إلى جهنّم وِرْداً﴾ يوم القيامة، و«السَوْق»: الحثّ على السير، ساقَهُ يسُوقُه سَوْقاً فهو سائِقٌ، ومنه: «الساق» لاستمرار السير بها، ومنه: «السُوق» لأنّه يساق بها البيع والشراء شيئاً بعد شيء. وقال الفرّاء: يسوقهم مشاة[١]. وقال الأخْفَش: عطاشاً. وقيل: أفراداً[٢].

ومعنى ﴿وِرداً﴾ أي: عطاشاً، كالإبل الّتي ترد عطاشاً الماء، إلّا أنّ هؤلاء يُمنَعون منه، لأنّه لا يشرب من الحوض إلّا مؤمن، وهو قول ابن عبّاس والحسن وقَتادة.

وقوله: ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ أي: لا يقدرون عليها، و«الملك»: القدرة على ماله التصرّف فيه أن يصرّفه أتمّ التصريف في العباد، في الحقيقة أو الحكم.

وقوله: ﴿إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً﴾ أي: عملاً صالحاً، في قول ابن جُرَيْج. فموضع ﴿من﴾ نصب على أنّه استثناء منقطع، لأنّ المؤمن ليس من المجرمين، وقد قيل: إنّه نصب على حذف اللام بمعنى: لا يملك المتّقون الشفاعة إلّا لمن اتّخذ عند الرحمن عهداً[٣]. و«العهد» المراد به: الإيمان. والإقرار بوحدانيّته وتصديق أنبيائه، فإنّ الكفّار لا يشفع لهم، وقال الزجّاج: ﴿من﴾ في موضع رفع بدلاً من الواو والنون في قوله: ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ والمعنى: لا يملك الشفاعة إلّا من اتّخذ عند الرحمن عهداً، وهو الإيمان[٤].

---

(١) معاني القرآن ٢: ١٧٢ وفيه مشاة عطاشاً.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٣٩٠.

(٣) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٤٦.

ثمّ أخبر تعالى عن الكفّار بأنّهم ﴿قالوا اتّخذ الرحمن ولداً﴾ كما قال النصارى: إنّ المسيح ابن الله، واليهود قالت: عُزَير ابن الله. فقال الله لهم على وجه القَسَم: ﴿لقد جئتم﴾ بهذا القول ﴿شيئاً إدّاً﴾ أي: منكراً عظيماً، في قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة وابن زيد. قال الراجز:

لَقَد لَقِيَ الأعداءُ منّي نُكْراً ... داهِيةً دَهْياءَ إدّاً إمْراً[1]

وقال الآخر:

في لهب منهُ وحَبْلٍ إدٍّ[2]

ثمّ قال تعالى تعظيماً لهذا القول: ﴿تكاد السماوات﴾ وقرئ بالتاء والياء، فمن قرأ بالتاء فلتأنيث ﴿السماوات﴾ ومن ذكّر فلأنّ التأنيث غير حقيقي. وقال أبو الحسن: معنى ﴿تكاد السماوات﴾ تريد كقوله: ﴿كدنا ليوسف﴾[3] أي: أردنا، وأنشد:

كادَتْ وكِدْتُ وتلكَ خَيرُ إرادةٍ ... لو عادَ من لَهْوِ الصَبابَةِ ما مَضَى

ومثله قوله تعالى: ﴿أكاد أُخفيها﴾[4] أي: أُريد ومعنى ﴿تكاد﴾ في الآية تقرب، لأنّ السماوات لا يجوز أن ينفطرن ولا يردن ذلك[5] ولكن هممن بذلك وقربن منه، إعظاماً لقول المشركين، وقال قوم: معناه على وجه المثل، لأنّ العرب تقول إذا أرادت أمراً عظيماً منكراً: كادت السماء تنشقّ والأرض تنخسف، وأن يقع السقف! فلمّا افتروا على الله الكذب ضرب الله المثل لكذبهم بأهْوَل الأشياء. وقريب من هذا قول الشاعر:

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٤٠٩ ولم ينسبه إلى أحد، وفيه: «الأقران» بدل «الأعداء».

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية وفيه: «في لهث منه».

(٣) يوسف: ٧٦. (٤) طه: ١٥.

(٥) كذا في «س»، وفي الحجرية: «ولا توذن لذلك»، وفي الحروفيّة: «ولا يردن لذلك».

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فـي السَـماءِ مُـبيَّناً على ابنِ لُبَيْنَى الحارثِ بنِ هشامِ[(١)]

وقريب منه أيضاً قول الشاعر:

وأصبَحَ بَـطْنُ مكَّـةَ مـقْشَعِرّاً كأنّ الأرضَ ليسَ بِها هِشـامُ

وقال آخر:

بكى حارثُ الجـولانِ مِـن مـوتِ ربّـهِ
وَحُـورانُ مـنْهُ خـاشعٌ مـتَضائِلُ[(٢)]

وقال آخر:

لمّا أتى خَبَرُ الزُبَـيْرِ تـواضَـعَتْ سُورُ المدينةِ والجِبالُ الخُشَّـعُ[(٣)]

وقال قوم: المعنى: لو كان شيء يتفطّر استعظاماً لما يجري من الباطل لتفطّرت السماوات والأرض استعظاماً، واستكباراً لما يضيفونه إلى الله تعالى من اتّخاذ الولد، ومثله قوله: ﴿ولو أنّ قُرآناً سيِّرت به الجبال﴾[(٤)] ومعنى ﴿يتفطّرن﴾ يتشقّقن، و«الانفطار»: الانشقاق، في قول ابن جُـرَيج. يقال: فَطَرَ نابُ البعير إذا انشقّ، وقرئ: ﴿يَنْفَطرن﴾ بمعنى: يتشقّقن منه، يعني: من قولهم: اتّخذ الرحمن ولداً، والمراد بذلك تعظيماً واستكباراً لهذا القول، وأنّه لو كانت السماوات يفطرن تعظيماً لقولٍ باطلٍ لانشقّت لهـذا القول، ولو كانت الجبال تخرّ لأمرٍ لخَرَّت لهذا القول. و«الهدّ» تهدّم بشدّة صوت.

وقـوله: ﴿أن دعوا للرحمن ولداً﴾ أي: لأن دَعَـوْا، أو: من أن دعـوا، والمعنى: أنّ السماوات تكاد تنفطر والجبال تنهدّ والأرض تنشقّ لدعواهم

(١) تقدّم الاستشهاد بهذا البيت في سورة إبراهيم ذيل الآية ٤٦.

(٢) للنابغة الذبياني، من قصيدة يرثي بها الملك النعمان، راجع ديوان النابغة: ٢١٣.

(٣) لجرير، من قصيدة يهجو بها الفرزدق راجع ديوان جرير: ٢٥٩.

(٤) الرعد: ٣١.

لله وَلَداً، أي: لتسميتهم له وَلَداً، فهؤلاء سمّوا لله وَلَداً كما جعلوا المسيح ابن الله، والمشركون جعلوا الملائكة بنات الله، وقيل: معناه: أن جعلوا للرحمن وَلَداً[١] لأنّ الوَلَد يستحيل عليه تعالى. ثمّ أخبر تعالى أنّه لاينبغي له ﴿أن يتّخذ ولداً﴾ ولا يصلح له، كما يقال ابن أحمر:

في رأسِ خَلْقاءَ من عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍ ما ينبغي دونها سَهْلٌ ولا جَبَلُ[٢]

وقال الآخر في «الدعاء» بمعنى «التسمية»:

ألاَ رُبَّ من تَدعُو نَصيحاً وإنْ تَغِبْ
تَجِدْهُ بغَيْبٍ غَيرَ مُنْتَصِحِ الصَدْرِ[٣]

وقال ابن أحمر أيضاً:

أهوى لَها مِشْقَصاً حَشْراً فَشَبْرَقَها
وكنتُ أدعُو قَذَاها الإثْمِدَ القَرِدا[٤]

قوله [تعالى]:

إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٤﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٥﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٩﴾ ستّ آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى: ليس ﴿كلّ من في السماوات والأرض﴾ من العقلاء ﴿إلّا﴾ وهو يأتي ﴿الرحمن عَبْداً﴾ مملوكاً، لا يمكنهم جحده ولا الامتناع

---

(١) قاله الطبري ذيل الآية. (٢) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٣) أنشده أبوعُبيدة في مجاز القرآن ٢: ١٢ ولم ينسبه إلى أحد.

(٤) أنشده الطبري ذيل الآية.

منه، لأنّه يملك التصرّف فيهم كيف شاء. ثمّ قال تعالى: إنّه قد ﴿أحصاهم وعدَّهم عدّاً﴾ أي: علم تفاصيلهم وأعدادهم، فكأنّه عدّهم، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم. ثمّ قال: وجميعهم يأتي الله ﴿يوم القيامة فرداً﴾ مفرداً، لا أحد معه ولا ناصر له ولا أعوان، لأنّ كلّ أحد مشغول بنفسه، لا يهمّه همّ غيره.

ثمّ قال تعالى: ﴿إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: آمنوا بالله ووحدانيّته، وصدّقوا أنبياءه، وعملوا بالطاعات ﴿سيجعل﴾ الله لهم ﴿ودّاً﴾ أي: سيجعل بعضهم يحبّ بعضاً، وفي ذلك أعظم السرور وأتمّ النعمة، لأنّها كمحبّة الوالد لولده البارّ به، وقال ابن عبّاس ومجاهد: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودّاً﴾ في الدنيا. وقال الربيع بن أنَس: إذا أحبّ عبداً طرح محبّته في قلوب أهل السماء، وفي قلوب أهل الأرض.

ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿إنّما يسّرناه بلسانك﴾ يعني: القرآن ﴿لتبشّر به المتّقين﴾ لمعاصي الله بالجنّة ﴿وتُنذرَ به﴾ أي: تخوّف به ﴿قوماً لدّاً﴾ أي: قوماً ذوي جَدَل مخاصمين، في قول قَتادة. وهو من «اللَدَد» وهو شدّة الخصومة، ومنه تعالى: ﴿وهو ألدّ الخصام﴾[1] أي: أشدّ الخصام خصومةً، وهو جمع ألدّ. كـ«أصمّ» و«صُمّ» قال الشاعر:

إنّ تحتَ الأحجارِ حَزْماً وعَزْماً وخَصِيماً أَلَدَّ ذا مِعْلاقِ[2]

ثمّ أخبر الله تعالى فقال: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ هل تُحِسُّ منهم من أحد﴾ أي: هل تدرك أحداً منهم ﴿أو تَسْمَع لهم ركزاً﴾ قال ابن عبّاس وقَتادة والضحّاك: الرِكْز: الصوت. وقال ابن زيد: هو الحسّ. والمراد هاهنا:

---

(١) البقرة: ٢٠٤.

(٢) أنشده في اللسان: مادّة «علق» ونسبه إلى المُهَلْهِل الشاعر. وفيه «وجوداً» بدل «وعزماً».

الصوت، ومنه: «الرِكَاز» لأنّه يحسّ به مال مَن يقدم بالكشف عنه، قال الشاعر:

فَتَوجَّسَتْ رِكْـزَ الأنـيسِ فَـراعَـها عَن ظَهْرِ غَيْبٍ والأنيسُ سَقامُها[١]

والمعنى: أنّا قد أهلكنا أُمماً كثيرة أعظم منهم كثرةً، وأكثر أموالاً، وأشدّ خصاماً، فلم يغنهم ذلك لمّا أردنا إهلاكهم، فكيف ينفع هؤلاء ذلك وهم أضعف منهم في جميع الوجوه؟! وبيّن أنّ حكم هؤلاء حكم أُولئك في أن لا يبقى لهم عين ولا أثر.

(١) أنشده الطبري ذيل الآية.

سورة طه

وهي مكّية في قول قَتادة ومجاهد، وهي مائة وخمس وثلاثون آيةً في الكوفي، وأربع في المدنيّين، واثنان في البصري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾

خمس آيات في الكوفي، لأنّهم عدّوا ﴿طه﴾ آيةً، وأربع في الباقين.

قرأ أبو عمرو: ﴿طهَ﴾ بفتح الطاء وإمالة الهاء، وقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر إلّا الأعشىٰ والبُرْجُمي بإمالتهما، الباقون بفتحهما، وقرأ عيسى بن عمر ضدّ قراءة أبي عمرو بكسر الطاء وفتح الهاء، وقرأ الحسن بإسكان الهاء وفسّره: يا رجل، وقرأ أبو جعفر بتقطيع الحروف، ورواه الأصمعي عن نافع، وروي عن نافع بين الكسر والفتح في الحرفين، وروي الفتح فيهما، وهو الأظهر.

فمَن فخّم فلأنّها لغة النبيّ صلى الله عليه وآله وهي لغة أهل الحجاز، ومَن أمَالَ فهو حسن، قال أبو عمرو: أملت الهاء لئلّا تلتبس بهاء الكناية.

وقد بيّنّا في أوّل سورة البقرة معنى أوائل السور واختلاف الناس فيه[١] وأنّ أقوى ما قيل فيه: إنّها أسماء للسور، ومفتاح لها[٢]. وقال قوم: هو اختصار من كلامٍ خصّ بعلمه النبيّ صلى الله عليه وآله[٣]. وقال ابن عبّاس وسعيد بن جُبَيْر والحسن ومجاهد: معنى ﴿طه﴾ بالسريانيّة: يا رجل. ومنهم من قال: هو بالنبطيّة[٤] قال الحسن: هو جواب المشركين لمّا قالوا: إنّه شقيّ، فقال الله تعالى: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، وقيل: إنّ ﴿طه﴾ بمعنى: يا رجل في لغة عَكّ[٥] وأنشد لمتمِّم بن نُوَيْرَة:

هَتَفْتُ بِطهٰ في القتالِ فَلَم يُجِبْ   فَخِفْتُ عليهِ أن يكُونَ مُوائِلا[٦]

وقال آخر:

إنَّ السَّفاهَةَ طه من خلائِقِكُم   لا بارَكَ اللهُ في القَومِ المَلاعِينِ[٧]

ومن قرأ: ﴿طَه﴾ بتسكين الهاء تحتمل قراءته أمرَيْن: أحدهما: أن تكون الهاء بدلاً من همزة «طاء» كقولهم في «أرقب»: هرقب[٨] والآخر: أن تكون على ترك الهمز «طَ يا رجل»[٩] وتدخل الهاء للوقف.

و«الشقاء»: استمرار ما يشقّ على النفس، يقال: شَقِيَ يَشقَى شَقاً، وهو

(١) راجع التبيان ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٨ (من طبعتنا). (٢) راجع التبيان ١: ٣٥٤ و٣٥٥.

(٣) راجع التبيان ١: ٣٥٥، النكت والعيون ٣: ٣٩٣.

(٤) قاله عكرمة كما في تفسير الطبري ذيل الآية، النكت والعيون ٣: ٣٩٢.

(٥) كذا في النسخ ونقله الماوردي بلفظ «عكل» عن الكلبي انظر النكت والعيون ٣: ٣٩٢.

(٦) أنشده الطبري ذيل الآية.

(٧) نقله الطبري ذيل الآية كما هنا ونسبه الماوردي إلى يزيد بن مهلهل بلفظ: إنّ السفاهة طه من خليقتكم لا قدّس الله أرواح الملاعين انظر النكت والعيون ٣: ٣٩٢.

(٨) في «س» العبارة هكذا: «كقولهم في ارقت هرقت».

(٩) أي تكون «طَه» أمراً من وطأ يطأ، فالأمر منه «طَأْ» لأنّ الهاء تبدل من الهمزة، فلمّا حذفت الألف على قول من لم يهمز صار «طَ» وإنّما دخلت الهاء للوقف.

شَقِيٌّ، ونقيض «الشقاء»: السعادة. وقيل: في معنى قوله: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتَشقَى﴾ قولان:

أحدهما: قال مجاهد وقَتادة: إنّه نزل بسبب ما كان يلقى من التعب والسهر في قيام الليل. والثاني: قال الحسن: إنّه جواب للمشركين لمّا قالوا: إنّه شَقِي.

وقوله: ﴿إلّا تذكرةً لمن يخشى﴾ معناه: لكن أنزلناه تذكرةً، أي: ليتذكّر به من يخشى الله ويخاف عقابه، يقال: ذَكَّرَه تَذْكِيرا وتَذْكِرةً، ومثله: ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزى إلّا ابتغاءَ وجهِ ربِّه الأعلى﴾[١] أي: لكن ابتغاء وجه ربّه، وما فعله إلّا ابتغاء وجه ربّه، ومثله قول القائل: ما جئت لأسوءك إلّا إكراماً لزيد، يريد: ما جئت إلّا إكراماً لزيد[٢] وكذلك المصادر الّتي تكون عللاً لوقوع الشيء، نحو: جئتك ابتغاء الخير، أي: لابتغاء الخير.

وقوله: ﴿تنزيلاً ممّن﴾ معناه: نَزَّله تنزيلاً، وقيل: تقديره: ﴿إلّا تذكرةً... تنزيلاً ممّن خلق الأرض والسماوات العُلى﴾ أي: أبدعهنّ وأحدثهنّ، و«العُلا» جمع «عُليا» مثل: ظُلْمة وظُلَم، ورُكْبة ورُكَب، ومثل: الدُنيا والدُنى، والقُصوى والقُصى.

وقوله: ﴿الرحمنُ﴾ رفع بأنّه خبر مبتدأ، لأنّه لمّا قال: ﴿تنزيلاً ممّن خلق﴾ بيّنه فكأنّه قال: هو الرحمن، كقوله: ﴿بِشرٍّ من ذلكم النار﴾[٣] وقال أبو عُبَيْدة: تقديره: ما أنزلنا عليك القرآن [إلّا تذكرةً لمن يخشى لا لتَشقى. ويحتمل أن يكون المراد: ما أنزلنا عليك القرآن][٤] لتشقى، وما أنزلناه إلّا

(١) الليل: ١٩ ـ ٢٠.
(٢) العبارة في «س» هذا: «ما جئت لأسوءك إلّا إكراماً لك».
(٣) الحجّ: ٧٢.
(٤) من قوله «على تذكرة» إلى هنا لم ترد في الحجريّة.

ذكرةً لمن يخشى[١].

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: إنّه استولى عليه وقد ذكرنا فيما مضى شواهد ذلك[٢]. الثاني: قال الحسن: استوى لطفه وتدبيره. وقد ذكرنا ذلك أيضاً فيما مضى، وأوردنا شواهده في سورة البقرة[٣] فأمّا «الاستواء» بمعنى: الجلوس على الشيء، فلا يجوز عليه تعالى، لأنّه من صفة الأجسام، والأجسام كلّها محدثة. ويقال: استوى فلان على مال فلان وعلى جميع ملكه، أي: احتوى عليه. وقال الفرّاء: يقال: كان الأمر في بني فلان ثمّ استوى في بني فلان أي: قصد إليهم[٤] وينشد:

أَقُولُ وقَد قَطَعْنَ بِنا شَرَوْرَىٰ ثَوانِيَ واستَوَيْنَ مِن الضَجُوعِ[٥]

أي: خرجن وأقبلن[٦].

---

(١) في مجاز القرآن ٢: ١٥ العبارة هكذا: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى مجازه مجاز المقدم والمؤخّر وفيه ضمير، و له موضع آخر من المختصر الّذي فيه ضمير، ما أنزلنا عليك القرآن إلّا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى، والموضع الآخر ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وما أنزلناه إلّا تذكرة لمن يخشى.

(٢) راجع تفسير الآية ٢٩ من سورة البقرة في المجلّد ٢: ٤٤ (من طبعتنا).

(٣) في تفسير الآية ٢٩ من سورة البقرة، في المجلّد ٢ ص ٤٦ وما بعدها.

(٤) معاني القرآن ١: ٢٥ وراجع التبيان ٢: ٤٥.

(٥) البيت لتميم بن أبي مقبل، ذكر في كتاب معجم ما استعجم: ٧٩٥، والشروي جبل في طريق مكّة للقادم من الكوفة، والضجوع ـ بفتح الضاد ـ: موضع. وفي نسخة: «سوامد» بدل «ثواني» بمعنى دوائب.

(٦) قال الشيخ الطوسي في التبيان ٢: ٤٥: أي أقبلن وخرجن من الضجوع، وقال قوم: ليس معنى البيت ما قاله، وإنّما معناه: استوين على الطريق من الضجوع خارجات بمعنى استقمن عليه. راجع تفسير الطبري ضمن تفسير الآية ٢٩ من سوره البقرة.

قوله [تعالى]:

لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّ ﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ المعنى: أنّه مالك لجميع الأشياء، واجتزى بذكر بعض الأشياء عن ذكر البعض لدلالته عليه، كما قال: ﴿الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ [(١)] ولم يقل: وعلى ظهورهم، لأنّ المفهوم أنّهم يذكرون الله على كلّ حال، ومثله قوله: ﴿والله ورسوله أحقّ أن يُرضُوه﴾ [(٢)] لمّا كان رضا أحدهما رضا الآخر، ومثله قوله: ﴿والّذين يكنزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ [(٣)] ولم يقل: ينفقونهما، لدلالته على ذلك. و «الثرى»: التراب النديّ، فله تعالى ما تحت الثّرى إلى حيث انتهى، لأنّه مالكه وخالقه ومدبّره، وكلّ شيء مِلْكه يصحّ، فالله تعالى مالكه، بمعنى: أنّ له التصرّف فيه كيف شاء.

وقوله: ﴿وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ وأخفى﴾ معناه: وإن تجهر بالقول لحاجتك لتُسمعَ الله بجهرك فإنّه تعالى يعلم السرّ وأخفى من السرّ، ولم يقل: «وأخفى منه» لأنّه دالّ عليه، كما يقول القائل: فلان كالفيل أو أعظم، وهذا كالحبّة أو أصغر. و«الجهر»: رفع الصوت، يقال: جَهَرَ يَجْهرُ

(١) آل عمران: ١٩١. (٢) التوبة: ٦٢. (٣) التوبة: ٣٤.

جَهْراً، فهو جاهِرٌ، والصوت مَجهورٌ، وضدّه: المهموس. و «السرّ» ما حدّث به الإنسان غيره في خفية، وأخفى منه: ما أضمره في نفسه ممّا لم يحدّث به غيره، هذا قول ابن عبّاس. وقال قَتادة وابن زيد وسعيد بن جُبَيْر: «السرّ»: ما أضمره العبد في نفسه، وأخفى منه: ما لم يكن ولا أضمره أحد. وقال قوم: معناه: يعلم السرّ والخفيّ[١]. وضعّف هذا، لأنّه ترك الظاهر وعدول بلفظه «أفعل» إلى غير معناه من غير ضرورة، ولأنّ حمله على معنى «أخفى» أبلغ إذا كان بمعنى: أخفى من السرّ. فأمّا قول الشاعر:

تمنّى رِجالٌ أن أموتَ وإنْ أمتْ   فتلكَ سبيلٌ لستُ فِيها بأوْحَدِ[٢]

فإنّما حمل على أنّ المراد «بأوْحَدِ»: أحد، لأنّ الوحدة لا يقع فيها تعاظم، فأخرجه الشاعر مخرج ما فيه تعاظم، وردّ المعنى إلى الواحد.

ثمّ أخبر تعالى بأنّه ﴿الله﴾ الّذي تحقّ له العبادة ﴿لا إله﴾ يحقّ له العبادة ﴿إلّا هو له الأسماء الحسنى﴾ وإنّما ذكر ﴿الحسنى﴾ بلفظ التوحيد ولم يقل: الأحاسن، لأنّ «الأسماء» مؤنّثة، يقع عليها «هذه» كما يقع على الجماعة «هذه» كأنّه اسم واحد للجميع، قال الشاعر:

وسَوفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتَ بهِ   رَبٌّ كَريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ[٣]

وفي التنزيل: ﴿حدائِقَ ذاتَ بَهْجةٍ﴾[٤] و﴿مآرب أُخرى﴾[٥] فقد جاز صفة جمع المؤنّث بصفة الواحد.

وقوله تعالى: ﴿وهل أتاك حديثُ موسى﴾ خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وتسلية له ممّا ناله من أذى قومه، والتثبيت له بالصبر على أمر ربّه، كما صبر أخوه

---

(١) قاله أبوعُبيدة في مجاز القرآن ٢: ١٦.

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ٢: ١٦ ولم ينسبه إلى أحد.

(٣) للأعشى، من قصيدة يمدح فيها شريحاً أحد أحفاد السموأل الّذي يضرب به المثل في الوفاء، راجع ديوان الأعشى: ٧٢.   (٤) النمل: ٦٠.   (٥) الآية: ١٨ من هذه السورة.

موسى عليه السلام حتّى نال الفوز في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿إذ رأى ناراً﴾ أي: حديث موسى حين رأى ناراً ﴿فقال لأهله امكثُوا﴾ أي: البثوا مكانكم ﴿إنّي آنست ناراً﴾ أي: رأيت ناراً، و«الايناس»: وجدان الشيء الّذي يؤنس به، لأنّه من «الأُنس» ويقال: آنَسَ البازي إذا رأى صيداً، قال العجّاج:

آنس خُزْبان فَضاءٍ فانْكَدَر

وكان في شتاءٍ، وقد امتنع عليه القدح وضلّ عن الطريق، فلذلك قال: ﴿أو أجد على النار هدىً﴾ وقوله: ﴿لعلّي آتيكم منها بقَبَسٍ﴾ فالقَبَس: الشعلة، وهو نار في طَرَف عُودٍ أو قَصَبة، يقول: القائل لصاحبه: أقبسني ناراً فيعطيه إيّاها في طرف عُودٍ أو قَصَبة، أي: لعلّي آتيكم بنارٍ تصطلون به، أو أجد من يدلّني على الطريق الّذي أضللناه أو ما استدلّ به عليه. ويقال: اقْبَسْتُه ناراً إذا أعطيتُه قَبَساً منها، وقَبَسْتُه للعلم، للفصل بين النوعين، والأصل واحد، وكِلاَهما يُستَضاء به.

قوله [تعالى]:

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أنّي أنا ربّك﴾ بفتح الهمزة والياء، الباقون بكسرها وسكون الياء، إلّا نافعاً فإنّه فتح الياء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع، وقرأ ابن عامر(١) وعاصم وحمزة والكسائي: «طوى» بضمّ الطاء

(١) العبارة في الحجريّة هكذا: قرأ طوى بضمّ الطا، غير مصروف ابن كثير وأبو عمرو ونافع.

مصروفاً، وروى بكسر الطاء غير مصروف أبو زيد عن أبي عمرو، وقال: هي أرض. وقرأ حمزة: ﴿وأنّا اخترناكَ﴾ بالتشديد بألف، وأصله: وأنّنا اخترناك، والنون والألف نصب بـ«أنّ»، و «أنّ» مع ما بعدها في موضع نصبٍ بتقدير: نُودي «أنّا ٱخترناك، وقرأ الباقون: ﴿وأنا ٱخترتك﴾ على لفظ التوحيد، فـ﴿أنا﴾ رفع بأنّه ابتداء و ﴿ٱخترتك﴾ خبره، وفي قراءة أُبيّ: ﴿وإنّي ٱخترتك﴾ فهذه تقوّي قراءة حمزة والكسائي.

مَن لم يصرف ﴿طوى﴾ يجوز أن يكون اعتقد أنّه مَعدول عن «طَأو» وهو معرفة، ويجوز أن يكون نكرة لأنّه اسم البقعة.

يقول الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: إنّ موسى عليه السلام لمّا أتى النار الّتي آنَسَها ﴿نُودي﴾ فقيل له: ﴿يا موسى﴾ و«النداء»: الدعاء على طريقة «يا فلان» وهو مدّ الصوت بنداءٍ على هذه الطريقة، يُقال: صوت مدّ، وذلك أنّه بندائه يمتدّ ﴿أنّي أنا ربّك﴾ فمن فتح الهمزة، فالمعنى: نُودي بأنّي أنا، ولمّا حذف الباء فتح، ومَن كسرها فعلى الاستئناف أو على تقدير: قيل له: إنّي أنا ربّك الّذي خلقك ودبّرك ﴿فاخلع نعلَيْك﴾.

وإنّما علم موسى عليه السلام أنّ هذا النداء من قِبَل الله تعالى بمعجزة أظهرها الله تعالى، كما قال في موضع آخر: ﴿نُودي من شاطئ الوادِ الأيمن في البُقعةِ المباركةِ من الشجرة أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين وأن ألْقِ عصاك فلمّا رآها تهتزّ كأنّها جانٌّ ولّى مُدبِراً ولم يُعقّب﴾ حتّى قيل له: ﴿يا موسى أقبِلْ ولا تَخَفْ إنّك من الآمنين﴾ (١).

وقيل: السبب الّذي لأجله أُمر بخلع النعلَين فيه قولان:

أحدهما: ليباشر بقدمَيْه بركة الوادي المقدّس، في قول عليّ عليه السلام

---

(١) القصص: ٣٠ و٣١.

والحسن وابن جُرَيْج. وقال كَعْب وعِكْرِمَة: لأنّها كانت من جلد حمار ميّت. وحكى البلخي أنّه أُمر بذلك على وجه الخضوع والتواضع، لأنّ التحفّي في مثل ذلك أعظم تواضعاً وخضوعاً.

و«الخَلْع»: نزع الملبوس، يقال: خَلَع ثوبه عن بدنه، وخَلَع نعله عن رِجْلِه، وقد يُنزَع المسمار فلا يكون خَلْعاً، لأنّه غير ملبوس، ويقال: خَلَع عليه رداءه، كأنّه نزعه عن نفسه وألبسه إيّاه. و«الوادي»: سفح الجبل، ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء: وادٍ، وأصله: عِظَم الأمر، ووديْتُه إذا أعطيته ديَتَه، لأنّها عطيّة عن الأمر العظيم من القتل. و«المقدّس»: المبارك، في قول ابن عبّاس ومجاهد. وقيل: هو المطهّر. قال آمرؤ القَيْس:

فَادرَكتهُ يأخـذُ بـالساق والنسـا كَما شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثَوبَ المُقدِّس[1]

يريد بالمقدّس: العابد من النصارى، كالقِسّيس ونحوه، و«شَبْرَقَ» أي: شقّ.

وقيل في معنى ﴿طوى﴾ قولان:

أحدهما: قال ابن عبّاس ومجاهد وابن زيد: هو اسم الوادي. وقال الحسن: لأنّه طُوِيَ بالبركة مرّتين. فعلى هذا يكون مصدر طَوَيْتُه طوىً، وقال عَدِيّ بن زيد:

أعَاذِلَ إنَّ اللَوْمَ في غَـيرِ كُـنْهِهِ عليَّ طُوىً من غَيِّكَ المتَرَدِّد[2]

وقوله: ﴿وأنَا آخترتك﴾ أي: اصطفيتك ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك من كلامي، وأصْغ إليه وتثبّت ﴿إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا﴾ أي: لا إله يستحقّ العبادة غيري ﴿فاعبدني﴾ خالصاً، ولا تشرك في عبادتي أحداً ﴿وأقِم

(١) من قصيدة له يصف فيها ناقته، راجع ديوان امرئ القيس: ١١٦.

(٢) أنشده الطبري ذيل الآية.

الصلاة لذكري﴾ أي: لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم، في قول الحسن ومجاهد. وقيل: معناه: لأن أذكرك بالمدح والثناء. وقيل: المعنى: متى ذكرت أنّ عليك صلاة كنت في وقتها أو فات وقتها فأقمها[١]. وقرئ بفتح الراء، قال أبو عليّ: يحتمل أن يكون قلب الكسرة فتحة مع ياء الإضافة.

ثمّ أخبر الله تعالى بـ﴿إنّ الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿آتية﴾ أي: جائية ﴿أكادُ أُخفيها﴾ معناه: أكاد لا أُظهرها لأحد، في قول ابن عبّاس والحسن وقَتادة. أي: لا أذكرها بأنّها آتية، كما قال تعالى: ﴿لا تأتيكم إلّا بغتةً﴾[٢] وقيل: ﴿أُخفيها﴾ بضمّ الألف بمعنى: أُظهرها[٣] وانشد بيتاً لامرئ القَيْس بن عابس الكندي:

فــإنْ تَــدْفِنُوا الداءَ لانُـخْفِهِ وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقعُدُ[٤]

فضمّ النون من نُخْفه، ذكره أبو عُـبَيْدة قـال: أنشـدنيه أبـو الخـطّاب هكذا[٥] وأنشده الفرّاء بفتح النون[٦]. وقال أُبيّ بن كعب: المعنى: أكاد أخفيها من نفسي. قال ابن الأنباري: تأويله: من نفسي ﴿أكاد أخفيها﴾ أي: من قِبَلي، كما قال: ﴿تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسك﴾[٧].

وقوله: ﴿لتُجزي كلّ نفس بما تسعى﴾ أي: تجازي كلّ نفسٍ بحسب عملها، فَمَن عمل الطاعات أُثيب عليها، ومن عمل المعاصي عُوقب بحسبها.

قوله [تعالى]:

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ

---

(١) هذا قول الأكثرين على ما في زاد المسير ٥: ٢٠٤ ومجمع البيان ٧: ٦.

(٢) الأعراف: ١٨٧.

(٣) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٤) من قصيدة له يتهدّد فيها بني أسد، راجع ديوان امرئ القيس: ٨٥.

(٥) مجاز القرآن ٢: ١٧، وفيه «لانُخْفِيه».

(٦) معاني القرآن ٢: ١٧٧، وفيه «نخفه».

(٧) المائدة: ١١٦.

يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَـىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قوله: ﴿فلا يصدّنك عنها﴾ نهي متوجّه إلى موسى عليه السلام من الله تعالى اسمه، والمراد به جميع المكلّفين، نهاهم الله أن يصدّهم عن ذكر الساعة، والمجازاة فيها ﴿مَن﴾ لا يصدّق بها من الكفّار.

و«الصدّ»: الصرف عن الخير، يقال: صدّه عن الإيمان وصدّه عن الحقّ، ولا يقال: صدّه عن الشرّ، ولكن يقال: صرفه عن الشرّ ومنعه منه.

وقوله: ﴿واتّبع هواه﴾ يعني: من لا يؤمن بالقيامة، و«الهوى»: ميل النفس إلى الشيء بأريحية تلحق فيه. و«هواء» الجوّ ممدود، و«هوى» النفس مقصور.

وقوله: ﴿فتردى﴾ معناه: فتهلك، يقال: رَدِيَ يَرْدى رَدىً فهو رَدٍ: إذا هَلَكَ، أي: إن صددت عن الساعة بترك التأهّب لها هلكت، و«تردّى»: هلك بالسقوط.

وقوله: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ قال الفرّاء: ﴿تلك﴾ تجري مجرى «هذه» وهي بمعنى «الّذي»، و﴿بيمينك﴾ صلته، وتقديره: وما الّذي بيمينك يا موسى، وأنشد:

عَدَسْ ما لِعَبّادٍ عَـليكِ إمـارَةٌ ... أمِنْتِ وهذا تَحْملينَ طَلِيقُ [1]

يعني: الّذي تحملين. وهو في صورة السؤال لموسى عمّا في يده اليمنى، والغرض بذلك تنبيهه له عليها، ليقع المعجز بها بعد التثبّت فيها والتأمّل لها.

---

(١) وكذا أنشده الطبري ونسبه إلى يزيد بن مفرّغ الحميري، انظر تفسير الطبري ذيل الآية.

وقوله: ﴿قال هي عَصايَ﴾ جواب من موسى: أنّ الّذي في يدي عصايَ ﴿اتوكّؤ عليها﴾ في مشيي ﴿وأهُشُّ بها على غنمي﴾ أي: أخبط بها ورق الشجر اليابس لترعاه غنمي، يقال: هَشَّ يَهُشُّ هَشّاً، قال الراجز:

أهَشُّ بالعَصا على أغنامِي مِن ناعم الأراكِ والبَشامِ[(١)(٢)]

﴿ولِيَ فيها مآربُ أُخرى﴾ أي: حوائج أُخَر، من قولهم: لا إرْب لي في هذا، أي: لا حاجة، وللعرب في واحدها ثلاث لُغات: مأرُبَة ومأرَبة ومأرِبة بضمّ الراء وفتحها وكسرها.

وقوله: ﴿قال ألقِها يا موسى فألقاها فإذا هي حيّة تسعى﴾ حكاية عمّا أمر الله تعالى موسى بأن يلقى العصا من يده، وأنّ موسى ألقاها، فلمّا ألقاها صارت في الحال حيَّة تسعى، خَرَق الله العادة فيها وجعلها حيّة معجزة ظاهرة باهرة.

قوله [تعالى]:

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ خمس آيات.

أخبر الله تعالى: أنّ العصا حين صارت حيّةً تسعى خاف موسى منها، فقال الله له: ﴿خُذْها﴾ يا موسى فإنّا ﴿سنعيدها﴾ إلى ما كانت أوّل شيءٍ في يدك عصا، ومعنى ﴿خُذْها﴾: تناولها بيدك، و«الخوف»: انزعاج النفس بتوقّع الضرر، خافَهُ خَوْفاً فهو خائِفٍ، وذاك مخوفُ، وضدّ «الخوف»:

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) وفي الحجريّة: والنشام خ ل. وفي الهامش أيضاً: النشم ـ محرّكة ـ شجر يتّخذ منه القسيّ، والبشام شجر طيب الريح يستاك به. وهذا هو الصحيح هنا.

الأمن، ومثل «الخوف»: الفزع والذعر.

و«الإعادة»: ردّ الشيء ثانيةً إلى ما كان عليه أوّل مرّة، ومثل «الإعادة»: التكرير والترديد، والمعنى: سنعيدها خلقتها الأُولى، وقد يقال: إلى سيرتها، و«السيرة»: مرور الشيء في جهة، من سارَ يَسيرُ سيرةً حسنةً أو قبيحة، وكان مستمرّة على حال العصا فأُعيدت إلى تلك الحال، ونظير «السيرة»: الطريقة. وقيل: المعنى: سنعيدها إلى سيرتها[١] فانتصب بإسقاط الخافض.

وقوله: ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: إلى جنبك[٢] قال الراجز:

أَضُمُّه للصَدْرِ والجَناحِ[٣]

الثاني: إلى عَضُدِك[٤]. وأصل «الجنوح»: الميل، ومنه: جناح الطائر، لأنّه يميل به في طيرانه حيث شاء، والجَنْب فيه جنوح الأضلاع. وأصل «العَضُد» من جهته تميل اليد حيث شاء صاحبها، كما قال أبو عُبَيْدَة: «الجناحان» الناحيتان[٥].

وقوله: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي: من غير برص، في قول ابن‌عبّاس ومجاهد والحسن وقَتادة والسُدِّي والضحّاك.

وقوله ﴿آيةً أُخرى﴾ قيل في نصبها قولان: أحدهما: أنّه نصب على الحال، والآخر: على المفعولية، أي نعطيك آيةً أُخرى، فحُذِف لدلالة

---

(١) قاله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٥٥.

(٢) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤٠٠ وأضاف: فعبّر عن الجنب بالجناح لأنّه مائل في محلّ الجناح.

(٣) الرجز غير منسوب في الطبري ذيل الآية ومجاز القرآن ٢: ١٨ وزاد المسير ٥: ٢٠٨.

(٤) قاله مجاهد كما في النكت والعيون ٣: ٤٠٠.

(٥) مجاز القرآن ٢: ١٨.

الكلام عليه، فالآية الأُولى: قلب العصا حيّةً، والأُخرى: اليد البيضاء من غير سوء.

وقيل: إنّه أمره ان يدخل يده في فمها فيقبض عليها، فأدخل يده في فمها فصارت يده بين الشُعبتَيْن اللتين كانتا في العصا، وصارت الحيّة في يده عصاً كما كانت.

وقوله: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ معناه: قلب العصا حيّةً لنريك من آياتنا وحُججنا الكبرى منها، ولو قال: «الكُبَر» على الجمع كان وصفاً لجميع الآيات، وكان جائزاً.

ثمّ قال تعالى له: ﴿إذهب إلى فرعون﴾ أي: امض إليه وادعه إلى الله وخوِّفه من عقابه، فـ﴿إنّه طغى﴾ أي: تجاوز قدره في عصيان الله، وتجاوز به قدر معاصي الناس، يقال: طَغَى يَطْغَى طُغياناً، فهو طاغٍ، ونظيره: البغي على الناس، وهم الطُغَاة والبُغَاة. فقال عند ذلك موسى: ياً ﴿ربِّ اشرح لي صدري﴾ أي: وسِّع لي صدري، ومنه: شرح المعنى، أي: بسط القول فيه.

قوله [تعالى]:

وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ خمس آيات.

وهذا أيضاً إخبار عمّا سأل الله تعالى موسى، فإنّه سأله أن ييسّر له أمره، أي: يسهّله عليه ويدفع[1] المشقّة عنه ويضع المحنة، يقال: يَسَّرَهُ تيسيراً فهو مُيَسَّر، ونقيضه: «التَعسير» ومنه: «اليُسْر» و«اليسير». و«الحلّ»: نفي العَقْد بالفرق، حَلَّه يَحُلّه حَلّاً فهو حالٌّ، والشيء مَحلُول، وضدّ

(١) كذا في الحجريّة، وفي «س» والحروفيّة: «ويرفع».

«الحلّ»: العقد، ونظيره: الفصل والقطع.

و«العقدة»: جملة مجتمعة يصعب حلّها متفكّكة، عَقَدَ يَعْقِدُ عَقْداً وعُقْدةً، فهو عاقِدٌ، والشيء معقُود. ويقال: إنّه كان في لسان موسى عليه السلام رُتّة وهي الّتي لا يفصح معها بالحروف، شبه التَمْتَمة وغيرها.

وقيل: إنّ سبب العقدة في لسانه أنّه طرح جمرةً في فِيه لمّا أراد فرعون قتله، لأنّه أخذ لحيته وهو طفل فنتفها، فقالت له آسية: لا تفعل، فإنّه صبيّ لا يعقل، وعلامته أنّه أخذ جمرةً من طست فجعلها في فِيه، ذكره سعيد بن جبير ومجاهد والسُدِّي.

وقوله: ﴿يفقهوا قولي﴾ أي يفقهوه[1] إذا حللت العقدة من لساني وأفصحت بما أُريد. وسأله أيضاً أن يجعل له ﴿وزيراً﴾ يؤازره على المضيّ إلى فِرعَوْن، ويعاضده عليه، و«الوَزير»: حامل الثقل عن الرئيس، مشتقّ من «الوِزْر» الّذي هو الثِقْل، واشتقاقه أيضاً من «الوَزَر» وهو الّذي يُلْجَأ إليه من الجبال والمواضع المنيعة.

وقوله: ﴿هارون أخي﴾ قيل في نصب ﴿هارون﴾ وجهان: أحدهما: على أنّه مفعول ﴿اجعل﴾ الأوّل و ﴿وزيراً﴾ المفعول الثاني على جهة الخبر، والوجه الثاني: أن يكون بدلاً من ﴿وزيراً﴾ وبياناً عنه.

فقيل: إنّ الله حلّ أكثر ما كان بلسانه إلّا بقيّةً منه، بدلالة قوله: ﴿ولا يَكادُ يُبِين﴾[2] في قول أبي عليّ. وقال الحسن: إنّ الله استجاب دعاءه فحلّ العقدة من لسانه. وهو الصحيح لقوله تعالى: ﴿قد أوتيت سُؤْلك يا موسى﴾ ويكون قول فرعون: ﴿ولا يَكاد يُبِين﴾ أنّه لا يأتي ببيانٍ يُفْهَم،

---

(١) في هامش الحجريّة في نسخة: «يفهموهُ».

(٢) الزخرف: ٥٢.

كذباً عليه، ليغوي بذلك الناس ويصرف به وجوههم عنه.

قوله [تعالى]:

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ ستّ آيات.

قرأ ابن عامر وحده: ﴿أَشدُدْ به أزري﴾ بقطع الهمزة ﴿وأُشْرِكْهُ﴾ بضمّ الألف، الباقون بوصل الهمزة الأولى وفتح الثانية.

فوجه قراءة ابن عامر: أنّه جعله جزاءً، الباقون جعلوه: دعاءً. وضمّ ألف ﴿أشركه﴾ في قراءة ابن عامر ضعيف، لأنّه ليس إليه إشراكه في النبوّة، بل ذلك إلى الله تعالى. والوجه فتح الهمزة على الدعاء، إلّا أن يُحمَل على أنّه أراد إشراكه في أمره في غير النبوّة، وذلك بعيد، لأنّه جاء بعده ما يعلم به مراد موسى، لأنّه قال: ﴿وأخي هارون هو أفصح منّي لسانا فأرسِلْه معي رِدْءاً يُصدّقني﴾ [(١)] فقال الله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بأخيك﴾ [(٢)].

قوله: ﴿اشدد به أزري﴾ فالشدّ: جمع يستمسك به المجموع، يقال: شَدَّهُ يَشُدُّهُ شدّاً، فهو شادٌّ، وذاك مَشْدُود، ومثله: الربط والعقد. و«الأزْر» الظهر، يُقال: آزَرَني فلان على أمري أي: كان لي ظهراً. ومنه: «المِئْزَر» لأنّه يُشَدُّ على الظهر، و«الإزار» لأنّه يشَدُّ على الظهر، و«التأزير» لأنّه تقوية من جهة الظهر. ويجوز أن يكون «أزَر» لغة في «وَزَر» مثل: أرّخت وورّخت، وأكّدت ووَكّدت.

وقوله: ﴿وأشرِكْه في أمري﴾ فالإشراك: الجمع بين الشيئين في معنىً على أنّه لهما بجعل جاعلٍ، وقد أشرك الله بين موسى وهارون في النبوّة،

---

(١) القصص: ٣٤.

(٢) القصص: ٣٥.

وقوّى الله به أزره، كما دعاه.

وقوله: ﴿كي نُسبِّحك كثيراً﴾ فالتسبيح: التنزيه لله عمّا لايجوز عليه وصفه و لايليق به عبادة الله[1] فكلّ شيء عظّم به الله بنفي ما لايجوز عليه فهو تسبيح، فقول[2]: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر، تسبيح.

وقوله: ﴿ونذكرك كثيراً﴾ معناه: نذكرك بحمدك والثناء عليك بما أوليتنا من نعمك، ومننت به علينا من تحمّل[3] رسالتك ﴿إنّك كُنتَ بنا بصيراً﴾ أي: عالماً بأحوالنا واُمورنا. فقال الله إجابة له: ﴿قد اُوتيت سُؤلَك يا موسى﴾ أي: أعطيت مُناك فيما سألته، و«السُؤل» المُنى فيما يسأله الإنسان، مشتقّ من «السؤال». ويجوز بالهمز وترك الهمز.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ وفَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ثمان آيات بلاخلاف، إلّا أنّ في تفصيلها خلافاً لا نطوّل بذكره.

---

(١) لم ترد «عبادة الله» في الحروفيّة، وفي الحجريّة «عبادته» وفي هامش الحجريّة: «عبارته».

(٢) كذا في «س» وفي المطبوعتين «مثل» بدل «فقول».

(٣) في المطبوعتين: «تحميل».

أخبر[١] الله تعالى موسى بأنّه قد آتاه ما طلبه، وأعطاه سُؤله، وعدّد ما تقدّم ذلك من نِعَمِه عليه ومِنَنِه لديه، فقال: ﴿ولقد مننّا عليك مرّةً أُخرى﴾ و«المَنّ»: نعمة تقطع لصاحبها[٢] عن غيره باختصاصها به، يقال: مَنَّ عليه يَمنُّ منّاً: إذا أنعَمَ عليه نعمةً يقطعه إيّاها، وأصله: «القطع» ومنه قوله: ﴿لهم أجر غير ممنون﴾[٣] أي: غير مقطوع، وحبل مَنين، أي: منقطع. و«المرّة» الكرّة الواحدة، من «المَرّ» وذلك أنّ نعمة الله عزّ وجلّ عليه مستمرّة، فذكّره[٤] الإجابة مرّةً وقبلها مرّةً أُخرى.

وقوله: ﴿إذ أوحينا إلى أُمّك ما يوحى﴾ أي: كانت هذه النعمة عليك حين أوحينا إلى أُمّك ما يُوحى، قال قوم: أراد أنّه ألهمها ذلك. وقال الجُبّائي: رأت في المنام ﴿أن اقذفيه في التابوت﴾ ثمّ ﴿اقذفيه في اليمّ﴾. و«القَذْف»: هو الطرح، و«اليمّ»: البحر، قال الراجز:

كباذِخ اليَمّ سَقاه اليَمُّ[٥]

وقيل: المراد به هاهنا النيل[٦]. وقوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ اليمّ بالساحل﴾ جزاء وخبر أُخرج مخرج الأمر، ومثله: ﴿اتبِعوا سبيلَنا ولْنَحْمِل خَطاياكم﴾[٧] والتقدير: فاطرحيه في اليمّ فليلقه اليمّ بالساحل.

وقوله: ﴿يأخذه عدوٌّ لي وعدوّ له﴾ يعني: فرعون، وكان عدّواً لله بكفره وحدانيّته وادّعائه الربوبيّة، وكان عدوّ موسى لتصوّره أنّ ملكه ينقرض على يده.

---

(١) في «س» والحروفيّة: «لمّا أخبر».
(٢) في الحروفيّة: «يقطع صاحبها بها».
(٣) فصّلت: ٨، الانشقاق: ٢٥ وغيرهما.
(٤) في الحجريّة: «فكرّر».
(٥) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ١: ٢٢٧، ولم ينسبه إلى أحد.
(٦) قاله الطبري ذيل الآية.
(٧) العنكبوت: ١٢.

وقوله: ﴿وألقيت عليك محبّةً منّي﴾ معناه: إنّي جعلت من رآك أحبَّك حتّى أحبَّك فِرْعَوْن، فسلمت من شرّه، وأحبّتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنّتك.

وقوله: ﴿ولتُصْنَع على عيني﴾ قال قَتادة: معناه: لتُغْذَى على محبّتي وإرادتي، وتقديره: وأنا أراك، يجري أمرك على ما أُريد بك من الرفاهة في غذائك، كما يقول القائل لغيره: أنت منّي بمرأىً ومسمع، أي: أنا مراعٍ لأحوالك.

وقوله: ﴿إذ تمشي أُختك فتقول هل أدلّكم على من يكفله﴾ قيل: إنّ موسى امتنع أن يقبل ثدي مرضعة إلّا ثدي أُمّه لمّا دلّتهم عليهم أُخته، فلذلك قال: ﴿فَرَجَعْناك إلى أُمّك كي تقرّ عينها ولا تحزَنَ﴾.

وقوله: ﴿وقتلت نفسا فنجّيناك من الغمّ﴾ روي عن النبيّ ﷺ أنّ قَتْله النفس كان خطأً[1]. وقال جماعة من المعتزلة: إنّه كان صغيرةً. وقال أصحابنا: إنّه كان ترك مندوب إليه، لأنّ الله تعالى قد كان حكم بقتله، لكن ندبه إلى تأخير قتله إلى مدّة غير تلك، وإنّما نجّاه من الفكر في قتله: وكيف لم يؤخّره إلى الوقت الّذي ندبه إليه؟ وقال قوم: أراد: نجّيناك من القتل لأنّهم طلبوه ليقتلوه بالقبطي.

وقوله: ﴿وفتنّاك فتوناً﴾ أي: اختبرناك اختباراً، والمعنى: أنّا عاملناك معاملة المختبر حتّى خلصت للاصطفاء بالرسالة، فكلّ هذا من أكبر نِعَمِه، وقيل: «الفتون» وقوعه في محنة بعد محنة حتّى خلّصه الله منها: أوّلها: أنّ أُمّه حملته في السنة الّتي كان فِرْعَون يذبح فيها الأطفال، ثمّ إلقاؤه في اليمّ، ثمّ منعه من الرضاع إلّا من ثدي أُمّه، ثمّ جرّه لحية فِرْعَون حتّى همّ

(١) رواه الطبري ذيل الآية مسنداً عن ابن عمر.

بقتله، ثمّ تناوله الجمرة بدل الدرّة، فدرأ الله بذلك[١] عنه قتل فِرعَون، ثمّ مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله، وذلك عن ابن عبّاس. فالمعنى على هذا: وخلّصناك من المِحَن تخليصاً. وقيل: معناه: أخلصناك إخلاصاً، ذكره مجاهد.

وقوله: ﴿فلبثت سنين في أهل مدين﴾ يعني: أقمت سنين عند شُعَيْب، يعني: أحوالاً أجيراً له ترعى غنمه، فمننا عليك وجعلناك نبيّاً حتّى ﴿جئت على قَدَر﴾ أي: في الوقت الّذي قدّر لإرسالك، قال الشاعر:

نـالَ الخِـلافَةَ إذْ كـانَتْ له قَـدَراً كما أتى ربَّهُ موسى على قَدَرِ[٢]

وقال الجُبّائي: معنى ﴿وفتنّاك فتوناً﴾ أي: شدّدنا عليك التعب[٣] في أمر المعاش حتّى رعيت لشُعَيبْ عشر سنين، ويؤكّده قوله: ﴿فلبثت سنين في أهل مَدْيَن﴾ وهي مدينة شُعَيب ﴿ثمّ جئت على قَدَرٍ يا موسى﴾.

وقوله: ﴿واصطنعتك﴾ أي: اصطفيتك وأخلصتك بالألطاف الّتي فعلتها بك ما اخترت عندها الإخلاص لعبادتي، وقوله: ﴿لنفسي﴾ أي: لتنصرف على إرادتي ومحبّتي، يقال: اصْطَنَعَه يصطنعه اصطِناعاً، وهو «افتعال» من الصنع، و«الصنع»: اتّخاذ الخير لصاحبه. ووجه قوله: ﴿لنفسي﴾ يعني: محبّتي، لأنّ المحبّة لمّا كانت أخصّ شيء بالنفس حَسُنَ أن يجعل ما اختصّ بها مختصّاً بالنفس على هذا الوجه.

وقوله: ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ أي: بعلاماتي وحُجَجي ﴿ولا تَنِيا﴾ أي: لا تَفْتَرا، يُقال: وَنَىٰ في الأمر يَنِي وَنْياً إذا فَتَر فيه، فهو وَانٍ ومُتَوانٍ،

---

(١) في الحجريّة: «به» بدل «بذلك».

(٢) البيت لجرير من قصيدة يمدح بها عمر بن عبدالعزيز، راجع ديوان جرير: ٢٠٥.

(٣) في الحجرية: «التعبّد» وفي مجمع البيان:«التعمّد».

وقيل: معناه لا تضعفا[١] قال العجّاج:

فَما وَنَىٰ محمّدٌ مُذْ أن غَفَرْ لَهُ الإلٰه ما مَضَى وما غَبَرْ[٢]

وقوله: ﴿في ذكري اذهبا إلى فرعون أنّه طغى﴾ أي: عَتا وخرج عن الحدّ في المعاصي ﴿فقولا له قولاً ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾ معناه: ادعُوَاه إلى الله وإلى الإيمان به وبما جئتما به، على الرجاء والطمع، لا على اليأس من فلاحه، فوقع التعبّد لهما على هذا الوجه، لأنّه أبلغ في دعائه إلى الحقّ، بالحرص الّذي يكون من الراجي للأمر. وقال السُدِّي: معنى قوله: ﴿فقولا له قولاً ليّناً﴾ أي: كنِّياه، وقيل: إنّه كانت كُنْية فِرْعَون أبا الوليد[٣] وقيل: أبا مُرَّة[٤]. قيل: معناه: وقرِّباه وقارباه.

وقوله: ﴿لعلّه يتذكّر﴾ معناه: ليتذكّر ﴿أو يخشى﴾ معناه: أو يخاف، والمعنى: أنّه يكون أحدهما: إمّا التذكّر أو الخشية. وقيل: المعنى: على رجائكما أو طمعكما[٥] لأنّهما لا يعلمان هل يتذكّر أو لا.

و «لعل» للترجّي، إلّا أنّه يكون لترجّي المخاطِب تارةً، ولترجّي المخاطَب أُخرى.

قوله [تعالى]:

قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ

---

(١) قاله الطبري ذيل الآية.

(٢) قاله العجّاج كما في ديوانه: ١٥ واللسان مادّة «ثبت» وقد مرّ هذا الرجز عند تفسير الآية ٦٠ من سورة الحجر.

(٣) نقله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤٠٥ وحكاه الفرّاء في معانيه ٢: ١٨٠.

(٤) قاله محمّد بن أبان كما في معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٨٠.

(٥) وهو قول سيبويه كما حكاه عنه الزجّاج في معانيه ٣: ٣٥٧.

قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ستّ آيات بلا خلاف.

لمّا أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يمضيا إلى فِرْعَون ويدعُواه إلى الله ﴿قالا إنَّنا نخاف أن يفرُطَ علينا﴾ ومعناه: أن يتقدّم فينا بعذابٍ ويعجّل علينا، ومنه: «الفارط» المتقدّم أمام القوم إلى الماء، قال الشاعر:

قَد فَرَطَ العِجْلُ عَلينا وعَجِلْ [١]

ومنه: «الإفراط» الإسراف، لأنّه تقدّم بين يدي الحقّ، و«التفريط»: التقصير في الأمر، لأنّه تأخير عمّا يجب فيه التقدّم، فالأصل فيه التقدّم ﴿أو ان يطغى﴾ أو يعتو علينا ويتجبّر، فـ﴿قال﴾ الله تعالى لهما: ﴿لا تخافا﴾ ولا تخشيا ﴿إنّني معكما﴾ أي: عالم بأحوالكما، لا يخفى عليَّ شيء من ذلك، وإنّي ناصر لكما، وحافظ لكما ﴿أسمع﴾ ما يقول لكما ﴿وأرى﴾ ما يفعل بكما، وقال ابن جُرَيْج: ﴿إنّني معكما أسمع﴾ ما يحاوركما به ﴿وأرى﴾ ما تجيئان به [٢]. فالسامع هو المُدرِك للصوت، والرائي المُدرِك للمرئيّات.

ثمّ أمرهما بأن يأتياه ويقولا له: ﴿إنّا رسولا ربّك﴾ بعثنا الله إليك وإلى قومك لندعوهم إلى توحيد الله وإخلاص عبادته، ويأمرك أن ترسل ﴿معنا بني إسرائيل﴾ أي: تخلّيهم وتفرّج عنهم، وتطلقهم من اعتقالك ﴿ولا تعذّبهم قد جئناك بآية من ربّك﴾ أي: بمعجزة ظاهرة، ودلالة واضحة من عند ربّك

(١) أنشده الطبري ذيل الآية ولم ينسبه إلى أحد، وفيه: «العلج» بدل «العجل».

(٢) نقل الطبري ذيل الآية عن الحجّاج قوله: قال: لا تخاف انّني معكما أسمع وأرى ما يحاوركما، فاوحي إليكما فتجاوبانه.

﴿والسلام﴾ يعني: السلامة والرحمة ﴿على من اتّبع﴾ طريق الحقّ و﴿الهدى﴾ و ﴿على﴾ بمعنى اللام، وتقديره: السلامة لمن اتّبع، والمعنى: أنّ من اتّبع طريق الهدى سلم من عذاب الله.

وقوله ﴿إنّا قد أُوحي إلينا﴾ معناه قولاً: ﴿إنّا قد أُوحي إلينا أنّ العذاب على من كذّب﴾ أي بآيات الله، و﴿تولّى﴾ أي: أعرض عن اتّباعها، وفي الكلام محذوف، وتقديره: فأتَياه فقالا له ذلك.

﴿قال فمن ربّكما يا موسى﴾ وقيل: إنّه قال: فمن ربّكما؟ على تغليب الخطاب، والمعنى: فمن ربّك وربّه يا موسى؟ فقال موسى مجيباً له: ﴿ربّنا الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى﴾ ومعناه: أعطى كلّ شيءٍ حيٍّ صورته الّتي قدّر له ثمّ هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه، إلى غير ذلك من ضروب هدايته، في قول مجاهد. وقيل: معناه: أعطى كلّ شيء مثل خلقه من زوجة، ثمّ هداه لمنكحه من غير أن رأى ذكراً أتى أُنثىً قبل ذلك[١] وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وغير ذلك من هدايته.
وقرأ نُصَيْر عن الكسائي: ﴿خَلَقه﴾ بفتح اللام والخاء على أنّه فعل ماضٍ، الباقون بسكونها على أنّه مفعول به، والمعنى: أنّه خلق كلّ شيء على الهيئة الّتي بها ينتفع والّتي هي أصلح الخلق له، ثمّ هداه لمعيشته ومنافعه لدينه ودنياه.

قوله [تعالى]:

قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِى

(١) قاله الفرّاء والزجّاج في معانيهما ٢: ١٨١ و٣: ٣٥٩ على الترتيب.

ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة: ﴿مهداً﴾ على التوحيد، الباقون: ﴿مهاداً﴾ على الجمع، وهو مثل: فرش وفراش، ومن قرأ «مهاداً» قال: ليوافق رؤوس الآي، والمعنى: لايضلّ ربّي ولاينسى الّذي جعل لكم الأرض مستقرّاً يمكنكم من التصرّف عليها، وقال الزجّاج: «القرن» أهل كلّ عصر فيهم نبيّ أو إمام أو عالم يُقتدى به، وإن لم يكن واحد منهم لم يُسمَّ قرناً[١].

حكى الله تعالى ما قال فِرْعَون لموسى: ﴿ما بال القرون الأُولى﴾ وهي الأُمم الماضية، وكان هذا السؤال منه معاياةً لموسى، فأجابه موسى بأن ﴿قال عِلْمُها عند ربّي﴾ لأنّه لا يخفى عليه شيء من المعلومات، وقوله: ﴿في كتاب﴾ أي: أثبت تعالى ذلك في الكتاب المحفوظ لتعرفه الملائكة، و«الأُولى» تأنيث «الأوّل» وهوالكائن على صفة قبل غيره، فإذا لم يكن قبله شيء فهو قبل كلّ شيء، وأراد: ذاك على ما في معلوم الله من أمرها، وقيل: إنّه أراد من يؤدّبهم ويجازيهم[٢]. وقيل: إنّ معنى ﴿لا يضلّ ربّي ولا ينسى﴾ أي: لا يذهب عليه شيء[٣] والعرب تقول لكلّ ما ذهب على الإنسان ممّا ليس بحيوان ضلّه، كقولهم: ضلّ منزله ـ إذا أخطأه ـ بغير ألف يضلّه، فإذا ضلّ منه حيوان فيقولون: أضلّ بعيره أو ناقته أو شاته ـ بألف ـ والأصل في الأوّل: ضلّ عنه. وقرأ الحسن: ﴿يُضِلّ﴾ بضمّ الياء وكسر الضاد.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢: ٢٢٩. وقد تقدّم أيضاً في التبيان ٦: ١٠ (من طبعتنا).

(٢) لم يرد هذا القول في «س» وقد أورد الماوردي الوجه بهذه الصورة الثالث: أنّه سأله عن ذنبهم ومجازاتهم. (انظر النكت والعيون ٣: ٤٠٧).

(٣) كذا، وفي تفسير الطبري ذيل الآية: «لا يخطئ ربّي ولا ينسى» عن ابن عبّاس.

وقوله: ﴿الّذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ موضع ﴿الّذي﴾ رفع بدل عن قوله: ﴿ربّي ولا ينسى الّذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي: جعله لكم مستقرّاً تستقرّون عليه ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ معناه: أنّه جعل لكم في الأرض سبلاً تسلكوا فيها في حوائجكم من موضع إلى موضع، وأنهج لكم الطرق ﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى﴾ كلّ ذلك من صفات قوله: ﴿لا يضلّ ربّي ولا ينسى الّذي جعل﴾ جميع ما ذكر صفاته.

وقوله: ﴿كُلُوا وآرْعَوا انعامكم﴾ لفظه لفظ الأمر والمراد الإباحة، وقوله: ﴿إنّ في ذلك لآيات لأُولي النُهى﴾ أي: أنّ في جميع ما عدّدناه دلالات لأُولي العقول، و«النُهى» جمع «نُهْية» نحو: كُشية وكُسى، وهو شحم في جوف الضبّ.

وإنّما خصّ أُولي النهى لأنّهم أهل الفكر والاعتبار، وأهل التدبير والاتّعاظ، وقيل لهم: أهل النُهى، لأنّهم ينهون النفوس عن القبائح[1] وقيل: لأنّه ينتهي إلى رأيهم[2].

وقوله: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ يعني: من الأرض خلقناكم وفي الأرض نعيدكم إذا أمتناكم ﴿ومنها نخرجكم تارةً أُخرى﴾ دفعةً أُخرى إذا حشرناكم.

قوله [تعالى]:

وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

---

(١) النكت والعيون ٣: ٤٠٨.

(٢) قاله بعض أهل اللغة كما في زاد المسير ٥: ٢١٨، وانظر مجاز القرآن ٢: ٢٠.

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قوله: ﴿ولقد أريناه آياتنا كلّها﴾ تقديره: أريناه آياتنا الّتي أعطيناها موسى وأظهرناها عليه ﴿كلّها﴾ لما يقتضيه حال موسى عليه السلام معه، ولم يرد جميع آيات الله[١] الّتي يقدر عليها، ولا كلّ آيةٍ خلقها الله، لأنّ المعلوم أنّه لم يرد به جميعها.

وقوله: ﴿فكذّب وأبى﴾ معناه: نسب الخبر الّذي أتاه إلى الكذب ﴿وأبى﴾ امتنع ممّا دُعِي إليه من توحيد الله وإخلاص عبادته والطاعة لما أُمر به.

و﴿قال﴾ فِرْعَون لموسى: ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى﴾ و«السحر»: حيلة يخفى سببها، ويظنّ بها المعجزة، ولذلك يكفر المصدِّق بالسحر، لأنّه لا يمكنه العلم بصحّة النبوّة مع تصديقه بأنّ الساحر يأتي بسحره. ثمّ قال فِرْعَون لموسى: ﴿فلنأتينّك﴾ يا موسى ﴿بسحرٍ مثله﴾ مثل سحرك ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نُخلفُهُ نحن ولا أنت مكاناً سُوىً﴾ أي: عِدْنا مكاناً نجتمع فيه، ووقتاً نأتي فيه ﴿مكاناً سوى﴾ أي: مكاناً عدلاً بيننا وبينك، في قول قَتادة والسُدّي. وقيل: معناه: مستوياً يتبيّن الناس ما بيننا فيه، ذكره ابن زيد[٢]. وقيل: معناه: يستوي حالنا في الرضا به[٣]. وفي سوى إذا قصر[٤] لغتان: كسر السين وضمّها، وإذا فُتِحت السين مددته، نحو قوله: ﴿إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم﴾[٥] ومثله: عُدى وعَدَى، وطُوى وطَوَى، وثُنى وثَنَى، وقال أبو عُبَيْدَة: ﴿سُوى﴾ النصف والوسط، قال الشاعر:

---

(١) في «س»: «الآيات».
(٢) تفسير الطبري ذيل الآية.
(٣) في معاني القرآن للزجّاج ٣: ٣٦٠ أي مكاناً يكون النصف فيما بيننا وبينك.
(٤) كذا في «س»، وفي المطبوعتين: وفيه إذا قصر.
(٥) آل عمران: ٦٤.

وإنّ أبانا كانَ حَلَّ بِبَلْدةٍ سُوىً بين قَيْسٍ عَيْلاَنَ والفِزْرِ[١]

«قيس» و«فزر» قبيلتان هنا، و«الفِزَر»: القطيع من الشياه. والقَيس: القرد. و«القيس»: مصدر قاسَ خَطَاه قَيْساً إذا سوَّى بينها، ويُقال: جارية تَميسُ مَيْساً وتَقِيس قَيْساً، فمعنى «تميس»: تَتَبختر، وسأل رجل أعرابيّاً ما اسمك؟ قال: محمّد، قال: والكُنْية؟ قال: أبو قيس، قال: قبّحك الله، أتجمع بين اسم النبيّ والفِزَر؟!

وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: ﴿سُوىً﴾ بضمّ السين، الباقون بالكسر.

فقال له موسى: ﴿موعدكم يومُ الزينة﴾ وهو يوم عيدٍ كان لهم، في قول قَتادة وابن جُرَيْج والسُدِّي وابن زيد وابن إسحاق. وقال الفرّاء: ﴿يوم الزينة﴾ يوم سوقٍ كانوا يتزيّنون فيها[٢].

وقوله: ﴿وأن يُحشَرَ الناس ضُحىً﴾ يحتمل أن يكون في موضع رفع وتقديره: موعدكم حشر الناس، ويحتمل أن يكون في موضع جرّ وتقديره: يوم يحشر الناس.

وقوله: ﴿فتولّى فِرْعَون﴾ أي: أعرض عن موسى على هذا الوعد ﴿فجَمَعَ كيدَه﴾ من السحر و ﴿أتى﴾ يوم الموعد. وقرأ هُبَيْرَة عن حفص عن عاصم: ﴿يومَ﴾ بفتح الميم على الظرف، الباقون بضمّها على أنّه خبر ﴿موعدكم﴾ فجعلوا الموعد هو اليوم بعينه.

قوله [تعالى]:

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَاتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَـٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ٢: ٢٠ ونسبه إلى موسى بن جابر الحنفي.

(٢) كذا في «س»، وفي المطبوعتين «يوم شرف كانوا يتزينون بها» معاني القرآن ٢: ١٨٢.

يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ستّ آيات بلا خلاف.

قرأ ﴿فيُسحِتكم﴾ بضمّ الياء وكسر الحاء أهل الكوفة إلّا أبا بكر، والباقون بفتح الياء والحاء. وهما لغتان، يُقال: سَحَتَ وأسْحَتَ: إذا استأصل. وقرأ أبو عمرو: ﴿إنّ هذين﴾ بتشديد «إنّ» ونصب «هذين» وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بتشديد ﴿إنّ﴾ والألف في ﴿هذان﴾ وقرأ ابن كثير ﴿إنْ﴾ مخفّفة ﴿هذانّ﴾ مشدّدة النون، وقرأ عاصم[1] بتخفيف نون ﴿إنْ﴾ وتخفيف نون ﴿هذان﴾. وقرأ أبو عمرو وحده ﴿فاجمعوا﴾ بهمزة الوصل. الباقون بقطع الهمزة، من: أجمعت الأمر إذا عزمت عليه، قال الشاعر:

يا لَيْتَ شِعْرِي والمُنَى لا تَنْفَعُ ... هَلْ أغْدُوَنْ يوماً وأمرِي مُجْمَعُ[2]

وقيل: إنّ «جَمَعت» و«أجْمَعت» لغتان في العزم على الأمر، يقال: جَمَعْت الأمر وأجْمَعت عليه، بمعنى: أزْمَعت عليه. وفي الكلام حذف، لأنّ تقديره: أنّهم حضروا واجتمعوا يوم الزينة، فقال ﴿لهم﴾ حينئذٍ ﴿موسى﴾ يعني: للسحرة الّذين جاءوا بسحرهم: ﴿لا تفتروا على الله﴾ أي: لا تكذبوا عليه ﴿كذباً﴾ بتكذيبي، وتقولوا: إن ما جئت به السحر، و«الافتراء»: اقتطاع الخبر الباطل بإدخاله في جملة الحقّ، وأصله: القطع، من: فَرَاهُ يَفْريه فَرْياً، وٱفتَرَى افتراءً، و«الافتراء» و«الافتعال» و«الاختلاق» واحد.

(١) في «س»: «ابن عامر» بدل «عاصم» والصحيح ما أثبتناه.

(٢) أنشده الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٨٥ ولم ينسبه إلى أحد وكذا الطبري ذيل الآية.

وقوله: ﴿فيُسْحِتكم بعذاب﴾ قال قَتادة وابن زيد والسُدِّي: معناه: فيستأصلكم بعذاب. و«السُحْت»: استقصاء الحَلْق[١] سَحَتَه سَحْتاً، وأسْحَتَه إسحاتاً، لغتان، قال الفَرَزْدَق:

وعَضُّ زَمانٍ يا ٱبنَ مَرْوانَ لَم يَدَعْ مِنَ المال إلّا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ[٢]

وينشد «مُسْحَتٌ» بالرفع، على معنى: لم يَدَع أي: لم يَبْقَ، ومن نصب قال: أو مجلَّف، كذلك روي: «مسحتاً ومجلّف»[٣] ـ وسُئِل الفَرَزْدَق: عَلامَ رفعتَ «إلّا مسحتاً أو مجلّف»؟ فقال للسائل: على ما يسوؤك وينوؤُك[٤]. ويُقال: سَحَت شعره إذا استقصى حَلْقه. والمعنى: أنّ العذاب إذا أتى من قبل الله تعالى أخذهم وأهلكهم عن آخرهم.

وقوله ﴿وقد خابَ مَن ٱفترى﴾ أي: انقطع رجاء من افترى الكذب، و«الخيبة»: الامتناع على الطالب ما أمّل، و«الخيبة»: انقطاع الرجاء، يقال: رجع بخيبةٍ، إذا رجع بغير قضاء حاجته، وأشدّ ما يكون إذا أمّل خيراً من جهةٍ فانقلب شرّاً منها.

وقوله: ﴿فتنازعوا أمرهم﴾ معناه: اختلفوا فيما ﴿بينهم﴾ و«التنازع»: محاولة كلّ واحدٍ من المختلفين نزع المعنى عن صاحبه، تَنازَعا في الأمر تَنازُعاً، ونازَعَهُ منازَعةً.

---

(١) في الحروفيّة: «استقصاء الشعر في الحلق»، وفي اللسان: سحت الحجام الختان سحتاً وأسحته: استأصله. يقال: إذا ختنت فلا تسحت... ويقال: سحت رأسه إذا استأصله حلقاً (لسان العرب مادّة «سحت»).

(٢) من قصيدة فخرية له، راجع ديوان الفرزدق ٢: ١١٧. وفيه «مجرَّف» بدل «مجلَّف».

(٣) كذا، وفي الطبري واللسان: «ويروى: إلّا سحتٌ أو مجلّف». والظاهر أنّه هو الصحيح بقرينة مابعده.

(٤) حكاه الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٨٢ ـ ١٨٣، والسائل هو عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي.

وقوله: ﴿وأسرّوا النجوى﴾ أي: أخفوها فيما بينهم، قال قَتادة: إنّهم قالوا: إنْ كان هذا ساحراً فسنغلبه، وإن كان من السماء فله أمره. وقال وهب بن منبّه: لمّا قال لهم: ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى، قالوا: ما هذا بقول ساحر. وقيل: إسرارهم كان أنّهم قالوا: إن غلبنا موسى اتّبعناه[1]. وقيل: أسرّوا النجوى دون موسى وهارون بقوله: ﴿إن هذان لساحران...﴾ الآية، وهو قول السُدّي.

وقوله: ﴿إن هذان لساحران﴾ قيل فيه أوجه:

أوّلها: أنّه ضعف عمل «إن» لأنّها تعمل وليست فعلاً لشبهها بالفعل، وليست بأصل في العمل، كما أنّها لمّا خُفِّفت لم تعمل أصلاً.

والثاني: أنّ ﴿هذان﴾ أشبه «الّذين» في البناء، لأنّ أصله «الّذي» فزادوا نوناً للجمع، وتركوه على حالة واحدة في النصب والجرّ والرفع، فكذلك هذان كان أصله «هذا» فيه ألف مجهولة، فزادوا نوناً للتثنية وتركوها على حالة واحدة في الأحوال الثلاثة.

والثالث: أنّ ﴿إن﴾ بمعنى «إنّه» إلّا أنّها حُذِفَت الهاء.

والرابع: أنّه لمّا حُذِفَت الألف من «هذا» صارت ألف التثنية عوضاً منها، فلم تزل على حالها، وهي لغة بني الحارث[2] بن كَعْب، وخَثْعَم، وزُبَيْد، وجماعة من قبائل اليمن. وقال بعض بني الحارث بن كَعْب:

وأطْرقَ إطراقَ الشُجاع ولو يَرَى ... مساغاً لِنَابَاهُ الشُجاعُ لَصَمَّما[3]

وقال آخر:

(١) قاله الكلبي على ما في النكت والعيون ٣: ٤١٠.

(٢) في «س» «بلحارث».

(٣) أنشده الطبري ذيل الآية.

إنَّ أبـــاها وأبـــا أبـــاها قَد بَلَغا في المَجْدِ غايَتاها[١]

وقال آخر:

تَزَوَّدَ مـنّا بـين أُذْنـاهُ ضَـرْبةً دَعَتْهُ إلى هابِي التُرابِ عَـقيمُ

و[الخامس]: قال المبرّد وإسماعيل بن إسحاق القاضي: أحسن ما قيل في ذلك: إنّ ﴿إن﴾ تكـون بـمعنى «نـعم» ويكـون تـقديره: نـعم هـذان لساحران، فيكون ابتداءً وخبراً، قال الشاعر:

ظَلَّ العَـواذِلُ بـالضُحَى يَـــلحِينَني وأَلُــومُهُنَّهْ

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَد عَـلاكَ وقَد كَبرتَ فَقُلتُ إنّه[٢]

ووجه قراءة حفص: أنّه جعل ﴿إن﴾ بمعنى «ما» وتقديره: ما هـذان [إلّا][٣] ساحران. وروي أنّ ابن مسعود[٤] قرأ: «إن هذان ساحران» بغير لام، وقرأ أُبيّ: «إن هذان إلّا ساحران».

ومَن جعل ﴿إن﴾ بمعنى «نعم» جعل حجّته في دخول اللام في الخبر قول الشاعر:

خَالي لأَنْتَ ومَن جَريرٌ خالُهُ يَنل العَلاء وتكرم الأخوال[٥]

وقال آخر:

أُمُّ الحُــلَيْسِ لَــعَجُوزٌ شَــهْرَبَه تَرضَى من اللَحْمِ بعَظْمِ الرَقَبَة[٦]

---

(١) أنشده ابن عقيل في شرحه: ٥١ برقم ٦ ولم ينسبه إلى أحد. وقال محقّق الكتاب: نسبه العيني والسيّد المرتضى إلى أبي النجم العجلي، والجوهري إلى رؤبة بن الحجّاج.

(٢) أنشد بعضه الزجّاج في معانيه ٣: ٣٦٣، ولم ينسبه إلى أحد، وقال محقّق الكتاب: هو لعبدالله بن قيس الرقيّات العامري مدح بها مصعب بن الزبير وعبدالملك.

(٣) الزيادة اقتضتها العبارة، وانظر النكت والعيون ٣: ٤١٠.

(٤) العبارة في «س» هكذا: «وتقدير ماهذان لساحران وقوى ذلك بان ابن مسعود...».

(٥ و٦) أنشدهما الزجّاج في معانيه ٣: ٣٦٣.

وهذه الآية حكاية عن قول فرعون أنّه قال لهم: إنْ هـذين يعني: موسى وهارون ﴿لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المُثلى﴾ قال مجاهد: معناه: يذهبا بطريقة أُولي العقل والأشراف والأنساب. وقال أبو صالح: ويذهبا بسراة الناس. وقال قَتادة: ويذهبا ببني إسرائيل، وكانوا عدداً يسيراً. وقال ابن زيد: معناه: ويذهبا بالطريقة الّتي أنتم عليها في السيرة. وقيل: المعنى: يـذهبان بـأهل طـريقتكم المـثلى. و«الأمثل» الأشبه بالحقّ الثابت والصواب الظاهر، وهو الأولى به.

وقال لهم فـرعون أيـضاً: ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ فـمن قـطع الهـمزة أراد: فأعزِموا على أمركم وكيدكم وسحركم، وقيل: «جَمَعَ» و«أجْمَعَ» لغتان في العزم على الشيء، يقال: جَمَعْتُ الأمـر وأجْـمَعْت عـليه ﴿ثمّ ائتوا صفّاً﴾ معناه: مصطفّين، وقال الزجّاج: هو كقولهم: أتيت الصفّ أي: الجماعة. ولم يجمع ﴿صفّاً﴾ لأنّه مصدر. وقال قوم: إنّ هذا من قول فِرْعَون للسَـحَرة. وقال آخرون: بل هو من قول بعض السَحَرة لبعض.

وقوله: ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ معناه: قد فاز اليوم مَن عَلاَ على صاحبه بـالغَلَبة. و﴿قالوا يا موسى إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون أوّل من ألقى﴾ حكاية عمّا قالت السَحَرة لموسى، فإنّهم خيّروه في الإلقاء بين أن يـلقوا أوّلاً ما معهم، أو يلقي موسى عصاه ثمّ يلقون ما معهم، فقال لهم موسى: ﴿بل ألقُوا﴾ أنتم ما معكم ﴿فإذا حبالهم وعِصِيّهم﴾ أي: ألقوا ما معهم، فـإذا حبالهم وعِصِيّهم، و«حبال» جمع «حبل» و«عِصِيّ» جمع «عصا» ويجمع «الحبل»: «أحْبُلاً» و«العصى»: أعْصِياً، ويثنّى: «عَصَوان».

وإنّما أمرهم بالإلقاء وهو كفر منهم، لأنّه ليس بأمر وإنّما هو تـهديد ومعناه الخبر بأنّ مَن كان إلقاؤه منكم حجّة عنده ابـتدأ بـالإلقاء، ذكـره

الجُبّائي. وقال قوم: يجوز أن يكون ذلك أمراً على الحقيقة، بأن أمرهم بالإلقاء على وجه الاعتبار لاعلى وجه الكفر.

وقيل: كان عدّة السحَرَة سبعين ألفاً، في قول القاسم بن أبي برّة. وقال ابن جُرَيْج: كانوا تسعمائة.

وقوله: ﴿فإذا حبالهم وعِصِيّهم يُخيَّل إليه من سحرهم أنّها تسعى﴾ وإنّما قال: ﴿يُخيَّل﴾ لأنّها لم تكن تسعى حقيقةً، وإنّما تحرّكت، لأنّه قيل: إنّه كان جعل داخلها زئبق، فلمّا حُمِيَت بالشمس طلب الزئبق الصعود فتحرّكت العصيّ والحبال، فظنّ موسى أنّها تسعى. وقوله: ﴿يُخيَّل إليه﴾ قيل: إلى فرعون[1] وقيل: إلى موسى، وهو الأظهر، لقوله: ﴿فأوجس في نفسه خِيفةً موسى﴾ وإنّما خاف دخول الشبهة على قومه، وقيل: خاف بطبع البشريّة.

قوله [تعالى]:

فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَاتَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَاصَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَـٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ اربع آيات.

قرأ ابن عامر: ﴿تلقَّفُ﴾ بتشديد القاف ورفع الفاء، وقرأ حفص عن عاصم ساكنة الفاء مجزومة خفيفة القاف، الباقون مشدّدة القاف مجزومة الفاء. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كَيدُ سِحْرٍ﴾ على فعل الباقون: ﴿ساحر﴾ على فاعل قال أبو عليّ: حجّة من قال: ﴿ساحر﴾ أنّ الكيد للساحر، لا للسحر، إلّا أن يريد: كيد ذي سحر، فيكون المعنيان واحداً، و لايمتنع أن يُضاف «الكيد» إلى «السحر» مجازاً.

---

(١) النكت والعيون ٣: ٤١٣.

قوله تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفةً موسى﴾ قيل في وجه «خيفته» قولان:

أحدهما: قال الجُبّائي والبلخي: خاف أن يلتبس على الناس أمرهم، فيتوهّموا أنّه كان بمنزلة ما كان من أمر عصاه. الثاني: أنّه خاف بطبع البشريّة لما رأى من كثرة ما تخيّل من الحيّات العِظام، فقال الله تعالى له: ﴿لا تخف إنّك أنت الأعلى﴾ أي: إنّك أنت الغالب لهم والقاهر لأمرهم.

ثمّ أمره تعالى فقال له: ﴿ألقِ ما في يمينك﴾ يعني: العصا ﴿تَلْقَف ما صنعوا﴾ أي: تأخذها بفِيها ابتلاعاً، و﴿ما﴾ هاهنا بمعنى «الّذي» وتقديره: تلقف الّذي صنعوا فيه، لأنّ فعلهم لا يمكن ابتلاعه، لأنّها أعراض. ويقال: لَقِفَ يَلْقَفُ، وتَلقَّفَ يتَلَقَّفُ.

ومن قرأ: ﴿تَلقَّفُ﴾ مضمومة الفاء مشدّدة القاف أراد: «تَتَلَقَّفُ» فأسقط إحدى التاءَيْن، وكذلك روى ابن فُلَيْح عن البزّي[1] عن ابن كثير بتشديد التاء، لأنّه أدغم إحداهما في الأُخرى، ومن سكّن الفاء جعلها جواب الأمر، ومن رفع فعلى تقدير: فهي تَلَقَّفُ.

وقيل: إنّها ابتلعت حمل ثلاثمائة بعير من الحبال والعِصِيّ، ثمّ أخذها موسى فرجعت إلى حالها عصاً، كما كانت[2]. ثمّ أخبر تعالى بأنّ الّذي صنعوه كيد سحر، أو كيد ساحر، على اختلاف القراءتين، وإنّما رفع «كيدُ ساحر» لأنّه خبر إنّ. والمعنى إنّ الّذي صنعوه كيد ساحر، ويجوز فيه النصب على أن تكون «ما» كافّة لعمل «إنّ» كقولك: إنّما ضربت زيداً، ومثله ﴿إنّما تعبدون من دون الله أوثاناً﴾[3].

---

(١) كذا في النسخ، وفي زاد المسير ٣: ١٨٤ وروى البزى وابن فليّح.

(٢) قاله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤١٣.

(٣) العنكبوت: ١٧.

ثمّ أخبر تعالى: أنّ الساحر ﴿لا يفلح﴾ أي: لا يفوز بفلاح، أي: بنجاة ﴿حيث أتى﴾ أي: حيث وجد. وقال بعضهم: لأنّه يجب قتله على كلّ حال[1] فلما رأت السحرة ما فعله الله من قلب العصا ثعباناً وإبطال سحرهم علموا أنّه من قبل الله، وأنّه ليس بسحر، فألقوا نفوسهم ساجدين لله تعالى مقرّين بنبوّة موسى عليه السلام ومصدّقين له، و﴿قالوا: آمنّا﴾ أي صدّقنا ﴿بربّ هارون وموسى﴾ وقيل: معناه صدّقنا بالربّ الّذي يدعو إليه هارون وموسى، لأنّه رب الخلائق أجمعين[2].

قوله [تعالى]:

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ خمس آيات.

قرأ ابن كثير وحفص وورش ﴿آمنتم﴾ على لفظ الخبر، وقرأ أهل الكوفة إلّا حفصاً بهمزتين، الباقون بهمزة واحدة بعدها مدّة.

قال أبو عليّ: من قرأ على الخبر، فوجهه أنّه قرّعهم على تقدّمهم بين يديه، وعلى استبدادهم بما كان منهم من الإيمان بغير إذنه وأمره، والاستفهام يؤول إلى هذا المعنى. ووجه قراءة أبي عمرو انه أتى بهمزة الاستفهام وهمزة الوصل، وقلب الثانية مدّة، كراهية اجتماع الهمزتين. وقد

---

(١) نقله الطبري ذيل الآية.

(٢) قاله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤١٤.

مضى شرح ذلك فيما مضى [١].

حكى الله تعالى ما قال فرعون للسحرة حين آمنوا بموسى وهارون: ﴿آمنتم له﴾ أي: صدّقتموه واتّبعتموه ﴿قبل أن آذن لكم﴾ وقال في موضع آخر: ﴿آمنتم به﴾ [٢].

وقيل في الفرق بينهما: إنّ «آمنتم له» يفيد الاتّباع، وليس كذلك «آمنتم به» لأنّه قد يوقن بالخبر من غير اتّباع له فيما دعا إليه إلّا أنّه إذا قبل قول الداعي إلى أمر أخذ به. ومن قرأ ﴿آمنتم﴾ على الخبر كأنّ فرعون أخبر بذلك، ومن قرأ على لفظ الاستفهام كأنّه استفهم عن إيمانهم على وجه التقريع لهم. والفرق بين الإذن والأمر، أنّ في الأمر دلالة على إرادة الفعل المأمور به، وليس في الإذن دلالة على إرادة المأذون فيه، كقوله: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ [٣] فهذا إذن.

ثمّ قال فرعون: ﴿إنّه﴾ يعني موسى ﴿لكبيركم﴾ أي رئيسكم ومتقدّمكم ﴿الّذي علّمكم السحر﴾ ثمّ هدّدهم فقال: ﴿لأُقطّعنّ أيديَكم وأرجلَكم من خِلافٍ﴾ يعني قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو اليد اليسرى والرجل اليمنى.

وقيل: أوّل من فعل ذلك فرعون، وأوّل من صلب في جذوع النخل هو [٤] و «في» بمعنى «على» قال الشاعر:

وهم صلبوا العبدي في جذع نخلةٍ فلا عطَستْ شيبانُ إلّا بأجدعا [٥]

وقوله: ﴿ولتعلمنَّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى﴾ قال ابن إسحاق ومحمّد بن

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٤٧.
(٢) الأعراف: ١٢٣.
(٣) المائدة: ٢.
(٤) قاله الطبري ذيل الآية.
(٥) أنشده الثعلبي في تفسيره ٦: ٢٥٣، ونسبه إلى الشاعر سويد بن أبي‌كاهل. وفيه «وهم».

كعب القُرَظيّ: معناه أبقى عقاباً إن عصي، وثواباً إن أُطيع، ورفع «أيّنا» لأنّه وقع موقع الاستفهام، ولم يعمل فيه ما قبله من العلم. وقيل: إنّما نسبهم إلى اتّباع رئيسهم في السحر ليصرف بذلك الناس عن اتّباع موسى عليه السلام فأجابه السحرة فقالوا: ﴿لن نؤثرك﴾ أي: لا نختارك يا فرعون ﴿على ما جاءنا من البيّنات﴾ يعني الأدلّة الدالّة على صدق موسى وصحّة نبوّته. وقوله: ﴿والّذي فطرنا﴾ يعني وعلى الّذي خلقنا، فيكون عطفاً على ﴿ما جاءنا من البيّنات﴾ فيكون جرّاً، ويحتمل أن يكون جرّاً بأنّه قسم. وقوله: ﴿فاقضِ ما أنت قاضٍ﴾ معناه فاصنع ما أنت صانع على التمام، من قولهم: قضى فلان حاجتي إذا صنع ما أُريد على تمام، قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داودُ أو صنعُ السوابغِ تُبَّعُ[1]

وقوله: ﴿إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ يعني إنّما تصنع بسلطانك وعذابك في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة. وقيل: معناه أنّ الّذي يفنى وينقضي هذه الحياة الدنيا دون حياة الآخرة[2]. وقوله: ﴿إنّا آمنّا بربّنا﴾ أي صدّقنا به، نطلب بذلك أن يغفر لنا خطايانا ويغفر لنا ما أكرهتنا عليه من السحر، قال ابن زيد وابن عبّاس: إنّ فرعون دفع[3] غلماناً إلى السحرة يعلّمونهم السحر بالغرما. ثمّ قالوا: ﴿والله خير﴾ لنا منكم وأبقى لنا ثواباً من ثوابك.

ثمّ حكى قول السحرة أنّهم قالوا: ﴿إنّه من يأت ربّه مجرماً﴾ وقيل: إنّه خبر من الله تعالى بذلك دون الحكاية عن السحرة ﴿فإنّ له جهنّم﴾ جزاء على جرمه وعصيانه ﴿لا يموت فيها﴾ يعني جهنّم ﴿ولا يحيى﴾ أي:

---

(١) أنشده الأزهري في التهذيب ٩: ٢١٢، مادّة «قضى».

(٢) النكت والعيون ٣: ٤١٥.

(٣) كذا في الطبري، وفي النسخ «رفع».

لايموت فيها فيستريح من العذاب، و لايحيى حياة فيها راحة، بل هو معاقب بأنواع العقاب. ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿ومن يأته مؤمناً﴾ أي: مصدّقاً بتوحيده وصدّق أنبيائه و﴿قد عمل﴾ الطاعات الّتي أمره بها ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ أي: العالية. و«العلى» جمع عليا مثل ظلمة وظلم والكبرى والكبر.

قوله [تعالى]:

جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾

خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده ﴿لا تخف دركاً﴾ [١] على النهي، أو على الجزاء لقوله: ﴿فاضرب لهم طريقاً﴾ الباقون: ﴿لا تخاف﴾ بالرفع ﴿ولا تخشى﴾ بألف بلا خلاف على الاستئناف. ومثله قوله: ﴿يولّوكم الأدبار ثمّ لا ينصرون﴾. وقيل: إنّه يحتمل أن يكون ﴿لا تخشَ﴾ مجزوماً، وزيد الألف [ليوافق] رؤوس [٢] الآي، كما قال الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقتْ لبونُ بني زيادِ [٣]

ومن قرأ ﴿لا تخاف﴾ بالرفع، و﴿لا تخشى﴾ مثله، فهو على الخبر. وقال

---

(١) آل عمران: ١١١. (٢) كذا في الحروفيّة، وفي «س» والحجرية: «لرؤوس».

(٣) أنشده في الحماسة البصريّة ١: ٦٨ ونسبه إلى قيس بن زهير.

أبو عليّ: هو في موضع نصب على الحال، وتقديره: طريقاً في البحر يبساً غير خائف دركاً[١]. وقرأ حمزة والكسائي ﴿أنجيتكم ووعدتكم﴾ بالتاء فيهما بغير ألف، الباقون بالألف والنون. وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿ووعدناكم﴾ بغير ألف، الباقون ﴿وواعدناكم﴾ بألف، ولم يختلفوا في ﴿نزّلنا﴾ أنّه بالنون، ومعنى التاء والنون قريب بعضه من بعض، لكنّ النون لعظم حال المتكلّم.

لمّا أخبر الله تعالى أنّ لمن آمن بالله الدرجات العلى، قال: ولهم ﴿جنّات عدن﴾ أي بساتين إقامة ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ وقد فسّرناه في غير موضع. ثمّ قال: ﴿وذلك﴾ الّذي وصفه ﴿جزاء من تزكّى﴾ فـ«التزكّي» طلب الزكا بإرادة الطاعة، والعمل بها. والزكاء النماء في الخير، ومنه الزكاة، لأنّ المال ينمو بها في العاجل والآجل، لما لصاحبها عليها من ثواب الله تعالى. وقيل: معنى ﴿تزكّى﴾ تطهّر من الذنوب بالطاعة بدلاً من تدنيسها بالمعصية. و«الخلود»: المكث في الشيء إلى غير غاية.

ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي﴾ أي سر بهم ليلاً لأنّ الإسراء: السير بالليل ﴿فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً﴾ والمعنى: اضرب بعصاك البحر تجعل طريقاً، فكأنّه قيل: اجعل طريقاً بالضرب بالعصا، فعدّاه إلى الطريق لمّا دخله هذا المعنى، فكأنّه قد ضرب الطريق فكان كضربه الدينار. و«اليبس»: اليابس وجمعه أيباس، وجمع اليبس ـ بسكون الباء ـ يبوس.

وقال أبو عبيدة: اليبس ـ بفتح الباء ـ المكان الجافّ. وإذا كان اليبس

---

(١) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٤٨ ونصّ عبارته: «وجه قول من رفع أنّه حال من الفاعل: اضرب لهم طريقاً غير خائف ولا خاشٍ». وقد نقله بهذا النصّ الطبرسي في مجمع البيان ٧: ٢٢.

في نبات الأرض فهو اليبس ـ بسكون الباء ـ[١] قال علقمة بن عبدة:

تــــخشخشُ أبــدانُ الحــديدِ عــليهمُ
كما خَشخَشتْ يبسَ الحصادِ جنوبُ[٢]

وقوله: ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ معناه: لا تخف أن يدركك فرعون، و لاتخش الغرق من البحر، في قول ابن عبّاس وقَتادة. وقيل: معناه لاتخف: لحوقاً من عدوّك، و لاتخش الغرق من البحر الّذي انفرج عنك[٣]. والمعنيان متقاربان. وكان سبب ذلك أنّ أصحاب موسى قالوا له: هذا فرعون قد لحقنا، وهذا البحر قد غشينا يعنون اليمّ، فقال الله تعالى: ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾.

ثمّ أخبر تعالى فقال: ﴿فأتبعَهم فرعونُ بجنودِهِ﴾ أي: دخل خلف موسى وبني إسرائيل، وفي الكلام حذف لأنّ تقديره: فدخل موسى وقومه البحر ثمّ أتبعهم فرعون بجنوده ومن اتّبعهم. فمن قطع الهمزة جعل الباء زائدة، ومن وصلها أراد: تبعهم وسار في أثرهم، والباء للتعدية. وقوله: ﴿فغشيهم من اليمّ ما غشيهم﴾ يعني الّذي غشيهم. وقيل: معناه: تعظيم للأمر لأنّ ﴿غشيهم﴾ قد دلّ على ﴿ما غشيهم﴾ وإنّما ذكره تعظيماً. وقيل: ذكره تأكيداً. وقال قوم: معناه فغشيهم أي الّذي عرفتموه. كما قال أبو النجم:

---

(١) لم ترد هذه العبارة في مجاز القرآن، ولعلّه قاله في كتاب آخر له، والموجود في مجاز القرآن: «يَبَسا ـ متحرّك الحروف بالفتحة ـ والمعنى يابساً، ويقال شاة يَبَسْ ـ بفتح الباء ـ أي يابسة ليس لها لبن، وبعضهم يسكن الباء، ثمّ استشهد بقول علقمة بن عبدة. انظر مجاز القرآن ٢: ٢٤.

(٢) أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢: ٢٤، ديوان علقمة بن الفحل: ٣٠. والعبارة من قوله «وقال أبوعبيدة» إلى هنا، لم ترد في «س» والحجريّة.

(٣) نقل معناه الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤١٥ ـ ٤١٦ عن ابن جريج.

أنا أبو النجم وشعري شعري[١].

وقال الزجّاج: فغشيهم من اليم ما غرَّقهم[٢]. وقال الفرّاء: معناه فغشيهم من اليمّ ما غشيهم. لأنّه ليس الماء كلّه غشيهم، وإنّما غشيهم بعضه. وقال قوم: معناه فغشيم ـ يعني أصحاب فرعون ـ من اليم ما غشي قوم موسى إلّا أنّ الله غرق هؤلاء، ونجّا أُولئك. ويجوز أن يكون المراد: فغشيهم من قبل اليمّ الّذي غشيهم من الموت والهلاك، فكأنّه قال: الّذي غشيهم من الموت والهلاك كان من قبل البحر إذ غشيهم، فيكون ﴿غشيهم﴾ الأوّل للبحر، و﴿غشيهم﴾ الثاني للهلاك والموت.

وقوله: ﴿وأضلّ فرعونُ قومَهُ وما هَدى﴾ معناه أنّه دعاهم إلى الضلال وإغواهم، فضلّوا عنده، فنسب إليه الضلال. وقيل: إنّ معناه استمرّ بهم على الضلالة فلذلك قيل: «وما هدى».

ثمّ عدّد الله على بني إسرائيل نعمه، بأن قال: ﴿يا بني إسرائيل قد أنجيناكم﴾ أي: خلّصناكم ﴿من عدوّكم﴾ فرعون ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ معناه أنّ الله واعدكم جانب الجبل الّذي هو الطور، لتسمعوا كلام الله لموسى بحضرتكم هناك ﴿ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى﴾ يعني في زمان التيه أنزل عليهم المنّ وهو الّذي يقع على بعض الأشجار، والسلوى طائر أكبر من السمان.

قوله [تعالى]:

كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَارَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ

(١) أنشده السيّد المرتضى في الأمالي ١: ٣٥٠، وبعده: «لله درّي ما يجنّ صدري».
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٧٠.

ٱهْتَدَىٰ﴿٨٢﴾* وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴿٨٥﴾ خمس آيات.

قرأ الكسائي وحده ﴿فيحلّ عليكم﴾ بضمّ الحاء، وكذلك ﴿من يحلل﴾ بضمّ اللام، الباقون بكسرها، ولم يختلفوا في الكسر من قوله: ﴿أن يحلّ عليكم غضب من ربّكم﴾[1] يقال: حلّ بالمكان يحلّ: إذا نزل به، وحلّ يحلّ ـ بالكسر ـ بمعنى وجب.

قوله: ﴿كلُوا من طيّباتِ ما رزقناكم﴾ صورته صورة الأمر والمراد به الإباحة، لأنّ الله تعالى لايريد المباحات من الأكل والشرب في دار التكليف. والطيّبات معناه الحلال. وقيل: معناه المستلذّات.

وقوله: ﴿ولا تطغوا فيه﴾ معناه لا تتعدّوا فيه فتأكلوه على وجه حرّمه الله عليكم، فتتعدّون فيه بمعصية الله[2] ويمكن ترك الأكل على وجه حرّمه الله إلى وجه أباحه الله على الوجه الّذي أذن فيه، وعلى وجه الطاعة أيضاً، للاستعانة به على غيره من طاعة الله. وقوله: ﴿فيحلّ عليكم غضبي﴾ معناه متى طغيتم فيه وأكلتموه على وجه الحرام نزل عليكم غضبي، على قراءة من ضمّ الحاء. ومن كسره معناه: يجب عليكم غضبي الّذي هو عقاب الله.

ثمّ أخبر تعالى أنّ من حلّ غضب الله عليه ﴿فقد هوى﴾ يعني هلك، لأنّ من هوى من علوّ إلى سفل فقد هلك. وقيل: هوى بمعنى تردّى[3]. وقيل: معناه: هوى إلى النار[4].

---

(١) طه: ٨٦.

(٢) العبارة في «س» هكذا: «فتتعمّدون فيه معصية الله».

(٣) قاله البغوي في معالم التنزيل ٤: ١٥، وفيه: «تردى في النار».

(٤) النكت والعيون ٣: ٤١٦، وفيه: «هوى في النار».

ثمّ أخبر تعالى عن نفسه أنّه ﴿غفار﴾ أي: ستّار ﴿لمن تاب﴾ من المعاصي فأُسقط عقابه وستر معاصيه إذا أضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحات ﴿ثمّ اهتدى﴾ قال قَتادة: معناه ثمّ لزم الإيمان إلى أن يموت، كأنّه قال: ثمّ استمرّ على الاستقامة. وإنّما قال ذلك، لئلّا يتّكل الإنسان على أنّه قد كان أخلص الطاعة.

وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّ معناه ثمّ اهتدى إلى ولاية أوليائه الّذين أوجب الله طاعتهم والانقياد لأمرهم[1]. وقال ثابت البناني: ثمّ اهتدى إلى ولاية أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله. ثمّ خاطب موسى عليه السلام فقال: ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال ابن إسحاق: كانت المواعدة أن يوافي هو وقومه، فسبق موسى إلى ميقات ربّه، فقرّره الله على ذلك لم فعله؟ وقال موسى في جوابه: ﴿هم أولاء على أثري وعجلت إليك ربّ لترضى﴾ فقال الله تعالى: ﴿فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك﴾ أي: عاملناهم معاملة المختبر بأن شدّدنا عليهم في التعبّد بأن ألزمناهم عند إخراج العجل أن يستدلّوا على أنّه لا يجوز أن يكون إلهاً، ولا أن يحلّ الإله فيه، فحقيقة الفتنة تشديد العبادة. وقوله: ﴿وأضلّهم السامري﴾ معناه أنّه دعاهم إلى عبادة العجل، فضلّوا عند ذلك، فنسب الله الإضلال إليه لمّا ضلّوا بدعائه.

قوله [تعالى]:

فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا

---

(١) الكافي ١: ٣٢٣، الحديث ٣، بصائر الدرجات: ٦٨، الحديث ٦، وقد جمع ما ورد في ذلك السيّد هاشم البحراني في البرهان ٣: ٧٦٩ ـ ٧٧٢ ط البعثة.

فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿بملكنا﴾ بكسر الميم، وقرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي بضمّ الميم من ضمّ الميم فمعناه بسلطاننا. وقيل: إنّ في ذلك ثلاث لغات: فتح الميم وضمّها وكسرها[1]. وقرأ أبو عمرو وحمزة وأبو بكر ﴿حملنا﴾ ـ بفتح الحاء والميم ـ مخفّفاً، الباقون ـ بضمّ الحاء وكسر الميم ـ مشدّداً.

أخبر الله تعالى أنّ موسى رجع من ميقات ربّه ﴿إلى قومه غضبان أسفاً﴾ و«الغضب» ضدّ الرضا، وهو ما يدعو إلى فعل العقاب، والأسف: أشدّ الغضب. وقال ابن عبّاس: معنى ﴿أسفاً﴾ أي حزيناً. وبه قال قتادة والسدّي. و«الأسف» أشدّ الغضب. وقال بعضهم: قد يكون بمعنى الغضب، وقد يكون بمعنى الحزن. قال الله تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾[2] أي أغضبونا، فقال موسى لقومه: ﴿يا قوم ألم يعدكم ربّكم وعداً حسناً﴾ لأنّ الله تعالى كان وعد موسى بالنجاة من عدوّهم، ومجيئهم إلى جانب الطور الأيمن، ووعده بأنّه تعالى ﴿غفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى﴾ ثمّ قال: ﴿أفطال عليكم العهد﴾ أي: عهدي ولقائي فنسيتموه ﴿أم أردتم أن يحلّ عليكم﴾ أي يجب عليكم ﴿غضب﴾ أي عقاب ﴿من ربّكم فأخلفتم موعدي﴾ أي: ما وعدتموني من المقام على الطاعات. وقال الحسن: معنى ﴿ألم يعدكم ربّكم وعداً حسناً﴾ في الآخرة على التمسّك بدينه في الدنيا.

---

(١) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٧١.

(٢) الزخرف: ٥٥.

وقيل: الّذي وعدهم الله به التوراة، وفيها النور والهدى ليعملوا بما فيها، ويستحقّوا عليه الثواب[١] وكان وعدهم أن يقيموا على أمرهم، فأخلفوا، وقالوا جواباً لموسى ﴿ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ أي: قال المؤمنون: لم نملك أن نردّ عن ذلك السفهاء. قال قَتادة والسدّي: معنى ﴿بملكنا﴾ بطاقتنا.

وقال ابن زيد: معناه لم نملك أنفسنا للبليّة الّتي وقعت بنا. فمن فتح الميم: أراد المصدر، ومن كسرها أراد: ما يتملّك، ومن ضمّ أراد: السلطان والقوّة به.

وقوله: ﴿ولكنّا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ معناه إنّا حملنا أثقالاً من حليّ آل فرعون، وذلك أنّ موسى أمرهم أن يستعيروا من حليّهم، في قول ابن عبّاس ومجاهد والسدّي وابن زيد. وقيل: جعلت حلالاً لهم[٢]. ومن قرأ بالتشديد أراد أنّ غيرنا حملنا ذلك بأن أمرنا بحمله.

وقوله: ﴿فقذفناها﴾ أي طرحنا تلك الحليّ، ومثل ذلك ﴿ألقى السامريُّ﴾ ما كان معه من الحليّ. وقيل: ﴿أوزاراً﴾ أي أثقالاً من حليّ آل فرعون، لمّا قذفهم البحر أخذوها منهم.

ثمّ أخبر تعالى، فقال: إنّ السامري أخرج لقوم موسى عجلاً جسداً له خوار، فقيل: إنّ ذلك العجل كان في صورة ثور صاغها من الحليّ الّتي كانت معهم، ثمّ ألقى عليها من أثر جبرائيل شيئاً فانقلب حيواناً يخور، ذكره الحسن وقَتادة والسدّي، و «الخُوَر» الصوت الشديد كصوت البقرة.

وقال مجاهد: كان خواره بالريح إذا دخلت في جوفه. وأجاز قوم الأوّل، وقالوا: إنّ ذلك معجزة تجوز في زمن الأنبياء، وقول مجاهد أقوى، لأنّ إظهار المعجزات لا يجوز على أيدي المبطلين وإن كان في زمن الأنبياء.

---

(١) النكت والعيون ٣: ١٨ وزاد المسير ٥: ٢٣٠.

(٢) قاله الطبري ذيل الآية.

وقال الجبّائي: إنّما صوّره على صورة العجل وجعل فيه خروقاً إذا دخله الريح أوهم أنّه يخور. وقيل: إنّه خار دفعة واحدة[1] ﴿فقالوا هذا إلهكم وإله موسى﴾ يعني قال ذلك السامري ومن تابعه: إنّ هذا العجل معبودكم ومعبود موسى ﴿فنسي﴾ أي: نسي موسى أنّه إلهه، وهو قول السامري في قول ابن عبّاس وقَتادة ومجاهد والسدّي وابن زيد والضحّاك.

وقال ابن عبّاس في رواية أُخرى: معناه، فنسي السامري ما كان عليه من الايمان، لأنّه نافق لما عبر البحر، ومعناه ترك ما كان عليه. وقال قوم: معناه: فنسي موسى أنّه أراد هذا العجل، فنسي وترك الطريق الّذي يصل منه إليه، ويكون حكاية قول السامري.

ثمّ قال تعالى تنبيهاً لهم على خطئهم: ﴿أفلا يرون﴾ أي أفلا يعلمون أنّه ﴿لا يرجع إليهم قولاً﴾ أي لا يجيبهم إذا خاطبوه، ولا يقدر لهم على ضرّ ولا نفع.

ثمّ أخبر أنّ هارون قال لهم قبل ذلك: ﴿يا قوم إنّما فتنتم به﴾ أي: ابتليتم واختبرتم به ﴿وإنّ ربّكم الرحمن﴾ أي الّذين يستحقّ العبادة عليكم هو الرحمن الّذي أنعم عليكم بضروب النعم ﴿فاتّبعوني﴾ فيما أقول لكم ﴿وأطيعوا أمري﴾ فيما آمركم به.

قوله [تعالى]:

قَالُواْ لَنْ نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَامَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَاتَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَابِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

---

(١) الكشف والبيان ٦: ٢٥٧.

قرأ ﴿يا ابن أمّ﴾ بفتح الميم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص، الباقون بكسر الميم، من فتح الميم جعل «ابن أمّ» اسماً واحداً وبناهما على الفتح مثل «خمسة عشر» إلّا أنّ «خمسة عشر» تضمن معنى الواو، وتقديره: خمسة وعشرة، و«ابن أمّ» بمعنى اللام وتقديره: لأمّي، وكلاهما على تقدير الاتّصال بالحرف على جهة الحذف، ويجوز «يا ابن أمّ» على الإضافة، ولم يجئ هذا البناء إلّا في يا ابن أمّ، ويا ابن عمّ، لأنّه كثر حتّى صار يقال للأجنبيّ، فلمّا عدل بمعناه عدل بلفظه، قال الشاعر:

رجال ونسوان يودّون أنّني وإيّاك نُخزَى يا ابن عمّ ونُفضَحُ[1]

ويحتمل أن يكون أراد ﴿يابن أمّاه﴾ فرخّم، ويحتمل أن يكون أراد ﴿يابن أمّا﴾ فخفّف[2] لأنّ العرب تقول: يا ابن أمّا بمعنى يا ابن أمّي ويا ربّا بمعنى يا ربّي، فَمن كسر أراد: يا ابن أمّي، فحذف الياء وأبقى الكسرة تدلّ عليها.

حكى الله تعالى ما أجاب به قوم موسى لهارون حين نهاهم عن عبادة العجل وأمرهم باتّباعه، فإنّهم ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتّى يرجع إلينا موسى﴾ أي لن نزال لازمين لهذا العجل إلى أن يعود إلينا موسى، فننظر ما يقول قال الشاعر:

فما برحت خيل تثوب وتدّعي ويلحق منها لاحقٌ وتقطّعُ[3]

و«العكوف»: لزوم الشيء مع القصد إليه على مرور الوقت، ومنه الاعتكاف في المسجد. ثمّ أخبر تعالى أنّ موسى لمّا رجع إلى قومه قال

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ٢: ٢٦ ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) في الحروفيّة زيادة «فمن كسر أراد يابن أمّي».

(٣) لأوس بن حجر، راجع ديوانه: ٥٨، وفيه «فتئت» بدل «برحت».

لهارون: ﴿يا هارون ما منعك ألّا تتّبعني﴾ قال ابن عبّاس: معناه بمن أقام على إيمانه. وقال ابن جريج: معناه ألّا تتّبعني في شدّة الزجر لهم عن الكفر. ومعنى ﴿ألّا تتّبعني﴾ ما منعك أن تتّبعني و«لا» زائدة كما قال: ﴿ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك﴾ [١] وقد بيّنّا القول في ذلك [٢] وإنّما جاز ذلك لأنّ المفهوم أنّ المراد ما منعك بدعائه لك إلى أن لا تتبعني فدخلت ﴿لا﴾ لتنبئ عن هذا المعنى [٣] وهو منع الداعي دون منع الحائل.

وقوله: ﴿أفعصيت أمري﴾ صورته صورة الاستفهام، والمراد به التقرير، لأنّ موسى كان يعلم أنّ هارون لايعصيه في أمره، فقال له هارون في الجواب: ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ حين أخذ موسى بلحيته ورأسه.

وقيل في وجه ذلك قولان:

أحدهما: أنّ عادة ذلك الوقت أنّ الواحد إذا خاطب غيره قبض على لحيته، كما يقبض على يده في عادتنا، والعادات تختلف ولم يكن ذلك على وجه الاستخفاف.

والثاني: أنّه أجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته، لأنّه لم يكن يتّهم عليه، كما لا يتّهم على نفسه. وقوله: ﴿إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل﴾ معناه: إنّي خفت أنّي إن فعلت ذلك على وجه العنف والإكراه أن يتفرّقوا وتختلف كلمتهم ويصيروا أحزاباً، حزباً يلحقون بموسى وحزباً يقيمون مع السامري على اتّباعه، وحزباً يقيمون على الشكّ في أمره ثمّ لا يؤمن إذا تركتهم كذلك أن يصيروا بالخلاف إلى سفك الدماء، وشدّة التصميم على أمر السامري إذا تركهم [٤]، فاعتذر بما مثله

---

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) راجع التبيان ٦: ٣٣٦ و ٣٣٧.

(٣) في «س»: «هذا المنع».

(٤) لم يرد «إذا تركهم» في المطبوعتين.

يقبل، لأنّه وجه من وجوه الرأي. وقوله تعالى: ﴿ولم ترقب قولي﴾ أي لم تحفظ قولي في قول ابن عبّاس. فعدل عند[1] ذلك موسى إلى خطاب السامري، فقال له: ﴿ما خطبُكَ يا سامري﴾ أي ما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت؟! وأصل الخطب: الجليل من الأمر. فكأنّه قيل: ما هذا الأمر العظيم الّذي دعاك إلى ما صنعت.

قوله [تعالى]:

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي: ﴿ما لم تبصروا﴾ بالتاء، والباقون بالياء المعجمة من أسفل. من قرأ بالتاء حمله على خطابه لجميعهم. ومن قرأ بالياء أراد: بصرت بما لم يبصروا بنو إسرائيل. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لن تخلفه﴾ بكسر اللام، الباقون بفتح اللام. والمعنى: إنّ الله يكافئك على ما فعلت يوم القيامة، لأنّه بذلك وعد، يقال: أخلفت موعد فلان إذا لم تف بما وعدته.

ومن قرأ على ما لم يسمّ فاعله جعل المخلف[2] من غير المخاطب، والهاء كناية عن الموعد، وهو المفعول به، والفاعل لم يذكر.

لمّا حكى الله تعالى قول موسى للسامري وسؤاله إيّاه بقوله: ﴿ما خطبك يا سامري﴾ وحكى ما أجاب به السامري، فأنّه قال: ﴿بصرت

---

(١) في المطبوعتين «عن» بدل «عند».

(٢) في الحروفيّة: «الخلف».

بما لم يبصروا به﴾ والمعنى: رأيت ما لم يروه. فمن قرأ بالياء أراد ما لم يبصروا هؤلاء، ومن قرأ بالتاء حمله على الخطاب لهم و«بصر» لا يتعدّى وإن كانت الرؤية متعدّية، لأنّ ما كان على وزن فعل ـ بضمّ العين ـ لا يتعدّى. غير أنّه وإن كان غير متعدٍّ فإنّه يتعدّى بحرف الجرّ، كما عدّاه هاهنا بالباء. وقيل بصرت هاهنا بمعنى علمت، من البصيرة. يقال: بصر يبصر: إذا علم، وأبصر إبصاراً إذا رأى.

وقوله: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها﴾ قرأ الحسن بالصاد غير المعجمة، والقرّاء على القراءة بالضاد المنقّطة، والفرق بينهما أنّ «القبضة» بالضاد بملء الكفّ، وبالصاد غير المعجمة بأطراف الأصابع، وقيل: إنّه قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام فنبذها في العجل [ومعنى ﴿سوّلت لي نفسي﴾](١) على ما أطمعتني نفسي من انقلابه حيواناً. وقال ابن زيد: معنى ﴿سوّلت لي نفسي﴾ حدّثتني. وقيل: معناه: زيّنت لي نفسي(٢).

فإن قيل: لم جاز انقلابه حيواناً مع أنّه معجز لغير نبيّ؟!

قلنا: في ذلك خلاف، فمنهم من قال: إنّه كان معلوماً معتاداً في ذلك الوقت أنّه من قبض من أثر الرسول قبضة فألقاها على جماد صار حيواناً، ذكره أبو بكر ابن الأخشاد، فعلى هذا لا يكون خرق عادة بل كان معتاداً. وقال الحسن: صار لحماً ودماً. وقال الجبّائي: المعنى: أنّه سوّلت له نفسه ما لا حقيقة له وإنّما جاء بحيلة: جعلت فيه خروق إذا دخلتها الريح سمع له خوار منه. فقال له موسى عند ذلك: ﴿فاذهب﴾ يا سامري ﴿فإنّ لك في الحياة أن تَقولَ لامساسَ﴾.

---

(١) الزيادة من هامش الحجريّة. وقد أوردها الناسخ متفرّعة برمز «ظ» أي استظهاراً.

(٢) قاله الأخفش، كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٣.

واختلفوا في معناه، فقال قوم: معناه: تقول: لا أمسّ ولا أُمسّ، وكان موسى أمر بني إسرائيل ألّا يؤاكلوه ولا يخالطوه ولا يبايعوه، فيما ذكر. وقال الجبّائي: معناه: أنّه لا مساس لأحد من الناس، لأنّه جعل يهيم في البريّة مع الوحش والسباع. وقوله: ﴿لامساس﴾ بالكسر والفتح فإن كسرت فمثل لا رجل، وإذا فتحت الميم بنيت على الكسر مثل نزالِ، قال رؤية:

حتّى تقول الأزدُ لا مَساساً[1]

وقال الشاعر:

تميمٌ كرهط السامري وقوله ألا   لا يريد السامري مَساسِ[2]

وكلّه بمعنى المماسّة والمخالطة. ثمّ قال: ﴿وإنّ لك موعداً لن تخلفه﴾ أنت[3] فيمن قرأ بالفتح، ومن قرأ بالكسر فمعناه: لا تخلفه أنت، وهما متقاربان، ويريد بالموعد البعث والنشور والجزاء، إمّا جنّة وإمّا ناراً.

ثمّ قال: ﴿انظر إلى إلٰهك﴾ يعني معبودك عند نفسك أبصره ﴿الّذي ظلت عليه عاكفاً﴾ قال ابن عبّاس: معناه أقمت عليه عاكفاً، وأصله ظللت، فحذف اللام المكسورة للتخفيف وكراهية التضعيف، وللعرب فيها مذهبان، فتح الظاء، وكسرها، فمن فتح تركها على حالها ومن كسر نقل حركة اللام إليها للإشعار بأصلها، ومثله مَستَ ومِستَ في مسستَ. وهَمتَ وهِمْتَ، في همَمْتَ، وهل أحسْتَ في أحسستَ، قال الشاعر:

خلا أنّ العتاق من المطايا   أحسنَ به فهنّ إليه شُوسُ[4]

وقوله ﴿لنحرّقنّه﴾ يعني بالنار يقال: إنّه حرّقه ثمّ ذراه في البحر ـ في

---

(١) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ٢: ٢٧، ونسبه إلى القلاخ بن حزن المنقري.

(٢) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ٢: ٢٧ ولم ينسبه إلى أحد.

(٣) في الحروفيّة «من جهتنا».

(٤) أنشده الثعلبي في تفسيره ٦: ٢٥٩ ولم ينسبه إلى أحد.

قول ابن عبّاس ـ يقال حرّقته بتشديد الراء: إذا حرقته بالنار وحرقته بتخفيف الراء بمعنى بردته بالمبرد، وذلك لأنّه يقطّع به كما يقطّع المحرق بالنار، يقال: حرقته وأحرقته حرقاً، كما قال الشاعر:

بـذي فَرقينِ يومَ بنو حبيبٍ نُيُوبَهَمُ عَلَينا يَحرُقونا[1]

وقال زهير:

أبى الضيمَ والنعمانُ يحرقُ نابَهُ عليه فأفضى والسيوفُ معاقلُهْ[2]

وقرأ أبو جعفر المدني ﴿لنحرقنّه﴾ بفتح النون وسكون الحاء وضمّ الراء بمعنى لنبردنّه. وروي ذلك عن عليّ عليه السلام ويقال: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه لتطير عنه قشوره. وقال سعيد بن جبير: كان السامري رجلاً من أهل كرمان. وقال قوم: كان من بني إسرائيل، واليه تنسب (السامرة) من اليهود[3]. وحكى قوم: أنّ قبيلته إلى اليوم يقولون في كلامهم: لا مساس.

ثمّ أقبل على قومه فقال: ﴿إنّما الهكم الله الّذي لا إله إلّا هو﴾ أي ليس لكم معبود إلّا الله الّذي ﴿وسع كلّ شيء علماً﴾ أي يعلم كلّ شيء، لا يخفى عليه شيء منها، وهي لفظة عجيبة في الفصاحة.

ثمّ قال تعالى لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك ﴿نقصّ عليك من أنباء﴾ يعني أخبار ﴿ما قد سبق﴾ وتقدّم ﴿وقد آتيناك من لدنّا ذكراً﴾ أي أعطيناك من عندنا علماً بأخبار الماضين. وقال الجبّائي: أراد آتيناك من عند القرآن لأنّه سمّاه ذكراً. ثمّ قال: ﴿من أعرض﴾ عن التصديق بما أخبرناك به وعن

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية، ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى: ٦٩، ولم يرد الاستشهاد بقول زهير في الحجريّة.

(٣) قاله قتادة كما في زاد المسير ٥: ٢٣٤.

توحيد الله، وإخلاص عبادته ﴿فإنّه يحمل يوم القيامة وزراً﴾ أي إثماً، وأصل «الوزر» الثقل، في قول مجاهد.

قوله [تعالى]:

خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ سبع آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده ﴿يوم ننفخ﴾ بفتح النون مع قوله: ﴿ونحشر﴾ الباقون ﴿ينفخ﴾ بالياء على ما لم يسمّ فاعله. قوله: ﴿خالدين﴾ نصب على الحال، والعامل فيه العذاب الّذي تقدّم ذكره من الوزر، والمعنى في عذاب الإثم ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ نصب حملاً على التمييز. وفاعل ﴿ساء﴾ مضمر، وتقديره: ساء الحمل حملاً يوم القيامة، إلّا أنّه استغني بالمفسّر عن إظهار المضمر، كقولهم: بئس رجلاً صاحبك. وإنّما أضمر ثمّ فسّره، لأنّه أفخم وأهول، والمعنى وساء ذلك الحمل الوزر لهم يوم القيامة حملاً، فيما ينزل بهم.

وقوله: ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ فالنفخ إخراج الريح من الجوف بالدفع من الفم، فهذا أصله، ثمّ قد يسمّى إحداث الريح في الزقّ أو البوق نفخاً، لأنّه كالنفخ المعروف.

و ﴿الصور﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: أنّه جمع صورة، كلّ حيوان تنفخ فيه الروح فتجري في جسمه، ويقوم حيّاً بإذن الله[١]. والثاني:

---

(١) قاله قتادة وأبو عبيدة كما في زاد المسير ٣: ٥٣، وفيه: والمراد نفخ الارواح في صور الناس.

أنّه قرن ينفخ فيه النفخة الثانية ليقوم الناس من قبورهم عند تلك النفخة تصويراً لتلك الحال في النفوس بما هو معلوم، ممّا عهدوه من بوق الرحيل وبوق النزول.

وقوله تعالى: ﴿ونحشرُ المجرمينَ يومئذٍ زُرقاً﴾ قيل: معناه أنّه أُزرقت عيونهم من شدّة العطش[1] وقيل: معناه: عمياً[2] كما قال: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً﴾[3] كأنّها ترى زرقاء وهي عمي. وقيل: المعني في ﴿زرقاً﴾ تشويه الخلق وجوههم سود وأعينهم زرق[4].

وقوله: ﴿يتخافتون بينهم﴾ معناه يتشاورون[5] بينهم ـ في قول ابن عبّاس ـ ومنه قوله: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾[6] ومعناه: لا تعلن صوتك بالقراءة في الصلاة كلّ الإعلان ولا تخفها كلّ الإخفاء ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾[7].

وقوله: ﴿إن لبثتم إلّا عشراً﴾ يعني: ما أقمتم في قبوركم إلّا عشراً، وإنّما يقولون ذلك القول لأنّهم لشدّة ما يرونه من هول القيامة ينسون ما لبثوا في الدنيا، فيقولون هذا القول. وقيل: معناه وتأويله أنّه يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم لما يرون من أحوالهم الّتي رجعت إليهم، كأنّهم كانوا نياماً، فانتبهوا. وقال الحسن: إن لبثتم إلّا عشراً يقلّلون لبثهم في الدنيا لطول ما هم لابثون في النار.

---

(١) قاله الأزهري كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٤.

(٢) في «س»: «عمياناً». وقد نقله الماوردي عن الفرّاء في النكت والعيون ٣: ٤٢٤، وانظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٩١.

(٣) الإسراء: ٩٧.

(٤) قاله الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤٢٤.

(٥) كذا في المطبوعتين، وفي «س» بدله: «يتنازعون» وفي تفسير الطبري ذيل الآية عن ابن عبّاس «يتسارّون».

(٦) الإسراء: ١١٠.

(٧) الإسراء: ١١٠.

ثمّ قال تعالى: ﴿نحنُ أعلمُ بما يقولون إذ يقولُ أمثلُهم طريقةً﴾ أي أصلحهم طريقة وأوفرهم عقلاً، وقيل: أكثرهم سداداً[١] يعني عند نفسه ﴿إن لبثتم إلّا يوماً﴾ قال أبو عليّ الجبّائي: معناه إن لبثتم إلّا يوماً بعد انقطاع عذاب القبر عنهم، وذلك أنّ الله يعذّبهم ثمّ يعيدهم.

ثمّ قال لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً﴾ قيل: إنّه يجعلها بمنزلة الرمل، ثمّ يرسل عليها الرياح فتفرّقها[٢] كتذرية الطعام عن القشور والتراب. وقيل: إنّ الجبال تصير كالهباء[٣].

﴿فيذرها قاعاً صفصفاً﴾ قال ابن عبّاس: الصفصف الموضع المستوي الّذي لانبات فيه، وهو قول مجاهد وابن زيد. وقيل: هو المكان المستوي كأنّه على صفّ واحد في استوائه[٤]. والقاع قيل: هو الأرض الملساء[٥]. وقيل: مستنقع الماء[٦] وجمعه أقواع، قال الشاعر:

كأنّ أيديهنّ بالقاعِ القَرِقْ   أيدي جوارٍ يَتعاطَينَ الوَرِقْ[٧]

وقال الكلبي: الصفصف ما لا تراب فيه[٨]. ﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمْتاً﴾ يعني: وادياً ولا رابية ـ في قول ابن عبّاس ـ وقيل: ﴿عِوَجاً﴾ معناه صدعاً ﴿ولا أمْتاً﴾ يعني أكمة[٩]. وقيل: معنى ﴿عِوَجاً﴾ ميلاً و ﴿أمْتاً﴾ أثراً[١٠].

---

(١) النكت والعيون ٣: ٤٢٥، وفيه: «أكبرهم سداداً».

(٢) في الحروفيّة: «فتذريها» بدل «فتفرّقها».

(٣) النكت والعيون ٣: ٤٢٦.

(٤) قاله مجاهد كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٦.

(٥) النكت والعيون ٣: ٤٢٦.

(٦) قاله الفرّاء، انظر معاني القرآن ٢: ١٩١.

(٧) أنشده المرتضى في أماليه ١: ٥٦١، ولم ينسبه إلى أحد.

(٨) كذا في النسخ، وفي النكت والعيون ٣: ٤٢٦ عن الكلبي: الصفصف ما لا نبات فيه.

(٩) قاله الحسن كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٦.

(١٠) وهو مرويّ عن ابن عبّاس كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٦.

وقال أبوعبيدة: ﴿صفصفاً﴾ أي مستوياً أملساً. (عوجاً) مصدر ما اعوَجّ من المحاني، والمسايل والأودية والارتفاع يميناً وشمالاً[١] ﴿ولا أمْتاً﴾ أي لا رباً ولا وهاداً[٢] أي: لا ارتفاع فيه ولا هبوط يقال: مدّ حبله حتّى ما ترك فيه أمْتاً[٣]. وملأ سقاءهُ حتّى ما ترك فيه أمْتاً، أي انثناءً[٤] قال الشاعر:

ما في انجذابِ سَيْرِهِ من أمْتِ[٥]

قوله [تعالى]:

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ثلاث آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى: إنّ اليوم الّذي ينسف الله فيه الجبال نسفاً ويذرها قاعاً صفصفاً، حتّى لا يبقى فيه عوج ولا أمت يتبع الخلائق يومئذٍ الداعي لهم إلى المحشر. ﴿لا عوج له﴾ أي لايميلون عنه، و لايعدلون عن ندائه، ولا يعصونه كما يعصون في دار الدنيا ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ أي تخضع له بمعنى أنّها تسكن، ولا ترتفع، في قول ابن عبّاس. و«الخشوع»: الخضوع، قال الشاعر:

لمّا أتى خبر الزبير تواضعت ... سُورُ المدينة والجبالُ الخُشَّعُ[٦]

وقوله تعالى: ﴿فلا تسمع إلّا همساً﴾ فالهمس صوت الأقدام، في قول

---

(١) مجاز القرآن ٢: ٢٩.
(٢) في مجاز القرآن ٢: ٢٩: «ولا وطئاً».
(٣) في مجاز القرآن لأبي عبيدة زيادة: «أي استرخاءً».
(٤) مجاز القرآن ٢: ٢٩.
(٥) أنشده أبوعبيدة في مجاز القرآن ٢: ٣٠ ولم ينسبه إلى أحد.
(٦) لجرير، راجع ديوانه: ٢٥٩.

ابن عبّاس وابن زيد. وقال مجاهد: الهمس إخفاء الكلام، قال الراجز في الهمس:

وهنَّ يمشينَ بنا هميساً[١]

يعني صوت أخفاف الإبل في سيرها. وقوله: ﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلّا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ أخبر الله تعالى أنّ ذلك اليوم لا تنفع شفاعة أحد في غيره، إلّا شفاعة من أذن الله له أن يشفع، ورضي قوله فيها: من الأنبياء والأولياء والصدّيقين والمؤمنين.

ثمّ قال سبحانه: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ أي يعلم ما بين أيدي الخلائق من أُمور القيامة وأحوالهم، ويعلم ما سبقهم فيما تقدّمهم ﴿ولا يحيطون﴾ هم بالله ﴿علماً﴾. والمعنى أنّهم لا يعلمون كلّ ما هو تعالى عالم به لنفسه، فلا يعلمه أحد علم إحاطة، وهو تعالى يعلم جميع ذلك، وجميع الأشياء علم إحاطة[٢] بمعنى أنّه يعلمها على كلّ وجه يصحّ أن تعلم عليه مفصّلاً. وقال الجبّائي: معناه ولا يحيطون بما خلفهم علماً، ولا بما بين أيديهم.

قوله [تعالى]:

وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحده ﴿فلا يخف ظلماً﴾ على النهي، الباقون على الخبر.

---

(١) أنشده الثعلبي في تفسيره ٦: ٢٦١، ولم ينسبه إلى أحد، وعجزه: «ان تصدق الطير ننك لميسا».

(٢) في «س» العبارة هكذا: «ويعلم هو جميع الأشياء علم إحاطة».

قال أبو عليّ النحوي: قوله: ﴿وهو مؤمن﴾ جملة في موضع الحال[١] والعامل فيها ﴿يعمل﴾ وذو الحال: الذكر الّذي في يعمل مِن ﴿مَن﴾ وموضع الفاء، وما بعدها من قوله ﴿فلا يخاف﴾ الجزم، لكونه في موضع جواب الشرط. والمبتدأ محذوف مراد بعد الفاء، وتقديره: فهو لا يخاف، والأمر في ذلك حسن[٢] لأنّ تقديره من عمل صالحاً فليأمن، ولا يخف. والمراد الخبر بأنّ المؤمن الصالح لا خوف عليه[٣].

وقوله سبحانه: ﴿وعنت الوجوه﴾ أي خضعت وذلّت خضوع الأسير في يد القاهر له، والعاني: الأسير، ويقال: عنا وجهي لربّه يعنو عنواً، أي: ذلّ وخضع، ومنه: أخذت الشيء عنوة، أي غلبة تذلّ المأخوذ منه، وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة، لأنّه على طاعة الذليل للعزيز، قال الشاعر:

هل أنتَ مطيعي أيّها القلبُ عنوةً ولم تَلحُ نفساً لم تُلَمْ في احتيالِها[٤]

وقال آخر:

فما اخذوها عنوةً عن مودّةٍ ولكنْ بضربِ المشرفيّ استقالَها[٥]

و ﴿عنت﴾ ذلّت، في قول ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة. و ﴿القيّوم﴾ قيل في معناه قولان: أحدهما: أنّه العالم بما يستقيم به تدبير جميع الخلق، فعلى هذا لم يزل به قيّوماً. والثاني: أنّه القائم بتدبير الخلق، وهي مثل صفة حكيم على وجهين. وقال الجبّائي: القيّوم القائم بأنّه دائم لا يبيد ولا يزول. وقال الحسن: هو القائم على كلّ نفس بما كسبت حتّى يجزيها به.

---

(١) في المصدر «الجملة في نصب على الحال».

(٢) في المصدر: والأمر في ﴿لا يخف﴾ جنس.

(٣) الحجّة للقرّاء السبعة ٣: ١٥٥ و١٥٦.

(٤) لكثيّر عزّة، راجع ديوانه: ١٩٢.

(٥) لكثيّر عزة، راجع ديوانه: ١٤٨، وفيه: «تركوها» بدل «أخذوها» و«بحدّ» بدل «بضرب».

ووجه ﴿عنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾ أنّها تدلّ عليه، لأنّ الفعل منه تعالى يدلّ على أنّه قادر. وكونه قادراً يدلّ على أنّه عالم، وقيل: معنى ﴿وعنت الوجوه﴾ وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود، في قول طَلْق بن حبيب.

وقوله: ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ أي خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافراً ظالماً مستحقّاً للعقاب. و﴿من﴾ في قوله: ﴿من الصالحات﴾ زائدة عند قوم، والمراد: من يعمل الصالحات. ويحتمل أن تكون للتبعيض، لأنّ جميع الصالحات لايمكن أحداً فعلها، فأخبر الله تعالى أنّ من يعمل الأعمال الصالحات، وهو مؤمن عارف بالله تعالى مصدّق بأنبيائه ﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾ أي لايخاف ظلماً بالزيادة في سيّئاته، ولا زيادة في عقابه الّذي يستحقّه على معاصيه ﴿ولا هضماً﴾ أي ولانقصاناً من حسناته ولا من ثوابه، في قول ابن عبّاس والحسن وقَتادة: وقيل ﴿لا يخاف ظلماً﴾ بأن لا يجزى بعمله ﴿ولا هضماً﴾ بالانتقاص من حقّه، في قول ابن زيد.

فمن قرأ ﴿فلا يخاف﴾ أراد الإخبار بذلك، ومن قرأ ﴿فلا يخف﴾ معناه معنى النهي للمؤمن الّذي وصفه عن أن يخاف ظلماً أو هضماً.

وأصل «الهضم» النقص، يقال: هضمني فلان حقّي، أي نقصني، وامرأة هضيم الحشا، أي: ضامرة الكشحين بنقصانه عن حدّ غيرهما[1] ومنه هضمت المعدة الطعام أي أنقصت، مع تغييرها له. وقوله: ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربيّاً﴾ أي كما أخبرناك بأخبار القيامة أنزلنا عليك يا محمّد القرآن ﴿وصرَّفنا فيه من الوعيد﴾ أي ذكرناه على وجوه مختلفة، وبيّنّاه بألفاظ

(١) في المطبوعتين «عن حدّ غيره».

مختلفة، لكي يتّقوا معاصيه ويحذروا عقابه ﴿أو يحدث﴾ القرآن ﴿لهم ذكراً﴾ ومعناه ذكراً يعتبرون به. وقيل: ﴿ذكراً﴾ أي شرفاً بإيمانهم به[١].

ثمّ قال تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحقّ﴾ أي ذو الحقّ، ومعناه ارتفع ـ يعني صفته ـ فوق كلّ شيء سواه، لأنّه أقدر من كلّ قادر، وأعلم من كلّ عالم سواه، لأنّ كلّ قادر عالم سواه يحتاج إليه، وهو غنيّ عنه.

وقوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى إليك وحيه﴾ أي لا تسأل إنزاله قبل ان يأتيك وحيه. وقيل: معناه لا تلقه إلى الناس قبل أن يأتيك بيان تأويله[٢]. وقيل: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل من أدائه إليك[٣]. وقوله: ﴿وقل ربّ زدني علماً﴾ أي استزد من الله علماً إلى علمك. وقال الحسن: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي عجل بقراءته مخافة نسيانه.

وقوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ قال ابن عبّاس ومجاهد: معناه عهد الله إليه، بأن أمره به ووصّاه به ﴿فنسي﴾ أي ترك وقيل إنّما أخذ الإنسان من أنّه عهد إليه فنسي، في قول ابن عبّاس.

وقوله: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ أي: عقداً ثابتاً. وقال قَتادة: يعني صبراً. وقال عطيّة: أي: لم تجد له حفظاً. والعزم: الإرادة المتقدّمة لتوطين النفس على الفعل.

وقرأ يعقوب ﴿من قبل أن نقضي﴾ بالنون وكسر الضاد وفتح الياء بعدها ﴿وحيه﴾ بنصب الياء. الباقون ﴿يقضى﴾ بناه لما لم يسمّ فاعله ورفع الياء في قوله: ﴿وحيه﴾.

---

(١) قاله الضحّاك كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٨ وتفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) قاله عطيّة كما في النكت والعيون ٣: ٤٢٩.

(٣) النكت والعيون ٣: ٣٢٩ وفيه: «جبريل من إبلاغه».

قوله [تعالى]:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ﴿وإنّك لا تظمؤا﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف وقطعه عن الأوّل، الباقون بالنصب عطفاً على اسم «أنّ».

يقول الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: يا محمّد واذكر حين قال الله تعالى للملائكة: ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي أمرهم بالسجود له، وأنّهم سجدوا له بأجمعهم إلّا إبليس وقد بيّنّا ـ فيما تقدّم ـ أنّ أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم يدلّ على تفضيله عليهم وإن كان السجود لله تعالى لا لآدم، لأنّ السجود عبادة، لايجوز أن يفعل إلّا لله، فأمّا المخلوقات فلا تستحقّ شيئاً من العبادة بحال، لأنّها تستحقّ بأُصول النعم وبقدر من النعم لا يوازيها نعمة منعم. وقال قوم: إنّ سجود الملائكة لآدم كان كما يسجد إلى جهة الكعبة، وهو قول الجبّائي. والصحيح الأوّل، لأنّ التعظيم الّذي هو في أعلى المراتب حاصل لآدم بإسجاد الملائكة له، ولو لم يكن الأمر على ماقلناه ـ من أنّ فيذلك تفضيلاً لآدم عليهم ـ لما كان لامتناع إبليس من السجود له وجه، ولما كان لقوله: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[1] وجه. فلمّا احتجّ إبليس بأنّه أفضل من آدم ـ وإن أخطأ في الاحتجاج ـ علمنا أنّ موضوع الأمر بالسجود لآدم على جهة التفضيل، وإلّا كان يقول الله لإبليس: إنّي ما فضّلته على من أمرته بالسجود لآدم

---

(١) الأعراف: ١٢.

وإنّما السجود لي، وهو بمنزلة القبلة، فلا ينبغي أن تأنف من ذلك.

وقد بيّنّا أنّ الظاهر في روايات أصحابنا أنّ إبليس كان من جملة الملائكة[١] وهو المشهور ـ في قول ابن عبّاس وذكره البلخي ـ فعلى هذا يكون استثناء إبليس من جملة الملائكة استثناء متّصلاً.

ومن قال: إنّ إبليس لم يكن من جملة الملائكة، قال: هو استثناء منقطع، وإنّما جاز ذلك، لأنّه كان مأموراً أيضاً بالسجود له، فاستثني على المعنى دون اللفظ، كما يقال: خرج أصحاب الأمير إلّا الأمير، وكما قال عنتر بن دجاجة:

من كان أشركَ في تفرّقِ فالج فلَبُونه جَربتْ معاً وأغَدّتِ
إلّا كناشِرَةَ الّذي ضَيّعتمُ كالغُصنِ في غلوائه المتنبّتِ[٢]

والمعنى لكن هذا كناشرة، وتقول: قام الأشراف للرئيس إلّا العامّي الّذي لا يلتفت إليه. قال الرماني: وإذا أمر الملائكة بالسجود اقتضى أنّ من دونهم داخل معهم، كما أنّه إذا أمر الكبراء بالقيام للأمير اقتضى أنّ الصغار الأقدار قد دخلوا معهم.

وقوله تعالى: ﴿أبى﴾ معناه امتنع ﴿فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوّ لك ولزوجِكَ﴾ حكاية عمّا قال الله تعالى لآدم: إنّ إبليس عدوّك وعدوّ زوجك حوّاء ﴿فلا يخرجنّكما﴾ بأن يغويكما فتخالفا ما أمر الله به وتعصياه فتقتضي المصلحة إخراجكما ﴿من الجنّة﴾ ونسب الإخراج إلى إبليس إذ كان بدعائه وإغوائه.

وقوله: ﴿فتشقى﴾ قيل: معناه تتعب بأن تأكل من كدّ يدك وما تكتسبه

---

(١) راجع التبيان ٢: ٨٧ من طبعتنا.

(٢) أنشده سيبويه في الكتاب ٢: ٣٢٨، وفيه: «المتنبت» بدل «المتثبت».

لنفسك. وقيل: فتشقى على خطاب الواحد، والمعنى فتشقى أنت وزوجك، لأنّ أمرهما في السبب واحد، فاستوى حكمهما لاستوائهما في العلّة[١]. وقيل: خصّ بالشقاء لأنّ الرجل يكدّ على زوجته[٢]. وقوله: ﴿إنّ لك ألّا تجوع فيها ولا تعرى﴾ يعني في الجنّة ما دمت على طاعة الله وامتثال لأمره[٣]. وأنّك ﴿لا تعرى﴾ فيها من الكسوة ﴿وأنّك لا تظمؤا فيها﴾ أي لا تعطش فيها ﴿ولا تضحى﴾ أي لا يصيبك حرّ الشمس، وهو قول ابن عبّاس وسعيد بن جبير وقَتادة. وقال عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمس عارضتْ   فيضحى وأمّا بالعشي فيخصَرُ[٤]

أي يخصر من البرد. وقيل: ليس في الجنّة شمس إنّما فيها نور وضياء. وإنّما الشمس في سماء الدنيا خاصّة. ويقال: ضحى الرجل يضحى: إذا برز للشمس.

قال أبو عليّ: إنّما لم يجز أن يقول إنّ لك ألّا تجوع وإنّ لك أنّك لا تظمأ[٥]. بغير فصل كراهة اجتماع حرفين متقاربين في المعنى، فإذا فصل بينهما لم يكره ذلك، كما كرهوا: إنّ لزيداً قائم، ولم يكرهوا ﴿إنّ في ذلك لآيات﴾ مع الفصل. وقال الرماني إنّما جاز أن تعمل ﴿إنّ﴾ في ﴿أن﴾ بفصل ولم يجز من غير فصل، كراهية التعقيد بمداخلة المعاني المتقاربة،

---

(١) انظر النكت والعيون ٣: ٤٣٠.
(٢) النكت والعيون ٣: ٤٣٠.
(٣) في الحروفيّة العبارة هكذا: «ما دمت على طاعتك لي والامتثال لأمري».
(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٩٤، ونقله الزجّاج في معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٧٨ وفيه: ومعنى يخصر: يصيبه الخَصَر وهو شدّة البرد وبلوغه الأطراف».
(٥) كذا في المصدر، ووردت العبارة في النسخ مختلفة، ففي «س» العبارة هكذا: «انّ لك ألّا تجوع وأنّك لا تظمى» وفي الحروفيّة: «انك لا تجوع وانّك لا تظمأ». وفي الحجريّة: «ان لك إلّا تجوع وان انّك لاتظمأ» وفي هامش الحجريّة استظهار أنّ الصحيح: «أنّك لا تجوع».

فأمّا المتباعدة فلا يقع بالاتّصال فيها تعقيد، لأنّها متباينة مع الاتّصال لألفاظها، فلذلك جاز «إنّ لك وأنّك لاتظمؤا فيها» ولم يجز إنّ أنّك لا تظمؤا، لأنّه بغير فصل.

ثمّ أخبر تعالى أنّ إبليس وسوس لآدم، فقال له: ﴿هل أدلّك على شجرة الخلد...﴾ أي على شجرة إن تناولت منها بقيت في الجنّة مخلّداً لاتخرج منها، وحصل لك ملك وسلطان لايبلى على الأبد، ولا يهلك. وهي الشجرة الّتي نهاه الله تعالى عن تناولها. وقد قدّمنا اختلاف المفسّرين في ماهيّة تلك الشجرة فيما مضى[1] فلا وجه لإعادته.

قوله [تعالى]:

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ‌ٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ خمس آيات بلاخلاف.

أخبر الله تعالى عن آدم وحوّاء أنّهما أكلا من الشجرة الّتي نهى الله عن أكلها، وعندنا أنّ النهي كان على وجه التنزيه، والأولى أن يكون على وجه الندب دون نهي الحظر والتحريم، لأنّ الحرام لايكون إلّا قبيحاً، والأنبياء لايجوز عليهم شيء من القبائح لا كبيرها ولا صغيرها. وقال الجبّائي: لا تقع معاصي الأنبياء إلّا سهواً، فأمّا مع العلم بأنّها معاصي فلا تقع.

وقال قوم آخرون: إنّه وقع من آدم أكل الشجرة خطأً. لأنّه كان نهي

(١) راجع تفسير التبيان ٢: ١٠٠ وما بعدها.

عن جنس الشجرة فظنّ أنّه نهي عن شجرة بعينها، فأخطأ في ذلك[١].

وهذا خطأ، لأنّه تنزيه له من وجه المعصية، ونسبة المعصية إليه من وجهين: أحدهما: أنّه فعل القبيح. والثاني: أنّه أخطأ في الاستدلال.

وقال قوم: إنّها وقعت منه عمداً، وكانت صغيرة، وقعت محبطة. وقد بيّنّا أنّ ذلك لا يجوز عليهم [عليهم السلام] عندنا بحال[٢]. وقال الرماني: لمّا حلف إبليس لهما لم يقبلا منه، ولم يصدّقاه، ولكن فعلا ذلك لغلبة شهوتهما، كما يقول الغاوي للإنسان: ازن بهذه المرأة فإنّك إن أُخذت لم تحدّ، فلا يصدّقه، ويزني بها لشهوته، وقال الحسن: أكلت حوّاء أوّلاً وأبت عليه أن يجامعها حتّى يأكل منها، فأكل حينئذ.

وقوله: ﴿فبدت لهما سوآتهما﴾ أي: ظهرت لهما عوراتهما، لأنّ ما كان عليهما من اللباس نزع عنهما، ولم يكن ذلك على وجه العقوبة بل لتغيير المصلحة في نزعهما وإخراجهما من الجنّة وإهباطهما الأرض وتكليفهما فيها. وإنّما جمع سوآتهما، وهو لاثنين، لأنّ كلّ شيئين من شيئين، فهو من موضع التثنية جمع، لأنّ الإضافة تثنية مع أنّه لا إخلال فيه لمناسبة الجمع للتثنية. وقال السدّي: كان لباس سوآتهما الظفر. وقوله: ﴿طفقا﴾ يعني ظلّا، وجعلا يفعلان. وقوله: ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنّة﴾ فالخصف خيط الشيء بقطعة من غيره، يقال: خصفه يخصفه خصفاً، فهو خاصف وخصّاف. وقيل: إنّهما كانا يطبقان ورق الجنّة بعضه على بعض ويخيطان بعضه إلى بعض ليسترا به سوآتهما. وقوله: ﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾ معناه: خالف ما أمره الله به فخاب ثوابه، و«المعصية» مخالفة الأمر سواء كان

---

(١) نقله السيّد المرتضى في تنزيه الأنبياء: ٧ عن أبي عليّ الجبّائي.

(٢) راجع تفسير التبيان ٢: ١٠٣.

واجباً أو ندباً، قال الشاعر:

أمرتك أمراً جازماً فعصيتني[١]

ويقال أيضاً: أشرت عليك بكذا، فعصيتني، ويقال: غوى يغوي غواية وغياً إذا خاب، قال الشاعر:

فمَنْ يلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَهُ

ومَن يَغوِ لا يعدَم على الغيّ لائماً[٢]

أي من يخب، وفي الكلام حذف، لأنّ تقديره: إنّ آدم تاب إلى الله وندم على ما فعل، فاجتباه الله واصطفاه وتاب عليه أي قبل توبته، وهداه إلى معرفته وإلى الثواب الّذي عرضه له. وقوله: ﴿قال اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ﴾ يعني آدم وحوّاء وإبليس وذرّيته، وقد بيّنّا معنى الهبوط فيما تقدّم[٣] واختلاف الناس فيه.

والمعنى أنّه أخرج هؤلاء من الجنّة بأن أمرهم بالخروج منها على وجه تغيير المصلحة في أمره، ولإبليس على وجه العقوبة، وقد بيّنّا فيما تقدّم أنّ إخراج إبليس من الجنّة، كان قبل ذلك حين أمره الله بالسجود لآدم فامتنع فلعنه وأخرجه، وإنّما أغوى آدم من خارج الجنّة، لأنّه قيل: إنّ آدم كان يخرج إلى باب الجنّة، وذكرنا أقوال المفسّرين في ذلك فيما مضى[٤].

وقوله ﴿فإمّا يأتينّكم منّي هدى فمن تبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى﴾ معناه إن أتاكم هدى منّي بأن أكلّفكم، وأنصب لكم الأدلّة على

---

(١) أنشده الطبري ذيل الآية ونسبه إلى الحصين بن منذر الرقاشي.

(٢) أنشده السيّد المرتضى في الأمالي ١: ٣٦١، ونسبه إلى قعنب الفزاري.

(٣) راجع التبيان ٢: ١٠٩ و١١٠.

(٤) راجع التبيان ٢: ١٠٧ ـ ١٠٨.

ما آمركم به من معرفتي وتوحيدي والعمل بطاعتي، فمن اتّبع أدلّتي وعمل بما آمره به فإنّه ﴿لا يضلّ﴾ في الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة. وقال ابن عبّاس: ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألّا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

وقوله: ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ [أي من لم ينظر في ذكري الّذي هو القرآن والأدلّة المنصوبة على الحقّ وصدف عنها][(١)] ﴿فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ فالضنك: الضيق الصعب، منزل ضنك، أي ضيق، وعيش ضنك، لا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنّث، لأنّ أصله المصدر. ثمّ وصف به، قال عنترة:

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدُدْ وإن يلفوا بضَنكٍ أنزلِ

وقال أيضاً:

إنّ المنيةَ لو تُمثَّلُ مثّلتْ مثلي إذا نزلوا بضَنكِ المنزلِ[(٢)]

و«الضنك»: الضيق، في قول مجاهد وقَتادة: وقال الحسن وقَتادة وابن زيد: المعيشة الضنك هو الضريع والزقّوم في النار. وقيل: الضريع شوك من نار[(٣)]. وقال عكرمة والضحّاك: هو الحرام في الدنيا الّذي يؤدّي إلى النار. وقال ابن عبّاس: لأنّه غير موقن بالخلف، فعيشه منغّص. وقال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وأبو صالح والسدّي، ورواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ أنّه عذاب القبر[(٤)] ولقوله تعالى: ﴿ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى﴾

---

(١) مابين المعقوفتين لم ترد في الحجريّة.

(٢) ديوان عنترة: ١١٠ و١١١، والعبارة وردت في «س» هكذا: «قال عنترة: وإن نزلوا بضنك فانزل، وقال آخر: إذا بتو بضنك المنزل».

(٣) قاله ابن زيد كما في زاد المسير ٨: ٢٥٠.

(٤) النكت والعيون ٣: ٤٣١.

يقتضي أنّه عذاب القبر.

وقوله: ﴿ونحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى﴾ قيل: معناه نحشره يوم القيامة أعمى البصر[١]. وقيل: أعمى الحجّة[٢]. وقيل: أعمى عن جهات الخير لا يهتدي إليها[٣]. والأوّل هو الظاهر إذا أُطلق، فمن قال: أعمى البصر قال: معناه لا يبصر في حال ويبصر العذاب في حال. ومن قال: بالآخر قال: هو أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها. وقوله: ﴿قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ حكاية عمّا يقول الّذي يحشره أعمى ﴿لم حشرتني أعمى﴾ ذاهب البصر ﴿وقد كنت بصيراً﴾ أبصر بها. وهذا يقوّي أنّه أراد عمى البصر دون عمى البصيرة، لأنّ الكافر لم يكن بصيراً في الدنيا إلّا على وجه صحّة الحاسّة. وقيل: معناه كنت بصيراً بحجّتي عند نفسي.

قوله [تعالى]:

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَومَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَايَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ خمس آيات.

قرأ الكسائي وأبو عمرو عن عاصم ﴿ترضى﴾ بضمّ التاء، الباقون بفتحها. هذا جواب من الله تعالى لمن يقول ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت

(١) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) قاله مجاهد كما في النكت والعيون ٣: ٤٣١ وفيه «أعمى عن الحجّة.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣: ٤٣١ وفيه «وجهات» بدل جهات.

بصيراً﴾ فيقول الله له في جواب ذلك: كما حشرتك أعمى مثل ذلك: ﴿أتتك آياتنا﴾ يعني أدلّتنا وحججنا ﴿فنسيتها﴾ أي تركتها ولم تعتبر بها، وفعلت معها ما يفعله الناسي الّذي لم يذكرها أصلاً، ومثل ذلك اليوم تترك من ثواب الله ورحمته وتحرم من نعمه، وتصير بمنزلة من قد ترك في المنسين[1] بعذاب لا يفنى.

ثمّ قال: ومثل ذلك ﴿نجزي من أسرف﴾ على نفسه بارتكاب المعاصي، وتركالواجبات ولميصدّق بآيات ربّه وحججه. ثمّ قال سبحانه: ﴿ولعذاب الآخرة﴾ بالنار ﴿أشدّ وأبقى﴾ لأنّه دائم، وعذاب القبر وعذاب الدنيا يزول. وهذا يقوّي قول من قال: إنّ قوله: ﴿معيشة ضنكاً﴾ أراد به عذاب القبر.

ولايجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿فنسيتها﴾ النسيان الّذي ينافي العلم، لأنّ ذلك من فعل الله لايعاقب العبد عليه، اللّهمّ إلّا أن يراد أنّ الوعيد على التعرّض لنسيان آيات الله، فأجرى في الذكر على نسيان الآيات للتحذير من الوقوع فيه.

ثمّ قال تعالى: ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرونِ يمشونَ في مساكِنهم﴾ قيل: إنّ قريشاً كانت تتّجر إلى الشام فتمرّ بمساكن عاد وثمود، فترى آثار إهلاك الله إيّاهم، فنبّههم الله بذلك على معرفته وتوحيده[2]. وفاعل ﴿يهد﴾ مضمر يفسّره ﴿كم أهلكنا﴾ والمعنى: أو لم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون، ويجوز أن يكون المضمر المصدر يفسّر بـ﴿كم أهلكنا﴾ وموضع ﴿كم﴾ نصب بـ﴿أهلكنا﴾ في قول الفرّاء والزجّاج[3] وقال

---

(١) كذا في «س»، وفي الحروفيّة «في المنسيّ» وفي الحجريّة «كالمنسيّ».

(٢) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٣) انظر معاني القرآن للفرّاء ٢: ١٩٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٣: ٣٧٩.

بعضهم: إنّه رفع بـ﴿يهد﴾ وهذا خطأ، لأنّه خرج مخرج الاستفهام، كما يقول القائل: قد تبيّن لي أقام زيد أم عمرو؟. وقوله تعالى: ﴿إنّ في ذلك﴾ يعني في إهلاكنا القرون الماضية ﴿لآيات﴾ وحججاً لأُولي العقول. و«النهى» العقول، على ما بيّنّاه في غير موضع[١].

وقوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاماً وأجل مسمّى﴾ فيه تقديم وتأخير وتقديره: ولولا كلمة سبقت من ربّك وأجل مسمّى لكان لزاماً، ومعناه: لولا ما سبق من وعد الله بأنّ الساعة تقوم في وقت بعينه وأنّ المكلّف له أجل مقدّر معيّن لكان هلاكهم لزاماً أي لازماً أبداً. وقيل: معناه فيصلاً، يلزم كلّ إنسان طائره، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً. فالأوّل قول الزجّاج[٢] والثاني قول أبي عبيدة[٣]. وقال قوم: عذاب اللزام كان يوم بدر، قتل الله فيه الكفّار، ولولا ما قدّر الله من آجال الباقين ووعدهم من عذاب الآخرة لكان لازماً لهم أبداً في سائر الأزمان. وقال قَتادة: الأجل الأوّل يعني في قيام الساعة، والثاني الّذي كتبه الله للإنسان أنّه يبقيه إليه.

ثمّ قال عزّ وجلّ لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ من كفرهم بتوحيد الله وجحدهم لنبوّتك وأذاهم إيّاك بكلام يسمعونك يثقل عليك ﴿وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس﴾ يعني صلاة الفجر ﴿وقبل غروبها﴾ يعني صلاة العصر ﴿ومن آناء الليل﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿وأطراف النهار﴾ صلاة الظهر، في قول قَتادة. و﴿آناء الليل﴾ ساعات الليل، واحدها: إنْيٌ، قال السعدي:

حلوٌ ومرٌّ كعصف القدح مرّتُهُ ... بكلّ إنْي حذاه الليل ينتعلُ[٤]

وقيل في قوله: ﴿وأطراف النهار﴾: لم جَمع؟ ثلاثة أقوال: أوّلها: أنّه أراد

---

(١) راجع تفسير الآية ٥٤ من هذه السورة.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣: ٣٨٠.
(٣) مجاز القرآن ٢: ٣٢.
(٤) أنشده ابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٤١٧.

أطراف كلّ نهار. فالنهار في معنى الجمع. الثاني: أنّه بمنزلة قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾[١] الثالث: أنّه أراد طرف أول النصف الأوّل، وآخر النصف الأوّل، وأول النصف الأخير، وآخر النصف الأخير، ولذلك جمع.

وقوله ﴿لعلّك ترضى﴾ معناه: افعل ما أمرتك به لكي ترضى بما يعطيك الله من الثواب على ذلك. ومن ضمّ التاء أراد: لكي نفعل معك من الثواب ما ترضى معه. وقيل: لكي ترضى بالشفاعة. والمعاني متقاربة، لأنّه إذا أرضى الله النبيّ ﷺ فإنّه يرضى.

قوله [تعالى]:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ﴿زهرة﴾ بفتح الهاء يعقوب، وقرأ الباقون بسكونها، وهما لغتان. وقرأ نافع وأبو جعفر ـ من طريق ابن العلّاف ـ وأهل البصرة وحفص ﴿أو لم تأتهم﴾ بالتاء، الباقون بالياء، وقد مضى نظائره.

نهى الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ والمراد به جميع المكلّفين عن أن يمدّوا أعينهم، وينظروا إلى ما متّع الله الكفّار به، من نعيم الدنيا ولذّاتها و«الإمتاع»: الإلذاذ بما يدرك، وذلك بما يرى من المناظر الحسنة ويسمع

---

(١) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢: ١٩٥، وفيه: «وجه أن تجعل الظهر والعصر من طرف النهار الآخر، ثمّ يضمّ إليهما الفجر، فتكون أطرافاً» والآية من سورة التحريم: ٤.

من الأصوات المطربة، ويشمّ من الروائح الطيّبة. يقال: أمتعه إمتاعاً، ومتّعه تمتيعاً، إلّا أنّ في «متّعه» تكثير الإمتاع.

وقوله: ﴿أزواجاً منهم﴾ معناه أشكالاً منهم، من المزاوجة بين الأشياء، وهي المشاكلة، وذلك أنّهم اشكال في الذهاب عن الصواب. وقوله: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ فالزهرة الأنوار الّتي تروق عند الرؤية، ومن ذلك قيل للكوكب: يزهر، لنوره الّذي يظهر. والمعاني الحسنة زهرة النفوس. وقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ معناه: لنعاملهم معاملة المختبر، بشدّة التعبّد في العمل بالحقّ في هذه الأُمور الّتي خلقناها لهم.

وقوله: ﴿ورزق ربّك﴾ يعني الّذي وعدك به في الآخرة من الثواب ﴿خير وأبقى﴾ ممّا متّعنا به هؤلاء فيالدنيا. وقيل: إنّ هذه الآية نزلت على سبب، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله استسلف من يهودي طعاماً فأبى أن يسلفه إلّا برهن، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله هذه الآية تسليةله. وروىذلك أبورافع مولاه[١]. وقيل: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ زينة الحياة الدنيا، في قول قَتادة[٢].

ثمّ قال لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: و﴿أمر﴾ يا محمّد ﴿أهلك بالصلاة﴾ وقيل: المراد به أهل بيتك، وأهل دينك، فدخلوا كلّهم في الجملة ﴿واصطبر عليها﴾ بالاستعانة بها على الصبر عن محارم الله. ثمّ قال له: ﴿لا نسألك رزقاً نحن نرزقك﴾ الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله والمراد به جميع الخلق، فإنّ الله تعالى يرزق خلقه، ولا يسترزقهم، فيكون أبلغ في المنّة ﴿والعاقبة للتقوى﴾ يعني العاقبة المحمودة لمن اتّقى معاصي الله واجتنب محارمه.

وفي الآية دلالة على وجوب اللطف، لما في ذلك من الحجّة، لمن في المعلوم أنّه يصلح به ولو لم يكن فيه حجّة لجرى مجرى أن تقول: لولا

---

(١) تفسير الطبري ذيل الآية.

(٢) النكت والعيون ٣: ٤٣٣.

فعلت بنا ما لا يحتاج إليه في الدين ولا الدنيا، من جهة أنّه لا حجّة فيه كما لا حجّة في هذا.

وقوله: ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ إخبار منه تعالى أنّه لو أهلكهم بعذاب أنزله عليهم جزاءً على كفرهم ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة: ﴿لولا أرسلت﴾ أي هلّا أرسلت ﴿إلينا رسولاً﴾ يدعونا إلى الله ويأمرنا بتوحيده ﴿فنتّبعَ﴾ أدلّتك و ﴿آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى﴾ أي قبل أن نهون، يقال: خزي يخزى إذا هان وافتضح.

وقوله تعالى: ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه﴾ حكاية عمّا قال الكفّار للنبيّ ﷺ: هلّا يأتينا بآية من ربّه، يريدون الآية الّتي يقترحونها، لأنّه أتى بالآيات.

ومن قرأ بالتاء وجّه الخطاب إليه، ومن قرأبالياء حكى بأنّهم قالوا فيما بينهم: هلّا يأتينا بالمعجز ودلالة[1] تدلّ على صدق قوله، فقال الله لهم: ﴿ألم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأُولى﴾ يعني ألسنا[2] بيّنّا ذلك في الكتب الّتي أنزلناها على موسى وعيسى، فلم[3] لم يؤمنوا بها ويصدّقوا بها؟

ومن قرأ بالتاء وجّه الخطاب إليه، فقال الله تعالى لنبيّه: ﴿قل﴾ لهم يا محمّد ﴿كلّ متربّصٌ﴾ أي كلّ واحد منّا ومنكم متربّص، فنحن نتربّص بكم وعد الله لنا فيكم وأنتم تتربّصون بنا أن نموت، فتستريحوا ﴿فستعلمون﴾ أي سوف تعلمون فيما بعد ﴿من أصحابُ الصراط السويّ﴾ يعني الصراط المستقيم و ﴿من﴾ الّذي ﴿اهتدى﴾ إلى طريق الحقّ. و﴿من﴾ يحتمل أن تكون نصباً إن كانت بمعنى الّذي وأن تكون رفعاً على طريقة الاستفهام.

---

(١) في «س»: «بمعجزة ودلالة»، وفي الحروفيّة: «بالمعجزة أو دلالة».

(٢) في «س»: «اننا» بدل «ألسنا».

(٣) في الحجريّة «ما لم».

الفهارس

فهرس الآيات المستشهد بها
فهرس الأشعار والأرجاز
فهرس المباحث العامّة
فهرس السور

فهرس الآيات

رقم الآية		الصفحة
	البقرة (٢)	
١ و ٢	الم ۞ ذلك الكتاب... هدىً للمتّقين	٤ و ٣٦٧
١٤	قالوا آمنا... إنّا معكم	٤٢٥ و ٥٧٣
١٥	ويمدّهم في طغيانهم يعمهون	٦٧٩
١٦	فما ربحت تجارتهم	٢٩
٣٤	إذ قلنا للملائكة اسجدوا...	٤٨٠
٣٥	اسكت أنت وزوجك الجنّة	١٥١
٦٦	فجعلناها نكالاً لما...	٤٩٤
٨٥	أفتومنون ببعض الكتاب... عمّا تعلمون	١٣٧ و ٤٩٢
٨٩	وكانوا من قبل يستفتحون على...	٢٢٩
١٠٢	ولبئس ماشروا به أنفسهم...	٣٢
١١٣	قالت اليهود	١٧٦ و ٢١٦
١٥٠	لئلّا يكون عليكم حجّة...	٤٧٧
١٧٩	ولكم في القصاص حياة	٤٥٤
١٨٥	فمن شهد منكم الشهر...	١٦٣

١٩٠	ولا تلقوا بأيدكم	٣٢٨
٢٠٤	وهو ألدّ الخصام	٦٨٩
٢٢٢	يسألونك عن المحيض	٥٤٢ و٥٩٣
٢٢٩	إلّا أن يخافا ألّا يقيما...	٦١٣
٢٤٥	من ذا الّذي يقرض الله...	٤٤٠
٢٥٥	ولا يحيطون بشيء من علمه	٥٧٨
٢٥٩	خاوية على عروشها	١٢٩
٢٦٩	ومن يُؤتَ الحكمة فقد...	٦٣١
٢٧٥	كما يقوم الّذي يتخبّطه...	٣٩٧
٢٨٣	فيلؤدّ الّذي أوتمن...	٩٠
٢٨٦	لا تؤاخذنا إن نسينا أو...	٤٥٢

آل عمران (٣)

١٢	قل للّذين كفروا ستغلبون...	٢٦٠ و٤١٧
٤٢ و٤٥	إذ قالت الملائكة	٣٢١
٤٦	ويكلّم الناس في المهد وكهلاً	٤٤٥
٥٥	مرجعكم	٥٤٢
٥٩	إنّ مثل عيسى عند...	٣٤٨
٦٤	إلى كلمة سواء بيننا...	٧١٦
٩٧	مقام إبراهيم	٦٧٦
١١٠	كنتم خير أُمّة أُخرجت للناس	٤٨٩
١١١	لا تخف دركاً	٧٢٨
١١٢	باءوا بغضب من الله	٨٤

١١٩	عضّوا عليكم الأنامل...	٢٢٥
١٢٢	إذ همّت طائفتان منكم...	٣٩
١٣٤	والكاظمين الغيظ	١١٢
١٣٩	لا تهنوا ولا تخزنوا...	٦٣٥
١٧٠	فرحين بما آتاهم الله...	١٩٠
١٧٥	يخوّف أولياءه	٥٣١
١٧٨	إنّما نملي لهم...	٢٠٠
١٨٠	لا يحسبنّ الّذين يبخلون...	٤٢٦
١٨٢	ذلك بما قدّمت أيديكم	٤٣٣
١٩١	الّذين يذكرون الله قياماً	٦٩٥

النساء (٤)

٤	فإن طبن لكم عن شيء...	٦٥٢ و ٦٥٤
٦	ولا تأكلوها إسرافاً...	٤٥٣
١٠	إنّ الّذين يأكلون... بطونهم ناراً	٤٥٤
١١	يوصيكم الله في... وورثة أبواه...	٤٦ و١٢٨ و ١٥٠
٢٠	وإن أردتم استبدال زوج...	٦٠٨
٥٦	كلّما نضجت جلودهم...	٦٠٨
٦١	رأيت المنافقين يصدّون عنك...	٢٠١
٦٦	أن قتلوا... وأشدّ تثبيتاً	١٥ و ٢٠٩
٦٩	وحسن أُولئك رفيقاً	٤١٨
٩٤	فثبتوا	٢١٠
١٠٢	وإذا كنت فيهم فأقمت...	٤٣٧

١٢٥	واتّخذ الله إبراهيم خليلاً	٤١٨
١٢٨	وإن امرأة خافت من...	٦١٣
١٤٦	أخلصوا دينهم	٣٨ و ٢٩٤
١٦٣	إنّا أوحينا إليك كما...	١٣٩
١٦٧	الّذين كفروا وصدوا عن...	٢١٠

المائدة (٥)

٢	وإذا حللتم فاصطادوا	٧٢٦
٦	إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا	٣٩٧ و ٤٣٦
٨	لا يجرمنّكم شنأن قومٍ على...	٣٦٦
١١	إذ هم قوم أن يبسطوا...	٣٨
١٨ و ٦٤	قالت اليهود	١٧٦ و ٢١٦
٢٩	انّي أريد أن تبوء...	٣٣٨
٤٨ و ١٠٥	إلى الله مرجعكم	٥٩٣
١١٠	وإذ تخلق من الطين...	٣٣٣
١١٢	هل يستطيع ربّك أن ينزّل...	٦٢٦
١١٦	تعلم ما في نفسي...	٧٠٠

الأنعام (٦)

٦	مكنّاهم في الأرض مالم...	٨٤
٨	لولا أنزل عليه ملك	٢٧٣
٢٣	والله ربّنا ما كنّا مشركين	٤٠٥
٢٥	وفي آذانهم وقراً	٥٩١

٢٧	ارجعنا تعمل صالحاً	٢٦٩
٣٢	وللدار الآخرة	١٤١
٧٠	وذر الّذين اتّخذوا دينهم...	٢١
٧٣	عالم الغيب والشهادة	١٣٤ و ٥٦٠
٧٦	جنّ عليه الليل	١٨٨
٨٠	أتحاجّونّي	٢٩٩
٩٣	عذاب الهون	٣٦١
٩٦	فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً	٢٣٤
١١١	ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة	٢٧٣
١١٢	يوحي بعضهم إلى... غروراً	٣٧٣
١٢٢	أو من كان ميتاً فاحييناه	٣٢٢
١٣٥	فسوف تعلمون من تكون...	٢١٢
١٣٦	فقالوا هذا لله بزعمهم...	٣٦٠
١٣٩	ما في بطون هذه الأنعام...	٤٠٩
١٤٦	وعلى الّذين هادوا حرّمنا...	٤١٠

الأعراف (٧)

١٢	ما منعك ألّا تسجد... من طين	٧٣٨ و ٧٥١
١٩	اسكن أنت وزوجك الجنّة	١٥١
٣٨	ربّنا هؤلاء أضلّونا...	٤٠٥
٤١	لهم من جهنّم مهاد	٤٢٨
٥٠	أفيضوا علينا من الماء...	٢٥١
١٠٥	حقيق على أنّ لا أقول	٣٠٠

١١٠	فماذا تأمرون	٧٩
١٢٣	آمنتم به	٧٢٦
١٣١	إنّما طائرهم عند الله	٤٣٢
١٣٤	لئن كشفت عنّا الرجز...	٥١٦
١٥٠	وكادوا يقتلونني	٢٩٩
١٦٤	إذ قالت أُمّة	١٧٦
١٧٦	ولكنّه أخلد إلى الأرض	٥١١
١٨٣	وأُملي لهم إنّ كيدي متين	١٠٣
١٨٧	لا تأتيكم إلّا بغتةً	٧٠٠
١٩٩	وأعرض عن الجاهلين	٤٤٩
٢٠٠	وإمّا ينزغنك من...	١٣١

الأنفال (٨)

١٦	ومن يولّهم يومئذ دبره...	٣٩
١٧	وما رميت إذ رميت...	٨٣ و٤٢٦
٣٢	اللّهمّ... أمطر علينا حجارة من...	١٥٩ و٥٨٩
٤١	فأنّ لله خمسه وللرسول...	٣٩٠

التوبة (٩)

١٤ و١٥	قاتلوهم يعذبهم... * ويتوب الله...	٢٢٠
٢٨	إنّما المشركون نجس	٦٦٣
٢٩	حتّى يعطوا الجزية عن...	٥٥
٣٠	قالت اليهود	١٧٦ و٢١٦

٣٣	ليظهره على الدين كلّه	٢٦٠
٣٤	والّذين يكنزون الذهب...	٦٩٥
٦٢	والله ورسوله أحق...	٦٩٥
٦٥	ولئن سألتهم ليقولنّ... ونلعب	٢١ و٢٣
٨٠	استغفر لهم أو لا تستغفر...	٥٥٣
٩٤ و١٠٥	عالم الغيب والشهادة	١٣٤
١٠١	وممّن حولكم من الأعراب...	١٧٩
١٠٣	خُذ من أموالكم...	٦٣٥
١١٣	ما كان للنبيّ والذين...	٤٤٦
١١٤	فلما تبيّن له أنّه عدو...	٢٥٤
١٢٠	لا يضيع أجر المحسنين	١١٨
١٢٥	فزادتهم رجساً إلى رجسهم	٢٩٤

يونس (١٠)

٦٤	لا تبديل لكلمات الله	٦٠٧
٦٧	والنهار مبصراً	٤٧٨
٨٩	قد اجيبت دعوتكما	٥١٧
٩١	ء الآن وقد عصيت	٢٦٨
٩٣	بوّانا بني إسرائيل...	٣٤٩

هود (١١)

١	من لدن حكيم خبير	٥٢٨
٣٦	وأُوحى إلى نوح	١٣٩

٤٥	إنّ ابني من أهلي	١١٦
٦٠	وأُتبعو في هذه الدنيا لعنةً	٦١٤
٧٥	إنّ إبراهيم لحليم آوّاه منيب	٧٠
٧٧	ولمّا جاءت رسلنا	١٢٦
٨٩	لا يجر منّكم شنآن قومٍ...	٣٦٦
١١٥	لا يضيع أجر المحسنين	١١٨

يوسف (١٢)

٧	لقد كان في يوسف	٥
٢٣	وراودته الّتي... عن نفسه	٤٢
٢٤	كذلك لنصرف... المخلصين	٤٢
٢٨	إنّه من كيدكن...	٤٢
٢٩	يوسف أعرض عن...	٤٢
٣٠	وقال نسوة في المدنية...	٤١ و١٧٦
٣١	وقالت أخرج	١٥
٣٢	قالت فذلكتّ الّذي... ولقد راودته...	٤٢
٣٣ و ٣٤	ربّ السجن... ❊ ... عنه كيدهنّ	٤٢
٥١	من سوء... الأن حصحص.. أنا راودته...	٤٢ و٤٣
٥٢	ذلك ليعلم أني لم...	٤٢
٥٤	ائتوني به أستخلصه...	٤٢
٦٣	وإنّا له لحافظون	٩١
٦٥	ونحفظ أخانا	٩١
٧٦	كدنا ليوسف	٦٨٦
٨٢	واسأل القرية	٩٨ و٥٥٧

٩٠	لا يضيع أجر المحسنين	١١٨
٩٨	يا أبانا استغفر لنا...	١٦

الرعد (١٣)

٩	عالم الغيب والشهادة	١٣٤ و ٥٦٠
١٤	وما دعاء الكافرين إلّا...	٥٧
٢٤	سلام عليكم بما صبرتم...	١٨٧
٣١	ولو أن قرأنا... حتّى يأتي وعد...	٥٩ و ٥٧٤ و ٦٨٧

إبراهيم (١٤)

١٧	ومن ورائه عذاب	٦٣٩
٣٥	إذ قال إبراهيم	١٥٧

الحجر (١٥)

٩	إنّا نحن نزّلنا الذكر	٣٢١

النحل (١٦)

٨	والخيل والبغال والحمير...	٤٨٩
١٥	وألقى في الأرض رواسي...	٣٢٨ و ٣٣٥
٢٢	وإلهكم إله واحد	٣٣٥
٢٧	أين شركائي	٩١
٤٠	كن فيكون	٣١٩ و ٣٨١
٤١	والّذين هاجروا في الله	٣١٩
٤٤	وأنزلنا إليك الذكر	٣٢١

٦٠ ولله المثل الأعلى ٢٠٤
٦٦ نسقيكم ممّا في بطونه... ٢٨٥
٧٤ فلا تضربوا لله الأمثال ٣٦٢
٧٧ وما أمر الساعة إلّا... ٣٢٠
١٢٤ وإنّ ربّك ليحكم بينهم ١٤٢ و٢٦٧
١٢٦ وإن عاقبتم ٣١٩

الإسراء (١٧)

١ وما أمر الساعة إلّا كلمح... ٣٢٠
٢٣ وقضى ربّك إلّا تعبدوا... ٤٢٣
٤٤ وإن من شيء إلّا... ٤٢٠
٨٠ أدخلني مدخل صدقٍ ٥٩٣
٩٠ لن نؤمن لك حتّى... ٢٢٨ و٥٢٣ و٥٣٤ و٥٧٠
٩١ فتفجر الأنهار خلالها... ٥٠٥
٩٧ ونحشرهم يوم القيامة... ٧٤٤
١١٠ قل ادعوا الله أو... ولا تجهر... وابتغ... ١٩٥ و٧٤٤

الكهف (١٨)

٢ لينذر بأساً شديداً... ٥١٤
١٨ وكلبهم باسط ذراعيه ١٤٣
٢٣ و٢٤ ولا تقولنّ لشيء أني... * إلّا أن يشاء الله ١٢٩
٢٩ وإن يستغيثوا... وساءت مرتفقاً ٢٣٢ و٥٣٣
٣٢ جعلنا لأحدهما... بينهما زرعاً ١٥٣
٣٣ وفجّرنا خلالهما نهراً ٥٠٥

٤٢	فأصبح يقلب... خاوية على عروشها	١٢٩ و٥٦٦
٤٩	لا يغادر صغيرة ولا...	٤٣٢
٥٣	ورأى المجرمون النار...	٥١٣
٧٧	جداراً يريد أن ينقضّ	٣٩ و٤٣٧
٧٩	وكان وراءهم ملك	٦٣٩
٨٠	فخشينا أن يرهقهما	٦٦٢
٩٣	لا يكادون يفقهون قولاً	٥١٤
٩٦	أُتوني أفرغ عليه قطراً	٢٦٤
١١٠	قل إنّما أنا بشر مثلكم	٥٠٧

مريم (١٩)

١١	فأوحى إليهم أن سبّحوا	٣٧٢
٥٢	وقرّبناه نجيّاً	١٠٧
٨٣	إنّا أرسلنا الشياطين على...	٤٢٤

طه (٢٠)

١٥	أكاد أُخفيها	٦٨٦
٨٦	أن يحلل عليكم غضب...	٧٣٢
١٠٧	لاترى فيها عوجاً ولا أمتا	٢٦٢ و٥٣٥

الأنبياء (٢١)

٣	واسرّوا النجوى الّذين ظلموا	٤٤٢
٢٢	لو كان فيهما آلهة...	٤٦٣

٥٥	أجئتنا بالحقّ أم أنت...	٢١
٧٧	ونصرناه من القوم...	٤٥٤
٩٧	فإذا هي شاخصة	٥٧٣
١٠١	إنّ الّذين سبقت لهم...	٦٧٧
١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور...	٢٠٩
١١٢	ربّ احكم بالحقّ	٥٨

الحجّ (٢٢)

١	إنّ زلزلزة الساعة...	٦٤٢
٥	لنبيّن لكم ونقرّ...	٢٢٠
٢٥	إنّ الّذين كفروا... والمسجد الحرام	٢٠١
٣٠	اجتنبوا الرجس من الأوثان	١٣٣ و ٣١٤
٣١	خرّ من السماء...	١٣٠
٤٥	خاوية على عروشها	١٢٩
٧٢	بشرٍّ من ذلكم النار	٦٩٣
٧٥	الله يصطفي... ومن الناس	٥٨٥ و ٥٨٦ و ٦٦٨

المؤمنون (٢٣)

١٤	أحسن الخالقين	٣٣٣
٢٠	تنبت بالدهن	٣٢٨ و ٦٥١
٣٥	أيعدكم أنكم إذا متّم	٦٢
٤٠	عمّا قليل ليصبحنّ نادمين	٥٢٥
٥٠	وجعلنا ابن مريم وأُمّه آية	١٣

٩٢	عالم الغيب والشهادة	١٣٤
١٠٠	ومن ورائهم برزخ	٦٠٩
١٠٨	اخسئوا فيها ولا تكلّمون	٢٩١

النور (٢٤)

٢	وليشهد عذابهما طائفة	٥٧٧
٢٠	ولولا فضل الله عليكم...	٤١
٣١	أو الطفل الّذين لم...	٣٣٢
٤٠	لم يكد يراها	٢٣١
٥٥	وليبدلنهم	٦٠٧

الفرقان (٢٥)

١٢ و١٣	سمعوا لها... ❊ ... دعوا هنالك...	٥١٣
٢١	وعتو عتوّاً كبيراً	٦٤٠
٢٣	وقدمنا إلى ما عملوا من...	٢٣٣
٤١	أ هذا الّذي بعث الله رسولاً	٥٨٤
٦٠	وما الرحمن أنسجد...	١٩٥
٦٣	وعباد الرحمن... وإذا خاطبهم...	٢٩٧ و٣٦٢
٧٥	ويلقون فيها تحيةً وسلاماً	٤٣٢

الشعراء (٢٦)

٢٢	وتلك نعمة تمنّها عليَّ	١١٩
٢٧	إن رسولكم الّذي أرسل...	٥١٧
٣٥	يريد أن يخرجكم... فماذا تأمرون	٧٩ و٨٠

٦٠	فأتبعوهم مشرقين	٦١٤
٨٦	إنّه كان من الضالّين	٢٥٤

النمل (٢٧)

٣	وهم بالآخرة هم يوقنون	٦٢
٨	بورك من... ومن حولها	١٧٩
١٣ و ١٤	فلمّا جاءتهم... * وجحدوا بها...	٥١٦
١٨	يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم	٩
٢٤	وزيّن لهم الشيطان...	٢٠٢
٣٤	وجعلوا أعزة... وكذلك يفعلون	٧٩
٦٠	حدائق ذات بهجة	٦٩٦
٧٢	ردف لكم	٨٤
٨٦	والنهار مبصراً	٤٧٨
٨٧	وكلّ اتوه داخرين	٤٦٠

القصص (٢٨)

٧	وأوحينا إلى أمّ موسى	٣٧٢
٨	فالتقطه آل فرعون...	٢٤٥
١١	وقالت لأُخته قصّيه	٥٤٠
٢٣	ولما وَرَدَ ماء مدين	٦٧٧
٢٦	يا أبت استأجره	٣٤
٣٠ و ٣١	نودي... إنّي أنا ربّ... * يا موسى أقبل...	٦٦٦ و ٦٩٨
٣٤ و ٣٥	وأخي هارون... * سنشدّ عضدك...	٧٠٦
٣٨	فأوقد لي يا هامان...	١٧٩

٤٢	واتبعناهم في هذه لعنة	٦١٤
٦٢ و ٧٤	أين شركائي	٩١
٦٣	تبرّ أنّا إليك ما كانوا...	٦٨٣
٧٦	ما إنّ مفاتحه... إنّ الله لا يحبّ...	١٩٠ و ٤٣٧
٨٨	وكلّ شيء هالك إلّا وجهه	٤٢٥

العنكبوت (٢٩)

١٢	اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم	٧٠٨
١٧	إنّما تعبدون من... وتخلقون إفكاً	٣٣٣ و ٧٢٤
٣١	ولمّا جاءت رسلنا	١٢٦
٣٣	ولمّا أن جاءت رسلنا	١٢٦
٤٣	وتلك الأمثال... إلّا العالمون	٣٦٣

الروم (٣٠)

٢٧	وهو الّذي يبدؤا الخلق...	٤٧٠

لقمان (٣١)

٧	وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى...	٥٩١
١٠	وألقى في الأرض رواسي أن تميد	٣٢٨
٢٧	ولو أنّما في الأرض من	٦٣١

السجدة (٣٢)

٦	عالم الغيب والشهادة	١٣٤
١٢	فارجعنا نعمل صالحاً	٢٦٩

٢٧ أولم يروا أنّا نسوق... ٥٣٥

الأحزاب (٣٣)

٣٥ والحافظين فروجهم والحافظات ٢٠٩

سبأ (٣٤)

٣٧ لهم جزاء... الغرفات آمنون ٥٦٧ و٦١٨

فاطر (٣٥)

١ فاطر السموات والأرض ٢٣٤

يّس (٣٦)

١٩ قالوا طائركم معكم ٤٣٢
٣٠ يا حسرةً على العباد ٣١
٣٩ والقمر قدراته... كالعرجون القديم ١٢٥ و٢٨١ و٤٣١
٧٨ و٧٩ من يحيي... * قل يحييها الّذي... ٤٧٠

الصافات (٣٧)

٦ زيّنا السماء الدنيا بزينة... ٣٣٢
٩ ولهم عذاب واصب ٣٥٧
١٠ إلّا من خطف الخطفة ٢٨٠
١٢٥ أحسن الخالقين ٣٣٣
١٤٣ فلو لا أنّه كان من المسبّحين ٣٢١ و٤١٩
١٥٣ أصطفى البنات على البنين ٦٨٢

ص (٣٨)

٥٠	مفتّحةً لهم الأبواب	٢٧٧
٧٥	لما خلقت بيديّ	٢١٤

الزمر (٣٩)

٥	يكوّر الليل على النهار...	١٥١
٢٣	الله نزّل أحسن الحديث...	٣١٤
٤٢	فيمسك الّتي قضى عليها...	٦٨٣
٤٦	عالم الغيب والشهادة	١٣٤
٥٣	يا عبادي الّذين أسرفوا...	٤٥٤
٦٠	ويوم القيامة ترى الّذين...	٢٣٢
٦٤	تأمروني	٢٩٩
٦٨	ونفخ في الصور فصعق...	٢٧٠
٧٣	وسيق الّذين اتّقوا... حتّى إذا جاءُوها	٢٧٠ و٤٣٦
٧٤	فنعم أجر العاملين	٤٣٦

غافر (٤٠)

١٥	رفيع الدرجات... يلقى الروح من...	٣٢٢ و٦٦٨
٢٠	الله يقضي بالحقّ	٤٢٣
٣٧	وكذلك زُيّن لفرعون...	٢٠٢
٦١	والنهار مبصراً...	٤٧٨
٧١	إذ الأغلال في أعناقهم	١٥٨

فصلت (٤١)

٥	وقالوا قلوبنا في أكنّة...	٥٩١

٨	لهم أجر غير ممنون	١٢٠ و٢٢٨ و٧٠٨
١٢	فقضاهنّ سبع سماوات	٤٢٣
١٧	وأمّا ثمود فهديناهم...	٣٤٥ و٤٠٢
٣٠	وأبشروا بالجنّة الّتي كنتم...	١٢٥
٣٦	وإمّا ينزغنك من الشيطان...	١٣١
٤٠	اعملوا ما شئتم	٤٨٤
٤٢	لا يأتيه الباطل من بين يديه...	٢٧٤

الشورى (٤٢)

١ و٢	عسق * كذلك يوحى...	١٣٩ و١٤٠
٢٢	ترى الظالمين مشفقين...	٢٥٩
٢٧	ولو بسط الله الرزق...	٤٥٠
٢٨	من بعد ما قنطوا	٣٠١
٥١	إلّا وحياً أو من وراء...	٣٧٢
٥٢	وكذلك أوحينا إليك...	٣٢٢ و٥٠٣

الزخرف (٤٣)

١٩	وجعلوا الملائكة الّذين هم...	٣٦٠
٣٣	لجعلنا لمن يكفر بالرحمن...	٢٣٣
٤٩	يا أيّها الساحر ادع...	٥١٦
٥٢	ولا يكاد يبين	٧٠٥
٥٥	فلما أسفونا انتقمنا منهم	٧٣٤

الدخان (٤٤)

٤٣	إنّ شجرة الزقّوم...	٤٧٩

الجاثية (٤٥)

١٠	من ورائهم جهنّم	٦٠٩

الأحقاف (٤٦)

١٥	حملته أمّه كرهاً...	١٧٤
١٧	أتعدانني	٢٩٩
٢٠	عذاب الهون	٣٦١
٢٦	مكّنّاهم فيما إن...	٨٤
٣٥	فاصبر كما صبر أولوا...	٢٠٠

محمّد (٤٧)

١	الّذين كفروا وصدّوا...	٢٠١
٤	ولو يشاء الله لا نتصر...	٣٩٤
١٥	وسقوا ماءً حميماً...	٢٣٢
٣١	ولنبلونّكم حتّى نعلم	١٤٩

الفتح (٤٨)

٢٥	وهم الّذين كفروا وصدّوكم...	٢٠١
٢٨	ليظهره على الدين كلّه	٢٦٠

الحجرات (٤٩)

١٤	قالت الأعراب	١٧٦

ق (٥٠)

١٩	وجاءت سكرة الموت بالحقّ	٢٠٧

٢١	وجاءت كلّ نفس معها سائق وشهيد	٢٧٠

الذاريات (٥١)

٣٣ و ٣٤	حجارةً من سين * مسوّمةً...	٣٠٩

النجم (٥٣)

١	والنجم إذا هوى	٣٣٢

القمر (٥٤)

١	اقتربت الساعة	٣٢٠
٤٧	إنّ المجرمين في ظلالٍ وسعرٍ	٣٤٥

الرحمن (٥٥)

١٤	خلق الإنسان من...	٢٨٧
٦	والنجم والشجر يسجدان	٣٣٢

الواقعة (٥٦)

٨٢	وتجعلون رزقكم...	٢٢٩
٨٩	فروح وريحان	٣٢٢
٩٥	حقّ اليقين	١٤٧ و ٢٧١

الحديد (٥٧)

٢٥	وأنزلنا الحديد فيه بأس	٥٢١

المجادلة (٥٨)

١٦ اتّخذوا أيمانهم جُنّةً ٤١٨

٢٢ كتب في قلوبهم الإيمان ٥٦٣

الحشر (٥٩)

٢٢ عالم الغيب والشهادة ١٣٤

الممتحنة (٦٠)

٤ إلّا قول إبراهيم لأبيه... ٢٥٤

الصَّفّ (٦١)

٩ ليظهر على الدين كلّه ٢٦٠

الجمعة (٦٢)

٨ قل إنّ الموت... عالم الغيب والشهادة ١٣٤ و٣٥٨

المنافقون (٦٣)

١٠ فأصدّقون وأكن من ١٢١

التغابن (٦٤)

١٨ عالم الغيب والشهادة ١٣٤

الطلاق (٦٥)

٧ ومن قدر عليه رزقه ٣٠٣

التحريم (٦٦)

٤	فقد صغت قلوبكما	٧٦١
٥	أن يبدّله	٦٠٧
٦	لا يعصون الله ما أمرهم...	٣٥٦

الملك (٦٧)

٤	ينقلب إليك البصر...	٤٥٠
٢٠	إن الكافرون إلّا في غرور	٢٥٨
٣٠	غوراً	٥٧٥

القلم (٦٨)

١٧ و١٨	إنّا بلوناهم كما... * ولا يستثنون	٣٢٠ و٤١٩
٢٨	لو لا تسبّحون	٤١٩

الحاقّة (٦٩)

١٩	هاؤم اقرؤا كتابيه	٤٣٢
٢٠	ظننت أنّي ملاق حسابيه	٦٧
٣٧	لا يأكله إلّا الخاطئون	٤٥٢
٥١	... لحق اليقين	١٤٧ و٢٧١ و٦١٧

نوح (٧١)

٢٢	ومكروا مكراً كبّارا	٢٥٩

الجن (٧٢)

١	قل أُحي إليّ	١٤٠

٢٦	عالم الغيب فلا يظهر على...	٥٥٩

المزمّل (٧٣)

٨	وتبتّل إليه تبتيلاً	٤٦٤
٢٠	تجدوه عند الله هو خيراً	٣٩٣

المدّثّر (٧٤)

٣٠	تسعة عشر	٦
٥٥	فمن شاء ذكره	٦٧٤

القيامة (٧٥)

٢٢	وجوه يومئذٍ ناضرة	٤٢٥

الإنسان (٧٦)

١١	ولقّاهم نضرة وسروراً	٤٣٢
٢١	وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً	٣٦٨

النباء (٧٨)

١١	وجعلنا النهار معاشاً	٥٩٣
٢٠	وسيِّرت الجبال فكانت سراياً	٥٨١

النازعات (٧٩)

٤٠	إنّما أنت منذر...	٣٦٧
٢٤	أنا ربّكم الأعلى	٥٧٦

عبس (٨٠)

١٢ فمن شاء ذكره ٦٧٤

٣٨ و ٣٩ وجوه يومئذٍ... ❊ ضاحكةً مستبشرة ٤٢٥

الانفطار (٨٢)

٢ إذا المساء انفطرت ٦٨٤

١٩ والأمر يومئذٍ لله ٤٤٥

المطفّفين (٨٣)

١٩ ـ ٢١ وما أدراك... ❊ كتاب... ❊ يشهده المقرّبون ٥٣٧

الانشقاق (٨٤)

٢٥ لهم أجر غير ممنون ١٢٠ و ٢٢٨ و ٧٠٨

الطارق (٨٦)

٣ والنجم الثاقب ٣٣٢

الفجر (٨٩)

١٤ إنّ ربّك لبالمرصاد ٢٩٥

البلد (٩٠)

١٤ و ١٥ أو إطعام في يومٍ... ❊ ... يتيماً ٣٧٨

الليل (٩٢)

١٩ و ٢٠ وما لاحدٍ عنده... ❊ إلّا ابتغاء... ٦٩٣

التِّين (٩٥)

٦ لهم أجر غير ممنون ٢٢٨ و٧٠٨

العلق (٩٥)

١٥ لسنفعاً بالناصية ٤٢٥

القدر (٩٧)

٤ تنزّل الملائكة والروح فيها ٢٧٤

الزلزلة (٩٩)

٥ بأنّ ربّك أوحى لها ٣٧٢ و٤٢٧

التكاثر (١٠٢)

٥ و٦ كلّا لو تعلمون... * لترونّ الجحيم ٤١

العصر (١٠٣)

٢ إنّ الإنسان لفي خسر ٢١٢

التوحيد (١١٢)

١ قل هو الله أحد ٥٧٣

فهرس الأشعار والأرجاز

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
		[الألف]	
اصبحت	إن نفرا	...	٢١
أكفراً بعد	الرتاعا	القطامي	٢٣
حتّى إذا	شبّوا	...	٢٦
حتّى إذا	معقولا	الراعي	٢٩
يشكو	مبتلىٰ		٣٠ و٦٠٧
أبلغ	هيتا	...	٣٦
ولله صعلوك	مقدما	حاتم طيّ	٣٨
وكنت	شمالكا	أبو الأسود الدؤلي	٣٩
فلو	أنفسا	امرؤ القيس	٤١
كأنّا	إيّانا		٤٩
يأتي	إكباراً		٥٢

وصلّ	فاعبدا		٥٥
إلى هند	تُصبىٰ		٥٦
وإن يك	أصابوا		٦٧
وحصص	صمّما	حميد بن ثور الهذلي	٧٩
بكاء	وابني ما	...	٩٩
حتّى إذا	زعيماً	ليلى الأخيلية	١٠٠
الواهب	أطفالها	الأعشى	١١٧
وهبّت	صرما	النابغة	١١٧
دع الدهر	أفندا	ابن مُقبل	١٢٤
فلما	العمارا	أعشى بني ثعلبة	١٣٠
ولا تبعد	السبيلا		١٣٩
أمتك	خلاباً		١٤٢
كأنّ عينيّ	سُحَقاً	زهير	١٥٣
ولا سيّء	بزلا	...	١٥٩
فلو أنّها	أنفساً	امرؤ القيس	١٩٧
فأقسم	مدفعاً	...	١٩٧
حتّى إذا	أعصامها	لبيد	١٩٨
وأيّام	ندينا	عمرو بن كلثوم	٢٢١
إذا نزلت	العندا		٢٣٠
وتنقض	الصعابا		٢٤٩
أنقض	أطمعا		٢٥٦
يا ناق	فنستريحا	...	٢٥٨
إذا متُ	وأشعراً	ابن مقبل	٢٦٠

فآبوا	مصفّدينا	عمرو بن كلثوم	٢٦٢
تضيفته	قائداً	الأعشى	٢٦٣
جون	والمسوحا	أبو النجم	٢٦٣
كأنَّ قطراناً	مجراها	أبو النجم	٢٦٣
لقد رزيت	يضيمها	ابن حبيب	٢٦٨
ثمّت	فيعقبا		٢٦٩
تعدّون	المقنعا		٢٧٣
حتّى إذا	الشردا		٢٧٦
فمن يلق	لائما	...	٢٩٣
أدوا	حكّاما	انشده الكسائي	٣٠٣
ذاك	اللهازما		٣١٦
أمرتك	نادماً	...	٣١٧
فلمّا	ولا شبراً	ذو الرمّة	٣٢٢
تسمع	وبددا	...	٣٣١
لا أبتغي	واصباً	أو الأسود الدؤلي	٣٥٧
وما أيبليّ	وصارا	الأعشى	٣٥٩
ولقد	يغضبوا	...	٣٦٦
كلفت	حفدوا	الراعي	٣٧٧
لسان	تحينا		٣٩٩
أبني،	أغضيا	جرير	٤١٤
ذريني	بأخيلا	حسان	٤٣٣
أقول	تنالها	كُثيِّر	٤٣٣
حتّى إذا	الشردا	الهذلي	٤٣٦

ويخبرني	مخبرا		٤٤٠
عجبت	يوصينا		٤٤٥
ولقد علمت	حفالا		٤٨٨
عقب	حصيرا	...	٤٩٥
والشمس	تزحلفا	العجاج	٤٩٦
نصالحكم	قبيلها		٥٠٩
ولقد علمت	شمالا	...	٥٣٣
تراهنّ	لباسها	المرقّش	٥٦٨
فكيف أنا	عارا	الأعشى	٥٧٢
تظلّ	صفونا		٥٧٥
يهوين	جوائرا	رؤية	٥٨٦
وأيرخ	مجيداً	...	٥٩٤
لقد لقي	إمرا	أبو عبيد	٦٠٣
أيرجو	ورائيا	...	٦١٠
لو أنّ	تبعاً	رؤبة	٦٢١
وأعرضت	مصلتينا	عمرو	٦٢٦
مهلاً بني	مدفونا		٦٣٧
تحنّن	مقالا		٦٤٤
هبّت	حوراناً	جرير	٦٤٦
فتوسّطا	قلّامها	لبيد	٦٥١
سلم	هرهرا		٦٥١
قد أطعمتني	حجرياً	...	٦٥٥
ولقد رأيت	وولداً	الحارث بن حلّزة	٦٨١

الحمد لله	ولدا	رؤبة	٦٨١
لقد لقي	إمراً		٦٨٦
كادت	ما مضى	...	٦٨٦
أهوى	القردا	ابن أحمر	٦٨٨
فتوجّست	سقامها		٦٩٠
هتفت	موائلا	متمّم بن نويرة	٦٩٢
وأطرق	لصمّما	الحارث بن كعب	٧٢٠
إنّ أباها	غايتاها		٧٢١
بذي	يحرقونا		٧٤٢
هل أنت	احتيالها		٧٤٨
فما اخذوها	استقالها		٧٤٨
فمن يلق	لائماً		٧٥٦

[الهمزة]

حشا	الدلاء	...	٥١
آذنتنا	الثواء	الحارث بن حلّزة	٢٢٣
ألا أبلغ	هواء	حسان بن ثابت	٢٥٦
كأنّ الرحل	هواء	زهير	٢٥٦
تجيء	ماء	أبو الأسود الدؤلي	٦١٥
تجيء	وقليل ماء		٦١٦
وجار	والرجاء	زهير	٦٤٩

[الباء]

كليني	الكواكب	النابغة	٨ و ٢٨٤

وأسفل	متطيّب	...	٧٠
أنّي سربت	قريب	قيس بن الخطيم	١٦٥
ما بال	سرب	ذو الرمّة	١٦٥
وداع	مجيب		١٧٣
بأيّ كتابٍ	وتحسب		٢٠٩
عسى	قريب		٢٣٠
حلفت	مذهب		٢٣١
بمهطعٍ	مشذب	...	٢٥٥
ألم تكسف	الواجب	أوس	٢٥٩
وكنت لزاز	عصيب	عدّي بن زيد	٢٧٦
كأنّه كوكب	منقضب	ذو الرمّة	٢٨٠
وذي	ودؤوب		٣٢٥
غيّرته	واصب	حسّان	٣٥٧
ويل	مطلوب	الأنصاري	٣٨٣
ولا أنا	ثعلب	الكميت	٤٣٢
وكلّ ذي	لا يؤوب	عبيد بن الأبرص	٤٤٧
وأشعث	الهواضب	محمّد بن السدّي	٤٥١
جوانح	غالب	النابغة	٥٨٨
تخشخش	جنوب	علقمة بن عبدة	٧٣٠

[التاء]

ليس قومي	هيت	طرفة	٣٦
أبلغ	فهيت هيت		٣٧

ولكنّهم	البغت	يزيد بن مقسم الثقفي	١٣٨
آقبل	المغلّة		١٥٣
ربّما	شمالات		٢٦٧
رجعت	صلّت		٢٨٧
وليلةٍ	ليت		٤٢٠
نشكو	وأضعت		٤٨٢
صفيّة	حمزة	...	٥٧٣
حساماً	المنعّت	أبو عبيدة	٦٢٣
كأن لها	تبلت		٦٥٠
أمّ الحليس	الرقبة		٧٢١
أبي الضيم	معاقلة	زهير	٧٤٢
من كان	وأغدّت	عنتر بن دجاجة	٧٥٢

[الثاء]

بعثتك	تغيث	...	٩٢
أهاجتك	الاثاث	ابن دريد	٣٨٤ و ٦٧٩

[الجيم]

صبا	حدوج		٥٦
أجزت	الارندج	زهير	٦٥٦

[الحاء]

اليبك	الطوائح	نهشل بن حري النهشلي	٢٨٥

كبكاء	الجرائح	أميّه	٣١٠
كأن بقايا	سارح	...	٣٢٥
إنّ السماحة	الواضح	الصلتان العبدي	٣٦٩
هذا مقام	براح	...	٤٩٦
بات الخليّ	مذبوح	أبو ذؤيب	٥٦٤
وكلتاهما	اروح		٥٦٩
رجال	وانفضح		٧٣٧

[الخاء]

أما الملوك	طبّاخ		٤٩٢

[الدال]

صادياً	المنجود	أبو زبيد الطائي	٧٦
يا صبيّ	بمردود		١٢٤
فقلت لهم	المسرّد	...	١٤٢
وخيّس	والعمد	النابغة	١٤٩
أخشى	والأسد	لبيد بن ربيعة	١٧١
فأصبحت	باليد		١٧٣
تهدى	الممتاد	...	٢٤٥
هذا الثناء	بالصفد	الذبياني	٢٦٣
واستعجلونا	لورّاد	القطامي	٣٦٤
سبحانه	والجمد	أُميّة بن أبي الصلت	٤١٩
وان يغبطوا	والفند	لبيد	٤٣٨

ألا طرقتنا	تجود	...	٤٩٨
ألا طرقت	هجود	الحطيئة	٤٩٩
والناس	المرشد	...	٤٥٢
ألا لمثلك	الأمد	النابغة	٥٣٩
يا حكم	ممدود	...	٥٦٣
بين الرواق	الانضاد	الأعشى	٥٦٨
أعاذل	المتردّد	عديّ بن زيد	٦٩٩
فإن تدفنوا	لا تقعد	امرؤ القيس	٧٠٠
ألم يأتيك	بني زياد		٧٢٨

[الراء]

فقتلاً	اتّأر		١٣
فلا يدعني	عامر		٤٣
فإن تكن	عامر	...	٨٤
أماوي	الصدر	حاتم طيّ	١٠٥
أقول	الفاخر		١٦٩ و ٣٢٠
بجمع	للحوافر	...	١٧٥
يا رسول	بُوُر	ابن الزبعري	٢٤٤
جاء الشتاء	تظهر	المثنّى بن جندل الطهوري	٢٧٨
قبل	تسكر	ذو الرمّة	٢٨٠
فمّاونى	وما غبر		٣٠٢
وليس	بالنار	...	٣٥١
فلم يبق	جحر	ذو الرمّة	٣٥٥

لا يغمز	الصفر		٣٥٨
إنّني	جأر	عديّ بن زيد	٣٥٩
وأسمر	العشر	...	٣٩٣
أقول	الفاخر	الأعشى	٤٢٠
ومنّا	العساكر	حسان	٤٢٤
إنّ العسير	محسور	الهذلي	٤٥٠
الخطء	تويبر	...	٤٥٣
فإن تسألينا	المسحَّر	لبيد	٤٦٧
واعلم	سطر	العجّاج	٤٧٦
مستقبلين	منثور		٤٨٨
وسطه	ينير	عديّ بن زيد	٥١٣
إذ أجاري	مثبور	...	٥١٩
ألا أيّهذا	المقادر	ذو الرمّة	٥٣٤
ودون	أزور	أبو الزحف	٥٤٣
عسفن	ازورار	جرير	٥٤٣
كلا عقبيه	مباشر		٥٦٩
جلاها	بأثر		٦٠٦
لبئس الفتى	محضر	...	٦٣٧
إنّي أتتني	ولا سخر	عامر بن الحارث	٦٦٥
ودعيت	خزر	حاتم	٦٧٨
فليت	حمار		٦٨١
الا ربّ	الصدر		٦٨٨
وسوف	أطهار		٦٩٦

نال	قدر	...	٧١٠
فما ونىٰ	وما غبر	العجّاج	٧١١
وإنّ أبانا	والفزر		٧١٧

[السين]

التيم	المدانيس	...	٢١٦
قد جرّبت	الضغابيس	ابن عرفة	٣٣٢
الواردون	الجواميس	...	٣٥٥
إلى ظعنٍ	الفوارس	ذو الرمّة	٥٤٥
فادركته	المقدّس	امرؤ القيس	٦٩٩
تميم	مساس		٧٤١
خلال أنّ	شوس		٧٤١

[الضاد]

جارية	بالإيماض		٢٦٨
رديت	الدحض	...	٥٩٠
أبا منذرٍ	من بعض	طرفة	٦٤٤

[العين]

سبقوا	مصرع	أبو ذؤيب	٣٠
وقد حال	الأصابع	النابغة	٥٠
فما فتئت	وتقطّع	أوس بن حجر	١١٢

تمتع	المتاع	...	١٨١
تنادرها	تراجع	النابغة	٢٤١
يُباكرن	الوقيع	الشمّاخ	٢٥٥
وكأنَّهنَّ	ويصدع	أبو ذؤيب	٣١٧
أقارع	تجادع	النابغة	٤٢٥
فإنّي بحمد	أتقنّع		٤٧٢
أتجزع	المتقطع		٥٣٤
أليس	الأصابع		٦١٠
لما أتى	الخشّع		٦٨٧
أقول	الضجوع		٦٩٤
ياليت	مجمع	...	٧١٨
وعليهما	تبّع	أبو ذؤيب	٧٢٧
فما برحت	وتقطع		٧٣٧
لمّا أتى	الخشّع		٧٤٦

[الفاء]

وما سجنوني	الزعانف	الفرزدق	٦٤
نعلّق	نفانف		٢٨٢
فما زودّوني	وزائف	...	٥٥٩
أزهير	متكلّف	أبو كثير	٥٨٩
فقالت حنان	عارف	...	٦٤٤
وغض	مجلف	الفرزدق	٧١٩

[القاف]

هلّا	المحرق		٢٨٢
جاء الشتاء	التواق	...	٢٨٣
وقاتم	الخفق	رؤبة	٤٦٠
فيه خطوط	البهق	رؤبة	٥٢١
فقلت	فتزلق		٥٨٠
وقد تخذت	المطرِّق		٦٠٦
إنّ تحت	معلاق		٦٨٩
عدس	طليق		٧٠١
كأنّ أيديهن	الورق		٧٤٥

[الكاف]

خدوداً	الأرائك		٥٦٨

[اللام]

فإن أنا	والأهل	المنخّل	١٨
ترتعي	الرمل	...	٢١
فلمّا أجزنا	عقنقل	امرئ القيس	٢٦
هل غير	الأموال	...	٣٥
يريد	عقيل	الحارثي	٣٩
فلا يدعني	أُعجّل	...	٤٣
درّة	طل	أبو داود	٤٩
خود	شمال	ابن مقبل	٦٩

فرع	المحال	الأعشىٰ	١٧١
لعمري	بالأصائل	أبو ذؤيب	١٧٥
ونابغة	وجندل	...	٢١٦
بكىٰ	متضائل	أوس	٢٥٩
ربّ بما	العقال	...	٢٦٧
أزهير	بهيضل	الهذلي	٢٦٩
تخوف	صليل	...	٣٥٣
سقىٰ	هلال	لبيد	٣٦٨
حفد	الأجمال	جميل	٣٧٦
إنّ تقوى	والعجل	...	٤٩٩
لئن منيت	تنتقل	الأعشىٰ	٥٠٦
وقد أخالس	ما يئل	الأعشىٰ	٥٩٢
تخاطّأن	يعجل	أبو عبيدة	٦٥٢
بكى	متضائل	...	٦٨٧
في رأس	ولا جبل	ابن أحمر	٦٨٨
خالي	الأخوال		٧٢١
إن يحلقوا	أنزل		٧٥٧
إنّ	المنزل	...	٧٥٧
حلو	ينتعل	السعدي	٧٦٠

[الميم]

لئن كنت	بسلّم	الأعشىٰ	١٨
فكم فيهم	أو عزم	كعب بن زهير	٣٩

عبادك	والحتوم	أُميّة	٤٨
حاشا	والشتم		٥١
تهارك	لازم		٧٤
فلست	زعيم	...	٩٩
إنّي امرؤ	السقم	العرجي	١١٣
إلى الملك	المزدحم	...	١٤٧
حتّى تهجّر	المظلوم	لبيد	١٦٦ و٢١١
صدّت	صوّام	...	٢٠١
ماويّ	بالميسم	أبو زيد	٢٦٦
... وقلما	يدوم		٢٦٩
إلى الملك	المزدحم		٢٧١
مشين	النواسم		٢٨٤
إذا قالت	حذام		٣١٧
ولا يئطّ	الأدم		٣٣٤
بفي	الضراغم		٣٥٥
وعندي	بأنعم	...	٤٠٦
وقماقم	قيام	لبيد	٤٢٨
عبادك	الذّموم		٤٥٢
ومن يجعل	يشتم	زهير	٤٨٢
أغلام	المنام	أبيعبيد	٥٠٣
لو غيركم	العوّام	...	٥١٥
لا أعُدّ	الإعدام	أبو داود	٥١٦
فازور	وتحمحم	عنترة	٥٤٣

وما الحرب	المرجّم	زهير	٥٥٣
فيها اثنتان	الاسحم	عنترة	٥٥٨
إنّ الخليفة	الخواتيم		٥٦٥
لا وألت	تكلم		٥٩٢
يريد	عقيل		٦٠٥
وكيف	والرحم		٦١١
هل غادر	توهّم	عنترة	٦٢٠
تطالعنا	الغريم		٦٥٢
فكيف	كرام		٦٥٦
فلما وردن	المتخيم	زهير	٦٧٧
ألم تر	هشام		٢٥٩ و٦٨٧
وأصبح	بها هشام	...	٦٨٧
أهشّ	والشام		٧٠٢
تزوّد	عقيم		٧٢١

[النون]

جدّت	حيران		٢٢
لشتّان	مستويان		٥٣
يا عزّ	فتيان		٦٠
يحمي	مكتمن	...	٧٠
ألا يا ديار	المَلَوان	ابن مُقبل	٢٠٠
فإن تصبرا	تريان	...	٢٣٧
يا صاحبا	أو يسأل عن	أبو زيد	٢٦٦

سريت	بأرسان		٣٠٥
تخوّف	السفن		٣٥٣
ذعرت	اللّعين		٤٣٧
عجبت	أبوان		٥٢٩
إنّ دهراً	بالإحسان		٦٠٦
قد أخذت	الركنين	...	٦٢٣
ويمنعها	الحنان	امرؤ القيس	٦٤٣
بوادٍ	والشبهان		٦٥١
إنّ السفاهة	الملاعين		٦٩٢

[الهاء]

وشربت	هامه	ابن مفرّغ الحميري	٣٢
هممت	حلائله	...	٣٨
أقول	أوائله	ذوالرمّة	٣٩
أنّي إذا	الأرشيه		١٠٧
فإنّي وإيّاكم	أنامله		١٧٣
رميتيه	الرميه		٢٣٨
ولاتك من	يكاسره	...	٢٥٧
فزججتها	مزاده	انشده الفرّاء	٢٦١
وقفت	وأخاطبه	ذو الرمّة	٢٨٥ و٣٦٨
فلمّا خشيت	حافره	الحطيئة	٣٦٢
يظلمني	غالبه		٥٦٩
يا فقعسي	حرّمه		٦١٣

هذا جناي	إلى فيه	ابن أُخت حذيمة	٦٥٢
ظل	وألومهنّه		٧٢١

[الياء]

أتقتلني	الطالي	امرؤ القيس	٥٠
لو بغير	اعتصاري	عدي بن زيد	٧٥
تقول	وديني	...	١٠٣
فقلت	وأوصالي	امرؤ القيس	١١٣
أتوعدني	دوني		١٧٢ و ٢٣٠
ماضٍ	ياتافيّ	...	٢٣٧
صرفت	ولا قالي	امرؤ القيس	٢٤٦
لوما	عوري	ابن عقيل	٢٧٣
تراه	فليني		٢٩٩
نشدتكم	مثاني		٣١٤
ولأنت	لا يفري	زهير	٣٣٣
وما أدري	يليني	زهير	٣٨٤
ألا يالقوي	باطلي		٥٤٠
ويرمينني	أقلي		٥٧٥
لتقعدنّ	المقليّ		٦٤٩

فهرس المباحث العامّة*

ردّ على من يقول: إنّ إخوة يوسف كانوا أنبياء ١٦، ١٠٥
دفع ما أوردوه على قوله تعالى: «وهمّ بها لو لا أن رأى برهان ربّه...» ٣٨ ـ ٤٤
ردّ على من يقول: إنّ قوله تعالى: «ما هذا بشر إن هذا إلّا ملك» يدلّ على أنّ الملك أفضل من البشر بما فيهم الأنبياء ٥٢ ـ ٥٣
يردّ على البلخي في استدلاله بأنّه لا ينصرف أحد عن معصيته إلّا بلطف لقوله تعالى: وإلّا تصرف عنّي كيدهنّ أصبوا إليهنّ ٥٦ ـ ٥٧
ردّ على الرماني في تفريقه بين الزجر والصرف ٥٧
ردّ على من يقول إنّ الرؤيا على ما عبّرت به أوّلاً ٧٦
يستدلّ على جواز تقلّد الأمر من قبل السلطان الجائر إذا تمكّن معه من إيصال الحقّ إلى مستحقّه ٨٣
يردّ على الجبّائي في إنكاره العين ويستدلّ على ثبوتها ٩٤
جواب من يسأل: إذا كانت رؤية الأنبياء لا تكون إلّا صادقة فهلّا تسلى يعقوب عليه السلام بأنّ تأويل رؤيا يوسف عليه السلام ستكون؟ ١٣١

(*) قد عُنون هذا الفهرس في المجلّدات السابقة بـ «فهرس الموضوعات» لكن رأينا أنّ العنوان المذكور أنسب، والمقصود منه المباحث غير المختصّة بالتفسير.

ردّ على من يقول بالطبع ١٥٥
ردود على المجبّرة وإبطال مذهبهم من أساسه وإفساد جميع معتقداتهم الباطلة وتنزيه الله تعالى عن كلّ ما ينسبوه إليه من الجبر والظلم والاستبداد وأخذ الولد بجرم أبيه وغير ذلك من أقوالهم المستهجنة ١٦٧، ١٧٧، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٥٧، ٢٦٤، ٣٣٣، ٣٤٤، ٣٨٦، ٤٣٤، ٤٦٠، ٤٦٢
استدلال بأنّ أبوي إبراهيم لصلبه مؤمنان، وإنّ آزر لم يكن أبوه لصلبه ٢٥٤
ردّ على النجّار ومن حذا حذوه من المجبّرة في قولهم بالتكليف في الآخرة ٢٥٧
ردّ على أصحاب المعارف وعلى المجبّرة وعلى اليهود والنصارى ٢٦٤
ردّ على الملحدين واستدلال على حكمة الخالق بأوضح الأدلّة ٣٢٣
دفع شبهة من توهّم تحليل النبيذ، وبيان الدليل الواضح الجليّ على حرمته ٣٧٠ ـ ٣٧١
استدلال على أنّ كلّ عصر لا يخلو ممّن قوله حجّة على أهل عصره عدل عندالله ٣٨٨
ردّ على من يقول: الكلام لا يدلّ على شيء ٣٨٩
استدلال على أنّ اليمين لا تنعقد على المعصية، وتعريض بمن يقول بانعقادها ٣٩١
ردّ على من يقول: لا يكون حسن أحسن من حسن ٣٩٦
استدلال على أنّ الصرع ليس من قِبل الشيطان ٣٩٧
ردّ على الرماني في استدلاله بأنّ الّذين عذبوا بمكّة من قبل المشركين ومنهم عمّار قد وقعت منهم معصية لأنّ المغفرة لا تقع إلّا لمن فعل قبيحاً ٤٠٤
دفع الشبهة الّتي ترد على قوله تعالى: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها... ٤٣٥

استدلال على أنّ العمل بالخبر الواحد والعمل بالقياس غير جائزين ٤٥٨
ردّ على حسن البصري في تفسيره قوله الشيطان: لأحتنكن ذرّيته ٤٨٣
ردّ على من يستدلّ على تفضيل الملائكة على الأنبياء ٤٨٩
ردّ على من يستدلّ بـ«أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل» على أنّ وقت الصلاة الأُولى موسّع إلى آخر النهار ٤٩٧
جواب من يسأل عن جواز إرسال الملك للنبيّ وعدم جواز إرساله إلى غير النبيّ ٥١١
دليل على أنّه لا يجوز التقليد في الدين، وأنّه لا يقبل دين إلّا بحجّة واضحة ٥٤١
دليل على أنّه لا يجوز المقام في دار الفكر، ووجوب الهجرة ٥٤١
دليل على أنّ الأُمور تجري بتدبير مختار قادر على نقض الطبائع ٥٤٩
دليل على حسن المراء بالحقّ، وبالصحيح من القول، والمذموم منه ما كان باطلاً والغرض منه المبالغة لا بيان الحقّ ٥٥٤
أخذ ورد حول تأثير الاستثناء بـ«إن شاء الله» في اليمين ومتى ٥٥٤، ٥٥٧
حوار حول «هل إبليس من الملائكة، وهل الجنّ من الملائكة؟» ٥٨٥، ٥٨٦
دليل على وجوب اللطف من الله لمن يعلم صلاحه عنده ٦١١، ٧٦٣
ردّ على الجبّائي حيث يقول: لا يجوز بقاء الخضر إلى ما بعد النبيّ ٦١١
ردّ على أصحاب المعارف حيث يقولون: المعارف ضروريّة ٦٢٨
ردّ على من يقول: الأنبياء لا يورثون المال ٦٣٨
ردّ على من يقول: البنت لا تحجب بني العمّ والعصبة في الميراث ٦٣٩
ردّ على من يجوّز وقوع الخطأ من الأنبياء ٧٥٤

فهرس السور

سورة يوسف	٣ ـ ١٤٥
سورة الرعد	١٤٦ ـ ٢١٤
سورة إبراهيم	٢١٥ ـ ٢٦٥
سورة الحجر	٢٦٦ ـ ٣١٨
سورة النحل	٣١٩ ـ ٤١٦
سورة بني إسرائيل	٤١٧ ـ ٥٢٧
سورة الكهف	٥٢٨ ـ ٦٣١
سورة مريم	٦٣٢ ـ ٦٩٠
سورة طه	٦٩١ ـ ٧٦٣